
وليم شايرر
قيام وسقوط
الرايخ الثالث
نهاية دكتاتور

وليم شايرر

قيام وسقوط الرايخ الثالث

«نهاية دكتاتور»

الجزء الثاني

نقله إلى العربية

جرجيس فتح الله

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق
ص.ب رقم: ١

وليم شايرر

قيام و سُقوط الرّايخ الثالث

« نهاية دكتاتور »

الجزء الثاني

نقله إلى العربية

جرجيس فتح الله

اسم الكتاب: قيام وسقوط الرايخ الثالث «نهاية دكتاتور» - الجزء الثاني
تأليف: وليم شايرر
نقله الى العربية: جرجيس فتح الله
من منشورات ئاراس رقم: ١٧١
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: دار ئاراس
تصحيح: شاخوان كركوكي
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٤٩٦ / ٢٠٠٢

الكتاب الرابع

الحرب: الانتصارات الأولى ونقطة التحول



الفصل الأول

سقوط پولندا

-١-

في الساعة العاشرة صباحاً (٥ أيلول ١٩٣٩) تحدث الجنرال هالدر الى الجنرال فون براوختش قائد الجيش العام، والجنرال فون بوك Von Bock قائد مجموعة الجيوش الشمالية. وبعد استعراض الموقف كما رأوه في مبدأ اليوم الخامس من الهجوم الألماني على پولندا. اتفقوا على أن "العدو قد سحق فعلاً" كما دوّن هالدر في يومياته. ما حل مساء اليوم السابق إلا وكانت المعركة لأجل الإستيلاء على الممر قد انتهت بإتصال جيش فون كلوگه Von Kluge الرابع المندفع من پوميرانيا شرقاً، بجيش الجنرال فون كوخلر Von Kuechler الثالث الزاحف غرباً من شرق پروسيا. وفي هذه المعركة بالذات ذاع صيت الجنرال هاينز گودريان Heinz Guderian بدباباته. ففي إحدى النقاط جوبهت، وهي تندفع شرقاً عبر الممر، بهجوم مضاد قام به لواء خيالة پومرسكا Pomorska. وقد انتقل المؤلف بعد أيام قليلة الى ساحة المعركة فطالعه منظر مذبحة يقشعر منها البدن. إنها نموذج حي للحرب الپولندية القصيرة الأمد.

خيول ضد دبابات! رماح الخيالة الطويلة الپولندية. مهما حُكي عن استهتارهم بالحياة وارتخاصهم الموت، فالموضوع هو أن عملية الاكتساح الألماني كانت نموذجية. تلك هي أول تجربة لهم بل اول تجربة للعالم للبلتزكريك Blitzkrieg أي الحرب الخاطفة". الطائرات المقاتلة والقاصفة تهدر فوق الرؤوس هدبراً، مستطلعة مهاجمة ناشرة اللهب والفزع. وطائرات شتوكا Stuka تزعق وهي تنقض إنقضاضاً والدبابات، ومنها فرق كاملة، تخترق الجبهة وتتوغل إلى الأمام ثلاثين أو أربعين ميلاً في اليوم الواحد. والمدافع الثقيلة الذاتية الحركة السريعة الإطلاق تسحب مسافة (٤٠) ميلاً في الساعة فوق الطريق الپولندية غير الممهدة سرعة المشاة التي لاتصدق كل الجيش الذي يبلغ تعداده مليون ونصف المليون يسير على عجلات آلية يوجه وتنسق اعماله بالمواصلات الالكترونية المؤلفة من شبكات راديو وتلفون وتلغراف معقدة متشابكة. لقد كان المارد الآلي الجبار الذي لم تر الأرض مثله من قبل.

دمرت القوة الجوية الپولندية في ظرف ثمانٍ وأربعين ساعة وحطم معظم طائراتها الخمسمائة في الخط الأول بالقصف الألماني الذي باغتها وهي جاثمة في مطاراتها قبل أن تتمكن من التحليق واشعلت النيران في المنشآت الجوية وقتل معظم ملاحيها او جرحوا. وفي ٦ أيلول سقطت كراكاو Cracow ثاني اكبر مدينة في پولندا بأيدي الجيش الزاحف. وفي تلك الليلة فرت الحكومة الپولندية من وارشو الى



فون كلوگه

لوبلين Lublin وفي اليوم التالي راح الجنرال (هالدر) يشغل نفسه بتنظيم خطط البدء بنقل القطعات الى الجبهة الغربية وإن لم يهجس اي نشاط حربي فيها. وفي عصر اليوم الثامن من أيلول بلغت الفرقة المدرعة الرابعة (پانزر Panzer) مشارف العاصمة البولندية في حين كان جيش (رايشناو Reichnau) العاشر الى جنوب المدينة مباشرة والمنحدر من سيليزيا وسلوڤاكيا قد احتل كيلشي Kielce، ووصل جيش ڤون ليست von List الرابع عشر (ساندوميزج Sandomierz) وهي نقطة إتصال نهري (الفستولا وسان). في أسبوع واحد تم القضاء على الجيش البولندي قضاءً مبرماً وآض معظم الفرق الخمس والثلاثين -وهو كل ما تسنى تعبئته في تلك المدة القصيرة- إما مشتتاً ايدي سبأ، وأما مطوقاً نتيجة حركة كماشات واسعة كانت قد أطبقت على وارشو من كل جانب ولم يبق للألمان إلا "الصفحة الثانية" من المعركة أن تضيق حبل الأنشوطة على الوحدات البولندية الذاهلة المختلة النظام المطوقة تماماً ثم تدميرها، ثم اكمال حركة تطويق ثانية أوسع من الأولى بمسافة مائة ميل الى الشرق ستؤدي الى ايقاع البقية الباقية من التشكيلات البولندية في غرب (برست ليتوفسك) ونهر (بوگ Bug) في فخ لا فكاك منه.

هذه الصفحة بدأت في التاسع من أيلول وانتهت في السابع عشر منه فزحف الجناح الأيسر لمجموعة جيوش (ڤون) شمالاً، مستهدفاً (برست ليتوفسك) التي كانت تشكيلات جيش (گوديريان) التاسع عشر قد بلغتها في ١٤ أيلول واحتلتها بعد يومين. وفي ١٧ أيلول إلتقت بدوريات جيش (ليست) الرابع عشر على بعد خمسين ميلاً جنوب (برست ليتوفسك) في ڤلوداڤا Wlodawa فانطبقت الكماشتان الواسعتان هناك. على حد قول گودريان. فيما بعد وأدى الهجوم المضاد الى نتائج حاسمة. في السابع عشر من أيلول طوقت القوات البولندية كافة عدا حفنة منها على الحدود الروسية وصمدت جيوب من القوات البولندية في مستطيل وارشو. وغرباً بالقرب من پوزن Posen وقاتلت بكل بسالةٍ. الا انها أبيدت. وبعد أن لوحقت الحكومة البولندية أو ماتبقى منها وقصفت بدون انقطاع من الجو. تمكنت من بلوغ قرية على الحدود الرومانية في ١٥ أيلول. لقد انتهى كل شيء بالنسبة لها وللشعب البولندي الفخور. خلا أن المحتضرين في صفوف الجنود كانوا صامدين بعزمٍ لايصدق.

حان وقت الروس الآن ليتحركوا الى البلاد المقهورة وينالوا حصتهم من الأسلاب.

-٢-

روسيا تغزو پولندا

عرت الدهشة الكرملين كما عرت كل عواصم الحكومات الأخرى، للسرعة الخاطفة التي رافقت إنتصار جيوش ألمانيا في پولندا. وفي ٥ أيلول أجاب مولوتوف برد كتابي على الإقتراح النازي بمهاجمة روسيا پولندا من الشرق بأن ذلك سيشرع فيه "في الوقت المناسب" وان "هذا الوقت لم يحن بعد" كان يعتقد أن "السرعة الفائقة" قد تلحق الأذى "بالقضية" السوڤيتية، إلاّ أنه أصر بأن على الألمان "ملاحظة خط الحدود المقرر" بدقة وحرص وهو الخط الذي اتفق عليه في شروط الميثاق السوڤيتي النازي السرية[١] وإن سبقهم الألمان في الوصول اليه، بات الشك الروسي بنوايا الألمان واضحاً وكذلك كان الشعور السائد في الكرملين بأن الفتح في پولندا قد يقتضي وقتاً طويلاً.

لكن بعد منتصف ليل ٨ أيلول بقليل، وعلى أثر وصول الفرق المدرعة الألمانية ضواحي وارشو، ابرق ريبنتروب برقية "طارئة سرية للغاية" للسفير شولنبرگ، أبلغه فيها أن العمليات العسكرية في پولندا "تتطور بشكل فاق كل خيالنا" وان ألمانيا في هذه الاحوال ترغب أن تعرف شيئاً عن نوايا الحكومة السوڤيتية "العسكرية"[٢]. وفي الساعة ٤،١٠ بعد ظهر اليوم التالي رد مولوتوف أن روسيا ستتحرك عسكرياً "خلال الأيام القلائل القادمة". وفي الساعات الأولى من اليوم نفسه قدم وزير الخارجية السوڤيتية تهنئة رسمية للألمان "بمناسبة دخول القوات الألمانية مدينة وارشو"[٣].

في ١٠ أيلول تبادل مولوتوف والسفير دير فون شولنبرگ حديثاً طريفاً snofu طريف. فبعد أن أعلن مولوتوف أن الحكومة السوڤيتية "فوجئت مفاجأة تامة بالإنتصارات العسكرية الألمانية غير المنتظرة" ولهذا وجد الإتحاد السوڤياتي نفسه في "موقف حرج"، انتقل الى الحجة التي يترتب على الكرملين التذرع بها لدخوله پولندا وها هي ذي كما وصفها شولنبرگ ببرقيته المستعجلة والسرية جداً الى برلين: "... أن پولندا تصدعت وتقوض بنيانها، فالواجب يقضي على الإتحاد السوڤياتي نتيجة ذلك، أن يخف الى معونة الأوكرانيين، والروس البيض الذين - يتهددهم الغزو الألماني [قال مولوتوف] ان هذه الذريعة ضرورية ليظهر التدخل السوڤيتي مبرراً أمام الجماهير وفي الوقت نفسه لتحاشي ظهور الإتحاد السوڤياتي بمظهر المعتدي".

وزاد مولوتوف، فاحتج على تصريحات الجنرال فون براوختش لوكالة الأنباء الرسمية الألمانية (د.ن.ب) إذ قال "إن العمل العسكري لم يعد ضرورياً بعد الآن في الحدود الشرقية الألمانية" قال

١- نص الجواب السوڤيتي في "وثائق وزارة الخارجية الألمانية" ج٨، ص٤. طبع عدد من هذه الرسائل المتبادلة السوڤيتية-النازية في "العلاقات النازية السوڤيتية" إلا ان المرجع الأول أوفى.
٢- المرجع السالف الص ٣٣-٤٤.
٣- تهنئة مولوتوف "المرجع السالف ص٣٤". وعده بالقيام بالعمل العسكري ص٣٥.

مولوتوف معقباً: إن كان الأمر كذلك، وإذا بلغت الحرب خاتمتها فإن روسيا لاتتمكن "من إثارة حرب جديدة". وابدى استياءه الشديد من الموقف كله[٤]. ومما زاد في تعقيد الأمور، أنه استدعى شولنبرگ الى الكرملين في ١٤ أيلول وبعد ان أبلغه ان الجيش الأحمر سيزحف بأسرع مما قدر طلب أن يعلمه بموعد سقوط وارشو. لأن الروس يجب ان ينتظروا حتى تسقط العاصمة البولندية كيما يبرروا زحفهم[٥]. أثار القرميسار مولوتوف أسئلة محرجة. متى تسقط وارشو؟ وكم يرغب الألمان أن يلاموا على التدخل الروسي؟ في مساء ١٥ أيلول ارسل ريبنتروب رسالة بالجواب مستعجلة جداً وسرية جداً اليه عن طريق السفير الألماني. قال إن وارشو، سيتم إحتلالها خلال "الأيام القليلة القادمة" وان ألمانيا "ترحب بعمل عسكري سوڤيتي الآن". أما بخصوص العذر الروسي في إلقاء الغُرم على ألمانيا بسبب ذلك "وهذا ما لن يكون ابداً... وهو يخالف النوايا الطيبة الألمانية... وسيكون مناقضاً للترتيب الذي اتفق عليه في موسكو واخيرا... يجعل الدولتين تبدوان كعدوتين أمام العالم أجمع" وختم الرسالة بطلبه من الحكومة السوڤيتية، تعيين "اليوم والساعة للهجوم على پولندا"[٦].

جرى ذلك مساء اليوم التالي. وتتحدث عن كيفية حصوله رسالتان لشولنبرگ كانتا بين الأوراق الألمانية المستولى عليها. وهما تقدمان صورة ناطقة لمكر الكرملين بالألمان [ابرق شولنبرگ في ١٦ أيلول] "قابلت مولوتوف في السادسة مساءً وصرح لي ان التدخل العسكري السوڤيتي وشيك – وربما وقع غداً أو بعد غدٍ. ان ستالين يعقد الآن مجلس شورى مع قادة العسكر..."

واضاف مولوتوف... أن الحكومة السوڤيتية عزمت على تبرير عملها بالشكل التالي: لقد تفككت الدولة الپولندية ولم يعد لها وجود، ولذلك فإن كل الإتفاقات المبرمة مع پولندا باطلة: ومن المحتمل أن تحاول دول ثالثة الاستفادة من الفوضى التي عمت البلاد، ولذلك ترى الحكومة السوڤيتية نفسها مضطرة الى التدخل لحماية اخوانها الأوكرانيين والروس البيض ومساعدة هؤلاء الناس التاعسين على العمل بسلام". ولما كانت ألمانيا "الدولة الثالثة" الوحيدة المحتملة، والمعنية بهذا القليل، فقد إحتج شولنبرگ: "وأقر مولوتوف أن التعليل المقترح من جانب الحكومة السوڤيتية يتضمن تعريضاً قد يجرح مشاعر الألمان، الا انه يطلب منا انعام النظر في موقف الحكومة السوڤيتية الحرج وألا نتشدد في هذا الأمر الصغير ونتشبث به. ان الحكومة السوڤيتية لاتجد لسوء الحظ أي علة أو دافع آخر تتمسك به، مادام الإتحاد السوڤياتي لم يكلف نفسه حتى اللحظة عناء الإهتمام بحالة اقلياته البائسة في پولندا، وبات من الواجب عليه تقديم تبرير عالمي لتدخله الحالي، بطريقة ما[٧].

في الساعة ٢٠ , ٥ عصر ١٧ أيلول أرسل شولنبرگ رسالة برقية أخرى "مستعجلة جداً" و"سرية للغاية" الى برلين. "استقبلني ستالين في الساعة ٢ ظهراً وصرح أن الجيش الأحمر سيعبر الحدود

٤- تقرير شولنبرگ المؤرخ ١٠ أيلول المرجع السالف الص ٤٤-٤٥.
٥- المرجع السالف الص ٦٠ – ٦١.
٦- المرجع السالف الص ٦٨-٧٠.
٧- المرجع السالف الص ٧٦-٧٧.

السوفيتية في الساعة ٦ مساءً وستقوم الطائرات السوفيتية اليوم بقصف المنطقة الواقعة شرق لفوف Lwow لمبرگ Lembreg.

عندما احتج شولنبرگ على النقاط الثلاثة التي وردت في البيان السوفيتي، بادر الدكتاتور الروسي "بغاية الود" الى تعديل النص(٨).

وهكذا كان: دخل الجيش الأحمر پولندا المنهارة في صبيحة ١٧ أيلول متعللاً بأن پولندا لم يعد لها وجود ولذلك لم يعد ثم وجود لميثاق عدم الاعتداء الپولندي السوفيتي. كان ضرورياً ايضاً حماية مصالح السوفييت ورعاية مصالح الأوكرانيين والروس البيض، والأنكى من هذا كله، أبلغ السفير الپولندي في موسكو أن روسيا ستلتزم الحياد الدقيق في الحرب الپولندية! وفي اليوم التالي تلاقت طلائع القوات السوفيتية والنازية في (برست ليتوفسك) وهي المدينة التي قطعت الحكومة البلشفية الوليدة قبل واحد وعشرين سنةً بالضبط رباط تحالفها مع دول الغرب وارتضت من الجيش الألماني بصلح منفردٍ ذي شروطٍ قاسيةٍ جداً.

مع ان السوفييت كانوا الآن شركاء لألمانيا النازية في مسح پولندا العتيقة من الخارطة، فقد راحوا الآن يظنون فيهم الظنون فجأة. وفي المقابلة التي جرت بين السفير الألماني وستالين قبيل الزحف السوفيتي أعرب هذا عن شكه في أن القيادة العليا الألمانية ستلتزم بإتفاقية موسكو وتسحب قواتها الى ماوراء الخط الذي تم الإتفاق عليه في موسكو (ولم يتأخر السفير عن إبلاغ برلين بذلك) وحاول السفير التأكيد له خلاف ذلك، إلا أنه لم ينجح كثيراً على مايبدو. وأبرق الى برلين يقول "بالنظر لموقف ستالين المعروف جيداً بكثرة شكه، أكون ممتناً لو خولتموني الادلاء بتأكيدات أخرى من شأنها ازالة آخر شكوكه"(٩).

وفي اليوم التالي (١٩ أيلول) أبرق ريبنتروب الى السفير يخوله "بأن يقول لستالين أن الإتفاقات التي وقعتها في موسكو ستحترم طبعاً. وانها تعتبر من جهتنا حجر الزاوية لعلاقات الصداقة الجديدة بين ألمانيا والإتحاد السوفيتي(١٠).

وعلى أية حال فإن الاحتكاك بين الشريكين غير الطبيعيين ظل مستمراً. وفي ١٧ أيلول نشأ خلاف حول نص البيان المشترك الذي سيبرر تحطيم الدولة الپولندية. إحتج ستالين على النص الألماني لأنه "يضع الحقائق بكل صراحة"، وقرر الإستقلال بكتابة نسخته وهي نموذج فريد من قوة الحجة بحيث أجبر الألمان على الرضا به وقد جاء فيه أن الهدف المشترك للألمان والسوفييت هو إعادة الأمن والنظام في پولندا التي تحطمت بتصدع الدولة الپولندية ومساعدة الشعب الپولندي لتوطيد ظروف حياته السياسية". من مفارقات الدهر أن يلقى هتلر نداً له في ستالين.

٨- المرجع السالف الص ٧٩-٨٠.
٩- تقرير شولنبرگ المرجع السالف ص٩٢.
١٠- المرجع السالف ص١٠١.

في البدء، كان الدكتاتوران في الظاهر يفكران في دولة پولندية صغيرة حسب النظام الناپوليوني الذي قضى بتشكيل غراندوقية وارشو تهدئةً للرأي العام العالمي. لكن مولوتوف صرح في ١٩ أيلول أن السوڤييت عدلوا عن هذه الفكرة وان لديهم رأياً آخر فبعد أن إحتجّ (للسفير) غاضباً على إهمال الجنرالات الألمان إتفاقية موسكو بمحاولتهم الإستيلاء على الأراضي التي هي من حصة روسيا، انتقل الى النقطة الأساسية: "[ابرق شولنبرگ الى برلين] لمح مولوتوف بأن الاتجاه الأول الذي تبناه ستالين والحكومة السوڤيتية لإقامة دويلة پولندية قد صرف النظر عنه، والميل الآن منصرف الى تقسيم البلاد بالخط الفاصل (پيسا- ناريف- فيستولا- سان) وان الحكومة السوڤيتية ترغب في الشروع بالمفاوضات في هذا حالاً"[١١].

وهكذا ورد إقتراح التقسيم التام لپولندا وانكار اي وجود پولندي مستقل مهما كان شكله من الروس انفسهم إلا أن الألمان لم يكونوا بحاجة الى كثرة إلحاح لقبول الإقتراح. وفي ٢٣ أيلول ابرق ريبنتروب الى شولنبرگ يطلب منه إبلاغ مولوتوف "ان الفكرة الروسية في إنشاء خط حدود على طول خط الأنهار الأربعة المعروف جيداً تتفق تماماً مع وجهة نظر حكومة الرايخ" واقترح أن يطير ثانية الى موسكو للبت في التفاصيل فضلاً عن "التحديد النهائي للمنطقة الپولندية"[١٢].

وأشرف ستالين بنفسه على المفاوضات وعلم حلفاؤه الألمان - كما كان حلفاؤه الأمريكان والبريطانيون سيعلمون فيما بعد - أي مفاوض صعبٍ فظّ نهّاز للفرص كان. استدعى الدكتاتور السوڤيتي شولنبرگ الى الكرملين في الساعة ٨ مساءً(٢٥ أيلول). وقد انذر السفير برلين في تقريره ذلك المساء، ببعض الحقائق القائمة. وعن بعض الطبخات التي تطبخ في الخفاء هنا: "قال ستالين... انه يرى من الخطأ ترك دويلة پولندية مستقلة واقترح أن يضاف الى حصتنا كل الأصقاع التي تقع شرق الخط المتفق عليه واقليم وارشو الذي يمتد حتى نهر (بُگ) وبمقابل ذلك نعدل عن مطالبتنا بليتوانيا.

واضاف ستالين.. إن نحن وافقنا على إقتراحه فإن الإتحاد السوڤيتي سيوافق حالاً على مسألة دول البلطيق بحسب منطوق [البرتوكول السري] المؤرخ ٢٣ آب. وأنه يتوقع في هذا الأمر الدعم التام من الحكومة الألمانية. واشار ستالين الى استونيا ولاتفيا وليتوانيا بنوعٍ خاص ولم ينوه بفنلندا[١٣]".

كان هذا سَوماً ذكياً صعباً. عرض ستالين اقليمين پولنديين سبق للألمان أن احتلوهما مقابل دول البلطيق. كان يستفيد من الخدمة الجليلة التي قام بها لهتلر بتمكينه من غزو پولندا ليحصل على كل ما يستطيع الحصول عليه لروسيا أثناء ما كان الغنم سهلاً. زد على ذلك انه عرض بهذا إستيلاء الألمان على مجموع الشعب الپولندي: وهو كروسي يعلم جيداً دروس قرون عديدة من التاريخ، لقد علمه التاريخ أن الپولنديين لن يخضعوا ولن يستكينوا لضياع إستقلالهم ألا فليدعهم يصدعون رأس الألمان

١١- المرجع السالف ص ١٠٥.
١٢- المرجع السالف ١٢٣- ١٢٤.
١٣- المرجع السالف ص.١٣٠.

لا الروس! وفي الوقت نفسه سيحصل على دول البلطيق التي انتزعت من روسيا بعد الحرب العظمى الأولى، وسيمنح موقعها الجغرافي أعظم حمايةٍ للإتحاد السوڤياتي من هجوم مباغت ألماني (حليف).

وصل ريبنتروب بالطائرة الى موسكو في الساعة ٦ من مساء ٢٦ أيلول وقبل ذهابه الى الكرملين وجد وقتاً لقراءة برقيتين من برلين شرحتا له مقاصد السوڤييت ونياتهم وكانتا صادرتين من الوزير المفوض الألماني في تالين Tallinn، جاء فيهما أن الحكومة (الاستونية) قد أبلغته أن الإتحاد السوڤيتي يطالب "بقواعد عسكرية وجوية" في استونيا[١٤] "تحت اقوى تهديد بالغزو الفوري" وفي ساعة متأخرة من ذلك الليل بعد محادثة طويلة مع ستالين ومولوتوف ابرق الى هتلر أن ميثاقاً أبرم "في هذه الليلة نفسها" من شأنه وضع "فرقتين من مشاة الجيش الأحمر ولواء واحد من القوة الجوية السوڤيتية في أراضي إستونيا دون الاخلال بنظام الحكم الأستوني في الوقت الحاضر". لكن هتلر وهو اللاعب الخبير في هذا الصنف من الألعاب أدرك كم تبقّى لإستونيا من العمر وأبلغ في اليوم التالي أنه أمر باخلاء (٨٦٠٠٠) نفساً من رعايا الألمان في استونيا ولاتڤيا[١٥].

في المقابلة التي جرت بين ستالين وريبنتروب التي ابتدأت في الساعة ١٠ مساءً(٢٧ أيلول) وانتهت في الساعة ١ بعد نصف الليل، وضع الدكتاتور السوڤيتي الألمان أمام أحد أمرين: وهما كما اقترحهما لشولنبرگ في الخامس والعشرين: الرضا بالخط المحدد الأصلي في پولندا (على إمتداد پيسا وناريف وفيستولا وسان) مع إستيلاء الألمان على ليتوانيا، أو التنازل عن ليتوانيا الى روسيا مقابل أراضٍ أكثر في پولندا (اقليم لوبلين والأراضي الواقعة شرق وارشو) مما سيجعل الألمان مسيطرين على كل الشعب الپولندي تقريباً. وحبذ ستالين الحل الثاني تحبيذاً شديداً فأحال ريبنتروب الأمر الى هتلر ببرقية طويلة بعث بها في الساعة ٤ من صباح ٢٨ أيلول فوافق هتلر.

كان اقتسام شرق أوروپا يستغرق وقتاً ومجهوداً معقداً في رسم الخرائط وبقي المتفاوضون ثلاث ساعات ونصف ساعة أخرى من عصر يوم ٢٨ أيلول يتداولون، وتبع ذلك مأدبة رسمية في الكرملين. ثم استأذن مولوتوف وستالين ليقوما بمباحثات مع وفد (لاتڤي) كان قد استدعي الى موسكو. فأسرع ريبنتروب الى دارو الأوپرا ليحضر مشاهد من باليه "بحيرة البجعة" ثم عاد الى الكرملين في متنصف الليل لمشاورات اخرى حول الخرائط وشؤون أخرى. وفي الخامسة صباحاً وقع مولوتوف وريبنتروب ميثاقاً جديداً عرف رسمياً باسم "معاهدة الصداقة وحسن الجوار الألمانية - السوڤيتية" وبدا ستالين كما وصفه أحد الموظفين الألمان "ظاهر الارتياح والجذل"[١٦]. وكان من حقه أن يطرب[١٧].

١٤- البرقيتان، الص ١٤٧-١٤٨.

١٥- المرجع السالف ص١٦٢.

١٦- الموظف هو آندور هنكه Andor Hencke مساعد وكيل الخارجية الذي قضى وقتاً طويلاً في السفارة الألمانية بموسكو كتب فصلاً طويلاً طريفاً عن المحادثات وهو المحضر الألماني الوحيد للجلسة الثانية من الإجتماع، المرجع السالف الملحق ١-C.

١٧- نص المعاهدة مع البرتوكول السري. التصريح الرسمي والكتابان المتبادلان بين مولوتوف وريبنتروب: المرجع السالف الص ١٦٤- ١٦٨.

ونشرت المعاهدة، وكانت تهدف الى تحديد تخوم "المصالح الوطنية الخاصة" بالبلدين المتعاقدين في "الدولة البولندية السابقة" ونصت على أن يعيد الطرفان كل ضمن حدوده إشاعة "الأمن والنظام" و"تأمين حياة هادئة للناس الذين يعيشون فيها تتفق وطبيعتهم القومية".

ولكن كان يوجد الى جانبها ثلاثة بروتوكولات سرية، مثل الإتفاق السوفيتي النازي الأولي. وإثنان منها يتضمنان صفحة (سَوَاء) المعاهدة وأولهما يضيف ليتوانيا الى "مجال النفوذ السوفيتي، ويدفع باقليمي (لوبلن) وشرق وارشو الى يد الألمان اما الثاني فقصير، ولكن واضح الدلالة: "لايسمح الطرفان كل داخل حدوده بأي حوادث شغب وإثارة پولندية الصبغة قد يمتد تأثيرها على المناطق التي يسيطر الطرف الثاني عليها. ولا يتوانيان عن قمع اي بوادر لها في أراضيهما. ويعلم الطرفان احدهما الآخر بالإجراءات التي اتخذها في هذا الصدد".

بهذا اختفت پولندا من خارطة أوروپا ولحقت بالنمسا وچيكوسلوڤاكيا الا ان هتلر في هذه المرة لقي عونه في مسح خريطة پولندا باتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوڤيتية. ذلك البلد الذي ظل زمناً طويلاً يتصدر قائمة ابطال المدافعين عن الشعوب المضطهدة. وكان هذا التقسيم الألماني الروسي الرابع لپولندا[١٨]. (شاركت النمسا في التقسيمات الأخرى) وهو أفظع وانكى من سوابقه طراً على قصر مدته. ففي برتوكول ٢٨ أيلول السري[١٩]. اطلق ستالين يد هتلر في نشر نظام من الإرهاب والفزع مستهدفاً القضاء على حرية الپولنديين وثقافتهم وعنعناتهم القومية بأبشع الأساليب البربرية.

خاض هتلر حرب پولندا وكسبها، إلا ان الرابح الأكبر كان ستالين الذي لم تطلق جيوشه رصاصةً واحدةً[٢٠]. فحصل على نصف پولندا تقريباً وعلى قلعة في دول البلطيق. وأُقيم بوجه ألمانيا أحكم سد ممكن هما السبيل الى هدفين رئيسين بعيدي المدى وقطع عليه قمح أوكرانيا ونفط رومانيا أهم ماتحتاج اليها ألمانيا للصمود في وجه الحصار القاري البريطاني امتد هذا السدّ حتى منطقة النفط الپولندية بوريسلاڤ-دروگولتيس Borislav- Drogolycz فقد ظفر بها ستالين وكان هتلر يرغب فيها كثيراً. ثم تفضل عليه ستالين فوافق أن يبيع من الألمان نفطاً يوازي ما يستخرج من المنطقة سنوياً.

لماذا دفع هتلر هذا الثمن الباهظ للروس؟ صحيح أنه قبل ذلك في ٢٣ آب، لإبعاد الإتحاد السوڤيتي عن معسكر الحلفاء. وليبقيه خارج دائرة التطاحن المسلح. إلا أنه ما كان مرة بالمحافظ على عهدٍ قطعه. وكان يتوقع منه الزيغ وخرق الميثاق بعد أن فتح پولندا بمأثرة حرب ألمانية لاتضاهى ابداً. وأن تظلم ستالين وأرغى فبإمكان (الزعيم) التلويح له بأقوى جيش في العالم، كما برهنت حرب پولندا. لكن هل كان يستطيع ذلك؟ كلاّ ثم كلا. مادام البريطانيون والفرنسيون يقفون له بالمرصاد في الغرب. ولمقارعة هؤلاء وجب عليه أن يحمي مؤخرته. وهذا هو السبب الذي جعله يخرج من القضية بصفقة المغبون ويفوز ستالين بحصة الأسد. كما اوضحت أقواله ذلك فيما بعد. إلا أنه لم ينس غلظة الدكتاتور السوڤيتي ومعاملته القاسية له وهو الآن يدير أنظاره الى الجبهة الغربية.

١٨- يسميه ارنولد توبيني في مختلف مؤلفاته "التقسيم الخامس".
١٩-كان تاريخ المعاهدة الرسمي ٢٨ أيلول وإن تم التوقيع عليها في الساعة الخامسة من فجر يوم ٢٩ أيلول.
٢٠- الخسائر الألمانية المعلنة رسمياً: ١٠,٥٧٢ قتيلاً، و٣٠,٣٢٢ جريحاً، و٣,٤٠٠ مفقود.

الفصل الثاني

"حرب القِعدة: Sitzkrieg" في الغرب

-١-

لم يحدث شيء كثير هناك، لم تطلق رصاصة واحدة. ورجل الشارع الألماني راح ينعتها بحرب العقدة Sitzkrieg. وفي الغرب لقبت (بالحرب الزائفة) Phony War. قال الجنرال البريطاني جي. إف.سي.فوللر J. F. C. Faller هاهنا أعظم جيش في العالم الجيش الفرنسي يواجه ما لايزيد عن ست وعشرين فرقة ألمانية قابعةً في مجثمها بلا حراك محتمية بالفولاذ والسمنت المسلح. بينما يقضى على حليف كيشوتي البسالة![١]

هل كان الألمان مستغربين؟ كلا على اكثر تقدير. ففي اول تسجيل ليوميات (هالدر) المؤرخة ١٤ آب. نجد رئيس هيئة الأركان يعرض وصفاً مفصلاً للموقف اذا هاجمت ألمانيا الأراضي البولندية معتبراً هجوماً فرنسياً "بعيد الإحتمال جداً" وكان موقناً أن فرنسا لن ترسل جيوشها عبر بلجيكا "ضد رغبة بلجيكا" وكان استنتاجه أن الفرنسيين سيبقون في وضع الدفاع. وقد وجدنا فيما سبق أن هالدر شرع ينظم الخطط في نقل الفرق الألمانية الى الغرب منذ يوم ٧ أيلول عندما ختم على مصير الجيش البولندي.

في تلك الليلة دوّن نتائج المؤتمر الذي عقده هتلر مع براوختش خلال ساعات العصر: "العمليات في الغرب ليست واضحة بعد. بعض الدلائل تشير أن النية منصرفة فعلاً عن الشروع في الحرب هناك. الحكومة الفرنسية تفتقر الى الإقدام البطولي. كذلك من التلميح البريطاني الأول، ذي الإتجاه الرزين".

بعدها بيومين اصدر هتلر أمره التوجيهي الثالث لادارة دفة الحرب، وأمر فيه أن تتخذ الوسائل لنقل وحدات الجيش والقوة الجوية من پولندا إلى الغرب لا لأجل خوض الحرب "حتى بعد فتح الجبهة وبدء بريطانيا العظمى بالأعمال العدوانية المشوبة بالتردد... وفرنسا، أيضاً، إن أمري الواضح يجب أن يؤخذ في كل الحالات التالية: كل مرة تجتاز القوات البرية [او] طائراتنا، الحدود الغربية [و] لكل غارة جوية على بريطانيا[٢].

١- أسر اللواء فوللر: "الحرب العظمى الثانية" ص٥٥. اقتسبت من"الربع الأول ص٣٤٣".
٢- نص الأمر التوجيهي رقم (٣) وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٨، ص٤١.

ماذا وعدت فرنسا وإنگلترا أن تفعلا لپولندا في حالة الهجوم عليها؟ الضمان البريطاني كان عاماً. إلا أن الضمان الفرنسي كان دقيقاً. وهو مفصل في الميثاق العسكري الفرنسي-الپولندي المؤرخ ١٩ أيار ١٩٣٩ وفيه اتفق أن الفرنسيين سيقومون "بتوجيه هجمات متتالية ضد اهداف محدودة، بعد اليوم الثالث من إعلان النفير العام الموافق (١) أيلول، واكثر من هذا أتفق "أن تقوم فرنسا بعملية هجوم ضد ألمانيا بكل قواتها العسكرية، حالما يتوجه الجهد الرئيس الألماني ضد پولندا، في اليوم الخامس عشر بعد اول يوم من النفير العام الفرنسي" وعندما سأل نائب رئيس هيئة الأركان الپولندي العقيد ياكلينز Jaklinez، كم سيتوفر لفرنسا من الفرق للقيام بهجوم كبير، اجابه الجنرال گاملان أنه سيكون بين خمس وثلاثين فرقة وثمانٍ وثلاثين تقريباً[٣]. لكن الغزو الألماني على پولندا بات متوقعاً في كل لحظة بعد يوم ٢٣ آب، فماكان من الجنرال الأكبر الفرنسي الكثير التردد إلا أن أخبر حكومته كما تقدم ذكره: بأنه لايتمكن على الأرجح من شن هجوم جدي "بأقل من سنتين تقريباً... في ١٩٤١-١٩٤٢". شريطة أن تنجَد فرنسا بالقوات البريطانية والمهمات العسكرية الأمريكية".

والثابت ان بريطانيا في أولى أسابيع الحرب لم يكن لديها ماترسله الى فرنسا من الجنود الا القليل التافه. ولم تستطع انزال أكثر من أربع فرق بعد مرور ثلاثة أسابيع على انتهاء القتال في پولندا (١١ تشرين الاول) بلغ مقدارها ١٥٨٠٠٠ رجل ووصفها چرچل "بالقوة الرمزية" ولاحظ الجنرال موللر أن أول اصابة للبريطانيين (مقتل نائب عريف بريطاني في دورية) حصلت في ٩ تشرين الأول وعلق يقول عنها: "انها حرب خلت تماماً من قطرة دمٍ، لم يشهد مثلها العالم منذ معركتي مولينلاّ Molinella وزاگونارا Zagonara[٤]".

وخلافاً لذلك نرى ان الجنرالات الألمان قد اتفقوا في شهاداتهم بنورمبرگ بأن تلكؤ الحلفاء عن الهجوم في الغرب أثناء ماكانت معركة پولندا ناشبة، ضيّع عليهم فرصة ذهبية. "[قال الجنرال هالدر] ما كان نجاحنا في پولندا ممكناً إلاّ بترصين جبهتنا الغربية ولو تبيّن الفرنسيون المنطق في الموقف واستفادوا من انشغال القوات الألمانية في پولندا لتمكنوا من اجتياح الراين دون ان نستطيع صدهم، ولهددوا منطقة الروهر التي هي العامل الحاسم الأكبر في إمكان إستمرار ألمانيا في حربها[٥]".

٣- نامبير المرجع السالف الص ٤٥٩ - ٤٦٠. اقتبس من نص المحضر الفرنسي.

٤- في ٩ تشرين الأول سافر هذا المؤلف بالقطار الى ضفاف الراين الشرقية وقطع مائة ميل على طول الحدود الفرنسية-الألمانية وراقب مايجري فكتب في مفكرته: "لا أثر للحرب هنا. لقد اعلمني موظفو القطار انه لم تطلق رصاصة واحدة في هذه الجبهة منذ ان بدأت الحرب... كان بامكاننا مشاهدة خنادق الفرنسيين وفي مواضع عديدة وجدنا ستراً عظيمة وخلفها الفرنسيون يقومون ببناء الاستحكامات. وهذه الصورة نجدها طبق الأصل في الجانب الألماني... كان الجنود منصرفين الى اعمالهم في المعسكرين دون استتار وعلى مرأى من الآخرين على الجانب المقابل، وكان الألمان يحملون مدافعهم وذخائرهم على طول خط السكة الحديد فلايتكلف الفرنسيون إقلاق راحتهم... ما أغرب هذه الحرب!(يوميات برلين ص٢٣٤).

٥- شهادة هالدر للمتهمين في محاكمة "قضية الوزراء" جلسة ٩-١٠ أيلول ١٩٤٨ - نورمبرگ محاكمات مجرمي الحرب... ج٢، ص١٠٨٦.

"[قال الجنرال يودل]... إن لم نُصَب بإنهيار في عام ١٩٣٩ فالفضل يعود إلى أن مائة وعشر فرق إنكليزية وفرنسية في الغرب كانت تقف عاطلة عن العمل تماماً بمواجهة ثلاث وعشرين فرقة ألمانية فحسب أثناء الحرب البولندية(٦).

وزاد الجنرال كايتل رئيس (ق.ع.ق.م) الى هذه الشهادة مايلي: "توقعنا دائماً نحن العسكريين هجوماً فرنسياً أثناء معركة پولندا، وعرتنا دهشة بالغة لأن ما توقعناه لم يحصل. إن الهجوم الفرنسي لم يكن يقف في وجهه اذ ذاك غير سترٍ عسكري، ولم يكن لدينا خط دفاع حقيقي(٧).

فلماذا لم يهاجم الجيش الفرنسي اذن. وهو الوعد الذي قطعه الجنرال گاملان والحكومة الفرنسية خطياً للقيام به وكان ضامناً في ذلك الحين تفوقاً ساحقاً على قوات الغرب الألمانية (لم تنزل الشواطيء الفرنسية اول فرقتين بريطانيتين إلا بعد الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول.)

هناك عدة أسباب: روح الاندحارية المتفشية في القيادة العليا الفرنسية والحكومة والشعب. وذكريات الدم الغزير الذي اراقه الفرنسيون في الحرب العامة الأولى وعزم فرنسا على ألا تعاني مثل هذه المجازر مرة أخرى إن امكن اجتنابها. وإن الإدراك السائد في اواسط أيلول بأن الهزيمة النكراء التي حلّت بالجيوش اليولندية ستمكن الألمان في وقت قصير من نقل قوات عظيمة الى الغرب، وبهذا قضت على اي فكرة بالمبادأة الهجومية الفرنسية، ثم هناك الخوف من التفوق الألماني في السلاح، وفي الجو. والواقع أن الحكومة الفرنسية أصرت من البداية بألا تقصف القوة الجوية البريطانية اهدافاً في ألمانيا خوفاً من الرد عليها بعقوبات ضد مصانع فرنسا وإن كان هجوماً جوياً عاماً على الروهر قلب الرايخ الصناعي، قد يلحق الكارثة العظمى بالألمان. وكان هذا العمل مصدر قلق الجنرالات الألمان الوحيد في شهر أيلول كما أقر عدد كبير منهم.

بالدرجة الأساسية، نجد أحسن جواب في إحجام فرنسا عن مهاجمة ألمانيا، في قول چرچل: "هذه المعركة خسرناها قبل سنوات(٨)." في مونيخ ١٩٣٨، في أيام إعادة إحتلال الراين ١٩٣٦، وقبلها بسنةٍ واحدة عندما اعلن هتلر التجنيد الاجباري تحدياً لڤرساي. إن الثمن المؤسف الذي دفعه الحلفاء لتلكؤهم في العمل، استحق عليهم دفعه اليوم وإن بدا ان التفكير كان يسود اوساط پاريس ولندن هو إمكان إجتناب الدفع يمكن اجتنابه بالهدوء وعدم العمل.

لكن كان ثم عمل في البحر.

كان الأسطول الألماني قد أُوثق كتانه وجُرد من حريته العمل مثل جيش الغرب ولم يغرق خلال الأسبوع الأول ومن بدء العمليات غير احدى عشرة سفينة بريطانية بلغت حمولتها ٥٩٥ , ٦٤ طناً، وهو يقارب نصف المقدار الأسبوعي للسفن الغارقة في ذروة حرب الغواصات عام ١٩١٧ (نيسان).

٦- شهادة (يودل) في دفاعه عن نفسه بتاريخ ٤ حزيران ١٩٤٦ (محاكمة مجرمي الحرب الكبار) ج١٥، ص ٣٥٠.
٧- شهادة كايتل في دفاعه عن نفسه بتاريخ ٤ نيسان ١٩٤٦ في نورمبرگ، المرجع السالف، ج.١٠، ص٥١٩.
٨ - چرچل "تجمع العاصفة" ص ٤٧٨.

عندما وصلت بريطانيا العظمى إلى شفا الكارثة. وبعدها أخذت الخسائر البريطانية تتناقص فنزلت الى ٥٦١, ٥٣ طناً في الأسبوع التالي ثم هبطت الى ١٢,٧٥٠ طناً خلال الأسبوع الثالث واصبحت ٤,٦٤٦ طناً فقط في الأسبوع الرابع – وبذلك بلغ ما أغرق من سفن خلال أيلول، ستاً وعشرين سفينة حمولتها ١٣٥,٥٥٢ طناً اغرقتها الغواصات و١٦,٤٨٨ طناً (ثلاث سفن) غرقت بفعل الألغام[٩].

هناك سبب غير معروف للبريطانيين – لهذا الانخفاض الحاد في الخسائر. وفي ٧ أيلول جرى مؤتمر طويل بين الأميرال ريدر وهتلر. وبدافع من فرحه الغامر بإنتصارات پولندا الأولى واحجام الفرنسيين عن الهجوم في الغرب أمر الأسطول أن يتباطأ. ففرنسا كانت تظهر "ضبط نفسٍ سياسي وعسكري" والبريطانيون "مترددون" وتقرر على ضوء هذا الموقف أن لاتتعرض الغواصات في الاطلنطي لأية باخرة ركاب بصورة باتّة والامتناع بصورةٍ مطلقة عن مهاجمة السفن الفرنسية مهما كانت الأسباب وان بارجتي الجيب (گراف شپي) و(دويچلاند) في جنوب الاطلنطي يجب أن تسحبا إلى محطة (انتظارهما) في الوقت الحاضر. ولاحظ (ريدر) في يومياته "أن الخطة العامة ستكون ممارسة التريث حتى يزداد الموقف السياسي في الغرب وضوحاً ويقتضي لذلك أسبوع من الزمن[١٠].

– ٢ –

إغراق السفينة "آثينيا"

هناك قرار آخر اتفق عليه(هتلر ورايدر) في إجتماع ٧ أيلول. وذكر الأميرال في يومياته: "لن تبذل اية محاولة لحل قضية (آثينيا) حتى تعود الغواصات الى قواعدها".

ذكرنا أن الحرب في البحر بدأت بعد عشر ساعات من إعلان بريطانيا الحرب. عندما ضربت السفينة (آثينيا) المكتظة بألف وأربعمائة راكب بطوربيد دون أن يعطى لها إنذار في الساعة التاسعة من مساء ٣ أيلول وهي على بعد زهاء مائتي ميل غرب (هبرايدس) فغرق ١١٢ نفساً منهم ٢٨

٩- كشف چرچل (الذي كان امير البحر الأول –وزير البحرية) الأرقام الكلية لمجلس العموم في ٢٦ أيلول. وهو يثبت الارقام الرسمية المنقحة في مذكراته. كذلك اعلم مجلس العموم أن ست او سبع غواصات قد تم اغراقها، لكنه عاد في مذكراته فاورد الرقم الحقيقي لما اغرق من الغواصات، وهو اثنتان فقط.

وتمتاز خطبة چرچل بحكاية شيقة. قص فيها كيف ان قائد احد الغواصات قد ارسل اليه شخصياً اشارة لاسلكية ينبه فيها بموقع سفينة بريطانية قد ضربها بالطوريد وهي تغرق وناشده ان يبعث بفرق إنقاذ قال چرچل: "كنت حائراً الى اي عنوان أوجه رسالتي، وعلى اية حال فهو الآن بين يدينا. إلاّ انه لم يقع اسيراً كما قال لأن المؤلف جلس معه في مقابلة اذاعية لأمريكا.

في برلين بعد يومين من خطبة چرچل. فابرز الكابتن هربرت شولتز Herbert Schultze من سجل غواصته نص برقيته الى چرچل [انظر چرچل: تجمع العاصفة، الص ٤٣٦-٤٣٧، يوميات برلين الص ٢٢٥-٢٢٧].

١٠- مؤتمرات الزعيم في الشؤون البحرية ١٩٣٩ الص ١٦-١٧.

أمريكياً. ودققت وزارة الدعاية الألمانية التقارير الأولى من لندن بالسؤال من قيادة الأسطول العليا فأجيبت لايوجد غواصات في تلك الأنحاء وانكرت انكاراً قاطعاً اغراق الألمان تلك السفينة. كانت هذه الكارثة محرجةً جداً لهتلر وقيادة الأسطول ولم يصدقا بالاول التقارير البريطانية فقد زود كل قادة الغواصات بأوامر مشددة تقضي بمراعاة نصوص مواثيق لاهاي بدقة، وهي تحظر مهاجمة السفينة بدون إنذار. ولما كانت الغواصات كلها لاتستخدم راديواتها في الإرسال فلم تكن هناك وسيلة سريعة للتعرف على ما حصل[١١]. ولم يمنع ذلك الصحافة النازية الموجهة من اتهام البريطانيين خلال يومين، بأنهم ضربوا سفينتهم بطوربيدهم إستفزازاً للولايات المتحدة وتحريضاً لها على دخول الحرب.

والواقع أن ڤلهلمشتراسّه كانت قلقةً لرد الفعل الأمريكي ازاء كارثة سببت موت (٢٨) مواطناً أمريكياً وفي اليوم التالي من الحادثة استقدم (ڤايسيكر) القائم بالأعمال الأمريكي ألكساندر كرك Alexander Kirk وأكد له أنه لم يكن هناك قطعة بحرية ألمانية في الجوار وانكر أن يكون ذلك من عمل غواصة ألمانية. وذكر (ڤايسيكر) في شهادته أمام محكمة نورمبرگ أنه قصد (رايدر) وذكره كيف أن اغراق الألمان باخرة الركاب لوزيتانيا Lusitania في الحرب العظمى الأولى كان من جملة الأسباب التي دفعت بأمريكا الى الحرب. وأكد عليه أن "يبذل المستحيل" لاجتناب إستفزاز الولايات المتحدة. فوثقه الأميرال بأن "الغواصات الألمانية لم تقم بالعمل البتة"[١٢].

وبتحريض ريبنتروب دعا الأميرال (رايدر) الملحق البحري الأمريكي لزيارته في ١٦ أيلول، وابلغه عن تقارير وصلته من كل الغواصات "كانت نتيجتها أنه ثبت بما لايقبل الشك أن(آثينيا) لم تضرب بطوربيد ألماني" وطلب منه إبلاغ حكومته بذلك. ففعل الملحق فوراً[١٣]. لم يتكلم الأميرال الأكبر بالحقيقة كلها. إذ لم يعد كل الغواصات التي كانت في عرض البحر منذ ٣ أيلول الى موانيها ومن بينها الغواصة (و- ٣٠) التي يقودها النقيب لمپ Oberleutnant Lemp فهي لم تصل قاعدتها حتى ٢٧ أيلول، فاستقبلها الأميرال كارل دونتز Karl Doenitz قائد سلاح الغواصات، ووصف بعد سنوات تلك المقابلة أمام محكمة نورمبرگ، وكشف أخيراً الحقائق عن غرق السفينة آثينيا.

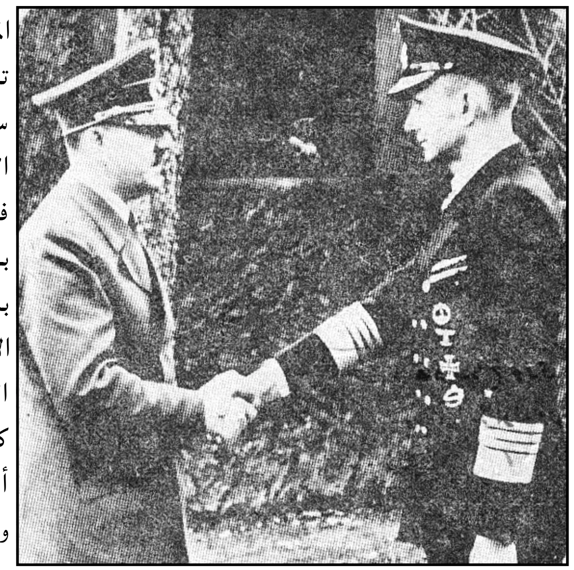
"قابلت القبطان النقيب لمپ على رصيف (ڤلهلمسهاڤن) والغواصة تدخل الميناء وطلب أن أسمح له بالكلام في خلوةٍ. وشعرت حالاً أنه محزون للغاية وبادرني حالاً بالقول أنه يظن بأنه المسؤول عن إغراق (آثينيا) في منطقة القنال الشمالي. لقد كان يترصد بدقة شديدة بعض البواخر التجارية المسلحة في

١١- في اليوم التالي (٤ أيلول) ارسل أمر الى كل الغواصات برقية "بأمر الزعيم، لاتنفذ اية عملية ضد بواخر الركاب مهما كانت الدواعي، حتى وان كانت محروسة".

١٢- مذكرة (ڤايسيكر) عن حديثه مع كيرك. وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٧، الص ٣-٤. شهادته في نورمبرگ عن حديثه مع (رايدر) في "محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج١٤، ص ٢٧٨.

١٣- الظاهر ان رسالة الملحق العسكري الى واشنطن لم تكن بالجفرة. فقد ثم العثور على نسخة منها في الوثائق البحرية المبرزة في نورمبرگ. (كذلك انظر المرجع السالف: ج٣٥، الص٥٢٧- ٥٢٩(وثائق النازيين رقم D-٨٠٤) الوثيقة تتضمن برقية الملحق العسكري ومذكرات رايدر عن إجتماعه بهتلر).

المداخل المؤدية الى الجزر البريطانية تنفيذاً لتعليماتي السابقة. وضرب سفينةً عُلم فيما بعد انها (آثينيا) من الإذاعات اللاسلكية في حين كان يظن فريسته باخرة تجارية مسلحة تقوم بالدورية... فأرسلت (لمپ) حالاً بالطائرة ليتقدم بتقريره إلى هيئة أركان الأسطول (S.K.L) في برلين وفي الوقت نفسه أمرت بالسرية التامة كإجراء مؤقت. وبعدها في اليوم نفسه أو في صباح اليوم التالي الباكر وصلني أمر من Kopitaen zur See Fricke:



هتلر والأميرال دونتز

١- القضية يجب أن تبقى سراً مكتوماً.

٢- ان القيادة العليا للأسطول (OKM) ترى أن احالة القبطان الى المجلس العسكري غير ضرورية لأنه تصرف بحسن نية.

٣- التفسير السياسي ستضطلع به القيادة العليا للأسطول.

ولم أشارك بأي شيء في الأحداث السياسية التي تضمنت ادعاء (الزعيم) أن الغواصات لم تغرق (الآثينيا)[١٤].

لكن (دوينتز) الذي ظل شاكاً في الأمر من المبدأ، ولولا ذلك لما خرج الى الرصيف لإستقبال الغواصة (و-٣٠) العائدة، كان له في الواقع يد في تغيير وقوعات سجل الغواصة ويومياته الخاصة حتى يشطب كل دليل اثبات للحقيقة. وفي الواقع انه أمر هو بنفسه (كما أقر في نورمبرگ) أن يحذف أي تنويه بآثينيا من سجل وقوعات الغواصة (و-٣٠) وشطبها من دفتر يومياته. وحلّف ملاحي الغواصة أيماناً مغلظة للمحافظة على السر[١٥].

إن قيادات الدول العليا العسكرية كافة لاشك تحتفظ بحقائق واسرار في خزاناتها طوال مدة الحرب، وإن اصرار هتلر (كما شهد رايدر في نورمبرگ) كان مفهوماً إن لم نقل مستحسناً أن يبقى

١٤- شهادة (دوينتز) محلفاً في نورمبرگ (مؤامرة النازيين...) ج٧، الص ١١٤-١١٥.

١٥- نقل الضباط ومن بينهم (لمپ) وبعض الملاحين الى الغواصة (و-١١٠) وغرق فيها في ٩ أيار ١٩٤١. وجرح واحد من بحارتها بنار الطائرات بعد أيام قليلة من غرق (آثينيا) فأنزل في ريكياڤيك Reykjafik بايسلندا، بسرية تامة وبعدها أخذ الى معسكر أسرى الحرب في كندا وبعد انتهاء الحرب وقع على شهادة اقرار بالوقائع. ويظهر ان الألمان كانوا يخشون من افشائه السر، لكنه لم يفعل حتى انتهاء الحرب، المرجع السالف الص ١٥٦-١٥٨.

أمر إغراق (آثينيا) سراً. وبخاصة لأن قيادة الأسطول كانت حسنة النية ومخلصة أولاً بانكارها مسؤولية الألمان وثانياً لأن الإقرار بها فيما بعد محرج جداً ومخجل. الا أن هتلر لم يقف عند هذا الحد. ففي مساء الأحد الموافق ٢٢ تشرين الأول وقف الدكتور گوبلز وزير الدعاية بنفسه خطيباً في دار الإذاعة (والمؤلف يذكر ذلك جيداً) وراح يتهم چرچل بأنه هو الذي أوعز بإغراق (آثينيا). وفي اليوم التالي خرجت الفولكشر بيوباختر على قرائها بقصة تحتل الصحيفة الأولى منها معنونة بخط عريض: "چرچل يغرق آثينيا"! وذكرت أن اميرال البحر الأول قد وضع قنبلة موقوتة في قاع السفينة. وفي نورمبرگ ثبت أن هتلر أمر شخصياً بالإذاعة والمقال. وأن (رايدر ودوينتز) وڤايسيكر كانوا مستائين جداً من هذه الفرية الشنعاء، وإن لم يجسروا على القيام بعمل ضدها[١٦].

هذا الخور الذي كان يبديه أمراء البحر، والمهيمن الأكبر على وزارة الخارجية خصم النازية العتيد الى جانب مساهمة الجنرالات التامة فيه كلما تفجرت ينابيع شيطانية سيد الحرب النازي. كان سيؤدي إلى أن تكتب أسود صفحة في التاريخ الألماني.

-٣-

هتلر يعرض السلام

كتبت في مفكرتي بتاريخ ٢٠ أيلول: "هذه الليلة الصحافة تتكلم بصراحة عن السلم، كل الألمان الذين تحدثت اليهم اليوم، واثقون أتم الثقة أن السلم سيعود خلال شهر، وهم منتعشو القلوب." في عصر اليوم السابق، سمعت خطاب هتلر في القاعة الذهبية المزخرفة بالدانزگ وهي اول خطبةٍ له منذ خطابه في الرايخشتاغ بتاريخ (١) أيلول الذي افتتح به الحرب. ومع أنه كان غاضباً لاضطراره إلى القائه هنا لا في (وارشو) التي ظلت حاميتها الى ذلك الحين صامدةً في وجه الغزاة ببسالة خارقة. وكان ينفث سماً زعافاً كلما ذكر بريطانيا العظمى، إلا أنه لمح تلميحاً طفيفاً الى السلم. قال "ليس لدي مطامع عسكرية في بريطانيا وفرنسا، اني لأشفق على الفرنسي پوالو poilu (لقب الجندي الفرنسي) فهو لايدري لماذا يقاتل وفي سبيل ماذا" وناشد الله تعالى "الذي بارك الآن في سلاحنا، أن يعطي الناس الآخرين فهماً في عدم جدوى الحرب... وأن يتفكروا في نعم السلم".

في ٢٦ أيلول اي قبل سقوط وارشو بيوم واحد شنت الصحافة الألمانية والاذاعة حملة سلمٍ واسعة وكانت النغمة كما دوّنت في مفكرتي "لماذا تريد فرنسا وبريطانيا القتال الآن؟ ليس ثم مايدعو الى

١٦- شهادة رايدر في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) ج ١٤، ص٧٨. شهادة ڤايسيكر. المرجع السالف الص ٢٧٧ و٢٧٩ و٢٩٣. وشهادة هانس فريتشه وهو موظف كبير في وزارة الدعاية ومتهم مبرأ في المحاكمة. المرجع السالف، ج ١٧، الص ١٩١ و٢٣٤-٢٣٥. وقالت الفولكشر بيوباختر في (مؤامرة النازيين... ج٥،ص ١٠٠٨، وثائق نورمبرگ ٣٢٦٠ - PS عن اذاعة گوبلز، انظر يوميات برلين ص ٢٣٨.

القتال. وألمانيا لاتطمع من الغرب بشيء".

وبعدها بيومين وفي أثناء ما كانت روسيا تبتلع حصتها من پولندا انضمت الى حملة السلم والى جانب التوقيع على معاهدة الحدود والصداقة السوڤيتية الألمانية بپروتوكولاتها السرية التي قسمت أوروپا الشرقية، وقع مولوتوف وريبنتروب في ٢٨ أيلول بياناً طناناً حول السلم جاء فيه.

"ان حكومتي ألمانيا وروسيا بعد أن... سوّتا تسوية تامة المشاكل التي نشأت عن تقويض دولة پولندا وخلقتا أساساً مكيناً لسلم دائم في أوروپا الشرقية. تعربان معاً عن ايمانهما بأن انهاء حالة الحرب بين ألمانيا وفرنسا وإنگلترا سيخدم المصالح الحقيقية لكل الشعوب. ولذلك فان الحكومتين ستوجهان جهودهما المشتركة... الى بلوغ هذا الهدف باسرع مايمكن فإن بقيت جهود الحكومتين عقيمة وغير مثمرة في هذا الباب. فإن ذلك يثبت مسؤولية فرنسا وإنگلترا في إستمرار الحرب..."

هل اراد هتلر السلم؟ أو هل أراد مواصلة الحرب وبمساندة من السوڤييت مسؤولية إستمرارها إلى عاتق الحلفاء الغربيين؟ ولعله لم يعرف هو نفسه وإن كان متأكداً الى حد ما.

في السادس والعشرين من أيلول تحدث حديثاً طويلاً مع داليروس الذي لم يفقد بعد حماسته في اطلاب السلم. فقبل يومين التقى بصديقه القديم (اوگليفي فوربس) باوسلو وكان هذا المستشار بالسفارة البريطانية في برلين قد عين في مثل وظيفته بالمفوضية البريطانية في النرويج. وتكشف مذكرة سرية دوّنها الدكتور شميدت[١٧] ان داليروس ابلغ هتلر أن فوربس أكد له "رغبة الحكومة البريطانية في السلم والمسألة الوحيدة هي: كيف يخرج البريطانيون منها بماء الوجه؟ اجاب هتلر "إن اراد البريطانيون السلم فسيعطى لهم في غضون أسبوعين – دون أن يفقد ماء الوجه" وزاد يقول:

والذي ينبغي عليهم عمله هو القناعة بأ ن"پولندا لن تعود الى الحياة ثانية" وفيما خلا ذلك انه مستعد إلى تقديم الضمانة على بقاء الوضع الراهن staus que "لبقية أوروپا" وبضمنها ضمانات لبريطانيا وفرنسا والأراضي المنخفضة ثم تلا ذلك حديث حول كيفية إدارة أحاديث السلم. فاقترح هتلر أن يقوم موسوليني بها. ورأى (داليروس) ان ملكة هولندا قد تكون اكثر "حياداً" واقترح (گورنگ) الحاضر أن يلتقي ممثلون عن بريطانيا وألمانيا اولاً في هولندا وبعدها اذا حققوا نجاحاً تدعو الملكة الحكومتين الى محادثات هدنة. وبيّن هتلر عدة مرات شكه في "رغبة البريطانيين بالسلم". وأخيراً إتفق الجميع على إقتراح السويدي بأن "يذهب إلى إنگلترا في اليوم التالي حتى يرسل مجساته إلى الجهة المعينة". وقال له هتلر مودعاً "يمكن البريطانيين أن ينالوا السلم لو شاؤوا لكن عليهم ان يعجّلو به".

كان هذا وجهاً واحداً من وجوه تفكير هتلر، الا أنه أعرب عن وجه آخر لجنرالاته في يوم ٢٧ أيلول وهو اليوم التالي لحديثه مع داليروس وتأكيده على إستعداده لاحلال السلم بينه وبين بريطانيا. استدعى القادة العامين (للڤيرماخت) الى المستشارية وأبلغهم بقراره "الهجوم في الغرب باسرع

١٧- محضر شميدت حول الحديث "وثائق وزارة الخارجية الألمانية" ج٨، الص ١٤٠-١٤٥.

مايمكن، طالما لم يكن الجيش الأنگلو-فرنسي مستعداً" وبحسب رواية براوختش انه عين يوم ١٢ تشرين الثاني تاريخاً لبدء الهجوم[١٨]. ولاشك أن هتلر اطلق هذا الموعد مسلحاً بنبأ سقوط (وارشو) أخيراً. ولعله ظن ان في امكانه اخضاع فرنسا على الأقل كما فعل ببولندا وبالسهولة نفسها، رغم ان هالدر كتب في يومياته بعد يومين أنه "شرح" للزعيم "أن الأسلوب الذي طبق في معركة پولندا لايصلح للغرب ولا جدوى منه ضد جيش حسن العدة والتنظيم".

وربما كان تشيانو خير من غاص في أعماق أفكار هتلر أثناء حديث طويل معه في دار المستشارية بتاريخ (١) تشرين الأول. إن وزير الخارجية الإيطالي الشاب الذي بات الآن مشئمزاً تماماً من الألمان مع اضطراره إلى المحافظة على المظاهر، وجد الزعيم شديد الثقة. وذكر أن عينيه "كانتا تومضان ببريق الحماسة كلما تحدث عن أساليبه ووسائله في القتال" أثناء شرحه خطط المستقبل. وكتب الضيف الإيطالي ملخِّصاً انطباعاته:

"... واليوم، ربما كان السلم الوطيد هدفا مايزال يداعب مخيلة هتلر بعد خوضه حرباً عظيمةً. لكنْ إن ألجأته هذه الغاية الى التضحية بأقل مما يعده ثمرة نصره المشروعة، فهو يفضل المعركة على السلم ألف مرة"[١٩]

أما عندي أنا، حين كنت جالساً في الرايخشتاغ الذي إلتأم في ظهر ٦ تشرين الأول مصغياً الى هتلر وهو يردد نداء السلم، فقد بدا لي الأمر كاسطوانة حاكٍ عتيقة أعيدت إدارتها للمرة الخامسة أو السادسة. كم سمعته من هذا المنبر نفسه يخطب بعد كل نصرٍ باللهجة التي كسيت بمظاهر الصدق والإخلاص - ويقترح سلماً شريفاً عادلاً كما يبدو للسامع إن غض النظر عن ضحيته الأخيرة. وقد فعل مثل هذا في يوم الخريف المشمس اللطيف هذا بفصاحته المعهودة وغطرسته المألوفة. وكانت خطبة طويلة - واحدة من أطول خطبه الجماهيرية التي ألقاها في حياته. وبعد أن شارف الختام على أثر فراغه من ساعة كاملة في تشويه للتاريخ والتباهي بمآثر ألمانيا العسكرية في پولندا "هذه الدولة القذرة" بلغ أخيراً الى مقترحاته للسلم وأسبابه له:

"كان جهدي الرئيس منصباً على تنقية علاقاتنا بفرنسا من كل أثر لسوء النية وجعلها طيبة مفيدة للشعبين... ليس لألمانيا أية مطالب عند فرنسا... لقد ابيت حتى التنويه بمشكلة الالزاس واللورين... لقد اعلمت دوماً لفرنسا رغبتي في دفن أحقادنا القديمة الى الأبد وتحقيق الصفاء بين هذين الشعبين ذوي الماضي المجيد...

١٨- شهادة براوختش في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج ٢٠، ص ٥٧٣) وتؤيد هذا المقتبس ملاحظة في يوميات (ق.ع.ق.م) .

١٩- لم يشارك موسوليني ثقة هتلر بالنصر عندما أبلغه تشيانو بالحديث وكان يعتقد ان الفرنسيين "سيصمدون... لماذا نخفي هذه الحقيقة؟" وهو ما دوّنه تشيانو في يوميته المؤرخه ٣ تشرين الأول -وقال ايضاً "انه [اي موسوليني] حانق بعض الشيء لبروز إسم هتلر فجأة وذيوع صيته" (يومياته ص١٥٥) ويومياته ايضاً الص ١٥٤-١٥٥، أوراق تشيانو الدوبلوماسية الص ٣٠٩- ٣١٦.

وبريطانيا؟

"لقد اوقفت جهداً لايقل عن هذا لتحقيق تفاهم أنكلو-ألماني لا بل اكثر من ذلك - لتحقيق صداقة أنكلو-ألمانية. لم اعمل في اي زمان او مكان ضد المصالح البريطانية... وانا اعتقد الى اليوم بامكان اشاعة سلم حقيقي في أوروپا وفي العالم اجمع إن توصلت ألمانيا وإنكلترا الى تفاهم.

والسلم؟

ما هو الهدف من الحرب في الغرب؟ ألإعادة پولندا؟ إن پولندا معاهدة ڤرساي، لن تقوم لها قائمة بعد... ومسألة إعادة دولة پولندية، هي مشكلة لاتحلها الحرب في الغرب. بل تتوقف على روسيا وألمانيا مطلقاً... من السخف والعبث ان يقتل ملايين الرجال وتدمر أموال بالملايين لإعادة بناء دولة حكم القدر عليها أن تجهض يوم ميلادها وتنبأ بمصيرها هذا كل من ليس پولنديا.

ما هي الأسباب الأخرى التي تحول دون السلام؟

إن وجب خوض هذه الحرب في سبيل منح ألمانيا نظاماً جديداً... فإن تضحية الملايين من ارواح البشر سيكون عملاً عقيماً لاطائل تحته..كلا ان هذه الحرب في الغرب لايمكن أن تحل اي مشكلة. هناك مشاكل ينبغي حلها. وراح هتلر يتلو قائمة كاملة بها: "إقامة دولة پولندية جديدة" (تم الإتفاق على ألاّ يكون وجود لها بين الألمان والروس) و"حل وتسوية مشكلة اليهود" والمستعمرات لألمانيا، وتنشيط التجارة الدولية، "وسلم مضمون غير مشروط". وتحديد السلاح و"تنظيم الحرب الجوية والغاز السام وحرب الغواصات الخ... " وتسوية مشكلة الاقليات في أوروپا. و"لتحقيق هذه الاهداف الجليلة" اقترح هتلر مؤتمراً للدول الأوروپية الكبرى "بعد ان تسبقه إستعدادات تامة".

"[وواصل القول] من المستحيل أن يقوم هذا المؤتمر الذي سيقرر مصير القارة الأوروپية سنين عديدة بإجراء مداولاته، تحت قصف المدافع والجيوش المعبأة تمارس الضغط عليه.

وإن حُلّت هذه المشاكل عاجلاً أم آجلاً، فمن المعقول أن يُتصدى الى الحلّ قبل أن يرسل ملايين الرجال الى حتوفهم ويحيق الدمار بالبلايين من الثروات. إن إستمرار الوضع الراهن في الغرب غير معقول وسيتطلب كل يوم تضحيات متزايدة... ستبعثر ثروات القارة الأوروپية وتبذر في عمل القنابل وتمتص قوى الشعوب مصاً في سوح القتال...

هناك أمر اكيد واحد، في مجرى تاريخ العالم لم يخرج منتصران في معركة واحدة، لكن الخاسرين كثيرون. وعسى أن يدلي بالجواب أولئك الناس الذين هم وزعماؤهم يعتنقون هذه الفكرة. وليرفض يدي الممدودة هذه أولئك الذين يرون في الحرب أفضل حل.

كان يشير الى چرچل:

"وإن تغلبت آراء السادة چرچل واتباعه، فتصريحي هذا سيكون الأخير وسنقاتل... لن يكون ثم تشرين ثانٍ آخر (١٩١٨) في تاريخ ألمانيا.

بدا لي كما دوّنت في مذكراتي عند عودتي من الرايخشتاغ، أن من المشكوك فيه جداً ان يصغي

البريطانيون والفرنسيون الى هذه المقترحات الغامضة. "لمدة خمس دقائق" إلا ان الألمان كانوا متفائلين. اقتنيت وانا في طريقي الى دار الإذاعة مساء اليوم نسخة صباحية من جريدة هتلر الخاصة "الفولكشر بيوباختر" ووجدت العناوين البارزة الضخمة تقول:

"رغبة ألمانيا بالسلم - لا أهداف عسكرية من فرنسا وإنگلترا - ليس ثم مطالب تعديل غير المستعمرات - تحديد السلاح -التعاون مع جميع الدول في أوروپا - إقتراح بعقد مؤتمر".

وعلم من الوثائق السرية الألمانية، أن وزارة الخارجية في الڤلهلمشتراسّه كانت تزداد ثقة وتشجيعاً في الاعتقاد أن الفرنسيين ينفرون من إستمرار الحرب. بالتقارير التي تصل الوزارة من پاريس عن طريق السفيرين الإيطالي والاسپاني. فمنذ الثامن من أيلول كان السفير الأسباني يزوّد الألمان باخبارٍ منها أن "بونيه، نظراً إلى كره الحرب الذي يسود الشعب الفرنسي يحاول أن يصل الى تفاهم حالما تضع الحرب أوزارها في پولندا وهناك علامات تشير الى أنه يتصل بموسوليني لهدا الغرض[٢٠]. وفي ٢ تشرين الأول سلم (أتوليكو) لڤايسيكر نص آخر رسالة وردت من السفير الإيطالي في پاريس جاء فيها ان اغلبية أعضاء الوزارة الفرنسية تحبّذ مؤتمر صلح. والمسألة متوقفة الآن على مساعدة "فرنسا وإنگلترا على حفظ ماء الوجه" ويظهر على كل أن الرئيس دالاديية لم يكن الى جانب هذه الأكثرية[٢١].

كانت هذه معلومات طيبة. وفي ٧ أيلول رد دالادييه على هتلر. مصرحاً أن فرنسا لاتتمكن من إلقاء السلاح إلا اذا وجدت ضمانة "لسلم حقيقي، وضمانة عمومية" الا ان هتلر كان اكثر إهتماماً بالسماع من چرچل لا الرئيس الفرنسي. وانتهز في ١٠ تشرين الأول مناسبة لإلقاء خطبة قصيرة، في افتتاح حملة معونة الشتاء في (سپورت پالاست) فردد ثانيةً "إستعداده للسلم" واضاف أن الألمان لايرون سبباً لقتال دول الغرب".

وجاءه رد چمبرلين في ١٢ تشرين الأول، وكأنه ماء بارد صب على رأس الشعب الألماني إن لم يكن لهتلر أيضاً[٢٢]. وصف رئيس الوزراء مقترحات هتلر في خطاب له بمجلس العموم "بالغموض وعدم التحديد" ملاحظاً أنها "لاتحوي مقترحات عن اصلاح الأخطاء التي ارتكبت بحق چيكوسلوڤاكيا وپولندا" وقال أنه لايمكن الإعتماد أبداً على وعود "الحكومة الألمانية الحاضرة" وإن ارادت السلم

٢٠- وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٨، ص٢٤.

٢١- بعد ذلك (في ١٦ تشرين الثاني) ابلغ الإيطاليون الألمان أن المعلومات التي وصلتهم من پاريس تشير الى ان "المريشال پيتان Petan" يعتبر أحد المنافحين عن سياسة السلم في فرنسا... وإن باتت قضية السلم اكثر حدة فإن پيتان سيكون له دوره..." (وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٧، ص٤١٤). وهذا ما يبدو اول اشارة الى أن پيتان قد يكون مفيداً للألمان فيما بعد. في المتن: (المرجع السالف الص ١٩٧-١٩٨).

٢٢- قبلها بيوم (١١تشرين) حصلت تظاهرة سلمٍ في برلين. في أولى ساعات الصباح، أعلنت اذاعة راديو برلين ان الحكومة البريطانية قد سقطت وأنه سيكون ثم هدنة. ففرح الناس فرحاً عظيماً في العاصمة وراحت الاشاعة تنتشر بسرعة وركلت النسوة العجائز البائعات في سوق المخضرات دكاكينهن الخشبية وقذفن (بملفوفهن) في الهواء هاتفات فرحات ثم دلفن الى اقرب البارات ليشربن نخب السلام بشرب الشناپس.

"فعليها بالأفعال" وطالب "بدليل مقنع" من هتلر على انه يريد السلم حقاً.

لم يعد رجل مونيخ الآن بالرجل الذي يسهل خداعه، الواثق بمواعيد هتلر. وفي اليوم التالي صدرر تصريح ألماني رسمي جاء فيه أن چمبرلين اختار قصداً طريق الحرب برفضه عرض هتلر للسلام. وان الدكتاتور النازي بات الآن معذوراً.

والواقع الذي نعرفه الآن من الوثائق الألمانية المستولى عليها. إنه لم ينتظر رد رئيس الوزراء البريطاني، وأنما سبقه وأمر بالإستعداد لهجوم فوري في الغرب وفي ١٠ تشرين استدعى قادته العسكريين وتلا عليهم مذكرة طويلة عن وضع الحرب والعالم وقذفهم بالأمر التوجيهي المرقم (٦) لإدارة دفة الحرب(٢٣).

أصر (الزعيم) أن يشرع بالهجوم في الغرب باسرع ما يمكن وفي حوالى نهاية أيلول فأصاب قيادة الجيش العليا بذعر. واتفق براوختش وهالدر وعدد من الجنرالات الآخرين أن يثبتوا للزعيم أنّ الهجوم الفوري في الغرب لايمكن التفكير فيه وقالوا انه يتطلب عدة اشهر لإصلاح عطب الدبابات التي استخدمت في پولندا. وأبرز (الجنرال توماس) ارقاماً يوضح فيها أن لدى ألمانيا عجزاً شهرياً في الفولاذ مقداره ٦٠٠٠٠٠ طن وابلغ الجنرال (شتولبناگل) مدير السلاح والذخيرة بأن العتاد المتوفر الآن لايكفي إلا "لثلث الجيش المعبأ، ولأربعة عشر من المعارك" - وهي بالتأكيد لاتكفي لكسب معركة ضد الفرنسيين. إلا ان (الزعيم) لم يُصغِ الى قائد جيشه العام ورئيس أركان حربه عندما قدّما اليه تقريراً رسمياً عن جوانب النقص في الجيش، بتاريخ ٧ تشرين. وانذر(هالدر) الجنرال يودل وهو الثاني في قيادة (ق.ع.ق.م) بعد كايتل "أن ازمة" حادة جداً في طريق التكوين "بسبب معارضة الجيش للهجوم في الغرب" وان هتلر ساخط "لأن الجنود لايطيعونه".

ولهذه العلة أستدعي الجنرالات في الساعة الحادية عشرة من صباح العاشر من تشرين الأول ولم يطلب منهم نصحاً وناب عنه الأمر التوجيهي المرقم (٦) مشيراً عليهم بما يعلمون:

-سري جداً-

سيتضح في المستقبل القريب بأن إنگلترا، ومعها فرنسا بقيادة إنگلترا لاترغبان في إنهاء الحرب. وأنا عازم على العمل بشدة وبعنفٍ وبدون كثير تأخير...

لذلك اصدرت أوامري التالية:

(أ) تتخذ التدابير لعملية هجوم... خلال أراضي لوكسمبورگ وبلجيكا وهولندا. هذا الهجوم يجب أن يشرع فيه... بأقرب وقت ممكن.

(ب) الهدف هو دحر أقوى قسم ممكن من الجيش الفرنسي العامل فضلاً عن الحلفاء الذين يقاتلون الى جانبه، وفي الوقت نفسه الإستيلاء على اكبر مساحةٍ من الأراضي في هولندا وبلجيكا وشمال

٢٣- مذكرة هتلر (مؤامرة النازيين... ج٧، الص ٨٠٠ -٨١٤. وثائق النازيين ٥٢-L. الأمر التوجيهي رقم ٦ (مؤامرة النازيين... ج٦، الص ٨٨٠-٨٨١ (وثائق النازيين -٦٢ C).

فرنسا. لتكون قاعدة لإدارة حربٍ بحرية وجوية مثمرة ضد إنگلترا.

أرجو من القادة العامين أن يقدموا لي باسرع مايمكن تقارير مفصلة عن خططهم المبتنية على هذا الأمر وأن يبقوني على علم دائم...

ان المذكرة السرية المؤرخة ٩ تشرين الأول أيضاً التي تلاها هتلر على قادته العسكريين قبل أن يصدر امره التوجيهي، هي من أدعى الوثائق الى الدهشة التي كتبها نائب العريف النمساوي السابق، فهي لاتنم فقط عن فهم بالتاريخ من وجهة النظر الألمانية ووقوف عجيب على فن الخطط والسوق العسكري، بل تكشف ايضاً عن دلائل نبوءة بما ستتمخض به الحرب في الغرب من نتائج وكيف ستكون مراحلها، وقد برهنت على تحققها بالحرف! قال: إن القتال بين ألمانيا والدول الغربية الذي ظل مستمراً منذ تمزق الرايخ الأول الألماني بمعاهدة مونستر (وستفاليا) في ١٦٤٨ "يجب أن يستمر الى النهاية كيفما كان" ومهما يكن، فبعد النصر العظيم في پولندا "لن يكون هناك أي أعتراض في انهاء الحرب حالاً" شريطة أن لاتتعرض المكاسب في پولندا "الى الضياع".

"ليس موضوع هذه المذكرة دراسة الإحتمالات في هذا الاتجاه أو حتى وضعها موضع اعتبار، وسأقصر نفسي تماماً على القضية الأخرى: ضرورة إستمرار القتال... إن غاية الألمان الحربية هو القضاء التام النهائي على الغرب، أعني تحطيم القوة والقابلية لدول الغرب بحيث لاتستطيع معارضة تثبيت الدولة الألمانية أو عرقلة التطور المقبل للشعب الألماني في أوروپا.

وبقدر ما يتعلق الأمر بالعالم الخارجي فهذا الهدف الخالد سيقدر له معاناة مختلف التعديلات الدعائية... إن هذا لن يغير من هدف الحرب فهو سيبقى: تحطيم اعدائنا الغربيين.

اعترض الجنرالات على الاستعجال في مباشرة الهجوم على الجبهة الغربية. ولقد اعلمهم أن الوقت هو في مصلحة العدو وذكّرهم أن الإنتصارات الپولندية لم تكن ممكنةً إلاّ لأن ألمانيا كانت تحارب في جبهة واحدة، هذا الموقف مازال موجوداً – ولكن كم من الوقت سيظل هكذا؟

"لايمكن أن يُضمن بقاء حياد روسيا السوڤيتية بصورة مؤكدة لا بميثاق ولا بمعاهدة لكن كلّ الدلائل المعقولة في الوقت الحاضر تشير الى أن روسيا ستبقى متمسكة بحيادها. في خلال ثمانية أشهر، أو سنة أو سنوات قد يتغير هذا الوضع. إن تفاهة قيمة المعاهدات قد اتضحت من جميع الجهات في السنوات الأخيرة وإن اعظم حماية لأي هجوم روسي هو... الاستعراض الفوري لقوة ألمانيا."

أما بخصوص إيطاليا فان "الأمل في مساندة إيطالية لألمانيا" إعتمد على الغالب في بقاء موسوليني حياً، وفي كسب ألمانيا إنتصارات أخرى لإجتذاب الدوتشي. وهنا أيضا يقوم الزمن عاملاً فعالاً كما هو عند بلجيكا وهولندا اللتين قد تضطرهما فرنسا وإنگلترا إلى خسران حيادها – وهو ما لايسع ألمانيا الإنتظار حتى يحصل. حتى مع الولايات المتحدة "يجب ان ننظر الى عامل الزمن باعتباره ضد مصلحة ألمانيا".

واقر هتلر ان أخطاراً عظيمةً تحدق بألمانيا خلال حرب طويلة الأمد وعدّد بعضاً منها. قد تدخل

دول محايدة صديقة وغير صديقة الى الحرب ضدنا وتنظم الى الجانب الآخر (يبدو أن إيطاليا والولايات المتحدة والإتحاد السوڤيتي كانت تلازم فكره) كما حصل في الحرب العظمى الاولى. وقال أيضاً إن "موارد ألمانيا في المواد الأولية والقوات" يجعل من الصعب عليها أن تجد الوسائل للإستمرار في الحرب "وان الخطر الأعظم هو إقتحام الروهر، فإن ضرب قلب إنتاج ألمانيا الصناعي هذا سيؤدي الى "إنهيار الإقتصاد الحربي الألماني وقابلية ألمانيا للصمود".

هتلر في العام ١٩٤٢

ويجب الإقرار أن نائب العريف النمساوي أظهر في مذكرته تفهماً مدهشاً لفن التعبئة والسوق العسكري وإن كانت مصحوبة بالافتقار الى الأخلاق، وهو الطبع النموذجي في هتلر. وفي المذكرة عدة صحائف عن التاكتيك الجديد الذي طوّرته الدبابات والطائرات في حرب پولندا. وتحليل مسهب لكيفية إستخدام هذا التاكتيك في الغرب وفي اي مكان بالضبط. قال أن أهم شيء هو تحاشي حرب الخنادق الثانية للأعوام ١٩١٤-١٩١٨، ومن الضروري إستخدام الفرق المصفحة لعمليات خرق الجبهة المنيعة.

"يجب الا تتيه في صنوف لاتنتهي من البيوت في مدن بلجيكا، لن يكون من واجبها أن تهاجم المدن قط بل... أن تؤمن إستمرارية زحف الجيش الى الأمام والحيلولة دون حصول ثبات في الجبهة، بهجمات مركزة مكتلة والنفوذ من خلال مواضع معينة ضعيفة الاستحكام".

هذا حكم دقيق وتفصيل متقن لما كان سيجري فعلاً من معارك في الغرب وكيفية حصولها. ومن يقرأها الآن يدركه العجب كيف أن الجانب الحليف لم يحسب حساباً مماثلاً لهذا.

وهذا ينطبق أيضاً على ستراتيجية هتلر فقد رسم الخطة بقوله "إن منطقة الهجوم المحتملة الوحيدة هي لوكسمبورگ وبلجيكا وهولندا. يجب أن يكون لدينا هدفان عسكريان اوليان: القضاء على جيوش هولندا وبلجيكا وفرنسا وإنگلترا. وبهذا يتم إحتلال مواضع على القنال وبحر الشمال بحيث يمكن إستخدام اللوفتوافّه "إستخداماً وحشياً" ضد بريطانيا.

وقال (عائداً الى التاكتيك) انه المباداة فوق كل شيء: ان الطبيعة الغريبة لهذه الحرب، قد تلجيء بالضرورة إلى المباداة والارتجال الى أقصى حد الى التركيز في الهجوم أو صد قوات في نقاط معينة باكثر مما يستخدم عادةً (مثلاً قوات دبابات أو قوات مضادة للدبابات) وبتركيز اكثر من

المعتاد في نقاط أخرى.

وأما عن وقت الهجوم فقد أبلغ هتلر جنرالاته المترددين "ان البدء به لايمكن أن يكون قريباً جداً. ومهما تكن الظروف فيجب أن لايتأخر عن هذا الخريف إن توفرت الامكانات."

لم يكن أمراء البحر الألمان يحتاجون الى حث من هتلر على الهجوم كالجنرالات، وان كان أسطولهم ضعيفاً جداً نسبةً إلى الأسطول البريطاني، والواقع كان (رايدر) لايفتأ يناشد هتلر في الأيام الأخيرة من أيلول والأولى من تشرين الأول برفع الحظر عن الأسطول وقد تم ذلك بالتدريج. ففي ١٧ أيلول ضربت غواصة ألمانية بطوربيدها حاملة الطائرات البريطانية (كوريجيس Courageaus) على مبعدة من جنوب غربي ايرلندا. وفي ٢٧ أيلول أمر (رايدر) بارجتي الجيب دويچلاند وگراف شپي بترك منطقتي انتظارهما والبدء بمهاجمة السفن البريطانية. وبلغ عدد السفن البريطانية التي أغرقتاها سبعاً اضافةً إلى السفينة الأمريكية "سيتي اوف فلنت City of Flint وفي ١٤ تشرين الأول نفذت الغواصة الألمانية (و-٤٧) بقيادة الرئيس القبطان گونثر پرين Guenther Prien من خلال دفاعات سكاپافلو scapaflow التي اشتهرت بمناعتها، وهي احدى القواعد البريطانية البحرية العظيمة. فاغرقت بطرابيدها البارجة (رويال اوك Royal Oak) وهي راسية، فقتل فيها ٧٨٦ ضابطاً وبحاراً. وكانت مأثرة جليلة استغلها الدكتور گوبلز في دعايته ورفعت من شأن الأسطول في ذهن هتلر.

ومع هذا بقي الجنرالات معضلةً، فعلى الرغم من مذكرته الطويلة الهامة وامره التوجيهي المرقم (٦) بالإستعداد لهجوم وشيك في الغرب. كان التلكؤ والتردد يسودانهم ليس لأحساسهم بتأنيب الضمير ازاء خرق حياد بلجيكا وهولندا بل لأنهم كانوا شديدي الشك في النجاح هذه المرة. وكان ثم استنثاء منهم.

انه الجنرال ڤلهلم ريتر ڤون ليب قائد مجموعة جيوش (ج) التي تواجه الفرنسيين في الراين وعلى إمتداد خط ماجينو. فهو لم يكن مرتاباً في امكان النصر في الغرب فحسب. ان الوثائق التي وصلتنا توضح أنه كان الوحيد الذي عارض في مهاجمة بلجيكا المحايدة وهولندا لأسباب تتعلق بالأخلاق. فنظم في ١١ تشرين الأول بعد إجتماع الجنرالات بيوم واحد - مذكرة طويلة شخصية قدمها الى براوختش وغيره من الجنرالات وكتب يقول: ان العالم كله سيقف ضد ألمانيا... "التى ستهاجم للمرة الثانية خلال ٢٥ سنة بلجيكا المحايدة! ألمانيا التي ضمنت حكومتها بكلمة شرف ووعدت بالمحافظة على هذا الحياد واحترامه قبل أسابيع قليلة فقط!

وأخيراً وبعد أن عدّد الحجج والبراهين العسكرية التي تمنع الهجوم في الغرب نادى بالسلم بقوله "إن الشعب بأسره يتوق الى السلم"[٢٤] الا ان هتلر كان يتوق الى الحرب آنذاك الى الضرب والطعان وقد ضاقت نفسه بما رآه تردداً من جنرالاته لايغتفر. وفي ١٤ تشرين الأول وضع براوختش وهالدر

٢٤- النص في: محاكمات مجرمي الحرب... ج١٠، الص ٨٦٤-٨٧٢ [الوثائق- يوميات القيادة العليا ٣٤٣٣]

رأسيهما معاً في حديث طويل. كان قائد الجيش يرى إحتمالات ثلاثة: "الهجوم، الانتظار والترقب، التغيير الجوهري" وقد دوّنها (هالدر) في يومياته ذلك اليوم وفسّر المقصود (بالتغيير الجوهري) بعد الحرب بما معناه "إزاحة هتلر" إلا ان براوختش الضعيف رأى أن تدبيراً حاسماً كهذا هو سلبي أساساً قد يجعلنا معرضين إلى الهزيمة من الخارج "وتوصلا الى أن اي إحتمال من هذه الإحتمالات الثلاثة لايبشر بنجاحٍ تام" والشيء الأول المجدي هو مواصلة اقناع هتلر.

ورأى براوختش (الزعيم) مرة ثانية في ١٧ تشرين. لكنه أعلم (هالدر) أن حديثه لم يكن له اي تأثير. وان الموقف لاجدوى منه وكتب هالدر في يومياته ذلك اليوم ان هتلر قال لبراوختش بحدة: "ان البريطانيين سيكونون مستعدين للمحادثات بعد أن تلحق بهم ضربة، ويجب علينا أن ننحدر عليهم بأسرع مايمكن، والتاريخ سيكون مابين ١٥ تشرين الثاني و ٢٠ منه كأقصى حد".

وحدثت مؤتمرات أخرى مع رب الحرب النازي. ختمت بالأخير باستنانه شرعةً لجنرالاته في ٢٧ تشرين الأول. فبعد مراسيم منح أربعة عشر جنرالاً منهم صليب الفارس لوسام الصليب الحديدي، تناول موضوع الهجوم على الغرب وعندما حاول براوختش القول أن الجيش لن يكون مستعداً قبل مرور شهر (ليس قبل ٢٦ تشرين الثاني)، أجاب هتلر "إنه وقت جدّ متأخر"، وانصرف براوختش وهالدر من الإجتماع يائسين مدحورين. وحاولا في تلك الليلة أن يسرّي احدها عن الآخر، وكتب هالدر في يوميته:

"براوختش متعب كئيب".

-٤-

مؤامرة "زوسن" للاطاحة بهتلر

حان الوقت ليستأنف المؤتمرون عملهم مرة أخرى. أو هذا ما توهّموه. واجه (براوختش وهالدر) التاعسان الامرين الحاسمين الوحيدَين: إما أن ينفذا "الإحتمال الثالث" الذي وضعاه في ١٤ تشرين واعني به إزاحة هتلر، وإما تنظيم الهجوم على الغرب وهو الذي كانا يجدانه كارثة على ألمانيا.

وفجأة دب النشاط في المؤتمرين العسكريين منهم والمدنيين، وقر قرارهم على الإحتمال الأول.

لقد خابوا في المرة الأولى عند بدء الحرب، وتفصيل ذلك أن الجنرال فون هامرشتاين استدعي للخدمة بعد فترة استيداعه الطويلة قبيل بدء الحرب على پولندا، وأنيطت به قيادة من قيادات الغرب. وصار يلح في اول أسبوع من بدء المعارك أن يأتي هتلر لزيارة مقر قيادته، ليبرهن له أنه لم يهمل جبهته أثناء دوران رحى القتال في پولندا. وكان هامرشتاين الخصم العنيد الصلب لهتلر قد وضع خطة لإغتياله فعلاً وقد سبق (لفابيان فون شلابرندورف) أن أبلغ (أوگليفي فوربس) بهذه

المؤامرة يوم إعلان بريطانيا الحرب في ٣ أيلول أثناء مقابلة خاطفة في فندق آلدون ببرلين. إلا أن القائد العام للجيش السابق لم ينل بغيته فقد إشتمّ رائحة المؤامرة ولم يقم بزيارته ثم طرده من القيادة بعد فترة وجيزة(٢٥).

وبقي (المؤتمرون) محافظين على إتصالهم بالبريطانيين. فبعد أن فشلوا في القيام بعمل من شأنه منع هتلر من القضاء على پولندا، ركزوا جهودهم على محاولة منع وصول الحرب الى الغرب. وأدرك الأعضاء المدنيون اكثر من السابق، أن الجيش هو المنظمة الوحيدة في الرايخ التي تملك الوسائل الكفيلة بإيقاف هتلر. وقد زادت اهميته وقوته زيادة هائلة بالتعبئة العامة والنصر الساحق الخاطف الذي احرزه في پولندا ولكن حجمه المتوسع كان أيضاً عقبة كما حاول (هالدر) اقناع المدنيين. لقد تضخم عدد الضباط باستدعاء الاحتياط منهم للخدمة، ومنهم عدد كبير من المتحمسين للنازية. أما سواد الجنود فقد تشبعوا كلهم بالنازية وأشار (هالدر) الى صعوبة إيجاد وحدة عسكرية يمكن الوثوق بها للتحرك ضد الزعيم. كان (هالدر) من الأفذاذ في شرح المصاعب سواء لخصم أو لصديق.

هناك إعتبار آخر أشار إليه الجنرالات وإستحسنه المدنيون بلا إستثناء. إذا ما أشعلوا ثورة ضد هتلر، مع مايرافقها من إضطراب في الجيش والبلاد كافةً أفلا ينتهز البريطانيون والفرنسيون الفرصة لاختراق جبهة الغرب وإحتلال ألمانيا ويفرض عليهم صلح قاسٍ حتى وان تخلصوا من الزعيم المجرم؟ فمن الضروري اذن الإتصال بالبريطانيين لتحقيق تفاهم واضح على ان لاينتهز الحلفاء مثل هذه الفرصة التي ستسنح لانقلابٍ معادٍ للنازية.

واستخدمت عدة سبل، احدها كان بواسطة الفاتيكان وكان همزة الوصل (الدكتور جوزف موللر) وهو محام مونيخي كاثوليكي مشهور ذو هيكل جبار وقوة ونشاط هائلين، حتى لقب في شبابه (بالثور جو ochsenseph). في اول تشرين الأول رحل موللر بمعرفة (العقيد أوشتر) ضابط الإستخبارات، الى روما وأقام صلة في الفاتيكان بالوزير المفوض البريطاني في الكرسي الپاپوي. وتوضح المصادر الألمانية انه نجح في الحصول على تأكيدات بريطانية في هذا الشأن، بل وحقق اكثر من هذا، حصل على موافقة الپاپا أن يقوم قداسته وسيطاً بين النظام السياسي الألماني المعادي للنازية المقبل وبين بريطانيا(٢٦).

أما حبل الوصل الثاني فكان في العاصمة السويسرية (برن) فقد وضع ڤايسيكر (ثيودور كوردت) ملحقاً في المفوضية الألمانية هناك، بنقله من وظيفة القائم بالأعمال في بريطانيا. وفي هذه العاصمة كان يلتقي أحياناً برجل إنگليزي يدعى الدكتور فيليب كونويل ايفانز Dr. Philip Conwell Evans الذي جعلته استاذيته في جامعة كونينسبرگ الألمانية خبيراً في النازية مهتماً بها الى حد ما.

٢٥ - يتكلم كل من شلابرندورف (المرجع السالف ص٢٥) وگزيڤيوس (المرجع السالف ص٤٣١) عن هذه المؤامرة.

٢٦- هويلر بينيت في (نيميسس ص٤١٩- هامش) ينوه بالمرجع السالف الألماني. انظر ايضاً (هاسل) المرجع السالف و(توماس: المرجع السالف ايضاً).

في اواخر تشرين الأول جلب كونويل ايفانز لكوردت ماوصفه هذا بوعدٍ قاطع من چمبرلين بمعاملة حكومة مقبلة ألمانية معادية للنازية، معاملةً منصفةً مبنية على حسن التفاهم. والحقيقة في الأمر أن البريطاني لم يفعل اكثر من اقتباسه بعض النصوص من خطبة چمبرلين في مجلس العموم التي رفض فيها مقترحات هتلر السلمية وصرح في الوقت نفسه أن بريطانيا لا رغبة لديها في "حرمان ألمانيا التي ستعيش متحابة ومنسجمة مع الدول الأخرى، مكانتها التي تستحقها في أوروپا" ومع ان هذا التصريح وغيره من العبارات التي وردت في الخطبة ذات الطابع الودود تجاه الشعب الألماني قد اذيعت من لندن وإلتقطها المؤتمرون على الأرجح إلاّ أنهم سرّوا "بالوعد" الذي أرسله إليهم الممثل البريطاني غير الرسمي من (برن) وإعتبروه على أعظم جانب من الأهمية وبهذا الوعد، وبالتأكيدات التي بلغتهم من الفاتيكان التفتوا الى الجنرالات مستبشرين وكذلك يائسين اذ قال ڤايسيكر لهاسّل في ١٧ تشرين الأول "إن أملنا الوحيد في الخلاص مرهون بانقلابٍ عسكري. لكن كيف؟"

الوقت ضيق. لقد تعين موعد بدء الهجوم الألماني على بلجيكا وهولندا في ١٢ تشرين الثاني ويجب ان تنفذ المؤامرة قبل هذا التاريخ لأن هاسل انذر الآخرين بأنه يتعذر الحصول على"سلم مشرف بعد خرق ألمانيا حياد بلجيكا".

هناك روايات مختلفة للمؤتمرين عما حدث فيما بعد، أو بالأحرى لماذا لم يحدث الكثير وكلها روايات متناقضة محيّرة. كان الجنرال (هالدر) محور هذه المؤامرة أيضاً كما كان في أيام مونيخ. إلا أنه كان يتراوح بين الإقدام والإحجام مضطرباً محتاراً. وشرح أثناء شهادته في نورمبرگ أن "جيش الميدان" لم يكن قادراً على الاضطلاع بالثورة لأنه يواجه "عدواً ذا سلاح كامل" ويقول أنه أتصل بجيش الداخل الذي لم يوضع في خط القتال ليضطلع بالعمل لكن غاية ماحصل عليه من قائده الجنرال فردريك (فريتز) فروم" Friedrich (Fritz) Fromm هو كلمة شرف "عسكري"[٢٧].

على أن براوختش نفسه كان اكثر تردداً وانكماشاً من رئيس أركانه. قال (بيك) لهالدر "إن لم يكن في خُلْق براوختش مايكفي من متانة لاتخاذ قرار، فعليك انت اتخاذه وبذلك تجعله أمام الأمر الواقع". لكن (هالدر) أصر بقوله أن المسؤولية الأخيرة هي مسؤولية براوختش لأنه القائد العام للجيش. وهكذا أرجيء الأمر مرة أخرى وكتب (هاسل) في يوميّته في نهاية تشرين الأول آسفاً "إن هالدر ليس كفؤاً للعمل لا من ناحية السلطة ولا من ناحية الشخصية" أما عن براوختش فالجنرال (بيك) يقول: انه صبي في الصف السادس الابتدائي"، ومع ذلك ظل المؤتمرون يلاحقون (هالدر) بزعامة (العقيد أوشتر) والجنرال توماس الخبير الأقتصادي للجيش.

واخيرا توهموا أنه وافق على إحداث انقلاب حالما يصدر هتلر أمره الأخير بالهجوم في الغرب. وهالدر نفسه يقول أن القرار مازال مرهوناً بموافقة براوختش النهائية. ومهما يكن ففي يوم ٣ تشرين

٢٧- إستجواب هالدر في نورمبرگ ٢٦ شباط ١٩٤٦ (مؤامرة النازيين...) ج ٦، ملحق (ب) الص ١٥٦٤-١٥٧٥.

الثاني (وبحسب رواية العقيد (هانز گروسكورث Hans Groscurth) وهو صديق لكل من الجنرال هالدر والعقيد اوشتر ومحل ثقتهما) نية الجنرال (بيك) وكويردلر بأن يكونا على إستعداد للخامس من تشرين الثاني. واصبحت (زوسّن) مقر قيادتي الجيش وهيئة الأركان مركزاً ناشطاً لفعاليات المؤامرة.

كان الخامس من تشرين الثاني هو تاريخ العملية. في ذلك اليوم كان بدأ حركة نقل القوات العسكرية الى نقطة الوثوب قبالة هولندا وبلجيكا ولوكسمبورگ كذلك كان اليوم موعداً لزيارة براوختش لهتلر. وكان قبلذاك قد زار هو و(هالدر) مقرات القيادات العليا في الغرب بتاريخ ٢ تشرين الثاني ومابعده وتزودا بالآراء السلبية المتشائمة لقادة الميدان. وكتب هالدر في يومياته "لايعتقد اي مقر قيادة عليا بأن الهجوم... له أقل حظ من النجاح". وبهذا وصل قائد الجيش العام الألماني الى دار المستشارية ببرلين عازماً على اقناع (الزعيم) بصرف النظر عن هجوم الغرب مزوداً بكثير من الحجج والأسباب التي استمدها من الجنرالات في الجبهة الغربية فضلاً عن حججه وحجج هالدر وتوماس جمعت كلها في مذكرة، اطلق عليها هالدر "المذكرة المضادة"، رداً على مذكرة هتلر المؤرخة في ٩ تشرين الأول. إن لم ينجح براوختش فسينضم إلى المؤتمرين لإزاحة الدكتاتور – أو هكذا فهموا. وباتوا في حالة عظيمة من الهياج النفسي والتفاؤل. ويقول (گزيفيوس) ان كوريردلر نظم قائمة بأعضاء الحكومة المؤقتة المعادية للنازية المقبلة. إلا أن(بيك) الأكثر رزانة أوقفه عند حده. وكان شاخت وحده كثير التشاؤم وانذر بقوله "انتظروا قليلاً وسترون كيف سيشتمّ هتلر الرائحة ولن يتخذ أي قرارٍ طوال يوم غد". وكانوا كلهم مخطئين... كالعادة.

وكما توقع العارفون ببراوختش، لم يتوصل الى أية نتيجة لا بمذكرته ولا بمعلوماته من قادة الميدان ولا بحججه الخاصة وعندما أشار إلى سوء الطقس في هذا الوقت من السنة رد هتلر أنه سيّء كذلك للعدو واكثر من ذلك أنه لن يتحسن. ان معنويات الجنود في الغرب تشبه معنوياتهم في ١٩١٧–١٩١٨ حيث شاعت الانحدارية والتمرد حتى العصيان في الجيش الألماني. يروي هالدر في يومياته وهي المصدر الأساسي لهذه المقابلة السرية جداً أن هتلر ثار غضباً وسأله بحدة "في اية وحدات ظهر التمرد؟ ماذا حصل؟ واين؟" إنه سيطير غداً إلى الموقع بنفسه. ويقول (هالدر) ان (براوختش) المسكين كان يبالغ متعمداً "ليكبح جماح هتلر" وهاهو الآن يقع وحده تحت غضب (الزعيم) الذي لايعرف حداً، وصاح به: "ماهي التدابير التي اتخذتموها، ماذا فعلت قيادة الجيش؟ كم حكماً بالاعدام تم تنفيذه؟" ثم انفجر بقوله ان الحقيقة "هو أن الجيش لايريد القتال". وقال براوختش لقضاة محكمة نورمبرگ مستذكراً تجربته القاسية: "كان من المستحيل المضي في الحديث ولذلك انصرفت". وتذكّر آخرون أنه سار متعثراً الى مقر القيادة في (زوسّن) التي تبعد ثمانية عشر ميلاً، بحالة من التأثر أعجزته عن رواية ما حدث بشكل واضح في مبدأ الأمر.

كان هذا ختام "مؤامرة زوسن". فشلت فشلاً ذريعاً كما فشلت "مؤامرة هالدر" أيام مونيخ. كل مرة يضع المؤتمرون الخطط والشروط التي تساعدهم على العمل، فتتحقق. وفي هذه المرة ظل هتلر

مصراً على قراره في أن يكون يوم الهجوم هو الثاني عشر من (تشرين الثاني). والواقع ان هتلر كلّم مقر القيادة العامة في (زوسّن) تلفونياً مؤكداً الموعد بعد إنصراف براوختش المتأثر مباشرةً. وعندما طلب (هالدر) أن يؤيد ذلك كتابةً لبى طلبه حالاً. وبهذا وُضع دليل خطي بيد المؤتمرين قالوا انهم بحاجة اليه حتى يتولوا إزاحة هتلر- ألا وهو أمر المعركة التي بات يخيّل اليهم أنها ستجلب الكوارث على ألمانيا لكنهم لم يفعلوا أكثر من أن تركوا أنفسهم يترددون وجلين. وكان ثم عجلة في إحراق الأوراق الجرمية وتغطية الآثار. والوحيد من بينهم الذي لم يفقد صوابه هو العقيد (اوشتر) فقد بادر الى إرسال تحذير لبلجيكا وهولندا عن طريق مفوضيتهما في برلين بأن يتوقعا هجوماً في ١٢ تشرين[٢٨]. ثم انطلق الى الجبهة الغربية في حملة غير مثمرة ليرى هل بامكانه إثارة إهتمام الجنرال (ڤون فيتزليبن) بقتل هتلر. وكان الجنرالات ومن بينهم فيتزليبن قد أدركوا انهم دحروا، وان نائب العريف السابق قد انتصر عليهم مرة أخرى بأسهل مما يتصور. وبعد ذلك بأيام قام الجنرال (روندشدت) قائد مجموعة الجيوش (أ) باستدعاء أركان مقره وقواد فرقه لبحث تفاصيل الهجوم. وفي الوقت الذي كان يشك شخصياً في نجاحه فقد طلب من جنرالاته أن يدفنوا شكوكهم، وقال: "لقد أعطي الجيش مهمته وانه سينجز هذه المهمة!".

في اليوم الذي اوصل هتلر براوختش الى حالة الانهيار العصبي أشغل نفسه في كتابة نصوص البلاغات التي ستوجه الى الشعبين البلجيكي والهولندي لتبرير هجومه عليهم وقد دوّن هالدر الحجة التي تعلل بها وهي "الزحف الفرنسي على بلجيكا". ولكن في اليوم التالي الموافق ٧ تشرين الأول أرجأ هتلر تأريخ الهجوم وتنفس الجنرالات الصعداء.

سري للغاية

برلين، ٧ تشرين الثاني ١٩٣٩

"... إن الزعيم والقائد الأعلى للقوات المسلحة بعد أن اطلع على تقارير الأحوال الجوية ومحطة نقل سكك الحديد أمر بما يلي:

"...يؤجل يوم الهجوم ثلاثة أيام. وسيصدر القرار التالي بذلك في الساعة ٦ من مساء التاسع من تشرين الثاني ١٩٣٩".

(كايتل)

وكان هذا أول أربعة عشر تأجيلاً أمر بها هتلر خلال أشهر الخريف والشتاء وقد وجدت نسخ منها في أرشيفات القيادة العليا للقوات المسلحة بعد الحرب[٢٩]. وتوضح ان هتلر لم يعدل لحظة واحدة عن قراره بالهجوم على الغرب. وانما كان يؤجل الموعد من أسبوع الى أسبوع ليس إلا. في ٩ تشرين الثاني اجل الهجوم الى ١٩ منه، وفي ١٣ تشرين الثاني أجل الى ٢٢ تشرين الثاني وهكذا دواليك

٢٨- روثفلز Rothfels "المعارضة الألمانية لهتلر".

٢٩- طبعت في (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٦، الص ٨٩٣-٩٠٥ (وثائق نورمبرگ - ٧٢- C).

مع فترة إخطار تتراوح بين ستة أيام وخمسة. وكان الطقس هو الحجة المألوفة. لعل هتلر أذعن للجنرالات أو لعله ظن ان الجيش لم يكن مستعداً بعد. أما الأمر المؤكد فهو أن الخطط السوقية والتعبوية لم تكمل بعد تماماً فقد كان التنقيح فيها يجري بإستمرار.

قد توجد أسباب أخرى لتأجيل موعد الهجوم الأول. في ٧ تشرين الثاني وهو يوم قرار التأجيل أحرج الألمان إحراجاً شديداً ببلاغٍ إشترك فيه ملك البلجيك وملكة هولندا، تقدما فيه بعرض للتوسط في السلم "قبل أن تبدأ الحرب في غربي أوروبا بداية عنيفة" وفي مثل هذا الظرف يصعب إقناع أي جهة، بأن الجيش الألماني إنما يدخل دولتي الأراضي المنخفضة لأنه علم بقرب دخول الجيش الفرنسي الى الأراضي البلجيكية كما كان هتلر يحاول في بلاغه الذي كتبه.

وربما علم هتلر ايضاً أن هجومه على الدولة المحايدة الصغيرة بلجيكا لن يتوفر فيه عامل المباغتة الذي كان يعتمد عليه. في نهاية تشرين الأول، سافر (كويردلر) الى(بروكسل) حاملاً رسالة سرية من (ڤايسيكر) الى السفير الألماني (بولوف–شڤانته Boelow- Schwante) لينذر الملك بصورة خاصة "بخطورة الموقف الشديد للغاية" ففعل السفير ما أمر، وبعد ذلك بقليل سافر الملك ليوپولد الى (لاهاي) للمشاورة مع الملكة ونشر بيانهما. إلاّ أن البلجيك كانوا مزوّدين بمعلومات دقيقة وبعضها من (أوشتر) كما مرّ بنا. وفي ٨ تشرين أبرق (بولوف – شڤانته) الى برلين تحذيراً مؤداه أن الملك ليوپولد أبلغ الملكة الهولنديّة بأن لديه "معلومات ثابتة" عن تحشيد عسكريّ ألماني على الحدود البلجيكية تشير الى هجوم ألمانيّ عبر بلجيكا "في غضون يومين أو ثلاثة"[٣٠].

ثم وفي مساء الثامن من تشرين الثاني وفي عصر اليوم التالي، نجمت حادثتان غريبتان هما إنفجار قنبلة أخطأت هتلر في آخر لحظة، وخطف وكيلي إستخبارات بريطانيَين في هولندا قرب الحدود الألمانية على يد الحرس الأسود: s.s – كانت نتيجتها في المبدأ ان صرفت ربّ الحرب النازي عن تنفيذ خطته بغزو الغرب ثم دعمت مكانته بالأخير في ألمانيا وأفزعت متآمري (زوسّن) الذين لم تكن لهم اية علاقة بالحادثين.

٣٠- شهد بولوف – شڤانتي في (قضية الوزراء) أمام محكمة نورمبرگ العسكرية حول رسالة (كويردلر) وعن مقابلته الشخصية الملك ليوپولد: انظر المترجم – في الطبعة الإنگليزية الص ٩٨٠٧-٩٨١١. وذكرت ايضاً في (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية) ج٨، ص ٣٨٤] هامش. وبرقيته الإنذارية الى برلين موجودة في [وثائق سياسة ألمانيا... ج٨، ص ٣٨٦].

-٥-

إختطاف نازيّ وقنبلة في مشرب البيرة

بعد مرور إثنتي عشرة دقيقة على إلقاء هتلر خطابه السنويّ في مساء يوم ٨ تشرين الثاني "لحرس الحزب القديم" ورفاقه في مشرب البيرة في مونيخ إحياءً لإنقلاب عام ١٩٢٣ وكانت خطبة أقصر من المعتاد، إنفجرت قنبلة كانت قد وضعت لصق عمود يقع خلف منصّة الخطيب مباشرة فأدى انفلاقها الى مقتل سبعة اشخاص وجرح ثلاثة وستين آخرين. وجاء وقت إنفجارها عقب مغادرة هتلر وكل أقطاب الحزب النازي المبنى، بصورة مفاجئة سريعة، في حين جرت العادة في السنوات السالفة أن يمكثوا في المشرب يحتسون البيرة ويستعدون مع رفاق الحزب القدماء ذكريات أحداث الإنقلاب الأول.

وفي اليوم التالي انفردت صحيفة هتلر الخاصة (فولكشر بيوباختر) بنشر محاولة إغتيال (الزعيم) واتهمت "دائرة الإستخبارات البريطانية" وچمبرلين نفسه بهذا العمل الآثم. وكنت قد دوّنت في مفكرتي ذلك المساء "ان محاولة [الإغتيال] سترصّ الرأي العام رصاً وراء هتلر وتثير شعور الكراهية ضد إنگلترا بدون شكّ. وأغلبنا يعتقد أنها مؤامرة مزيفة شبيهة بحريق الرايشتاغ".

أيّ علاقة يمكن ان يكون لدائرة الإستخبارات البريطانية بهذا، خارج تفكير گوبلز الجنوني؟ بوشر حالاً بمحاولة ربط الإثنين فبعد ساعة أو إثنتين من إنفلاق القنبلة في مونيخ أصدر هنريخ هملر رئيس الحرس الأسود والگشتاپو أمراً تلفونياً لأحد مرؤوسيه الصاعدين من الحرس الأسود في (دوسلدورف Duesseldorf) ويدعى ڤالتر شللنبرگ Walter Schellenberg، بناء على أمر من (الزعيم) أن يعبر الحدود الى هولندا في اليوم التالي ويختطف وكيلين لدائرة الإستخبارات البريطانية كان شللنبرگ متصلاً بهما.

وأدى أمر هملر الى حدث من أغرب أحداث الحرب. كان شللنبرگ مثل زميله (ألفريد ناويوكس) خريج جامعة مثقفاً شريراً، مرّ عليه أكثر من شهر وهو يتصل في هولندا برجلين من الإستخبارات البريطانية وهما النقيب س.پاين بست S. Payne Best والرائد ر.هـ ستيفنز. قدّم اليهما نفسه باسم الرائد (شاميل Schaemmel) الضابط المعادي للنازية من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية (إتخذ شللنبرگ هذا الإسم، مستعيراً إياه من إسم ضابط حيّ) وروى لهما حكاية مقنعة حول عزم الجنرالات الألمان على إزاحة هتلر، وقال أن مايريده هؤلاء من البريطانيين هو تأكيدات من حكومة لندن بأنها ستتعامل بشرفٍ مع الحكومة المقبلة المعادية للنازيين ولما كان البريطانيان قد سمعا من مصادر أخرى (كما مرّ) عن مؤامرة عسكرية يريد القائمون بها ضمانات مماثلة. فقد اهتمت لندن للأمر وأوصت بتطوير الإتصالات مع "الرائد شاميل" فأمدّ الضابطان بجهاز راديو صغير وجهاز إستقبال وتعاقبت إتصالات عديدة باللاسلكي وتمت لقاءات شخصية في عدد من المدن الهولندية وفي

٧ تشرين الثاني. إجتمع الجانبان في بلدة (ڤنلو) الهولندية القريبة من الحدود الألمانية. وتمكن الوكيلان البريطانيان من تقديم رسالة غامضة موجهة الى قادة رجال المقاومة الألمانية تذكر بصيغة عامة أسساً لسلم عادل مع نظام حكم معادٍ للنازية. وأتفق أن يأتي (شاميل) في المرة القادمة بأحد هؤلاء الزعماء، بجنرال ألمانيّ يوم الغد في ڤنلو Venlo للبدء بمفاوضاتٍ محددة ثم أرجئت المقابلة الى التاسع منه.

كانت أهداف الجانبين حتى تلك اللحظة واضحةً. البريطانيون يحاولون إيجاد صلة مباشرة مع المؤتمرين العسكريين الألمان حتى يمدوا اليهم يد المساعدة ويشجعوهم. وهملر يحاول أن يكتشف عن طريق البريطانيين هويات المؤتمرين الألمان، وماهية صلاتهم بإستخبارات العدوّ. وكان واضحاً من هذا أن هملر وهتلر كان يساورهما شكٌ في بعض الجنرالات فضلاً عن طائفة من أمثال (أوشتر) و(كاناريس) رئيس الإستخبارات العسكرية ومساعده. إلاّ انهما في هذا اليوم الثامن من تشرين الثاني وجدا الحاجة تدعو إلى غرض آخر: خطف (بست وستيفنز) وإتهامها بزرع القنبلة في مشرب البيرة!

الآن يدخل شخص معروف في القصة هو (ألفريد ناويوكس) الذي دبّر (الهجوم البولندي) على محطة راديو كلايڤتز الألمانية، قائداً لبضعة عشر وكيلاً من وكلاء أمن الگشتاپو الشقاة لمساعدة شللنبرگ على تنفيذ عملية الاختطاف، وتم ذلك بأدق مايمكن: ففي الساعة ٤ عصراً بينما كان شللنبرگ يجلس في شرفة مقهى في (ڤنلو) يحتسي شراباً مقبّلاً منتظراً موعده مع (بست وستيفنز) ووصل الوكيلان البريطانيان بسيارة (بويك) واوقفاها خلف المقهى فحياهما وابل من الرصاص إنهال عليهما من سيارة للحرس ملئت بأوباش (ناويوكس) وكان مع الضابطين الملازم كلوب Klop أحد ضباط الإستخبارات الهولنديين، الذي دأب على مرافقتهما في مقابلتهما مع (شللنبرگ) فسقط مصاباً بجرح مميت. وحشر (بست وستيفنز) في سيارة الحرس الأسود "مثل حزمتين من القش كما أخذوا كلوپ الجريح ايضاً (على ما تذكّره شللنبرگ فيما بعد). واسرعوا بغنيمتهم الى الحدود الألمانية[٣١].

وهكذا أعلن هملر في ٢١ تشرين الثاني أن محاولة الإغتيال التي دبرت لهتلر في مشرب البيرة قد تم كشفها. وانها دبرت بإشرافِ دائرة الإستخبارات البريطانية وقبض على إثنين من زعماء المؤامرة وهما (بست وستيفنز) في اليوم الذي تلا إنفجار القنبلة "على الحدود الألمانية البولندية". أما الذي

٣١- الوثائق الرسمية الهولندية لما بعد الحرب تفيد ان السيارة الإنگليزية التي كان يركبها بست وستيفنز وكلوپ اجبرها الألمان على التوجه الى الحدود الألمانية التي تبعد ١٢٥ قدماً فقط. وبدأت حكومة هولندا في اليوم التالي ترسل طلباتها المتتابعة الى الحكومة الألمانية بإعادة كلوپ وسائق السيارة الهولندية، مع التحقيق الألماني حول حادث خرق الحدود والتعدي على حياد هولندا فلم تحظ بجواب حتى ١٠ أيار، عندما برر هتلر إجتياحه هولندا بأسباب منها حادث (ڤنلو) الذي برهن على مساهمة الهولنديين مع الإستخبارات البريطانية. ومات كلوپ متأثراً بجراحه بعد أيام. وبقي بست وستيفنز خمس سنوات في معسكرات الإعتقال النازية ونجيا (محاكمة مجرمي الحرب... ج١٢، الص ١٢٠٦-١٢٠٨) ووثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، الص ٣٩٥-٣٩٦) (عن روايات حادث ڤنلو المختلفة: انظر بست: حادث ڤنلو. وشللنبرگ -المرجع السالف- وهويلر بينيت المرجع السالف. الرواية الهولندية الرسمية موجودة في إجتماع رسمي من ضمن وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٨: كما مرّ. وهناك مواد أخرى في (قضية الوزراء) في نورمبرگ.

قام بوضع القنبلة المدعو (جورج إلسر Georg Elser) فهو نجار شيوعيّ من مونيخ.

ما كان منّي إلاّ أن كتبت في مفكرتي بأن التفاصيل التي نشرها هملر عن الجريمة تفوح منها رائحة الكذب "لكن الوقائع التي انتظمتها حقيقية جداً "وإن ما يرمي اليه هملر وعصابته هو إقناع الشعب الألماني السهل التصديق أن الحكومة البريطانية حاولت ربح الحرب بقتل هتلر وأعوانه الكبار".

لقد ظل أمر تدبير حادث القنبلة سراً لم يكشف عنه تماماً ومع أن النجار "إلسر" لم يكن مجنوناً مثل (مارينوس فاندر لوبه) المتهم بحرق الرايشتاغ الاّ أنه ليس واسع الذكاء، وكان مخلصاً لعمله فأمر بعمل القنبلة وتفجيرها وفخر بذلك وان لم يلتق بالطبع (ستيفنز وبست) قبل المحاولة. على أنه تعرّف بالأخير خلال السنوات الطوال التي قضياها في معسكر إعتقال (ساخسنهاوزن) وهنا روى للإنگليزي حكاية طويلة كثيرة الوقائع – ليست منطقية في بعض المواقف.

قال: أنه كان قد أودع معسكر إعتقال (داخاو) منذ اواسط الصيف بوصفه من أشياع الشيوعيين. وفي أحد أيام تشرين الأول دعي الى مكتب قائد المعسكر حيث تعرّف بشخصين غريبين وتكلما حول ضرورة قتل بعض أتباع الزعيم "الخونة" بفلق قنبلة في مشرب البيرة بعد إلقاء هتلر خطابه التقليدي في مساء الثامن من تشرين الثاني مباشرةً على أثر تركه القاعة. ورسم أن توضع القنبلة على عمود خلف منبر الخطيب ولما كان (إلسر) نجاراً وكهربائياً وسمكرياً ماهراً فقد إقترحا أن يضطلع هو بالعمل وإن رضي فسيرتّبان أمر إخراجه الى سويسرا وتزويده بمبلغ كبير من المال يكفيه للعيش برخاء هناك وكعربون على جديتهما في الوعد. تعهدا أن يعامل في المعسكر خلال الفترة معاملة طيبة ويعطى طعاماً جيداً وثياباً مدنية ومقداراً كبيراً من السكائر (لأنه كثير التدخين) ويزوّد بمنضدة وأدوات نجارة. وهناك صنع (إلسر) قنبلة بدائية الاّ انها فعّالة مؤقتة الإنفجار بثمانية أيام تعمل على الساعة وعلى طريق القدح في أي وقت بعد ربطها بزرّ وبطارية كهربائية وأكد (إلسر) انه أخذ في احدى الليالي في يوم متقدم من أيام تشرين الثاني الى مشرب البيرة وهناك زرع آلته في العمود الحسن الموضع.

وفي مساء ٨ تشرين وفي الوقت المحدد لإنفلاق القنبلة، أخذ مع شريكيه الى الحدود السويرية وأعطي مبلغاً من المال – والطريف في الأمر أنهما أعطياه صورة (بوست كارت) لمنظر مشرب البيرة الداخلي ويظهر فيها العمود الذي وضع فيه القنبلة وهو مؤشر بعلامة ضرب (×) لكن بدلاً من مساعدته على عبور الحدود. قبض عليه الگشتاپو (لدهشة الرجل البسيط المحدود، الذكاء) واخذ منه المال (والپوست كارت) واخيراً حمله الگشتاپو على اتهام (بست وستيفنز) في المحاكمة القادمة حيث سيكون محور الإهتمام(٣٢).

٣٢- قص (إلسر) فيما بعد حكاية مشابهة في (داخاو) على (القس نيمويللر). فبنى منذ ذلك الحين إعتقاده الخاصّ أن الحادث كان بمصادقة هتلر ليزيد من تعلق الناس به ورفع المعنويات الى جانب الحرب. ومن الواجب ان نضيف الى هذا ان گزيفيوس عدوّ هتلر وهملر وشللنبرگ اللدود يعتقد -كما شهد في محاكمات نورمبرگ ودوّن في كتابه- ان (إلسر) حاول فعلاً قتل هتلر وانه لم يشاركه نازي. اما شللنبرگ وهو اقل ثقة فيقول انه مع شكه بهتلر وهملر وهيدريخ في مبدأ الأمر فقد اقتنع وإستخلص بعد استجواب النجّار وبعد قراءة الإفادات التي أخذت منه بعد حقنه وتنويمه مغناطيسياً انها حادثة محاولة إغتيال حقيقية لا شائبة فيها.

إلاّ أن المحاكمة لم تجر إطلاقاً ونحن نعرف الآن أن هتلر لأسباب يدركها أكثر من غيره لم يجرأ على إجراء المحاكمة، وكذلك نعلم الآن أن (إلسر) قضى مدة في (ساخسنهاوزن) ثم نقل الى (داخاو) ومنح إمتيازات في المعسكر بناءً على أوامر شخصية من هتلر الذي كسب كثيراً من حادثة القنبلة وانه عومل معاملة إنسانية بقدر ما تحتمله الظروف إلا أن همل ظلّ يراقبه الى الأخير. ولم يكن من المناسب الإبقاء على النجار الى مابعد الحرب ليحكي قصته. فقبل نهايتها أعلن الگشتاپو في ١٦ نيسان ١٩٤٥ أن (جورج إلسر) قد قتل على إثر غارة جوية حليفة قبلها بيوم واحدٍ ونحن نعرف الآن أن الگشتاپو قتلوه[٣٣].

-٦-

أحاديث هتلر مع قوّاده

بعد أن نجا من الإغتيال – أو هذا ما أراده أن يبدو، وقضى على تحدي جنرالاته له راح يمضي قدماً في خططه للقيام بهجوم واسع في الغرب. وفي ٢٠ تشرين الثاني أصدر أمره التوجيهي المرقم (٨) لإدارة دفة الحرب. مؤكداً على البقاء في "حالة الإستنفار" "لإستغلال الطقس المناسب حالاً". ووضع الخطط للقضاء على هولندا وبلجيكا ثم بث الشجاعة في النفوس الخائرة ورفعها إلى درجة مناسبة من المعنويات التي كان يراها ضرورية قبيل بدء المعارك الكبرى، ولذلك استدعى قادة الجيوش ورؤساء الأركان الى المستشارية ظهر يوم ٢٣ تشرين الثاني.

وكانت أحاديث على غاية الأهمية تلك التي بادلها قواده العسكريين ويرجع الفضل في وصولها الينا، اكتشاف الحلفاء بعض الوثائق الخاصة بالقيادة العليا للقوات المسلّحة في فلنبرگ Flenburg ووجدت بينها على شكل ملاحظات دوّنها أحد الحاضرين المجهولين[٣٤].

بدأ هتلر بالقول "إن الغرض من هذا المؤتمر هو تزويدكم بفكرة عن عالم أفكاري الذي يسيّرني في وجه الأحداث المقبلة ولإبلاغكم بقراراتي".

كان ذهنه مملوءً بذكرى الماضي والحاضر والمستقبل وقد تكلم مع الفئة القليلة العدد التي استدعاها بصراحةٍ قاسيةٍ وفصاحةٍ بليغة، مقدّماً ملخصاً ممتازاً لكلّ ما مرّ في خياله الخصب المعقّد، ومتنبئاً بدقةٍ تامةٍ بكيفية وقوع الأحداث المقبلة. ومن يسمعه وهو يتحدث يصعب عليه جداً أن لايتصورّ بأن هذا

٣٣- عن الروايات المختلفة لحادث القنبلة. انظر بست: المرجع السالف. شللنبرگ: المرجع السالف. هويلر بينيت: المرجع السالف. رايتلنگر Reitlinger: رجل الحرس الأسود. گزيفيوس (المرجع السالف). يوميات برلين. هناك ايضاً بعض المواد في نورمبرگ اخذت منها بعض الملاحظات استخدمتها وإن لم اجدها في (مؤامرة النازيين ومحاكمة مجرمي الحرب).

٣٤- نصوص الملحوظات مثبتة في (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٣، الص ٥٧٢-٥٨٠) وكذلك وثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، الص ٤٣٩-٤٤٦. وثائق نورمبرگ PS-٧٨٩.

الرجل الذي يقبض بيديه على مصير ألمانيا والعالم – قد أصبح مجنوناً خطراً بلا شبهة.

"[قال في صدد كفاحه الأول] كنت على أتم الإدراك بالمجرى الذى ستتخذه الأحداث التاريخية. والإرادة الثابتة لإتخاذ القرارات القاسية... وكعامل أخير يجب عليّ أن أذكر إسمي وشخصي بكلّ تواضع بإعتباري شخصّية لايمكن إستبدالها. لايمكن أن يوضع مكاني رجل عسكري أو مدنيّ. وقد تتكرر محاولات الإغتيال، وانا مقتنع بقواي العقلية وبصحة قراري... لم ينجز أحد ما أنجزته... لقد قدت الشعب الألماني إلى أعلى عليين حتى لو كرهتنا الدنيا الآن.... إن مصير الرايخ مرتبط بي وحدي، وسأعمل بهذا الأتجاه".

وراح يعتب على الجنرالات لشكهم فيه عندما كان يتخذ "القرارات القاسية" في الإنسحاب من عصبة الأمم، وإعلان التجنيد الاجباري. وإحتلال الراين وتحصينه وضمّ النمسا. "إن الاشخاص الذين وضعوا ثقتهم بي هم أقلية ضئيلة".

وأشار أثناء وصفه فتوحاته بإزدراء وتهكم لم يسمعه چمبرلين لسوء الحظّ "وكانت الخطوة الثانية بوهيميا ومورافيا وپولندا".

"وكان واضحاً لي من اللحظة الأولى بأني لن أقنع بأراضي السوديت الألمانية" ولم تكن إلاّ حلاً جزئياً. فقررت الزحف على بوهيميا وقمت به. ثم تبع ذلك تأسيس المحميّة وبها وضعت الأسس لفتح پولندا، إلاّ أني لم أكن قد قررت في ذلك الحين، هل سأبدأ أولاً ضّد الشرق ثم ضد الغرب، أو بالعكس؟ وازاء ضغط الأحداث، لجأنا الى الإبتداء بپولندا. وقد يتهمني أحدهم بأني أريد القتال ثم القتال في الكفاح أرى مصير كل الكائنات الحيّة. لا أحد يستطيع إجتناب القتال إن لم يشأ أن ينزل الى الدرك الأسفل. إن عدد [الألمان] المتكاثر يحتاج الى مجال حيويّ أكثر. وهدفي هو خلق علاقة عادلةٍ بين عدد الشعب ومجال عيشهم الكافي يجب ان يبدأ القتال من هنا. لا شعب ثَمَّ يستطيع اجتناب حلّ هذه المشكلة وإلاّ إنهار وإستقر في أسفل السافلين... وفي هذا الوضع لايمكن أن يكون الذكاء الدقيق بذي فائدة. والحلّ لايتم بغير السيف. والشعب الذي يعجز عن تجميع قواه للقتال يجب أن يتقهقر..."، إن عيب زعماء ألمانيا السابقين وبضمنهم (بسمارك ومولتكه) هو في رأي هتلر "إفتقارهم الى الصلابة. والحلّ غير ممكن الاّ بمهاجمة بلد من البلاد في اللحظة المناسبة "ان الفشل في إدراك هذه الحقيقة جعلت حرب عام ١٩١٤ تجري "على عدة جبهات". وهي لم تقدم حلاً للمشكلة".

"[واستمر هتلر يقول] اليوم يكتب الفصل الثاني من هذه التمثيلية. للمرة الأولى بعد سبع وستين سنة لانجدنا نخوض حرباً على جبهتين... لكن لا أحد يدري كم سيدوم هذا الوضع... وأنا أساساً لم أنظمّ القوات المسلّحة لتبقى عاطلة ولاتهاجم. إن قرار الهجوم كان دائماً يراود فكري".

وأدىّ التفكير في نعَم الحرب على الجبهة الواحدة بهتلر الى قضية روسيا "لا خطر علينا من روسيا في الوقت الحاضر. فهي ضعيفة لأسباب داخلية عديدة. زد على ذلك ان لدينا معاهدة معها وان كانت المعاهدات باقية بقدر ما تخدم غرضاً. وروسيا ستحافظ على المعاهدة طالما تجد في

المحافظة عليها فائدة... ولديها بدون شكّ أهداف بعيدة، في مقدمتها تقوية مركزها في البلطيق. في إمكاننا مطاولة روسيا ومعاداتها عندما نتحررّ من جبهة الغرب".

أما عن إيطاليا فكلّ شيء يعتمد على موسوليني "الذي قد يغير موتُه كلّ شيء... كما هو الشأن بموت ستالين، لذلك يجلب موت موسوليني أخطاراً علينا. لقد جربت أنا نفسي مؤخراً السهولة التي يطاح بحياة السياسيّ" ولم يفكر هتلر أن الولايات المتحدة خطرة في الوقت الحاضر "بسبب قوانين حيادها" ولم تصل مساعداتها الى الحلفاء الى حدّ كبير يخشى منه على أن الزمن يعمل لصالح الحلفاء. "واللحظة الآن هي مناسبة وفي غضون الأشهر الستة القادمة لن تسنح فرصة مثلها" ولذلك:

"لن يتغيّر قراري. وسأهاجم فرنسا وإنگلترا بأسرع فرصة مناسبة. وخرق حياد بلجيكا وهولندا أمر لا أهمية له. ولن يلومنا أحد على ذلك عندما ننتصر. ولن نبرّر خرقنا الحياد بالشكل السخيف الذي فعلناه في ١٩١٤."

وابلغ قُوّاده أن الهجوم في الغرب يعني "نهاية الحرب العالمية، ليس كعمل واحد فقط. انها لاتتعلق بعمل واحدٍ فقط بل بوجود أو عدم وجود الوطن". ثم اندفع يخطب:

"ان روح عظمائنا في التاريخ يجب أن تشجّعنا جميعاً. إن القدر لايطلب منّا أكثر مما إطّلب من رجال التاريخ الألماني. وسأظلّ طول حياتي افكّر في إنتصار شعبي ولن يصدّني أيّ شيء وسأبيد كل من يقف في وجهي... اني أريد القضاء على العدو قضاءً مبرماً!"

كانت خطبة رعناء، ولم يُعرف أن رفع جنرال واحد صوته للإعراب عن شك يعتور كل قادة العسكر الألمان حول نجاح هجوم غربي في هذا الوقت، ولا للإعتراض على مجافاة الهجوم على بلجيكا وهولندا لمكارم الأخلاق أو الأعراف الدولية تلكما الدولتان اللتان ضمنت ألمانيا حيادهما. وبحسب رواية بعض القادة الذين كانوا حاضرين. كانت ملاحظات هتلر حول الروح الضعيفة التي تلازم كبار القادة في الجيش وهيئات الأركان، أقوى بكثير من الأحاديث السالفة.

وفي الساعة ٦ من مساء اليوم نفسه بعث إله الحرب النازي بطلب براوختش وهالدر مرة أخرى. وألقى على الأول منهما محاضرةً عنيفة عن "روح زوسّن" بينما أبقى رئيس هيئة الأركان ينتظر خارج مكتبه كأحد الصبيان الذين إرتكبوا عملاً سيئاً. واتهم هتلر "قيادة الجيش العليا" بشيوع روح "الإندحارية" فيها وأن أعضاء أركان حرب هالدر "يقفون موقفاً عنيداً لايدعهم يسيرون مع هتلر بإنسجام" فعرض براوختش المدحور إستقالته كما بيّن بعد ذاك في محاكمات نورمبرگ إلاّ ان هتلر رفضها وذكّره بلهجة حادة - كما يذكّر القائد العام - "بأن عليه إنجاز واجبه وإلتزاماته كأي جنديّ آخر". وفي تلك الليلة دوّن هالدر في يومياته عبارة واحدة بطريقة الإختزال "يوم أزمة"[٣٥].

كان الثالث والعشرون من تشرين الأول ١٩٣٩، يوماً مرحلياً من عدة وجوه. ففيه تعيّن قرار هتلر

٣٥- يوميات هالدر - ٢٣ تشرين الثاني وحاشيته التي أضافها فيما بعد. شهادة براوختش في نورمبرگ (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) ج٢٠، ص٥٧٥.

النهائي للتغلب على الجيش الذي كان في الحرب العالمية الأولى قد نحّى القيصر ڤلهلم الثاني جانباً. وفيه إضطلع بالسلطة السياسية العليا في ألمانيا فضلاً عن السلطة العسكرية. ومن ذلك اليوم فصاعداً بات نائب العريف النمساوي السابق يعتبر أحكامه السياسية والعسكرية هي العليا، وقراراته فوق قرارات جنرالاته وأبى أن يصغي الى نصحهم أو يسمح بإنتقاداتهم والنتيجة كانت كارثة للجميع.

قال براوختش لمحكمة نورمبرگ في حوادث يوم ٢٣ تشرين الثاني: "لقد شُقّ برزخ سُدّ فيما بعد، إلاّ أنه لم يلتحم تماماً أبداً".

زد على هذا أن خطبة هذا اليوم الخريفي ثبطت عزم هالدر وبراوختش (مهما كان عزمهما فاتراً) على محاولة ازاحة هتلر. لقد انذرهم بأنه سيبيد كل من يقف في سبيله ويقول (هالدر) ان الدكتاتور النازي اضاف الى حديثه "اعتزامه على قمع اي معارضة له تأتي من هيئة الأركان بأقسى ما يمكن". ولم يعد هالدر في هذه اللحظة بذلك الرجل الذي يستطيع تحمّل هذا التهديد الفظيع. وحين ذهب الجنرال توماس إليه بعد أربعة أيام (٢٧ تشرين الثاني) بإيعاز من (شاخت وپوپتز) وطالبه بإستمرار الضغط على براوختش للقيام بعمل ضد هتلر (ذكر هالدر أن توماس قال له "يجب أن يزاح هتلر!") ماكان من رئيس هيئة الأركان إلاّ وراح يعدّد له "المصاعب" وقال له أنه غير متأكدٍ الى حدّ الآن ان براوختش "سيساهم مساهمة فعالة في إنقلاب عسكري"[٣٦].

بعد ذلك بأيام قلائل أدلى (هالدر) بأقنع الأدلة التي تحول دون المضيّ في خطط الخلاص من الدكتاتور النازيّ. وقد سجلها هاسّل في يومياته، وكتب: "إن المرء لايمكن ان يثور وهو يواجه العدوّ" واضاف نقلاً عن هالدر أيضاً "علينا أن نعطي هذه الفرصة الأخيرة لإنقاذ الشعب الألماني من عبودية الرأسمال الإنگليزي... ليس يوجد شخصية عظيمة تحت اليد... ان المعارضة لم تنضج نضوجاً كافياً... نحن لسنا متأكدين من اتجاهات الضباط الصغار". وناشد (هاسّل) بنفسه الأميرال كاناريس أحد زعماء المؤامرة الأول للمضي في الخطة فلم يلقَ أذناً صاغية "لقد يئس من جدوى المقاومة التي يملكها الجنرالات". وعقّب يقول في يوميته ٣٠ تشرين الثاني: "ان كاناريس يرى من العبث القيام بأي محاولة في هذا الإتجاه" وبعدها بقليل كتب يقول: "هالدر وبراختش ليسا إلاّ خدماً لهتلر"[٣٧].

٣٦- إفادة هالدر في نورمبرگ (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ملحق (ب) الص ١٥٦٩-١٥٧٠ انظر ايضاً: الجنرال توماس: المرجع السالف.

٣٧- هاسل: المرجع السالف. الص ٩٣-٩٤ و١٧٢.

-٧-

الإرهاب النازي في پولندا
-المرحلة الأولى-

لم تمرّ أيام كثيرة على مهاجمة ألمانيا پولندا، إلاّ وراحت يوميتي تمتليء بتسجيلات عن وقائع الإرهاب النازي في الأرض المحتلة. وسيعلم المرء فيما بعد أن مذكرات كثيرة أخرى ملئت بمثل هذه الوقائع ايضاً. وقد سجلّ (هاسّل) في ١٩ تشرين الأول سماعه "بالفظائع الوحشية التي يرتكبها الحرس الأسود، وبخاصة ازاء اليهود" وبعدها بقليل سجل قصّة رواها له ملاّك ألمانيّ في إقليم (پوزن): "آخر ما رآه هناك، قائد حزبٍ منطقيّ سكر حتى ثمل، فأمر بفتح باب السجن: وأردى بالرصاص على خمس عاهرات، وحاول مواقعة إثنتين[٣٨]".

في ١٨ تشرين الأول كتب هالدر في مذكراته، النقاط الرئيسة التي وردت في حديثه مع الجنرال ادوارد ڤاگنر Eduard Wagner مدير الميرة والذخيرة في الجيش الذي كان قد بحث مع هتلر حول مستقبل پولندا. ذلك المستقبل الذي سيكون قاتماً:

"نحن لانتوي إعادة بناء پولندا... لن تكون دولة نموذجية بالمستوى الألماني. الأنتلجنسيا الپولنديون يجب ان يحال بينهم وبين أن يكونوا طبقةً حاكمةً. يجب أن يحافظ على مستوى معيشة منخفضٍ.. عبيد قليلوا الكلفة...

يجب أن يخلق حالة من عدم تنظيم عامةً! إن الرايخ سيمنح الحاكم العام الوسائل لتنفيذ هذه الخطة الشيطانية!"

ولقد فعلها الرايخ.

يمكننا الآن أن نعرض شيئاً مختصراً عن بداية الإرهاب النازي في پولندا، مستخلَصاً من الوثائق الألمانية المستولى عليها والمعروضة في مختلف محاكمات نورمبرگ كدلائل إثبات. ولم تكن إلاّ طلائع للأعمال السوداء الوحشية التي قدّر أن يمارسها الألمان فيما بعد على جميع الشعوب الخاضعة لهم ولكنها ظلّت من البداية الى النهاية أنكى واشدّ هولاً في پولندا مما كانت في أيّ بلد آخر. فهنا بلغت بربرية النازيين ذروة لاتصدّق.

قبل الشروع في الهجوم على پولندا ذكّر هتلر جنرالاته في مؤتمر(أوبرسالزبرگ) ٢٢ آب بأن اشياء ستحدث " لن تكون ملائمة لأذواق الجنرالات الألمان" وانذرهم بأن عليهم "ألاّ يتدخلوا في هذه الأمور ويحصروا إهتمامهم بواجباتهم العسكرية". وكان يعرف ماذا يقول. وانثالت على المؤلف من

٣٨- المرجع السالف: الص ٧٩و٩٤.

برلين وپولندا تقارير لاتحصى عن مذابح النازيين. وكذلك على الجنرالات. وفي ١٠ أيلول والمعركة في پولندا على أشُدها كتب هالدر في يومياته ما إشتهر أمره وذاع في كل برلين. قال: أخذ بعض رجال الحرس الأسود الأوباش المنّسبين الى كتيبة المدفعيّة، خمسين يهودياً وسخروهم طوال اليوم في اصلاح جسر ثم أدخلوهم كنيسةً و"ذبحوهم عن بكرة أبيهم" وكتب هالدر: حتى (الجنرال ڤون كوخلر) قائد الجيش الثالث، الذي كانت ستثور به النفس أحياناً فيما بعد، أبى المصادقة على الأحكام الخفيفة التي صدرت بحق القتلة من المجلس العسكري (سنة سجن واحدة لكل منهم) محتجاً بأن العقوبة خفيفة جداً. إلاّ أن قائد الجيش براوختش ألغى العقوبة برمتها بعد أن تدخل هملر، بحجة القتلة هم من المشمولين بالحصانة العسكرية العامّة".

يعتبر الجنرالات الألمان أنفسهم مسيحيين أتقياء، ولذلك وجدوا انفسهم في موقف شديد الحراجة. وفي ١٢ أيلول جرى في قطار الزعيم الخاص إجتماع بين (كايتل) والأميرال (كاناريس) إحتجّ فيه الأخير على الفظائع المرتكبة في پولندا، فأجاب الإمّعة رئيس القيادة العامة للقوات المسلّحة بحدة "أن (الزعيم) قد قرر شيئاً بهذا الخصوص" واذا كان "الجيش لايريد المساهمة في مثل هذه الأمور فعليه أن يرضى برجال الحرس الأسود والگشتاپو كمنافسين له" أعني عليه أن يوافق على وجود مفوضية من للحرس الأسود في كلّ وحدة عسكرية "ليقوموا بعمليات الإبادة".

"[كتب كاناريس في مذكراته التي عرضت في نورمبرگ] نوّهت للجنرال كايتل بأني على إطلاع بالخطط الواسعة لعمليات القتل في پولندا وأن الإبادة ستشمل بصورة خاصّ طبقات النبلاء ورجال الدين وسيكون الجيش الألماني هو الملوم أمام العالم على هذه الأعمال.(٣٩)

وكان هملر ماكراً في جعل الجنرالات يحملون قسطاً من المسؤولية. ففي ١٩ أيلول قام هيدريخ هملر رئيس مساعديه بزيارة مقر القيادة العليا وأبلغ الجنرال ڤاگنر بخطط الحرس الأسود لتنظيف "وكنس" اليهود [الپولنديين] والمثقفين ورجال الدين والنبلاء". ودوّن هالدر ردّ الفعل الذي أحدثه فيه هذا المخطط بعد أن ابلغه به (ڤاگنر) رسمياً فكتب يقول: "الجيش يصّر على أن "عملية الكنس" يجب أن تؤجل حتى تنسحب قطعاته ويتمّ تسليم البلاد الى السلطات المدينة في أوائل كانون الأول".

هذه الفقرة الصغيرة التي دوّنها رئيس الأركان تقوم بمثابة مفتاح لفهم أخلاق الجنرالات الألمان. انهم لن يعارضوا عملية "التنظيف" معارضة جديّة – اعني إبادة يهود پولندا ومثقفيها ورجال دينها ونبلائها بل سيطلبون "إرجاءها" فحسب حتى يخرجوا من پولندا، وبذلك يتخلصون من المسؤولية. وبطبيعة الحال يجب ان يؤخذ الرأي العام الأجنبي بنظر الإعتبار كما كتب هالدر في مذكراته بعدها بيوم واحد عقب حديثه طويل مع براوختش حول "التنظيف" في پولندا. قال: "لن يحدث أي شيء، قد يتيح الفرصة للبلاد الأجنبيّة لشنّ حملة دعاية ضّد الفظائع من أي نوع كان مبنية على مثل هذه

٣٩- من مذكرات أمير البحر كاناريس (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٥، ص٧٦٩ (وثائق نورمبرگ ٣٠٤٧ PS).

الأحداث. أرجال الدين الكاثوليك؟ شيء غير عملّي هذه المرّة".

في اليوم التالي(٢١ أيلول). أرسل (هيدريخ) الى قيادة الجيش العامّة نسخة من أولى خطط تنظيفه". كخطوة أولى يجب أن يجمع اليهود كلهم في المدن (حيث يسهل حصرهم لأجل التصفية) وصرح يقول "ان الحلّ النهائي" سيقتضي له وقت طويل لإكماله ويجب ان يبقى "في طي الكتمان الشديد"، لكن لم يشكّ أحد من الجنرالات الذين قرأوا هذه المذكرة السرّية بأن "الحلّ النهائي" معناه الإبادة[٤٠]. وعندما حان الوقت لتنفيذه خلال سنتين من تاريخه أصبح هذا المصطلح أشنع إسم يتبادله موظفو الألمان الكبار لتغطية أفظع جريمة ارتكبها النازيون في وقت الحرب على الإطلاق.

بعد أن اخذت روسيا السوڤيتية حصتها من پولندا الشرقيّة وضمت ألمانيا الأقاليم التي كانت تعود لها في السابق مع أراضٍ إضافية أخرى رسمياً وبموجب مرسوم أصدره الزعيم في ١٢ تشرين الأول عُـيّن هانس فرانك حاكماً عاماً لما بقي من البلاد ونصب (سيسيس انكوارت) الكويزلنگ النمساويّ نائباً له. كان فرانك نموذجاً كاملاً للمثقف النازيّ الوغد. إلتحق بالحزب في ١٩٢٧ بعد تخرجه في كلية الحقوق مباشرةً، واشتهر حالاً بوصفه المستشار القانوني للحركة. كان شخصاً نشيطاً حاضر البديهة كثير التتبع لا في القانون وحده بل في كل ميادين الأدب، شديد التعلق بالفنّ وبخاصة في الموسيقى. واصبح حجّة قانونيه للحزب بعد أن تولى النازيون الحكم، وعيّن أول مرة وزيراً للعدل في پروسيا. ثم وزيراً للرايخ بلا وزارة. ورئيساً لأكاديمية القانون ونقيباً للمحامين. رجل قاتم البشرة خفيف الحركة وأب لخمسة أطفال كان ذكاؤه وثقافته قد غلبا بعض الشيء على تعصبّه البربريّ ولذلك بدا في إختياره لمنصبه هذا وكأنه أقل المحيطين بهتلر شراً وكرهاً. لكن خلف هذا المظهر المهذب كان يختفي قاتل صخريّ القلب. إنّ مذكراته التي تبلغ إثنين وأربعين مجلداً والتي دوّن بها وقائع حياته وأعماله، من مبرزات في محاكمات نورمبرگ كانت[٤١] واحدة من أشنع الوثائق المفزعة التي تمخضت بها دنيا النازية السوداء. انها تصور مؤلفها رجلاً قاسياً متعطشاً للدماء جامد العاطفة متبلد الإحساس. ويبدو أنه كان أميناً لم يغفل رواية اي واقعة من اعماله الشنعاء او تدوين اي قول بذيء نطق به.

صرح بعد يومٍ واحدٍ من تسلّمه وظيفته "أن الپولنديين سيكونون عبيداً للرايخ الألماني" وعندما سمع مرّة بأن (نيوراث) حامي بوهيميا قد علّق إعلانات تذيع نبأ تنفيذ حكم الموت بسبعة من طلاب الجامعة الچيك، قال لأحد الصحفيين النازيين معقباً "لو خطر ببالي أن آمر بتعليق إعلانات عن كل سبعة من الپولنديين يرمون بالرصاص فلن يكفيني كل غابات پولندا لعمل ورق لها[٤٢]، وأوكل لهملر

٤٠- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٦، الص ٩٧-١٠١. (وثائق نورمبرگ ٣٣٦٣- PS).

٤١- وجدها في شهر أيار ١٩٤٥ الملازم والترشتاين من الجيش السابع الأمريكي في شقة (فرانك) في أوتيل بركهوف قرب نيوهاوس- بباڤاريا.

٤٢- "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" ج١، ص٢٩٧.

ولهيدريخ بأمر من هتلر - مهمّة تصفية اليهود. وكان فرانك يتولى الى جانب إعتصار القوت والأرزاق وعمل السخرة من پولندا، أمر القضاء على الطبقة المثقفة في البلاد. وللنازيين إسم اصطلاحي جميل لهذ العملية (تدابير التهدئة الإستثنائية Asserordenliche Befriedigungsoktion) أو "تدابير أبٍ" كما عرفت فيما بعد. وقد اقتضى وقت طويل لفرانك حتى يقوم بتحقيقها عملياً، لم يبدأ بها إلاّ في أواخر الربيع التالي عندما طغت أخبار الهجوم في الجبهة الغربية على أنباء پولندا واسترعت إنتباه العالم، وبمجيء ٣٠ أيار أظهرت مذكراته، بأنه فخر في حديث خاص مع ضباط شرطته بالتقدم الحسن الذي حققه، بإزهاق أرواح بضعة آلاف من المثقفين الپولنديين أو بقرب إزهاقها.

وناشدهم بقوله "أطلب منكم ايها السادة أن تلجأوا إلى أقسى الإجراءات الممكنة لمعاونتنا في هذه المهّمة. وقال لهم بشكل سرّي بأن هذه هي "تعليمات الزعيم" الذي اعرب عن أوامره بهذه العبارة: "الرجال الذين يتوسم فيهم الزعامة والقيادة في پولندا يجب أن تتم تصفيتهم هم ومن يلحق بهم... يجب أن يصفّوا بدورهم ولا حاجة تدعو إلى القاء هذا العبء على الرايخ... لا ضرورة لإرسال هذه العناصر الى معسكرات الإعتقال في الرايخ. سيزاحون عن الطريق ها هنا في پولندا"[٤٣].

اشار فرانك في مذكراته الى أن رئيس شرطة الأمن قدم أثناء الإجتماع تقريراً يبشّر بتقدمٍ. وقال أن حوالي ألفي رجلٍ وبضع مئات من النساء قد ألقي القبض عليهم "في بداية العمل بمشروع التهدئة الإستثنائية" وقد صدر "حكم فوراً" على معظمهم (وهذا تعبير نازي يقصد به إزهاق الروح)، وانه بوشر بجمع الطبقة الثانية من المثقفين "للحكم الفوريّ". هناك حوالي (٣٥٠٠) مثقف من أخطر الانتلجنسيا الپولندية يجب أن نتولّى أمرهم[٤٤]. ولم يهمل فرانك اليهود، وان كان الگشتاپو قد انتزع المهمّة المباشرة في التصفية منه. مذكراته ملأى بأفكاره وإنجازاته في الموضوع. وتسجّل في ١٧ تشرين الأول ١٩٤٠ خطبةً في إجتماع نازي في پولندا لخّص فيها مجهودات سنته الأولى.

"رفاقي الاعزّة... إني لاأستطيع استئصال كلّ اليهود والقمّل في سنة واحدة [واشار الى ان المجتمعين "إلتذّوا" لهذه العبارة] لكن سأحقق هذا بمرور الزمن وبمساعدتكم[٤٥]."

وقبل عيد الميلاد بأسبوعين (١٩٤٠) ختم إجتماع الوزراء برآسته في كراكاو مقّره بقوله:

"بقدر مايتعلق الأمر باليهود أريد أن اقول لكم بكل صراحة: يجب التخلص منهم بأي كيفية... أيها السادة أرى من واجبي أن أطلب منكم التجرّد من كل مشاعر الرحمة. علينا أن نبيد اليهود إبادة تامة.

وأقرّ أنه يصعب "القضاء على ثلاثة ملايين ونصف المليون من اليهود في (الحكومة العامة) برميهم بالرصاص أو تسميمهم، لكن يمكن إتخاذ تدابير من شأنها أن تؤدي الى القضاء عليهم جميعاً

٤٣- المرجع السالف: ج٧، الص ٤٦٨-٤٦٩.
٤٤- المرجع السالف: ج٢٩، الص ٤٤٧-٤٤٨.
٤٥- المرجع السالف: ج٤، ص٨٩١. (وثائق نورمبرگ ٢٢٣٣ -CPS).

بشكل ما "فكانت نبوءة دقيقة"(٤٦).

بدأت عملية إخراج اليهود والپولنديين من منازلهم التي سكنوها هم وأسرهم أجيالاً بعد إنتهاء القتال مباشرة. وفي ٧ تشرين الثاني، وبعد إلقاء خطبة الرايخشتاغ السلمية بيوم واحد عيّن هتلر، هملر رئيساً لمنظمة جديدة اطلق عليها (مفوضية الرايخ لتقوية الروح القومية الألمانية) أو إختصاراً (R.K.F.D.V) ومهمتها تنفيذ عمليات تهجير الپولنديين واليهود أولاً من الأقاليم الپولندية الملحقة رأساً بألمانيا وإسكان الألمان (الفولكز دويتچ) في محلهم والآخرون هم الألمان الذين يتمتعون بجنسية أجنبية ومن الذين أخذوا يتدفقون الى الداخل من أراضي البلطيق المهددة وبعض الأصقاع الپولندية البعيدة. كان (هالدر) قد سمع بالخطة قبل أسبوعين وذكر في يومياته "من كل ألماني ينتقل الى هذه الأراضي يهجّر شخصان الى پولندا في مكانه".

في ٩ تشرين الأول، بعد إنقضاء يومين عن تسلّمه آخر وظائفه هذه، أعلن هملر أن ٥٥٠٠٠٠ من أصل ٦٥٠٠٠٠ يهودي يسكن في الأقاليم الملحقة مع كلّ الپولنديين الذين لايصلحون "للإستيعاب" سيرحّلون إلى أراضي (الحكومة العامة) شرقي الڤستولا. وفي خلال سنة واحدة إقتلع ١٢٠٠٠٠٠ پولندي و٣٠٠٠٠٠ يهودي ورحّلوا الى الشرق، ولم يؤتَ الى مناطقهم بأكثر من ٤٩٧٠٠٠ ألمانيّ، وهو أفضل من النسبة التي نوّه بها هالدر ثلاثة پولنديين مقابل ألماني واحد يسكن في مكانهم.

كان شتاء ١٩٣٩-١٩٤٠ قاسياً على غير المألوف كما يذكر المؤلف وكانت الثلوج تتساقط مدراراً وبكميات هائلة. وكانت عملية "الإسكان المحدّد" تجري في درجة الصفر المئوية، وأثناء عواصف ثلجية في كثير من الأحيان. وقد أزهقت من أرواح الپولنديين واليهود أكثر مما أزهقته مشانق النازي ورصاصهم ويتمكن الإقتباس من هملر بوصفه خير مرجع. فقد وجّه كلمة الى ضباط حرس الصاعقة (Leibatandarte s.s) في الصيف التالي بعد سقوط فرنسا أتى فيها الى المقارنة بين التهجير الذي قام به رجاله في الشرق وبين ذلك الذي شرع فيه أعوانه في الغرب.

"[لقد] حدث في پولندا، في طقس يقل عن أربعين درجة تحت الصفر، أن نقلنا آلافاً عشرات الألوف بل مئات الألوف وبلغت حميتنا الحد الذي اضطرنا الى قتل الألوف من وجهاء الپولنديين (من الضروري ان تسمعوا هذا، وعليكم أيضاً ان تنسوه فوراً).

إيها السادة... انه لأسهل كثيراً خوض معركة حربية في سرّيةٍ من إخضاع أناس متعبين ذوي مستوى حضاريّ متدنٍ، أو تنفيذ أحكام الموت أو إبعاد السكان أو تهجير النساء الباكيات الهستيريات(٤٧).

في ٢١ شباط ١٩٤٠، قام ريشارد گلوكس Richard Gluecks الزعيم الأعلى في الحرس الأسود، ورئيس هيئة التفتيش لمعسكرات الإعتقال بجولة إستكشاف قرب (كراكاو) وبنتيجة جولته أبلغ هملر

٤٦- المرجع السالف الص ٨٩١-٨٩٢.
٤٧- المرجع السالف الص ٥٥٣-٥٥٤.

بأنه وجد "موقعاً مناسباً" لـ(معسكر ومحجر) جديد في (آوشويتز Auschwitz) وهي بلدة متروكة مهملة تحيط بها المستنقعات يقطنها زهاء إثنتي عشرة ألف نسمة، يوجد فيها بعض المصانع الى جانب ثكنات قديمة لسلاح الفرسان النمساويّ. فبوشر بالعمل فوراً وتمّ افتتاح (آوشويتز) في ١٤ حزيران بصورة رسميّة، بوصفه معسكر إعتقال للموقوفين السياسيين البولنديين الذين يميّزهم الألمان بمعاملة خاصة. وقدّر له أن يصبح في فترة وجيزةموضعاً لإرتكاب اهول الجرائم. يفوق كل تصور. وفي الوقت عينه اكتشفت شركة (فاربن) وهي الترست الكيمائي العظيم أن "آوشويتز" موقع مناسب لتأسيس مصنع لتكرير النفط الصناعيّ وصنع المطاط، فتكاليف بناء المصنع؛ رخيصة هناك، كما أن الإنتفاع بعمل السخرة الرخيص مضمون لإدارة العمل.

وارسل الى معسكر إعتقال (آوشويتز) في صيف ١٩٤٠ عصابة من شرّ ما خلق الله من الحرس الأسود للقيام بالإشراف عليه، وإمداد شركة (فاربن) بعمل السخرة. وكان بين هذه الصفوة المنتقاة (جوزف كرامر Josef Kramer) الذي عرفه الرأي العام البريطاني فيما بعد باسم "سفّاح بيلسن Belsen" و(رودولف فرانز هويس Rudolf Franz Hoess) وهو قاتل محكوم قضى في السجن خمسة أعوام وأنفق معظم سنوات شبابه سجيناً ثم سجاناً وتباهى في ١٩٤٦ (وكان له من العمر ٤٦ عاماً) أمام محكمة نورمبرگ، بأنه أشرف في آوشويتز على إحراق مليونين ونصف مليون إنسان وليس من ضمنها نصف مليون آخر تركوا "ليموتوا جوعاً".

سرعان ماقدّر (لآوشويتز) أن يكون أشهر معسكر للإبادة Vernichtungslager، وهذا هو الفرق بينه وبين معسكرات الإعتقال الأخرى إذ لم ينج من براثن الموت الاّ القليل من نزلائه وكان للأمر دلالته الصارخة لدى الألمان وبخاصة أولئك الألمان المحترمين، ان تقوم هذه الشركة الشهيرة المعروفة عالمياً بمدرائها الذين تمتعوا بالإستقامة وعرفوا بالنزاهة التجارية وبمخافة الله جميعاً، بإختيار معسكر الموت هذا لإستثمار موقعه المناسب في أعمال تدرّ أرباحاً عليها.

-٨-

احتكاك بين الدكتاتورَين

أخذ محور برلين-روما يصرّ صرير الصدأ. في أول خريف من الحرب. وتُبودلت بين الجانبين الردود الحادة على عدة مستويات، وفي خلافات عديدة: عدم قيام الألمان بإخلاء جنوب التيرول الإيطالي من الرعايا الألمان كما كان متفقاً عليه في حزيران الفائت وتقاعس ألمانيا عن إمداد إيطاليا بمليون طن من الفحم شهرياً وإستمرار تجاهل الإيطاليين الحصار البريطاني وعدم تجهيز ألمانيا بالمواد الأولية التي كانت تحصل عليها إيطاليا من خلال الحصار وتنامي التجارة الإيطالية مع بريطانيا وفرنسا وبضمنها

بيع مواد حربيّة منها. وأخيراً ازدياد كره تشيانو للألمان.

وكان موسوليني كالعادة متذبذباً. وسجّل تشانو تردده في يومياته. وفي ٩ تشرين الثاني تعنّى موسوليني في تنظيم برقية الى هتلر يهنئه بخلاصه من حادث الإغتيال. فكتب تشيانو:

"أرادها [اي البرقية] أن تكون حارّة، لكن ليست شديدة الحرارة، لأنه كان يرى أنه لم يشعر إيطالي واحد بالغبطة لنجاة هتلر من الموت - والدوتشي اقلّهم في هذا.

٢٠ تشرين الثاني... بالنسبة إلى موسوليني كان فكرة شنّ هتلر حرباً أمراً لايحتمله، وأسوء من ذلك أن يربح تلك الحرب".

راح الدوتشي بعد عيد الميلاد بيومٍ واحد، يعرب عن "أمنيته في إندحار ألمانيّ". وأمر تشيانو أن يبلغ بلجيكا وهولندا سراً بأن الهجوم عليها سيتّم وشيكاً،[٤٨] ولكن بمجيء عيد رأس السنة بات موسوليني يتكلم عن دخوله الحرب الى جانب هتلر.

والسبب الرئيس لإحتكاك دولتي المحور، هو سياسة ألمانيا المساندة لروسيا. في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ هاجم الجيش الأحمر السوڤيتي فنلندا. ووجد هتلر نفسه في وضع ذليل مزرٍ للغاية. فبعد أن طُرد من البلطيق وهو الثمن الذي دفعه لميثاقه مع ستالين وبعد أن أضطر على جناح السرعة الى إخلاء الأسر الألمانية التي كانت تعيش في تلك الدول قروناً متعاقبةً. عليه الآن مسايرة روسيا في هجومها المفاجيء على الدولة الصغيرة التي تربطها بألمانيا وشائج قوية والتي أنتزع إستقلالها قسراً من الإتحاد السوڤياتي وثبت كيانها المعادي للشيوعية بتدخل القوات النظامية الألمانية في ١٩١٨[٤٩]. فكانت جريمة مرّة نزلت في بلعوم هتلر كالسّم. وأرسلت تعليمات مشددة إلى البعثات الدبلوماسية الألمانية في الخارج وإلى الصحافة الألمانية والإذاعة لمساندة التدخل الروسيّ واجتناب الإعراب عن أية مشاعر عطفٍ على الفنلديين.

وكانت هذه آخر قطمير يوضع على كاهل موسوليني، فنفذ صبره، وكان عليه ان يعالج تظاهرات معادية للألمان تفجرت في كل أنحاء إيطاليا، ومهما يكن فانه قام في ٣ كانون الثاني بنفث كل مايعتمل في صدره بكتاب مطولّ الى الزعيم. لم يكتب مثله كتاباً من قبل بمثل هذه الصرامة ولن يكتب من بعده. وكان فيه الدوتشي عظيم الوضوح، كثير الاستعداد لتقديم النصح العاتب الشبيه بالتعزير.

قال أنه "متأكد تماماً" بأن ألمانيا لاتستطيع "إرغام فرنسا وإنكلترا أو التفريق بينهما وإن

٤٨- أوصل تشانو الإنذار الى السفير البلجيكي في روما بتاريخ ٢ كانون الثاني. ونوّه بذلك في يومياته. بالنسبة الى ڤايسيكر فهو يروي أن الألمان افلحوا في حلّ رموز برقيتين بالجفرة صادرتين من السفير الى بروكسل حاويتين الإنذار الإيطاليّ. (وثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، ص٦٨٣ - هامش).

٤٩- هذه الحادثة التالية تكاد تكون غير معروفة إلاّ من القليلين. وهي من مطويات التاريخ: في ٩ تشرين الأول ١٩١٨ إجتمع الدايت الفنلندي يحدوه الايمان بإنتصار الألمان في الحرب وانتخب بأغلبية ٧٥ صوتاً مقابل ٢٥ صوتاً الأمير فردريك كارل أوف هسّ ملكاً مقبلاً لفنلندا إلاّ ان إنتصار الحلفاء بعد شهر من حكم على هذا القرار العجيب بالموت.

ساعدتها إيطاليا. وإن الإعتقاد بذلك وهمٌ وخداع للنفس. إن الولايات المتحدة لن تسمح بهزيمة الديمقراطيات التامة". ولهذا وبعد أن ضمن هتلر حدوده الشرقية، هل كان من الضروريّ "المخاطرة بالكلّ -ومن ضمن الكلّ النظام نفسه- والتضحية بزهرة الجيل الألماني" لمحاولة دحرها؟ والسلم يمكن الوصول اليه اذا سمحت ألمانيا بكينونة "دولة پولندية متواضعة منزوعة السّلاح خالصة القوميّة. إلاّ اذا كنتَ عاقد العزم على الإستمرار في الحرب حتى النفس الأخير" واضاف يقول "أعتقد أن إيجاد دولة پولندية... سيكون عنصراً ينهي الحرب ويخلق ظروفاً صالحة للسّلم".

على أن صفقة ألمانيا مع روسيا هي أهمّ ما أشغل بال الدكتاتور الإيطالي.

"لقد كسبتْ روسيا من الحرب دون أن تضرب ضربة واحدة. واقتطعت حصة من پولندا واستحوذت على البلطيق، لكني أنا الثوري بالولادة أقول لك انك لاتستطيع التضحية بمباديء ثورتك على طول الخط في سبيل الضرورة التاكتيكية التي يستدعيها موقف سياسيّ معينّ... ومن واجبي أن أضيف على هذا بأن خطوة أخرى واحدة تخطوها في علاقاتك مع موسكو قد تسفر عن نتائج وخيمة العاقبة في إيطاليا..."[٥٠]

لم يكن كتاب موسوليني إنذاراً لهتلر حولترديّ العلاقات الألمانية الإيطالية فحسب، بل أصاب هدفاً سهلاً في الصميم: ألا وهو شهر عسل الزعيم مع روسيا السوڤيتية الذي بدأ الطرفان يضيقان به ذرعاً. ولقد جاءته منه مكاسب أخرى. والوثائق الألمانية المستولى عليها تكشف مثلاً عن واحد من أسرار الحرب التي كان يلفّها الكتمان الشديد ولم يعرف عنها شيء: فمن المساعدات السوڤيتية التي نالها هتلر فتح المرافيء للسفن الألمانية في المحيط المنجمد الشمالي والبحر الأسود والمحيط الهاديء، أمكن ألمانيا من إستيراد المواد الأولية التي هي في أشد الحاجة اليها ولم تكن قادرة على الفوز بها نظراً للحصار الإنگليزي.

في ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ نزل مولوتوف الى حدّ الموافقة على دفع الحكومة السوڤيتية اجور النقل عن كل البضائع التي تحملها خطوط السكك الحديد الروسية[٥١]. وأمّن للسفن الألمانية التزود بالوقود والإصلاح والترميم وغير ذلك من التسهيلات حتى للغوّاصات في مرفأ المحيط الشمالي تريبركا Teriberka الواقع شرق مورمانسك Murmansk - رأى مولوتوف أن هذا الميناء الأخير "ليس معزولاً عزلاً كافياً" وإن (تريبركا) "هي أصلح لأنها أبعد ولاترسو فيها السفن الاجنبية[٥٢]".

وظلتّ موسكو وبرلين تفاوضان طوال خريف وأوائل شتاء ١٩٣٩ حول زيادة حجم التبادل التجاريّ بين البلدين. وبنهاية تشرين الأول زوّدت روسيا ألمانيا بكميات كبيرة من المواد الأولية ومن جملتها النفط والقمح على الأخص. إلاّ ان الألمان كانوا يطلبون المزيد. على أنهم صاروا يعلمون أن السوڤييت

٥٠ - النص في المرجع السالف الص ٦٠٤-٦٠٩.
٥١- المرجع السالف: الص ٣٩٤.
٥٢- المرجع السالف: ص ٢١٣.

بارعون صلبون في التجارة أيضاً، كما هم بارعون صلبون في السياسة وفي الأول من تشرين الأول- على رواية ڤايسيكر- قام كل من الفيلدمارشال گورنگ واميـر البحر الأكبر (رايدر) والكولونيل جنرال كايتل، "بصورة مستقلة ومن دون ان يدري احدهما بالآخر" بالاحتجاج لدى وزارة الخارجية بأن الروس يطلبون الكثيـر من المواد الحربيـة الألمانيـة. وبعدها بشـهـر واحد عـاد كـايتل يشكو الى (ڤايسيكر) بأن طلبات الروس للمصنوعات الألمانيـة وبخاصّة المكائن والآلات لإنتاج الذخائر الحربيـة "تزداد كماً حتى فاقت حدّ المعقول"(٥٣).

لكن إن ارادت ألمانيـا من روسـيـا قـوتاً ونفطاً فـعليـهـا أن تدفع ثـمنه بضـائع تريدها مـوسكو وتحتاجها. وكان الرايخ المختنق بالحصار، يحتاج الى هذه الضروريات من روسيا الى حدّ يجلّ عن الوصف، بحيث أن هتلر أمـر في ٣٠ آذار ١٩٤٠ وفي أحرج السـاعـات "بأن تزويد الروس بالمواد الحربيّة يجب ان يحظى بالأولويّة حتى على حاجة القوات المسلّحة الألمانية(٥٤)".

وقد أدىّ بهم الحال إلى أن سلموا روسيا الطراد الثقيل لوتسوف Luetzow قبل أن يكمل، كجزء من المستحق لموسكو. وقبلها في ١٥ تشرين الأول اقترح أمير البحر (رايدر) أن يبيع من الروّس تصاميم ومخططات البـارجة بسـمارك، اضخم بارجة في العالم (٤٥٠٠٠ طن) وكانت في طور البناء، إن "دفعوا بها ثمناً عالياً"(٥٥).

في نهاية ١٩٣٩ صار ستالين يساهم شخصياً في المفاوضات مع الوفد التجاري الألماني في موسكو. ووجده الاقتصاديون الألمان تاجراً حاذقاً لايشق له غبار. وفي وثائق وزارة الخارجية المستولى عليها عثر على محاضر مفصّلة مطوّلة عن ثلاثة إجتماعات هامة جداً بالدكتاتور السوڤيتي العجيب الذي كان ملمّاً بالتفاصيل بشكل أذهل الألمان. ولقد وجدوا أن ستالين من أولئك الاشخاص الذين لايمكن غشّهم أو خداعهم، ومن صنف كثيري اللجاجة والطلب الى حدّ الفظاظة. كان في بعض الأحيان "يهتاج ويثور" كما كتب شنوره احد المفاوضين النازيين و"... لايفتأ يذكر الألمان بأن الاتحاد السوڤياتي" قدم خدمة عظيمة جداً لألمانيا [و] كسب عداوة بسبب مساعدته هذه". وهو يطلب مقابل ذلك تعويضاً من برلين. وفي أحد المؤتمرات التي عقدت في الكرملين مساء يوم رأس السنة ١٩٣٩-١٩٤٠ "وصف ستالين الثمن الكلّي للطائرات بأنه لن يكون موضوع بحث فهو يمثل اسعاراً مضاعفة للقيمة الحقيقية. وان كانت ألمانيا غير راغبة في تسليم الطائرات فلتقل ذلك بصراحة"، وفي إجتماع ٨ تشرين الثاني في متنصف الليل.

٥٣- المرجع السالف: ص٤٩٠.

٥٤- اعلم گورنگ الجنرال توماس بعد فتح فرنسا والأراضي المنخفضة "ان الفوهرر يرغب في أن يظلّ تسليم المواد الى روسيا منتظماً حتى ربيع ١٩٤١ وبعدها لن يهتم بتلبية الطلبات الروسية" (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٤، ص١٠٨٢ - المرجع السالف ص١٠٨٢ وثائق نورمبرگ ٢٣٥٣).

٥٥- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج٨، ص٥٣٧.

"طلب ستالين من الألمان أن يقترحوا سعراً معقولاً وألاّ يضعوا أسعاراً عالية كما حدث في السابق. ونوّه على سبيل المثال بمجموع القيمة الكلية للطائرات البالغ (٣٠٠) مليون مارك ألماني. وتحديد الألمان للطراد الثقيل (لوتسوف) ثمناً بمبلغ (١٥٠) مليون مارك ألماني. وقال: على الألمان أن لايستغلوا طيبة الاتحاد السوفيتي"[٥٦].

في ١١ شباط ١٩٤٠ توصل الطرفان في موسكو الى عقد إتفاقية تجارية معقدة جداً – في موسكو تتعلق بتنظيم تبادل السلع خلال الثمانية عشر شهراً التالية بمبلغ لايقلّ عن (٦٤٠) مليون مارك سنوياً. وسيحصل الروس خلافاً للطراد (لوتسوف) وتصاميم البارجة (بسمارك) على مدافع بحرية ثقيلة وغيرها من المهمات الحربية، وحوالى ثلاثين طائرة حربية ألمانية من آخر طراز بضمنها مقاتلات من نوع مسرشميت Messerschmitt (١٠٩) و(١١٠) ويونكرز-٨٨ وهي من القاذفات المنقضّة. ويتسلم السوفييت اضافة الى هذا مختلف الآلات لصناعاتهم الكهربائية والنفطية، ومحركات وتوربينات ومولدات كهربائية ومكائن ديزل، وسفن والآلات ميكانيّة ونماذج من المدفعيّة الألمانية والدبابات والمتفجرات ومواد الحرب الكيمائية ومعداتها، الخ...[٥٧]

إنّ ماحصل عليه الألمان خلال السنة الأولى قد سجلته القيادة العليا للقوات المسلحّة: مليون طن من الشعير، نصف مليون طن من القمح، تسعمائة الف طنّ من النفط. مائة الف طنّ من القطن خمسمائة الف طنّ من الفوسفات. فضلاً عن مقادير كبيرة من أصناف كثيرة جداً من المواد الأولية التي لايمكن الاستغناء عنها. مليون طنّ من (فول الصويا) من منشوريا[٥٨]بالترانزيت.

وفي برلين جلس دكتور شنوره الخبير الاقتصادي في وزارة الخارجية الألمانية ينظم بعد عودته قائمة طويلة ضمن مذكرة مسهبة بما استطاع الحصول عليه للرايخ. فإلى جانب المواد الأولية التي هم في أمس الحاجة اليها قال أن ستالين وعده "بالمعونة السخية بقيامه بوظيفة"شاري المعادن والمواد الأولية من البلاد الثالثة".

وختم شنورة تقريره "إن الإتفاقية تعني باباً مفتوحاً على مصاريعه لنا الى الشرق... وسيقلّ تأثير الحصار البريطاني بصورة حاسمة[٥٩]."

هذا سبب واحد من الأسباب التي دعت هتلر الى وضع كبريائه في جيبه ومساندة روسيا في هجومها على فنلندا الذي ساء الألمان وقبول تهديد الجيوش السوفيتية وتأسيس قواعد جوّية في الدول الثلاث على البلطيق. (لم تستعمل إلاّ فيما بعد للإغارة على ألمانيا؟) كان ستالين يعنيه في التغلب على مصاعب الحصار البريطانيّ على أن أهم من هذا طراً أن ستالين اتاح له فرصة الحرب على جبهة

٥٦- المرجع السالف: الص ٥٩١ و٧٥٣ على التوالي.
٥٧- نص الإتفاقية التجارية المؤرخة ١١ شباط ١٩٤٠ وارقام الارساليات. المرجع السالف الص ٧٦٢-٦٧٤.
٥٨- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٤، الص ١٠٨١-١٠٩٢ (وثائق نورمبرگ ٢٣٥٣-PS)
٥٩- وثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، الص ٨١٤-٨١٧. (مذكرة شنورة - ٢٦ شباط ١٩٤٠).

واحدة وتركيز كلّ جبروته العسكريّ في الغرب استعداداً للضربة القاضية في نزاله مع بريطانيا وفرنسا، واجتياح هولندا وبلجيكا وبعد ذلك؟... سبق لهتلر أن أخبر جنرالاته ماينتوي عمله.

منذ ١٧ تشرين الأول ١٩٣٩، ولم يمرّ طويل زمن على نهاية معركة پولندا. كان هتلر قد حذّر (كايتل) بأن الحدود الپولندية: "هي مهمة جداً بالنسبة الى الأسباب العسكرية. وبوصفها نقطة وثوبٍ متقدمةٍ، ولأجل التركيز التعبويّ للجنود. ولهذا الغرض يجب الإبقاء على السكك الحديد والطرق وخطوط المواصلات، وصيانتها"[٦٠].

لما شارفت السنة ١٩٣٩ الخطيرة على الختام ادرك هتلر إنه لايمكن الإعتماد على حياد السوڤييت الى الأخير وقد أخبر جنرالاته بذلك في مذكرته المؤرخة ٩ تشرين الأول. قال إن الأمور قد تتغير في غضون ثمانية أشهر أو عام واحد. وفي خطبته على القادة بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني صرح يقول "بإمكاننا ان نخاصم روسيا عندما نتحرر في الغرب فحسب". وتلك الفكرة لم تزايل قطّ ذهنه القلق.

وطوى التاريخ هذه السنة العصماء في جوّ غريب مشحون. فمع وجود الحرب العالمية، لم يكن ثمّ قتال برّي. اما القاذفات الضخمة في الجوّ فلم تكن تحمل غير منشورات دعاية سيئة الكتابة والحق يقال. لم تكن ثَمَّ حرب فعلية إلاّ في البحر فقد استمرت الغواصات تصطاد فرائسها من السفن البريطانية والمحايدة احياناً في شمال الأطلنطي المتجمدّ القاسي.

في جنوب الأطلنطي خرجت (گراف شپي) إحدى ثلاث بوارج جيب ألمانية لتغرق خلال ثلاثة أشهر تسع بواخر شحن بريطانية بلغت حمولتها (٥٠٠٠٠) طنّ ثم وقبل أسبوعين من أول عيد ميلاد في الحرب (١٤ كانون الأول-١٩٣٩) تكهرب الرأي العام الألماني بأنباء نصر عظيم في البحر، أذيع في الراديو وتناقلته صدور الصحف بعناوين بارزة. قيل ان (گراف شپي) قد اشتبكت مع ثلاثة طرادات إنگليزية قبلها بيومٍ واحدٍ على بعد أربعمائة ميل من (مونتفيديو Montevedeo) وعطلتها عن العمل. لكن الفخر والحماسة سرعان ما انقلبا الى حيرة. فبعد هذه الانباء بثلاثة أيام أذيع ان بارجة الجيب قد انتحرت عند مصب (پلاتا) على مرأى من عاصمة الأرگواي. اي نوع من النصر هذا؟ في ٢١ كانون الأول أذاعت قيادة الأسطول العليا أن قائد بارجة الجيب (گراف شپي) قد قضى على حياته، ولحق بسفينته، وهكذا "انجز القبطان هانز لانگسدروف Hans Langsdorff ما توسم فيه الزعيم والشعب الألماني والأسطول كمقاتل وكبطل".

ولم يخبر الشعب الألماني البائس أن (گراف شپي) قد عطبت عطباً كبيراً بنار الطرّادات البريطانية الثلاثة التي فاقتها بقوة المدفعية[٦١].

٦٠- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٣، ص٦٢٠. وثائق نورمبرگ: ٨٦٤ -PS.

٦١- قبل اغراق البارجة بيوم واحدٍ حمل گوبلز الصحافة الألمانية على تزوير رسالة من (مونتفيديو) مؤداها أن (گراف شپي) لم يلحقها إلاّ عطب بسيط "وان الانباء البريطانية عن اصابتها بأضرار بالغة انما هي محض " اكاذيب ومفتريات".

فاضطرت الى اللجوء الى (مونتفيديو) لإصلاح الأضرار وأن الحكومة أرگواي، تطبيقاً لقواعد القانون الدوليّ سمحت لها بالبقاء إثنتين وسبعين ساعة فقط ولم تكن كافية ففضل "البطل" القبطان لانفسدورف اغراقها على المخاطرة بمعركة أخرى مع البريطانيين بسفينته المعطوبة وانه هو نفسه بدلاً من أن يغرق معها. أطلق الرصاص على نفسه في غرفة باحدى فنادق (بوينس ايرس) المنعزلة. ولم يخبر الشعب الألماني أيضاً (كما ذكر الجنرال يودل في يومية ١٨ كانون الأول) بأن الزعيم "سخط سخطاً شديداً على إغراق (گراف شپي) دونما قتال" واستدعى أمير البحر (رايدر) وعنّفه تعنيفاً قاسياً(٦٢).

في ١٢ كانون الأول أصدر هتلر أمراً آخر سرياً للغاية بتأجيل الهجوم في الغرب مشيراً الى أن قراراً جديداً لن يصدر قبل ٢٧ كانون الأول وأن أقرب تاريخ "ليوم الصفر" سيكون (١) كانون الثاني ١٩٤٠. ولم يرَ مانعاً من منح اجازات عيد الميلاد لافراد الجيش وتشير مفكرتي الى أن عيد الميلاد وهو اهم اعياد السنة عند الألمان كان وقتذاك كئيباً في برلين. فلم يتبادل الناس إلاّ القليل من الهدايا، ولم يستمتع المحتفلون إلاّ بالكفاف من الطعام والرجال بعيدون عن الديار والشوارع معتمة والنوافذ مقفلة والأستار مسدلة وكل الناس متذمرون من الحرب والطعام والبرد.

وتبودلت تهاني العيد بين هتلر وستالين: "[أبرق هتلر] أطيب التمنيات لصحتك ولرفاه الشعب السوڤيتي الصديق، والتقدم في المستقبل".

فأجابه ستالين: "إن صداقة شعبَيْ ألمانيا والاتحاد السوڤيتي التي شد أواصرها الدمُ ستبقى رغم كل شيء ثابتةً".

وفي برلين قضى السفير ڤون هاسّل أيام العيد يتباحث مع زملائه المؤتمرين (پوپتز وگويردلر والجنرال بيك) وفي ٣٠ كانون الأول دوّن في مذكراته آخر خطة لهم. وهي:

"محاولة ايقاف عددٍ من الفرق في برلين "أثناء نقلها من الغرب الى الشرق" ثم يظهر ڤيتزليبن في برلين ويحلّ حرس الصاعقة (S.S) وعلى أثر هذا الإجراء يذهب بيك الى (زوسّن) ويتسلّم القيادة العليا من براوختش. ويقوم طبيب بكتابة تقرير يبيّن عجز هتلر عن الإستمرار في تأدية وظائفه ويعتقل. ثم يذاع بلاغ على الشعب الألماني بالخطوط التالية: منع فظائع أخرى يقوم بها حرس الصاعقة. العودة الى الصراط المستقيم واشاعة الاخلاق المسيحية. الإستمرار في الحرب مع الاستعداد لعقد سلم على أسس معقولة..."

كل هذا وهم في وهم، وكلام في كلام، لقد كان (المؤتمرون) في حالة من الإضطراب بحيث خصّص (هاسل) جزءً كبيراً من يوميته في: هل يُبقي گورنگ أو يزيحه!

وگورنگ بذاته مع هتلر وهملر وگوبلز ولاي وغيرهم من زعماء النازي انتهزوا حلول رأس السنة

٦٢- رسالة (لانفسدورف) المؤثرة في [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية: ١٩٣٩، ص٦٢، وثم مواد أخرى ألمانية حول المعركة وما تلاها الص ٥٩-٦٢.

لإصدار بيانات فخمة: فقال (لاي) "إن الزعيم على حقّ دائماً! أطيعوا الزعيم!" وصرح الزعيم نفسه أن "اليهود وتجار الحروب الرأسماليين هم الذين أثاروا الحرب لا هو، وأضاف: "إننا ندخل هذه السنة الحاسمة من تاريخ ألمانيا متحدين داخل البلاد مستعدين اقتصاديّاً وعسكرياً مسلحين الى آخر درجة. ألا فلتأت السنة ١٩٤٠ بالقرار الحاسم وستكون سنة نصرنا مهما حصل".

وفي ٢٧ تشرين الأول، عاد مرة أخرى ليؤجل الهجوم في الغرب "أسبوعين على الأقل"، وفي ١٠ كانون الثاني أمر بتعيين يوم ١٧ كانون الثاني موعداً نهائياً "قبل بزوغ الشمس بخمس عشرة دقيقة - الساعة (٨) والدقيقة ١٦ صباحاً". وعلى القوة الجوية أن تبدأ القصف في ١٤ كانون الثاني، قبل الهجوم العام بثلاثة أيام، ومهمتها تدمير مطارات العدوّ في فرنسا، ولاتمسّ هولندا وبلجيكا بأذى "وستبقى الدولتان الصغيرتان المحايدتان بين شكّ ويقين في مصيرهما حتى اللحظة الأخيرة.

ولكن إله الحرب النازي في ١٣ كانون الثاني. أجّل الهجوم فجأة مرةً أخرى "نظراً للأحوال الجويّة" ويسكت ملفّ القيادة العليا الخاصّ بتأجيل الهجوم على الجبهة الغربية مدة طويلة حتى ٧ أيار. وربما كان الطقس أحد أسباب التأجيل الذي ١٣ كانون الثاني. إلاّ أننا نعرف الآن بأن حادثين كانا السبب الأصلي وهما هبوط إضطراري سيّء الصدفة - لطائرة حربية ألمانية خاصة جداً في بلجيكا في ١٠ كانون الثاني، وسنوح فرصة جديدة في شمال أوروبا.

في العاشر من كانون الثاني (وهو اليوم الذي هتلر قد جعل يوم ١٧ منه موعداً للهجوم على هولندا وبلجيكا)، ضلّت طائرة حربية ألمانية طريقها من (مونستر) الى (كولونيا) في الغيوم فوق بلجيكا واضطرت الى الهبوط قرب (ميشلون على نهر الموز Mechelon sur Meuse) وكان فيها الرائد (هلموت راينبرگر Helmut Reinberger، وهو ضابط ركن مهم في سلاح الجوّ الألماني. ووجد في حافظة أوراقه خطط الألمان الكاملة مع الخرائط الخاصّة بالغزو في الغرب. وعندما اطبق عليه الجنود البلجيك اسرع يعدو الى بعض الأدغال واشعل النار في محتويات حقيبته. فانتبه الجنود الى هذه الظاهرة الغريبة وأطفأوا النيران فيها واستخلصوا مابقي منها. أخذ الضابط (راينبرگر) الى الموقع العسكريّ القريب فما كان منه إلاّ أن هجم بحركة يائسة على الأوراق المحترقة قليلاً التي كان الضابط البلجيكي قد وضعها على الطاولة وقذف بها الى الموقد، إلاّ ان الضابط البلجيكي اسرع باستنقاذها.

وبادر (راينبرگر) الى الأتصال بمقّر قيادة اللوفتوافّه عن طريق السفارة الألمانية في بلجيكا وابلغهم أنه نجح في إحراق كلّ الأوراق "بحيث لم يبق منها إلاّ قصاصات تافهة بحجم كفة". لكن الفزع شمل كل المقامات العليا في برلين واسرع (يودل) حالاً بابلاغ هتلر "عما يمكن أن يكون العدو قد عرفه وما لم يعرفه" إلاّ أنه لم يكن يعرف هو نفسه. وكتب في مذكراته بتاريخ ١٢ كانون الثاني بعد مقابلته هتلر "لو باتت كل الأوراق في حيازة العدوّ. فالموقف فاجع" وفي مساء اليوم نفسه طيّر ريبنتروب الى السفارة الألمانية في بروكسل برقية سرية ومستعجلة جداً "طالباً تقريراً فورياً حول "اتلاف محفظة الرسول "وفي صباح يوم ١٣ كانون الثاني كشفت يومية يودل عن إجتماع جرى بين

گورنگ والملحق الجويّ الألماني في بروكسل الذي طار الى برلين فوراً. قال يودل "النتيجة: حافظة الأوراق احرقت على وجه التأكيد".

وفي اليوم نفسه (١٣ كانون الثاني) ابلغ السفير الألماني، برلين بتحركات عسكرية بلجيكية واسعة "نتيجة أنباء مقلقة وصلت الى رئاسة الأركان البلجيكية. وفي اليوم الثاني ارسل السفير برقية أخرى (مستعجلة جداً) الى برلين: ان البلجيك أصدروا "أمر-د" وهو الخطوة قبل الأخيرة في النفير، وقد استدعوا للخدمة طبقتين. ويعتقد أن السبب متأت من "تقارير تنبيء بتحركات قوات ألمانية على الحدود البلجيكية والهولنديّة، فضلاً عن محتويات بريد الساعي المحترق جزئياً، التي وجدت لدى ضابط الجوّ الألماني".

وفي اليوم الخامس عشر من كانون الثاني، زادت الشكوك في رؤوس القادة الأعلين في برلين بأن (راينبرگر) لم يتلف الوثائق الخطيرة حقاً كما ادعى. وكتب يودل بعد مؤتمر آخر حول الموضوع "يقال انها أحرقت". ولكن في ١٧ كانون الثاني إستدعى وزير الخارجية البلجيكي پول هنري سپاك Paul-Henri Sqaak السفير الألماني ووجه اليه كلاماً صريحاً نقله هذا الى برلين حالاً:

ان الطائرة التي هبطت في ١٠ كانون الثاني هبوطاً إضطرارياً، وضعت في أيدي البلجيك وثيقة ذات طابع خطير فائق للعادة تتضمن دليلاً واضحاً على نيّة الهجوم. إنها ليست مجرد خطة تمرينية بل أمر بالهجوم فيه كل التفاصيل ولاينقصه غير تحديد الوقت".

لم يكن الألمان متأكدين تماماً هل أن (سپاك) يخادعهم أم هو يقول الحقيقة. أعطى الجانب البريطاني والفرنسي نسخاً من الخطة الألمانية - وكان هناك ميل يسود أوساطهما أن الأوراق الألمانية لم تكن إلاّ "خديعة مقصودة" ويقول چرچل أنه عارض معارضةً شديدة في هذا التفسير، ويتحسّر لأنه لم تتخذ اية أجراءات حول هذا الإنذار الخطير. والأمر المؤكد هو أن هتلر اصدر أمره بتأجيل موعد الهجوم بعد يومٍ واحدٍ من إبلاغه بالحادثة (١٣ كانون الثاني). وتبيّن فيما بعد، عندما تقرّر الهجوم في أيار أن كل الخطط الستراتيجية طرأ عليها تغيير جوهري[٦٣].

إلا أن الهبوط الإضطراري في بلجيكا، وسوء الطقس لم يكونا السببين الوخيدين لإرجاء الهجوم، ففي ذلك الوقت كانت الخطط في برلين تنضج في سبيل غزوة جريئة ألمانية لدولتين صغيرتين محايدتين في شمال القارة، تحتل الأسبقية الآن. إن الحرب الكاذبة بقدر ما يتعلق الأمر بالألمان تكاد الآن تقترب من نهايتها بقدوم الربيع.

٦٣- استخدمت بعض المصادر الألمانية الاصلية حول هذه الوقائع الخاصة بالهبوط الاضطراري: منها تقارير السفير البلجيكي والملحق الجويّ في بروكسل الى برلين. ووثائق وزارة الخارجية الألمانية: ج٨، ويوميات يودل. نص الخطة الألمانية للهجوم في الغرب كما أستخلصت في بلجيكا. وردت في مجلد ٨، الص ٤٢٣-٤٢٨ من (مؤامرة النازيين...) وثائق نورمبرگ ٥٨- TC. واوردكارل بارتز Karl Barts الحادثة في كتابه Als des Hinmel Viramte تعليق چرچل في (تجمع العاصفة).

الفصل الثالث

فتح الدانمرك والنرويج

-١-

الإسم الرمزي البريء المظهر الذي أطلق على آخر خطّة عدوان ألمانيّة، هو Weseruabun أو "تمرين ڤيسر" وأصوله وتطوراته فريدة في بابها تختلف تماماً عن الخطط التي رسمت للهجمات العدوانية مما أشغل حيزاً كبيراً من تاريخنا هذا. فهي ليست من بنات أفكار هتلر كما كانت الخطط الأخرى بل جادت بها قريحة أمير بحر طموح وقطب من اقطاب الحزب النازيّ المشوّشي الذهن. وهو العمل الوحيد في العدوان النازي الذي لعب فيه للأسطول الألماني دور حاسم وهو كذلك الوحيد الذي قام (الڤيرماخت) برسم خطته وتنسيق فعاليات القوات المسلحّة الثلاث. في الواقع لم تستشر فيه قيادة الجيش العامة ولا هيئة أركانها مما أسخطها كثيراً، حتى گورنگ نفسه لم يُدعَ اليه إلاّ في اللحظة الأخيرة - فأثار غضب رئيس اللوفتوافه السمين وجرح عزة نفسه.

كان الأسطول الألماني ينظر الى الشمال دائماً نظرة الطامع اللهف. فألمانيا لاتملك منفذاً مباشراً الى ارجاء المحيط وهو واقع جغرافي إنطبع في أدمغة ضباط البحر أثناء الحرب العالمية الأولى فقد احكمت بريطانيا نسج شبكة تمتد من جزر (شتلاند Shetland) بإمتداد بحر الشمال حتى ساحل النرويج على شكل سدّ من الألغام وسفن دوريّة. فسدت بذلك منافذ الأسطول الإمبراطوريّ الجبار وعاقت إعاقة جدية الغواصات من الخروج الى شمال المحيط الأطلنطي، ومنعت السفن التجارية الألمانية من أن تجوب البحار. إن الأسطول الألماني لما وراء البحار. لم يصل الى ماوراء البحار وخنق الحصار البريطاني البحريّ ألمانيا الإمبراطورية في الحرب الأولى. أدام التأمل في هذه الحقيقة حفنة من الضباط البحريين الألمان الذين كانوا يقودون أسطول البلاد المتوسط الحجم في فترة مابين الحربين وتوصلوا على ضوء تجاربهم السابقة أن ألمانيا يجب أن تحصل على قواعد في النرويج في أيّ حرب مقبلة مع بريطانيا. وبهذا تحطم خط الحصار البريطاني على إمتداد بحر الشمال وتفتح للسفن الحربية العائمة والغاطسة باب البحر المحيط واسعاً وتتيح فرصةً للرايخ ليقلب الحظّ على وجهه الآخر ويبني خطّ حصار فعال حول الجزر البريطانية.

ولم يكن بالمستغرب إذن أن نجد في بداية الحرب ١٩٣٩ - الأميرال رولف كارلز Rolf Karls وهو ثالث أكبر أمراء البحر الألمان وشخصية قوية آسرة - يمطر أمير البحر الأول (رايدر) بوابل من الرسائل

(كما نوّه هذا الآخر في مذكراته وشهد في نورمبرگ) مقترحاً الأهمية التي ينطوي عليها إحتلال ألمانيا الساحل النرويجي[١]

ولم يكن (رايدر) بحاجة الى كثير من الإلحاح، وفي ٣ تشرين الأول بعد ختام معركة پولندا أرسل إستفساراً سرياً إلى هيئة أركان الحرب البحرية يطلب منها أن تتأكد من إحتمال الحصول على "قواعد في النرويج بتأثير ضغط مشترك عليها من روسيا وألمانيا" واستخرج رأي ريبنتروب بخصوص موقف روسيا من الأمر فأجاب "قد يمكن أن يتوقع عون كبير من هذه الجهة" وأبلغ (رايدر) هيئة أركانه بوجوب إعلام هتلر "عن الإحتمالات" بأسرع ما يمكن[٢].

في ١٠ تشرين الأول وفي معرض تقرير مطول عن العمليات البحرية قدّمه أمير البحر (رايدر) الى (الزعيم)، أورد ذكر أهمية الحصول على قواعد بحرية في النرويج بمعاونة روسيا عند الضرورة. وتلك أوّل مرة بقدر ما تفصح الوثائق السرية - ينبّه الأسطول هتلر الى هذا الأمر ويقول (رايدر) أن الزعيم "رأى حالاً أهميّة القضية النرويجية" وطلب منه أن يبقي ملاحظاته حول الموضوع لديه ووعده أن يتأمل في القضيّة ويوليها بعض العناية. لكن ربّ الحرب النازي كان في تلك اللحظة منشغلاً بأمر شنّ هجومه على الغرب والتغلب على تردد جنرالاته[٣] ويظهر أن النرويج غابت عن باله[٤] مؤقتاً.

ثم عادت تشغل ذهنه خلال شهرين من الزمن لأسباب ثلاثة: أولها قدوم الشتاء. وثانيها أن كيان ألمانيا نفسه اعتمد على استيراد تبر الحديد من السويد. وقد استوردوا في السنة الأولى أحد عشر مليون طنّ من أصل الاستهلاك السنوي البالغ خمسة عشر مليون طنّ وكان الخام ينقل في المناخ الدافيء من شمال السويد الى خليج (بوثنيا Bothnia) ويعبر البلطيق الى ألمانيا فلا تعترض مشكلّة حتى وقت الحرب لأن البلطيق مسدود تماماً بوجه الغواصات البريطانية وسفنهم الحربيّة. إلاّ أن الطريق البحري هذا لايستخدم في فترة الشتاء للجمد الثخين الذي يكسو سطحه ولذلك كان يشحن الحديد في هذا الزمن من السويد بالقطار إلى ميناء(نارڤيك Narvik) النرويجي وتشحنه السفن الألمانية من هناك الى ألمانيا سائرة بمحاذاة الشاطيء النرويجي لأنها كانت تستطيع أن تقطع هذه الرحّلة كلها ضمن المياه الاقليمية النرويجيّة وبذلك تصبح في مأمن من تعرض السفن الحربية البريطانية وقاصفاتهم.

ولذلك كانت النرويج المحايدة -كما أشار هتلر للبحرية الألمانية في المبدأ- ذات منافع. فهي تعين ألمانيا على الفوز بعماد حياتها من خامات الحديد من دون تدخل بريطاني.

وفي لندن أدرك چرچل أميرال البحر الأول هذه النقطة حالاً وفي أسابيع الحرب الأولى حاول إقناع

١- مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٤، ص١٠٤ (وثائق نورمبرگ PS-١٥٤٦، ج٦، الص ٨٩١-٨٩٢ (وثائق نورمبرگ C-٦٦).

٢- المرجع السالف: ج٦، الص٩٢٨. (وثائق نورمبرگ C-١٢٢) وص٩٧٨ (وثائق نورمبرگ C-١٧٠-)

٣- في ١٠ تشرين الأول استدعى هتلر قُواده وقرأ عليهم مذكرة عن ضرورة هجوم فوري في الغرب. وسلمهم الأمر التوجيهي رقم ٦ بالإستعداد للهجوم خلال بلجيكا وهولندا.

٤- المرجع السالف: ص٨٩٢ (وثائق نورمبرگ C-١٦٦) وثائق أميرالية البحرية الألمانية لسنة ١٩٣٩ ص٥١.

الحكومة السماح له ببثّ الألغام في المياه الاقليمية النرويجيّة لإيقاف شحن الحديد الخام الألماني لكن هاليفاكس وچمبرلين ترددا كثيراً في خرق حياد النرويج وتُرك الإقتراح جانباً في حينه(٥).

لكن الهجوم السوڤيتي على فنلندا في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ غيّر الموقف تغييراً جوهرياً في سكندناڤيا اذ زاد من اهميتها الستراتيجية زيادة كبيرة عند حلفاء الغرب وعند ألمانيا وبدأت فرنسا وبريطانيا تنظمان حملة عسكرية في سكوتلاندا عوناً للفنلنديين البسلاء الذين تحدوا كل النبوءات وصمدوا بعناد ضد هجمات الروس. لكن لم يكن بالإمكان الوصول الى فنلندا إلاّ بعبور النرويج والسويد وأدرك الألمان حالاً لو أن قوات الحلفاء سمح لها بالمرور أو عبرت من الجهة الشمالية لشبه جزيرة اسكندناڤيا فسيبقى فيها من الحملة عدة كافية لحماية المواصلات، وفي الحقيقة هي أن نستخدم لقطع إمدادات ألمانيا من الحديد الخام السويدي(٦). زد على هذا إنّ الحلفاء الغربيين سيطوّقون الرايخ من الشمال. ولم يتأخر الأميرال (رايدر) من تذكير هتلر بهذا التهديد.

ووجد رئيس الأسطول الألماني في النرويج، حليفاً ثميناً لخطّته بشخص الميجر ڤيدكون ابراهام لورتيز كويزلينگ Vidkun Abraham Lauritz Quisling، الذي قدّر لإسمه أن يصبح مرادفاً لكلمة "خائن" في جميع اللغات.

-٢-

ظهور "ڤيدكون كويزلينگ"

بدأ (كويزلينگ) حياةً شريفةً. ولد في عام ١٨٨٧ من أسرة مزراعين. وتخرج الأول على أقرانه من الأكاديميّة الحربية النرويجية وارسل وهو في سنّ تزيد عن العشرين قليلاً الى (پيتروگراد) ملحقاً عسكرياً. ومنحته الحكومة البريطانية وسام "سي.بي.إي C.B.E" لرعايته المصالح البريطانية بعد قطع العلاقات الدبلوماسيّة مع الحكومة البلشفيّة وكان وقتذاك موالياً للبريطانيين مشايعاً للبلشفيك معاً. ومكث في روسيا السوڤيتية وقتاً ملياً يشغل وظيفة معاون (لفريديوف نانسن Fridjof Nansen) المستكشف النرويجي العظيم الإنسانيّ النزعة في أعمال الإغاثة الروسية وخلّف في الضابط النرويجي الشاب نجاح الشيوعيّة في روسيا تأثيراً كبيراً دفعه الى ان يعرض خدماته عند عودته الى النرويج على (حزب العمال) الذي كان في ذلك الحين عضوا في (الكومنترن). واقترح عليهم إنشاء "الحرس الأحمر". إلاّ أن حزب العمّال كان يشكّ فيه وفي مشروعه فرفض إقتراحه. فما لبث أن انقلب إلى

٥- چرچل: تجمع العاصفة: الص ٥٣١-٥٣٧.

٦- هذه فرضية صائبة. ولقد عُلم الآن أن مجلس الحلفاء الاعلى للحرب، المجتمع في پاريس (٥) شباط ١٩٤٠، قرر إحتلال مناجم الحديد السوڤيتية أثناء الحملة الى فنلندا التي سيتم انزالها في نارڤيك القريبة من المناجم. (انظر: تحدي سكندناڤيا الص ١١٥-١١٦ هامش) ويشير چرچل انه تقرر في الإجتماع "أن تحتل حالاً مناجم گوليڤاري لخامات الحديد (تجمع العاصفة ص٥٦٠).

اليـمين المتطرف المعـاكس. وبعـد أن تولى وزارة الدفـاع منذ ١٩٣١ حـتى ١٩٣٣، أسس فـي أيار ١٩٣٤حزباً فاشياً أسماه"الإتحاد القوميّ Nasjonal Samling" متبنياً ايدلوجيّة النازيين وتاكتيكهم وقد بلغوا مابلغوا من القوة بوصولهم الى السلطة. لكن النازية لم تنمُ في ارض النرويج الخصبة ديمقراطياً. وفشـل (كويزلينگ) حتى في النجاح في الإنتخابات النيابية في الإقتراع العام، ولهذا استدار نحو ألمانيا النازية.

واتصل هناك إتصالاً مباشرةً(بألفريد روزنبرگ) الفيلسوف الرسمّي المعتوه للحزب النازي، الذي كان يتولّى منصب رئيس الدائرة السياسية للشؤون الخارجية للحزب. كان هذا المغفّل البلطيقي وأحد مثقّفي هتلر الأوائل يفكر بإحتمالات كثيرة من الضابط النرويجّي، فمن بين خيالاته العجيبة التي يعتز بها فكرة تأسيس إمبراطورية (نورديّة) عظيمة خالصة من شائبة اليهود وغيرهم من العناصر غير (النقيّة) تسود العالم بزعامة ألمانيا النازية. لذلك بقي من ١٩٣٣ متصلاً بـ(كويزلينگ) يصبّ عليه فلفسته المخبولة صباً.

وفي حزيران ١٩٣٩، حين كانت غيوم الحرب تتجمع في سماء أوروپا انتهز (كويزلينگ) فرصة حضوره في مؤتمر (الجمعيّة النورديّة) في (لوبيك) ليطلب (من روزنبرگ) شيئاً أكثر من المساعدات الفكرية.

وبحسب رسائل الأخير السريّة التي عرضت في نورمبرگ، أنذر (كويزلينگ) بخطر سيطرة بريطانيا على النرويج في حالة وقوع حربٍ وبالفوائد التي تحصل عليها ألمانيا من جراء إحتلالها. وسأل مساعدة ماديّة لحزبه وصحافته. وكان روزنبرگ عظيماً في كتابة التقارير فنظّم حالاً ثلاثة منها لهتلر وگورنگ وريبنتروب ويبدو أن هؤلاء الكبار أهملوها - اذ لم يكن أحد في كل ألمانيا يأخذ "الفيلسوف الرسمي" مأخذاً جدياً. إلاّ ان روزنبرگ استطاع بنفسه أن يرتب دورة تدريب أمدها أسبوعان في ألمانيا لخمسة وعشرين رجلاً من جنود العاصفة الكويزلنگيين في شهر آب ١٩٣٩.

وفي اشهر الحرب الأولى لم يكن الأميرال (رايدر) على صلة بروزنبرگ الذي كانت معرفته به قليلة جداً كما كان يجهل كويزلينگ ولم يسمع به من قبل (أو هذا ما شهد به في نورمبرگ). لكنه بعد إندلاع الحرب الروسيّة الفنلندية مباشرة، بدأ يتلقّى تقارير عديدة من ملحقه البحري في أوسلو القبطان ريشارد شرايبر Richard Schreiber عن قرب إنزالٍ حليف في النرويج. وذكر هذه الأنباء لهتلر في ٨ تشرين الأول ونصحه بكلّ صراحة "من الضروّري إحتلال النرويج"[٧].

بعد هذا بقليل طيّر روزنبرگ مذكرة (بدون تاريخ) الى أمير البحر (رايدر) "حول زيارة سكرتير المجلس الخاص كويزلينگ من النرويج". وقد وصل المتآمر النرويجي الى برلين ورأى روزنبرگ من الضروريّ أن يعرف (رايدر) من هو كويزلنگ وما هو هدفه. وذكر له ان لكويزلينگ أشياعاً كثيرين

٧- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٣٩، ص٥١.

في صفوف الضباّط الكبار في الجيش النرويجيّ. وكبرهانٍ أطلعه على رسالة قريبة التاريخ وصلته من العقيد (كونراد سندلو Konrad Sundlo) قائد موقع (نارڤيك) يصف فيها رئيس وزراء النرويج "بالغبيّ" وينعت أحد وزرائه الكبار "بالرقيع البالي" وبرغبته في "المخاطرة بعظامه في سبيل ثورة وطنيّة". ولم يخاطر العقيد سندلو فيما بعد بعظامه للدفاع عن بلاده أمام العدوان.

وابلغ روزنبرگ (رايدر) بأن لدى كويزلينگ بالفعل خطّة إنقلابيّة. ولابدّ وان هذه الخطة لقيت تحبيذاً من برلين لأنها منقولة حرفياً عن خطّة إحتلال النمسا (آنشلوس) وتقضي بتدريب عددٍ من رجال فرق العاصفة الكويزلينگيين في ألمانيا على يد إشتراكيين قوميين مجرمين صلبيين ممن لهم خبرة عملية في هذه المسائل "وما ان يعود التلاميذ الى النرويج حتى يقوموا بإحتلال النقاط الستراتيجية في (أوسلو).

"وفي الوقت نفسه يقوم الأسطول الألماني بالتعاون مع الجيش الألماني بإحتلال خليج قرب أوسلو تمّ الإتفاق عليه مسبقاً، إستجابةً لطلب الحكومة النرويجيّة الجديدة".

كانت إعادةً لتطبيق خطّة إحتلال النمسا، يحلّ فيها كويزلينگ محلّ (سييس انكوارت).

"[اضاف روزنبرگ يقول] لايعتور كويزلينگ شكّ بأن إنقلاباً كهذا... سيقع موقع رضا كل صنوف القوات العسكرية التي يتصل بها الآن... أما بخصوص الملك، فهو يعتقد أنه سيقبل بالأمر الواقع".

"وتخمين كويزلينگ للقوات الألمانية المتطلبة، للعملية يقارب التخمينات الألمانية"[٨].

وقابل الأميرال (رايدر) كويزلينگ في ١١ تشرين الأول ودبّر روزنبرگ اللقاء عن طريق شخص يدعى (ڤليام هاگلين Viljam Hagelin) وهو رجل أعمال نرويجي اضطرته اعماله الى أن يقضي معظم حياته في ألمانيا وكان همزة وصل كويزلينگ هناك. وابلغ كويزلينگ وهاگلين الأميرال (رايدر) بأمور كثيرة فدوّنها هذا حالاً في سجلات البحرية.

"صرّح كويزلينگ... إن إنزالاً بريطانياً قد أختّط. وأن القاعدتين المفترضتين هما ستاڤنكر Stavanger وكريستيانساند – Christiansand على أغلب الإحتمالات. وان الحكومة النرويجية الحالية فضلاً عن البرلمان وكلّ السياسة الخارجية يسيطر عليها اليهوديّ المعروف همبرو [كارل همبرو Carl Hambro، رئيس الشتورتنگ Storting] وهو صديق حميم لهور–بليشا Hore-Belisha*... إن الأخطار التي ستتعرض لها ألمانيا من الإحتلال البريطاني قد فصّلت باسهابٍ كبير...

توقعاً لحركة بريطانية اقترح كويزلينگ وضع "القواعد الضرورية تحت تصرف القوات المسلحّة الألمانيّة. ولقد حشد في كلّ منطقة الساحل لهذا الغرض رجال ذوو مراكز حساسّة (السكك الحديد، دوائر البريد، الطرق والمواصلات)" وانه جاء مع (هاگلين) الى برلين لإنشاء "علاقة واضحة مع ألمانيا

٨– مذكرة روزنبرگ "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٦ الص٨٨٥–٨٨٧ – وثائق نورمبرگ – C–٦٤) [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٣٩ الص ٥٣–٥٥].

* وزير الحرب البريطاني في السنة الأولى (المترجم).

للمستقبل... ويحبّذ إجراء بعض المؤتمرات للمداولة في العمل المشترك ونقل الجنود الى أوسلو وغير ذلك...[9]"

واهتمّ (رايدر) كما شهد في نورمبرگ - بالأمر وأبلغ زائريه بأنه سيتصل (بالزعيم) ويبلغهما بالنتائج. وفعل ذلك في اليوم التالي في إجتماع حضره كايتل ويودل. واعلم قائد الأسطول العام (هتلر) في هذا الإجتماع بأن كويزلينگ "قد خلف فيه إنطباعاً جيداً انه أهل للإعتماد" (كان تقريره عن الإجتماع من بين الوثائق المستولى عليها). وبعد ذلك شرح النقاط الأساسيّة التي وردت في حديث كويزلينگ كما أكّد على "أن صلاته جيدة بضباط الجيش النرويجي" واستعداده "للإستيلاء على مقاليد الحكم بإنقلاب سياسيّ وطلب العون من ألمانيا". واتفق المجتمعون كلهم بأن الإحتلال البريطانيّ للنرويج لايمكن التسامح فيه. إلاّ أن (رايدر) أصبح حذراً فجأة فأشار الى أن الإحتلال الألماني "سيعقبه بالطبع تدابير مضادّة بريطانية قويّة... وان الأسطول الألماني ليس مستعداً الآن لمصاولتها مهما قصرت المدة." وإنها ستكون نقطة ضعف في حالة الإحتلال "ومن الجهة الأخرى اقترح (رايدر)أن "يسمح للقيادة العليا للقوات المسلحة بتنظيم الخطط بمعاونة كويزلينگ للإستعداد للغزو وتنفيذه إمّا:

أ- بوسائل غير عنيفة أعني بطلب النرويج مجيء القوات الألمانية المسلحة أو:

ب- بالقوّة.

لم يكن هتلر مستعداً للذهاب الى هذه المسافة بعد. وأجاب أنه يريد ان يكلم (كويزلينگ) شخصياً قبل كل شيء. "لأكوّن عنه إنطباعاً"[10].

وقد تم ذلك في اليوم التالي الموافق ١٤ كانون الأول. ورافق (رايدر) بشخصه الخائنَيْن النرويجيَيْن الى المستشاريّة. ولم يُكتشف محضر لوقائع هذا الإجتماع إلاّ أن كويزلينگ على مايبدو خلّف إنطباعاً جيداً في الدكتاتور الألماني[11]. كتأثيره في قائد الأسطول، بدليل أنه أمر(ق.ع.ق.م) في تلك الأمسية بعمل خطّة أوليّة بالتعاون مع كويزلينگ. وسمع هالدر انها تتضمن عملاً عسكرياً ضد الدانمرك[12].

وقابل هتلر (كويزلينگ) مرة أخرى في ١٦ تشرين كانون الأول، وثالثةً في ١٨ منه رغم إنشغاله بأنباء السوء عن(گراف شپي). ويظهر أن نكبة الأسطول فيها جعله أكثر حذراً بخصوص المغامرة

٩- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٣٩، الص ٥٥-٥٧.

١٠- لم تؤثر شخصيته في الوزير المفوض الألماني (بأوسلو) - دكتور كرت براور Curt Brauer الذي انذر برلين مرتين في كانون الأول "بألاّ ضرورة لأخذ كويزلينگ مأخذاً جدياً... إن نفوذه وأهدافه... جد تافهة" (وثائق وزارة الخارجية الألمانية: الص٥١٥ و٥٤٦-٥٤٧، ج٨). سرعان ما دفع الوزير الألماني ثمن صراحته وتردده في المشاركة بلعبة هتلر. (المرجع السالف الص ٥٧-٥٨).

١١- المرجع السالف.

١٢- يومية يودل ١٢ و١٣ تشرين أول - الواضح انه اخطأ التاريخ. يومية هالدر ١٤ تشرين أول.

الأسكندينافية التي تعتمد على الأسطول بالدرجة الأولى. ويقول روزنبرگ أن (الزعيم) بيَّن لزائره أن "أفضل موقف تتخذه النرويج هو الحياد التام" ولكن إن بات الإنگليز يستعدون لدخول النرويج فعلى الألمان ان يسبقوهم اليها. وفي أثناء ذلك قررّ ان يزوّد كويزلينگ بالمال لمقارعة الدعاية البريطانية وتقوية حركته الموالية للألمان. وقدمت له دفعة أولية بمبلغ ۲۰۰۰۰۰ مارك ذهب في كانون الثاني مع وعدٍ بدفع عشرة آلاف جنيه استرليني شهرياً لمدة ثلاثة أشهر تبتديء بـ ١٥ آذار(١٣).

وارسل روزنبرگ قبل عيد الميلاد بقليل وكيلاً خاصاً يدعى هانس ڤلهلم شايدت Hans Wilhelmscheidt الى النرويج للعمل مع (كويزلينگ). وفي أيام العطلة انكبّ حفنة من ضباط القيادة العليا للقوات المسلّحة يعملون في "دراسة – الشمال" كما سميت الخطّة في مبدأ الأمر. وانقسم الرأي في الأسطول وكان (رايدر) موقناً بأن بريطانيا تنوي الحركة على النرويج في المستقبل القريب. ولم توافق مديرية العمليّات لهيئة أركان حرب الأسطول وقد دوّنت وجهات النظر المختلفة في يوميات الحرب السرية بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٤٠(١٤).

"إن قسم العمليّات لايعتقد بقرب قيام البريطانيين بإحتلال النرويج أو بإحتمال ذلك... وهو يرى على كلّ أن إحتلال ألمانيا النرويج سيكون عملية خطرة إن لم يكن هناك خشية قيام بريطانيا بعمل مماثل".

ولهذا استنتجت هيئة أركان البحرية "أن أفضل الحلول المناسبة هو إبقاء الوضع على ماهو عليه" وبيّنت أن ذلك سيسمح بإستمرار إستخدام االمياه الاقليمية النرويجّية لنقل الحديد الخام "بأمان تام".

واستاء هتلر من تردد الأسطول ومن نتائج "دراسة الشمال" التي قدمتها له (ق.ع.ق.م) في أواسط كانون الثاني. وفي ٢٧ من الشهر نفسه أمر كايتل بأصدار "أمر توجيهي سرّي للغاية يطلب فيه إستمرار العمل في "الشمال" تحت "إشراف الزعيم المباشر الشخصي". ويوجّهه إلى أن يتولى الأمور بنفسه. فشكلت لجنة من ضباط الأركان في (ق.ع.ق.م) يمثل أعضاؤها أصناف القوات المسلّحة الثلاثة واصبحت العملية تعرف منذ ذلك الحين بالأسم الرمزيّ "تمرين ڤيسر"(١٥).

ويظهر أن هذه الخطوة كانت إيذاناً بنهاية تردد (الزعيم) في موضوع إحتلال النرويج. لكن لو كان أيّ ريب قد تخلّف في نفسه فقد أزاله تماماً حادث وقع في المياه النرويجيّة يوم ١٧ شباط.

استطاعت سفينة تموين البارجة (گراف شپي) واسمها (ألتمارك Altmark) التسلل والنفوذ من شبكة الحصار البريطاني واكتشفتها طائرة استكشاف بريطانية في ١٤ شباط وهي تتجه جنوباً في المياه الاقليمية النرويجّية نحو ألمانيا. وكانت الحكومة البريطانية تعلم ان فيها زهاء ثلاثمائة بحار بريطاني أسروا من البواخر التي أغرقتها البارجة (گراف شپي) وهم في طريقهم الى ألمانيا كأسرى

١٣- مذكرة روزنبرگ "مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٣، الص ٢٢-٢٥. (وثائق نورمبرگ -٤-PS).
١٤- [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج٨، الص ٦٦٣-٦٦٦].
١٥- نص الأمر التوجيهي "مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٦، ص٨٨٣. (وثائق نورمبرگ ٦٣-C).

حربٍ. قامت السلطات النرويجية بتفتيش سطحيّ (لألتمارك) فلم يعثروا على أسير فيها ولم يجدوها مسلّحةً. فسمحوا لها باستئناف السير الى ألمانيا. فما كان من چرچل الذي يعرف الحقيقة إلاّ أن أصدر أمراً شخصياً لأسطول مدمرات صغير أن يتجه صوب المياه النرويجّية ويعلو ظهر السفينة الألمانية ويحرر الأسرى. فتولّت المدمرة البريطانية كوساك Cossack بقيادة القبطان فيليب ڤيان Philip Vian، تلك المهّمة في ليلة ١٦/١٧ من شباط في (خليج يوسنگ Josing Fjod) حيث كانت (ألتمارك) رابضة. وبعد اشتباك قتل فيه أربعة من الألمان وجرح خمسة استولى البريطانيون على السفينة واعتلوا ظهرها وحرروا (٢٩٩) بحاراً كانوا قد سجنوا في غرف المؤونة وفي خزان زيت خالٍ إخفاءً لهم عن أنظار النرويجيين.

وقدمت الحكومة النرويجية إحتجاجاً شديد اللهجة الى بريطانيا حول خرقها حرمة مياهها الاقليمية. إلاّ أن چرچل ردّ في مجلس العموم بأن النرويج هي نفسها التي خرقت قواعد القانون الدولي بأن سمحت للألمان بإستخدام مياهها الاقليمية لنقل الأسرى البريطانيين الى السجون الألمانية.

وكان هذا آخر مايستطيع هتلر إحتماله. ولقد اقنعه بأنّ النرويج لن تقاوم استعراض القوة البريطانيّ بصورة جدية في مياههم الاقليمية وكان حانقاً ايضاً كما نوّه (يودل) في مذكراته لأن بحارة (گراف شپي) الذين تقلّهم (ألتمارك) لم يقاتلوا قتالاً حقيقياً ويذكر يودل ان هتلر كان يشكو بقوله: "لامقاومة! لاخسائر بريطانية". ولهذا "صار يلحّ بكلّ شدّة" في إكمال خطط "تمرين ڤيسر" وقال ليودل: "هيئوا السفن بالمعدات واجعلوا الوحدات على أهبة الإستعداد". إلاّ أنهم كانوا بحاجة الى ضابط يقود الحملة وذكّر يودل هتلر بأن الوقت قد حان لتعيين جنرال مع هيئة أركان لهذا الغرض.

وإقترح كايتل ضابطاً كان قد خدم في فرقة الجنرال (ڤون در گولتزه) بفنلندة في نهاية الحرب العظمى الأولى. هو الجنرال (نيكولاوس ڤون فالكنهورست) الذي يقود جيشاً في الغرب. فأرسل هتلر بطلبه عاجلاً مستدركاً غفلته في هذا الأمر الصغير أمر تعيين قائد لمغامرته الشمالية. ولم يكن الجنرال معروفاً للزعيم شخصياً وإن كان قد إنحدر من أسرة سيليزية عسكرية عريقة باسم ياسترزمبسكي Jastrzembski فأبدلها بلقب فالكنهورست Nikolaus Falkenhorst (ويعني بالألمانية: فرخ العقاب).

ووصف (فالكنهورست) في استجواب له امام محكمة نورمبرگ مقابلتهما الأولى في دار المستشارية صباح ٢١ شباط. ولم تكن تخلو من أوجه الطرافة: لم يكن (فالكنهورست) قد سمع من قبل بعملية (الشمال)، وها هو الآن يواجه سيد الحرب النازي للمرة الأولى. ويبدو أنه لم يؤثر فيه كما أثّر في غيره من الجنرالات كافةً.

قال فالكنهورست للمحكمة: "طلب منّي الجلوس. وجعلني الزعيم أقص عليه سير العمليات العسكرية في فنلندا ١٩١٨... وقال لي: إجلس وحدثني كيف كانت. ففعلت ثم نهض وقادني الى منضدة كدست فوقها الخرائط وقال..."إن حكومة الرايخ تلقت معلومات عن نية بريطانيا القيام بعملية انزال في النرويج".

وذكر فالكنهورست أن الإنطباع الذي تخلفّ في ذهنه من حديث هتلر يشير الى تأثير حادثة (ألتمارك) في جعله "مستعجلاً في تنفيذ الخطة الآن" وعرت الدهشة الجنرال حينما وجد هتلر يعيّنه في الحال قائداً عاماً للحملة. وزاد هتلر قائلاً أن الجيش سيضع تحت تصرفّه خمس فرقٍ والفكرة هي إحتلال الموانيء النرويجية الكبرى. وفي ظهر اليوم صرف هتلر الجنرال وأوصاه أن يعود اليه في الساعة الخامسة عصراً بخططه لإحتلال النرويج.

"[أوضح فالكنهورست أمام نورمبرگ] خرجت وإبتعت دليل سياحة Baedeker، لأكوّن لي فكرة ما عن بلاد النرويج، اذ لم تكن لديّ اي فكرة عنها... وذهبت الى غرفتي في الفندق وانشأت اشتغل على ضوء هذا الدليل... وفي الساعة الخامسة عدت الى الزعيم..."[١٦]

كانت خطط الجنرال المستمدة من دليل سياحة قديم، لاتزيد عن خطوط عامّة كما يغلب على الظن وهو لم يطلع على الخطة التي نظمها (ق.ع.ق.م) ويظهر أنها حازت رضا الزعيم. وكان مجمل خطّة الجنرال ان تخصص كل فرقة لميناءٍ رئيسٍ من الموانيء الخمسة الكبرى النرويجية: أوسلو، ستاڤنگر، برگن، تروندهايم، نارڤيك قال فالكنهورست فيما بعد "ليس ثم مايمكن عمله خلاف ذلك، فهي المرافيء الكبيرة ". وبعد أن طلب منه حفظ السرّ وشدّد عليه "بالتعجيل في الأمر" صُرف من لدن (الفوهرر)، فانطلق جاداً في عمله.

كان هالدر وبراوختش المشغولين في التحضير للهجوم على الجبهة الغربية يجهلان أغلب مايجري حتىّ جاءهم فالهنكورست يطلب بعض الوحدات من رئيس الأركان في ٢٦ شباط وبخاصّة وحدات جبليّة ليقوم بحملته. فلم يجد تجاوباً كبيراً من هالدر، بل كان ساخطاً في الواقع وطلب المزيد من المعلومات عما يجري وعما يتطلب من حاجات. ودوّن في مذكراته بلهجة الإستغراب والسخط "لم يتبادل براوختش كلمة واحدة مع الزعيم حول هذا الأمر... هذا مايجب أن يدوّن لأجل تاريخ الحرب!"

على أن هتلر المفعم إزدراءً للجنرالات ذوي الأساليب العتيقة ولاسيما لرئيس هيئة أركانه، لم تفتر حماسته وسارع في ٢٩ شباط بالمصادقة على خطط فالكنهورست. وبضمنها إمداده بفرقتين جبليّتين. وأعلن أيضاً عن الحاجة الى المزيد من القطعات لأنه يريد "أن يبقي قوة كبيرة في كوبنهاگن" وبذلك دخلت الدانمارك نهائياً في قائمة فرائس هتلر، فالقوة الجوية كانت تطمع في قاعدة لها هناك لإستخدامها ضدّ بريطانيا. وفي اليوم التالي (١ آذار) أصدر هتلر أمراً توجيهياً لتمرين ڤيسر.

سرّي جداً

سرّي للغاية

إن تطورّ الموقف في سكندناڤيا يتطلب القيام بكلّ الإستعدادات لإحتلال الدانمارك والنرويج. هذه العمليّة ستحول بين بريطانيا وبين غزوها سكندناڤيا والبلطيق. فضلاً عن كونها ستضمن قاعدة

١٦- إستجواب فالكنهورست في نورمبرگ "مؤامرة النازيين وعدوانهم" الملحق ب. الص ١٥٤٣-١٥٤٧.

إمدادنا بخام الحديد في السويد. وتعطي أسطولنا وقوتنا الجويّة مجال حركة أوسع ضدّ إنگلترا...

نظراً لقوتنا الحربية والسياسيّة بالمقارنة مع الدول الاسكندنافية فإن القوّة التي تستخدم في "تمرين ڤيسّر" ستبقى أصغر مايمكن، إن الضعف العدديّ سيعوّض عنه عمل جريء يتسم بطابع المباغتة. ونحن مبدئياً سنبذل أقصى جهدنا لنجعل العملية تبدو وكأنها إحتلال سلمي هدفه بسط حماية عسكرية على حياد الدول السكندنافية.

المطالب المتعلقة بذلك ستقدم الى الحكومات في بداية الإحتلال وستقوم القوة الجوية والأسطول بالمظاهرات الضرورية إن لزم ذلك للتأكيد على القصد. فاذا لقيت قواتنا مقاومة رغم ذلك فستستخدم كل الوسائل الحربية لسحقها... إن إجتياز الحدود الدانمركية والإنزال في النرويج يجب أن يحصلا في آنٍ واحدٍ... من المهّم جداً أن تؤخذ الدول السكندنافية واعداؤنا في الغرب على حين غرّة... ولايعرّف الجنود بالهدف الحقيقي إلاّ بعد أن يكونوا في عرض البحر..."[١٧]

ذكر (يودل). إن "إعصاراً" هبّ على قيادة الجيش العليا في مساء يوم (١) آذار بسبب طلب هتلر جنوداً للعملية في الشمال. وفي اليوم الثاني "اختصم" گورنگ مع "كايتل" وذهب يشكو الى هتلر. كان الفيلدمارشال البدين ثائر الغضب لأنه ظل يجهل الموضوع طوال الوقت ولأن (اللوفتوافه) وضعت تحت قيادة فالكنهورست. ولخوف هتلر من التهديد بتصادم القيادات وإضطراب حبل التعاون جمع رؤساء القوات المسلّحة الثلاث في المستشارية بتاريخ ٥ آذار لتصفية الجوّ. ولكن الأمر كان صعباً.

"[كتب يودل في مذكراته]. أخذ الفيلدمارشال ينفث غضبه واستنكاره لأنه لم يستشر من قبل وسيطر على المناقشات وحاول ان يثبت عدم جدوى كلّ الإستعدادات السالفة".

فهدّأه (الزعيم) ببعض الامتيازات الصغيرة. ومضى تنفيذ الخطط قدماً. كان يخيل لهالدر (كما ذكر في يومياته منذ ٢١ شباط) أن الهجوم على الدانمرك والنرويج لن يبدأ حتى بعد قيام الهجوم في الغرب "وقطعه مرحلة معينة" وهتلر نفسه كان يشكّ في أيّ العمليتين تتقدم الأخرى. وتباحث في الأمر مع يودل في ٢٦ شباط فنصح يودل أن تبقى العمليتان منفصلتين تماماً ووافق هتلر "إن كان ذلك ممكناً".

في ٣ آذار قرر أن يسبق (تمرين ڤيسّر) (القضية الصفراء) وهو المصطلح الرمزي للهجوم في الغرب. واعرب ليودل "بكلّ حدّة ضرورة القيام بعمل مباغتٍ قويّ في النرويج". في هذا الزمن كان الجيش الفنلندي الصغير القليل السلاح يواجه الكارثة بتفوق ساحل للقوات السوڤيتية التي قامت بهجوم. وكان ثم تقارير لاتخلو من الصحّة بقرب قيام حملة عسكرية أنگلو-فرنسية بالإقلاع من قاعدتها في سكوتلاندا الى النرويج والزحف عبر تلك البلاد ثم السويد الى فنلندا محاولةً إنقاذ الفنلنديين[١٨].

١٧- نص الأمر التوجيهي "مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٦، الص٣-١٠٠٣-١٠٠٥. كذلك: وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج٨، الص ٨٣١-٨٣٣.

١٨- في ٧ آذار أبلغ الجنرال آيرنسايد رئيس هيئة أركان حرب بريطانيا المارشال مانرهايم ان حملة حليفة قوامها ٥٧٠٠ جندي مستعدة للقدوم لغوث الفنلنديين وأن الفرقة الأولى وقواتها ١٥٠٠٠ جندي يمكن وصولها الى فنلندا في نهاية آذار اذا وافقت النرويج والسويد على مرورها عبر أراضيهما. وفي الواقع كانت هاتان الدولتان قبل ذلك بخمسة =

هذا التهديد كان السبب الأساسيّ لاستعجال هتلر.

لكن الحرب السوفيتية الفنلنديّة انتهت فجأة في ١٢ آذار بقبول فنلندا شروط الصلح الصعبة. وفيم كانت برلين ترحب بالنبأ لأن ذلك أنقذها من موقف دفاعها عن الروس الذي تكره وكذلك أنهى بصورة مؤقتة الإندفاع السوفيتي نحو البلطيق والإستيلاء عليها، إلاّ انها على كل حال أحرجت هتلر بقدر مايتعلق الأمر بمغامرة النرويج. ويقول (يودل) في مذكراته أن هذا الحدث جعلّ "الدافع" لإحتلال النرويج والدانمارك "صعب التبرير" وكتب في يومية ١٢ آذار "إن ابرام الصلح بين فنلندا وروسيا جرّد إنگلترا وجرّدنا أيضاً من أيّ علة لإحتلال النرويج".

في الواقع بات هتلر في حاجةٍ ماسّة الى تعلّة جديدة. وفي ١٣ آذار كتب (يودل) المخلص ان الزعيم مازال "يبحث عن تبرير" وفي اليوم التالي كتب يقول "لم يقرر الزعيم بعد كيف يبرّر تمرين ڤيسّر" ومما زاد في الطين بلّة أن (رايدر) بدأ يتردّد. "إنهّ يشك فيما اذا كان ثم ضرورة لتمثيل دور الحرب الوقائية(؟) في النرويج"[١٩].

في تلك اللحظة تردّ هتلر، وقد برزت أمامه الآن مشكلتان: (١) كيف يعالج أمر (سمنر ويلز) نائب وزير خارجية الولايات المتحدة الذي وصل برلين في (١) آذار موفداً من الرئيس روزفلت، ليجد هل هناك امل في إنهاء الحرب قبل ان تبدأ المجازر في الغرب. و(٢) كيف يستميل الحليف الإيطالي المهان المهمل؟ لم يكلف هتلر نفسه بعد بالإجابة على رسالة موسوليني القاسية المؤرخة ٣ كانون الثاني. والعلاقات بين برلين وروما قد إنتابها برودٌ واضح. والآن يعتقد الألمان، ولديهم أسبابهم الوجيهة، أن (سمنر ويلز) قد جاء أوروپا لفصل إيطاليا عن المحور المتصدع وإقناعها على أية حالٍ بألاّ تدخل الحرب الى جانب ألمانيا إن استمرّ القتال. ووصلت برلين عدة تحذيرات من روما بأن الوقت قد فات نوعاً ما لإعادة موسوليني الى الصفّ.

= أيام (٢ آذار) قدر رفضتا الطلب الأنگلو-فرنسي بالعبور، وهو ما يعرفه (مانرهايم) الا ان هذا لم يمنع الرئيس دالاديبه في ٨ آذار من تأنيب الفنلنديين لأنهم لم يطلبوا (رسمياً) من الحلفاء جنوداً ومن التأكيد على إرسالهم بصرف النظر عن احتجاج السويد والنرويج. لكن (مانرهايم) لم يكن غبياً. ونصح حكومته بطلب الصلح في وقت مايزال الجيش الفنلندي سليماً صامداً ووافق على ارسال وفد صلح فوراً الى موسكو في ٨ آذار. كان المارشال الفنلندي كما يبدو مرتاباً في الحماسة الفرنسية للقتال في جبهة فنلندية بدلاً من القتال في جبهتهم في فرنسا (انظر مذكرات المارشال مانرهايم). ولايسع المرء الاّ ان يتساءل في غمرة الإضطراب الذي كان سينجم في معسكرات المتحاربين لو ان الحملة الأنگلو-فرنسية وصلت فنلندا وقاتلت السوڤييت. فألمانيا أشهرت سلاحها على روسيا بعد أكثر من سنة بقليل لو كانت الحملة الأنگلو-فرنسية موجودة في فنلندا عندئذ لرأينا الأعداء في الغرب حلفاء في الشرق!

١٩- مذكرات يودل: يوميات ١٠-١٤ آذار ١٩٤٠.

-٣-

هتلر يجتمع بـ"سمنر ويلز وموسوليني"

كان جهل هتلر بالولايات المتحدة مطبقاً، ويشاركه في ذلك كلّ من گورنگ وريبنتروب[٢٠]
ومع ان سياسة هؤلاء كانت ترمي في الوقت الحاضر إلى إبعاد أمريكا عن ميدان القتال فقد كانوا مثل اسلافهم في ١٩١٤ لايأخذون (اليانكي) شعب الولايات المتحدة مأخذاً جدياً ولايعترفون بهم قوّةً حربية. وكان الملحق العسكري الألماني في واشنطن الجنرال فريدريك ڤون بويتشر Friedrich von Boetticher قد كتب للقيادة العامة في برلين بتاريخ ١ تشرين الأول ١٩٣٩ بألاّ تقلق من إحتمال ارسال اية حملة أمريكية الى القارة الأوروپيّة. وابلغ القيادة في ١ تشرين الأول بأن التسليح الأمريكي لايصلح ابداً "لسياسة حرب عدوانيّة" وزاد يقول إن الأركان العامة في واشنطن "خلافاً لسياسة وزارة الخارجيّة العقيمة، سياسة روزفلت الحقودة الكريهة التي كثيراً ماتوضع على أساس زيادة التقدير في القوة العسكرية الأمريكية – مازالت تتفهّم ألمانيا وادارتها الحرب "ونوّه تقريره الأول بان"(لندبرگ Lindberg)* والطيار الشهير (ريكنبيكر Rickenbaker) يدافعان عن وجهة نظر إبقاء أمريكا خارج نطاق الحرب. إلاّ أنه رغم قلة إهتمامه بالقوة الحربية الأمريكية أنذر رؤساه في ١ كانون الأول "ان الولايات المتحدة ستدخل الحرب على كلّ إذا وجدت أن نصف الكرة الغربي مهدّد"[٢١].

وبذل (هانس توماس) القائم بالأعمال الألماني في واشنطن أقصى جهده لإيصال بعض الحقائق عن

٢٠- أوردنا امثلة عن آراء هتلر الغريبة في أمريكا في الفصول السابقة لكن كان من بين الوثائق المستولى عليها من وزارة الخارجية الألمانية وثيقة هامة تكشف عن حالة هتلر الذهنية في تلك الفترة بالذات. في ١٢ آذار جرى بين هتلر وبين كولين روس (Colin Ross) حديث طويل. وروس هذا ألمانيّ "خبير" في الولايات المتحدة كان قد عاد مؤخراً من جولة محاضرات في الولايات المتحدة، ساهم فيها بمجهود للدعاية النازية. وعندما ذكر لهتلر أن"ميلاً إمپريالياً" يسود الولايات المتحدة، سأله هذا (كما كشفت عنه ملحوظات الدكتور شميدت التي دوّنها بالإختزال للمقابلة) "هل أن هذه النزعة الإمپريالية لاتقوّي الرغبة لضم كندا الى الولايات المتحدة فتخلق بذلك موقفاً عدائياً لبريطانيا".
ويجب الإقرار بأن مشاوري هتلر في شؤون الولايات المتحدة لم يكونوا مفيدين في إلقاء ضوء على موضوع خبرتهم. وسأل هتلر (روس) لماذا يقف الأمريكان موقفاً معادياً من الألمان؟ فقدم له الأجوبة التالية من بين أجوبة أخرى: "... وعامل آخر للبغض الذي يحملونه لألمانيا... هو قوة الحركة اليهودية الجبارة التي تدير بتعصّب وذكاء شديدَين وتنظم ببراعة محاربة كل ما هو ألماني وقومي إشتراكيّ..." ثم تكلم (روس) عن روزفلت، وقال انه يراه عدواً (للزعيم) لأسباب شخصية كمجرد الحسد، وكذلك بسبب طموحه الشخصي للسلطان... تولى الحكم في السنة التي تولى الزعيم واخذ يرقبه وهو يحقق مشاريعه العظيمة بينما لم يبلغ هو (أي روزفلت) هدفه فهو ايضاً يميل الى الدكتاتورية الشبيهة بالقومية الإشتراكية من بعض الجوانب ومع هذا فان فشله في إنجاز ما نجح به الزعيم بالضبط أنمى في طموحه الپاثولوجي الرغبة في ان يظهر على مسرح تاريخ العالم بدور منافس للزعيم. وبعد إنصراف كولن روس قال عنه هتلر انه رجل ذكي جداً وآراؤه قيّمة فعلاً (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج٨، الص ٩١٠-٩١٣).
* أول طيار عابر الأطلنطي. كان يعتبر في حينه من الموالين للألمان. (المترجم)
٢١- المرجع السالف: الص ١٧٩-١٨١ و ٤٧٠-٤٧١.

الولايات المتحدة لوزير خارجيته الجاهل. وفي ١٨ أيلول عندما شارفت معركة پولندا الختام حذّر وزارة الخارجية بأن "عطف الأغلبية الساحقة من الشعب الأمريكي هو الى جانب أعدائنا، وأن أمريكا مقتنعة بجريمة ألمانيا في إثارة الحرب" وفي تقريره هذا أشار الى الآثار السيئة التي تخلفها ممارسة اعمال التخريب في أمريكا ورجا ألاّ يحصل أي تخريب "بأيّ شكل من الأشكال"[٢٢].

ولم يؤخذ رجاؤه بعين الإعتبار كما تبين من برقيته التي بعث بها الى برلين في ٢٥ كانون الثاني وهذه هي: "علمت أن الألماني - الأمريكي الجنسية ڤون هاوسبرگر Hausberqer والمواطن الألماني(فالثر) وكلاهما من نيويورك يختطان لأعمال تخريب في صناعة الأسلحة الأمريكيّة تحت اشراف دائرة الإستخبارات العسكرية الألمانية. والمأثور عن ڤون هاوسبرگر أنه يخفي متفجرات في داره".

وطلب (ثومسون) من برلين الكفّ، وقال: "ليس هناك طريق أكثر تمهيداً واسهل سلوكاً لجرّ أمريكا الى الحرب من سلوك السبيل الأول الذي وضع أمريكا في صفّ أعدائنا مرةً في الحرب العالمية الأولى ولم يؤثر قلامة ظفر في صناعات الولايات المتحدة الحربية. زد على ذلك أن كلا الشخصين المذكورين لايصلحان للعمل كوكيلين لدائرة لإستخبارات العسكرية من أية ناحية نظرت اليهما"[٢٣].

منذ أن استدعى روزفلت السفير الأمريكي من برلين في تشرين الثاني ١٩٣٨ احتجاجاً على المنهاج الرسمّي الذي اتخذه النازيون لاضطهاد اليهود وإبادتهم، ولم تتبادل الدولتان التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفراء وتناقص التبادل التجاري بينهما إلى حدّ الصبابة. والسبب الأكبر يُعزى الى مقاطعة الأمريكان للبضائع الألمانيّة. ثم جاء الحصار البريطاني ليقطع الوشائج التجارية تماماً. وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٣٩ رفع الحظر عن السّلاح بعد التصويت في مجلس الكونگرس والشيوخ وانفتح الطريق للولايات المتحدة لإمداد الحلفاء الغربيين به. في هذه العلاقات المتدهورة تدهوراً سريعاً وصل (سمنر ويلز) إلى برلين في ١ آذار ١٩٤٠.

وقبل وصوله بيوم واحد (٢٩ شباط - كانت السنة كبيسة) اتخذ هتلر الخطوة غير المألوفة باصدار "توجيهات سرية للمباحثات مع مستر سمنر ويلز"[٢٤]. وأوصت "بالتحفظ" من الجانب الألماني ونصحت "أن يُترك مستر ويلز ليستأثر بالحديث وحده بقدر مايمكن" ثم رسم خمس نقاطٍ لتوجيه كل الموظفين الكبار الذين سيقابلون المبعوث الأمريكي الخاص. وكانت الحجّة الألمانية الرئيسة هي أن

٢٢- المرجع السالف الص ٨٩-٩١.

٢٣- اجابه ڤايسيكر أن كاناريس نفسه، اكد له أن هذين الشخصين المنوّه بإسميهما في كتاب القائم بالاعمال "ليسا وكيلين من وكلاء الإستخبارات". لكن الاستخبارات المضبوطة لاتفضح مثل هذه الأسرار عادة. ولاتؤيد هوية وكلائها. وتكشف وثائق اخرى لوزارة الخارجية ان وكيلاً لإستخبارات الجيش ترك (بوينس آيرس) في ٢٤ شباط مزوداً بتعليمات للإتصال بفريتز ڤون هاوسبرگر في مدينة ويهاوكن- نيوجرسي "لتلقي التعليمات حسب اختصاصنا" وثم وكيل آخر ارسل من المدينة عينها الى نيويورك في تشرين الأول لجمع معلومات عن مصانع الطائرات والأسلحة التي تشحن للحلفاء. وأخبر تومسون نفسه في ٢٠ شباط بقدوم (بارون قسنطنطين ڤون مايديل) وهو ألماني استوني الجنسية أبلغ السفارة الألمانية في واشنطن بأنه موفد لأعمال تخريب من دائرة الإستخبارات.

٢٤- نص توجيهات هتلر: المرجع السالف، الص ٨١٧-٨١٩.

ألمانيا لم تعلن الحرب على بريطانيا وفرنسا وانما جرى العكس. وان (الزعيم) عرض عليهما السّلم في تشرين الأول فرفضتاه. وان ألمانيا قبلت التحدي للنزال. وأن أهداف فرنسا وإنكلترا هي "تحطيم الدولة الألمانية" ولهذا لم تجد ألمانيا بداً من مواصلة الحرب.

"[وختم هتلر توجيهاته] يجب إجتناب بحث مسائل سياسية معينة مثل مسألة مستقبل پولندا السياسيّ – على قدر الإمكان. واذا ما طرح [هو] مواضيع من هذا القبيل فيكون الجواب: مثل هذه الأمور يقرّرها الزعيم. ومما هو واضح أن بحث موضوع النمسا ومحمية بوهيميا موراڤيا لايمكن الخوض فيه إطلاقاً... يجب إجتناب كل التصريحات التي يمكن تفسيرها على أشكال ربما تؤدي الى معنى يُحمل على أن ألمانيا مهتمة: في الوقت الحاضر ببحث إمكان الصلح. وارجو بدل ذلك ألاّ يعطى مستر (سمنر ويلز) اي سبب للتفكير في أن ألمانيا ليست عاقدة العزم على إنهاء هذه الحرب بالإنتصار التام..."

وطبقها هتلر كما طبقها ريبنتروب وگورنگ حرفياً عندما قابلهم (ويلز) على إنفراد، أولهم في الثاني من آذار وثانيهم في الأول منه وثالثهم في الثالث. واذا ما نحن حكمنا على الأحاديث الطويلة من الوقائع التي دوّنها لها الدكتور شميدت وكانت بين الوثائق المستولى عليها، فلايسعنا إلا الإستنتاج بأن الانطباع الذي أخذه الدبلوماسي الأمريكيّ الصموت الغطريس، هو أنه نزل في مستشفى مجاذيب – لو صدق أذنيه. لقد امطره كل واحدٍ من النازيين الثلاثة الكبار بأغرب التحريف والتزييف للوقائع التاريخية بحيث فقدت ابسط كلمةٍ كل معنى لها[٢٥].

بعد اليوم الذي اصدر هتلر أمره التوجيهي بخصوص (تمرين ڤيسر) قابل ويلز – وظلّ يصرّ على أن هدف الحلفاء من الحرب هو "الإبادة" وأن هدف ألمانيا هو "السلم" وألقى خطبة على زائره تدور حول كل مابذل من مجهودٍ للسلم مع إنگلترا وفرنسا. "قبل نشوب الحرب بقليل جلس السفير البريطاني في المقعد الذي يجلس عليه سمنر ويلز وعرض عليه الزعيم إقتراحاً لم ير مثله في حياته". فرفضت كل مقترحاته وها هي بريطانيا الآن تريد تحطيم ألمانيا. ولذلك اعتقد (الزعيم) "ان القتال يجب أن يستمرّ الى النهاية... وليس ثم حلّ آخر غير كفاح الحياة أو الموت".

ولاعجب أن رأينا (ويلز) يبلّغ ڤايسيكر ويردد القول لگورنگ: "اذا كانت ألمانيا مصممة على نيل نصر عسكري في الغرب فهو يعتبر رحلته الى أوروپا بلا هدف... وان ليس لديه مايضيف الى أقواله السابقة[٢٦]. ومع أنه أوضح للألمان بأن ماسمعه من ساسة أوروپا في رحلته سيكون لأذني

٢٥– هتف گورنگ امام ويلز: "اشهد امام الله والعالم اني انا الفيلدمارشال اقول ان ألمانيا لم ترغب في الحرب... لقد أجبرت عليها إجباراً... لكن ماذا تعمل ألمانيا عندما يريد الآخرون القضاء عليها؟".

٢٦– ملحوظات الدكتور شميدت عن إجتماعات (سمنر ويلز) بهتلر وگورنگ وريبنتروب في (وثائق وزارة الخارجية الألمانية... ج٨) كذلك تقريرا ڤايسيكر عن محادثاته مع (ويلز). وقابل المبعوث الأمريكيّ الدكتور شاخت وهو خارج الحكم وقتذاك ولم يتركه هتلر يكلمه على رسله بل سبق ان استدعاه وأعلمه بمايترتب عليه قوله. أنظر هاسل: المرجع السالف ص١٢١، وقد وصف سمنر ويلز مقابلاته هذه في كتابه "وقت إتخاذ القرار The Time for Decision". =

روزفلت فقط فقد وجد من الحكمة أن يكون مسموحاً ليخبر كلاً من هتلر وگورنگ بأنه جرت "أحاديث مفيدة بناءة طويلة" مع موسوليني وأن الدوتشي "مازال يرى إحتمال إيجاد سلم وطيد دائم في أوروپا". فاذا كانت هذه هي أفكار الدكتاتور الإيطالي فقد حان الوقت ليدرك الألمان ان عليهم تصحيح أفكار حليفهم. السلم... أجل، ولكن بعد إنتصار ألمانيّ ساحقٍ في الغرب.

تزايد قلق موسوليني بمرور الزمن الطويل على رسالته الى هتلر وبقائها دون جواب. ودأب السفير الإيطالي أتوليكو طوال شهر كانون الثاني يسأل من ريبنتروب عن موعد الردّ ملمحاً الى أنّ علاقات إيطاليا مع فرنسا وبريطانيا تتحسن وبخاصة علاقاتهما التجارية.

هذه التجارة التي تتضمن بيع إيطاليا المواد الحربية، كانت تحزّ في نفوس الألمان وكانوا يحتجون بإستمرار في روما على مساعدتها الحلفاء الغربيين من حيث لايجوز ذلك. وظلّ السفير ڤون ماكنزن يرسل لصديقه ڤايسيكر التقارير معرباً عن "قلقه الشديد"- وهذا الأخير كان يخشى أن يسبب إهمال الرد على رسالة الدوتشي وقتاً أطول من هذا ردود فعلٍ ويعطي الدوتشي "حرية العمل" - فتفقده ألمانيا الى الأبد وتفقد معه إيطاليا[٢٧].

ثم وفي ١ آذار سنحت لهتلر فرصة. فقد أعلن البريطانيون بأنهم سيقطعون شحنات الفحم الألماني من روتردام Rotterdam الى إيطاليا بحراً. فكانت ضربة شديدة على الإقتصاد الإيطاليّ واستشاط لهما الدوتشي غيظاً على البريطانيين ورفعت من مشاعره نحو ألمانيا، التي وعدت حالاً بإيجاد وسائل لإيصال الفحم عن طريق السكة الحديد. وانتهز هتلر هذه المناسبة وكتب رسالة طويلة الى موسوليني في ٨ آذار سلمها له ريبنتروب شخصياً في روما بعد يومين[٢٨]. ولم يعتذر لتأخّر الرد إلاّ أنه اظهر رقّة ووداً عندما أسهب في بيان أفكاره وشرح سياسته في كل موضوع يمكن تصوره. وهي تفوق رسائله الماضية له بالمحسنات اللفظيّة. فدافعت عن التحالف النازي مع روسيا ونبذ الفنلنديين،

= كان يوجد في برلين وقتئذ رسول سلم أمريكي آخر غير رسميّ وهو جمس د. موني James D. Mooney نائب رئيس شركة (جنرال موتورز). كان في برلين قُبيل إندلاع الحرب أو بُعيدها كما تحضرني الذاكرة، يحاول كما حاول ذلك الهاوي الدبلوماسي (داليروس) انقاذ السلم دون ان تكون له أية علاقة به. في اليوم الرابع من شباط وهو الذي تلا مغادرة (ويلز) برلين استقبل هتلر (موني). وتشير الوثائق الألمانية المستولى عليها بخصوص هذه المقابلة أن الزائر أخبره أن الرئيس روزفلت أكثر وداً وعطفاً على الألمان مما يسود الإعتقاد في برلين "وأن الرئيس مستعد للقيام بدور "الوسيط" لجمع المتحاربين على طاولة بحث معاً. فردّد هتلر ماقاله (لسمنر ويلز) قبل يومين. وفي ١١ آذار ارسل تومسون الى برلين تقريراً سرياً هيّأه له مخبر أمريكي مجهول الإسم يذكر فيه أن موني "ممن عُرفوا بموالاتهم لألمانيا" ولاشك أن هذا المدير التنفيذي (للجنرال موتورز) كان ممن اجتذبهم الألمان ويقول تومسون أن (موني) هذا أبلغ الرئيس روزفلت على أثر حديثه مع هتلر "بأن الزعيم الألماني يرغب في السلم وحقن الدماء التي ستسيل في الربيع القادم" والتقى ديكهوف السفير الألماني في واشنطن الذي كان يقضي وقته متعطلاً ببرلين (بموني) بعد مقابلة الزعيم مباشرة وابلغ وزارة الخارجية ان رجل الأعمال الأمريكي "شخص فارغ" و"إني لاأستطيع الإعتقاد بأن مبادرته ذات اهمية كبيرة" (وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٨، الص ٨٦٥-٨٦٦).

٢٧- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج٨، الص ٦٥٢-٦٥٦ و٦٣٨-٦٨٤.

٢٨- نص رسالة هتلر الى موسوليني ٨ آذار ١٩٤٠ المرجع السالف الص ٨٧١-٨٨٠.

وعدم إنشاء دويلة پولندية.

"لو أني سحبت القوات الألمانية من (الحكومة العمومية) فلن يحقّق ذلك الهدوء والإستقرار في پولندا وانما ستحُلّ الفوضى الشنعاء. ولن تستطيع الكنيسة أن تقوم بواجباتها في خدمة الله، بل سيطاح برؤوس القساوسة..."

واما عن زيارة (سمنر ويلز) فيقول هتلر انها لم تحقق شيئاً، وهو مايزال عاقد العزم على مهاجمة الغرب. ويرى "أن المعركة القادمة لن تكون مجرد نزهة، بل أشدّ معركة في تاريخ ألمانيا ضراوة ووحشيّة... معركة حياة أو موت".

وهنا دعا هتلر موسوليني الى دخول الحرب: "لاشكّ ايها الدوتشي في أن نتيجة هذه الحرب ستقرر ايضاً مستقبل إيطاليا... ستواجه انت نفسك يوماً ما الأعداء الذين يحاربون ألمانيا اليوم – هم انفسهم... وانا نفسي أرى أيضاً مصير بلدينا وشعبينا وثورتينا ونظامينا مرتبطين إرتباطاً لا انفصام له... وأخيراً دعني أؤكد لك بأن القَدَر سيضطرنا عاجلاً أم آجلاً إلى ان نقاتل جنباً الى جنبٍ، اعني انك لن تكون ايضاً بعيداً عن قراع السيوف هذا مهما تكن نظرات الشخص في الموقف الحالي. وان مكانك سيكون إذ ذاك الى جانبنا أكثر من أي وقت مضى مثلما كان مكاني الى جانبك".

وأدرك موسوليني الزهو بماجاء في الرسالة واكد لريبنتروب حالاً بأنه يتفق مع الزعيم في ان مكانه الى جانبه. "في خطّ النار". ولم يضع وزير الخارجية النازي وقتاً في الثناء على مضيفه ومدحه.

وقال أن (الزعيم) ثارت نفسه للإجراءات البريطانية الأخيرة في قطع شحن الفحم بحراً الى إيطاليا". كم هي حاجة الإيطاليين؟ فأجاب موسوليني بين خمسمائة وسبعمائة ألف طنّ شهرياً فسارع ريبنتروب على البديهة يعرض تزويده بمليون طنّ من الفحم شهرياً وتهيئة معظم العربات لتحميلها.

وجرى إجتماعان طويلان بين الرجلين، حضرهما تشيانو في ١٢ و١١ آذار وتكشف مدوّنات الدكتور شميدت للإجتماعين بأن ريبنتروب كان منشرحاً الى أقصى حد[٢٩]. وإن كان ثم أمور أهم من المجاملة والمديح تستلزم البحث. وعرض على الدوتشي تقارير دبلوماسية پولندية أستولي عليها. ومصدرها العواصم الأوروپيّة لإثبات "جريمة الولايات المتحدة الشنعاء".

"اوضح وزير الخارجيّة ان هذه الوثائق أظهرت بكلّ جلاء الدور الفاضح الذي اضطلع به السفراء الأمريكان بوليت Bullitt [في پاريس] وكينيدي Kennedy [في لندن] ودركسل بيدل Drexel Biddle [في وارشو]... انها لتقوم دليلاً على دسائس الطبقة المسيطرة اليهودية البلوتوقراطية التي وصل نفوذها عن طريق مورگان Morgan وروكفلر Rockefeller الى حدّ التأثير على روزفلت".

وظلّ وزير الخارجية النازي الجاهل يهذي عدة ساعات مبدياً كالعادة غباءً وجهلاً في الشؤون

٢٩– محاضر شميدت للإجتماعين: المرجع السالف، الص ٨٨٢–٣٩٣ و٨٩٨–٩٠٩. رواية تشيانو في "أوراق تشيانو الدبلوماسية الص ٣٣٩–٣٥٩ انظر ايضاً شميدت المرجع السالف الص ١٧٠–١٧١ ويوميات تشيانو، عن تعليقاتها الخاصة حول الإجتماعين. برقيتا ريبنتروب الى هتلر عن إجتماعه في وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ج٨.

العالمية شارحاً المصير المشترك للدولتين الفاشيتين ومؤكداً ان هتلر لن يلبث ان يهاجم في الغرب. "ويهزم الجيش الفرنسي في غضون الصيف" ويخرج البريطانيين من القارة "قبل نهاية الصيف" وكان موسوليني يصغي أغلب الوقت، إلاّ أنه يعقّب بين الفنية والفنية بملاحظة كانت السخرية فيها كما يبدو فوق إدراك الوزير النازي. فمثلاً عندما صرّح ريبنتروب مفاخراً "بان ستالين نبذ فكرة الثورة العالمية" إبتدره موسوليني (على حد ماروى شميدت) "أنت واثق من هذا حقاً؟" وعندما أوضح ريبنتروب أنه "لايوجد جندي ألماني واحد لايؤمن بأن النصر سيتحقق في هذه السنة" عقب موسوليني بقوله "هذه ملاحظة هامّة جداً!" ودوّن تشيانو في يومياته ليلتها، مايلي: "بعد الإجتماع، بقينا وحيدين. قال موسوليني أنه لايؤمن بهجوم ألماني ولا بفوز ألمانيّ تام".

كان الدكتاتور الإيطالي قد وعد أن يدلي بوجهات نظره الخاصّة في إجتماع اليوم التالي وكان ريبنتروب قلقاً بعض الشيء بما سيسمع منها. فأبرق الى هتلر مبدياً عجزه عن التوصل "الى لمعة واحدة من لمع من أفكار الدوتشي".

ولم يكن بحاجة إلى كبير قلق. فقد اصبح موسوليني في اليوم الثاني رجلاً مختلفاً عن الأمس تماماً. حتى ذكر عنه شميدت، أنه انقلب فجأة "الى متحمّس للحرب" وقال لضيفه: ليس الموضوع موضوع دخول إيطاليا الحرب من عدمه الى جانب ألمانيا، ولكن متى سيكون دخولها. إن مسألة التوقيت "دقيقة للغاية" لأنه قرر ألاّ يدخل إلاّ بعد أن يكمل جميع إستعداداته لكيلا يكون عبئاً على شريكه.

"ومهما كانت الأحوال فهو يرغب ان يصرحّ بكلّ صدقٍ أن إيطاليا ليست في حالة ماليّة تؤهلها خوض حربٍ طويلة الأمد، وهو لايتمكن من إنفاق (بليون ليرة) في اليوم الواحد كما يفعل الآن كل من فرنسا وإنگلترا".

ويبدو ان هذه الملاحظة دفعت ريبنتروب الى الوراء لحظة. وحاول أن يحمل الدوتشي على تعيين موعدٍ لدخول إيطاليا الحرب. إلاّ أن الدوتشي كان حذراً من توريط نفسه فقال "ستأتي الساعة عندما تتحدد علاقات إيطاليا بفرنسا وإنگلترا أي متى سيكون الفراق بيننا وبين هاتين الدولتين" واضاف يقول: من السهل أن "نستحدث" مثل هذا الفراق. ومع إلحاح ريبنتروب فإنه لم يفز منه بطائل حول الموعد. من الواضح أن تدخّل هتلر في هذه المسألة ضروريّ. وعلى هذا إقترح وزير الخارجية النازيّ إجتماعاً في (برينر) بين الرجلين في الجزء الأخير من شهر آذار بعد اليوم التاسع عشر منه فوافق موسوليني على إقتراحه حالاً. ولم ينطق ريبنتروب بالصدفة بكلمة واحدة حول خطط هتلر لإحتلال الدانمرك والنرويج. هناك بعض الأسرار مما لايصّح أن تذكره لحليفك حتى وان كنت تحاول حمله على الإنضمام اليك.

ومع فشل ريبنتروب في حمل الدوتشي على تعيين الموعد إلاّ أنه أفلح في إقناعه بالتصريح عن إعتزامه دخول الحرب. وكتب تشيانو في مذكراته متألماً "اذا أراد أن يقوّي المحور فقد نجح". وعندما

آب سمنر ويلز الى روما بعد زيارته برلين وپاريس ولندن في ١٦ آذار وجد الدوتشي رجلاً آخر.

"[كتب سمنر ويلز فيما بعد] بدا لي وكأنه ألقى عن كاهله عبءً ثقيلاً... كثيراً ماتساءلت -خلال الأسبوعين اللذين انصرما على زيارتي الأولى الى روما- هل قرر عبور الروبيكون Rubcion* وهل قرّر خلال زيارة ريبنتروب زجّ إيطاليا الحرب؟[٣٠] لم يكن (ويلز) بحاجة إلى التساؤل.

ما أن غادر ريبنتروب روما في قطاره الخاصّ حتى بات الدكتاتور الإيطالي البائس فريسةً لأفكار أخرى. كتب تشيانو في مذكراته في ١٢ آذار "انه يخشى ان يكون قد انزلق في اعطاء وعد بالقتال ضدّ الحلفاء. انه الآن يرغب في إقناع هتلر بالعدول عن هجومه البريّ وهو يأمل أن يحقق أمنيته في إجتماع (ممر برينر)" لكن تشيانو المحدود الأفق كان يعرف غير ذلك فقد زاد في يومياته قوله "لاينكر إن الدوتشي مأخوذ بسحر هتلر، وهو إعجاب يتضمن شيئاً عميق الجذور في تكوينه. سيحصل هتلر من الدوتشي على أكثر مما استطاع ريبنتروب ان يظفر به". ويمكن القول بتحفظ ان التعليل صائب كما سيتضح بعد قليل.

ما أن عاد ريبنتروب الى برلين حتى إتصل بتشيانو في ١٣ آذار طالباً تحديد موعد لقاء (برينر) بتاريخ أدنى مما اتفق عليه وهو يوم ١٨ آذار فإنفجر موسوليني صائحاً "هؤلاء الألمان لايطاقون، انهم لايدعون للمرء متنفساً أو مجالاً للتفكير في المسائل" الاّ أنه وافق على التاريخ.

"[سجّل تشيانو في مذكراته ذلك اليوم] الدوتشي عصبيّ. كان حتى هذه الساعة يعيش متوهماً أن حرباً حقيقية لن تنشب. إن إحتمال حصول اشتباك قريب قد يكون هو بعيداً عنه كان يمضّه، أو إنْ استخدمنا تعبيره: يظهره بمظهر الذليل[٣١].

كان الثلج يتساقط عندما اقترب قطار الدكتاتورَين من محطة الحدود الصغيرة في (ممر برينر) تحت منحدرات جبال الآلب الشامخة المكسوة بالثلج صباح الثامن عشر من آذار ١٩٤٠. ومجاملة للدوتشي جرى الإجتماع في عربته الخاصّة إلاّ ان هتلر كان المتكلم الوحيد تقريباً ولخّص تشيانو المؤتمر في مذكراته تلك الليلة: "كان المؤتمر خطبة واحدة... تحدث هتلر طوال الإجتماع... موسوليني كان يصغي اليه بإهتمام واحترام... تكلم قليلاً وأيّد نيّته بالتحرك مع ألمانيا واحتفظ لنفسه بحق إختيار اللحظة المناسبة". قال موسوليني: إنه ادرك بأنه يستحيل عليه البقاء على الحياد حتى نهاية الحرب" (عندما تمكن من فرصةٍ ليقول شيئاً). التعاون مع إنگلترا وفرنسا "لايمكن التفكير فيه". إننا نكرههم. ولذلك "لامفرّ من دخول إيطاليا الحرب". وقضى هتلر أكثر من ساعة يحاول أن يقنعه بذلك. إن لم تشأ إيطاليا أن تبقى معزولةً، أو رضيت أن تصبح "قوة من الدرجة الثانية"[٣٢]. لكن بعدأن

* نهر في شمال إيطاليا. ذكروا ان يوليوس قيصر ٤٥.ق.م بقي متردداً زمن في عبوره. لأن ذلك يجعله في حرب معلنة مع مجلس الشيوخ في روما.

٣٠- (ويلز) المرجع السالف ص١٣٨.

٣١- يوميات تشيانو ص٢٢٠.

٣٢- الصيغة العادية لمختزلات الدكتور شميدت عن الإجتماعات "وثائق وزارة الخارجية الألمانية، ج٩، الص ١-١٦".

اجـاب الدوتشي عـلى السـؤال الأصـيل وأراح هتلر، بدأ حـالاً ينكمش: "المشكلة الكبـرى كـانت... التـاريخ... شرط واحد لهذا يجب أن يتحقق. إيطاليا يجب أن "تكون مسـتعدّة" إسـتعداداً تاماً... ان وضع إيطاليا المالي لن يسمح لها بخوض حرب طويلة الأمد... "إنه يسأل (الزعيم) هل هناك خطر على ألمانيـا إن تأخّـر الهـجـوم. إنه لايرى أيّ خطرٍ في هذا... وفي هذه الحـالة سـيكون قـادراً على إكـمـال استعداداته العسكرية خلال ثلاثة أشهر أو أربعة. ولن يكون في وضع مـحرج إذ يرى رفيقه يقـاتل وليس بإمكانه القيـام بغيـر مـجرد إسـتعـراض قـوة... انه يريد أن يـقدِّم شيئـاً أكثـر من هذا وهو الآن لايستطيع ذلك.

لم يكن هتـلر ينوي تأجيل موعد هجومه في الغرب وقد صارحه بذلك إلاّ ان لديه "بعض الآراء النظرية" التي قد تحلُّ مشكلة موسوليني. (وهي قيامه بهجوم جبهّي في الجنوب الفرنسّي الجبلي) مادام هذا القتال "سيكلف دماءً كثيرة"، فلماذا لايستعيض عنه بتجهيز قوة إيطالية شديدة البأس تتقـدم مع الألمان على مـحاذاة الحدود السـويسرية نـحو وادي الرون Rhone "للإلتـفاف على الجبـهـة الفرنسيّة الإيطالية الالپيّة من الخلف" وقبل ذلك ستقوم الجيوش الألمانية الرئيسة بالطبع بالإلتفاف على البريطانيين والفرنسيين من الشمـال. يظهر أن هتلر كان يحاول أن يسهل الأمور على الطليـان: "عندما يسحق العدو [في شمال فرنسا] ستحين الساعة لإيطاليا للتدخل تدخلاً فعالاً ليس في أصعب النقاط من جبهة الألب بل في محلّ آخر. سيتقرر مصير الحرب في فرنسا. واذا ما قضي على فرنسا ستكون إيطاليا سيدة البحر الأبيض المتوسط وستضطر بريطانيا الى قبول الصلح."

والحق يقال، ان موسوليني لم يتـأخر في استيعاب هذا المطمح الوضّاء المجيد بـالحصول على كل هذا بعد أن ينهض الألمان بأكبر العبء ويخوضوا اصعب القتال.

"اجاب الدوتشي انه سيتدخل حالما يحقّق الألمان تقدماً ظافراً... ولن يضيّع دقيقةً واحدةً... عندما يترنح الحلفاء بفعل الهجوم الألماني فلايبقى إلاّ ان توجه اليهم الضربة الثانية ليخروا على ركبهم. أما اذا كان تقدم الألمان بطيئاً، فانه سينتظر".

هذه المساومة المنحطة الجبانة لم يكن لها أيّ تأثير خاصّ على هتلر إن كان موسوليني مفتوناً به شخصيّاً بسبب "شيء عميق الجذور في تكوينه" كما يقول تشيانو، فإن الفتنة والأعجاب متبادلان للأسباب الغامضة نفسها. لم يكن هتلر وفياً لطائفة من أقرب زملائه ولم يتردد في قتل بعضهم أمثال روهم وشتراسّر. إلاّ انه ظلّ وفياً وفاءً عجيباً غير مألوف لشريكه الإيطالي السخيف، ولم يضعف إخلاصه بل اشتد قوة عندما حاقت النائبات وصروف الدهر ثم حلت الكارثة بالقيصر الروماني المختال التافه. انها واحدة من غرائب المتناقضات في تاريخنا هذا. على أية حال أعطي وعد قاطع بدخول إيطاليا الحرب على قلة أهميّة ذلك – ولم يكن بين الألمان عدا هتلر وبخاصّة في أوساط الجنرالات إلاّ قلةّ ثمّنت ذلك تثميناً كبيراً. إن رب الحرب النازي لقادر الآن على تحويل أفكاره الى فتح قريبٍ جديد. قريبٍ جداً – في الشمال، لم ينطق بكلمة واحدة عنه لصديقه وحليفه.

-٤-

المؤتمرون يخيبون ثانيةً

حاول الإنقلابيون خصوم النازية مرة أخرى إقناع الجنرالات بالقضاء على هتلر، هذه المرّة قبل أن يقوم بإعتدائه الجديد على سكندينافيا وكانوا قد علموا بأمره، وماكانوا يريدونه الآن هو تأكيدات من الحكومة البريطانية بأنها لن تتردد في عقد صلح مع نظام حكم ألماني معادٍ للنازيّة، وأصرّوا بأن تحتفظ حكومة الرايخ الجديدة في أي تسوية تتم - بمعظم مكاسب هتلر الاقليمية وهي أرض السوديت والنمسا وحدود ١٩١٤ في پولندا. وان كانت هذه الحدود قد نزعت قسراً في الماضي بنتيجة إزالة الوطن الپولندي.

بهذه المقترحات رحل هاسل الى أروزا Arosa في سويسرا يوم ٢١ شباط ١٩٤٠ بشجاعة شخصيّة نادرة المثال. للإتصال بوسيط بريطانيّ اطلق عليه "مستر إكس" في مذكراته، وهو شخص يدعى جَي. لونسديل براينس J. Lonsdale Bryans وتحادثا طويلاً بسرية تامة في أربع مقابلات تمت في يومي ٢٢ و٢٣ شباط كان (براينس) الذي عرف في المجتمع الدبلوماسي بروما. واحداً من الهواة المفاوضين المتبرعين بجهودهم في سبيل السلم ممن أتينا الى ذكرهم. وهو على صلة (بداوننگ ستريت). لقيه هاسل مرة واحدة فاجتذبته شخصيته وبعد أن خاب مسعى البريطانيين في محاولتهم الإتصال بالإنقلابيين الألمان عن طريق الرائد ستيفنز والنقيب (بست) في هولندا باتوا مرتابين في الموضوع كله وعندما ألحّ (براينس) على هاسل تزويده بمعلومات وثيقة عن الشخصيات التي يمثلها ويتكلم بإسمها إرتبك وأحرج ثم أجاب:

"إني لاأستطيع أن أذكر أسماء الرجال الذين يساندوني إلا أني أوكد لك ان تصريحاً من هاليفاكس سيصل إلى الاشخاص الحقيقيين"[٣٣].

ثم بدأ يلخص وجهة نظر "المعارضة" الألمانية: لقد تقررّ أن يطاح بهتلر "قبل قيامه بعمل عسكري كبير" وأن ذلك يجب ان يكون "عملاً ألمانياً بحتاً" ومن الضروري ان يُعطى الإنقلابيون "تصريحاً إنگليزياً صادراً من جهة مسؤولة" حول كيفية معاملة نظام حكم جديد في برلين معادٍ للنازيّة. وان "العقبة الأساسّية أمام تغيير في النظام هي قصة عام ١٩١٨ واعني بذلك قلق الألمان من تطوّر الأمر الى عين ماحصل آنذاك بعد أن ضحّي بالقيصر". وهاسل وأصدقاؤه يريدون في حالة الإطاحة بهتلر ضمانات بمعاملة كريمة لألمانيا لا كالمعاملة التي لقيتها بعد التخلص من القيصر ڤلهلم الثاني.

وسلّم (براينس) مذكرة كان قد كتبها باللغة الإنگليزية وهي وثيقة مضطربة الأفكار وإن ضمّت مشاعر نبيلة حول عالم مقبل يقام على صرح "مباديء الاخلاق المسيحّية والعدالة والقانون والسعادة

٣٣- هاسل: المرجع السالف الص ١١٦-١١٨. معظم البحث مقتبس من هذا المصدر.

الإجتماعية وحرية الفكر والضمير" وان الخطر الأعظم الذي يكمن في "إستمرار الحرب الجنوبية" هو "بلشفة أوروپا" (وهكذا تجد هاسل يعتبر البلشفية اسوأ من دوام الحكم النازي!) وان شرطه الأساسيّ للسلم هو أن تترك ألمانيا الجديدة بكلّ المكاسب الإقليمية التي نالها هتلر تقريباً. وعدّد تلك الأراضي وهي: استبقاء النمسا وأراضي السوديت وعدم بحث موضوعها في مؤتمر صلح. وأن تستعيد ألمانيا حدود ١٩١٤ مع پولندا، وهي في الواقع تلك الحدود التي كانت بين ألمانيا وروسيا لأن پولندا لم يكن لها وجود في ١٩١٤ (ولم يشر هاسل طبعاً الى ذلك).

ووافقه (براينس) بأن عملاً سريعاً هو من ألزم الضرورات نظراً الى قرب الهجوم في الغرب. ووعد بتقديم مذكرته الى لورد هاليفاكس. وعاد هاسل إلى برلين ليعلم زملاءه "المؤتمرين بآخر مجهوداته ومع أنهم كانوا يأملون الخير من صديق هاسل (مستر إكس) إلاّ ان إهتمامهم الأكبر كان منصرفاً في تلك اللحظة الى (تقرير إكس) الذي قدّمه أحدهم (هانس ڤون دوناني Hans von Dohnanyi) التابع لدائرة الإستخبارات، الذي كتبه نتيجة إتصال (الدكتور موللر) بالبريطانيين في الڤاتيكان (انظر ماسبق) وقد جاء فيه ان الپاپا مستعدّ للتدخل والإتصال مع بريطانيا للتباحث في سلم كريم الشروط مع حكومة ألمانية جديدة معادية للنازية. وكانت وجهة نظرهم هؤلاء خصوم هتلر، أن الأب الأقدس سيساند أحد شروطهم وهو "تسوية مشكلة الشرق لمصلحة ألمانيا" إن الدكتاتور النازي الكافر قد حقق التسوية في الشرق "لمصلحة ألمانيا" بالعدوان المسلّح: وهؤلاء الإنقلابيون المؤمنون الألمان يريدون الشيء نفسه يُعطى لهم بيد بريطانيا، وببركات الپاپا!

اشغل (تقرير إكس) حيزاً كبيراً من خيال المؤتمرين في شتاء ١٩٣٩-١٩٤٠. وفي نهاية تشرين الأول عرضه الجنرال توماس على (براوختش) تحدوه في ذلك نيّة تحريض قائده العام على إقناع هتلر بالعدول عن الهجوم في الغرب هذا الخريف. إلاّ ان براوختش لم يستحسن تشجيع هذا العمل. وهدد الجنرال توماس بوضعه تحت الإعتقال إن عاد الى بحث الموضوع مرة أخرى، وصاح به "إنها لخيانة عظمى واضحة".

وأخذ الجنرال توماس (تقرير إكس) إلى الجنرال هالدر والهجوم النازي في الغرب يحوم في الأفق، مؤملاً أن يعمل على ضوئه. إلاّ أن مسعاه خاب. فقد أجابه كما أجاب (كويردلر) قطب الإنقلاب وعماد نشاطه الذي كان قد رجاه أن يتزعم الحركة بعد رفض براوختش وأنه لايستطيع في هذا الوقت ان يبرر الحنث بيمين الولاء (للزعيم) كجنديّ. فضلاً عن أنّ "إنگلترا وفرنسا قد أعلنتا الحرب علينا" وعلى المرء أن يخوض الحرب الى النهاية. والصّلح بالمساومة غير معقول. ولن يؤخذ بإقتراح كويردلر إلاّ عند الضرورة القصوى.

"هكذا اذن Also doch" اثبت هاسل في مذكراته بتاريخ ٦ نيسان ١٩٤٠ عندما وصف حالة (هالدر) الفكريّة كما أوضحها له (كويردلر). ودوّن بعد عبارة تعجبية "إن هالدر الذي بدأ يبكي أثناء كلامه حول مسؤولياته، ليس إلاّ رجلاً ضعيفاً مهّدم الأعصاب".

إن دقّة هذا الحكم مشكوك فيها. فعندما يمضي المرء في قراءة يوميّات (هالدر) لأول أسبوع من نيسان وهي محتشدة بمئات الوقائع المفصّلة حول الإستعداد للهجوم الجبّار في الغرب، الذي يساهم هو مساهمةً كبيرة في إحكامه لا يسع المرء إلاّ أن يرى رئيس هيئة الأركان العامة وهو في أطيب مزاجٍ وانعش روح يناقش قوّاد جيوش الميدان ويعيد النظر في آخر الخطط لأعظم وأجرأ عملية عسكرية في التاريخ الألماني. ولا توجد إشارة واحدة في مذكراته عن أفكار خيانة أو أي صراعٍ في ضميره، وإنْ كان مستاءً متوجّساً من الهجوم على الدانمرك والنرويج من زاوية عسكرية بحتةً. ولم تكن هناك كلمة واحدة حول الشك الخلقي بالعدوان النازي على الدول الأربع الصغيرة التي تتاخم ألمانيا. بعد أن ضمنت بلاده سلامتها ضماناً قاطعاً، في حين كان يدري أن ألمانيا ستجتاحها ومن بينها بلجيكا وهولندا اللتين اضطلع هو بدور رائد في رسم خطط غزوهما.

وهكذا ختم على مصير آخر محاولة (للألمان الطيبين) لإزاحة هتلر قبل فوات الوقت. وهي آخر فرصة للفوز بسلم كريم. لم يكترث الجنرالات بسلمٍ ناجم عن مفاوضات كما بيّن (هالدر وبرواختش). وهم الآن يفكرون كهتلر بصلح تُملى شروطه إملاءً بعد نصر ألماني محجّل. ولم يعودوا عودةً جدية إلى التفكير بالإئتمار والخيانة التي كانت قوية جداً في أيام مونيخ وزوسّن. لم يعملوا لإزاحة هتلر مجدداً حتى بدأت الفرص في النصر تتضاءل وتتهافت. علينا أن نتذكر دائماً هذا الوضع الفكريّ والخلقيّ على ضوء الأحداث التالية، ودوران فلك الأساطير القادمة.

-٥-

الإستيلاء على الدانمرك والنرويج

وصف عدد كبير من الكتاب إستعدادات هتلر للإستيلاء على الدانمارك والنرويج بأنها من أسرار الحرب التي كان الحرص على سريّتها تاماً. لكن يبدو لهذا المؤلف ان الدولتين السكنديناڤيتين وحتى البريطانيين أنفسهم، إنما أُخذوا بالهجوم على حين غرّة لا لأنهم لم ينذروا بالخطر أو لأنهم جهلوا مسبقاً ماذا يخبّيء القدر. بل لأنهم لم يصدقوا الإنذار في الوقت المناسب.

قبل وقوع الكارثة بعشرة أيام قام العقيد (أوشتَر) التابع لإستخبارات الآبڤير (الإستخبارات العسكرية الألمانية) بإنذار صديقه الحميم العقيد (جَي. گ. ساس J. G. Sas) الملحق العسكري الهولنديّ في برلين بإعداد الخطط (التمرين ڤيسّر). فبادر (ساس) حالاً الى إبلاغ الملحق العسكري الدانمركي النقيب كويلسون Kjolsen[٣٤].

إلاّ أن الحكومة الدانمركيّة الوديعة المطمئنة لم تصدق ملحقها البحريّ. وعندما بعث الوزير المفوض

٣٤- الن دللس Allen Dulles "خفايا ألمانيا" ص٥٩.

الدانمركي النقيب (كويلسون) الى كوبنهاگن في ٤ نيسان ليكرر الإنذار شخصياً، لم تؤخذ معلوماته مأخذاً جدياً أيضاً. وفي المساء الذي سبق الكارثة (٨ آذار) بعد أن وصلت أنباء عن أصابة باخرة شحن محملة بالجنود الألمان بالطوربيد على مبعدة من ساحل النرويج الجنوبي شمال الدانمرك، وبعد أن شاهد الدانمركيون بأم أعينهم أسطولاً ألمانياً جباراً يقلع متجهاً الى الشمال منساباً بين جزرهم واشار احد الجالسين الى مائدة عشاء الملك إلى أنّ بلاده في خطر، إستبعد الملك الأمر بإبتسامة. وعقّب أحد ضباط الحرس الملكي الذي كان حاضراً بقوله "إنه في الحقيقة لم يصدّق بالأمر، بدليل خروجه بعد العشاء لحضور تمثيل في الأوپرا الملكية " وهو في حال رائعة من الثقة والصفاء الذهني والسعادة"[٣٥].

وتقاطرت الإنذارات على الحكومة النرويجيّة منذ أوائل آذار، من مفوّضيها في برلين ومن السويد، حول تحشّد عسكريّ ألماني وتجمع بحري في بحر الشمال للسفن الألمانية، فضلاً عن المرافيء الألمانية على البلطيق. وفي ٥ نيسان وردت أنباء دقيقة جازمة من برلين تنبيء بقرب إنزال عسكري ألمانيّ في جنوب النرويج. إلاّ أن الحكومة المترددة في أوسلو بقيت بين الشكّ واليقين. ولم يزايلها التردد حتى في السابع من نيسان عندما لوحظت سفن حربية ألمانية تتجه الى الساحل النرويجي ووردت تقارير عن اكتشاف الطائرات البريطانية التي تقوم بالدوريات، أسطول قتالٍ ألماني خارج فم خليج (سكاجراك Skagerak) بل حتى في ٨ نيسان بعد أن ابلغت الأميرالية البريطانية المفوضية النرويجيّة في لندن بإكتشافها قوة بحرية ألمانية كبيرة، تقترب من ميناء (نارڤيك) والصحف في أوسلو تنشر بأن الجنود الألمان الذين أنتشلوا من الباخرة الألمانية الغارقة (ريو دي جانيرو) المصابة قبل ساعات قرب الساحل النرويجي في ليلليساند Lillesand بفضل طوربيد غوّاصة پولندية صرّحوا أنهم في طريقهم الى (برگن) ليساعدوا في الدفاع عنها ضد البريطانيين - مع كل هذا لم ترَ الحكومة النرويجيّة ضرورة لإتخاذ التدبير البديهي الأول وهو إعلان تعبئة عسكرية وبث الألغام بصورة تامة حول القلاع التي تحمي الموانيء. وتضع العقبات في مدارج المطارات للحيلولة دون نزول الطائرات فيها. وأهم من كل هذا ان تبث الألغام في الممرّ الضيق البحري لمداخل العاصمة والمدن الرئيسة وهو أسهل الأعمال طرّاً. ولو انها فعلت ذلك لكان التاريخ قد سلك سبيلاً آخر.

اخذت الأنباء الشؤم كما سمّاها چرچل، تتسرب الى لندن منذ الأول من نيسان وفي الثالث منه بحث مجلس الحرب البريطاني آخر المعلومات. وفي مقدمها أخبار (ستوكهلم) التي تتحدث عن تجمّع قوات عسكرية ألمانية كبيرة في موانيها الشمالية هدفها التحرك نحو سكندناڤيا. الاّ انها لم تؤخذ مأخذ جدٍّ. وبعدها بيومين (٥ نيسان) عندما أقلعت أولى موجات سفن الإمدادات الألمانية وصارت في عرض البحر صرّح رئيس الوزراء چمبرلين في خطبة له أن هتلر "ضيّع على نفسه الفرصة" بعدم هجومه في الغرب عندما كانت فرنسا وبريطانيا غير مستعدتين. وهي عبارة كان سيندم عليها بعد قليل[٣٦].

٣٥- "شايرر" (تحدي سكندناڤيا) الص ٢٢٣-٢٢٥.

٣٦- أبحرت سفن الشحن الألمانية الثلاثة الأولى متجهة الى نارڤيك في الساعة الثامنة صباحاً (٣ نيسان) وغادرت =

كانت الحكومة البريطانية كما ذكر چرچل تميل الى الإعتقاد بأن هتلر يريد بالتحشّد الألماني في البلطيق ومرافيء بحر الشمال ان يوجّه بضربة مقابلة في حالة قيام البريطانيين بزرع الألغام في المياه النرويجيّة لقطع شحن الحديد الخام من (نارڤيك) وإحتلال هذه المدينة أيضاً أو ربما مدناً أخرى الى الجنوب.

وفي الواقع كانت الحكومة البريطانية تفكر في القيام بعمليّة إحتلال كهذه. فقد استطاع چرچل وزير البحرية البريطانية بعد سبعة أشهر من الإخفاق - الحصول على مصادقة مجلس وزراء الحرب ومجلس الحرب الأعلى للحلفاء لزرع الألغام في المزاغل البحريّة النرويجيّة وقرر القيام بالعملية التي سميت "ولفريد Wilfred" في ٨ نيسان. ولما كان يتوقع من الألمان ضربة معاكسة لهذه الضربة المميتة التي ستؤدي الى قطع تموينهم بالحديد من ميناء (نارڤيك)، فقد قرر أن ترسل حملة صغيرة أنگلوفرنسية الى نارڤيك وتتقدم نحو الحدود السويسرية القريبة. وأن تنزل حملة مختلفة أخرى في تروندهايم وبرگن وستاڤنكر جنوباً، لمنع هذه القواعد عن العدو كما علّلها چرچل. وقد عرفت هذه العملية الثانية بالرمز (را-٤)"[٣٧].

وهكذا فبينما كان الألمان يحملون جنودهم على ظهر مختلف السفن الحربية خلال الأسبوع الأول من نيسان لدفعها الى النرويج، كانت الوحدات البريطانية وهي أقلّ عدداً بكثير تقلع بالسفن من كلايد وبطرادات الى الجهة نفسها في الرابع منه.

بعد مؤتمر طويل عقدة هتلر في ٢ نيسان مع كل من گورنگ ورايدر وفالكنهورست، أصدر أمراً رسمياً بالشروع في تنفيذ (تمرين ڤيسر) في الساعة ١٥ , ٥ من فجر يوم ٩ نيسان وفي الوقت نفسه أصدر أمراً توجيهياً جاء فيه "أن هروب ملكي الدانمرك والنرويج من بلديهما في وقت الإحتلال يجب أن يمنع بأيّ ثمن كان"[٣٨]. وفي اليوم نفسه أيضاً باحت القيادة العليا للقوات المسلحة بالسرّ لوزارة الخارجية وقدمت الى ريبنتروب توجيهات مطولّة طلب منه فيها إعداد التدابير الدبلوماسية لإقناع الدانمرك والنرويج بالإستسلام دون قتال حال وصول القوات الألمانية المسلحّة، وأن يخترع بعض المبررات لعدوان هتلر الأخير[٣٩].

ولكن الخديعة لم تكن وقفاً على وزارة الخارجية. إذ شارك الأسطول في إستخدام هذه الوسيلة. ففي ٣ نيسان وبإقلاع أوائل السفن الى وجهتها. بحث (يودل) في يومياته عن مسألة الخديعة التي يمكن تطبيقها على النرويجيين في حالة شكّهم بوجود هذا العدد الكبير من الجنود الألمان قريبين منهم. وفي الواقع إن هذه الخديعة تولى الاسطول أمرها. إذ أبلغ شاحناته وقطعه الحربية بمحاولة التنكر

= أكبر ناقلة نفط ألمانية ميناء مورمانسك الى نارڤيك في ٦ نيسان بمعرفة الروس الذين زوّدوها بشحنتها من النفط.

٣٧- چرچل: تجمع العاصفة، ص٥٧٩. إن الخطط البريطانية (را-٤) أوردها دري Derry في كتابه: المعركة في النرويج. المدوّنات الرسمية البريطانية لمعركة النرويج.

٣٨- نص الأمر التوجيهي "وثائق سياسة ألمانيا الخارجية" ج ٩ الص ٦٦-٦٨.

٣٩- المرجع السالف ٦٨-٧٣.

بالرعوية البريطانية. ورفعها العلم البريطاني إن ألجأتها الضرورة الى ذلك؛ وقد أوضحت وثائق القيادات البحرية السرية طبيعة الأوامر لغرض "التخفي والتمويه في غزو النرويج"[٤٠].

سريّ للغاية

السلوك أثناء دخول المرفأ

تطفأ أنوار السفن كلّها... إن التنكر بصفة السفن البريطانية يجب أن يستمر أطول مدة ممكنة. كلّ المخابرات بإشارات (مورس) التي توجهها السفن النرويجيّة تكون الإجابة عنها باللغة الإنگليزية ويختار للجواب مايشبه العبارة التالية: "متجهون الى (برگن) في زيارة قصيرة، النية غير عدوانية".

الاسئلة تجاب بأسماء قطع حربية بريطانية:

كولن تسمى بإسم السفينة الحربية البريطانية القاهرة Cairo".

كوينكسبرگ تسمى بإسم السفينة الحربية البريطانية "كلكتّا Calcutta" الخ...

تتخذ التدابير لتسهيل تنوير الأعلام الحربية البريطانية...

بالنسبة الى برگن... رُسم مايأتي كمبدأ عامٍ يهتدى به: إن وجدت إحدى وحداتنا نفسها مضطرةً الى إجابة رسالة سفينة عابرةً: الإجابة عن الإسم (كما في قضية كولن): السفينة الحربية "القاهرة" الأمر بالوقوف:

(١) "أرجو أن تكرروا إشارتكم الأخيرة"

(٢) "يتعذر علينا إلتقاط إشارتكم"

في حالة إطلاق قذيفة إنذارية: "أوقفوا إطلاق النار هذه. سفينة بريطانية. صديق حميم".

في حالة السؤال عن الجهة والغاية "متجهون الى برگن لملاحقة البواخر الألمانية[٤١]."

وفي ٩ نيسان ١٩٤٠ في الساعة ٥,٢٠ صباحاً (٤,٢٠ صباحاً بتوقيت الدانمرك) قبل إنبلاج الفجر بساعة واحدة أنهض المبعوثان الدبلوماسيان الألمانيان في كل من أوسلو وكوبنهاگن وزيري خارجية البلدين من فراشيهما قبل هذا الموعد بعشرين دقيقة بالضبط (أصرّ ريبنتروب على جدول توقيت يطابق وصول القوات الألمانية في تلك الساعة) وقدما للحكومتين النرويجية والدانمركية إنذاراً نهائياً ألمانياً طلبا فيه ان يصرحا بقبولهما فوراً وبدون مقاومة "حماية الرايخ". وربمّا عدّ هذان الإنذاران من أوقح ماكتبه هتلر وريبنتروب اللذين مهرا الآن وأصبحا أستاذين مجربين في المكر الدبلوماسي"[٤٢]. فبعد أن بيّنا أن الرايخ دخل لمساعدة الدانمرك والنرويج بحمايتهما من الإحتلال

٤٠- النص في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٦، الص ٩١٤-٩١٥ [وثائق نورمبرگ-١١٥ C].

٤١- برر أمير البحر الأكبر رايدر هذه التدابير أثناء إستجوابه في نورمبرگ بأنها "خدعة شرعية تستخدم في الحرب ولايمكن الإعتراض عليها بأيّ وجهٍ من الوجوه" محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج١٤، الص ٩٩ و١٩٤.

٤٢- النص: "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٨، الص ٤١٠-٤١٤ (وثائق نورمبرگ-٥٥ TC). كذلك: "وثائق سياسة ألمانيا الخارجية" ج٩، الص ٨٨-٩٣.

الأنگلوفرنسي... ذكرا مايلي:

"ولهذا فإن القوات الألمانية لاتضع قدمها على التراب النرويجي كعدو، إن القيادة العليا الألمانية لاتنوي إستخدامها النقاط التي تحتلها القوات الألمانية بمثابة قواعد عمليات ضدّ إنگلترا، إن لم تضطر الى ذلك إضطراراً... بالعكس فإن العمليات العسكرية الألمانية ترمي بصورة مطلقة الى حماية الشمال من إحتلالٍ أنگلو-فرنسي وشيكٍ للقواعد النرويجيّة... وبدافع من روح العلاقات الطيبة بين النرويج وألمانيا التي مازالت قائمة حتى الآن فإن حكومة الرايخ تصرح للحكومة النرويجيّة الملكيّة بأنّ ألمانيا ليس لديها أيّ نيّة للإنتقاص من السيادة الاقليميّة والإستقلال السياسيّ لمملكة النرويج الآن أو في المستقبل، بالتدابير التي لجأت اليها...

وتؤمل حكومة الرايخ ان حكومة النرويج وشعب النرويج... لن يبديا أية مقاومة. إن كل مقاومة سيقضى عليها بكلّ وسيلةٍ.. وهي لذلك لاتؤدي إلاّ الى إراقة دماء لا مبرر لها قط.

كانت الدانمرك عند حسن ظنّ الألمان وكما توقعوا، خلافاً للنرويج. وقد اتضح ذلك لدى وزارة الخارجية الألمانية عند وصول التقارير المستعجلة الأولى من مفوضيتها في تينك البلدين. فقد أبرق المبعوث الألماني في كوبنهاگن لريبنتروب في الساعة ٨,٣٤ صباحاً، بأنّ الدانمركيين "قد قبلوا كلّ مطالبنا [مع أنهم] سجّلوا إحتجاجاً!" أماّ الوزير المفوض الألماني في أوسلو (كرت براور) فقد كان تقريره مختلفاً تماماً عندما أبرق في الساعة ٥,٥٢ صباحاً، بالجواب النرويجي الفوري بعد إثنتين وثلاثين دقيقة من تقديمه الإنذار الألماني"لن نخضع طوعاً: إن القتال الآن ناشب"(٤٣). فبلغ السخط بريبنتروب المتعجرف مبلغاً عظيماً(٤٤) وفي الساعة ١,٥٥ صباحاً أرسل الى (براور) برقية "مستعجلة جداً" قال فيها "عليك ان تضغط حالاً على الحكومة النرويجية وتفهمها أن المقاومة غير مجدية بتاتاً".

وهذا ما لم يكن بمقدور المبعوث الألمانيّ التاعس أن يفعله. ففي ذلك الوقت كان الملك النرويجي والحكومة وأعضاء البرلمان قد لاذوا بالفرار من العاصمة ولجأوا الى الجبال شمالاً. وكلّهم عاقدو العزم على المقاومة مهما بلغ الوضع من اليأس. والواقع ان المقاومة بدأت في بعض المواضع لا كلّها بوصول

٤٣- تقرير رنثه-فينك من كوبنهاگن: "وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩، الص ١٠٢-١٠٣. تقرير (براور) من أوسلو. المرجع السالف ص١٠٢.

٤٤- لم يجد المؤلف وزير الخارجية النازي أكثر عنجهية وصلافة مما شاهده في صباح ذلك اليوم. فقد سار متبختراً الى المؤتمر الصحفي الذي عقد بصورة خاصّة في وزارة الخارجية وهو مرتد بزة قتال رمادية ليبدو وكما دوّنت في مذكراتي "كأنه مالك الأرض ومَنْ عليها"، وبادر يقول "لقد اعطى الزعيم جوابه... إحتلت ألمانيا البلاد الدانمركية والنرويجية لحمايتها من الحلفاء وستدافع عن حيادها الحقيقي حتى نهاية الحرب. وبهذا أنقذ جزءً شريفاً من أوروپا- وانتشله من سقطة محققة" وكانت صحف برلين قمينة بالمطالعة في ذلك اليوم: كتبت البويرسون زاتنگ:"إنگلترا تطأ بقسوة أجساد البلاد الصغيرة الميتة" "ألمانيا تحمي الدول الضعيفة من قطاع الطرق البريطانيين"... "على النرويج أن تتبين صواب عمل ألمانيا الذي أقدمت عليه لضمان حرية الشعب النرويجي". وكتبت صحيفة هتلر الفولكشر بيوباختر عنواناً كبيراً "ألمانيا تنقذ سكنديناڤيا!"

السفن الألمانيّة ليلاً.

كان موقف الدانمركيين ميؤوساً منه، فشبه جزيرتهم الجميلة الصغيرة لايمكن الدفاع عنها وهي صغيرة جداً مسطحة جداً، ومعظمها وهي (چتلاند) مفتوح من طريق البرّ لفرق هتلر المصفّحة. وليس فيها جبال يلوذ بها الملك والحكومة. كما فعل أقرانهم النرويجيون. ولم يكونوا يتوقعون أيّ عون من بريطانيا. ولقد قيل أن الدانمركيين أكثر مدنيّة من أن يقاتلوا في مثل هذه الظروف، ومهما يكن من أمر فهم لم يرفعوا السلاح. والوحيد الذي دعا الى المقاومة بينهم هو الجنرال ڤ.ڤ پرايور W. W. Priyor قائد الجيش العام إلاّ أن دعوته أبطلت بقرار رئيس الوزراء تورڤالد شتاوننگ Torvald Stauning ووزير الخارجية ادڤارد مونش Edvard Munch والملك الذي رفض مناشدة القائد له بإعلان النفير العام عندما بدأت الأنباء السيئة تتوارد في ٨ نيسان. ولأسباب ظلت غامضة على المؤلف حتى بعد إجراء التحقيق في كوبنهاگن لم يطلق الأسطول طلقةً واحدةً لا من سفنه ولا من بطريات الساحلّ، حتى عندما مرّت القطع الحربيّة الألمانية من تحت ظلال مدافعها وكانت قادرة على تمزيقها أشلاء. وإلتحم الجيش في مواقع قليلة في جتلاند وأطلق الحرس الملكي بضع رصاصات حول القصر الملكيّ وأصيب عدد قليل من رجاله بجراح. وفي الوقت الذي أتمّ الدانمركيون فطورهم الشهيّ كان كل شيء قد إنتهى. واستسلم الملك بناءً على نصيحة حكومته مخالفاً رغبة الجنرال پرايور، وأمر بوقف المقاومة القليلة.

اظهرت وثائق الجيش الألماني المستولى عليها أن الخطط التي أعدت للإستيلاء على الدانمرك بحركة مباغتة قد نظمت بدقةٍ لاتوصف. فقد وصل الجنرال كرت هيمر Curt Himer رئيس أركان القوات المخصصة لإحتلال الدانمرك بالقطار الى كوبنهاگن في ٧ نيسان بثياب مدنيّة للتعرّف على العاصمة وليقوم بالتدابير الضرورية لرسوّ مناسبٍ على رصيف المرفأ لناقلة الجنود هانزشتاد دانزگ Hansestadt Danzig، وإيجاد سيارة لوري لتأمين نقل تجهيزات قليلة وجهاز راديو مرسلٍ ومستقبلٍ. وكان آمر الفوج (أرتؤي أن فوجاً واحداً يكفي لإحتلال هذه المدينة العظيمة!) قد وصل الى كوبنهاگن أيضاً بثياب مدنيّة قبلها بيومين لإستطلاع الأرض.

ولم يكن غريباً إذن أن يتمّ تنفيذ خطط الجنرال وآمر الفوج بالحرف الواحد دون أن يعترضها اي عائق. وصلت ناقلة الجنود الى كوبنهاگن قبيل الفجر ومرّت دون أن تتعرض لها مدافع الحصن الذي يحمي الميناء ولا مدافع سفن حراسة الشواطيء الدانمركية ورست بكلّ هدوءٍ على رصيف لانجليني Langelinie في قلب المدينة على رمية حجرٍ من القلعة التي هي مقرّ قيادة الجيش الدانمركي وعلى مسافة قصيرة من قصر أمالينبورگ Amalienborg مسكن الملك. وإحتل الفوج المنفرد تينكما البنايتين دون مقاومة تذكر.

وفي الطابق الثاني من القصر وسط لعلعة الرصاص المنطلق بشكل متباعدٍ كان الملك يتباحث مع وزرائه وكانوا ينصحون جميعاً بعدم المقاومة. إلاّ (الجنرال پرايور). فقد إلتمس أن يُسمح له بالمقاومة،

وطلب على الأقل أن يغادر الملك قصره الى أقرب معسكرٍ في هوڤلته Hovelte ليأمن من الأسر إلاّ ان الملك نزل عند رغبة وزرائه وسأل (كما روى أحد الحاضرين) "هل أن جنودنا قاتلت قتالاً طويلاً" فردّ عليه (پرايور) بأنهم لم يفعلوا ذلك[٤٥].

ونفذ صبر الجنرال (هيمر) للتأخير. واتصل تلفونياً بمقر قيادة العمليات المختلطة التي اقيمت في مدينة (همبورگ) (لم يفكر الدانمركيون بقطع الإتصال التلفوني مع ألمانيا) وذكر فيما بعد أنه[٤٦] طلب ان يحوّم بعض القاصفات في سماء كوبنهاگن "لإرغام الدانمركيين على القبول". وكانت المحادثة بالشفرة وفهمت اللوفتوافه أن (هيمر) يطلب القيام بقصف فعليّ فوعدت بتنفيذ ذلك حالاً - وكان خطأ تم تصحيحه في الوقت المناسب وقبل أن يفدح الخطب. ويقول الجنرال (هيمر) أن القاصفات "التي صارت تهدر فوق العاصمة الدانمركية مالبثت أن أحدثت أثرها: وقبلت الحكومة بمطالب الألمان".

كان ثم بعض الصعوبة في إيجاد الوسائل لإذاعة إستسلام الحكومة على الجنود الدانمركيين لأنّ موعد إذاعة راديو البلاد لم يأزف بعد في هذه الساعة المبكرة وقد حلت المشكلة بإذاعته على الموجة الدانمركية نفسها من الجهاز الإذاعي الذي جلبه الفوج معه. وكان الجنرال (هيمر) بدرجة من بعد النظر أن هيأ له لورياً لنقله إلى حصن المدينة.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر أخذ الجنرال (هيمر) معه السفير الألماني سيسل ڤون رنثه-فينك Cecil von Renthe-Fink وإنطلقا لمقابلة ملك الدانمرك الذي لم يعد ملكاً، إلاّ انه لم يدرك ذلك وقد ترك لنا (هيمر) تقريراً عن مقابلته هذه في أوراق الجيش السرّية المستولى عليها قال:

"بدا الملك البالغ سبعين عاماً منهاراً من الداخل، وإن ظلّ محافظاً على مظهره الخارجي محافظة تامة وملازماً لوقاره المطلق طوال المقابلة. كان جسده يرتعش كلّه وصرح بأنه مع الحكومة سيفعلان كل مايمكن فعله للمحافظة على الأمن والنظام في أرجاء البلاد ويقضيان على كل ما من شأنه توليد إحتكاك بين الجنود الألمان وأهل البلاد." ورغب في أن تجنب بلاده كوارث ومصائب أخرى.

فأجاب الجنرال (هيمر) أنه شخصياً يأسف أسفاً عميقاً لمقابلة الملك في مثل هذه المهمّة إلاّ إنه يقوم بواجبه كجنديّ... واننا جئنا كأصدقاء الخ... وعندما سأل الملك هل يمكنه الإحتفاظ بحرسه الخاصّ أجاب الجنرال (هيمر)... أن (الزعيم) سيسمح بدون شكّ بالإبقاء عليهم في خدمته. وانه لايشكّ في الأمر بتاتاً. وظهرت على الملك علائم الإرتياح الواضح عند سماعه ذلك.

وفي أثناء المقابلة الملكية... زاد إنتعاش الملك وزايله القلق، وفي الختام وجه القول للجنرال (هيمر)

٤٥- مجموع الخسائر الدانمركية الكلّي في كل البلاد: ١٣ قتيلاً و٢٣ جريحاً. وتكبد الألمان حوالي ٢٠ إصابة. هذا وقد اعتمد المؤلف في الرواية الدانمركية للإحتلال الألماني على كتابه (تحدي اسكندناڤيا). وكتاب (الدانمرك أثناء الإحتلال: لمؤلفه بورگ أوتره Borge Outre. وكانت مساهمة المقدم توالوف Thaulow قيّمة.

٤٦- من وثائق الجيش الألماني السرية. إقتباس (مؤامرة النازيين...) ج٦، الص ٢٩٩-٣٠٨ (وثائق نورمبرگ ٣٥٩٦-PS).

"أتسمح لي أيها الجنرال أن أقول لك شيئاً كجندي الى جنديّ؟ إنكم ياألمان فعلتم المحال مرة أخرى! على المرء أن يقرّ بأن هذا عمل هائل!"

بقي الملك الدانمركي وشعبه الطيب القلب المتمدّن الخفيف الروح الطيّع. زهاء أربع سنوات حتى تغيّر ميزان الحرب وهو لايقلق بال الألمان قط. وباتت بلاد الدانمرك تعرف "بالمحميّة النموذجيّة" وسمح للملك والحكومة والمحاكم وحتى للبرلمان والصحافة بمقدار عجيب من حرية العمل في مبدأ الأمر - ولم يتعرض الفاتحون حتى لليهود السبعة آلاف بأي أذىً - الى زمنٍ إلاّ ان الدانمركيين أدركوا أخيراً بعد أن أدرك معظم الشعوب المدحورة بأنه يتعذّر "التعاون المخلص" (كما يسمونه) مع طغاتهم التيوتون الذين بدأت وحشيتهم تزداد بمرور السنين وبتدهور أحوالهم وسوء حظوظهم في الحرب. هذا اذا رغبوا في الاحتفاظ بصبابة من عزّة النفس والكرامة. وبدأوا ايضاً يرون إحتمال هزيمة ألمانيا في الحرب أخيراً، وان الدانمرك الصغيرة لن يقدّر لها نظام هتلر الجديد الذي يقصر اللسان عن إعطائه الوصف الذي يستحقّه... وبعدها بدأت المقاومة.

-٦-

الشعب النرويجيّ يقاوم

هنا بدأت المقاومة من الأول وان لم تكن في كل مكان. في نارڤيك - الميناء ورأس السكة الحديد للخطّ الموصل بمناجم حديد السويد إستسلم الكولونيل (كونراد ستدلو) آمر الحامية للألمان دون ان يطلق رصاصة واحدةً، وكان هذا العقيد، كما مرّ، أحد اشياع (كويزلينگ) المتحمّسين. إلاّ أن القائد البحريّ كان من عيارٍ آخر. تقدمت عشر مدمّرات ألمانية من فم الفيورد (الخليج) الطويل فأطلقت الآيدزڤولد Eidsvold وهي إحدى دارعتين عتيقتين تحرسان الميناء، قذيفة إنذار وأرسلت إشارة للمدمرات بالكشف عن هويّتها. فأجاب نائب أمير البحر (فريتز بونته Fritz Bonte) قائد الأسطول الغازي من المدمرات، بإرسال ضابط في زورقٍ إلى السفينة النرويجية بطلب الإستسلام. وتبع ذلك مكيدة ألمانية، دافع ضباط البحر الألمان عنها فيما بعد بقولهم أن الضرورات تبيح المحظورات. وعندما أرسل الضابط الرسول إشارةً لأمير البحر الألماني بأن النرويجيين مصممون على المقاومة. انتظر و(بونته) حتى وصول الزورق خارج منطقة النار وأسرع بنسف الدارعة (ايدزڤولد) بالطرابيد. ففتحت الدارعة النرويجية الثانية (نورجه Norge) نارها إلاّ انها أغرقت حالاً وهلك فيها ثلاثمائة بحارٍ نرويجيّ هم كل ملاحيها تقريباً. وفي الساعة ٨ صباحاً سقطت نارڤيك في أيدي الألمان احتلتها عشر مدمرات تسلّلت من بين أسطول بريطاني ضخمٍ ونزلها فوجان من الجنود النازيين بقيادة العميد (ادوارد ديتل Eduard Dietle) وهو صديق باڤاري قديم لهتلر منذ أيام إنقلاب مشرب البيرة، برهن

على شجاعته وسعة حيلته عندما حمي الوطيس في نارڤيك في بداية اليوم التالي.

وأستوليَ على تروندهايم الواقعة في وسط ساحل النرويج الغربي الطويل. ولم يلقَ الألمان بإحتلالها صعوبة تذكر. لم تطلق مدافع الساحل قذائفها على العبّارة البحرية الألمانية التي يقودها الطرّاد الثقيل هيپّر Hipper عندما دخلت الفيورد العريض. ورست المدمرات الأربع وأنزلت الناقلات جنودها بكلّ يسر على رصيف الميناء دون معارضة أو تدخل. على أن بعض القلاع بقيت تقاوم ساعات قليلة. وظل المطار القريب في ڤايرنيس Vaernes ممتنعاً يومين إلاّ ان هذه المقاومة لم تؤثر على إحتلال ميناء ممتازٍ صالح لرسوّ أكبر السفن الحربيّة فضلاً عن الغواصات ورأس سكة حديد تمتد على طول الجزء الأوسط الشمالي من النرويج حتّى السويد وكان الألمان يتوقعون أن تصلهم الإمدادات بفضلها اذا ما قطع البريطانيون عنهم طريق البحر.

أمّا (برگن) وهي ثاني أكبر مدينة وميناء في النرويج الواقعة الى جنوب تروندهايم بمسافة مئتي ميلٍ وتتصل بالعاصمة بسكة حديد، فقد أبدت بعض مقاومة وألحقت بطاريات حراسة الميناء أضراراً بليغة بالطراد (كوينكسبرگ) وسفينة إحتياطية إلاّ أن الجنود أنزلوا من السفن بسلام وإحتلوا المدينة قبل الظهر. وفي (برگن) انزلت أول معونة بريطانية مباشرة للنرويجيين الذاهلين ففي عصر اليوم نفسه أغرقت (١٥) طائرة بحرية منقضة الطرّاد كوينكسبرگ وهي أول سفينة من هذا الحجم تغرق بفعل غارة جوية. وكان لدى البريطانيين خارج الميناء أسطول ضخم يتألف من أربعة طرادات وسبع مدمّرات كان بإمكانها القضاء على القوة البحريّة الألمانيّة الصغيرة. همّت بدخول الميناء فاذا بها تتلقى أمراً من الأميراليّة بإلغاء الهجوم بسبب خطورة وجود الألغام والقصف من الجوّ. ووافق چرچل على ذلك ثم ندم فيما بعد. وهذا أوّل إشارة حذر ومثل ودليل للإجراءات الحذرة النصفية التي كانت ستكلف البريطانيين غالباً في الأيام العصيبة التالية.

إحتلّ المظليون الألمان مطار (سولا Sola) قرب ميناء (شتافنجر) على الساحل الجنوبي الغربي بعد أن أسكتت أعشاش المدافع الرشاشة النرويجية. ولم يكن فيه وسائل حماية مضادة للطائرات. وهو أعظم مطار في البلاد وعلى أهميّة قصوى ستراتيجياً لسلاح الجوّ الألماني. فمنه تتمكن القاصفات من الوصول لا الى الأسطول البريطاني على طول الساحل النرويجي وحده بل أنْ تُغير على قواعده الرئيسة في شمال بريطانيا، وضمن إحتلاله لألمانيا تفوقاً ساحقاً فورياً في النرويج وحكم على مصير أية محاولة بريطانية لإنزال قوات كبيرة – بالفشل التام. وأبدت (كريستيانساند) في الساحل الجنوبي مقاومة شديدة للألمان. وردّت بطرياتها الساحلية الأسطول الألماني بقيادة الطرّاد الخفيف (كارلسروه Karlsrohe) مرتين. إلاّ أن القلاع دمرت بقصف سلاح الجوّ الألماني وتم إحتلال الميناء في منتصف العصر. على أنّ الطراد كالسروه الذي خرج مساء ذلك اليوم الى البحر – أصيب غوّاصة بريطانية فلحقه ضرر بالغ جداً، فوجب إغراقه. وهكذا ماحلّ الظهر أو بعده بقليل حتى كانت في يد الألمان المدن النرويجية والمرافيء الخمس الرئيسة مع مطار واسع على طول الساحل الغربي البالغ طوله

ألفاً وخمسمائة ميل من خليج سكاجراك حتى المحيط المنجمد الشمالي. إحتلتها حفنة من الجنود ونقلهم أسطول أصغر بكثير من الأسطول البريطاني لقد كسبت الجرأة والخديعة والمباغتة نصراً عظيماً لهتلر بخسارة قليلة جداً. لكن قواته العسكرية ودبلوماسيته في أوسلو (الهدف الأكبر) لقيت مصاعب غير متوقعة.

كان يقف على رصيف مرفأ (أوسلو) طوال ليلة ٩/٨ نيسان القريرة عصبة مرحة طروبة من رجال المفوضية الألمانية بقيادة القبطان شرايبر Schreiber الملحق البحري الألماني يزورها بين الفينة والفينة الوزير المفوّض المشغول جداً الدكتور (براور) وكلهم بانتظار قدوم العمارة البحرية وناقلات الجنود. وراح ضابط بحريّ ألماني شاب يمخر عباب الساحل البحري للأسطول المنتظر قدومه بقيادة بارجة الجيب (لوتسوف) وكان إسمها من قبل (دويچلاند) فاستبدله هتلر لأنه لم يرغب في ان يفقد قطعة بحرية تحمل اسم بلاده. وقد عقد لواء الحملة للطرّاد الثقيل (بلوخر Bluecher) الجديد الذي نزل البحر لأول مرة.

انتظروا عبثاً. ولم تصل البوارج. فقد اعترضت سبيلها زارعة الألغام النرويجية (أولاڤ ترايگڤرسن Olav Trygverson) التي أغرقت زورق طوربيد ألماني وعطبت الطراد الخفيف ايمدن Emden وبعد أن أنزلت العمارة قوة صغيرة لإسكات بطريات الساحل واصلت سيرها في الخليج. وببلوغها نقطة تبعد زهاء خمسة عشر ميلاً جنوب (أوسلو) حيث تضيق المياه الى خمسة عشر ميلاً، ظهرت مصاعب أخرى. فهاهنا تقف قلعة (أوسكاربورگ Oskarborg) التي كانت مستعدة لها خلافاً لما يتوقع الألمان. وفتحت القلعة نار مدافعها من طراز كروب عيار (٢٨ سنتمتراً) قبيل إنبلاج الفجر على البارجتين (لوتسوف وبلوخر) وقذفت بطرابيدها أيضاً من الساحل. فشبت النار في (بلوخر) ذات حمولة (١٠٠٠٠) طن وتمزقت تمزيقاً بإنفجار ذخائرها الحربيّة وإبتلعتها اللجّة وغرق فيها ألف وستمائة رجلٍ منهم عدد من موظفي الگشتاپو والإداريين (مع كلّ أوراقهم) وكانت مهتم إلقاء القبض على الملك وأعضاء الحكومة وتولي المهام الادارية في العاصمة. وعطبت البارجة لوتسوف ايضاً إلاّ أنها لم تعطل عطلاً تاماً. وكان على ظهر (بلوخر) نائب أمير البحر (اوسكار كومتز Oskar Com-metz) قائد العمار. والجنرال إرڤين انكلبرخت Erwin Engelbrecht قائد فرقة المشاة الـ١٦٣ فإستطاعا السباحة الى السّاحل فأسرهما النرويجيون. فما كان من العمارة الألمانية إلاّ أن دارت على أعقابها بعد الضربات القاصمة وابتعدت لتلعق جراحها. لقد فشلت في مهتمها وهي الإستيلاء على أكبر هدف ألماني: عاصمة النرويج ولم تعد اليها إلاّ في اليوم التالي.

في الواقع سقطت (أوسلو) بيد قوة رمزيّة أصغر من هذه بكثير، تمّ إنزالها من الجوّ في الميناء الجويّ غير المحميّ. إن الأنباء الفاجعة من الموانيء الأخرى، وقصف المدافع على بعد خمسة عشر ميلاً من (أوسلو) حملت الأسرة الملكية وأعضاء الحكومة ونواب البرلمان الى قطار خاصّ غادر العاصمة في الساعة ٩,٣٠ صباحاً الى (هامار Hamar) التي تبعد زهاء ثمانين ميلاً الى الشمال. خرجت من العاصمة عشرون شاحنة محملة بذهب بنك النرويج وشاحنتان محملتان بسجلات وزارة الخارجيّة من

العاصمة في الساعة نفسها. وهكذا حطّمت وقفة حامية (اوسكاربورگ) البطولية كل خطط هتلر للإستيلاء على ذهب النرويج والقبض على الملك وأعضاء حكومته.

الاّ ان (أوسلو) تركت في حيرةٍ تامة. كان فيها عدد من الجنود النرويجيين إلاّ أنهم لم يرصدوا للدفاع. وأهمّ من هذا أنه لم يحاول أحد ما إقامة الموانع وغلق المطار القريب. في فورنبو Fornebu وكان يمكن إنجاز ذلك بوضع عدد قليل من السيارات العتيقة على إمتداد المدرج وفي ساحة الهبوط. في ساعة متأخرة من ليلة أمس كان النقيب الطيار شبلّر Spiller الملحق الجويّ الألماني قد وصل المطار وبقي فيه لإستقبال جنود الجوّ القادمين بعد وصول العمارة البحرية الى المدينة. فعندما فشلت السفن في مهمتها طيرت برقية مستعجلة جداً من المفوضية الى برلين تبلغها بالموقف الحرج غير المتوقع وكان الجواب فورياً. إذ سرعان ماتدفق المظليون وجنود الجوّ على المطار وعند الظهر انتظمت السرايا الخمس المسقطة واجتمعت. ولما كانت أسلحتها خفيفة فقد كان بإمكان الوحدات النرويجية المتيسرة في العاصمة إبادتها بكلّ سهولة لكن اوسلو كانت في اشد حالات الإضطراب والفوضى، ولأسباب أخرى لم تتضح حتى الآن لم توجه تلك القوات بل لم تنشر نشراً سوقياً وزحفت القوة الألمانية الرمزيّة على المدينة يتقدمها جوق موسيقي عسكري صدّاح كان وجوده في ذلك الظرف من الأعاجيب وهكذا سقطت آخر المدن (أوسلو). إلاّ أن النرويج لم تسقط... لم تسقط بعد.

في عصر التاسع من نيسان إجتمع البرلمان النرويجي (شتورتنك) في (هامار) ولم يغب عن الجلسة غير خمسة أعضاء من أصل مائتين إلاّ انه أجّل الإجتماع الى الساعة ٧,٣٠ مساءً عندما وصلت أنباء عن إقتراب قوة من المشاة الألمان. فإنتقل إلى (إيلڤروم Elverum) على مسافة أميال قليلة شرقاً بالقرب من الحدود السويدية. وكان الدكتور (براور) بضغط من ريبنتروب يطلب مقابلة فورية للملك ورضي رئيس الوزراء شريطة أن تنسحب القوات الألمانية إلى مسافة مأمونة نحو الجنوب. فلم يوافق الوزير المفوض الألماني.

في الواقع كان الألمان يدبرون في هذا الوقت مكيدة أخرى. إنطلق النقيب (شبلّر) الملحق الجوّي من مطار (فورنبو) متجها الى(هامار) بسريّتين من المظليين الألمان لأسر الملك العنيد وحكومته. وقد بدا لهم أشبه باللعبة منها بحربٍ، فالجنود النرويجيون لم يطلقوا رصاصة واحدة لصدّ الألمان عن (أوسلو) ولهذا لم يتوقع (شبللر) مقاومةً ما في (هامار). والواقع أن السريتين اللتين كانتا تركبان باصات ركاب إعتيادية، اعتبرتا زحفهما نزهةً واستمتاعاً بالمناظر الطبيعية لا غير. ولم تضعا في حسبانهما ضابطاً نرويجياً تصرف بشكل يختلف تماماً عن غيره. كان العقيد (روجه Ruge) مفتش مشاة الجيش العام الذي رافق الملك الى الشمال، قد أصرّ على تأمين نوع من الحماية للحكومة الهاربة ونصب كميناً في الطريق قرب هامار بمساندة فوجين من مشاة الجيش جمعهما بسرعة. فتوقفت باصات الألمان وجرت معركة جرح فيها (شبللر) جرحاً خطيراً. وبعد أن اصيبت حملته بخسائر أخرى خسئت ودارت على أعقابها الى (أوسلو).

في اليوم التالي غادر (الدكتور براور) أوسلو وحيداً، وانطلق في الطريق نفسه لمقابلة الملك. كان من دبلوماسيّي المدرسة القديمة المحترفة. ولهذا لم يستطب سفارته وكره دوره إلاّ ان ريبنتروب ظلّ يلاحقه بإستمرار ويلح عليه في أن يكلّم الملك والحكومة ويقنعهما بالإستسلام. وزاد من صعوبة مهمّة (الدكتور براور) المعقدة أحداث سياسة معيّنة اخذت الآن تطفو على السطح في (أوسلو). ففي مساء اليوم المنصرم أخرج (كويزلينگ) رأسه بعد أن اصبحت العاصمة في قبضة الألمان تماماً وإندفع الى محطة البث اللاسلكي وأعلن بياناً عيّن فيه نفسه رئيساً للحكومة الجديدة وأمر كل القوات النرويجية أن تلقي سلاحها حالاً وألاّ تقاوم الألمان. ومع أن (براور) عجز عن تفهم الوضع، وبرلين نفسها لم تفهم الاّ بعد زمنٍ، فإن هذا العمل الخياني قضى على كل الجهود الألمانية لإقناع النرويجيين بالإستسلام. وعلى الضّد مما كان متوقعاً – فمع أن الساعة كانت ساعة عارٍ وطنيّ للشعب النرويجي، فإن خيانة (كويزلينگ) فتحت اعين النرويجيين الذاهلين ورصّت صفوفهم لأجل المقاومة التي اصبحت واسعة باسلة.

قابل (الدكتور براور) هاكون السابع Haakon VII. الملك الوحيد في القرن العشرين الذي ارتقى عرشه بطريق الإقتراع العام وأوّل ملك يحكم النرويج بعد فترة من الزمن إمتدّت خمسة قرون[٤٧]. وتمت المقابلة في غرفة من غرف إحدى مدارس المدينة الصغيرة ايڤروم في الساعة ٣ عصر العاشر من نيسان. ومما ذكر الملك للمؤلف في مقابلة متأخرة ومن تتبع السجلات النرويجية وتقرير (الدكتور براور) السرّي، يمكن بيان ماحصل آنذاك. وافق الملك على مواجهة الوزير المفوض بعد تردد كثير، واشترط حضور وزير الخارجيّة (الدكتور هالڤدان كوهت Halvdan Koht) ولما أصّر المبعوث الألماني على رؤية الملك وحده أولاً، وافق الملك برضىً من وزيره. وبمقتضى التعليمات التي أبلغت للوزير المفوض أخذ يمدح الملك مرّة ويتوعده أخرى. وقال له أن ألمانيا تريد الإبقاء على النظام الملكّي، وأنها لاتريد منه أن يفعل أكثر مما فعل أخوه قبل يومٍ واحد في كوبنهاگن ومن الحماقة أن يقاوم (الڤيرماخت) فإن ذلك لن يتمخض بغير مجازر بين النرويجيين وطلب منه المصادقة على إقامة حكومة (كويزلينگ) والعودة الى (أوسلو)، كان هاكون ملكاً صارماً ورجلاً ديمقراطياً، ذا كبرياءٍ عظيمة. وحاول حتى في هذه اللحظة العصيبة ان يشرح للدبلوماسيّ الألماني، من ناحية الأساليب الديمقراطية والدستورية: أن ملك النرويج لايستطيع أن يتخذ قررات سياسية وهي أولاً وآخراً من صلاحيات الحكومة التي سيشاورها الآن في الأمر. وعند ذلك انضم (كوهت) اليهما واتفق بأن يبلغ (براور) بجواب الحكومة في إحدى مراحل طريق عودته الى (أوسلو).

وهاكون الذي لم يكن يستطيع إتخاذ المقررات السياسية وكان كفيلاً بالتأثير فيها. لم يجد إلاّ

٤٧- كانت النرويج جزءاً من الدانمرك طوال أربعة قرون. ثم جزءاً من السويد قرناً آخر. ولم تستعد إستقلالها إلاّ سنة ١٩٠٥. عندما تمّ إنفصالها عن إتحادها الفيدرالي مع السويد. وانتخب الشعب الأمير كارل الدانمركي ليكون ملكاً عليها. فاتخذ اسم هاكون السابع، وكان هاكون السادس قد توفي سنة ١٣٨٠. وبذلك يكون هاكون السابع أخاً لكريستيان العاشر ملك الدانمرك الذي إستسلم حالاً للألمان في صبيحة يوم ٩ نيسان ١٩٤٠.

جواباً واحداً للألمان. انسحب الى حانة متواضعة في قرية نايبرسوند Nybersund قرب (ايڤروم) – خشية ان يحاول الألمان بعد انصراف (براور)، أسره بغارة خاطفة أخرى. وهناك جمع أعضاء الحكومة. كمجلس دولة أعلى وقال لهم:

"... أماّ بالنسبة إليَّ، فلايمكنني قبول شروط الألمان. لأنها تناقض كل ما اعتبرته واجباً لي كملك للنرويج منذ ان جئت هذه البلاد قبل خمسة وثلاثين عاماً تقريباً... ولست أريد أن يكون قرار الحكومة متأثراً بتصريحي هذا، أو مبنياً على أساسه لكن... انا لااستطيع تعيين كويزلينگ رئيساً للوزراء، وهو رجل أعرف جيداً انه لايتمتع بثقة البرلمان أو ثقة الشعب مطلقاً ولهذا فاذا قررت الحكومة قبول الشروط الألمانية – وانا افهم تماماً الأسباب الملجئة الى ذلك – آخذة بنظر الإعتبار خطر الحرب الوشيكة التي قد يفقد كثير من الشباب النرويجي فيها حياته – إن كان هذا قراركم. فإن تنازلي عن العرش هو الطريق الوحيد المفتوح لي[٤٨]. ومع انه وجد في الحكومة بعض المترددين حتى تلك اللحظة، إلاّ أنه لم يسعها أن تكون أقل شجاعة من الملك، فأسرعت بإلتزام جانبه وفي الوقت الذي بلغ (براور) (ايزرڤلد) وهو نصف الطريق الى (أوسلو)، كلّمه (كوهت) تلفونياً وأبلغه الردّ النرويجي. فقام الوزير المفوض الألماني بتلفنته حالاً الى السفارة في أوسلو ونقل فوراً الى برلين.

"لايقبل الملك بتشكيل حكومة يرأسها كويزلينگ وقد اتخذ هذا القرار بالموافقة الإجماعية لأعضاء الحكومة. واجاب وزير الخارجية عن سؤالي الصريح بقوله: "ستتواصل المقاومة أطول مدة ممكنة"[٤٩].

وفي مساء ذلك اليوم، قذفت الحكومة النرويجية بقفاز التحديّ تحت قدمي الرايخ الثالث الجبار. عن طريق محطة راديو ضعيفة صغيرة في الضواحي. وهي واسطة الإتصال الوحيدة المتيسرة بالعالم الخارجيّ. أعلنت قرارها بأنها لن تقبل الشروط الألمانية ودعت الشعب (وعدده ثلاثة ملايين فقط) الى مقاومة الغزاة. وضمّ الملك نفسه رسمياً إلى ذلك النداء.

إلاّ أن الفاتحين النازيين ماكان بوسعهم ان يصدقوا جدية قول النرويجيين وجرت محاولتان لإقناع الملك. ففي صبيحة ١١ نيسان حضر رسول عن (كويزلينگ) هو النقيب (إرجنز Irgens) ليطلب من الملك العودة الى (أوسلو) ووعد أن يقوم كويزلينگ على خدمته بإخلاص فرفض إقتراحه بازدراء صامت. وفي العصر وردت رسالة عاجلة من (براور) يرجو مقابلة أخرى للملك ليتحدث معه حول "إقتراحات معينة". كان المبعوث الألماني المحرج قد وصلته تعليمات من ريبنتروب. بأن يقول للملك "إنه يريد أن يمنح الشعب النرويجي فرصة أخيرة لإتفاق معقول[٥٠]" فأجابه (كوهت) هذه المرّة بعد

٤٨- من سجلات الوثائق النرويجية الرسمية اقتبسها المؤلف من كتابه (تحدي سكندينافيا ص٣٨).

٤٩- وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩، ص١٢٤.

٥٠- هناك تلميح قبيح الى مكيدة أخرى في تعليمات سرية. فقد ابلغ (براور) بأن يحاول عقد الإجتماع مع الملك في محل يقع بين أوسلو ومقره. ولسبب واضح ينبغي على (براور) أن يبحث هذا الأمر مع الجنرال ڤون فالكهنورست بحثاً دقيقاً وان عليه أن يعرف الآخر بمكان الإجتماع المتفق عليه" وقال (غاوس) الذي تلفن تعليمات ريبنتروب "أن =

إستشارة الملك: إن كان لدى الوزير الألماني "إقتراحات معينة" فليعرضها على وزير الخارجية.

كان ردّ الفعل الألماني سريعاً على هذا الردّ من تلك البلاد الصغيرة المنهارة. فشل الألمان أولاً في أسر الملك وأعضاء الحكومة، ثم فشلوا في إقناعهما بالإستسلام. فراحوا الآن يحاولون قتل الجميع. وأرسلت اللوافتوافه في ساعة متأخرة من يوم ١١ نيسان لمعالجة قرية (نايبرسوند) معالجة نصوحاً. فخربتها وأحرقتها بقنابل المهداد والنار ثم أصلتها برصاص مدافعها الرشاشة لتحول دون خلاص أولئك الذين نجوا من الخرائب المشتعلة. ويظهر أن الألمان كانوا يعتقدون في مبدأ الأمر انهم نجحوا في قتل الملك وأعضاء الحكومة. وقد وجد تسجيل في مفكرة أحد الطيارين الألمان الذين أسروا في شمال النرويج بتاريخ ١١ نيسان "نايبرسوند: قضي على حكومة أوسلو قضاءً مبرماً! Oslo regierung . Al-lesvernichtet".

حقاً قُضي على القرية ومسحت مسحاً. إلاّ أن الملك والحكومة لم يصبهما ضر. فبوصول القاصفات الألمانية خرجوا واختفوا في الغابة المجاورة وظلوا واقفين في الثلج الذي بلغ ركبهم. وتابعوا اللوفتوافه وهي تقلب الأكواخ المتواضعة عاليها سافلها وتحيلها انقاضاً. وهاهم الآن يواجهون أحد أمرين إما الانتقال الى الأراضي السويديّة ونشدان اللجوء السياسي في السويد المحايدة. أو المسير شمالاً الى جبال بلادهم وخوض ثلوج الربيع الكثيفة. وقرّ رأيهم على الأمر الأخير وراحوا يتجهون الى وادي گودبراند Gudbrand الوعر الممتد من هامار وليلهامر Lillehammar عبر سلسلة جبال أندالسنز Andalsnes على الساحل الشمالي الغربيّ، بعيداً عن جنوب غربي تروندهايم بمائة ميل. وأمّلوا أن ينظّموا وهم في طريقهم بعض القوات النرويجية المتفرقة التي مازالت حائرة. كما كانوا يتشبثون بأمل ضعيف في قيام القوات الإنكليزية بإرسال نجدات لهم.

-٧-

المعارك في سبيل النرويج

في أقصى الشمال بنارڤيك سبق الأسطول البريطاني الى العمل برد فعل حادٍ للإحتلال الألماني الخاطف. "أخذنا الألمان بها على حين غرة" تماماً كما أقرّ چرچل الذي كان مشرفاً عليه. ففي الشمال على الأقل بعيداً عن نطاق الطائرات القاصفة ذات القواعد الأرضية باشر الأسطول بالهجوم وفي صبيحة العاشر من نيسان بعد أن احتلت عشر مدمرات ألمانية ميناء نارڤيك بأربع وعشرين ساعة وانزلت قوات العميد (ديتل) دخلت الميناء عمارة بحرية بريطانية تتألف من خمس مدمرات فأغرقت إثنتين من أصل خمس مدمرات ألمانية كانت راسية آنذاك واعطبت الثلاث الباقيات واغرقت كل

= هر براور فهم تماماً معنى التعليمات" ولايسع المرء إلاّ أن يكون واثقاً بأن جنود فالكنهورست كانوا سيقبضون على الملك حال وصوله محل الإجتماع. المرجع السالف، ص١٢٩.

السفن الناقلة ماعدا واحدةً. وقتل في هذه العملية قائد العمارة الألماني نائب أمير البحر (بونته). على أن العمارة البريطانية إلتقت بالمدمرات الألمانية الخمس الباقية وهي تغادر الميدان، خرجت عليها من الخلجان القريبة وكانت مجهزة بمدافع أكبر، فأغرقت مدمرة بريطانية واحدة واجبرت أخرى على الجنوح الى الساحل بعد أن جرح قبطانها وربرتن لي Warburton Lee جرحاً مميتاً. وعطبت ثالثة إلاّ أن ثلاثاً من اصل المدمرات البريطانية الخمس نجحت في الإفلات إلى البحر المفتوح وأغرقت وهي في طريق فرارها باخرة ألمانية ضخمة محمّلة بالعتاد والذخيرة كانت تقصد الميناء.

في ظهر يوم ١٣ نيسان عاد البريطانيون الى نارڤيك، بعمارة مدمرات تتقدمها البارجة (ورسپايت Warspite) وهي من قطع الحرب العالميّة الأولى التي شاركت في معركة (چتلاند) فأبادت القطع البحرية الألمانية الباقية. وفي رسالة لاسلكية وجهها نائب أمير البحر قائد العمارة (و.جَي. وايتوورث – W. J. Whiteworth) إلى الأميرالية بلندن عن نتيجة أعماله، طلب أن يسمح له بإحتلال (نارڤيك) حالاً (بقوة الإنزال الرئيسة) مادامت الوحدات على الساحل قد تدنّت معنوياتها أو دبّ الخلل في صفوفها (في الواقع كان ديتل ورجاله قد هربوا الى الجبال) ويشاء سوء حظّ الحلفاء أن يكون قائد الجيش البريطاني أمير اللواء ماكسي P. J. Mackesy حذراً الى أقصى حدٍ فقرر عند وصوله في اليوم التالي بطليعة الحملة المؤلفة من ثلاثة أفواج مشاة ألاّ يخاطر بعملية إنزال في نارڤيك، وأن يُنزل جنوده في هارشتاد Harstad الواقعة على بعد خمسة وثلاثين ميلاً شمالها وكانت بيد النرويجيين. وكان خطأ فادحاً.

وعلى ضوء قيام البريطانيين بتهيئة حملة صغيرة الى النرويج كانوا بطيئين بطئاً لا مبرر له في إرسال الجنود وفي عصر الثامن من نيسان بعد ورود الأنباء عن حركة الأسطول الألماني بإتجاه سواحل النرويج، أسرع الأسطول البريطاني بإنزال الجنود الذين كانوا قد عُبّئوا على ظهور السفن للإقلاع بهم الى النرويج وإحتلال ستافنگر وبرگن وتروندهايم ونارڤيك، وعلّتهم في هذا أن كل سفينة في تلك السفن ستكون ضرورية للعمليات البحرية وفي الوقت الذي تم إعادة الجنود الى السفن، بات كل هذه الموانيء في أيدي الألمان وفي الزمن الذي بلغ به الألمان أواسط النرويج صارت هذه الناقلات البريطانية مع قطع الأسطول التي تخفرها معرضة للقاصفات الألمانية التي كانت سيطرتها الجوية تامة.

في ٢٠ نيسان نزل لواء بريطاني معزّز بثلاثة أفواج من وحدات (شاسّور Chasseurs) الجبلية الألبية الفرنسية في المرفأ الصغير (نامسوس Namsos) الواقع على بعد ثمانين ميلاً من شمال شرقيّ (تروندهايم) وأنزل لواء بريطانيّ ثانٍ في (آندالسنز) التي تبعد زهاء مائة ميل الى الجنوب الغربي من (تروندهايم) لكي تتمّ مهاجمة المدينة من الشمال ومن الجنوب، ولكن قواعد الحملتين صارت تدقّ دقاً ليلاً ونهاراً بقنابل القاصفات الألمانية لعدم وجود مدفعية ميدان ومدافع مضادة للطائرات وحماية جوية لهما. وأدّى هذا الى عرقلة إنزال التجهيزات والأرزاق والنجدات ولم تهدد القوتان المدينة تهديداً جدياً. فبعد أن إلتقى لواء (آندالسنز) بوحدة عسكرية نرويجية في (دومباس Dombas) وهي ملتقى

سكّتي حديد تبعد ستين ميلاً شرقاً، تخلّى عن الهجوم المنويّ شمالاً نحو تروندهايم وإندفع جنوباً الى كودبرانسدال Gudbrandsdal لمساعدة الوحدات النرويجية تحت قيادة العقيد الهمام (روجه) التي كانت تعرقل زحف الألمان المندفعين الى الوادي من (أوسلو).

وفي (ليليهامر) شمال (هامار) حدث أول إلتحام بين القوات البريطانية والألمانية في ٢١ نيسان، ولكن لم يكن هناك تكافؤ لأن السفينة التي أوسقت بمدفعية اللواء البريطاني قد غرقت. ولم يكن اللواء مسلحاً بغير البندقيات والمدافع الرشاشة وكان يتحتم عليه أن يصمد بها أمام وحدات ألمانية قوية مزوّدة بالمدفعية والدبابات الخفيفة. والأنكى من هذا كله كانت القوة البريطانية تفتقر الى الإسناد الجوّي. وهي في الوقت ذاته عرضة للقصف المتواصل بقنابل طائرات اللوفتوافه العاملة من المطارات النرويجية القريبة. وسقطت (ليليهامر) بعد معركة دامت أربعاً وعشرين ساعة. وشرع البريطانيون والنرويجيون يتقهقرون لمسافة ١٤٠ ميلاً من سكة حديد الوادي الى (آندالسنز) متوقفين بين الفينة والفينة ليخوضوا معارك حرس المؤخرة التي كانت تعيق الألمان إلاّ أنها لم توقفهم. وفي ليلتي ٣٠ نيسان و١ أيار تم إخلاء القوات البريطانية من (آندالسنز) وفي ٢ أيار تمّ إخلاء الحملة الأنكلو-فرنسية المختلطة في نامسوس، وكانتا مأثرتين كبيرتين بحدّ ذاتهما ذلك لأن كلا الميناءين باتا لهيباً وأنقاضاً من شدّة القصف الألمانيّ المتواصل. في ليلة ٩ نيسان أنزل ملك النرويج وأعضاء حكومته على ظهر الطراد البريطاني (گلاسكو Glasgow) في (مولده Molde) عبر خليج (رومسدالس Romsdalsfjord) من (آندالسنز) وقد أصبحت هي الأخرى أنقاضاً بسبب القصف الجوي الألماني، ونقلوا الى (ترومسو Tromso) فوق الدائرة القطبية والى شمال نارڤيك حيث أصبحت العاصمة المؤقتة في (عيد أيار).

في هذا الوقت كان الجزء الجنوبي من النرويج، ويضم كل المدن والبلدان المهمة، قد ضاع ولات حين عودة. لكن شمال النرويج كان يبدو مضموناً. في ٢٨ أيار، إستطاعت قوة حليفة من خمسة وعشرين ألف رجل، وقوامها لواءان نرويجيان ولواء پولندي وفوجان من الفرقة الأجنبية الفرنسية، إخراج الألمان الذين يقلون عنهم كثيراً من نارڤيك وبدا وكأن هتلر سيحرم بالتأكيد من خام الحديد ومن هدفه وهو إحتلال كل النرويج وإرغام الحكومة النرويجية على الإستسلام، لكن (الڤيرماخت) في هذا الوقت كان قد وجّه ضربته الجبارة في الجبهة الغربية وأصبح الحلفاء بحاجة الى كل جنديّ لسدّ الثغرة فأخليت نارڤيك وحمّلت السفن بالقوات الحليفة بسرعة وعاد العميد ديتل الذي بقي صامداً في شعاب الجبال الوعرة قرب الحدود السويدية، فإحتل الميناء في ٨ حزيران وبعد أربعة أيام قبل إستسلام العقيد الشجاع العنيد روجه وجنوده الحائرين الحانقين الذين شعروا بأنهم تركوا وحدهم أمام العدوّ. أما الملك هاكون وحكومته فقد أقلّهم الطرّاد ديڤونشاير Devonshire من ترومسو في ٧ حزيران وأقلع بهم الى لندن حيث ظلوا يتجرعون مرارة المنفى خمس سنوات[٥١] وفي برلين رفع ديتل الى رتبة أمير لواء ومنح

٥١- لم يبق كويزلنگ في الحكم طويلاً بعد محاولته الأولى للسيطرة على النرويج، فبعد ستة أيام من إعلان نفسه رئيساً للوزراء في ١٥ نيسان طُرد وعيّنوا مجلساً تنفيذياً مؤلفاً من ستة مواطنين نرويجيين بارزين منهم المطران (آيڤند =

وسام (صليب ريتر Ritterkreuz) وحيّاه هتلر بلقب (بطل نارڤيك Sieger von Narvik).

كان هتلر يقع في نوبات سوداوية حادة رغم نجاحه المذهل في الحرب النرويجية. وقد إكتظت مذكرات الجنرال يودل بيوميات مختصرة العبارة عن تتابع أزمات سيد الحرب العصبية: "هياج فظيع!" هذا ما كتبه في ١٤ نيسان عندما وردت الأنباء بإبادة قطع الأسطول الألماني في (نارڤيك). وفي ١٧ نيسان ركبته نوبة هستيرية بسبب خسارة (نارڤيك) وطلب إخلاء قوات العميد (ديتل) بطريق الجو شيء من رابع المستحيلات. وكتب يودل كذلك في اليوم نفسه "كل نبأ سيّء يؤدي الى أسوأ الخوف"، وكتب بعدها بيومين "الأزمات تتجدد. العمل السياسي خاب. أستدعي المبعوث (براور). يرى الزعيم إستعمال القوة[٥٢]..." واتخذت المؤتمرات في دار المستشارية طابع الحدّة في ذلك اليوم الموافق ١٩ نيسان وبلغت درجة من الحدة بحيث أخذ قادة القوات المسلحة الثلاث يتراشقون بالتهم ويلقي أحدهم على الآخر اللوم في التأخير، حتى أن كايتل الإمّعة أسرع خارج الغرفة غاضباً. وكتب يودل "الفوضى في القيادة عادت تتهددنا بسوء العقبى"، وأضاف يقول في ٢٢ نيسان "يتزايد قلق (الزعيم) حول الإنزال البريطاني".

في ٢٣ نيسان سبّب البطء الشديد في تقدم القوات الألمانية الزاحفة من أوسلو الى (تروندهايم وآندالسنز) "زيادة في الهياج النفسي" كما وصفها (يودل)، لكن أنباء اليوم التالي كانت أفضل. ومنذ هذا اليوم أخذت تتحسّن. وفي السادس والعشرين أصبح مزاجه رائقاً الى حدّ أنه قال في الساعة ٣,٣٠ فجراً أثناء جلسة دامت طوال الليل لمستشاريه العسكريين بأنه ينوي البدء في "القضية الصفراء" في تاريخ يقع بين ١ و٧ أيار. و(الصفراء) هو الإسم الرمزي لعمليات الهجوم في

= برگراڤ Eivind Berggrav) رئيس كنيسة النرويج اللوثرية و(پال برگ Paal Berg) رئيس المحكمة العليا. ويعزى ذلك أغلبه الى دبرگ وهو قانوني ضليع شهير أصبح فيما بعد الزعيم السرّي لحركة المقاومة في النرويج. في ٢٤ نيسان عيّن هتلر (يوزف تربوڤن Josef Terboven) وهو (گاولايتر) نازي غليظ في مقتبل العمر بوظيفة مفوّض الرايخ في النرويج فكان هو الحاكم الفعلي للبلاد وبوحشية وقسوة راحت تتزايد يوماً بعد يوم في أثناء الإحتلال. وأستدعي براور الذي خاصم كويزلنگ من البداية - الى برلين في ١٧ نيسان وطرد من السلك الدبلوماسي وأرسل الى الجبهة الغربية جندياً. وأعاد الألمان كويزلينگ الى رآسة الحكومة في عام ١٩٤٢، ومع أن كره النرويجيين له كان عظيماً إلاّ أنه لم يكن يملك أي سلطة رغم مجهوداته الكبيرة لخدمة الأسياد الألمان. وفي نهاية الحرب حوكم بتهمة الخيانة وبعد محاكمة طويلة الأمد حكم عليه بالموت ونفّذ فيه في ٢٤ تشرين الأول ١٩٤٥. وقضى تربوڤن على حياته مؤثراً ذلك على الإعتقال. أما (كنوست هامسن Knust Hamsun) القصّاص العظيم النرويجي الذي تعاون مع الألمان علناً وتغنى بمديحهم، فقد أحيل للمحاكمة بتهمة الخيانة إلاّ أن التهمة أسقطت عنه بسبب كبر سنّه وخرفه. على أنه حوكم بتهمة الكسب غير المشروع من الحكم النازي وغرم مبلغ ٦٥٠٠٠ دولار، وتوفي في ١٩ شباط ١٩٥٢، وله من العمر ٩٣ عاماً. وحوكم الجنرال فون فالكنهورست بتهمة تسليمه أسرى حرب من الكوماندو للحرس الأسود لقتلهم وأصدرت عليه محكمة عسكرية بريطانية نرويجية مختلطة لمجرمي الحرب بالموت في ٢ آب ١٩٤٦ لكن الحكم خفض الى الحبس المؤبد.

٥٢- في ١٣ نيسان وقع الجنرال فالكنهورست - بناء على إصرار هتلر بلاشك - أمراً بالقبض على مواطنين نرويجيين وإتخاذهم رهائن، لسخطه على تزايد المقاومة في النرويج. فقبض على عشرين من أبرز الشخصيات في أوسلو ومن بينهم المطران (برگراف) و(پال برگ). قال الوزير المفوض براور عنهم حرفياً "إنهم سيرمون بالرصاص في حالة إستمرار المقاومة أو محاولة تخريب". المرجع السالف ص١٨٦.

الغرب عن طريق هولندا وبلجيكا. ومع أن الزعيم كان في ٢٩ نيسان قلقاً ايضاً على (تروندهايم) فقد أصبح في اليوم التالي "سعيداً من فرط فرحه" بالأنباء التي أكّدت وصول طلائع قوات الميدان الى المدينة منطلقة من أوسلو. إنه الآن قادر على الأقل أن يصرف ذهنه الى الغرب. وفي ١ أيار أمر أن تكون الإستعدادات للهجوم الكبير تامة في ٥ أيار.

أصبح قوّاد (الڤيرماخت) الكبار گورنگ وبراوختش وهالدر وكايتل ورايدر والآخرون خبيرين بالآثار التي تحدثها أنباء السوء في زعيمهم المجذوب من تجاربهم أثناء معارك النرويج، وكيف أن أصغر الإنكسارات تسلمه الى حالة الإنهيار العصبيّ التام. وهو ضعف نما فيه وتعاظم خطره بعد أن مرّت أيام الإنتصارات العسكرية المذهلة وتغيّر ميزان الحرب. ولقد ساهم ذلك كثيراً في الكارثة الأخيرة التي ختمت على مصير الرايخ.

ومع هذا، فإن فتح الدانمرك والنرويج كان إنتصاراً هامّاً لهتلر وفشلاً مخيّباً للبريطانيين من أية جهة ينظر اليه المرء. لقد ضمن سلامة طريق الحديد الخام وزاد من حماية مدخل البلطيق وسمح للأسطول الألماني الجريء بالخروج الى شمال الأطلسي حراً وزوّده بتسهيلات رسوٍ ممتازة للغواصات والقطع العائمة في حربه البحرية مع بريطانيا. وأمدّ هتلر بمطارات وقواعد جوية أقرب بمئات الأميال الى عدوّه الرئيسي. وربما كان أهم من كل هذا هو إرتفاع مكانة الرايخ الثالث العسكرية وإنخفاض سمعة حلفاء الغرب في الوقت نفسه بدت ألمانيا لاتُغلَب. لقد سقطت النمسا وچيكوسلوڤاكيا وپولندا والآن سقطت الدانمرك والنرويج بقوات هتلر أو بتهديدات هتلر، ولم تحدث مساعدة الحليفين الكبيرين في الغرب أيّ تأثير على الوضع في القضيتين الأخيرتين. وكتبت إمرأة أمريكية مشهورة في حينه أن ريح المستقبل تبدو بجانب هتلر والنازية. وكان إنتصار هتلر بالنسبة الى الدول المحايدة الباقية درساً قاسياً كذلك. فقد إتضح لها أن الحياد ماعاد بعد الآن يؤمّن أية حماية للدول الديمقراطية الصغيرة التي تحاول أن تعيش مطمئنة في عالم سيطرت عليه الدكتاتورية والحكم المطلق. والأنكى من هذا كلّه أن فنلندا وجدت ذلك من مصدر آخر. والآن تجده الدانمرك والنرويج. وكان على هاتين الدولتين أن تلوما نفسيهما لأنهما ظلتا معصوبتي الأعين ولم تزيلا الغشاوة عنها، ورفضتا قبول مساعدة دول العالم الصديقة في الوقت المناسب وقبل أن يتمّ العدوان عليهما فعلاً.

خاطب چرچل مجلس العموم في ١١ نيسان قائلاً: "أومل أن يتفكّر في هذا الواقع كل البلاد الأخرى التي ستجد نفسها غداً أو بعد أسبوع من هذه اللحظة، أو بعد شهر - وهي فريسة لخطة عسكرية متقنة إشتغلت فيها هيئة الأركان ونمّقتها، وهدفها تحطيم البلاد وإسترقاقها[٥٣]".

من الواضح أنه يفكر في هولندا وبلجيكا. ولكن حتى في قضيتهما نفسها. وبالرغم من وجود فرصة أمدها شهر للتأمل وإنعام النظر في موقفهما، فإنهما لم يجدا حاجة لهذا[٥٤]. كان ثمّ دروس

٥٣- چرچل "تجمع العاصفة" ص٦٠١.

٥٤- وجدت السويد نفسها محصورة بين الروس في فنلندا، وبين الألمان ودول البلطيق التي تحتلها (الدانمرك والنرويج) =

عسكرية ايضاً، يمكن الإفادة منها من فتوح هتلر الخاطفة في البلدين السكندناڤيين. وأهم ما يسترعي الإهتمام أثر القوة الجوية وتفوقها عملياً على أثر الأسطول، عندما تكون القواعد الأرضية للمقاتلات والقاصفات قريبة. ولايقلّ أهمية بشيء عن ذلك درس قديم: وهو أن النصر كثيراً ما يكون للجريء الواسع الخيال. وكان الأسطول الألماني والقوة الجوية الألمانية يملكان الإثنين. وقد أبدى (ديتل) في (نارڤيك) من إبداعات الجيش الألماني ما كان الحلفاء يفتقرون إليه.

هناك نتيجة واحدة يمكن إستخلاصها من الحملة السكندناڤية. لم يتسنّ تقويمها في حينه، لا لعلة إلاّ لأنه لم يكن بالإمكان النظر في المستقبل البعيد جداً. كانت خسائر الجانبين من الرجال في النرويج طفيفة، إذ فقد الألمان ١٣١٧ قتيلاً و٢٣٧٥ مفقوداً و١٦٠٤ جريحاً، فبلغ المجموع الكلي ٥٢٩٦ إصابة. أما مجموع إصابات البريطانيين والنرويجيين والفرنسيين فهو أقل من خمسة آلاف بقليل. وخسر البريطانيون حاملة طائرات واحدة وطراداً واحداً وسبع مدمرات، وخسر الفرنسيون والپولنديون مدمرة واحدة لكل منهما. إلاّ أن خسائر الألمان البحرية كانت أكثر بالمقارنة: عشر مدمرات من مجموع عشرين، وثلاثة طرادات من مجموع ثمانية، في حين أصيبت البارجة المطاردة (شارنهورست Scharn-horst) والبارجة (گنايزناو Gneisnau) وبارجة الجيب (لوتزوف) بأضرار بالغة عطلتها عن العمل عدة أشهر. ولم يعد لهتلر أسطول يستحق الذكر لأحداث الصيف القادمة. وعندما حان الوقت لغزو بريطانيا بعد زمن وجيز، بدت الخسارة عائقاً لايمكن التغلب عليه.

وكانت الآثار الناجمة عن تهشيم الأسطول الألماني من الأمور التي غابت عن ذهن هتلر ولم يدخلها في حسابه. ففي بداية شهر أيار وبعد أن ضم النرويج والدانمرك الى قائمة فتوحاته الطويلة، راح يعمل مع جنرالاته المشوقين الذين نبذوا تشاؤم الخريف الماضي جانباً - في إتمام آخر الإستعدادات التفصيلية لِما كانوا متأكدين بأنه سيحقق أعظم نصر نالوه.

= فتأملت في موقفها ولم تجد مجالاً للإختيار إلاّ التمسك بحيادها المهدّد جداً أو الحرب حتى النهاية اذا ما هوجمت، وجاملت الإتحاد السوڤيتي برفض طلب الحلفاء إمرار جنودهم عبر أراضيها لمساعدة فنلندا. وجاملت ألمانيا الآن بعد ضغط شديد. فمع أن السويد أرسلت كميات كبيرة جداً من الأسلحة الى فنلندا إلاّ أنها أبت بيع النرويج سلاحاً أو نفطاً عندما هوجمت، وظل الألمان يلحون طوال شهر نيسان أن تسمح السويد بإرسال جنود ألمان الى نارڤيك عبر أراضيها لإنقاذ (ديتل) إلاّ أن الطلب ظل مرفوضاً حتى نهاية الأعمال العسكرية، وإن سُمح بقطار المعدات الطبية والوحدات الطبية والتموين بالمرور عبر البلاد. وخوفاً من هجوم ألمانيّ مباشر، خضعت لضغط ألماني متزايد من هتلر ووافقت على نقل وحدات عسكرية نازية ومعدات حربية الى النرويج بسكك حديدها شريطة أن يوزن عدد العساكر المتحركة الى أية جهة بشكل ليس من شأنه تقوية الحاميات الألمانية في النرويج. وكان هذا عوناً كبيراً لألمانيا فبنقل هتلر جنوداً جدداً ومعدات حربية عن طريق البر عبر السويد تخلص من خطر إغراقها في البحر على يد البريطانيين. ونُقل في غضون الأشهر الستة الأولى من الإتفاق مائة وأربعون ألف جندي من ألمانيا الى النرويج وأعيد مثل عددهم من النرويج. وإشتد ساعد قوات الإحتلال الألمانية هناك بما أرسل اليها من الميرة والذخيرة. ثم سمحت السويد قبيل الهجوم على روسيا أن تنقل القيادة الألمانية العليا فرقة مجحفلة كاملة بكلّ معداتها من النرويج الى فنلندا عبر أراضيها لإستخدامها في مهاجمة روسيا. وبهذا سمحت للألمان بما أبته على الحلفاء قبل عام. [للإطلاع على تفاصيل ضغط الألمان على السويد وعلى نصوص الرسائل المتبادلة بين الملك گوستاف الخامس وهتلر أنظر: "وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩". لقد فصّل المؤلف الموضوع في كتابه "تحدي سكنديناڤيا".]

الفصل الرابع

النصر في الجبهة الغربية

-١-

قبيل إنبلاج فجر يوم الربيع الجميل العاشر من أيار ١٩٤٠ أستدعي السفير البلجيكي والوزير المفوض الهولندي في برلين الى وزارة الخارجية. وأبلغهما ريبنتروب أن الجيوش الألمانية تدخل الآن بلاديهما لحماية حيادهما من هجوم الجيوش الأنگلو فرنسية الوشيك، وهو العذر البارد السخيف نفسه الذي تعلل به قبل شهر للإستيلاء على النرويج والدانمرك وسُلّم لهما إنذار ألمانيّ رسمي يطلب فيه من الحكومتين عدم إبداء أية مقاومة وإن فعلتا فستسحقان بكل الوسائل وستقع مسؤولية إراقة الدماء "على الحكومتين الملكيتين البلجيكية والهولندية مطلقاً".

وفي بروكسل ولاهاي (مثلما حصل في أوسلو وكوبنهاگن) قصد المبعوثان الألمانيان الى وزارتي الخارجيتين برسالتين متماثلتين. ومن عجائب الصدف أن حامل الإنذار الهولندي في (لاهاي) لم يكن غير الكونت يوليوس فون زيخ-بركرسرودا Count Julius von Zech-Burkersroda الوزير المفوض الذي هو ختن بتمان-هولڤيگ Bethmann-Hollweg مستشار القيصر في ١٩١٤. وقد أثر عنه في تلك السنة أنه وصف ضمانة ألمانيا حياد بلجيكا الذي خرقه رايخ آل هوهنزلرن بأنه "قصاصة ورق".

وفي وزارة الخارجية ببروكسل أثناء ما كانت القاصفات الألمانية تهدر هديراً في سمائها وأصوات إنفجارات القذائف تصدر من المطار القريب وتصك زجاج النوافذ صكّاً. مدّ السفير الألماني بلوف-شڤانتي يده الى جيبه ليخرج ورقة وهو يدخل مكتب وزير الخارجية (پول هنري سپاك) إلاّ أن هذا أوقفه وقال: "إسمح لي يا حضرة السفير فسأتكلم أنا أولاً" ولم يحاول كتم عواطفه وشعوره بالإهانة،

وقال: "لقد هاجم الجيش الألماني بلادنا الآن. وهذه هي المرة الثانية خلال ربع قرن إرتكبت فيها ألمانيا عدواناً إجرامياً على بلجيكا المحايدة المخلصة. وما حدث الآن هو أشنع وأقبح مما حصل من عدوانٍ في العام ١٩١٤. لا إنذار هناك، ولا مذكرة ولا إحتجاج من أي نوع كان يوضع أمام الحكومة البلجيكية. لقد علمت بلجيكا من الهجوم الفعلي أن ألمانيا إعتدت على ضمانتها ونكثت بالعهد الذي قطعته على نفسها لها... وسيكون الرايخ الألماني مسؤولاً أمام التاريخ. إن بلجيكا عاقدة العزم على الدفاع عن نفسها.

وعندئذ بدأ الدبلوماسي الألماني البائس يقرأ الإنذار الرسمي الألماني. إلاّ أن (سپاك) قطع عليه

التلاوة بقوله:

- "أعطني الوثيقة، إني لأرغب أن أجنّبك هذه المهمة الأليمة[1]. كان الرايخ الثالث قد أعطى بلدَي الأراضي المنخفضة هاتين ضمانات حياد تفوق الحصر. وقد ضمنت إستقلال بلجيكا وحيادها ضماناً "أبدياً" الدول الخمس الكبرى في ١٨٣٩ بميثاق ظل معمولاً به خمساً وسبعين سنة حتى إنتهكته ألمانيا في ١٩١٤. ووعدت جمهورية ڤايمر ألاّ ترفع السلاح ضد بلجيكا وأيّد هتلر بعد مجيئه الى الحكم هذه السياسة بإستمرار، وأعطى ضماناً مشابهاً لهولندا. وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٧ بعد أن نقض معاهدة لوكارنو أعلن الدكتاتور النازي رسمياً مايلي: "وقد أعطت الحكومة الألمانية ايضاً التأكيدات لبلجيكا وهولندا على إستعدادها لضمانة حياد وحرمة هذين البلدين".

وذعرت بلجيكا من إحياء العسكرية في الرايخ الثالث وإعادة إحتلاله أرض الراين في ١٩٣٦، فلجأت ثانية الى سياسة الحياد بعد أن نبذتها في ١٩١٨ وحسناً فعلت. وفي ٢٤ نيسان ١٩٣٧ أحلّتها بريطانيا وفرنسا مما إلتزمت بها في لوكارنو. وفي ١٣ تشرين الأول من السنة عينها أيّدت ألمانيا بوعد قاطع "عزمها في كل الظروف على إحترام حياد [بلجيكا] وحرمة أراضيها من الإنتهاك وعدم المساس بسيادتها في أيّ وقت وعلى إستعدادها لمساعدة بلجيكا اذا تعرضت لهجوم..."

ومن ذلك اليوم كان ثَمّ نية مخالفة في ضمانة هتلر القاطعة للأراض المنخفضة وفي أحاديثه وتوجيهاته السرية لجنرالاته، ففي ٢٤ آب ١٩٣٨ ظهرت في وثيقة كتبت له بخصوص (القضية الخضراء) وهي خطة الهجوم على چيكوسلوڤاكيا فتكلم عن "الفائدة الكبرى" لألمانيا إن تم إحتلال هولندا وبلجيكا وسأل عن رأي الجيش "في الأحوال التي يقتضيها إحتلال هذه المنطقة وكم من الوقت يحتاج الى ذلك". وفي ٢٨ نيسان ١٩٣٩، أكّد هتلر في ردّه على روزفلت للمرة الثانية "التصريح الملزم" الذي أعطاه لهولندا وبلجيكا مع دول أخرى. وبعد أقل من شهر (أي في ٢٣ أيار) وجدنا (الزعيم) يقول لجنرالاته "يجب على القوات المسلحة إحتلال القواعد الجوية البلجيكية والهولندية... بسرعة خاطفة، إعلان الحياد يجب ألاّ يُكترث به".

إنه لم يبدأ بعد بحربه، لكن خططه معدة إعداداً كاملاً. وفي ٢٢ آب قبل أن يبدأ القتال بالهجوم على پولندا، تداول مع جنرالاته حول "إحتمال" خرق حياد بلجيكا وهولندا. وقال "إن إنگلترا وفرنسا لن تخرقا حياد هاتين الدولتين". وبعد أربعة أيام (٢٦ آب) أمر مبعوثيه في كل من بروكسل ولاهاي أن يبلغا الحكومتين أن ألمانيا في حالة إندلاع الحرب "لن تعتدي مهما كانت الظروف على حرمة بلجيكا وهولندا". وأكّد هذا التصريح ايضاً بشكل علني في ٦ تشرين الأول بعد ختام معارك پولندا. وفي اليوم التالي (٧ تشرين الأول) وجّه الجنرال فون براوختش الى قادة مجموعات جيوشه - بتوصية من هتلر أوامر "بإتخاذ كل الإستعدادات لغزوٍ فوريٍ للأراضي الهولندية والبلجيكية إن إقتضى

١- بلجيكا - الرواية الرسمية لما حصل مابين ١٩٣٩-١٩٤٠، الص ٢٧-٢٩.

الموقف السياسي ذلك"[٢].

وبعدها بيومين (٩ تشرين الأول) أشار هتلر في أمره التوجيهي المرقم (٦): "يجب إتخاذ كامل الأهبة لعملية هجوم... خلال لوكسمبرگ وبلجيكا وهولندا. هذا الهجوم يجب أن يشرع فيه بأسرع وأقوى ما يمكن... وهدفه هو الإستيلاء على أكبر ما يمكن من مساحات أرض في هولندا وبلجيكا وشمال فرنسا"[٣].

لم تكن هولندا وبلجيكا تعلمان بأوامر هتلر السرية بطبيعة الحال. إلاّ أنهما حذّرتا ممّا أدّخر لهما. ولقد أتينا الى ذكر عدد من هؤلاء المخبرين المنذرين: فقد قام العقيد (أوشتر) أحد المؤتمرين بالنازية بإنذار الملحقَين العسكريَّين الهولندي والبلجيكي في برلين بتاريخ (٥) تشرين الثاني بأن على حكومتيهما أن تتوقعا هجوماً ألمانياً في ١٢ تشرين الثاني. وكان هذا التاريخ الأجل المضروب لبدء الهجوم. وفي نهاية تشرين الأول رحل (كويردلر) أحد المتآمرين بتحريض من (ڤايسيكر) الى بروكسل لإنذار البلجيك بالهجوم العاجل، وبُعيد عيد رأس السنة (١٠ كانون الثاني) ١٩٤٠. ووقع بيد البلجيك خطط الهجوم في الغرب عندما هبط في أراضي بلجيكا ضابط يحملها وهو ما سبق وأثبتناه تفصيلاً.

في ذلك الزمن توفرت لهيئتي أركان الجيشين الهولندي والبلجيكي معلومات من الحدود مؤداها أن الألمان يحشدون زهاء خمسين فرقة على حدودهما. وكذلك أسعدهما الحظ بمصدر للمعلومات غير منتظر في العاصمة الألمانية. هذا المصدر هو (العقيد گ. جي. ساس) ملحق هولندا العسكري. كان (ساس) صديقاً شخصياً حميماً للعقيد أوشتر وكثيراً ما تناولا الطعام في دار الأخير بضاحية زيلندورف Zehlendorf المنعزلة. وقد سهل اللقاء حالة التعتيم المعلنة أيام الحرب. وبات بإمكان عدد من الأشخاص في برلين: ألماناً وأجانب الإجتماع تحت ستره والمداولة في مختلف المسائل السياسية دون خوف من الإفتضاح. وأسرّ أوشتر لصديقه (ساس) في أوائل تشرين الثاني بسرّ الهجوم الألماني الذي حُدّد موعده ١٢ تشرين الثاني. ثم وجّه للملحق إنذاراً آخر في كانون الثاني. وكان من تأثير تأجيل الموعد مرتين، أن قلّت الثقة بالمعلومات التي أرسلها (ساس) في لاهاي وبروكسل اللتين لم تكونا على علم بأن هتلر عيّن فعلاً مواعيد لعدوانه ثم أجّلها، على أن إنذار الأيام العشرة الذي حصل عليه (ساس) من (أوشتر) بخصوص غزو النرويج والدانمرك وتنبّؤه بالتاريخ المضبوط يبدو أنه أعاد الثقة به في بلاده.

وفي ٣ أيار أخبر أوشتر (ساس) بكل صراحة أن الهجوم الألماني في الغرب من جهة هولندا وبلجيكا سيشرع فيه بتاريخ ١٠ أيار، فسارع الملحق العسكري بإبلاغ حكومته، وفي اليوم التالي ورد تأكيد لهذا الخبر الى لاهاي من مبعوثها في الفاتيكان، فبادرت هولندا حالاً الى إبلاغ جارتها

٢- مؤامرة النازيين... ج٤، ص١٠٣٧. وثائق نورمبرگ، ٢٣٢٩ PS.

٣- المرجع السالف: ج٦، ص٨٨٠ (وثائق نورمبرگ ٦٢-C).

بلجيكا بالأمر. كان الخامس من أيار يوم أحد. وفيم راح الأسبوع يتعاقب بأيامه بات واضحاً لسائرنا في برلين بأن الضربة في الغرب ستهوي في غضون أيام قليلة. وإزداد التوتر في العاصمة. وفي الثامن من أيـار كنت أبرقت الى مكتبي في نيويورك لإبقاء واحد من مراسلينا في أمستردام Amsterdam وإلغاء أمر إقلاعه بحراً الى النرويج بعد إنتهاء الحرب فيها على أية حال وقد سمحت لي الرقابة العسكرية في تلك الليلة بالتلميح في إذاعتي بأن قتالاً قد ينشب في الغرب ربما إمتدّ الى هولندا وبلجيكا.

وفي مساء يوم ٩ أيار تناول العقيدان (أوشتر وساس) العشاء سوياً للمرة الأخيرة. وأكّد الضابط الألماني أن الأمر الختاميّ قد أعطي للقيام بالهجوم في الغرب فجر اليوم التالي. ولأجل أن يتحقق أوشتر من عدم حصول أي تبديل في اللحظة الأخيرة مرَّ بمقر (ق.ع.ق.م) في بندلرشتراسّه، بعد العشاء، فلم يجد تغييراً. وقال أوشتر لساس معقباً "لقد ذهب الخنزير الى جبهة الغرب" ويقصد بـ"الخنزير" هتلر. فأبلغ ساس الملحق العسكري البلجيكي، ثم إنصرف الى مفوضيته وإتصل تلفونياً بـ(لاهاي) وكان قد إتفق على جفرة خاصة بهذه اللحظة. فتكلّم (ساس) ببعض الجمل البريئة المظهر التي حملت في ثناياها الرسالة التالية: "غداً فجراً. إنتبهوا جيداً!"(٤)

وعلى كل حال كانت خطة الحلفاء لمواجهة هجوم الألمان الرئيس في بلجيكا يسير قدماً في أوّل يومين بدون أي توقف تقريباً، فنقل جيش أنگلو فرنسي ضخم الى الجهة الشمالية الشرقية من الحدود الفرنسية البلجيكية لتعزيز خط الدفاع البلجيكي الرئيس الممتد على طول نهري ديل Dyle وموز Meuse شرق بروكسل. وإتفق أن هذا هو طبق ما كانت تريده القيادة العليا الألمانية. هذه الحركة الحليفة الإلتفافية الواسعة وضعتهم مباشرة في يدها. فقد أسرعت الجيوش الأنگلو فرنسية رأساً دون أن تدري الى الفخ الذي برهن حالما إنطبق على هذه الكارثة.

ـ ٢ ـ

الخطط المتنافسة

جرى تحوير تام في الخطة الألمانية الأصلية للهجوم في الغرب على أثر وقوعها بيد البلجيك، وإنتقالها كما شك الألمان الى أيدي البريطانيين والفرنسيين في كانون الثاني. كانت (القضية الصفراء Fall Gelb) وهو إسم العملية الرمزي. قد رسمتها قيادة الجيش العليا على وجه الإستعجال في خريف ١٩٣٩، تحت ضغط هتلر بوجوب شن الهجوم في الغرب في أواسط تشرين الثاني.

هناك خلاف كبير بين المؤرخين العسكريين، وايضاً بين الجنرالات الألمان أنفسهم، فيما اذا كانت

٤- آلن دللس المرجع السالف، الص ٥٨-٦١. يقول دللس أن العقيد ساس أيّد له ذلك بعد الحرب شخصياً.

الخطة الأولى نسخة معدّلة من خطة (شليفّن Schlieffen) القديمة، أم هي خطة أخرى جديدة؟ يرى (هالدر) و(گورديان) أنها هي بعينها. فهي ترسم قيام الإندفاع الألماني الرئيس بالتعرض للجناح الأيمن من خلال بلجيكا وشمال فرنسا، والهدف هو إحتلال مواني‌ء القنال ولذلك كانت مقاربة لخطة شليفّن الشهيرة، تلك الخطة التي فشلت في ١٩١٤ بعد أن كانت على قاب قوسين أو أدنى من النجاح. ولم يكن هدفها فحسب إحتلال مواني‌ء القنال بل الإستمرار في حركة الإلتفاف العظيمة التي قدّر لها أن تبلغ بجيوش الجناح الأيمن الألماني بلجيكا وشمال فرنسا وماوراء السين Seine وبعد ذلك تستدير شرقاً فيما وراء باريس لتطويق الجيوش الفرنسية الباقية وإبادتها. والغرض منها القضاء بسرعة على المقاومة الفرنسية المسلحة حتى تستطيع ألمانيا في ١٩١٤ أن توجّه كل قواها العسكرية الى روسيا.

لكن هتلر لم يكن قلقاً بخصوص الجبهة الروسية في ١٩٣٩-١٩٤٠. على أن هدفه ايضاً كان أضيق من ذلك. ففي أول صفحة من الهجوم رُسم أن لايضرب الجيش الفرنسي ضربة قاضية بل أن يُدفع على الأعقاب مدحوراً ويحتل ساحل القنال وبهذا يفصل بين الحليفتين بريطانيا وفرنسا وفي الوقت نفسه يفوز بقواعد جوية وبحرية يهدد منها الجزر البريطانية ويفرض عليها الحصار. ويتضح من خطبه المختلفة في جنرالاته آنذاك، بأنه كان يظنّ أن فرنسا وإنگلترا ستضطران الى طلب الصلح بعد هذا الإندحار، فتتركانه حراً لصرف إهتمامه الى الشرق مرة أخرى.

كانت الخطة القديمة (القضية الصفراء) مما توقعته القيادة الحليفة العليا قبل أن تقع في يد العدوّ، ففي ١٧ تشرين الثاني إجتمع مجلس الحلفاء الأعلى للحرب في باريس وتبنّى (خطة دال D-Plan) التي ترسم: في حالة هجوم ألمانيّ من بلجيكا يندفع الجيشان الفرنسيان الأول والتاسع مع الحملة البريطانية الى الأمام نحو خط الدفاع البلجيكي الأصلي على نهري (ديل وموز) من آنتورپ Ant-werp الى لوفان Louvain ونامور N`amur وجيڤيه Givet حتى ميزيس M`ezie`res. وقبل أيام قلائل توصلت هيئتا الأركان الفرنسية والبريطانية بعد إجتماعات سرية عديدة مع القيادة العليا للجيش البلجيكي الى الحصول على وعد الأخيرة وتأكيداتها بتقوية إستحكاماتها الدفاعية على ذلك الخط وجعله موضع الصمود الرئيس. إلاّ أن البلجيك لم يزيدوا الى وعودهم شيئاً عملياً. فقد ظلّوا يتشبّثون بوهم الحياد الذي كان يقوّي آمالهم في البقاء بعيدين عن الحرب. وعارض رؤساء أركان الحرب البريطانيون في أن الوقت لن يسمح بإنتشار قوات الحلفاء في هذه المواضع المتقدمة جداً عندما يشرع الألمان بهجومهم، إلاّ أنهم مع هذا راحوا يطبقون (خطة- دال) بناءً على إصرار الجنرال گاملان.

وفي نهاية شهر تشرين الثاني أضاف الحلفاء الى الخطة مشروعاً يقضي بدفع الجيش السابع المعقود لواؤه للجنرال هنري جيرو Giraud نحو ساحل القنال لمساعدة الهولنديين شمالي (أنتورپ) في حالة هجوم على هولندا ايضاً. وبهذا يمكن مواجهة محاولة الألمان للإندفاع من بلجيكا وربما هولندا للإلتفاف حول خط ماجينو في أول بدء الهجوم. وبكل مجموع القوات البريطانية ومجموع الجيش

الفرنسي والفرق الإثنتان والعشرون البلجيكية والفرق العشر الهولندية، تتألف قوة حليفة مساوية عددياً لقوة الهجوم الألمانية كما تبيّن ذلك فيما بعد.



گودريان

وتحاشياً لأي إشتباك جبهي مثل هذا، ولغرض إيقاع الجيوش الفرنسية والبريطانية في الفخ المنصوب من جراء إسراعها بالتقدم الى الأمام هذه المسافة البعيدة، فقد تقدم الجنرال إريخ فون مانشتاين Erich von Man-stein (لقبه الأصلي لڤنسكي Lewinski) رئيس هيئة أركان مجموعة جيوش (A) التي يقودها الجنرال روندشدت في الجبهة الغربية. بإقتراح تعديل كبير في (القضية الصفراء). كان مانشتاين ضابط ركن موهوب واسع الخيال من ذوي الرتب القيادية الصغيرة نسبياً، إلاّ أنه نجح أثناء الشتاء في إيصال خطته الى هتلر رغم معارضة (براوختش وهالدر) وعدد من الجنرالات لها مبدئياً. ومجمل الخطة أن الهجوم الألماني الرئيس يجب أن يشنّ في الوسط على (الآردين Ardennes) بقوات مصفحة ودروع مركزة ضخمة ثم عبورها نهو (موز) شمال سيدان Sedan والإنتشار في الأراضي المستوية والإستباق للوصول الى القنال – عند آبڤيل Abbeville.

إجتذبت هذه الخطة إهتمام هتلر الذي كان يميل دائماً الى الحلول الجريئة وحتى المتهورة منها. ودأب روندشدت يروّج للفكرة بلا كلل أو إنقطاع لا لأنه كان مؤمناً بها فحسب، بل لأنها ستمنح لجيوشه (مجموعة A) الدور الرئيس الحاسم في الهجوم. ومع أن كره هالدر الشخصي لمانشتاين، وحسد المهنة عند بعض الجنرالات الذين كانوا يفوقونه رتبة، أدى الى نقله من مركزه في الأركان الى قيادة في صنف المشاة بنهاية كانون الثاني، إلاّ أن فرصة عنّت له لشرح أفكاره المغايرة لما جرى عليه العرف أمام هتلر شخصياً في مأدبة عشاء أقيمت لعدد من القادة الجدد المعينين للفيالق في برلين بتاريخ ١٧ تشرين الثاني، عرض عليه أن ضربة دروع في (آردين) ستصيب الحلفاء بمقتل وهو آخر ما يفكرون في أن توجّه اليه ضربة مادام جنرالاتهم مثل معظم الجنرالات الألمان يعتبرون هذه الأراضي المتعادية الكثيرة الغابات غير صالحة للدبابات. وبقيام ميمنة القوات الألمانية بمناورة مشاغلة بهجوم كبير فتندفع الجيوش الأنگلو فرنسية بسرعة الى نجدة البلجيك خفافاً وثقالاً ثم وبخرق خطوط الفرنسيين في (سيدان) والإتجاه نحو الغرب على إمتداد ضفة السوم Somme الشمالية للوصول الى القنال، يتم عزل معظم هذه القوات الأنگلو فرنسية فضلاً عن البلجيكية وتقع في الفخ.

كانت خطة جريئة لاتخلو من مخاطر كما بيّن عدد من الجنرالات بينهم يودل، لكن هتلر الذي كان

يرى نفسه عبقرياً في الفن العسكري بات الآن موقناً أن الخطة خطته وأن الفكرة التي تضمنتها فكرته وأخذت حماسته لها تزداد. أما هالدر الذي نبذها في مبدأ الأمر بوصفها فكرة جوفاء فقد أخذ راقت له وإعتنقها هو ايضاً، ثم تحمّس لها وقام بمعاونة عدد من ضباط أركانه ومساعديه، بإجراء تحسينات كثيرة عليها، وفي ٢٤ شباط ١٩٤٠ أتخذتْ أساساً للعمل بصورة رسمية في أمر جديد معمّم صادر من القيادة العليا للقوات المسلحة. وطلَب من قادة العسكر أن يعيدوا نشر وحداتهم حتى ٧ آذار. وفي موضع ما من السياق أعيد بشكل عرضي تماماً إدخال خطة هولندا ضمن العملية الكبرى. وتم ذلك في شهر تشرين الثاني، بعد أن كانت قد أطّرحت من (القضية الصفراء) عند إجراء تنقيحات ٢٩ تشرين الأول عليها. وقد أصرّت اللوفتوافّه على هذا الإجراء لأنها كانت تريد إستخدام مطارات هولندا ضد بريطانيا وعرضت تقديم وحدات كبيرة من المظليين لهذه العملية المعقدة بعض الشيء رغم ضآلة شأنها. وعلى مثل هذه الإعتبارات تتقرر أحياناً مصائر الشعوب الصغيرة![٥]

وهكذا فبينما كانت معركة النرويج تشارف خاتمتها الظافرة وأيام أيار الأولى الدافئة تتعاقب، راح الألمان بأقوى جيش عرفه العالم حتى تلك الساعة يقفون على قدم الإستعداد لتوجيه ضربتهم في الغرب. وكان العدوّان متعادلين في العدد: ١٣٦ فرقة ألمانية يقابلها ١٣٥ فرقة فرنسية وبريطانية وبلجيكية وهولندية، وكان المدافعون يمتازون بمواقع دفاعية وإستحكامات كثيرة منيعة، فهناك خط ماجينو الذي لايُقتحَم في الجنوب وهناك الخط الطويل لقلاع البلجيك وحصونهم في الوسط. وثم الخطوط المائية المحصنة الهولندية في الشمال. وكان الحلفاء يملكون من الدبابات قدر ما جرّده الألمان، إلاّ أنهم لم يحشّدوها حشداً مركزاً كما فعل عدوّهم. وبسبب تشبث الهولنديين والبلجيك الجنوني بفكرة الحياد لم يوجد تشاور وتعاون بين هيئات الأركان من شأنه تنسيق الخطط وتوحيد الجهود والموارد لإستثمار خير النتائج. حين كان للألمان قيادة موحدة وأفضلية المبادأة التي يكسبها المهاجم عادة، ولاأخلاقية مستهترة بخصوص العدوان وثقة لا حدّ لها في أنفسهم وخطة جريئة وتجارب المعارك اليولندية التي عجمت عودتهم وبلتهم. فهناك وضعوا تاكتيكهم الجديد على المحكّ، وهناك جربوا أسلحتهم الجديدة في المعركة الحقيقية، وباتوا يعرفون قيمة الطائرات المنقضة وإستخدام

٥- هناك مواد لايمكن إحصاؤها عن تطور خطط الألمان للهجوم في الغرب. وقد إعتمدت في هذا على المصادر التالية: مذكرات هالدر ويودل. كتيب لهالدر عنوانه (هتلر سيد الحرب Hitler als Feldherr) طبع مونيخ ١٩٤٩، ترجمة إنگليزية طبعت له في لندن ١٩٥٠. مقتبسات من يوميات الحرب للقيادة العليا للقوات المسلحة طبعت في (مؤامرة النازيين وعدوانهم) وفي (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) بنورمبرگ. وفي وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج ٨ و٩. مانشتاين: Verbrene Siege. گويرتلز: تاريخ هيئة الأركان العامة الألمانية Der Zweite Weltkreig. جاكوبسون: وثائق معارك الجبهة الغربية ١٩٣٩-١٩٤٠، گودريان (قائد اليانزر)، بلومنتريت: فون روندشدت. ليدل هارت: الجنرالات الألمان يتكلمون. وهناك مواد ألمانية كثيرة في وثائق نورمبرگ. سلسلة القيادة الألمانية العليا، عرضت في المحاكمات الثانوية. وأما عن الخطط البريطانية، فأنظر الجزئين الأولين من مذكرات چرچل- إيليس Elles: الحرب في فرنسا والفلاند، وهو الرواية البريطانية الرسمية، فوللر (الجنرال) تاريخ الحرب العظمى الثانية. درابيه Draper: حرب الأسابيع الستة. وخير المراجع وأوفاها طراً هو كتاب تلفورد تايلر "مسيرة الظفر" وقد بناه على جميع المصادر الألمانية المتيسرة.

الدبابات إستخداماً جماعياً مركّزاً، كذلك أدركوا -كما دأب هتلر على الإشارة- أن الفرنسيين رغم إهتمامهم ببلادهم وحماستهم في الدفاع عن تربة أوطانهم، فلا رغبة لديهم فيما هو أكثر من ذلك.

وبغض النظر عن هذه الثقة والعزم فإن القيادة العليا الألمانية عانت لحظات وجل وتردد بإقتراب ساعة الصفر كما كشفته المدوّنات السرية بوضوح تام، أو على الأقل هذا ما عاناه قائدهم الأعلى هتلر. وقد سجّل الجنرال يودل تلك المواقف المتخاذلة في يومياته: أمر هتلر بالتأجيل قبل بضع دقائق من موعد الوثوب الذي رسم في (١ أيار) وجعله في الخامس منه، وفي ٣ أيار أرجأه الى السادس منه بسبب رداءة الطقس، أو ربما لأن وزارة الخارجية لم ترَ وجاهة في علل تبرير خرق الحياد البلجيكي- الهولندي ايضاً، وفي اليوم التالي، عيّن يوم ٧ أيار موعداً للوثبة. وفي اليوم الذي تلاه أجّل موعد الهجوم حتى نهار الأربعاء الموافق ٨ أيار. وكتب يودل معقباً "(الزعيم) فرغ من إعداد المبررات لإستخدام (القضية الصفراء). ستتهم بلجيكا وهولندا بقيامهما بأعمال مناقضة لمبدأ الحياد."

ومضت يوميات يودل:

٧ أيار: موعد مغادرة قطار (الزعيم) الخاصّ الى (فينكنكروگ Finkenkrug) في الساعة ١٦,٣٨. إلاّ أن الطقس بقي متقلباً ولذلك ألغي الأمر [بالهجوم]... (الزعيم) شديد القلق والإضطراب للتأجيل الجديد إذ هناك خطر الخيانة. حديث حول المبعوث البلجيكي لدى الفاتيكان وبروكسل تؤيد الإستنتاج بأن مرتكب جرم الخيانة هو شخصيّة ألمانيّة كان قد غادر برلين الى روما في ٢٩ نيسان.

٨ أيار: أنباء مقلقة من هولندا. إلغاء الإجازات. عمليات إخلاء السكان. غلق مداخل الطرق. إجراءات نفير أخرى... (الزعيم) لايريد الانتظار زمناً أطول من هذا. گورنگ يريد التأجيل حتى العاشر منه على الأقل... (الزعيم) ثائر الأعصاب الى درجة كبيرة، ثم يوافق على التأجيل حتى ١٠ أيار. ويقول ان ذلك جرى ضدّ رغبته، إلاّ أنه لن يؤجل يوماً واحداً آخر.

١٩ أيار: "(الزعيم) يقرر الهجوم في (١٠ أيار) كموعدٍ أكيد ثابت. مغادرة (فينكنكروگ) في الساعة (١٧٠٠) مع الزعيم بالقطار بعد وصول التقارير الجوية المنبئة بأن الطقس سيكون حسناً في (١٠) أيار. أعطي الأسم الرمزي (دانزگ) في الساعة ٢١٠٠. "

وصل هتلر مقر القيادة الذي اطلق عليه اسم عش النسر Felsennest قرب مونشترايفل Muen-stereifel. عند Nنبلاج فجر العاشر من أيار تماماً يرافقه كايتل ويودل وآخرون من ضباط القيادة العليا. وعلى مبعدة خمسة وعشرين ميلاً من المقر الى الغرب أخذت الوحدات الألمانية تتدفق على الحدود البلجيكية بإمتداد جبهة طولها (١٧٥ ميلاً) تبدأ من بحر الشمال حتى خط ماجينو. اقتحمت القوات النازية حدود ثلاث دول محايدة: وهي هولندا وبلجيكا ولوكسمبرگ. خرقت حيادها ونكثت بكلمة الشرف الألمانية الجازمة المؤكدة مراراً وتكراراً.

-٣-

حرب الأسابيع الستة
(من ١٠ أيار الى ٢٥ حزيران ١٩٤٠)

كانت حرب خمسة أيام فقط بالنسبة للهولنديين. وفي هذه الفترة القصيرة نفسها تقرّر في الواقع مصير بلجيكا وفرنسا والحملة البريطانية وختم على مصيرها. بالنسبة الى الألمان سار كل شيء حسب الخطة المرسومة بل وأفضل من الخطة من ناحيتها السوقية والتعبوية عند التطبيق. وقد فاق نجاحها كل أحلام هتلر العزيزة. وذهل جنرالاته للسرعة الخاطفة للمدى الذي بلغته إنتصاراتهم الصاعقة. وأما بالنسبة الى الحلفاء فان المفاجآت غير المنتظرة التي لم تستوعبها أذهانهم أصابتهم بالشلل المفاجيء الناجم عن الفوضى التامة التي عقبت تلك الإنتصارات. وصعق ونستن چرچل الذي تولى رآسة الوزارة في أول يوم من المعركة. فقد أوقظ من نومه في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين من صبيحة يوم ١٥ أيار ليجيب نداء تلفونياً من رئيس الوزراء الفرنسي بول رينو Paul Roynaud في پاريس وليبلغه بصوت متأثر (لقد حلّت بنا الهزيمة! لقد دُحرنا!) فرفض چرچل تصديق أذنيه. أيمكن أن يقضى على الجيش الفرنسيّ الجبّار في أسبوع واحد؟ هذا مستحيل! وكتب فيما بعد يصف حالته: "لم أفهم عنف الثورة التي حصلت منذ الحرب الأخيرة، في غارة دروعٍ مركزة سريعة الحركة!"[٦]

حشدت الدبابات. سبع فرق كاملة منها! في نقطة واحدة هي أضعف موضع دفاعيّ في جبهة الغرب للقيام بعمليّة الخرق، فحققت الغرض وأنجزته بعون القاصفات المنقضة من طراز (شتوكا) والمظليين وجنود الجوّ الذين نزلوا خلف خطوط الحلفاء بمسافة بعيدة أو هبطوا مباشرة فوق سقوف حصونهم المنيعة التي لاتقتحم فأشاعوا الفوضى والبلبلة. على اننا نحن الذين كنا في برلين، عجبنا وتملكتنا الحيرة وتساءلنا لماذا كان تاكتيك الألمان مفاجئاً لقادة الحلفاء وغير متوقع منهم؟ ألم تكشف قوات هتلر عن فعاليتها وتأثيرها في معارك پولندا؟ فهناك تمّ الخرق الأعظم الذي أدّى إلى تطويق الجيوش الپولندية أو الى القضاء عليها خلال أسبوع بوساطة تحشيد مركّز للدروع بعد إضعاف (الشتوكا) المقاومة بقصف انقضاضيّ متواصل. ولم يقم المظليون وجنود الجوّ بمآثر في پولندا حتى على النطاق المحدود جداً الذي استخدموا به فقد فشلوا في إحتلال الجسور الرئيسة قبل نسفها. إلاّ أنهم حققوا معجزةً في النرويج قبل شهر واحد من الهجوم في الغرب بإحتلالهم (العاصمة أوسلو) وجميع المطارات وتعزيز المجموعات العسكرية المنعزلة الصغيرة التي انزلت من البحر في شتاڤنكر وبرگن وتروندهايم ونارڤيك. فأعانتهم على الصمود. ألم يتدارس معلّقو الحلفاء هذه المعارك ويتعلموا منها أمثولات؟

٦- چرچل "اجمل ساعات حياتهم: Their Fiest Hour الص ٤٢-٤٣.

-٤-

الإستيلاء على هولندا

لم يستطع الألمان تخصيص أكثر من فرقة مدرعة (پانز) واحدة لفتح هولندا وقد تمّ ذلك بخمسة أيام واعتمدوا في الغالب على المظليين والجنود المنقولين جواً الذين أسقطوا خلف خطوط المياه الدفاعيّة التي ظنّ الكثير في برلين بأنّها ستوقف الزحف الألماني أسابيع برمتها. وادّخر للهولنديين الحائرين معاناة تجربة أول هجوم جويّ واسع النطاق في تاريخ الحروب. فاذا وضعنا في الحسبان عدم إستعدادهم لمجابهة الخفة والمباغتة التامة التي اخذوا بها. فما فعلوه في الواقع كان أجدى وأفضل مما أدركناه في حينه.

كان أوّل الأهداف الألمانية إنزال قوة كبيرة من الجوّ في المطارات القريبة من (لاهاي) وإحتلال العاصمة حالاً وأسر الملكة والحكومة، الأمر الذي حاولوا تطبيقه في النرويج قبل شهر، إلاّ ان خطتهم فشلت في لاهاي كما فشلت في (أوسلو) وان اختلفت الأسباب والظروف. بعد ان إستفاق مشاة الجيش الهولندي من صدمة المفاجأة الأولى وتمالكوا اعصابهم انقضوا بمساندة المدفعيّة على الوحدات الألمانية الهابطة وتمكنوا من دحر لواءين كاملين وإخراجهما من المطارات الثلاثة المحيطة بالعاصمة مساء ١٠ أيار. وهذا الذي أنقذ (لاهاي) والحكومة مؤقتاً. إلاّ انها سمّرت احتياطي الجيش الهولندي، حيث كانت الحاجة ماسة اليه في مواضع اخرى.

كان مفتاح خطّة الألمان هو أن يمسك جنود الجوّ كل الجسور الواقعة الى جنوب (روتردام) على نهر (نيوي ماس Niewwe Maas) والأخرى الواقعة الى الجنوب الشرقي على فرع الماس (الموز)، بالقرب من (دوردرخت Dordrecht ومويرديك Moerdijk) وعن طريق هذه الجسور كان الجنرال جورج فون كوخلر Georg von kuechler بجيشه الثامن عشر المندفع من نقطة تبعد زهاء مائة ميل عن موضع انطلاقه من الحدود الألمانية، يأمل شقّ سبيله عنوةً الى قلب هولندا الحصين Fortress Holland إذ لايمكن بغير هذه الوسيلة ان يؤخذ هذا الموقع المستحكم الجاثم خلف حواجز مائية جبّارة والذي ينتظم مدن لاهاي وامستردام وأوترخت وروتردام وليدن Leyden، بسهولة وسرعة.

في صبح ١٠ أيار أتمّت الإستيلاء على هذه الجسور الوحداتُ الهابطةُ من الجوّ ومنها سريّة واحدة أنزلت في النهر قرب روتردام بطائرات بحرية عتيقة قبل أن يتيسّر للحرس الهولندي المباغَت نسفها. وبذلت القوات الهولندية المجتمعه بسرعة مجهودات يائسةً لزحزحة الألمان عنها وكادت تنجح في ذلك الاّ أن الألمان صمدوا صموداً عنيداً حتى صباح يوم ١٢ أيار عندما وصلت الفرقة المدرعة الوحيدة التي خصّصت للجنرال (كوخلر) بعد أن اخترقت خطط دفاع كريبه-بيل Creppe-Peel وهي جبهة محصّنة الى الشرق متقوية بالسدود المائية كان الهولنديون يأملون الصمود فيها عدة أيام.

وكان هناك أمل في أن يوقف الجيش السابع الفرنسي بقيادة الجنرال (جيرو) زحف الألمان قبل بلوغه جسور (مويرديك)، حيث ان هذا الجيش الفرنسي كان قد تقدم من ســاحل القنال وبلغ (تلبورگ Tilburg) بعد ظهر ١١ أيار إلاّ أن الفرنسيين كالهولنديين المتحنين في محنتهم، كانوا يفتقرون الى الإسناد الجويّ والدروع والمدفعية المضادة للدبابات والطائرات. فرُدّوا على أعقابهم الى بريده Breda بكلّ سهولة. وهذا ما ادى الى فتح الطريق للفرقة المدرعة الألمانية التاسعة لتعبر الجسور قرب (مويرديك) و(دوردرخت). وما حلّ عصر يوم ١٢ أيار حتى وصلت إلى الضفة الجنوبية لـ(نيوفي ماس) على مقربة من روتردام حيث ظلّ جنود الجوّ الألمان مرابطين على الجسور. إلاّ أن الدبابات لم تستطع عبور جسور روتردام. لأن الهولنديين كانوا قد اقفلوا مداخلها الشمالية. وبات موقف الهولنديين صبيحة يوم ١٤ أيار حرجاً للغاية إلاّ أنه لم يبلغ حدّ اليأس. فما زال (حصن هولندا) صامداً وقوات الجو الألمانية الكبيرة التي انزلت حول (لاهاي) إمّا وقعت في الأسر وإما تبعثرت أشتاتاً في القرى المجاورة.

على أن (روتردام) ظلّت صامدة ولم تكن القيادة العليا الألمانية راضية أو مرتاحة من تطوّر الموقف. وباتت على أحرّ من الجمر لسحب الفرقة المدرعة وقوات إسنادها الى خارج هولندا لإستغلالها في فرصة جديدة عنّت لها فجأة في جنوب فرنسا. وقد أصدر هتلر في صبيحة يوم ١٤ أيار أمره التوجيهي رقم (١١) أقرّ فيه: "إن المقاومة التي أبداها الجيش الهولندي كانت أكثر من المتوقع. والإعتبارات السياسية فضلاً عن المتطلبات العسكرية تستدعي سحق هذه المقاومة باسرع مايمكن". لكن كيف؟ أمر بسحب تشكيلات من سلاح الجوّ ملحقة بالجيش السادس في بلجيكا "لتسهل فتح حصن هولندا على جناح السرعة".(٧)

والحقيقة هي أنه أمر بالإتفاق مع گورنگ، بقصف (روتردام) قصفاً وحشياً، ليجرع الهولنديين جرعة من الإرهاب النازي الذي طبقت أمثولة منه على وارشو المحاصرة الصامدة في الخريف الماضي، وبذلك يرغم الهولنديين على الإستسلام.

في صباح الرابع عشر من أيار اجتاز ضابط ركن ألماني تابع للفيلق التاسع والثلاثين جسراً رافعاً علماً أبيض واتجه الى (روتردام) وهناك طلب إستسلام المدينة منذراً بقصفها قصفاً مدمراً إن رفضت الإستسلام. وفيم كانت مفاوضات التسليم قائمة. وفيم كان الضابط الهولندي الذي ارسل الى المقرّ الألماني القريب من الجسر لبحث التفاصيل يعود حاملاً شروط الألمان، وصلت القاصفات وأحالت قلب المدينة الى أنقاض. بنتيجة القصف فقد ثمانمائة أرواحهم وكلهم مدنيون تقريباً. وجرح عدة آلاف وترك سبعة وثمانون ألفاً من السكان بلا مأوى(٨).

٧- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج٩، الص ٣٤٣-٣٤٤.

٨- كما ورد في أولى التقارير، وكما ظل الرأي سائداً أن عدد الهولنديين الذين لقوا حتفهم في هذه الغارة يتراوح بين ٢٠٠٠٠-٣٠٠٠٠. وهو الرقم الذي أوردته طبعة ١٩٥٣ من دائرة المعارف البريطانية. على ان الحكومة الهولندية في محاكمات نورمبرگ اعطت رقم ٨١٤ قتيلاً. (أستجوب كل من گورنگ وكيسلرينگ في نورمبرگ عن قصف =



الدمار في
ميناء روتردام

لقد ظلّ هذا الغدر، هذا العمل الوحشيّ المدبرّ سلفاً، عالقاً في اذهان الهولنديين زمناً طويلاً. ودافع گورنگ وكيسلرينگ Kesselring من قادة اللوفتوافه عن العمل في نورمبرگ. وبرّراه بالقول أن روتردام لم تكن مدينةً مفتوحة وقد دافع عنها الهولنديون بضراوة وأنكرا معاً علمهما بوجود مفاوضات تسليم عند إرسالهما القاصفات إلاّ ان ثم دليلاً يدحض ذلك ويؤيد سبق معرفتهما بوجود المفاوضات، تجده في وثائق قيادة الجيش العليا[٩].

ومهما يكن من أمر فان (ق.ع.ق.م) لم تجد في حينه حاجة تدعو الى تبرير عملها. وقد سمعتُ بأذنيّ مساء ذلك اليوم (١٤ أيار) نشرة خاصّة مذاعة من راديو برلين اصدرتها القيادة العليا:

"بنتيجة الهجمات الكاسحة الماحقة التي شنتها القاصفات الألمانية المنقضّة والتهديد المباشر بهجوم الدبابات الألمانية استسلمت مدينة (روتردام) وانقذت نفسها من الدمار التام".

أجل، استسلمت (روتردام) وتبعتها القوات المسلحة الهولندية. اما الملكة ولهلمينا Welhemina وأعضاء الحكومة فقد تمّ تهريبهم الى لندن على ظهر مدمرتين بريطانيتين.

في ظلال غسق ١٤ أيار أصدر الجنرال هـ. ج وينكلمان H.G. Winkelmann قائد القوات الهولندية العام أمراً لجنوده بإلقاء السلاح. وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى وقّع بيده وثيقة الإستسلام رسمياً. وبهذا إنتهى كل شيء في غضون خمسة أيام... أي انتهاء القتال، وخيّم على هذه الأرض الصغيرة المتحضرة المغتصبة ليل داجٍ مدلهمّ أمده خمس سنوات من الاضطهاد الوحشيّ الألماني.

= روتردام- انظر: محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٩، الص ١٧٥-١٧٧ و٢١٣-٢١٨ و٣٣٨-٣٤٠.)
٩- لم يحكم أحد في نورمبرگ بجريمة قصف روتردام. (محاكمة مجرمي الحرب الكبار: ج٣٦، ص٦٥٦).

-٥-

سقوط بلجيكا
ووقوع الجيوش الأنگلو فرنسية في الفخّ

معاً لقد كان يوم ١٤ أيار يوم مصير حاسم، وهو الخامس من بدء الهجوم ليس إلاّ. في مساء اليوم السابق تمكنت المدرّعات الألمانية من دقّ أربعة رؤوس جسور عبر ضفاف نهر (الموز) الشديدة الإنحدار ذات الغابات الكثيفة من (دينان)، حتى (سيدان)، واستولت على هذه المدينة التي رأت إستسلام نابوليون الثالث لمولتكه في ١٨٧٠ ونهاية حياة الإمبراطورية الفرنسية الثالثة. وأدّى هذا الى تهديد خطر لمركز خطوط الحلفاء ونقطة التحشيد التي أرسل منها زهرة القوات الأنگلو فرنسية لنجدة بلجيكا بسرعة. وفي اليوم التالى (١٤ أيار) انطلق الهجوم الكاسح: جيش من الدبابات لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب حجماً وتركيزاً وحركة وقوة نار، انحدر من الحدود الألمانية الى غابات (الآردين) يوم ١٠ أيار بأرتال ثلاثة وخلّف (الراين) وراءه بمسافة مائة ميل، ثم خرق الجيشين الفرنسيين التاسع والثاني واتجهت أرتاله بسرعةً خاطفة نحو القنال وراء خطوط قوات الحلفاء في بلجيكا. كان زحفاً آلياً جباراً مفزعاً مهدت له أمواج متتابعة من قاصفات شتوكا المنقضّة اعجزت مواقع الفرنسيين عن الدفاع. وجاءت في اعقاب الارتال المدرعة الزاحفة وحدات كبيرة من هندسة الميدان فأنزلت في الأنهار زوارق مطاط وركّبت جسوراً عسكرية متحركة لعبور الأنهار والأقنية. وكان لكل فرقة مدرعة مدفعيتها الخاصة الآلية ولواء مشاة آلي كما كانت تتبع الفيالق المدرعة بمسافة قصيرة فرق مشاة محمولة في سيارات لإحتلال المواقع التي فتحتها لهم الدبابات ولم يكن بالإمكان وقف كتائب الفولاذ والنار هذه بأي وسيلة من الوسائل التي يملكها المدافعون المصعوقون. وانفتحت في ضفتي (دينان وموز) صفوف الفرنسيين أمام هجمة الفيلق المدرع الخامس عشر المؤلف من فرقتي دبابات، بقيادة الجنرال (هرمان هوث Hermann Hoth) ولابأس أن نذكر هنا ان إحدى هاتين الفرقتين كانت بقيادة العميد المقدام الشاب (إرڤين رومل Erwin Rommel).

ونفذت هذه الخطّة بحذافيرها الى الجنوب. وعلى إمتداد النهر بالقرب من (مونترميه Monthe`rme`). نفذها الجنرال جورج – هانز راينهارت Georg Hans Reinhardt قائد الفيلق المدرع الواحد والأربعين المؤلف من فرقتي دبابات. إلاّ ان الضربة القاصمة وقعت حول مدينة (سيدان) ذات المخبر السيء للفرنسيين. فهاهنا في صبيحة ١٤ أيار تدفقت جحافل فرقتي دبابات الفيلق المدرع التاسع عشر بقيادة الجنرال (هانيز گودريان)[١٠] عبر الجسور العسكرية التي تم نصبها بسرعة أثناء الليل

١٠- فيلقا (راينهاردت وگودريان) المدرعان يؤلفان مجموعة جيش الجنرال (إيڤالد فون كلايست) وقوامه خمس فرق مدرعة وثلاث فرق من المشاة الآلية.



روميل

فوق نهر الموز، وراحت تزحف نحو الغرب. وحاولت الدبابات الفرنسية والقاصفات البريطانية محاولة اليائس المستميت تحطيم تلك الجسور إلاّ أنها لم تلحق بها عطباً (أسقطت أربعون طائرة للسلاح الجوي البريطاني من اصل واحدة وسبعين أسقط أغلبها نتيجة القذائف المضادة للطائرات وتحطمت سبعون دبابة فرنسية). وبحلول المساء بلغ عرض رأس الجسر الألماني ثلاثين ميلاً وعمقه خمسة عشر ميلاً. وتفرقت القوات الفرنسية أيدي سبأ وتمّ تشتيتها في نقطة المركز الحيوي من خطوط الحلفاء ومن لم يطوّق أو يؤسر من رجالها تقهقر بدون انتظام. وانعزلت الجيوش الأنكلو فرنسية في الشمال مع واحدة وعشرين فرقة بلجيكية واصبحت مهددة بخطر التطويق الماحق.

مضى اليومان الأولان بخير للحلفاء أو هذا ما توهموه. فبالنسبة لچرچل الذي باشر بمسؤولياته الجديدة كرئيس وزراء بحماسة وتعلق كبيرين لم يجد هناك "سبباً للافتراض بأن العمليات تسير سيراً غير مرضيّ حتى مساء اليوم الثاني عشر من الهجوم[١١].

أما (گاملان) القائد الأعلى لقوات الحلفاء فقد كان مرتاحاً جداً للموقف العام. ففي مساء اليوم الأسبق انضم الى الجيش البلجيكي بمقتضى الخطّة، النخبة الممتازة والقسم الأكبر من القوات الفرنسية وهي الجيش الأول والسابع والتاسع مع الحملة الإنكليزية البالغة تسع فرق بقيادة اللورد گورت Lord Gort واحتلوا خط الدفاع القوي الممتد على طول نهر ديل Dyle من أنتورب ثم لوفان Louvain حتى ڤافر Waver، ثم يتصل بفتحة (كمبلو Gembloux) الى (نامور) وجنوباً على إمتداد نهر الموز حتى سيدان وكان الحلفاء بين حصني نامور وانتورب البلجيكيين المنيعين وعلى جبهة طولها ستون ميلاً، يتفوقون على الألمان المهاجمين، فلديهم ست وثلاثون فرقة مقابل جيش (رايخناو) السادس ذي العشرين فرقة.

ومع ان البلجيك كانوا يحسنون البلاء على إمتداد مشارف جبهتهم الشمالية الشرقية الأ انهم لم يصمدوا الوقت الذي كان يتوقع منهم، بل لم يصمدوا قدر ما صمدوا في ١٩١٤ هناك. فهم كجيرانهم الهولنديين في الشمال وقفوا حيارى عادمي الحيلة امام التاكتيك الجديد الثوري الذي يتبعه (الفيرماخت). هنا أيضاً عمل الألمان كما عملوا في هولندا واستولوا على اهم الجسور بإستخدامهم الجريء لحفنة من الوحدات المدرّبة على عمليّات خاصّة، هبطت بكلّ سكون قُبيل إنبلاج الفجر بطائرات

١١- چرچل "أجمل ساعات حياتهم" ص٤٠.

منزلقة دون محرّك ففاجأت حرس جسرين رئيسين من أصل ثلاثة جسور فوق (قناة البرت) فيما يلي (ماسترخت Masstricht) قبل أن تتاح الفرصة للمدافعين، للضغط على أزرار النسف.

وأعظم نجاح نالوه إستيلاؤهم على حصن (ايبن إمايل Eben Emael) الذي يسيطر على نقطة إتصال (قناة البرت) بنهر (الموز). هذا الحصن الثالث الحديث البناء ذو الموقع الستراتيجي الهام الذي كان يعتبر عند الحلفاء والألمان على السواء، من امنع إستحكامات أوروپا يفوق أمنع حصن بناه الفرنسيون في خط ماجينو أو الألمان في الجدار الغربي، يتألف من سلسلة متصلة من المقاصير المبنيّة بالسمنت والفولاذ وينفذ في أغوار الأرض عميقاً. وتحمي أبراجه دروع سميكة ويدافع عنه ١٢٠٠ مقاتل. وكان من المتوقع أن يصمد صموداً عاتياً الى ما لانهاية أمام اشد قصف جوي ومدفعيّ. إلاّ انه سقط خلال ثلاثين ساعة بيد ثمانين جندياً ألمانيا يقودهم عريف. هبطوا على سطح سقفه بتسع طائرات زلاّقة. ولم تزد خسائرهم عن ستة من القتلى وتسعة عشر من الجرحى. واذكر أيّامها في برلين أن القيادة العليا للقوات المسلحة أحاطت هذه العملية بالغموض وجعلتها تبدو حافلة بالأسرار حين أعلنت نشرة خاصّة في مساء يوم ١١ أيار أن حصن (ايبن امايل) قد تم الإستيلاء عليه "بوسيلة مستحدثة من وسائل الهجوم" وكان هذا الأسلوب الغامض سبباً في إنتشار الكثير من الاشاعات والحدس. وراح الدكتور گوبلز ينشط في ترويجها وهو جذل طروب. ودار محور الحدس حول إمتلاك الألمان سلاحاً "جديداً سرياً" مميتاً. لعلّه غازٌ يؤثر على الجملة العصبيّة فيشل أعضاء المدافعين شللاً وقتياً ويعجزهم عن القتال.

وكانت الحقيقة أغرب من هذا الخيال. ففي شتاء ١٩٣٩-١٩٤٠ قام الألمان المطبوعون على الدّقة في أي عمل وعدم أغفال ايّ جزءٍ من التفاصيل - ببناء هيكلٍ طبق الأصل لهذا الحصن وجسور ثلاثة مطابقة للجسور المشادة على قناة البرت في هلدزهايم Hildsheim وراحوا يدربون حوالى (٤٠٠) جندي بالزلاقات الجوية، على كيفية الإستيلاء عليها. وأفردت من هذه القوة ثلاث جماعات لإحتلال الجسور الثلاثة. اما الجماعة الرابعة فتخصصت بإحتلال حصن (إيبن إمايل) وكانت تتألف من ثمانين جندياً. هبطت على سقف الحصن وألغمت ابراج المدفعية بمتفجرات اعدت خصيصاً لهذه الغاية (مفرقعات جوفاء Hollow) فعطّلت المدافع عن العمل. وفي الوقت نفسه نشرت لهيباً وغازاً في الحجرات الداخلية واستخدمت قاذفات لهب من فتحات المدافع ومزاغل المراقبة. وما مرّت ساعة من الزمن حتى تمكن الألمان الثمانون من إقتحام المقاصير العليا في الحصن وأفلحوا في تعطيل الأضواء وإسكات المدافع الثقيلة وأصابوا مراكز المراقبة فيه بالعمى. وحاول مشاة البلجيك المعسكرون خلف الإستحكامات زحزحة هذه الفئة القليلة عبثاً لأن هجمات طائرات شتوكا وتعزيزات من المظليين ردّتهم على أعقابهم. وفي صبيحة ١١ أيار وصلت الحصن الوحدات المدرعة التي لم تتأخر عن عبور الجسرين السليمين شمال الحصن، وطوقته من كل جهة. وبعد قصف آخر من طائرات شتوكا وإلتحام بالسلاح الأبيض

داخل أنفاق الحصن تحت الأرض، رفع العلم الأبيض وقت الظهر وخرج ألف ومائتا جندي بلجيكي مصعوقين ذاهلين وسلّموا تباعاً[١٢].

هذه المأثرة الحربية الجليلة والإستيلاء على الجسرين والهجوم العنيف الذي شنه الجيش السادس بقيادة الجنرال فون رايخناو يدعمه الفيلق المدرع الخامس عشر بقيادة الجنرال هويبنر Hoepner المؤلف من فرقتي دبابات وفرقة مشاة آلية، اقنعت قيادة الحلفاء العليا أن المعركة الكبرى وثقل الهجوم العام انما يقع على عاتق ميمنة العدو كما كان الوضع في ١٩١٤ وتأيد لديهم أنهم وقعوا على الخطة المثلى لإيقاف زحف العدوّ. والواقع أن القوات البلجيكية والبريطانية والفرنسية ظلّت حتى ساعة متأخرة من مساء ١٥ أيار صامدة صموداً مكيناً في مواقعها على خط (ديل)، من (انتورب) حتى (نامور).

وهذا هو طبق ما أرادته القيادة العليا الألمانية. إذ بات في وسعها الآن إطلاق خطة (مانشتاين) من عقالها وحسر اللثام عن اللعبة الحقيقية. وكان الموقف مع فرصه المأمولة، في مساء يوم ١٣ أيار، واضحاً كلّ الوضوح للجنرال هالدر رئيس هيئة أركان الجيش العامة. فكتب في مذكراته يومئذ:

"في شمال (نامور) يمكننا ان نؤكد إستكمال تحشيد زهاء ١٤ فرقة أنكلو فرنسية و١٥ فرقة بلجيكية. يقابلها جيشنا السادس. نحن أقوياء في هذه الجبهة وبإمكاننا صدّ أيّ هجوم مضاد يقوم به العدوّ وليس ثم من حاجة الى تعزيزها بقوات أخرى. في جنوب (نامور) نواجه قوات عدوة أضعف تبلغ نصف قوتنا هناك تقريباً. نتيجة معركة (الموز) سنقرر متى وأين وهل يمكن استثمار هذا التفوق. إن العدو لايملك احتياطياً يستحق الذكر خلف جبهته."

أجل، لايملك العدو قوة إحتياطية تستحق الذكر خلف جبهته التي كانت ستتصدع في اليوم التالي!

في ١٦ أيار طار رئيس الوزراء چرچل الى پاريس ليستطلع الأمور ووصل (الكي دورسيه) عصراً لمقابلة رئيس الوزراء الفرنسي (رينو) والجنرال (گاملان). كان الألمان قد نفذوا بطلائعهم الى مسافة ستين ميلاً غرب سيدان وهم يطردون طرداً سبّاقاً في الأرض البراح دون مناجزٍ أو عقبة تقف بينهم وبين پاريس، وبينهم وبين القنال. إلاّ ان چرچل كان أجهل الناس بذلك وسأل الجنرال گاملان: "واين هو الاحتياطي السوقيّ: ثم انقلب يخاطبه بالفرنسية: ?Ou est la masse de manoeuvre : أين هي القوات المشاغلة المركّزه؟". فإلتفت اليه القائد الأعلى لجيوش الحلفاء وبهزة من رأسه وعطفيه أجابه (لايوجد Aucune)[١٣].

١٢- لأجل الحصول على المزيد من التفاصيل انظر: ڤالتر ملزر Walther Melzer (ڤناه البرت وحصن ابين امايل). وردولف فيتزيك Rudolf Witzig "اخذ حصن ابين ايمايل die einn ahame von ebn-emael wehrhnunde، أيار ١٩٤٥" (قاد الملازم فيتزيك العملية. إلاّ أن عطباً طرأ على طائرته الزلاقة. ولم يصل الهدف إلاّ بعد أن كاد رجاله بقيادة العريف ڤنزيل Wenzel ينجزون مهمتهم). الجنرال فان أوفرشتريتن Van Overstraeten: "من البرت الأول الى ليوپولد الثالث".(بلجيكا – الوقائع الرسمية لما حصل)، "تلفورد تايلر: مسيرة الظفر" الص ٢١٠-٢١٤ يعرض ملخصاً ممتازاً.

١٣- بعد ان انتهت الحرب صرح گاملان أن جوابه لم يكن: Aucune بل كان "لم يعدّ شيء منه بعد". (الورور L` Aurore پاريس ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٩).

كتب چرچل فيما يعد يصف شعوره حينذاك: "لقد استهولت الأمر وصُعقت، أمر لايصدق أن لايحتفظ جيش جبّار بإحتياطي من الجنود أثناء ما هو متعرض لهجوم!". ثم يقول "أقرّ أن هذا كان من أعظم المفاجآت التي تعرضت لها في حياتي"(١٤).

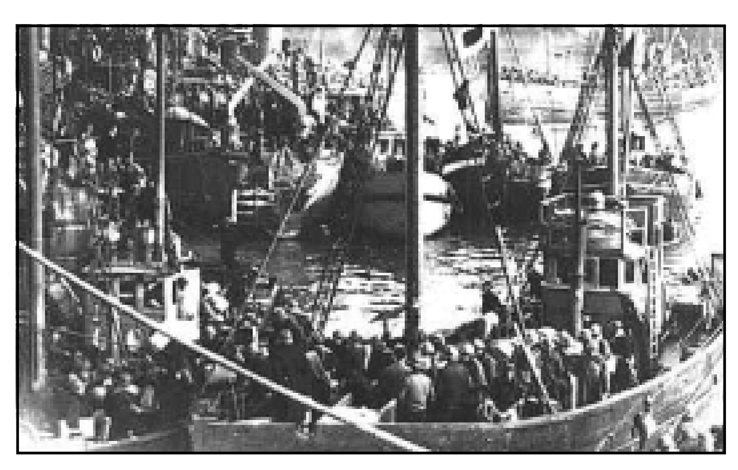
ولم تكن القيادة العليا الألمانية أو على الأقل هتلر وجنرالات القيادة العليا بأقل دهشة منه بإستثناء (هالدر). فقد تردد هتلر مرتين خلال دوران رحى معركة الغرب التي أثارها هو. التردد الأول كان في ١٧ أيار، إذ وقع فريسة نوبة عصبيّة. في صبيحة ذلك اليوم تسلم گوديريان ثالث الزاحفين نحو القنال بفيلقه المدرع، أمراً بالوقوف حيث هو فقد وردت معلومات لسلاح الجو الألمانيّ تنبيء بأن الفرنسيين يدبرون هجوماً مضاداً واسع النطاق يرمي الى قطع خطّ الرجعة على الإسفين المدرع القليل الكثافة الممتد غرباً من سيدان. واسرع هتلر يتبادل الرأي مع قائد الجيش العام براوختش ورئيس الأركان هالدر. وكان موقناً بالخطر الفرنسي العظيم الآتي من الجنوب. وعندما عقدت جلسة أخرى في ساعٍ متأخر من اليوم نفسه أيده في مخاوفه الجنرال (روندشدت) قائد مجموعة جيوش (A) وهي القوات التي حملت العبء الأكبر في الهجوم الخارق على (الموز) وقال انه يتوقع هجوماً مضاداً مباغتاً واسع النطاق تشنه قوات فرنسية كبيرة من منطقتي ڤردون Verdun وشالون على المارن chalons sur-marne" وما أن سمع هتلر ذلك حتى قفز الى ذهنه المتلاطم المحموم شبح معركة (مارن) ثانية. وكتب الى موسوليني في اليوم التالي يقول "إني في غاية الحذر ولن تتكرر معجزة المارن في ١٩١٤ مرة أخرى!(١٥)"

وفي مساء يوم ١٧ أيار دوّن هالدر في يوميته مايلي: "يوم سيء جداً. (الزعيم) ثائر الأعصاب للغاية. قلق على نجاحه وهو لن يخاطر بشيء. ولذلك يصرّ على إيقاف زحفنا وكبح جماحنا ويبرر ذلك تعلقه على الميسرة... وهو يولّد بهذا الشك والحيرة ليس الاّ".

ولم تتحسن حالة سيد الحرب النازي في اليوم التالي رغم تقاطر الأنباء عن الإنهيار الفرنسيّ. وسجّل هالدر الأزمة في يومية الثامن عشر: "لايمكن تعليل قلق الزعيم على الجناح الجنوبي. انه يثور ويزعق قائلاً: بأننا نسير في سبيل تدمير العملية كلّها ونعرّض الجيش لخطر الهزيمة. لايوافقنا في إستمرار الاندفاع غرباً، ولايتصور الاندفاع جنوباً. وهو متشبث على الدوام بفكرة الزحف الى الشمال الغربيّ ذلك موضوع خلافٍ سيّء جداً بين الزعيم من جهة وبيننا أنا وبراوختش من جهة أخرى".

أما الجنرال (يودل) الذي يرى الزعيم مصيباً في كلّ آرائه تقريباً فقد لحظ الشقاق والنفّار بين رجال القمّة، فكتب في ١٨ أيار: "يوم شديد التوتّر. لم ينفذ قائد الجيش العام [براوختش] ما تمّ تقريره في بناء جناح جنوبيّ للقوات الزاحفة بأسرع مايمكن... أستقدم براوختش وهالدر تواً، وطلب منهما بصورة جازمة إتخاذ الاجراءات الضّرورية لذلك حالاً".

١٤- چرچل: أجمل ساعات حياتهم، الص ٤٦-٤٧.
١٥- رسالة هتلر الى موسوليني بتاريخ ١٨ آيار ١٩٤٠. وثائق سياسة ألمانيا الخارجية: ج٩، الص ٣٧٤-٣٧٥.



إخلاء دنكرك

على أن (هالدر) كان مصيباً في حدسه. وظهر ان الفرنسيين لايملكون من الإحتياطي ما يشنون به هجوماً مضاداً من الجنوب ومع أن الفرق المدرعة كانت تزحف خالية البال ممراحةً لايعوقها شيء فقد بُلّغت بأوامر تقضي بأن تواصل بعمليات تقدم إستطلاعية a recannaissance in fore وهذا كان كل ماتريده لتندفع قدماً الى القنال. ولم يجيء صباح ١٧ أيار إلاّ وراح اسفين متحرك جبّار يتألف من سبع فرق مدرعة ينهب الأرض نهباً دونما وقفة نحو الغرب شمالي نهر السّوم Somme، وهي تمر بالأراضي التي شهدت معارك الحرب العظمى الأولى لتغدو في عداد الأساطير المرويّة – حتى أضحى هذا الأسفين وليس بينه وبين القنال أكثر من خمسين ميلاً. وفي مساء يوم ٢٠ أيار عرت الدهشة مقرّ قيادة هتلر عندما أشارت التقارير الواردة اليّ وصول الفرقة المدرعة الثانية مدينة (آبيڤيل) الواقعة على مصب نهر السوم. وبهذا تمّ وقوع القوات البلجيكية والحملة البريطانية والجيوش الفرنسية الثلاثة في الفخّ المنصوب.

كتب (يودل) في يومياته مساء هذا اليوم: "الزعيم تكاد الدنيا لاتسعه فرحاً. والحديث؟ كلمات تتضمن أعلى المدح وأطيب الثناء على الجيش الألماني وقيادته. [هو] يرسم الآن خطوط معاهدة الصلح التي ستضرب على نغمة: إعادة الأراضي التي سلبت من الشعب الألماني خلال القرون الأربعة الماضية، وغير ذلك من المقتنى..."

"مذكرة خاصة في الملفات تتضمن العبارات المفعمة بالعاطفة التي نطق بها الزعيم عندما أبلغه قائد الجيش العام تلفونياً بسقوط (آبيڤيل)."

كان أمل الحلفاء الوحيد لإنقاذ جيوشهم من هذا الطوق المحكم والداهية الدهماء الانسحاب من بلجيكا حالاً الى الجنوب الغربي وفك إلتحام هذه القوات بالجيش السادس الألماني المتعرّض لها. وشق طريقها عنوة بفتح ثغرة لها من الأسفين الألماني المدرّع الممتد الى شمال فرنسا حتى البحر والإتصال بقوات فرنسية جديدة قادمة من السّوم الى الشمال.

وهذا هو ما أمر به الجنرال گاملان في صبيحة يوم ١٩ أيار. إلاّ أنه عزل في مساء اليوم نفسه واستخلف بالجنرال (ماكسيم ڤيگان) الذي سارع بإلغاء هذا الأمر. كان (ڤيگان) الذي يتمتع بسمعة عسكرية كبيرة نالها في الحرب العالمية الأولى - يرغب في بحث الأمر أوّلاً مع قادة قوات الحلفاء في بلجيكا قبل إتخاذ القرار. فضيّع ثلاثة أيامٍ كوامل وتوصل بعدها إلى خطة سلفه بالضبط فكلف هذا التأخير غالياً. كان يوجد في الشمال أربعون فرقة بريطانية فرنسية بلجيكيّة عجمت عودها المعارك وحلبت اشطر القتال. فلو إندفعت جنوباً للتعرض بالخط الألماني المدرع ذي الكثافة القليلة ووجهت ضربة قوية اليه في ١٩ أيار كما أمر به (گاملان) فلربما تكلل مسعاها بالنجاح فخرقت الخطّ ونجحت. لكن، عندما بدأت هذه المجموعة بالحركة. وجدت المخابرات ووسائل الإتصال بين مختلف قيادات الدول قد عمّتها الفوضى وراحت الجيوش في موقفها الحرج تعمل في غايات متضادة وهكذا لم يكن لخطّة (ڤيگان) وجود إلاّ في رأسه، ولم تتحرك اية قوة فرنسية من السوّم.

في هذا الوقت بالذات سارعت القيادة العليا الألمانية بإرسال كل ما إستطاعت جمعه من المشاة الى الثغرة التي فتحتها الفرق المدرعة لتقويتها وتوسيعها. وما حلّ يوم ٢٤ أيار حتى كانت دبابات (گودريان) المندفعة من ابيفيل على إمتداد ساحل القنال قد احتلت بولون Boulogne وحاصرت كاليه Calais وهما أكبر موانيء القنال، وبلغت گرافيلين Gravelines التي تبعد عن دنكرك Dunkirk زهاء عشرين ميلاً. وكانت الجبهة قد طويت وتحولت الى الجنوب الغربي أثناء محاولة الحلفاء الخلاص من التطويق. فالموقف في الرابع والعشرين إذن هو هذا: الجيوش البريطانية والفرنسية والبلجيكية في جبهة الشمال محصورة في مثلث ضيق نوعاً ما، قاعدته ساحل القنال وطولها هي المسافة بين گرافيلين وترنيوزن Terneuzon الساحليتين، ورأسه في ڤالانسيين Valencienne الداخلية التي تبعد عن الساحل زهاء سبعين ميلاً. وبهذا زال كل أمل بكسر الطوق ولم يبق إلاّ الإخلاء عن طريق البحر من دنكرك وهو أمل ضعيف.

في هذه المرحلة، كانت دنكرك على مرأى من الفرق المدرعة الألمانية التي انتشرت متهادية على إمتداد قنا آآ-Aa بين گرافيلين وسانت أومير St-Omer ثم توفقت وكأنها تستّعد لتوجيه الضربة المميتة الأخيرة، فاذا بها تفاجأ بأمر غريب (لجنود الميدان كان أمراً لايمكن تعليله). يقضي بوقف التقدم تماماً. وهذه أول غلطة فادحة من الغلطات الكبرى التي ارتكبتها القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية في الحرب العالمية الثانية.

ولما باتت هوية المسؤول عن اصداره والسبب في اصداره موضوع نقاش عنيف لا بين الجنرالات الألمان وحدهم، بل بين المؤرخين العسكريين، فسوف نعود الى القضية وشيكاً لتحليلها على ضوء المواد الكثيرة المتوفرة عنها الآن. ومهما تكن الأسباب التي دعت إلى صدور هذا الأمر، فهو والحق يقال نجدة للحلفاء تقوم في عداد الأعاجيب، وبصورة خاصة للإنگليز حيث تمخضت بمعجزة دنكرك الكبرى. على انها لم تنقذ البلجيكيين من محنتهم.

-٦-

إستسلام الملك ليوپولد

استسلم ليوپولد الثالث ملك بلجيكا في ساعة مبكرة من يوم ٢٨ أيار.

هذا الملك الشاب العنيد الذي سحب بلاده من حلفها مع فرنسا وبريطانيا ووضعها في حياد أحمقٍ سخيف، هذا الذي رفض العودة الى الحلف حتى في الأشهر التي بات يعلم أن الألمان يتهيأون لغارة كبرى على بلاده ولم يطلب العون من فرنسا وإنگلترا إلاّ في آخر لحظة بعد أن ضرب هتلر ضربته فخفت الى نجدته الدولتان دون تردد، راح الآن يخذلهما في الساعة العصيبة بفتح السدّ للألمان ليتدفقوا على الجناح الأنگلو فرنسي في موقفه البالغ الحراجة، ولقد فعل ذلك "دون مشاورة مسبقة ودون إخطارٍ مهما قصرت مدته دون أن يلتمس نصيحة وزرائه بل بعمل شخصيّ منه بحت". كما وصف ذلك چرچل في مجلس العموم بتاريخ ٤ حزيران. والحق يقال انه فعلها ضدّ إجماع أعضاء حكومته وهو ملزم دستورياً بموجب اليمين التي أداها أن يتبع نصيحتها. في الساعة الخامسة من فجر يوم ٢٥ أيار عقدت جلسة صاخبة في مقرّ قيادة الملك واحتد النقاش بينه وبين ثلاثة من الوزراء بينهم رئيس الحكومة ووزير الخارجية. وناشدوه في آخر لحظة ولآخر مرة بألاّ يسلّم بشخصه ويمسي أسيراً في يد الألمان وأنّه لو فعلها فسوف "ينحدر الى الدور الذي فرضه هاشا على نفسه" في پراغ. كما ذكّروه أيضاً بأنه رئيس الدولة والقائد العام لقواتها المسلّحة وأن عليه ممارسة وظيفته الأولى خارج البلاد إن ساءت الأمور الى حدّ مغادرتها، كما فعلت ملكة هولندا وملك النرويج حتى ينتصر الحلفاء فأجاب ليوپولد: "قررت البقاء. ان قضيّة الحلفاء خاسرة"[١٦].

وفي الساعة الخامسة من عصر يوم ٢٧ أيار أرسل الجنرال ديروسّو Derousseaux نائب رئيس هيئة أركان الجيش البلجيكي الى الألمان بطلب الهدنة. وفي العاشرة مساء عاد الجنرال بشروط الألمان: "(الزعيم) يطلب إلقاء السلاح دون قيد أو شرط"، وقبل الملك الإستسلام المطلق في الساعة (١١) واقترح وقف القتال في الساعة (٤) فجراً فتمّ ذلك. ندّد رئيس الحكومة (رينو) بإستسلام ليوپولد تنديداً ساخطاً في خطاب عنيفٍ ألقاه من دار الإذاعة (بياريس) إلاّ أنه وجه القول الى شعب البلجيك بلهجة رزينة محترمة قائلاً أن الملك اتخذ قراراً ضدّ النصح الإجماعي الذي عرضته حكومته وانه قطع صلاته بشعبه ولم يعد في حالة تؤهله للحكم. وستستمر الحكومة في المنفى على متابعة الكفاح. أما چرچل فقد ترك عمل ليوپولد لحكم التاريخ في كلمته التي ألقاها بأعضاء مجلس العموم بتاريخ ٢٨

١٦- من حديث الملك في الإجتماع وردّ رئيس الوزراء البلجيكي پييرلو Pierlot. طبع في الكتاب الرسمي البلجيكي: الملحق الص ٦٩-٧٥. واعتمدها پول برينو الذي كان رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك - لكتابه "مثار نقع المعركة" الص ٤٢٠-٤٢٦.

أيار، إلاّ أنه ضم صوته الى الإنتقاد العام في ٤ حزيران وظلّ الخلاف في وجهات النظر عنيفاً بعد إنتهاء الحرب بزمن طويل وزعم المدافعون عن عمل ليوپولد وهم كثيرون ومنهم خارج بلاده، أنه كان مصيباً في قراره شريفاً فيما عمله من مشاطرته مصير جنوده وشعب البلجيك، ولهجوا كثيراً بقانونية القرار الذي اتخذه، وبحقه في اصداره وحده لا لكونه رئيس دولة بل بوصفه قائداً عاماً لجيش بلجيكا. لا خلاف في أن الجيش البلجيكي المتصدّع كان في وضع يائس. لقد وافقوا بكلّ شهامة على توسيع جبهتهم ليعطي الجيوش الأنكلو فرنسية حريّة شق طريق النجاة عنوةً الى الجنوب وإن هذه الجبهة الواسعة اخذت تنهار أيضاً انهياراً سريعاً رغم قتال البلجيك العنيف. وكذلك لم يبلّغ الملك بالأوامر التي صدرت من لندن الى لورد (گورت) في ٢٦ أيار بالانسحاب الى (دنكرك) إنقاذاً لما يكن إنقاذه من الحملة البريطانية وهذا هو أحد جانبي الخلاف، أمّا الثاني فهو أن الجيش البلجيكي كان تحت قيادة الحلفاء العليا وليوپولد قام بعقد الهدنة دون إستشارة تلك القيادة. ولقد اشير في معرض الدفاع عنه أنه أتصل (بگورت) برقياً يوم ٢٧ أيام (الساعة ١٢,٣٠ بعد نصف الليل) وأنبأه بأنه "سيضطر بعد قليل الى الإستسلام تفادياً لإنهيارٍ تام" الا أن القائد البريطاني كان مشغولاً جداً، لايستقر في موضع واحد وهو في حركة انتقال مستمرة. وشهد فيما بعد أن نبأ الإستسلام لم يبلغه الاّ بعيد الساعة ١١ من مساء ٢٧ أيار فوجد نفسه فجأة "أمام ثغرة سعتها عشرون ميلاً بين (إيپر Ypres) وساحل البحر قد تتمكن قوات العدو المدرعة أن تنفذ منها لتصل الى الساحل"[١٧] اما الجنرال (ڤيگان) الذي كان رئيس الملك الأعلى بحسب تسلسل القيادة فقد وصله النبأ برقياً من ضابط الإرتباط الفرنسيّ المرابط في مقر القيادة البلجيكية بعد الساعة ٦ مساءً بقليل وقال فيما بعد "انها وقعت عليه وقوع الصاعقة... اذ لم يسبقها إنذار"[١٨].

وأخيراً فمع كون (ليوپولد) قائداً عاماً لقواته المسلحة فإن نظام حكم بلاده الملكي الديمقراطي يلزمه دستورياً أن يمتثل لإرادة حكومته. وليس من صلاحياته الدستورية سواء بوصفه قائداً عاماً أو رأس دولة أن يقرر الإستسلام من تلقاء نفسه. وفي النهاية حَكَمَ الشعب البلجيكيّ على ملكه وهو أحق القضاة طبعاً فلم يستدع الى العرش من بلاد سويسرا التي لجأ اليها بعد نهاية الحرب إلاّ بعد خمس سنوات. وعندما بلغته الدعوة للعودة في ٢٠ تموز ١٩٥٠ بعد ان وافق عليها ٥٧٪ من المصوّتين في الإقتراع العام، أثار قدومه رد فعل عنيف في جماهير الشعب بحيث باتت البلاد مهددة بإنفجار حرب أهليّة. فمالبث أن تنازل عن العرش لإبنه.

مهما قيل عن سلوك ليوپولد فليس ثم جدال في أن جيشه قاتل قتالاً رائعاً وإن كان هناك خلاف حول هذه النقطة في حينه[١٩]. فبعد أيامٍ قلائل تابعتُ مسيرة جيش (رايخناو) السادس في بلجيكا.

١٧- تقارير لورد گورت، ملحق لـ(لندن گازيت)، لندن ١٩٤١.

١٨- ڤيگان: Rappele` au service الص ١٢٥-١٢٦.

١٩- من بين هؤلاء الآخرين الجنرال سـر آلان بروك Sir Alan Brook قائد الفيلق الحادي عشـر البريطاني آنذاك ورئيس =

ورأيت بأم عيني دلائل الصمود البطولي الذي تركه قتال البلجيكيين لعدوّ متفوق عليهم عدداً وعدة. ولم يتخلّوا مرّة عن مواقعهم أو يكسر حدّة عزمهم قصف سلاح الجو الألماني الذي لم يعقه عائق عنهم ولم تداخله بهم رحمة ولم تنثن خطوطهم عندما كانت الدروع الألمانية تحاول اختراقها ولايمكن ان يقال هذا عن القوات الحليفة الأخرى التي خاضت المعركة – على وجه اليقين ولقد صمد البلجيك ثمانية عشر يوماً وربما إمتد صمودهم وقتاً أطول بكثير لو لم يقعوا هم والجيوش الأنكلو فرنسيّة الشمالية في فخ ليس من عملهم هم.

-٧-

معجزة دنكرك

عندما اقتحمت دبابات گودريان مدينة آبيفيل الساحلية في ٢٠ أيار بدأت الأميرالية البريطانية بناءً على أمر چرچل الخاص في تجميع السفن ووسائل النقل البحرية وهيّأتها لإجراء عمليّة إخلاء الحملة البريطانية وغيرها من قوات الحلفاء عن طريق موانيء القنال وبدأت أفواج من المدنيين وغيرهم من "الأفواه التي يجب ان تطعم" يتدفقون عبر القنال الى إنگلترا لاجئين. وقد مرّ بنا أن جبهة البلجيك باتت في ٢٤ أيار على شفا الإنهيار. والى الجنوب كان إنطلاق المدرعات الألمانية شمالاً الى الساحل قد تمخض بإحتلال آبيفيل والإستيلاء على پولون والاحاطة (بكاليه) ثمّ بلغت قناة (آآ) التي تبعد عن (دنكرك) عشرين ميلاً.

وبين هذين الموقفين حُصر الجيش البلجيكي وجميع فرق الحملة البريطانية التسع، وعشر فرق من الجيش الفرنسيّ الأول. ومع ان طبيعة الأرض في النهاية الجنوبية لهذا الجيب كانت صعبة على الدبابات لتقاطع الاقنية والسواقي العديدة وتشابكها ولغمر مناطق فيها بالمياه، إلاّ ان فيلق گودريان وراينهارت المدرع كان قد سبق الى إنشاء رؤوس جسور خمسة عبر الحاجز الرئيس وهو قناة (آآ) بين (گرافلين) الساحلية (وسانت أومير). ثم وقف قليلاً ليلتقط أنفاسه قبل توجيه الضربة القاضية التي كانت ستدفع بجيوش الحلفاء الى سندان الجيشين الألمانيين السادس والثامن عشر المتقدمين من الشمال الشرقي الى الجنوب فتطحن طحناً ويتم القضاء التام عليها.

وعلى حين غرّة ورد الأمر الجازم من القيادة العليا في مساء يوم ٢٤ أيار. صدر بناء إلحاح هتلر ومطالبة روندشدت وگورنگ وبعد معارضة براوختش وهالدر العنيفة. والأمر هو أن تقف قوات الدبابات على خطّ القناة ولاتجتازه ابداً. وهذا الذي زوّد لورد گورت بفرصة لم تكن في الحسبان

= هيئة الأركان البريطانية فيما بعد (رفّع الى فيلدمارشال لورد آلان بروك). أنظر كتاب سر آرثر براينت Sir Arthur Bryant "إنحسار المدّ The Turn of the Tide" معتمداً على مذكرات آلان بروك.



روندشدت

إستطاع ان يستغلّها هو والسلاح البحري والجوي البريطانيين الى أقصى حدّ وأدرك روندشدت اهميتها فيما بعد فقال أنها ادت الى "مرحلة من مراحل التحول الكبرى في مجرى الحرب".

كيف صدر أمر الوقوف هذا الذي يصعب تفسيره وعلى عتبة ما بدا أروع نصر ألماني في المعركة بأسرها؟ وماهي الأسباب التي دعت اليه؟ من كان المسؤول عن صدوره؟ هذا السؤال أثار نقاشاً من أعظم مناقشات الحرب بين الجنرالات الألمان المعنيين بالأمر، وبين ضروب من المؤرخين. فالجنرالات وفي طليعتهم هالدر وروندشدت يلقون اللوم كلّه على هتلر. وزاد چرچل من تأجيج نار الخلاف عندما ذكر في مجلده الثاني عن ذكريات الحرب بأن فكرة اصدار الأمر بالوقوف نبطت من رأس روندشدت لا من هتلر. ودعم قوله بدليل من يوميات حرب مقرّ قيادة روندشدت نفسه. وفي وسط هذا الخضمّ الملتطم من الشواهد المتناقضة تعذر الوصول الى الحقيقة الأكيدة. وفي أثناء كتابة هذا الفصل كتب المؤلف رسالة للجنرال هالدر، طالباً منه إنارة السبيل له فما عتم أن جاءه ردّ رقيق مفصّل، وعليه وعلى الكثير جداً من الشواهد الأخرى أمكن الآن التوصل الى إستنتاجات ثابتة، وحسم الخلاف الطويل، ان لم يكن حسماً نهائياً فعلى الأقل مقنعاً الى درجة مناسبة.

أمّا بخصوص المسؤولية عن هذا الأمر الشهير فلاشك ان لروندشدت سهماً فيه مع هتلر رغم تأكيداته التالية بخلاف ذلك. فقد زار هتلر مقرّ قيادة (روندشدت) في شارلفيل Charleville صباح يوم ٢٤، فاقترح عليه الجنرال أن تقف فرق (البانزر) على خطّ القناة أمام كاليه ولاتتقدم حتى يتم تعزيزها بالمزيد من المشاة[٢٠] فوافق هتلر على ذلك معقباً أن الضرورة تقضي بالإبقاء على الدروع

٢٠- هذه الواقعة التي تؤيدها سجلات مقر قيادة روندشدت نفسه، لم تمنعه من إدلائه بعدة تصريحات بعد الحرب في سبيل إلقاء اللوم كله على عاتق هتلر قال لضابط الإستخبارات الكندي الرائد ملتن شولمان Milton Shulmon "لو كنت مخيّراً لما إستطاعت الحملة البريطانية والجيوش المحصورة الأخرى الخروج من (دنكرك) بهذه السهولة. لكن يديّ كانتا موثقتين بأوامر ثابتة من هتلر نفسه. ففي الوقت الذي كان البريطانيون يركبون السفن من السواحل بقيت خارج المدينة عاطلاً لا أستطيع الحركة... جلست خارج المدينة أرقب الإنگليز يفرون هاربين بينما كانت دباباتي ومشاتي ممنوعة من الحركة هذه المحنة التي لاتُصدّق. إنما يعود سببها الى فكرة هتلر الشخصية بالفن القيادي العسكري" (شولمان: الإندحار في الغرب Defeat in the West الص ٤٢-٤٣) وزاد روندشدت يقول للجنة المحكمة العسكرية الدولية في نورمبرگ بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٤٦ (نسخة مختصرة ص ١٩٤٠) "كانت تلك غلطة شنعاء من القائد... إن الغضب الذي إستولى علينا نحن القادة في حينه، كان لايوصف"، وصرّح تصريحاً مشابهاً لليدل هارت (الجنرالات الألمان يتكلمون، الص ١١٢-١١٣) وأمام محكمة نورمبرگ العسكرية في قضية "الولايات المتحدة ضد المتهم =

لتنهض بواجب العمليات التالية ضدّ الفرنسيين جنوب السّوم وزاد يقول: لو أن الجيب الذي انحصر فيه الحلفاء ضاق كثيراً فسوف يعيق حتماً نشاط سلاح الجوّ. ويحتمل أن روندشدت هو الذي اصدر أمر التوقف الفجائي بعد موافقة الزعيم. ذلك لأن القوات البريطانيّة التقطت رسالة ألمانية بالراديو تعطي الأوامر بهذا الشأن في الساعة ٤٢ , ١١ من صباح ذلك اليوم(٢١). وكان هتلر وروندشدت في تلك اللحظة يتباحثان فيما بينهما. وعلى كل حال فإن هتلر اصدر الأمر الرسمي مساء ذلك اليوم من القيادة العليا. وقد اشار اليه كل من هالدر ويودل في مذكراته. وكان رئيس الأركان في غاية من البؤس والترح:

"وهكذا ستقف مسيرتنا المؤلفة من الدروع والقوات الآلية، عن الحركة توقفاً تاماً على خطوط زحفها، بناءً على أوامر من (الزعيم) مباشرة! إتمام القضاء على العدوّ المطوّق يجب أن يترك للقوة الجوية!"

علامة التعجب هذه التي تدلّ على الإزدراء. بل تشير الى تدخل گورنگ وتأثيره على هتلر. فقد علم الآن بأنه تدخل فعلاً وعرض تصفية قوات العدوّ المحصورة بالسلاح الجوّي وحده! إن أسباب هذا الإقتراح المكابر الطموح فصّلتها رسالة هالدر للمؤلف بتاريخ ١٩ تموز ١٩٥٧:

"في أثناء الأيام التالية [للرابع والعشرين من أيار] بات معروفاً أن گورنگ هو المؤثر الأكبر على هتلر في إصدار هذا الأمر. فقد اشتد تشاؤم الدكتاتور من حركة الجيش السريعة التي لايفهم مخاطرها ولا إحتمالات النجاح فيها لإفتقاره الى الدراسة العسكرية. وظلّ دائماً مطارداً بشعور القلق من إنقلاب الأمور وحصول كارثة...

"وگورنگ كان أيضاً يعرف زعيمه معرفةً تامّة. فأفاد من هذا القلق وعرض أن ينهض ببقية القتال في معركة التطويق الكبرى هذه وحيداً وبذلك تزول المخاطر التي قد يتمخض بها إستخدام فرق الدروع الثمينة. لقد عرض الإقتراح... لسبب لايستغرب في طبع گورنگ الطموح المتهوّر.

"فبعد العمليات المدهشة السهلة التي حققها الجيش حتى تلك اللحظة أراد ان يضمن لقوته الجوية لعب الفصل الأخير الحاسم في المعركة الكبرى وبهذا ينال مجد النجاح أمام العالم كله."

ثم يمضي الجنرال هالدر في رسالته ليتحدث عما قاله له براوختش عقد إجتماعه بجنرالي سلاح الجوّ: فون مليش Von Milich وكسلرينگ Kesselring في سجن نورمبرگ في كانون الثاني ١٩٤٦:

"شرح گورنگ في ذلك الوقت [أيار ١٩٤٠] لهتلر انه لو حاز الجيش وجنرالاته الفخر كلّه

= ليب Leeb (الص ٣٣٥٠-٣٣٥٣ و٣٩٣١-٣٩٣٢ - نسخة مختصرة) وقد حلل كل من تلفورد تايلر (مسيرة الظفر) وإيللس (الحرب في فرنسا والفلاندرز ١٩٣٩-١٩٤٠) سجل الجيش الألماني حول القضية وكان إستنتاجهما مختلفاً بعض الشيء. وكتاب إيلليس هو وجهة النظر البريطانية الرسمية عن المعركة وتتضمن الوثائق البريطانية والألمانية. أما تايلر الذي قضى أربع سنين في وظيفة الإدعاء العام في محاكمات نورمبرگ فيعتبر ثقة في الوثائق الألمانية.

٢١- چرچل "أجمل ساعات حياتهم" ص٧٦.

بالإنتصار العظيم الذي كانت تلوح بشائره آنذاك. لألحق ذلك ضرراً كبيراً بسمعة (الزعيم) في داخل ألمانيا بشكل لايرجى صلاحه. ولايمكن تفادي ذلك الاّ اذا خاضت اللوفتوافّه المعركة الفاصلة."

بات واضحاً اذن أن فكرة هتلر التي إحتثّها (گورنگ وروندشدت) وعارضها (هالدر وبراوختش) بشدة، هي ترك القوة الجويّة ومجموعة جيوش فون بوك Von Bock(B) التي كانت تزحف ببطء وتدفع البلجيكيين والبريطانيين الى الخلف نحو الساحل بدون دروع تستحق الذكر فتطهر الأرض من وحدات العدو وتردّها الى الجيب في حين تقف مجموعة جيوش (A) بقيادة (روندشدت) بفرقها المدرعة السبع عاطلة على خطوط المياه غرب دنكرك وجنوبها لتبقي العدوّ في مصيدته. على أن اللوفتوافّه ومجموعة جيوش (بوك) لم تحقق الهدف. ففي ٢٦ أيار نجد هالدر يغلي غضباً في يومياته اذ يقول "هذه الأوامر من المافوق ليس فيها ذرة من العقل... لقد وقفت الدبابات كأنما اصيبت بالشلل..."

أخيراً وفي مساء ٢٦ أيار ألغى هتلر أمر الوقوف ووافق أن تستأنف القوات المدرعة تقدمها على دنكرك نظراً الى زحف (بوك) البطيء في بلجيكا وحركة النقل على الساحل، ولكن الوقت فات إذ استفاد العدو من الوقت المتاح له فقوّى خطوط دفاعه وبدأ من ورائها ينسلّ الى البحر إنسلالاً.

والآن صرنا نعرف أنه كان يوجد عوامل سياسيّة أيضاً لقرار هتلر المشؤوم. اشار هالدر في يومية ٢٥ أيار، بقوله أن هذا اليوم قد بدأ "بواحدة من تلك المشاحنات الأليمة بين براوختش و(الزعيم)، حول الحركات التالية لمعركة التطويق" وأنّ... "القيادة السياسية قد كونت الفكرة الثابتة وهي أن المعركة الفاصلة يجب ألاّ تتمّ في أرض الفلمنكيّين، بل في شمال فرنسا."

هذه الفقرة حيرتني فسألت رئيس هيئة الأركان السابق في رسالتي له: هل يستطيع أن يتذكر أسباب الهتلر "السياسيّة" التي جعلته يريد انهاء هذه المعركة في شمال فرنسا لا في بلجيكا. فأجابني أنه يتذكرها جيداً "بالنسبة الى ذاكرتي التي مازالت نشيطة حيّة. دعم هتلر في أحاديثنا آنذاك الأسباب التي حملته على إصدار أمر الوقوف بفكرتين أساسيتين. الأولى عسكريّة وهي طبيعة الأرض وصعوبة عمل المدرعات فيها حيث سينجم عن الخسائر الكبيرة إضعاف الهجوم المقبل في بقية فرنسا وغير ذلك. أمّا الفكرة الثانية: "وهي فكرة يعلم اننا كعسكريين لانستطيع الجدال فيها مادامت سياسية وليست عسكرية. وتتلخص أنه لايريد أن يخوض الجيش الألماني المعركة الفاصلة التي ستسبب لامحالة اضراراً عظيمة للسكان، في أرض (فلمنكيّة) يقطنها شعب فلمنكيّ. وقال أن نيته قد صحّت على إقامة دويلة مستقلة قومية إشتراكية في الإقليم الذي يسكنه (الفلمنكيّون) المتحدرون من الأصل الألماني وبهذا يتمّ ربطهم ربطاً وثيقاً بألمانيا. كان أنصاره في الاقليم الفلمنكيّ ناشطين على أراضيهم لهذه الغاية منذ زمن طويل وقد وعدهم بالإبقاء على أراضيهم سليمة بعيدة عن ويلات الحرب فان لم يبرّ بوعده لهم الآن ضعفت ثقتهم به كثيراً، وسيلحق هذا ضرراً سياسياً بألمانيا من واجبه أن يتحاشاه بوصفه القائد السياسيّ المسؤول."

تعليل سخيف! إن بدا ذلك لوثة خبال فجائية أخرى لهتلر، فالإعتبارات السياسيّة الأخرى التي أسرّ

بها الى جنرالات آخرين هي أقرب الى العقل وأكثر أهمية. (كتب هالدر أنه وبراوختش "لم يقنعا بهذا التعليل"). ولقد وصف الجنرال (كونتر بلومنتريت Guenther Blumentritt رئيس دائرة العمليات في قيادة (روندشدت) للكاتب العسكريّ البريطاني "ليدل هارت Liddell Hart" إجتماع هذا الأخير بهتلر في ٢٤ أيار. "كان هتلر في أطيب مزاج... وادلى الينا برأيه حول الحرب فقال انها ستنتهي في ستة أسابيع. وبعدها أعلن رغبته في إبرام صلح معقول مع فرنسا وعندئذ سيكون الطريق مفتوحةً أمامه للإتفاق مع بريطانيا...

"ثم أدهشنا حين راح يتكلم بإعجاب عن الإمبراطورية البريطانية وعن ضرورة بقائها وعن المدنيّة التي اتحفت بريطانيا العالم بها... وقال أن كل ما يريد من بريطانيا هو الإعتراف بمكانة ألمانيا في القارة الأوروبيّة. وأن إعادة المستعمرات الألمانية هو أمر مرغوب فيه إلاّ انه ليس ضرورة... وختم حديثه بقوله أن هدفه هو عقد صلح مع بريطانيا على أسس غير ماسّة بكرامتها(٢٢).

واعرب هتلر كثيراً لجنرالاته عن هذه الآراء في الأسابيع القليلة التالية وبثها لتشيانو وموسوليني ثم أعلنها أخيراً على الملأ. ولقد عرت تشيانو الدهشة بعد ذلك بشهر واحد حين وجد الدكتاتور النازي وهو في قمة نجاحه آنذاك يضرب على وتر أهمية الابقاء على الإمبراطورية البريطانية "كعامل من عوامل التوازن العالمي"(٢٣). ووصف هالدر في يومية ١٣ تموز (الزعيم) بحيرته الشديدة في تعليل رفض بريطانيا قبول الصلح. وقال لجنرالاته إن ارغام إنكلترا على الركوع بالقوّة "لن يفيد ألمانيا... وإنما يفيد اليابان والولايات المتحدة والآخرين..."

اذن فلعلّ هتلر كبح جماح قواته المدرعة أمام (دنكرك) ليوفر على بريطانيا إذلالاً مراً تسهيلاً لإيجاد تسوية سلمية وإن كان بعضهم يشك في هذا. أو ربّما كان يفكر بصلح، تترك بريطانيا لألمانيا الحريّة في التوجه نحو الشرق مرة أخرى، ضدّ روسيا هذه المرّة. وكما قال أيضاً: على لندن أن تعترف بسيادة الرايخ على القارة الأوروبيّة. وكان طوال الشهرين التاليين واثقاً بأن صلحاً كهذا هو في متناول يده. وهكذا لم يزد فهمه الآن عما كان قبلاً طبائع الشعب البريطاني وفي شكل العالم الذي عقد زعماء هذا الشعب وعامّتهم عزمهم على الحرب لأجله حتى النفس الأخير.

كما لم يكن يحلم هو ولا جنرالاته بأن البريطانيين ذوي البصيرة البحرية سيتمكنون من إخلاء ثلث مليون مقاتل من ميناء صغير متقوّض ومن سواحل مكشوفة الى السماء تحت أنوفهم وأمام سمعهم وبصرهم - فقد جهلوا البحر وظلّوا يجهلونه حتى الأخير.

في الساعة السادسة والدقيقة السابعة والخمسين بالضبط من مساء يوم ٢٦ أيار، وبعد إبطال أمر الوقوف بقليل من الزمن بثت أميرالية البحر البريطانية إشارة البدء "بعملية داينمو Dynamo Operation" وهو الإسم الذي اطلقته على عملية إخلاء (دنكرك). وفي تلك الليلة استأنفت الدروع الألمانية هجومها

٢٢- ليدل هارت "الجنرالات الألمان يتكلمون" الص ١١٤-١١٥.
٢٣- يوميات تشيانو الص ٢٦٥-٢٦٦.

على الميناء من الغرب والجنوب. لكن الدبابات وجدت الأمر شاقاً هذه المرّة. فقد توفر لـ(لورد گورت) الوقت الكافي لتنظيم خطوط دفاعه امامها ونشر ثلاث فرق من المشاة تساندها المدفعيّة الثقيلة ولم تحقق الدبابات تقدّماً يذكر وفي الوقت نفسه بدأت عملية الإخلاء. أسطول هائل (أرمادا) يتألف من (٨٥٠) سفينة عائمة من كل حجم وشكل وأسلوب حركة، من الطراد والمدمرة الى قوارب النزهة الصغيرة وزوارق الصيد الهولندية (سكوت Skoot) يقود عدد كبير منها أناس مدنيّون تطوعوا للعمل من مدن الساحل الإنكليزي وحطّوا في دنكرك. فأخلوا في اليوم الأول (٢٧ أيار) ٧٦٦٩ جندياً وفي اليوم الثاني ١٧٨٠٤، وفي الثالث ٤٧٣١٠، وفي ٣٠ أيار نقلوا ٥٣٨٢٣ جندياً فبلغ المجموع الكلي للأيام الأربعة الأولى (١٢٦٦٠٦) وكان هذا يفوق جداً ما أملت الأميرالية في إنقاذه فقد توقعت عند بدء العملية إخلاء (٤٥٠٠٠) جندي فقط في اليومين اللذين ظنّت أنهما الفترة القصوى.

ولم تصحُ القيادة العليا الألمانية من نومها إلاّ في الثلاثين من أيار بعد مضي أربعة أيام كوامل علي البدء في (عملية داينمو) فتبينت ما يحصل. ظلت البلاغات الحربيّة الصادرة من القيادة الألمانية العليا تردد أربعة أيام بأن العدوّ المطوق قد تم القضاء عليه ولا مجال لخلاصه وقد دوّنت واحداً منها في مفكرتي بتاريخ ٢٩ أيار، وهذا هو: "ان مصير الجيش الفرنسي في (ارتوا Artois) قد ختم... والجيش البريطاني الذي حوصر وضيّق عليه الخناق في الأراضي... حول دنكرك هو أيضا يصير الى الفناء أمام هجماتنا المركزة". الاّ انه لم يكن كذلك بل راح يركب متن البحر تاركاً أسلحته الثقيلة وتجهيزاته وأثقاله طبعاً ولكن بحمية الرجل الذي سيعيش ليقاتل في يومٍ آخر.

وبمجيء يوم ٣٠ أيار، أفضى هالدر إلى مذكراته بسرّ! "إن سحق العدوّ الذي طوقناه، مستمر." وان بعض البريطانيين "يقاتلون قتال المستميت ويرتخصون ارواحهم" أما الآخرون "فكانوا ينهزمون الى الساحل محاولين الخلاص بعبور القنال على أيّ شيء يرونه عائماً! إنها الفاجعة! Le Dêbacle" وبهذا العنوان الخاص براوية أميل زولا الشهيرة عن الإنهيار الفرنسي في الحرب الفرنسية الألمانية، ختم الجنرال يومية هذا اليوم.

عند حلول العصر صحا رئيس الأركان بعد مباحثة مع براوختش على مدلول زرافات الزوارق الصغيرة البائسة التي كان يفرّ البريطانيون بها وادرك مغزاها: براوختش غاضب... كان الجيب سيقفل من الساحل لو لم تلجم دروعنا وتوقف عن التقدم. رداءة الجوّ منعت اللوفتوافّه عن التحليق. وعلينا الآن أن نقف عاطلين ونرقب الألوف والربوات من جنود العدوّ تنجو الى إنگلترا تحت سمعنا وبصرنا."

والحق يقال هذا هو ما كانوا يرقبونه. فمع الضغط المتزايد الذي راح الألمان يضيّقون به فوراً على كل جهة من هذا الجيب. ظلّ خطّ الدفاع البريطاني منيعاً وأخلي المزيد من الجند وكان اليوم الخامس من العملية (٣١ أيار) أعظم الأيام طراً. ثمانية وستون ألف رجل عبروا القنال الى إنگلترا، ثلثهم التقطوا من الساحل والثلثان الباقيان اقلعوا من ميناء دنكرك. الآن بلغ المجموع الكليّ للمنقولين

(١٩٤٦٢٠) وهو أربعة اضعاف العدد الذي كان مؤملاً.

اين هو سلاح الجوّ الألماني الشهير؟ قال هالدر أن ردا ءة الاحوال الجوّية ألصقتها بالأرض حيناً من الوقت. أما الباقي من الزمن فقد اصطدمت بمقاومة غير منتظرة ابدتها القوة الجوية الملكية (R.A.F) التي بدأت لأوّل مرة تتحدى اللوفتوافّه بنجاح من القواعد الجوية على الساحل الإنگليزي القريب[٢٤]. ومع أن باصقات النار: "سبيتفاير Spitfire" الإنگليزية الجديدة كانت أقل عدداً من طائرات العدوّ فقد اثبتت أنها أكثر من قريع لمقاتلات (مسرشميدت). وراحت تسقط تباعاً قاصفات الألمان الثقيلة الحركة المرتبكة. وفي فرصة قليلة سنحت لطائرات گورنگ فوصلت فوق دَنكرك الى النازحين البريطانيين فألحقت عطباً واسعاً بالميناء حتى أنه ظلّ غير صالح للإستخدام فترة من الزمن وإستلزم الأمر رفعهم من السواحل رفعاً. وشنت اللوفتوافّه كذلك هجمات قوية على السفن الماخرة، واغرقت معظم الـ(٢٤٣) من أصل الـ(٨٦١) سفينة عاملة، إلاّ أنها فشلت في تحقيق ما وعد به گورنگ هتلر وهو إبادة الحملة البريطانية. وفي الأول من حزيران عندما قامت بأعنف هجماتها (ولحقت بها أعظم خسارة (خسر كل من الجانبين ثلاثين طائرة) فأغرقت ثلاث مدمرات وعدداً من سفن النقل. كان مجموع ما أخلي من الجنود في ذلك اليوم قد بلغ ٦٤٤٢٩ وهو أعلى مجموعٍ ليوم آخر. وعند انبلاج فجر اليوم التالي لم يبق على الساحل غير أربعة آلاف جندي بريطاني يحميهم مائة ألف مقاتل فرنسي احتلوا الآن خطوط الدفاع.

في ذلك الوقت جيء بمدفعية الألمان المتوسطة ونصبت على مدى الساحل فاصبح الاخلاء النهاري متعذراً. ولم (تكن اللوفتوافّه) في تلك الأيام تعمل بعد حلول الظلام. وفي ليلتي ٢ و٣ حزيران تم اخلاء البقية الباقية في الحملة البريطانية مع (٦٠٠٠٠) جندي فرنسيّ تّم نقلهم بنجاحٍ. وبقيت (دنكرك) صامدة يدافع عنها أربعون ألف جنديّ فرنسيّ بصلابة وعناد حتى صبيحة يوم ٤ حزيران. فيكون بذلك قد تمّ إنقاذ ٣٣٨,٢٢٦ جندياً بريطانيا وفرنسياً من مخلب الألمان ولم يكونوا جيشاً منتظماً، فأغلبهم ولا نكران في هذا كانوا في حالة يرثى لها. إلاّ أنهم أمتُحنوا، وحنكتهم المعركة. وادركوا أن في مقدورهم مطاولة الألمان ودحرهم إن سلّحوا تسليحاً جيداً وتمتعوا بحماية جويّة حسنة. وعندما تحقق التكافؤ في السلاح فيما بعد اثبت معظمهم قولهم هذا- وعلى سواحلٍ ليست بعيدة كثيراً عن السواحل التي أنتشلوا منهم قبلاً.

٢٤- كثير جداً من الجنود البريطانيين المرهقين على الساحل الذين عانوا قصفاً عنيفاً ظلّوا يجهلون هذه الحقيقة. ذلك لأن كثيراً من الاشتباكات الجوية كانت تحصل فوق الغيوم وبارتفاع كبير ومسافة بعيدة. ولم يكونوا يعرفون الا انهم قصفوا بشدة ولوحقوا ودقوا دقاً وهم يتقهقرون من بلجيكا الشرقية الى (دنكرك) وشعروا أن القوة الجوية قد تخلت عنهم وشتم بعضهم رجال الجوّ عند وصولهم الساحل الإنگليزي. وقد استاء چرچل جداً من هذا وخرج عن طوره في افهامهم الحقيقة عندما تكلم في مجلس العموم في ٤ حزيران قال ان عملية إنقاذ دنكرك "قد ربحتها القوة الجوية".

كانت عملية (دنكرك) بعثاً للبريطانيين. لكن چرچل ذكّرهم في مجلس العموم (٤ حزيران) بأن "الحروب لايمكن ربحها بعمليات الإخلاء والجلاء" كانت محنة بريطانيا العظمى شديدة حقاً. بل أخطر من أية محنة صادفتها منذ أن غزاها النورمان قبل ألف سنة تقريباً. لم تكن تملك جيشاً تدافع به عن الجزر، وقوتها الجوية ضعفت كثيراً في فرنسا ولم يبق إلاّ الأسطول. وقد اظهرت معارك النرويج كم هي سفن الحرب الكبيرة عديمة الحيلة أمام قوة جوية تملك قواعد بريّة. والآن احرزت قاصفات اللوفتوافه قواعد لاتبعد عن الساحل الإنگليزي عبر القنال الضيق أكثر من خمس دقائق أو عشر، الحق يقال ان فرنسا مازالت صامدة فيما وراء نهري السوم والآيسن Aisne. إلاّ أنها فقدت خيرة جنودها وسلاحها في بلجيكا وشمال فرنسا. وقوتها الجوية العتيقة الصغيرة قد قضي عليها تقريباً. وقائداها الشهيران العظيمان الجنرال ڤيگان والمارشال بيتان Petain اللذان راحا الآن يهيمنان على الحكومة المزعزعة عادا يكرهان استمرار القتال امام هذا العدوّ المتفوق.

هذه الوقائع المثبطة النحسة كانت تدور في رأس ونستن چرچل عندما نهض من مقعده في مجلس العموم بتاريخ ٤ حزيران ١٩٤٠ - أثناء ما كانت تفرغ آخر شحنات الجنود من دنكرك، نهض وهو عاقد العزم - كما ذكر فيما بعد. أن يثبت لا لشعبه وحده بل لشعوب العالم كافة وبخاصة شعب الولايات المتحدة "بأن عزمنا على الإستمرار في القتال مستند إلى أسباب جوهرية" وقد القى في هذه المناسبة خطبته الشهيرة التي ستبقى طويلاً حيّة في الاذهان وستظلّ بالتأكيد تعد واحدةً من أعظم الخطب التي سمعت في عصور التاريخ المتعاقبة:

"ومع أن اصقاعاً واسعةً من أوروپا وعدداً كبيراً من دول شهيرة عريقة قد سقطت أو ستسقط في قبضة الگشتاپو وغيرها من أجهزة الحكم النازي المقيتة فلن تهن عزيمتنا ولن ننكص على اعقابنا وسنمضي الى نهاية الطريق. سنحارب في فرنسا. سنقاتل في البحار والمحيطات، سنقاتل بايمان متزايد وقوة متعاظمة في الجوّ. وسندافع عن جزيرتنا مهما كان الثمن باهظاً، سنقاتل على السواحل وسنقاتل في مواقع الإنزال، سنقاتل في المراعي والحقول وفي الشوارع وسنقاتل في الجبال ولن نستسلم حتى لو وقعت هذه الجزيرة أو جزء كبير منها في يد العدوّ وعضها الجوع - وهو ما لاأعتقده أبداً، فعندئذ ستستمرّ إمبراطوريتنا فيما وراء البحار في حمل عبء القتال مسلّحة ومحروسةً بالأسطول البريطانيّ. سنواصل النضال حتى يتقدم العالم الجديد بمشيئة الله وفي الزمن الذي يختار لانقاذ وتحرير العالم العتيق، مزوّداً بكلّ قواه وجبروته."

-٨-

إنهيار فرنسا

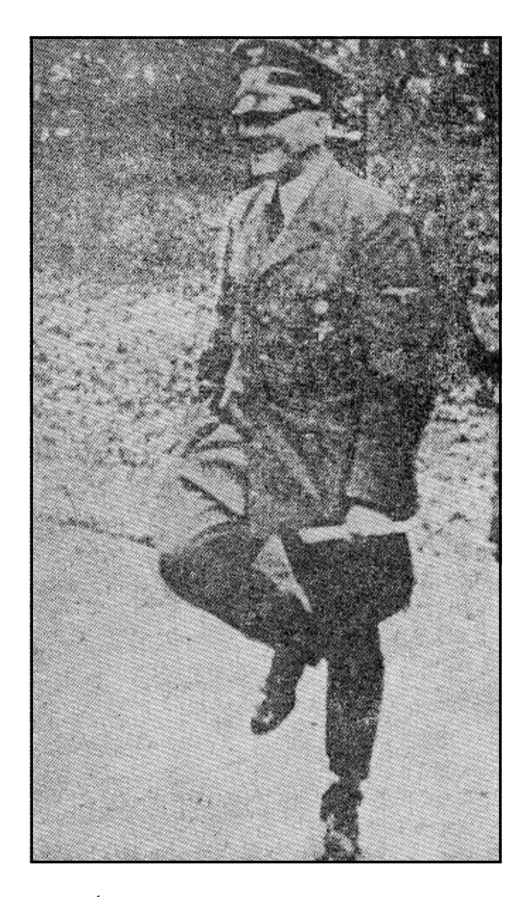
يظهر أن عزم بريطانيا على مواصلة القتال لم يقلق بال هتلر إذ كان موقناً بأن الحقيقة ستنكشف لها بعد تصفية فرنسا، وهو الأمر الذي شرع فيه في صباح اليوم التالي لسقوط دنكرك (٥ حزيران) شنّ الألمان هجوماً مركزاً واسع النطاق على (السّوم) وسرعان ما إلتحموا بقواتهم المتفوقة تفوقاً ساحقاً على جبهة طولها أربعمائة ميل تمتدّ داخل فرنسا إعتباراً من (أبيفيل) حتى الراين الأعلى. ولقي الفرنسيون المصير المحتوم لم يكن لديهم غير ٦٥ فرقة معظمها من الدرجة الثانية يقابلون بها (١٤٣) فرقة ألمانية بينها عشر فرق مدرعة، ذلك لأن خيرة وحداتهم ومعظم مدرعاتهم ضاعت في بلجيكا. ولم يستطع البريطانيون ان يساهموا بأكثر من فرقة مشاة واحدة كانت في السّار. ووحدات من فرقة مدرعة. ولم تستطع القوة الجوية الملكية أن تستغني إلاّ عن طائرات قليلة لتدفع بها الى هذه المعركة. هذا إذا شاءت ألاّ تترك الجزر البريطانية نفسها بدون حماية. وكانت ثالثة الأثافي أن القيادة العليا الفرنسية التي بات يسيطر عليها (بيتان وڤيگان) سادتها روح الهزيمة. على أنّ وحدات فرنسية ثبتت في مواضعها وقاتلت قتال الأبطال المغاوير فأوقفت بصورة وقتية زحف القوات الألمانية بل حتى الفرق المدرعة نفسها هنا وهناك. ولم يفلّ من غرابها قصف اللوفتواته الشديد المتواصل.

كان قتالاً غير متكافيء وبلغ (تلفورد تايلر) غاية البراعة عندما وصف الحالة بقوله: "في إضطراب الجيوش الألمانية الظافر، راحت ترتفع في فرنسا مايشبه موجة من أمواج المدّ. نجم الإضطراب عند الألمان لأن عددهم كان كثيراً جداً ولأنهم كانوا يتحركون بسرعة هائلة فيعترض أحدهم سبيل الآخر[٢٥]. وفي العاشر من حزيران أسرعت الحكومة الفرنسية بالجلاء عن پاريس في ١٤ حزيران. وتمّ إحتلال هذه المدينة العظيمة مفخرة فرنسا التي لم تجرِ محاولة دفاع عنها. ودخلها الجيش الألماني الثامن عشر بقيادة (فون كوخلر) وسرعان ما رفع علم الصليب المعقوف على برج إيفل Eiffel. وفي ١٦ حزيران إستقال الرئيس رينو وحكومته التي كانت قد هربت الى (بوردو Bordeaux). وأستخلف بالمريشال بيتان الذي طلب هدنة من الألمان عن طريق السفير الإسپاني[٢٦]. فأجابه هتلر في

٢٥-(تلفورد تايلر) "مسيرة الفتح" ص٢٩٧.

٢٦- في هذا اليوم (١٧ حزيران) أرسل (القيصر) المنفي في دورن Doorn بهولندا المحتلة برقية تهنئة الى هتلر، الذي ظل طويلاً يزدريه ويصفه بالسوقي الطموح. وقد عثر عليها بين أوراق النازي المستولى عليها قال فيها "بدافعٍ من المشاعر العاطفية العميقة التي أثارها إستسلام فرنسا، أهنئك واهنيء كل صفوف ومراتب الفيرماخت الألماني على النصر الجبار الذي اعطاه الله مقتبساً عبارة ڤلهلم الأكبر سنة ١٨٧٠ "يا لعظم تجربة الحكمة الإلهية في مجرى =

اليوم نفسه بأنه سيشاور حليفه موسوليني بالأمر أولاً. لأن هذا المحارب المختال بنفسه، نطّ من جُحره كإبن آوى بعد أن تأكد بأن الجيوش الفرنسية قد هزمت هزيمة تامة ودخل الحرب في ١٠ حزيران محاولاً الفوز بلطعةٍ من الأسلاب.



هتلر بعد استسلام فرنسا
(في غابة كومپين)

= الأحداث!" في قلوب الألمان قاطبة يتردد صدى أنشودة الليوثين Leuthen التي غناها الليوثيون المنتصرون جنود الملك العظيم "اللهم نحن الآن نحمدك قاطبة!"

اما هتلر الذي كان يعزو هذا النصر الأكبر لنفسه أكثر من الله فقد كتب رداً بارداً، لكن لايعلم هل ارسله ام ابقاه اذ لم تفصح الوثائق عن ذلك وقد طار صواب الزعيم حين بلغه قبل البرقية بقليل ان الوحدة الألمانية التي إستولت على (دوورن) وضعت حرس شرفٍ حول مسكن الامبراطور المنفيّ. فأمر أن يرجع الحرس وان يمنع افراد الجيش الألماني من غشيان المدينة. وتوفي ڤلهلم الثاني في البلدة نفسها في ٤ حزيران ١٩٤١ ودفن هناك. وذكر (هاسل) في يومياته (ص ٢٠٠) أن "وفاته مرت دون ان يلحظها احد تقريباً" اما في ألمانيا فقد إحتاط هتلر وگوبلز للأمر شخصياً. (عن البرقية انظر: نصيّ البرقية ومسودة الجواب وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩، ص ٥٩٨".

-٩-

الدوتشي يغمد خنجره الصغير
في خاصرة فرنسا

وجد هتلر متسعاً من الوقت للكتابة الى موسوليني رغم إنشغاله بصفحات معركة الغرب وفي اوقات تدعو كثرتها الى العجب. وبذلك جعله على علم بتوالي الانتصارات الألمانية.

فبعد الرسالة الأولى المؤرخة (٧ أيار) التي أبلغه فيها بأنه سيقوم بإجتياح هولندا وبلجيكا (ليضمن حيادهما) ويعد صديقه أن يوقفه على كل ما يحققه من تقدم حتى يكون الدوتشي قادراً على إتخاذ قراره في الوقت المناسب. أتبع الرسالة بأخرى في ١٣ أيار وبثالثة في ١٨ ورابعة في ٢٥ منه. وكل منها تفوق سالفتها إلهتاباً وحماسة[٢٧]. ومع أن جنرالات ألمانيا - كما ايدت مذكرات هالدر ما كانوا ليهتموا قطّ بما تفعله إيطاليا ولا اكترثوا سواء أدخلت الحرب أم لم تدخل، فإنّ (الزعيم) لسبب ما، كان يجد أهمية في التدخل الإيطالي. فما أن تمّ إستسلام البلجيك والهولنديين وتمزقت الجيوش الأنگلو فرنسية الشمالية وبدأت بقايا الحملة البريطانية تستقلّ السفن من (دنكرك) حتى قررّ موسوليني النزول الى ميدان الوغى. وابلغ هتلر برسالته المؤرخة ٣٠ أيار بأن الموعد سيكون ٥ حزيران، فسارع هتلر بالإجابة قائلاً أنه "متأثر اعمق التأثر" وزاد يقول في ردّه هذا، المؤرخ ٣١ أيار: "إن كان قد بقي شيء يمكن ان يقوّي عقيدتي الثابتة في نتيجة هذه الحرب الظافرة، فهو تصريحك... إن مجرد دخولك الحرب وحده، لهو عامل كفيل بتوجيه ضربة قاصمة الى جبهة اعدائنا."

على أنه طلب من حليفه تأجيل موعد دخوله الحرب ثلاثة أيام وعلل ذلك بأنه يريد أن يوجه ضربة قاضية لبقية القوة الجوية الفرنسية... فتفضل موسوليني وأجّله خمسة أيام. (حتى ١٠ حزيران) وبين الدوتشي أن الأعمال العدوانية ستبدأ في يوم التالي.

ولم تكن تلك الأعمال تستأهل الذكر. ففي ١٨ حزيران، عندما استدعى هتلر شريكه الصغير الى مونيخ لبحث شروط الهدنة مع فرنسا. كانت إثنتان وثلاثون فرقة إيطالية قد أظهرت عجزها بعد أسبوع من "القتال" عن دحر قوة فرنسية صغيرة تتألف من ستّ فرق في جبهة الألب حتى الجنوب على ساحل الريفيرا Riviera وإن بات المدافعون فهم مهددون بهجوم من الخلف تقوم به القوات الألمانية المندفعة الى وادي الرون Rhone[٢٨]. وكتب تشيانو في ٢١ حزيران في مذكراته: "موسوليني جريح

٢٧- نصوص الرسائل المتبادلة بين هتلر وموسوليني في شهري أيار وحزيران ١٩٤٠، تجدها في (وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩).

٢٨- منعت القيادة العليا الفرنسية الإنهزامية القيام باي هجوم ضد إيطاليا. وفي ١٤ حزيران قصفت عمارة بحرية فرنسيـــة مصانع وخزانات نفط ومعامل تكرير (جنوا) الا ان الأميرال دارلان منع اي عمل مماثل. وعندما حاولت =

الكرامـة يحسّ بذلّة شديدة، لأن جنودنا لم تتقـدم الى الأمـام خطوة واحـدة. حتى اليـوم لم تنجح في إحراز أي تقدم بل توقفت أمام اوّل إستحكام فرنسي أبدى بعض مقاومة[٢٩]."

لقد انكشف جبروت موسوليني العسكري الأجوف الذي طالما تباهى به في اوّل ساعة من الحرب. وهذا ما جعل الدكتـاتور الايطالي المنكمش (المغشـوش) في أسوء مزاج عندما إنطلق القطار به مع تشيانو لإجتماع بهتلر في ١٧ حزيران والمداولة في الهدنة مع فرنسا.

"[كتب تشيانو يقول] موسوليني غير راض. هذه الهدنة الفجائية اقلقت راحته... تكلمنا أثناء الرحلة طويلاً لتوضيح الشروط التي تتم بها الهدنة مع فرنسا. يريد الدوتشي أن يمضي الى حدّ الإحتلال التام لأرض فرنسا ويطلب تسليم الأسطول الفرنسي الاّ أنه مدرك بأن رأيه ليس له غير قيمة استشارية. فهتلر هو الذي ربح الحرب من دون أي إستعدادٍ عسكريّ فعالّ قامت به إيطاليا فهو الذي سيكون صاحب الكلمة الأخيرة وهذا ما أمضّ موسوليني واسلمه الى الكآبة".

كان لبساطة "كلمة هتلر الأخيرة" وقع أليم على الطليان وأصابتهم بصدمة واضحة عندما اجتمعوا بسيد الحرب النازي في (بيت الزعيم) بمونيخ وهو المحل الذي سخا فيه چمبرلين ودالادييه بتنازلاتهما للدكتاتورين عن چيكوسلوڤاكيا قبل أكثر من عامين. إن محاضر الإجتماع السرية الألمانية لاتبقي أيّ شك[٣٠] في ان هتلر كان مصـمماً بنوع خاص على أن لايدع الأسطول الفرنسي يقع غنيمة في يد البريطانيين. وكان كذلك يخشى أن تهرب الحكومة الفرنسية الى شمال أفريقيا أو لندن وتواصل الحرب ولذلك قرّر أن تكون شروط الهدنة معتدلة (اما شروط الصلح النهائية فقد تكون شيئاً آخر) نظمت على أساس "إبقاء الحكومة الفرنسية تزاول أعمالها على أرض فرنسا" وأن "يبقي الأسطول الفرنسي محايداً" ورفض فوراً مطلب موسوليني بإحتلال إيطاليا وادي الرّون ويضمنه طولون Toulon (اكبر قاعدة فرنسية على البحر الأبيض المتوسط حيث يحتشد معظم قطع الأسطول) ومدينة مارسيليا Marseille. وجعل كل من جزيرة كورسيكا Corsica وتونس وجيبوتي مناطق منزوعة من السلاح. وهذ الأخيرة هي مدخل بلاد الحبشة التي يسيطر عليها الطليان. همس باسمها تشيانو "بصوت خفيض" كما ورد في محاضر الإجتماع الألمانية.

حتى (ريبنتروب) المشاكس، وجده تشيانو "معتدلاً للغاية هادئاً، متحمساً للسلّم" وذكر وزيرالخارجية عن حميّة المحارب "بأنه كان خجلاً للغاية... "يشعر أن دوره ثانوي... ولامراء في ان الدوتشي يخشى ان تكون ساعة السلم قد دنت كثيراً. ويرى حلم حياته الذي لم يتحقق يتلاشى مرّة ثانية ويضمحل: وهو المجد في ساحة الوغى[٣١]".

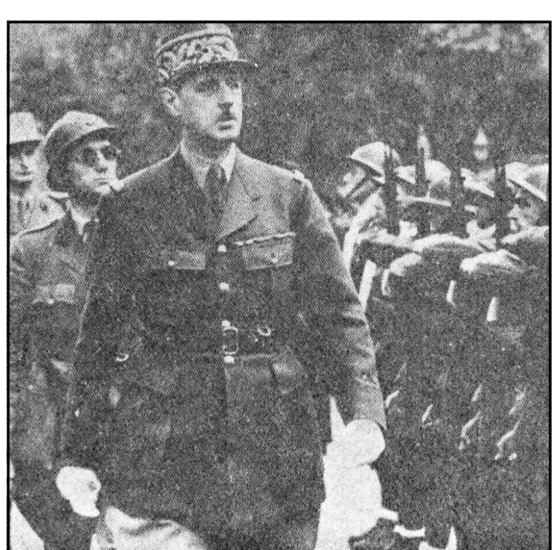
= القوة الجوية البريطانية R.A.F ارسال قاصفات من مطار مارسيليا لضرب (ميلان وتورين) جاء الفرنسيون بلوريات وادخلوها المطار ليمنعوا الطائرات عن التحليق.

٢٩- مذكرات تشيانو ص٢٧٦.

٣٠- وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩، الص ٦٠٨-٦١١.

٣١- يوميات تشيانو ص ٢٦٦.

وعجز موسوليني عن حمل هتلر على قيامهما معاً بإجراء مفاوضات مشتركة مع الفرنسيين. إن (الزعيم) لايريد أن يشرك أحداً في نصره عند البقعة التاريخية بالذات (أبى أن يذكر اسمها لصديقه جوني الذي جاء متأخراً!) على انه وعد الدوتشي بأن هدنته مع الفرنسيين لن توضع موضع التنفيذ حتى يوقعوا هدنة مع إيطاليا.



الجنرال ديگول يستعرض قوات فرنسا الحرة

وترك موسوليني مونيخ وهو خائب ساخط يجرّ أذيال الخزي الاّ ان تشيانو كان معجباً للغاية بإحدى جوانب هتلر التي أقرّ في يومياته بأنه لم يلحظها من قبل ولم يشعر بوجودها.

"[كتب يقول بعد عودتهما الى روما] كان واضحاً من كل أحاديثه [يقصد هتلر] أنه يريد العمل بسرعة وإنهاء المسألة كلها إن هتلر الآن – أشبه بمقامر اصاب كسباً عظيماً وهو يريد أن يترك مائدة اللعب دون أن يخاطر بالمزيد. انه يتكلم اليوم بتحفظ وفطنة يدهش المرء لهما حقاً بعد هذا النصر. لايمكن أن أتهم بالعطف الزائد نحوه إلاّ اني اليوم معجب به حقاً"(٣٢).

-١٠-

الهدنة الثانية في (كومپين)

تبعتُ الجيش الألماني الى باريس في شهر حزيران وهو أجمل أشهر السنة في هذه العاصمة الجليلة، دائماً وابداً. فاذا بها الآن مصروعة كئيبة. وقد بلغني سراً في ١٩ حزيران، اسم الموقع الذي قرر هتلر أن يُملي منه شروط الهدنة بعد أن طلبها بيتان في ١٧ منه. فاذا به البعقة التي تمّ فيها إستسلام الإمبراطورية الألمانية الى فرنسا وحلفائها في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨: محلّ صغير المساحة خال من النبت في غابات كومپين Compiégne ها هنا سيأخذ سيد الحرب النازي بثأره، والموقع نفسه سيزيد من حلاوة الانتقام. لقد جاءته الفكرة في العشرين من أيار، ولم يمضِ غير عشرة أيّام على بدء الهجوم

٣٢- المرجع السالف ص ٢٦٦.

العظيم في الغرب في اليوم الذي بلغت الدروع الألمانية مدينة ابيفيل. وقد خطّ (يودل) في مذكراته يومذاك "الزعيم مشغول بمعاهدة الصلح... والمفاوضات التمهيدية في غابة كومپين".

وفي ساعة متأخرة من ١٩ حزيران انطلقت بالسيارة إلى تلك البقعة فوجدت مهندسي الجيش الألماني يهدمون جدار المتحف الذي أودعت فيه عربة نوم (الماريشال فوش) العتيقة وهي العربة التي وقّعت فيها هدنة عام ١٩١٨ وعندما تركت الموضع كان المهندسون الذين يعملون بمثاقب هوائية قد قوّضوا الجدار وأزالوه وراحوا يسحبون العربة فوق السكة الحديد حتى استقرت في وسط المكان الخالي وفي البقعة التي كانت مستقرة فوقها لآخر مرة بالضبط في الساعة الخامسة من فجر يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ كما قيل، عندما وضع المندوبون الألمان تواقيعهم على وثيقة الهدنة التي أملاها عليهم (فوش).

وهكذا وجدتني عصر يوم ٢١ حزيران واقفاً على حدود الغابة في كومپين لأرقب آخر وأحد أعظم إنتصارات هتلر، وكنت بحكم عملي قد شهدت منها الكثير خلال السنوات المصطخبة الماضية.

كان ذلك اليوم من أجمل أيام الصيف التي أذكرها عن فرنسا. وشمس حزيران الدافئة تلقي باشعتها على الاشجار الباسقة اشجار الدردار والبلّوط والسّرو والصنوبر... فتسقط ظلالها الفتّانة على المخارف المؤدية إلى تلك البقعة الدائرية الصغيرة.

في الساعة ٣,١٥ عصراً بالضبط وصل هتلر بسيارته الكبيرة من طراز (مرسيدس) يرافقه گورنگ وبراوختش وكايتل ورايدر وريبنتروب وهسّ، كلّ يرتدي زيّه الرسمّي وگورنگ (مرشال) الرايخ الأوحد يعبث بصولجان المارشالية ويقلبه في يده. نزلوا من سياراتهم على بعد مائتي يارد تقريباً أمام تمثال (الالزاس واللورين) الذي غطي بأعلام الحرب الألمانية حتى يختفي عن نظر الزعيم السيف الكبير سيف حلفاء ١٩١٨ المنتصرين وهو مغمد في جسم نسر قتيل يمثل الامبراطورية الألمانية لآل هوهنزلرن. والقى هتلر نظرة على النصب ثم مرّ به (كنت اذكر تفاصيل التمثال عن زيارات سابقة في أيّام أهنأ وأسعد).

"[كتبتُ في مذكراتي] أنعمتُ النظر في وجهه. كان جدياً صارماً، ومع هذا فهو متألق بنار الانتقام، وفيه أيضاً كما في خطواته المتوثبة النطاطة مسحة من سيماء الفاتح المظفّر متحدّي العالم. وهناك شيء آخر... فرح داخلي مزدرٍ لوجوده في مناسبة إنقلاب الخطّ العظيمة هذه وهو الذي حقق هذا النقيض وانتزعه انتزاعاً."

وعندما بلغ الفتحة الصغيرة في الغابة ورفع علمه الخاص في السارية المقامة في الوسط، استرعى نظره كتلة حجرية ضخمة شاخصة تعلو الأرض بحوالى ثلاثة أقدام.

"اتجه هتلر اليها ببطءٍ يتبعه الآخرون وتقدم منها وقرأ العبارات التي نقشت عليها (بالفرنسيّة) بأحرف كبيرة: "هنا، في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٨ قضي على الكبرياء الإجراميّ للامبراطورية الألمانية – قهرته الشعوب الحرة التي حاولت تلك الكبرياء استعبادها."

هتلر يقرأها، وگورنگ يقرأها. كلهم يقرأونها. واقفين صامتين في شمس حزيران. بحثت أنظاري في وجه هتلر عن تعبيرٍ ما. كنت لا ابعد عنه أكثر من خمسين يارداً، وأنا أراه بمعونة منظار حتى لكأنه يقف أمامي. لقد رأيت هذا الوجه عدة مرات في مناسبات عظيمة من حياته أما اليوم! فهو مشتعل بنار الإزدراء والغضب والبغض والثأر والنصر.

"يبتعد عن الحجر التذكاري ويحاول أن يجعل من حركة إبتعاده هذه قطعة فريدة من الاحتقار. يلتفت ليحدجها بنظرة، محتقرة غاضبة حانقة، حتى لكاد تدركها بحواسك. ذلك لأنه لم يكن قادراً على مسح هذه الأحرف الشنعاء المستفزة بركلة واحدة من جزمته الپروسيّة[٣٣]. يجيل ابصاره ببطءٍ في البقعة الخالية وعندما التقت نظراته بنظراتنا أمكن سبر غور كرهه العميق. على انه كان يوجد فيه شعور الظافر أيضاً -كره مليء بروح الانتقام والظفر، وفجأة-كأنما لايعكس وجهه تعبيراً كاملاً لمشاعره - يقذف بكلّ جسمه في بحر عاطفته ليعملا معاً بتناسق. فستقرّ يداه على فخذيه ويقوس ذراعيه ويباعد مابين ساقيه. حركة رائعة من اوضاع التحدّي والازدراء المحرق لهذا الموقع الآن. ولكلّ ما مثله خلال السنوات الإثنتين والعشرين الماضية، منذ أن شاهد إذلال الامبراطورية الألمانية.

بعد ذلك دخل هتلر ومرافقوه عربة قطار الهدنة. فأجلس الزعيم نفسه على الكرسي الذي كان يحتله فوش في ١٩١٨. وبعد خمس دقائق وصل وفد الهدنة الفرنسي برآسة الجنرال شارل هونزيكر Charles Huntziger قائد الجيش الثاني في سيدان وعضوية أميرال وجنرال من القوة الجويّة ومدنيّ واحد هو (ليون نوئيل) السفير الفرنسي السابق في پولندا الذي راح يشهد الآن الفاجعة الثانية التي سبّبها السلاح الألماني. وبدا الوفد مضعضع النفس الاّ انه ظلّ محتفظاً بوقارٍ حزين. لم يعلموا بأن موضع اللقاء سيكون في هذا المحراب الفرنسي المجيد وأنهم سيعانون مثل هذا الإذلال فكانت الصدمة كما توقعها هتلر تماماً وحَسَبَ حسابها. وكما كتب هالدر مساء ذلك اليوم نقلاً عن شاهد عيانه براواختش:

"لم يخطر ببال الفرنسيين أن شروط الهدنة ستسلّم لهم في البقعة التي رأت مفاوضات ١٩١٨. لقد تضعضعت حواسّهم -كما يبدو- بهذه البادرة وركبهم العناد في مبدأ الأمر".

وربما كان من الطبيعي حتى لمهذّب ألماني (كهالدر او براوختش) أن يتوهم الوقار المهيب مكابرةً وتحدياً. فالواضح لأول وهلة أن الفرنسيين كانوا يعانون صدمة نفسيّة وحيرة. وبخلاف ما اوردته الانباء في حينه، فقد علمنا الآن من محاضر الألمان الرسمية للإجتماع (عثر عليها بين أوراق النازي السرية المستولى عليها[٣٤]) ان الوفد الفرنسيّ حاول التخفيف من الاجزاء القاسية في شروط الزعيم

٣٣- نسفت بعد ثلاثة أيام، بأمر من هتلر.

٣٤- إن النسخ التي وجدت في ملفات الأوراق الألمانية لمحاضر هذه الإجتماعات لم تكن موقّعة. إلاّ ان الدكتور شميدت شهد محلفاً بأنه هو الذي كتبها بنفسه. حيث كان يقوم بمهام الترجمة حينذاك. وهو خير من أي شخص آخر قد يختار لهذه المهمة مهمة الشهادة على الواقعة. لقد طبعت نصوصها في وثائق سياسة الخارجية الألمانية، ج٩، بالعنوان التالي: مفاوضات ٢١ حزيران، الص ٦٤٣-٦٥٢. تسجيل للمكالمة التلفونية بين الجنرال هونتزگر والجنرال (ڤيگان) في (بوردو) في مساء يوم ٢١ حزيران. كما دوّنها الدكتور شميدت. فقد طلب منه أن ينصت اليها ويكتبها =

وشطب تلك التي وجدوها مخلّة بالشرف فباءت محاولتهم بالفشل.

ترك هتلر وحاشيته عربة النوم حالما أنهى (كايتل) قراءة ديباجة شروط الهدنة للفرنسيين، مخلفاً المفاوضات بين يدي رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة إلاّ أنه لم يسمح له بمجال للحيدة عن الشروط التي وضعها هو بنفسه.

وبعد أن فرغ الجنرال (هونتزگر) من قراءتها أبلغ الألمان "أنها صعبة جداً وقاسية"، أقسى بكثير مما سلمت فرنسا لألمانيا هنا في ١٩١٨. وفضلاً عن ذلك "فلو أن بلاداً أخرى في وراء جبال الألب لم تلحق بفرنسا هزيمة (بلغ احتقار هونتزگر لإيطاليا مبلغاً ترفع به عن ذكر اسمها) تقدمت بمطاليب مشابهة فان فرنسا لن تقبل بأي حال من الأحوال وستظل تقاتل حتى النفس الأخير... ولهذا يتعذر عليه أن يذيّل إتفاقية الهدنة الألمانية بتوقيعه..."

لم يتوقع الجنرال يودل وهو الثاني في القيادة العليا الذي ترأس الإجتماع مؤقتاً في هذه اللحظة، أن يجابه بتحدٍ من عدوّ محطمّ في وضع يائس. فأجاب انه وان كان لايسعه إلاّ ان يعرب عن "تفهمه" لما قال هونتزگر بخصوص الإيطاليين فلا صلاحية لديه في تغيير شروط الزعيم. وكل ما يتمكن منه الآن هو ان "يتقدم بايضاحات ويزيل الغموض عن النقاط المبهمة". والفرنسيون مخيرون في ان يقبلوا وثيقة الهدنة على حالها أو أن يرفضوها.

كان الألمان منزعجين لقدوم الوفد الفرنسي خلواً من أي تخويل لتوقيع الهدنة إلاّ بموافقة حكومة بوردو الصريحة. واستطاع الألمان بمعجزة من معجزات الهندسة الآلية، أو ربّما ببعض الحظّ ان ينصبوا تلفوناً موصولاً ببوردو من عربة النوم القديمة بخط يخترق خطّ المعركة حيث القتال مايزال مستمراً. وخوّل الوفد الفرنسي إستخدامه لايصال نصّ الشروط الى بوردو وبحثها مع الحكومة. وعزم الدكتور شميدت الذي كان يقوم بمهمة الترجمان على أن ينصت الى الحديث المتبادل عن طريق إتصال سرّي لاقط في سيارة مخابرة للجيش كانت متوارية خلف اشجار متكاثفة على بعد ياردات قليلة. ووفّقت أنا نفسي في اليوم التالي الى سماع جزءٍ من تسجيل المكالمة التي تمت بين (هونتزگر) والجنرال (ڤيگان). وانصافاً لهذا الثاني. الذي يتحمل مسؤولية عظيمة للروح الإنهزامية الفرنسية والإستسلام الأخير والقطيعة مع بريطانيا. علينا أن نسجل له على الأقل اعتراضه الشديد على كثير من المطاليب

=(الص ٦٥٢-٦٥٤) تسجيل خطي للمكالمة التلفونية بين الجنرال هونتزگر والكولونيل بورجيه Bourget مرافق الجنرال ڤيگان (في بوردو) في الساعة ١٠ صباح يوم ٢٢ حزيران الص٦٦٤-٦٧١. نص إتفاقية الهدنة الألمانية الفرنسية الص ٦٧١-٢٧٦. مذكرة بالاسئلة التي أثارها الفرنسيون واجاب عنها الألمان أثناء المفاوضات في كومپين الص ٦٧٦-٦٧٩. أصدر هتلر تعليماته بأن هذه الوثيقة وان لم تكن جزءً من الإتفاقية فستبقى "ملزمة للجانب الألماني".

كان الألمان قد وضعوا مكروفونات خفية في عربة النوم وسجلوا كل كلمة قيلت. وقد إستمعت انا نفسي الى جزءٍ من الاحاديث التمهيدية أثناء ما كانت تسجل في سيارة المخابرة الألمانية. وعلى مدى معرفتى انها لم تطبع وربما أتلفت التسجيل والمدون منها ولم يعثر عليها. اما ملاحظاتي فهي نثار غير متصل الحلقات باستثناء الجلسة الختامية الدرامية.

الألمانية. وكان من أقبح الشروط ما يحتم على الفرنسيين تسليم كلّ الألمان المناهضين للنازية اللاجئين الى فرنسا والى مناطق نفوذها لسلطات الرايخ. ونعت الجنرال هذا الشرط بأنه عارٌ مخل بالشرف نظراً الى التقليد الفرنسيّ في حق اللجوء السياسيّ. ولكن عندما نوقشت النقطة في إجتماع اليوم التالي. لم يوافق كايتل المتعجرف على شطبها وصرخ قائلاً "إن اللاجئين الألمان هم اعظم مثيري الحروب لقد... خانوا شعبهم" ويجب أن يتمّ تسليمهم "بايّ ثمن كان). ولم يحتج الفرنسيون على شرط فحواه أن كل المواطنين الفرنسيين الذين يقبض عليهم أو يؤسرون وهم يحاربون ألمانيا مع دولة أخرى سيعاملون معاملة إرهابيين فرنسيين Francs-tireurs أي أن يقتلوا بالرصاص حالاً. وكان المقصود بهذا الجنرال ديگول De Gaulle الذي شرع في تنظيم الجيش الفرنسيّ الحرّ في بريطانيا. والجنرال ڤيگان يدري، كما يدري كايتل، أن هذا الشرط هو خرق فاضح لأبسط قواعد الحرب. ولم يناقش الفرنسيون بنداً يشترط أن يبقى كلّ أسرى الحرب في معتقلات الأسر حتى ابرام معاهدة الصلح. كان (ڤيگان) متأكداً من هزيمة بريطانيا خلال ثلاثة أسابيع وبذلك لن يبقى أسرى الحرب الفرنسيون وقتاً طويلاً. وبهذا حكم على مليون ونصف مليون رجل الفرنسي بمرارة الأسر في سجون ألمانيا خمس سنوات.

كان جوهر إتفاقية الهدنة هو مصير الأسطول الفرنسي. عندما اخذت فرنسا تتداعى. عرض چرچل أن يحلّ فرنسا من التزامها بعدم عقد صلح منفردٍ مع العدو إذا أمر الأسطول الفرنسي بالاتجاه الى الثغور البريطانيّة. وعقد هتلر عزمه أن يحول دون ذلك مهما كلّف الأمر فقد كان يدرك أن ذلك سيشد من ساعد بريطانيا الى ما لا يتصور مداه، وهو ما صرح به لموسوليني في ١٨ حزيران. وكان عليه إزاء هذه المقامرة الخطيرة أن يقدم بعض الامتيازات أو أن يعطي وعداً على الأقل لخصمه المدحور ولذلك نصّت إتفاقية الهدنة أن يُلغى أمر تعبئته وينزع سلاحه وتلقي قطعه المختلفة مراسيها في موانيها الفرنسية، وبمقابل ذلك: "تعلن الحكومة الألمانية بصورة قاطعة للحكومة الفرنسيّة أنها لاتنوي إستخدام الأسطول الفرنسيّ الراسي في موانئه تحت الرقابة الألمانية، لأغراضها الخاصّة في الحرب. وفضلاً عن ذلك فهي تعلن بصورة باتة أنّها لاتنوي أن تطالب أو تدعي بأي شيء يتعلق بالأسطول الحربيّ الفرنسيّ عند ابرام معاهدة الصلح". وككلّ وعود هتلر تقريباً قدّر لهذا الوعد أن ينقض.

أخيراً ترك هتلر للحكومة الفرنسية منطقةً غير محتلّة في جنوب وجنوب شرق فرنسا لتحكم فيها بحريّة في الظاهر وكانت حركة بارعة ولعبة ماكرة لاتقتصر على تقسيم فرنسا جغرافياً وإدارياً بل تجعل من الصعب، ان لم يكن من المستحيل، تأليف حكومة فرنسية في المنفى. وتقضي على كل خطط السياسيين في (بوردو) لنقل كرسيّ الحكم الى شمال أفريقيا الفرنسيّ– وهو تصميم كاد ينجح لو لم يهزمه في النهاية الإنهزاميون الفرنسيون لا الألمان: واعني بهم بيتان وڤيگان ولاڤال Laval وأشياعهم. زد على ذلك أن هتلر علم بأن الرجال الذين يقبضون الآن على ناصية الحكم في (بوردو) هم أعداء للديمقراطية الفرنسية وهناك إحتمال كبير في أن يتعاونوا معه على اقامة نظام جديد نازيّ في أوروپا.

على أن الوفد الفرنسي المفاوض في الهدنة بكومپين استمرّ حتى اليوم التالي يتلكأ ويتردد. ومن اسبابه إصرار (هونتزگر على أن يصدر (ڤيگان) اليه (أمراً) بالتوقيع على الهدنة لاتخويلاً إذ لا أحد في فرنسا يريد أن يتحمل هذه التبعة. أخيراً أصدر كايتل في الساعة ٦,٣٠ مساءً إنذاراً نهائياً... على الفرنسيين أن يقبلوا بشروط الهدنة الألمانية أو يرفضوها خلال ساعة واحدة. وفي غضون تلك الساعة استسلمت الحكومة الفرنسية وفي الساعة ٦,٥٠ من مساء ٢٢ حزيران سنة ١٩٤٠ قام كل من الجنرالين هونتزگر وكايتل بتذييل الإتفاقية بتوقيعهما[٣٥].

أصغيت الى آخر مشهدٍ كما ألتقط من الميكروفون المخفيّ في عربة القطار. قال الجنرال الفرنسيّ بصوت متهدّج قبل أن يوقّع بنود الهدنة أنه يريد أن يدلي بتصريح شخصيّ. وقد دوّنته كما نطقه بالفرنسية: "أعلن هنا أن الحكومة الفرنسيّة قد أمرتني بالتوقيع على هذه الشروط... الهدنة التي فرضت بمشيئة السّلاح لوقف القتال الذي كنّا مشاركين فيه الى جانب الحلفاء، ترى فرنسا أن شروطاً قاسية جداً قد فرضت عليها. ولفرنسا الحق في المفاوضات المقبلة أن تأمل من ألمانيا اظهار روحٍ تسمح للشعبين الجارين العظيمين بالعيش والعمل في سلام".

هذا المفاوضات (المعاهدة الصلح) لم تحصل قطّ. إلاّ ان الروح التي أبداها الرايخ الثالث النازي، لو ابدى روحاً - ظهرت على حقيقتها السافرة عندما زاد الإحتلال قسوة وفظاعة وعندما تعاظم الضغط على (بيتان) الخاضع بمرور الأيام وبدا الآن وكأن فرنسا أصبحت تابعاً ألمانياً كما أيقن بيتان وڤيگان ولاڤال-لا كما قبلوا به من شروط.

بدأ رذاذ خفيف من المطر يتساقط لما ترك الوفد المفاوض العربة وانطلقوا بالسيارة. وارسلت طرفي الى الطريق الذي يخترق الغابة لأرقب خطاً غير منقطع لا نهاية له من النازحين العائدين الى أماكنهم يسيرون على اقدامهم مكدودين مهدودين وفي العجلات التي تجرها الحيوانات، وعلى الدراجات. والمحظوظ بينهم من كان يستقلّ سيارة عتيقة. سرت الى البقعة الخالية فوجدت جماعة من هندسة الجيش الألماني كانوا قد بدأوا يحركون عربة النوم وهم يتنادون ويتصايحون فسألتهم: اين انتم ذاهبون بها؟. فأجابوا:

- الى برلين.[٣٦]

وقعّت الهدنة الفرنسية الإيطالية في روما بعد يومين. وتمكن موسوليني من إحتلال ما فتحه جنوده وهو لايتعدّى بضع مئات من الياردات من الارض الفرنسيّة، وفرض منطقةً منزوعة من السّلاح متاخمة له في فرنسا وتونس. ووقعت في الساعة ٧,٣٥ من مساء ٢٤ حزيران وبعد سبع ساعات لاذت المدفعية الفرنسية بالصمت المطبق.

خرجت فرنسا من هذه الحرب مقهورة بعد ستة أسابيع من دخولها. وكانت وقفتها الأخيرة قبلها قد

٣٥- إشترط منها أن مفعولها يبدأ حالما توقع الهدنة الفرنسية الإيطالية وأن تقف الأعمال الحربية بعد ست ساعات من ذلك.
٣٦- وصلت الى برلين في ٨ تموز. ومن فنون القدر انها تحطمت على اثر غارة جوية قام بها الحلفاء في أيام الحرب الأخيرة.

دامت أربع سنوات. وتلك هي القوات الألمانية تسيطر على معظم أوروپا من الرأس الذي يعلو المنطقة القطبيّة شمالاً حتى (بوردو) جنوباً ومن القنال الإنكليزي حتى نهر (يوغ) في شرق پولندا. اصبح هتلر الآن في القمة. هذا المتشرد النمساوي السابق كان اول من وحّد ألمانيا في دولة قومية واحدة حقيقية، هذا نائب العريف من الحرب العالمية الأولى أصبح الآن أعظم فاتح ألمانيّ. وكل ما يقف الآن بينه وبين تأسيس نظام سيطرة ألماني في أوروپا تحت دكتاتوريته رجل واحدٌ لايمكن قهره هو ونستن چرچل ووراءه الشعب العاقد العزم الذي يقوده چرچل. شعبٌ لم يسلم بالهزيمة عندما صاحت الهزيمة بوجهه. وهو الآن يقف وحيداً أعزل تماماً، وجزيرته مطوقة تحاصرها أقوى آلة عسكرية رأتها البشرية.

-١١-

هتلر يعمل للسّلم

بعد مرور عشرة أيام من بدء الهجوم الألماني في الغرب وفي المساء الذي بلغت فيه الدبابات الألمانية مدينة أبيفيل. كتب الجنرال يودل في مذكراته بعد وصفه فرح هتلر الغامر الذي كاد يخرجه عن طوره "إن الزعيم مشغول بتهيئة معاهدة صلح. بريطانيا تستطيع أن تبرم صلحاً منفرداً في أي وقت بعد اعادة المستعمرات". وكان ذلك في ٢٠ أيار. وقد ظلّ هتلر بعد هذا اليوم أسابيع عديدة وهو لايشك قطّ في أن بريطانيا تصبو الى الصلح بعد أن صُرعت فرنسا. ومن وجهة النظر الألمانية كان يرى شروطه لهذا الصلح كريمة للغاية حين يؤخذ في الحسبان الضربات التي كيلت للبريطانيين في النرويج وفرنسا. وقد شرح هتلر تلك الشروط للجنرال (روندشدت) في ٢٤ أيار معرباً عن اعجابه بالامبراطورية البريطانية ومبيّناً "الضرورة" التي تدعو الى بقائها. وقال ان كل مايريده من لندن، ألاّ تغلّ يده في القارة الأوروپية. وبلغ يقينه بموافقة البريطانيين على ذلك حداً أنه لم يضع اي خطط لمواصلة الحرب ضدّ بريطانيا بعد سقوط فرنسا وهيئة الاركان المتغطرسة المفترض فيها ان تخطّط بالدقة البروسية المأثورة لكلّ حادث محتمل أو صدفة عرضيّة مقدّماً، لم تهتمّ بأن تقدم له أية خطّة. و(هالدر) رئيس تلك الهيئة لم ينوّه قطّ بالموضوع في هذا الوقت بتسجيلات يوميّاته القيّمة. فهو أكثر قلقاً لتهديدات روسيا في دول البلقان والبلطيق من قلقه بخصوص بريطانيا.

لماذا تريد بريطانيا العظمى مواصلة الحرب وحدها بإحتمالات نجاحٍ ضعيفة جداً؟ لاسيما إن نالت صلحاً يتركها سليمةً حرّة لا كفرنسا وپولندا وغيرها من البلاد المقهورة؟ هذا السؤال كان يطرح في كل مكان خلا (دوانِنگ ستريت) فهناك لم يُفكر أحد حتى ببحثه كما كشف چرچل فيما بعد. ذلك لأن الجواب كان معلوماً لايتغير[٣٧] على ان الدكتاتور النازي كان يجهل ذلك. وعندما بدأ چرچل يبسط المسألة للرأي العام مؤكداً أن بريطانيا ستواصل الحرب لم يصدق هتلر أذنيه، لم يصدق حتى عندما

٣٧- چرچل "اجمل ساعات حياتهم" ص١٧٧.

ألقى چرچل في ٤ حزيران (اليوم التالي لتمام الجلاء عن دنكرك) خطبته العصماء حول القتال في الجبال وفي السواحل لم يصدق حتى في ١٨ حزيران بعد أن طلب پيتان الهدنة، ووقف چرچل يردّد في مجلس العموم "عزم بريطانيا الذي لايتزعزع على مواصلة الحرب" وكان مسك ختام إحدى خطبه البليغة الخالدة الأخرى: "دعونا إذن نوقف أنفسنا على واجباتنا مدركين بأنه ان بقيت الامبراطورية البريطانية والكومنولث ألف سنة. فسيقول الناس: كانت هذه الساعة أجمل ساعات حياتهم".

قد تكون هذه مجرد كلمات منمقة براقة ينثرها لسان خطيب مفوّه، وهتلر الخطيب هو نفسه لابدّ وانه اعتبرها شنشنةً ولاشك أنه تشجّع أيضاً بجس النبض في العواصم المحايدة وبنداءات إنهاء الحرب التي بدأت تخرج منها. وفي ٢٨ حزيران وصلت رسالة سرّية الى هتلر من الپاپا وهي واحدة من رسائل مماثلة الى موسوليني وچرچل عارضاً فيها وساطته لإحلال "سلم عادل شريف" ومصرحاً بأن يريد قبل إتخاذ الخطوة – أن يتأكد بصورة خاصّة كيف سيتلقاها هتلر والآخرون[٣٨]. ونشط ملك السويد أيضاً فاقترح السلم على لندن وبرلين.

وفي الولايات المتحدة بواشنطن كانت السفارة الألمانية التي يتولى أمرها القائم بالأعمال (هانز تومسن) تنفق كل دولار يقع تحت يدها لدعم أنصار العزلة في محاولاتهم إبقاء أمريكا خارج نطاق الحرب. ليثبط عزم بريطانيا على مواصلة القتال. ووثائق وزارة الخارجية الألمانية المستولى عليها ملأى برسائل (تومسن) التي يشرح فيها مجهودات سفارته لإمالة الرأي العام الأمريكي الى جانب هتلر. كانت المؤتمرات الحزبية ستعقد في هذا الصيف، و(تومسن) يبذل كل مجهود للتأثير على مخطّطي سياستها الخارجية وبخاصة متكلمي الحزب الجمهوريّ.

فمثلاً وجّه بتاريخ ١٢ حزيران الى برلين برقيةً مستعجلة جداً وسرية جداً بالجفرة يقول "أن عضواً جمهورياً من الكونگرس معروفاً جداً" ممن يعمل "بشكل وثيق" مع السفارة الألمانية. عرض لقاء ثلاثة آلاف دولار أن يدعو خمسين عضواً من الكونگرس من الجمهوريين الإنعزاليين إلى مؤتمر للحزب الجمهوري "حتى يبذلوا جهودهم مع المندوبين لتبني سياسة خارجية انعزالية". وذكر (تومسن) ان هذا الشخص نفسه طلب ثلاثين ألف دولار ليدفع أجور اعلانات عن صفحة كاملة في الصحف الأمريكية مصدرة بعنوان "دعوا أمريكا خارج الحرب!"[٣٩]

وفي اليوم التالي ابرق تومسن الى برلين بمشروع جديد قال أنه يتداول فيه مع أحد الوكلاء في عالم الأدب لحمل خمسة من الكتاب الأمريكيين المعروفين على كتابة مؤلفات "اتوقع منها نتائج عظيمة" وهو يحتاج لهذا المشروع الى عشرين ألف دولار، وقد صادق ريبنتروب على صرف هذا المبلغ بعد أيام قلائل[٤٠]. ومن أوائل تنويهات هتلر العلنيّة بآماله في الصّلح مع بريطانيا، حديث صحفي لكارل فون

٣٨- وثائق سياسة ألمانيا الخارجية، ج١٠، الص ٤٩-٥٠.

٣٩- ظهر إعلان كهذا في جريدة نيويورك تايمس بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٤٠ (المرجع السالف، ج٩، الص ٥٥٠-٥٥١).

٤٠- (المرجع السالف، ج٩، الص ٥٥٨-٥٥٩ و٥٨٥)، بالخامس من تموز ١٩٤٠ بات تومسن يوجس خيفة من انفضاح أمر مدفوعاته. فابرق الى برلين يطلب السماح له بإتلاف كل وصولات الدفع وقوائم الحسابات قال: "إن المبالغ =

ڤيگاند Karl von Wiegand مراسل هرست Hearst نشر في (جريدة الأمريكان Journal -American النيويوركية في ١٤ حزيران. وبعدها بأسبوعين ابلغ (تومسن) وزارة الخارجية الألمانية بأنه طبع مائة ألف نسخة اضافية من المقابلة الصحفية...

"واستطعت أيضاً عن طريق أحد الوكلاء الخصوصيين، استمالة النائب الانعزالي ثوركلسن Thorkel-son [جمهوريّ من مونتانا] ليضع تفاصيل مقابلة الزعيم الصحفية في سجلّ أعمال الكونگرس ليوم ٢٢ حزيران، وهذا ما سيضمن للمقابلة توزيعاً واسعاً جداً للمرة الثانية[٤١]."

كانت السفارة النازية في واشنطن تتشبث بكلّ وسيلة تعنّ لها. فمرّة خلال الصيف تقدم ملحقها الصحفيّ بما وصفه باقتراح فولتون لويس الأصغر .Fulton Leuis Jr، معلق الراديو، الذي وصفه بأحد المعجبين "بألمانيا والزعيم وله مكانة محترمة جداً في الصحافة الأمريكية":

"على الزعيم أن يرسل لروزفلت رسائل برقية تتضمن تقريباً ما يلي: أنت يا مستر روزفلت قد ناشدتني مراراً واعربت دوماً عن رغبتك في اجتناب حرب دمويّة. وأنا لم أعلن حرباً على بريطانيا. بالعكس فقد كنت دائماً أوكد عدم رغبتي في تحطيم الامبراطورية البريطانية وأن رجاءاتي المتكررة لچرچل أن يأخذ بأسباب العقل ويصل إلى فكرة إبرام صلح شريف قد رفضها رفضاً باتاً وبعناد. إني مدرك تمام الادراك مبلغ ما ستعانيه بريطانيا من ويلات حين آمر بشنّ الحرب الجماعية ضد الجزر البريطانية. ولذلك أطلب منك الاتصال بچرچل شخصياً لاقناعه بالتخلي عن عناده الذي لامبررّ له".

وأضاف لويس يقول أن روزفلت سيرد طبعاً بجواب خشن مهين وليس هذا بمهمّ. لأن نداءً كهذا سيخلف بلاريب انطباعاً عميقاً في شعب أمريكا الشمالية وبالاخصّ في أمريكا الجنوبية..[٤٢]

لم يأخذ هتلر بنصيحة (مستر لويس) أو بمضامينها. حيث أن وزارة الخارجية في برلين ابرقت بالسؤال عن مكانة هذا المعلّق في أمريكا وما هي اهميته فأجاب (تومسن) ان لويس "تمتع بنجاح خاص مؤخراً... لكنه من الجانب الآخر وخلافاً لبعض كبار المعلقين الأمريكيين ليس ثم أهمية سياسيّة تتوقع من لويس"[٤٣]

= المدفوعة... سلّمت لأصحابها عن طريق واسطة اتصال موثوق بها... لكن الظروف لاتسمح قط بتسلم إيصال خطيّ من المتسلمين... ايصالات أو أذونات مثل هذه قد تقع في ايدي رجال الأمن الأمريكيين ان أستولي على السفارة فجأة رجال السلطة هناك وبالرغم من كل التغطية، وبواقع وجود تلك الايصالات فسيعني ذلك الدمار السياسي لهم ونتائج أخرى تلحق ضرراً باصدقائنا السياسيين بالغ الخطورة. ومن المحتمل جداً أن أعداءنا يعرفونهم حق المعرفة. ولذلك أرجو منكم ان تسمحوا للسفارة بإتلاف ايصالاتهم واقراراتهم. وان يستغنى من الآن فصاعداً عن تنظيم امثالها. أو الإحتفاظ بقوائم حساب لأمثال هذه المدفوعات. [إن صورة هذا التقرير البرقي قد أتلف (المرجع السالف، ج١٠، الص ١٢٥-١٢٦).]

٤١- المرجع السالف، الص ٣٩-٤٠.

٤٢- المرجع السالف، ص٢٩٨.

٤٣-(المرجع السالف الص٤٢٤ و٤٣٥).إن اعمال السفارة الألمانية في واشنطن التي تكشف عنها مراسلاتها الخاصة الواردة في (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية) قد يؤلف منها كتاب ذو أسرار طريفة. وان المرء لتعروه دهشةً لميل الدبلوماسيين الألمان الى إســماع الدكتاتور النازي كل مايحبّ سماعه (وهو الاسلوب الشائع جداً لدى مبعوثــي =

وتحدث چرچل فيما بعد في مذكراته أنه كان هو نفسه متضايقاً من جسّاسي النبض العاملين للسلم القادمين من السويد والولايات المتحدة والفاتيكان. ولإعتقاده أن هتلر يريد أن يستغلّ هؤلاء الى أبعد حدّ إتخذ إجراءات قوية مضادّة. وعندما أبلغ أن القائم بالاعمال الألماني في واشنطن كان قد

= البلاد التي تحكم حكماً فردياً مطلقاً) ولقد ابلغني ضابطان من ضباط القيادة العليا للقوات المسلحة في برلين ان القيادة العليا أو هيئة اركان الجيش على الأقل، كانت ترتاب جداً في موضوعية التقارير التي تردها من السفارة الألمانية في واشنطن رلذلك انشأوا استخباراتهم العسكرية الخاصّة في الولايات المتحدة.

ولم يكن الجنرال (فريدريك فون بويتخر) الملحق العسكري الألماني في واشنطن يفيد القيادة بشيء مجد. والمرء يحكم على تقاريره التي طبعت في مجلدات (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية) بأنه كان دائم الانذار للقيادة العليا وهيئة اركان الجيش والقوة الجوية (المراجع التي كان يوجه تقاريره اليها) بأن أمريكا إنما يحكمها اليهود والماسونيون– وهذا هو رأي هتلر بالضبط. وبالغ (بويتخر) ايضاً في تصوير نفوذ انصار العزلة وتأثيرهم على السياسة الأمريكية. وخصّ منهم بالذكر العقيد جارلس أ. لندبرگ Charles A. Lindbergh وقد أبرزته تقاريره بطلاً عظيماً. واليك نموذجاً أو اثنين من تقاريره لبيان اتجاهاتها:

٢٠ تموز ١٩٤٠: ...نظراً لكون روزفلت من انصار اليهود المسيطرين عن طريق الماسونية على اوسع جماهير الشعب الأمريكي، فقصده هو ان تواصل بريطانيا الحرب وان يطول امد القتال... وقد وقفت الحلقة التي تحيط بلندبرگ على هذه التطورات وقوفاً تاماً وهي تحاول الآن أن تمنع على الاقل – سيطرة اليهود التامّة على سياسة أمريكا... لقد نوهت في تقاريري مراراً بالمعركة الضارية الحقيرة التي تشنّ على (لندبرگ) لانه اخوف مايخافه اليهود، لكونه خصمهم الأكبر (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج١٠، الص ٢٥٤–٢٥٥)

٦ آب ١٩٤٠: الدعائم التي تستند اليها عودة بروز لندبرگ في عالم السياسة والمعركة المثارة ضّده. ان العناصر اليهودية تسيطر الآن على أهم المراكز الحساسة في القوات الأمريكية المسلحة. بعد ان ملأت في الأسابيع الأخيرة مراكز وزارة الحرب وسكرتيرية وزارة الحرب والبحرية باشخاص طائعين يمثلون لهم. وعينت شخصية يهودية بارزة ذات نفوذ جدّ كبير سكرتيراً لوزارة الحرب وهو العقيد (جوليوس اوخس–آدلر Julius Ochs-Adler). ان القوى التي تناهض العناصر اليهودية وسياسة الولايات المتحدة الحالية ممن ذكرته في تقاريري، تضع في حسابها ايضاً اهمية هيئة الاركان العامة. ولندبرگ ذو المواهب العبقرية، والصلات العالمية جداً في المجتمع الأمريكي. هو اهم من كل هؤلاء طراً والى درجة لاتحد. إن العناصر اليهودية وروزفلت يخشيان تفوق هذا الرجل الروحي والأدبي على الاخص لنقاوة روحه واخلاصه.

في يوم الأحد [الموافق ١٤ آب] وجّه لندبرگ صفعة من شأنها أن تؤذي اليهود. وأكد بأن الواجب يقضي على أمريكا ان تبذل جهودها لأجل ايجاد تعاون مخلص مع ألمانيا مستهدفة السلم والمحافظة على الثقافة الغربية .وبعد ذلك بعدّة ساعات اذاع الجنرال الهرم پرشنگ Perhing (الالعوبة بيد روزفلت منذ زمن طويل اي بيد اليهود) وهو من الرجال الذي يعملون وراء الستار. رأيه وملخصه ان أمريكا ستحدق بها اخطار عظيمة إن هزمت بريطانيا في الحرب...

إن طغمة العناصر اليهودية تثبت الشكوك حول لندبرگ في الصحف. وقد هاجمه وقدح فيه (لوكاس Lucos) احد الشيوخ بتحريض من روزفلت ووصفه (برجل الرتل الخامس) اي بالخيانة. وهذا يؤكد خشيتي على قوى هذا الرجل الروحية التي لم اكف عن تقديم التقارير بها منذ بداية الحرب مؤكداً اهميتها الكبرى لمستقبل العلاقات الألمانية الأمريكية (وثائق في السياسة الخارجية الألمانية، ج١٠، الص ٤١٣–٤١٥). واورد تومسن بتقريره المؤرخ ١٨ أيلول وقائع حديث سري قال انه جرى بين (لندبرگ) وعدد من ضباط الاركان العامة الأمريكية. وكان رأي (لندبرگ) ان إنگلترا ستتقوض قريباً تحت وطأة هجمات ألمانيا الجوية فخالفه ضباط الاركان قائلين ان قوة ألمانيا الجوية غير كافية لتحقيق نصر حاسم (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج١٠، الص ٤١٣–٤١٥). ومما تجدر الاشارة اليه ان (لندبرگ) منح في ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ (بعد ثلاثة أسابيع من مونيخ) وسام صليب الخدمة للنسر الألماني والنجمة – وهو ثاني ارفع وسام في ألمانيا يمنح عادة للأجانب البارزين الذين قدموا خدمات جليلة للرايخ" كما ورد في صيغة قانون الوسام الرسمية. فقبله.

حاول تبادل حديث مع السفير البريطاني هناك. أبرق الى سفارته هناك «على لورد لوثيان ألاّ يردّ بايّ جواب على رسائل القائم بالأعمال الألماني بأيّ شكلٍ كان[٤٤]».

وكتب چرچل رداً قوياً على إلحاح ملك السّويد بقبول تسوية سلمية جاء فيه: "... قبل أن ينظر في اي طلب أو مقترحات كهذه، من الضروري أن تسبقها ضمانات فعالة عملية لا قولية من ألمانيا. تؤكد وتضمن إعادة الحياة الحرة المستقلّة لكلّ من چيكوسلوڤاكيا وپولندا والنرويج والدانمرك وهولندا وبلجيكا... وفوق كلّ شيء... فرنسا."[٤٥]

تلك كانت عقدة چرچل. ولم يكن ليحلم أحد ما في لندن بالمساومة فيها عن طريق ابرام صلح يحفظ بريطانيا. لكنه يقضي بالعبودية الأبدية على البلاد التي فتحها هتلر. إلاّ ان هذا لم يكن مفهوماً في برلين حيث كان كل إمرء على حدّ ما أذكر عن ذلك الصيف - واثقاً أن الحرب قد وضعت أوزارها أو كادت، وبخاصة أولئك الذين يقبضون على زمام الأمور في ڤلهلمشتراسّه (وزارة الخارجية) وبندلرشتراسّه (قيادات الجيش).

وانتظر هتلر طوال أسبوعي حزيران الأخيرين وأيام تموز الأولى كلمةً من لندن تنمّ عن إستعداد الحكومة البريطانية للخروج من دائرة عنادها وابرام الصلح المنشود. وفي ١ تموز أسرّ للسفير الإيطالي الجديد (دينو آلفييري Dino Alfieri)[٤٦] أنه "لايتصور وجود شخص واحد في إنگلترا حتى الآن يؤمن بالنصر إيماناً جدّياً"[٤٧]. ولم تقم القيادة العليا بعمل ما حول استمرار الحرب ضدّ بريطانيا.

لكن، وفي الثاني من تموز صدر أخيراً أول أمرٍ توجيهيّ حول الموضوع من (ق.ع.ق.م) وكان أمراً مشوباً بالتردّد: "لقد قرر الزعيم والقائد الأعلى ما يلي: "من الممكن القيام بعمليّة إنزالٍ في إنگلترا بشرط أن يتحقق التفوق الجويّ وشروط معينة أخرى. إن تاريخ البدء مازال موضوع بحث ويجب أن

٤٤- چرچل: اجمل ساعات حياتهم، الص ٢٥٩-٢٦٠.

٤٥- في "وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية" عدة تقارير وردت الى وزارة الخارجية الألمانية حول اتصالات مزعومة مع عددٍ من الدبلوماسيين الإنگليز والشخصيات البارزة. احياناً بواسطة شخصيات محايدة مثل إسپانيي فرانكو. وكتب للوزارة الأمير ماكس فون هوهنلوهه Max von Hohenlohe الألماني السوديتيّ المتشيع للإنگليز - تقريراً عن الاحاديث التي تبادلها مع الوزير المفوض البريطاني في سويسرا (سر دافيد كيلي Sir David Kelly) ومع آغاخان. وادعى ان هذا الأخير طلب منه ان يوصل الى الزعيم الرسالة التالية:
"إن خديوي مصر الذي هو هنا ايضاً يتفق معه أنه عندما ينزل الزعيم (وندسور) لقضاء ليلة فهما يرغبان في أن يشربا معه زجاجة شمپانيا... ان كانت ألمانيا وإيطاليا تفكران في الاستيلاء على الهند فإنه يضع نفسه تحت تصرفنا... ان الكفاح ضّد إنگلترا ليس كفاحاً ضد الشعب الإنگليزي وإنّما هو كفاح ضد اليهود. وقد ظلّ چرچل سنيناً يتقاضى منهم راتباً والملك ضعيف جداً ومحدود القابليات... ولو سافر الى إنگلترا مبشراً بهذه الافكار لاعتقله چرچل... [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ج١٠ الص ٢٩٤-٢٩٥]
علينا أن نتذكر أنّ هذه هي تقارير ألمانية وقد تكون بعيدة عن الصدق ولاتمت الى الحقيقة. لكنها كانت كل مايتوفر لهتلر من معلومات تهديه في قراراته. وسوف نشرح فيما بعد خطة النازيين لإستخدام دوق وندسور. والمؤامرة التي حيكت لإختطافه ثم لإستخدامه كما اوضحها أوراق وزارة الخارجية السرية. [المرجع السالف الص ٢٦١-٢٦٢]

٤٦- استخلف آلفييري السفير السابق أتوليكو بناءً على طلب ريبنتروب.

٤٧- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج١٠، ص٨٢.

يبدأ كل الإستعدادات فوراً. لقد انعكس فتور همّة هتلر في العمليّة وفي إعتقاده بأنها ليست ضرورية بالعبارة الختامية لهذا الأمر: "يجب إتخاذ كل الإستعدادات على أساس كون الغزو لم يخرج من مرحلة الخطة وانه لم يتقرر أمره بعد(٤٨)."

وعندما إلتقى تشيانو بالزعيم في برلين (٧ تموز) تخلّف لديه إنطباع عنه بانه مازال يعاني قلق التردد. وكتب في يومياته: "انه ليميل إلى مواصلة القتال، وإطلاق عاصفة الحنق والحديد من عقالها على الإنكليز. لكنه لم يتوصل بعد الى القرار النهائي. ولهذا السبب أرجأ خطبته التي يريد أن يزن كل كلمة فيها على حدّ قوله هو نفسه(٤٩)".

وفي ١١ تموز بدأ هتلر يجمع رؤساء عسكره في (أوبرسالزبرگ) ليتقرأ مشاعرهم في الأمر وجرى في ذلك اليوم حديث طويل بينه وبين أمير البحر (رايدر) الذي سيكون أسطوله قائد الجيش الغازي عبر القنال. ولم يكن يشعر أي منهما بشوقٍ للوصول الى لبّ الموضوع -والواقع أنهما قضيا جلّ وقتهما في تبادل الرأي حول تطوير قاعدتي تروندهايم ونارڤيك البحريتين في النرويج.

واذا حكمنا على القائد الأعلى من تقرير (رايدر) السرّي الذي كتبه عن الإجتماع الثنائي هذا(٥٠). فلا يُشك في انه كان كئيب المزاج مشغول الخاطر. إذ سأل أمير البحر هل يظنّ أن خطبته المنتواة في الرايخشتاغ "ستكون مؤثرة" فأجاب (رايدر) أنها ستكون كذلك وبخاصّة إن افتتحها بقصفٍ (مركّز) على بريطانيا. وذكّر رئيسه أن سلاح الجو البريطاني يقوم "بغارات مدمرّة" على القواعد البحرية الألمانية الكبرى (ولهلمسهافن، وهامبورگ، وكيل) ومن الواجب أن تُشغل اللوفتوافّه حالاً في بريطانيا. أما بخصوص الغزو فقد كان قائد الأسطول العام بارداً للغاية ونصح بشدّة ألاّ يلجأ اليه "إلاّ كآخر وسيلة عنيفة لإرغام بريطانيا على طلب الصلح".

"وهو [أي رايدر] مقتنع بإمكان إرغام إنگلترا على طلب الصلح بمجرّد قطع تجارة استيرادها، عن طريق حرب الغواصّات والهجوم الجوي على القوافل البحرية. وقصف المراكز الرئيسة فيها من الجو... ولهذا: فـ"إن قائد الأسطول العام (رايدر) لايستطيع من جهته أن ينصح بغزو بريطانيا كما نصح في قضية النرويج..."

ثم راح الأميرال يخوض في شروحٍ مفصّلة لكلّ المصاعب التي تكتنف مثل هذا الغزو وهي أسباب لابدّ وأنها ثبطت من عزيمة هتلر. لم تكن مشجّعة إلاّ انها مقنعة. ذلك لأننا نجد (رايدر) يقول في تقريره "إن الزعيم كذلك يرى أن يكون الغزو آخر الدواء".

بعد هذا بيومين (١٣ تموز) وصل قادة الحرب الى (برگهوف) على ذرى (برختسگادن) ليتداولوا الأمر مع القائد الأعلى. ووجدوه حائراً في أمر بريطانيا كما كان. وكتب هالدر في يومية ذلك المساء

٤٨- الأمر التوجهي الصادر من (ق.ع.ق.م) بتوقيع كايتل. [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية: ١٩٤٠ الص ٦١-٦٢]
٤٩- تشيانو: اليوميات ص٢٧٤.
٥٠- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية: ١٩٤٠ الص ٦٢-٦٦.

"إنّ الزعيم شغول الخاطر بالسبب الذي يدفع إنكلترا الى عدم سلوك سبيل السلّم". لكن (هالدر) إكتشف للمرّة الأولى واحداً من الأسباب، فأسرع الى تدوينه كما اشرق في ذهنه:

"إنه يرى كما نرى نحن أيضاً. أن الحلّ لهذه المسألة يكمن في أن إنكلترا مازالت تضع أملها في روسيا. لذلك فهو ايضاً يتوقع أن يكون إرغام بريطانيا على قبول الصلح عن طريق القوة.

على أنه لايريد أن يأتي بعمل كهذا: والأسباب هي أننا لو سحقنا بريطانيا عسكرياً لتمزقت الامبراطورية البريطانية ولن تستفيد ألمانيا من هذا. سنحقق بالدماء الألمانية شيئاً يكون فيه نفع لليابان وأمريكا والآخرين فقط."

وفي اليوم نفسه كتب هتلر الى موسوليني، شاكراً عرضه تقديم جنود إيطاليين وطائرات لغزو بريطانيا. ومعرباً عن إبائه قبول ذلك. ويتضح من الرسالة أن هتلر بدأ أخيراً يتوصل الى قرار. هؤلاء البريطانيون الشواذ لايريدون الإصغاء إلى صوت العقل: "تقدمتُ لبريطانيا بعروض جمة للإتفاق حتى الى حدّ التعاون معها. إلاّ أني عوملتُ معاملةً مهينة حتى بتُّ الآن موقناً بأن أي نداءٍ للثواب الى الرشاد سيقابل برفضٍ مماثل لأن العقل لايحكم هذه البلاد في الوقت الحاضر...[٥١]"

وبعد هذا بثلاثة أيام (١٦ تموز) تم وصول سيد الحرب الى قرار أخيرٍ فأصدر الأمر التوجيهي المرقم (١٦) حول الإستعداد لعملية انزال في إنكلترا[٥٢]".

سرّي للغاية

مقر قيادة الزعيم

١٦ تموز ١٩٤٠

"مازالت إنكلترا رغم موقفها العسكريّ اليائس لاتظهر أيّ رغبة في التفاهم. ولذلك قررت التهيؤ لعملية إنزال في الأراضي الإنكليزية وفي تنفيذها عملياً عندما تدعو الحاجة. إن هدف هذه العملية هو القضاء على موطن الإنكليز بوصفه قاعدة حربية تشن منها أعمال عسكرية ضدّ ألمانيا وإحتلاله اذا استدعت الضرورة ذلك إحتلالاً تاماً."

واطلق على الهجوم الإسم الرمزيّ (أسد البحر). ورسم أن تتمّ الإستعدادات له في أواسط آب.

"... وتنفيذه عملياً عندما تدعو الحاجة!". رغم تزايد إيمانه بأنه سيكون ضرورياً فهو غير متأكد تماماً، كما أظهر الأمر التوجيهي: كانت هذه الـ(عندما!) كبيرةً عندما نهض أدولف هتلر في الرايخشتاغ في مساء ١٩ تموز ليتقدم بعرض السلم الأخير الى بريطانيا. وكانت آخر خطبه العظيمة هناك. وآخر ما سمع المؤلف له من هذا المكان طوال السنوات المنصرمة، وهي أيضاً من أحسنها. وقد دوّنت إنطباعاتي عنها في مساء اليوم نفسه:

٥١- كتاب هتلر لموسوليني ١٣ تموز ١٩٤٠: وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج.١٠، الص ٢٠٩-٢١١ .
٥٢- نص الأمر التوجيهي السادس عشر في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٣، الص ٣٩٩-٤٠٣ (وثائق نومبرگ، PS-٤٤٢) ونشر ايضاً في "وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية" ج ١٠، الص ٢٢٦-٢٢٩.

"هتلر الذي رأيناه في الرايخشتاغ هذه الليلة، كان هتلر الفاتح وهو أدرى بذلك. ومع هذا فهو ذلك الممثل العجيب ذلك الخبير الممتاز بالعقلية الألمانية بحيث مزج ثقة الفاتح التامة بالتواضع والتودّد الذي تتذوقه الجماهير وتستحليه عندما تدرك أن الرجل في القمّة. فكان مزيجه هذا فاخراً. هذه الليلة كان صوته منخفضاً وندر أن صرخ كما اعتاد ذلك. ولم يهتف هتافاً هستيرياً كما رأيته يفعل كثيراً من فوق هذا المنبر."

ولايداخلنّك الشك أبداً في أن خطبته كأخواتها السالفات مشحونة بالتزوير التاريخيّ ومطرزة بالشتائم لشخص چرچل إلاّ انها معتدلة نظراً لما تقتضيه الساعة اللامعة اللألأة، وكانت تستهدف بسعة حيلة - كسب الشعب الألماني فضلاً عن كسب الشعوب المحايدة واعطاء الشعب الإنگليزي شيئاً يستحقّ التأمل وإنعام النظر.

"[قال] من إنگلترا لا أسمع الآن إلاّ صرخة واحدة ليست صرخة الشعب بل صرخة الساسة، الحرب يجب أن تستمر! لست أدري. هل كوّن هؤلاء الساسة فكرة صحيحة عما سيؤول اليه إستمرار هذا القتال من نتيجة. الحق أنهم صرخوا أنهم سيواصلون الحرب وانهم سيواصلونها حتى في كندا إن فنيت بريطانيا العظمى. لست اعتقد أنهم يعنون بذلك نزوح الشعب الإنگليزي الى كندا. من يدري؟ لعل هؤلاء السادة المهتمين بمواصلة حربهم هم وحدهم سينزحون اليها وأخشى ألاّ مناص من بقاء الشعب في بريطانيا و... سينظر إلى الحرب بلاشك بأعين تختلف عن اعين من سمّي زعماؤهم في كندا."

"ثقوا ايها السادة اني أحسّ بنفرة واشمئزاز عميق من صنف السّاسة المتهورين هذا الذي يدمّر باعماله شعوباً برمّتها. إنه ليدركني الأسى حينما أفكّر بأن القدر قد يختارني لأكيل الضربة الأخيرة للبناء الذي سبق لهؤلاء الرجال أن طوّحوا به وزلزلوا أركانه... مستر چرچل... سيستبق الى كندا بلاشكّ. من حيث أرسلت أموال وابناء اولئك الذين يهتمون أساساً بالحرب. ومهما يكن من أمر فسيبدأ يعاني ملايين آخرون من البشر أعظم الشقاء والويل. وينبغي لمستر چرچل أن يصدقني ولو مرة واحدة عندما اتكهن بأن امبراطورية عظيمة ستتحطم وتتطاير اشلاؤها، امبراطورية لم أنوِ قطّ تحطميها أو إلحاق الأذى بها..."

وبعد أن رشق رئيس الوزراء العقيد بنبلة وحاول فصل الشعب البريطاني عنه، جاء الى بيت القصيد من خطبته الطويلة: "في هذه الساعة، أرى من واجبي وامام ضميري أن أناشد مرّة أخرى بالرجوع الى الصواب، والتمسك باهداب العقل في بريطانيا العظمى وفي أي بقعة أخرى. وأرى نفسي في الموضع الذي يؤهلني للقيام بهذه المناشدة، لأني لست ذلك المغلوب الذي يستجدي الإحسان وانما ذلك المظفر الغالب الذي يتكلم باسم العقل. ... ولا أدري سبباً معقولاً يستدعي إستمرار هذه الحرب[٥٣]."

٥٣- جرى مشهد مثير، لم يسبق مثله في تاريخ ألمانيا. عندما قطع هتلر خطبته فجأة. في وسطها. واعلن منحه صوالج الفيلدمارشالية لإثني عشر جنرالاً. مع فيلدمارشالية (ملوكية!) خاصّة لگورنگ فقد منحه الرتبة المستحدثة وشيكاً باسم (رايخ ماريشال الرايخ الألماني الأكبر) التي تضعه فوق الآخرين كما منحه أيضاً الصليب الاكبر للصليب =

هذا هو جل ما قدمّه من ايضاح... لم يعرض مقترحات معينة يبنى عليها السلّم ولم يذكر شيئاً عما سيؤول اليه مصير مئات الملايين من البشر في البلاد المغلوبة التي تئن الآن تحت النير النازي. لكن هناك قلّة -إن وجدت- في الرايخشتاغ ممن كانوا يرون ضرورة دخوله في التفاصيل في هذه المرحلة من الحرب. وقد اختلطتُ بعدد كبير من الموظفين والضباط بعد انتهاء الجلسة فلم أجد لدى أي فرد منهم أقل شك في أن البريطانيين سيقبلون ما يؤمن هؤلاء بأنه أسخى العروض واعظمها شهامة وكرماً من (الزعيم). ان الزمن لن يطول بهم حتى يتبينوا الغش الذي انطلى عليهم.

انطلقتُ بالسيارة الى (روندفونك Rundfunk) مباشرة لأذيع نبأ الخطبة على الولايات المتحدة. ولم أكد أبلغ دار الإذاعة حتى التقطت إذاعة بريطانية من لندن باللغة الألمانية وكانت تتضمن الجواب البريطاني على هتلر - بعد ساعة فقط... وهو (كلا!) صارمة حازمة[٥٤].

كان ثم ضباط صغار من القيادة العليا وموظفون من مختلف الوزارات جالسين حوالي القاعة ينصتون باهتمام شديد الى الإذاعة البريطانية فران الوجوم على الوجوه. ولم يصدقوا آذانهم... والتفت اليّ احدهم صائحاً "أيمكنك أن تتصور هذا؟ ايمكنك أن تفهم هؤلاء الإنكليز الحمقى؟" وكان الذهول مرتسماً على وجهه وواصل الصياح "ماذا دهاهم؟ انهم يرفضون الصلح الآن؟ يا للمجانين!" في مساء ذلك اليوم سمع تشيانو[٥٥] ردّ الفعل في الإنكليز المجانين على مستوى أعلى جداً من مستوى سمعي في برلين. وكتب في يومياته "في ساع متأخر من الليل عندما بلغتنا أولى ردود الفعل الباردة الإنكليزية على الخطاب إنتشر شعور بالخيبة بين الألمان صعب اخفاؤه" ووجد تشيانو التأثير عكسياً في موسوليني. "وصفها [يقصد الخطبة] بالمكر الذي ما بعده مكر، إنه يخشى أن يجد فيها الإنكليز حجّةً يتعللون بها لفتح باب المفاوضة، وهو ما يحزن موسوليني لأنه يريد الحرب الآن أكثر من أي وقت مضى[٥٦]".

= الحديدي وهو الوسام الوحيد الذي منح في الحرب كلها. وعبرت هالدر موجة الترقية المارشالية هذه. ورفع رتبة واحدة. من فريق الى فريق أول: كولونيل جنرال. ومما تجدر الاشارة اليه ان القيصر في سنوات الحرب كلها لم يرفع الى رتبة المارشالية غير خمسة من هيئة الضباط العاملين. حتى انه لم يرفع لودندورف نفسه اليها. لاشك ان هذه الترفيعات العفوية كان لها تأثيرها في خنق اي مناهضة أضمرها الجنرالات لهتلر. وكانت قد هددت بالاطاحة به ثلاث مرات على الاقل في الماضي. فبعمله هذا وبابتذاله أرفع رتبة عسكرية بترقية هذا العدد الكبير اليها دفعةً واحدة. لعب هتلر لعبة ماكرة استهدفت تحكيم قبضته على الجنرالات. لقد رفع من الجيش تسعة وهم: براوختش وكايتل وروندشدت. وبوك وليب وليست وكلوگه. وفيتزليبن ورايخناو. ورفع ثلاثة من القوة الجوية وهم: ميلش وكسلرينگ وشپيرل Sperrl.

٥٤- صرح چرچل بعدئذ ان هذا الرفض الفوري الجازم لعروض هتلر السلمية "قامت به هيئة الإذاعة البريطانية دون أي إيعاز من حكومة صاحب الجلالة حالما سمعت خطبة هتلر من الراديو" (چرچل: اجمل ساعات حياتهم، ص٢٦٠)

٥٥- كان سلوك تشيانو أثناء جلسة الرايخشتاغ، مثل سلوك المسخرة أو المضحك، فقد ظل يقوم ويقعد مثل اللولب المنطلق وينطّ رافعاً يده بالتحية الفاشية كل ما توقف هتلر في خطابه ليلتقط انفاسه. ولاحظت أيضاً (كويزلينگ) الرجل القميء ذا العينين الشبيهتين بعيني الخنزير وهو يقتعد كرسياً في الزاوية بالمقصورة الأولى. جاء الى برلين ليرجو الزعيم اعادته الى الحكم في اوسلو.

٥٦- يوميات تشيانو الص ٢٧٧-٢٧٨ (ليومي ١٩ و٢٢ تموز).

وعقب چرچل فيما بعد بألاّ حاجة تدعو الدوتشي إلى القهر والحسرة، فلن يحرم من كلّ الحرب التي يتوق اليها[٥٧].

وكتبت في مفكرتي في تلك الليلة. "خطبة هتلر، هي طُرفة الطُرَف بوصفها مناورة غرضها رصّ صفوف الشعب الألماني للحرب ضدّ الإنگليز اذ سيقول الشعب الألماني الآن: هاهو هتلر يعرض على إنگلترا السلام بدون قيد. انه يقول: لاأجد سبباً لإستمرار هذه الحرب وإن استمرت فالذنب ذنب إنگلترا". ثم ألا يكون هذا السبب الأساسي لإلقائه الخطاب بعد ثلاثة أيام فقط من اصدار أمره التوجيهي السادس عشر للإستعداد لغزو بريطانيا؟ لقد أقرّ بهذا القدر قبلها الى موضع سرّ، وهما الإيطاليان (ألفييري وتشيانو). ففي (١) تموز قال للسفير:

"إنه لتاكتيك جيدّ دائماً أن تجعل العدوّ مسؤولاً أمام أعين الرأي العام في ألمانيا وخارجها فيما يتعلق بالاحداث المقبلة. فهذا يقوي المعنوية عندنا ويضعف معنوية العدوّ. إن العملية العسكرية التي تخططها ألمانيا ستكون دمويّة الى أقصى حدّ... ولذلك ينبغي اقناع الرأي العام بأن كلّ الجهود قد بذلت لتفادي هذه البلية...

وفي خطابه في السادس من تشرين الأول [عندما عرض الصلح على الغرب بعد ختام معركة پولندا استهدف أيضاً فكرة جعل الجانب المقابل مسؤولاً عن جميع التطورات القادمة. وبهذا ربح الحرب قبل أن تبدأ فعلاً كما اتضح، وها هو الآن يريد تقوية المعنوية لأسباب سايكولوجيّة - للعمل الذي يهم به[٥٨]. وبعد أسبوع من هذا (٨ تموز) قال لتشيانو إنّه...

"سيقوم بمناورة أخرى، حتى اذا استمرت الحرب (وهو الإحتمال الواقعيّ الوحيد الذي تدور حوله المسألة كما يرى) امكنه تحقيق أثر نفسيّ عند الشعب الإنگليزي... وربما أمكن بمناشدة بارعة لضمير الشعب الإنگليزي عزل الحكومة البريطانية. بقدر أكبر في إنگلترا[٥٩].

لم يكن ذلك ممكناً. خلّفت خطبة ١٩ تموز أثرها المنشود في الشعب الألماني ولم تحرّك وتراً في نفوس الشعب الإنگليزي. وفي ٢٢ تموز أذاع لورد هاليفاكس من الراديو ما يعدّ رفضاً رسمياً لاقتراح هتلر السلميّ. ومع أن ذلك كان متوقعاً فقد هزّ وزارة الخارجيّة الألمانية بكيفية ما. ووجدتُ كثيراً من الوجوه الغاضبة هناك عندما ذهبت عصراً لأسمع ناطقاً رسمياً باسم الحكومة يقول لنا "أيها السادة ان لورد هاليفاكس رفض قبول عروض سلم الزّعيم، فهي الحرب إذن!"

كان القول اسهل من العمل. والحقيقة هي أنه لم يفكر احد منهم تفكيراً جدياً بكيفية خوض الحرب مع بريطانيا العظمى ثم الانتصار فيها. لا هتلر ولا القيادة العليا ولا هيئة الأركان للقوات البرية ناهيك بالأسطول والقوة الجوية. الوقت الآن هو أواسط صيف ١٩٤٠ وهم لايعرفون ماذا يفعلون

٥٧- چرچل: "اجمل ساعات حياتهم" ص٢٦١.
٥٨- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج١٠، الص ٧٩-٨٠.
٥٩- المرجع نفسه ص١٤٨.

بانتصارهم المؤثل وليس عندهم خطط، ولا ارادة لاستثمار أعظم انتصارات حربية في تاريخ بلدهم العسكريّ. ذلكم هو نقيض من اعظم نقائض الرايخ الثالث. ففي اللحظة التي وقف هتلر في قمة فلك جبروته العسكري ومعظم قارة أوروبا تحت قدميه. وقد انتشرت جيوشه المظفرة في اصقاع تمتد من جبال البرانس Pyrenees الى الدائرة القطبية ومن ساحل الأطلسي الى ماوراء الڤستولا مستريحة الآن ومستعدة لعمل آخر، ماكان يدري والحق يقال كيف يواصل حربه لينتهي بها الى نتيجة ظافرة ويشاركه جهله هذا اثنا عشر جنرالاً وضع بيدهم الآن صوالج الفيلدمارشاليّة.

هناك سبب لهذا بطبيعة الحال، الاّ أنه لم يكن واضحاً عندنا في حينه. فالألمان رغم مواهبهم العسكرية الفريدة – يفتقرون الى ادراك ستراتيجي واسع الخيال... وأفقهم محدود وفي هذا كانوا قاصرين دائماً مقتصرين على الحرب البريّة ضدّ جيرانهم من الشعوب في القارة الأوروبيّة. وهتلر نفسه كان يفزع من البحر فزعاً شديداً[٦٠] حتى قباطنته العظام كادوا يجهلون البحر جهلاً مطبقاً فهم بريّو البصيرة لا بحريّوها. ومع أن جيوشهم كانت ستسحق في أسبوع واحد قوات بريطانيا البريّة الهزيلة لو تمكنوا من التماسك والالتحام فحتى المياه التي يحتويها مضيق دوفر الضيق الذي يفصل بينهما – ضيق الى الحدّ الذي يمكنك أن ترى الساحل الآخر بعينك المجردة – كانت تتضخم في رؤوسهم ويتعاظم خطرها في حين راحت أيام الصيف الجميلة تُخترم تباعاً لتستوي امامهم عقبة كؤوداً لايدرون كيف يتقحّموها.

بالطبع هناك بديل آخر للألمان عن هذا، ربما تمكنوا من اخضاع بريطانيا بتوجيه ضرباتهم عبر البحر الأبيض المتوسط مع حليفتهم إيطاليا. فيستولون على الجزء الغربي من مضيق جبل طارق ويندفعون من الشرق من قواعد إيطاليا في شمال أفريقيا نحو مصر فيجتاحونها ويعبرون قنال السويس حتى إيران وبذلك يقطعون واحداً من خطوط حياة الامبراطورية الرئيسة، إلاّ ان هذا يقتضي إستعداداً هائلاً وعمليات واسعة فيما وراء البحار وعلى مسافات بعيدة جداً من قواعد بلادهم وقد بدا هذا في العام ١٩٤٠ أقصر من المدى الذي يبلغه الخيال الألماني.

وهكذا تردّد هتلر وقادته وهم في أعلى ذروة من النجاح المذهل ولم يفكروا بالخطوة التالية وكيفية تطبيقها، وهذا الإهمال الفاضح كان سيبرهن بأنه واحدٌ من أعظم نقاط التحوّل في الحرب وفي حياة الرايخ الثالث القصيرة، وبطبيعة الحال في حياة أدولف هتلر النيزكيّة. لقد حان دور الفشل محل الانتصارات المدهشة لكن ذلك ليس بالذي امكن التنبؤ به وحقّق حين كانت بريطانيا المحصورة والوحيدة في ميدان القتال تحصّن نفسها وتستحكم بالوسائل القليلة التي تملكها وتستعد لهجوم الألمان في نهاية الصيف.

٦٠- قال لروندشدت مرة: أنا في البرّ بطل، ولكني في البحر جبان "شولمان: الاندحار في الغرب، ص٥٠".

الفصل الخامس

عمليّة "أسد البحر"

غزوة بريطانيا الفاشلة

-١-

كتب الجنرال (يودل) رئيس دائرة العمليات في (ق.ع.ق.م) بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٤٠ في يومياته: "إن النصر الألماني على إنكلترا هو الآن مسألة وقت. ولم يعد ممكناً أن يقوم العدو الآن بهجوم على نطاق واسع."

كان استراتيجيّ هتلر المحبوب في حال من الثقة والانشراح لامزيد عليهما. ففرنسا استسلمت منذ أسبوع وتركت بريطانيا وحيدة عادمة الحيلة. وفي ١٥ حزيران أبلغ هتلر جنرالاته أنه يرغب في إجراء تسريح جزئي للجيش بإنقاصه من (١٦٠) فرقة الى (١٢٠). وكتب هالدر معقباً على هذه الخطوة "العلّة التي تكمن وراء ذلك. هو أن مهمة الجيش قد أنجزت. وسيعطى القوة الجوية والأسطول واجب مواصلة الحرب ضدّ إنكلترا بمفردهما".

والحق يقال أن الجيش لم يظهر اهتماماً كبيراً بهذا. وهتلر نفسه لم يكن مكترثاً. ففي ١٧ حزيران أبلغ العقيد (ڤالتر ڤارلمونت Walther Warlimunt) نائب يودل، قيادةَ الأسطول "إشارة الى موضوع الإنزال في بريطانيا... إن الفوهرر لم يعرب عن نية ما في الأمر حتى الآن... لذلك لم تقم (ق.ع.ق.م) بإتخاذ أي تدبير حتى الساعة ومن أي نوع كان"[١]. وبعد ذلك بأربعة أيام (٢١ حزيران) حينما كان هتلر يدخل عربة الهدنة في (كومپين) لإذلال الفرنسيين أبلغ الأسطول "أن هيئة اركان الجيش غير مهتمة الآن بمسألة بريطانيا. وانها تعدّ تنفيذ العمل ضرباً من المستحيل ولاتعلم كيف يمكن اجراؤه من المنطقة الجنوبية... ان هيئة الاركان العامة ترفض العملية...[٢]"

ولم يكن أحد من المخططين الموهوبين الأفذاذ في صنوف القوات المسلّحة الثلاث يدري كيف تغزى

١- السجل الحربيّ لهيئة أركان الأسطول ١٨ حزيران ١٩٤٠. اقتبسها رونالد هويتلي Ronald Wheatley في كتابه "عملية أسد البحر" ص١٦. وكان هويتلي عضواً في فريق بريطاني يتفرغ الى تأليف تاريخ رسمي للحرب ولهذا تمتع بحرية مطلقة في تقليب كل السجلات المستولى عليها للجيش والأسطول والقوة الجوية والوثائق الدبلوماسية وهو إمتياز لم يمنح (الى حدّ كتابته مؤلفه) أي كاتب أمريكي آخر ليس له صفة رسمية لا من قبل السلطات الأمريكية ولا البريطانية اللتين كانتا تضعان يدهما على تلك الوثائق بالمشاركة، ولذلك كان هويتلي مفيداً جداً كدليل الى المصادر الألمانية الخاصة جداً المتعلقة بعملية اسد البحر.

٢- القيادة العليا للأسطول: السجلات - هويتلي ص٢٦.



الجنرال ڤارلمونت

بريطانيا. وإن كان الأسطول وليس في الأمر غرابة – أول من أولى الموضوع بعض التفكير. فمنذ ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٩ أيام كان هتلر يحتث عبثاً جنرالاته لشنّ الهجوم في الغرب، طلب (رايدر) من اركان الأسطول العامة أن تبحث في "إمكان غزو إنكلترا. وهو إحتمال متوقع إن توفرت شروط معيّنة له في اشواط الحرب المقبلة[٣]"... وهذه أول مرة في تاريخ اي هيئة اركان ألمانية، يطلب فيها تقليب وجوه الرّأي في عملية كهذه. ولعلّ (رايدر) اتخذ هذه الخطوة على الأكثر لأنه يريد أن يرضي أيّ نزعة مفاجئة غريبة تعنّ في ذهن (زعيمه) الذي لايمكن التنبؤ مقدماً بما يجول في رأسه. ولم نجد دليلاً خطياً يؤيد أن هتلر أستشير بالأمر أو علم عنه شيئاً. فأبعد ما وصلت اليه افكاره في ذلك الحين هو الفوز بمطارات وقواعد بحرية في هولندا وبلجيكا وفرنسا لتضييق الحصار على الجزر البريطانية.

بحلول شهر تشرين الأول ١٩٣٩ بدأت قيادتا الجيش والقوة الجوية توليان الغزو شيئاً من تفكيرهما أيضاً. وتبودلت آراء يغلب عليها الغموض والإبهام بين الصنوف الحربية الثلاثة لكنها لم تقطع شوطاً بعيداً. وفي شهر كانون الثاني ١٩٤٠ رفضت القوتان البحرية والجوية خطّة الجيش ووصفتها بأنها (غير معقولة). فهي بنظر الأسطول لم تحسب حساباً للأسطول البريطاني الضخم. وبالنسبة الى القوة الجوية قلّلت من خطورة سلاح الجوّ البريطاني. وجاء في ردّ هيئة اركان القوة الجوية العامة على قيادة الجيش: "بمختصر القول. يجب أن يصرف النظر عن عملية مشتركة تستهدف الانزال في إنكلترا[٤]".

وسنرى فيما بعد كيف أن گورنگ ومساعديه، تبنّوا الفكرة التي رفضوها هم أنفسهم. وكان أوّل تنويه بتفكير هتلر في إحتمال قيامه بغزو بريطانيا وجدناه في المآثر الألمانية بتاريخ ٢١ أيار، وهو اليوم التالي لبلوغ الدروع الألمانية (آبيڤيل) على الساحل. وبعده بحث (رايدر) مع هتلر على انفراد "إمكانية الإنزال في بريطانيا في المستقبل". ومصدرنا في هذه المعلومات (رايدر)[٥] الذي لم يساهم أسطوله في مجد الانتصارات المؤزرة التي نالها الجيش والقوة الجوية في الغرب، فكان ولا غرابة

٣- السجل الحربي اليومي لهيئة اركان الأسطول، ١٥ تسرين الثاني ١٩٣٩، الص ٤-٧ عن هويتلي.
٤- هويتلي: الص ٧-١٣.
٥- السجل الحربي اليومي لهيئة اركان الأسطول، ص٥١ (٢١ أيار ١٩٤٠) [كذلك المرجع نفسه التاريخ نفسه. هويتلي ص١٥]

يتلمس الوسائل لإثبات وجوده على مرسح الأحداث. الاّ ان افكار هتلر كانت منصبة على معركة التطويق الجارية في الشمال. وعلى جبهة قتال السّوم التي أخذت تلتحم في الجنوب ولم يشأ أن يشغل جنرالاته بأمور خارجة عن نطاق هاتين المهمتين الراهنتين على كل حال. ولما لم يكن لضباط الأسطول ما يعملون فقد استمروا في مدارسة قضية الغزو. وفي ٢٧ أيار خرج نائب أمير البحر (كرت فريكه Kurt Fricke) رئيس اركان حرب الأسطول بخطة جديدة عنوانها (دراسة في إنكلترا Studie England) وبدأ باعمال تمهيدية كحشد السفن وتطوير اشكال قوارب الانزال وهو ما لايملك الأسطول منه شيئاً. وفي هذا المجال تقدم الدكتور (كوتفريد فيدر) الدعيّ الاقتصادي الذي عاون هتلر في صيانة منهاج الحزب أيام مونيخ الأولى وكان وكيل وزارة الاقتصاد الفاشل في تطبيق نظرياته الجوفاء، فعرض تصميماً أطلق عليه اسم (تمساح الحرب) وهو شكل من أشكال العوّامات الكبيرة التي تسير بمحرك مبنية بالسمنت المسلّح وتتسع لسرية قوامها مائتا جندي بكامل معداتهم أو لعدد من الدبابات أو قطع المدفعية فتخرج الى اي ساحل وتقوم بحماية الجنود النازلين وسياراتهم. فأخذ اقتراحه مأخذاً جدياً اهتمت به قيادة الأسطول ونوّه به هالدر في مذكراته مهتماً وجرى بحث طويل عنه في ٢٠ حزيران بين هتلر ورايدر، لكن لم تسفر النتيجة عن شيء بالأخير.

ولم يبد لأمير البحر (رايدر) شيء جديد بخصوص الجزر البريطانية حين كان شهر حزيران يدنو من نهايته. اما هتلر فبعد أن ظهر بتاريخ ٢١ حزيران في غابة (كومپين) رافق بعض رفاقه القدامى في نزهة قصيرة الى پاريس[٦]. ثم انثنى لزيارة ميادين معارك الحرب العظمى الأولى (لا الثانية) مستعيداً ذكرياته أيّام كان ناقل رسائل الميدان، مع مرافقه (ماكس امّان) عريف فصيله الفظّ المليونير في الوقت الحاضر ومدير دار نشر الحزب. وبدا وكأن مستقبل احداث الحرب المقبلة (بالضبط كيفية مواصلة قتال بريطانيا) آخر ماكان يشغل بال الدكتاتور ولعله وجد القضية في حكم المنتهية وان بريطانيا لابد وان تثوب الآن الى رشدها وتتقدم بطلب الصلح.

ولم يعد هتلر الى مقرّ قيادته الجديد في تاننبرگ Tannenberg غرب فرويدنشتاد Freudenstadt في الغابة السوداء إلاّ يوم ٢٩ حزيران. وفي اليوم التالي أعاده الى الأرض وواقعها تقرير كتبه يودل في موضوع مايجب عمله بعدئذ. وقد عنونه (مواصلة الحرب ضد بريطانيا[٧]).

كان يودل ثاني رجلين في القيادة العليا للقوات المسلحة (أوّلهما كايتل) ممن يؤمن إيماناً أعمى بعبقرية الزعيم. على أنه في العادة ستراتيجي ضليع إن تُرك على هداه. وهو الآن يشارك في وجهة النظر التي تسود مقر القيادة العليا. وهو أن الحرب قد ربحتها ألمانيا وهي تشارف ختامها. وان لم

٦- وكذلك ليلقي نظرة على ضريح نابليون في الانفاليد Invalides. وقال عن زيارته لمصوره الخاص الوفي (هنريخ هوفمان): "كانت تلك من أعظم وأجمل اللحظات في حياتي".

٧- النص في ١١ محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٢٨، الص ٣٠١-٣٠٣ (وثائق نورمبرگ PS-١٧٧٦) نشرت له ترجمة إنگليزية غير دقيقة في (مؤامرة النازيين وعدوانهم، ملحق أ- الص ٤٠٤-٤٠٦.

تدرك بريطانيا هذه الحقيقة فيمكن إعادتها الى الصواب باستعمال شيء من القوة. ولذلك اقترح في تقريره هذا، إحكام الحصار على إنگلترا بإتخاذ ثلاث خطوات: تشديد الغارات الجوية والحرب البحرية على السفن البريطانية ومستودعات التموين والمصانع وقواعد السلاح الجويّ البريطاني، و"قصف إرهابي لمراكز احتشاد السكان" و"إنزال قوات في إنگلترا لإحتلالها".

وفطن (يودل) الى ان "الحرب ضد القوة الجوية البريطانية يجب ان تحتلّ مراكز الصدارة من سائر المجهودات الأخرى" لكن رأى أن العمليات ككلّ يمكن تنفيذها دون صعوبات تذكر.

"فإلى ربط الدعاية بالقصف الإرهابي المتراوح (وسيسمى الغارات الانتقامية) فإن اطراد الضعف في قواعد التموين سيلحق الشلل التام بالبلاد وتتصدع ارادة الشعب وتتحطم قابليته في المقاومة فتؤول النتيجة حتماً الى خضوع الحكومة رغم أنفها."

أما الإنزال فلايمكن التفكير فيه... "إلاّ بعد ان تحقق ألمانيا السيادة الجويّة. ولذلك يجب ألاّ يكون هدف الإنزال إحتلال إنگلترا إحتلالاً عسكرياً وهو ما يمكن إسناد امره الى القوتين الجوية والبحرية بل لتوجيه ضربة قاتلة لإنگلترا عندما تدعو الضرورة(٨).

وعلى أية حال، فيودل يرى الانزال غير ضروري مادامت إنگلترا عاجزة عن خوض الحرب الهادفة الى تحقيق نصر حاسم على ألمانيا، وانما هي تواصل الحرب الآن للمحافظة ممتلكاتها وسمعتها في العالم. وكل الدلائل تشير الى أنها ستطلب الصلح حالما تدرك أن الفوز به لن تقتضي منها الاّ ثمناً زهيداً نسبياً.

وهذا ما كان يراه هتلر أيضاً. فشرع حالاً يشتغل في خطبته للرايخشتاغ كما أمر في الوقت نفسه بالقيام بوضع خطط تمهيديّة للانزال (كما مر بنا في ٢ تموز). وعندما لم تبلغه كلمة "عقلانية" من لندن اصدر بتاريخ ١٦ تموز أمره التوجيهي السادس عشر لعملية أسد البحر. أخيراً وبعد أكثر من ستة أسابيع من التردد قرّر غزو بريطانيا (عند الضرورة) وعندما مرّ الزمن بهتلر وقوّاده بدأوا يدركون إنها ستكون عملية عسكرية عملاقة لاتخلو من أخطار وتعتمد في نجاحها على مقدرة القوة الجوية والأسطول في تهيئة سبيل للقطعات العسكرية بعيداً عن متناول الأسطول البريطاني المتفوق وقوة العدوّ الجويّة التي لايمكن الإستهانة بها قطّ.

هل كانت (أسد البحر) خطة جدية؟ وهل كانت النية اليها جدية الى حدّ اخراجها الى حيّز التنفيذ؟

مايزال الكثيرون يشكون في ذلك الى يومنا هذا. وقد عزّز رأيهم عدد كبير من الجنرالات الألمان بعد الحرب. فقد قال (روندشدت) قائد قوات الغزو العام للمحققين الحلفاء في ١٩٤٥: "اقتراح غزو بريطانيا هو محض هراء. لأن السفن اللازمة لذلك غير ميسورة... وكنا ننظر الى المسألة كلّها كما ننظر الى لعبة. فمن الواضح أن أي غزو لايمكن التفكير فيه عندما لم يكن أسطولنا في وضع يستطيع

٨- وكذلك يقترح يودل إمكان "توسيع رقعة الحرب الى آفاق خارجية أعني الهجوم على الامبراطورية البريطانية بمساعدة إيطاليا واليابان وإسپانيا وروسيا.

به حماية عبورنا المانش أو نقل النجدات كذلك لم تكن القوة الجويّة في حالة تستطيع ان تسدّ مسدّ الأسطول في حالة فشل الأخير. ولقد كنت دائم الشك في المسألة كلّها... احسّ احساساً بأن (الزعيم) لم يكن يرغب في غزو إنكلترا حقاً. فهو يفتقر الى الشجاعة الكافية... ويأمل بأن الإنكليز سيطلبون الصلح...[٩]

واعرب (بلومنتريت) رئيس دائرة العمليات في قيادة روندشدت عن وجهة نظر مشابهة (لليدل هارت) بعد الحرب. قائلاً "كنّا نتكلم عنها [أسد البحر] فيما بيننا بوصفها خدعة[١٠]".

وانا نفسي قضيتُ بضعة أيام من أواسط آب اتنقل على ساحل المانش من (إنتورب) الى (بولون) بحثاً عن جيش الغزو المرتقب. وفي ١٥ آب رأينا في كاليه وفي (كاب كري-ني Cap Gris-Nez) حشوداً من القاصفات الألمانية والمقاتلات تتجه نحو بريطانيا فوق المانش، لتقوم بأول غارة جوية واسعة، كما اتضح بعدئذ. وفي الوقت الذي تجلّى للمراقبين أن اللوفتوافه قد جردت كل قواها فإن الافتقار الى السفن وقلتها وبخاصّة ناقلات الجنود في الموانى والاقنية والأنهار خلفها، اقنعتني أن الألمان (يخادعون) وإنهم لايملكون الوسائل كما لاحظت وليس لديهم إمكانيات نقل الجنود عبر القنال.

لكن المكاتب الصحفي الواحد لايرى من الحرب الكثير. ونحن نعلم الآن أن الألمان لم يبدأوا في تجميع سفن الغزو حتى اليوم الأول من أيلول. أما عن الجنرالات فكلّ من يقرأ إفاداتهم أو يصغي اليهم أثناء الاستنطاق في محاكمات نورمبرگ بعد الحرب لايشتري شهاداتهم بدانق[١١]. فكثيراً ما تخون الانسان ذاكرته، والجنرالات الألمان ليسوا بشواذ عن القاعدة. وهم الى جانب ذلك يحتاجون الى مبررات لأنفسهم كثيرة. واهمها طراً إثبات جهل قيادة هتلر العسكرية. والواقع أن النغمة الأساسية التي ضربوا عليها باطالة مملّة جداً سواء في مذكراتهم أو افاداتهم أو شهاداتهم في المحاكم، كانت واحدة وهي لو ترك لهم اصدار الأوامر وإتخاذ المقررات لما قاد هتلر الرايخ الثالث الى الهزيمة النكراء. ويشاء سوء حظهم، وحسن حظّ الحقيقة التي ستخلّف للأجيال أن اكداس الملفات العسكرية الألمانية السريّة التي إجتمعت جبالاً واكداساً لاتترك أي شك في أن خطة هتلر لغزو بريطانيا في اوائل خريف ١٩٤٠ كانت خطة جدية بكل معنى الكلمة. ومع فترات من الفتور انتابتها، فان الدكتاتور النازي كان عاقد العزم على تنفيذها لو وجد أملاً معقولاً بنجاحها ولايعزى فشلها النهائي الى التذبذب في أمر تنفيذها أو الى قلّة المجهودات التي بذلت فيها وانما الى تقلبات الحظوظ في الحرب. وقد أخذت الآن ولأول مرة تقلب لهتلر ظهر المجنّ في ١٧ تموز وهو اليوم الذي تلا إصدار الأمر التوجيهي السادس عشر القاضي بإجراء الإستعدادات للغزو وقبل إلقائه خطبة السلام في الرايخشتاغ بيومين.

٩- نشرات استخبارات الحرب البريطانية، تشرين الثاني ١٩٤٥. اقتبسها شولمان (المرجع السالف الص ٤٩-٥٠).

١٠- ليدل هارت "الجنرالات الألمان يتكلمون" ص١٢٩.

١١- حتى الناقد العسكري الاريب ليدل هارت فقد اهمل حذره دائماً. وهذا الإهمال حط من قدر كتابه "الجنرالات الألمان يتكلمون" اجل انهم تكلموا لكن لم يتكلموا دائماً عن ذاكرة جيدة. أو حتى بصدق تام.

خصصت القيادة العامة للجيش قوات لعمليّة (أسد البحر) وامرت بنقل ثلاث عشرة فرقة مختارة الى محلاّت الوثوب على القنال لتكون أولى موجات الغزو وفي اليوم نفسه أنجزت قيادة الجيش خطتها التفصيلية للانزال على جبهة واسعة في شواطيء إنكلترا الجنوبية.

الاندفاع الرئيس هنا - كما في معركة فرنسا سيقوم به الفيلدمارشال فون روندشدت (كما اصبح لقبه منذ ١٩ تموز) قائداً لمجموعة جيوش (A). ويتم انزال ستّ فرق مشاة من جيش الجنرال ارنست بوش Ernst Busch السادس عشر على الساحل ما بين رامسگيت Ramsgate وبكسهيل Bexhill، بعد قيامها من (پا دي كاليه Pas De-Calais) وتعبر من منطقة (الهافر Le Havre) أربع فرق من جيش الجنرال ادولف شتراوس Adolf Strauss التاسع وتنزل بين برايتن Brighton وجزيرة وايت Wight. والى الغرب بمسافة، تقوم ثلاث فرق من جيش فيلدمارشال فون (رايخناو) السادس (الذي هو من ضمن مجموعة جيوش (B) بقيادة فيلدمارشال فون بوك) بالنزول في خليج (لايم Lyme) بين ويماوث Weymouth ولايم ريجز Lyme Regis بعد اقلاعها من خليج شربورگ Cherbourg. وبهذا يكون مجموع قوات الموجة المغيرة الأولى تسعين ألف مقاتل. وفي اليوم الثالث من الغزو اختطت القيادة العليا انزال ما يبلغ مجموعه الكليّ (٢٦٠٠٠٠) مقاتل. وستعزز بجنود الجوّ التي يتم انزالها في (لايم بي) وغيره من المناطق. ومما ستتضمن الموجة الثانية قوات مدرّعة لاتقل عن ستّ فرق من البانزر مدعومة بثلاث فرق من الآلية المشاة. وفي غضون أيام قليلة سينزل الى الشاطيء الإنكليزي تسع وثلاثون فرقة يضاف اليها فرقتان من الهابطين جواً.

والأهداف هي كمايلي: بعد أن تثبت رؤوس الجسور تندفع الفرق المرتبطة بمجموعة جيوش (A) في الجنوب الشرقي الى الأمام نحو الهدف الأول وهو الخط الممتد بين گريفيسند Gravesend وساوثمبتن Southampton. ويتقدم الجيش السادس المعقود لرايخناو شمالاً نحو بريستول Bristol، عازلاً ديڤون Devon وكورنوول Cornwall. اما الهدف الثاني فهو خطٌ بين مالدن Maldon على الساحل الشرقي شمال مصب نهر التيمس حتى نهر سڤرن Severn لفصل ويلز Walse. وتوقعت القيادة "معارك طاحنة بقوات بريطانية كثيفة" في حدود الزمن الذي يبلغ فيه الألمان هدفهم الأول. إلاّ أنهم سيفوزون بها بسرعة، ثم يتمّ تطويق لندن ويستمرّ الزحف السريع إلى الشمال(١٢). وقد ابلغ براوختش (رايدر) في ١٧ تموز أن العملية كلها لن تستغرق أكثر من أسبوع وستكون سهلة نسبياً(١٣).

١٢- من وثائق قيادة الجيش العامة. إقتبسها هويتلي الص ٤٠ و١٥٢-١٥٥ و١٥٨. جرت تغييرات مستمرة في الخطة طوال الأسابيع الستة التالية.

١٣- قدرت المخابرات الألمانية القوات البرية الإنكليزية في أشهر تموز وآب وأيلول بزيادة ثماني فرقٍ عن الموجود فعلاً. وقدرتها هيئة أركان الجيش الألماني في اوائل تموز بخمس عشرة فرقة الى عشرين "صالحة للقتالً". وكانت تبلغ في الواقع تسعاً وعشرين فرقة معسكرة في إنكلترا آنذاك ولكن لم يكن فيها ما يصلح للقتال أكثر من ست وهذه لاتملك دروعاً او مدفعية ولكن خلافاً لما شاع إعتقاده في ذلك الحين وماظلّ حتى الآن اشبه بالحقيقة أن الإنگليز كانوا سيضاهون الألمان بقواتهم البرية في (١٥ أيلول) حينما ينزلون أول موجة من موجات الغزو، ففي ذلك الوقت كان لديهم فرق مستعدة لمقابلة هجوم في الساحل الجنوبي قوامها (١٦) فرقة حسنة التدريب بينها ثلاث فرق مدرعة =

إلاّ أن (رايدر) وقيادة الأسطول العليا كانا متشائمين. وقالا أن عملية بهذه الضخامة وهذه الجبهة الطويلة [تمتد أكثر من مائتي ميل من (رامسگيت) الى خليج (لايم)] هي فوق طاقة الأسطول الألماني من ناحية النقل والحماية. وابلغ (رايدر) القيادة العليا برأيه هذا بعد يومين وأدلى به أيضاً في ٢١ تموز عندما استدعاه هتلر. واجتمع به وببراوختش وبالجنرال هانز يوشنيك Hans Joschinnech (رئيس اركان القوة الجوية العامة) في برلين. لم يزل هتلر مشوش الفكر عما "يحصل الآن في إنگلترا". وقدّر مصاعب الأسطول إلاّ انه اكدّ اهمية انهاء الحرب باسرع ما يمكن. وقال إن أربعين فرقة هي أقلّ ما يمكن للإنزال. وان "العملية الأساسية" يجب ان تكمل في موعد اقصاه ١٥ أيلول. وكان سيد الحرب على العموم متفائلاً رغم رفض چرچل سماع نداء سِلْمه في تلك اللحظة بالذات.

ونقل هالدر في يومياته قولة هتلر: "إن وضع إنگلترا ميؤوس منه لقد ربحنا الحرب. ومن ضروب المستحيل أن تنقلب إحتمالات النجاح ظهراً لبطنٍ".(١٤)

الاّ ان الأسطول لم يكن بمثل هذه الثقة. إذ وجب عليه القيام بالمهمّة الكريهة، مهمّة نقل جيش لجب عبر قنال غير مأمون وفي مواجهة أسطول بريطاني متفوق عليه تفوقاً ساحقاً. وقوة جويّة مازالت ناشطة فعالة. وفي ٢٩ تموز قدم اركان حرب الأسطول مذكرة ينصح فيها "بتأجيل تنفيذ العملية الى السنة القادمة" مقترحاً أن "يبدأ التحضير لها في أيار ١٩٤١ أو ما بعده"(١٥).

الاّ ان هتلر أصرّ على مناقشتها في ٣١ تموز ١٩٤٠، وجمع قادة عسكره مرة أخرى، وكان الإجتماع في مَغناه بأوبرسالزبرگ. وكان بين المجتمعين خلافاً لرايدر كل من كايتل ويودل عن القيادة العليا للقوات المسلحة، وبراوختش وهالدر عن قيادة الجيش العامّة. واستأثر أمير البحر الاكبر بمعظم الحديث. ولم يكن طيّب المزاج قطّ.

قال: أن ١٥ أيلول، هو يوم مبتسر جداً لبدء عملية (أسد البحر) هذا إن لم تحدث ظروف طارئة غير متوقعة بسبب الطقس أو العدوّ". وعندما سأل هتلر عن المقصود بمشكلة الطقس ردّ عليه رايدر بمحاضرة في هذا الموضوع زادت بلاغة بقدر ما افعمت الحاضرين بالتشاؤم. واوضح يقول إن الاحوال الجوية في القنال وبحر الشمال سيئة "بصورة عامة" باستثناء الأسبوعين الاولين من شهر تشرين الأول. والضباب الخفيف يقبل في متنصف ذلك الشهر ويتبعه الضباب الكثيف في نهايته. الاّ ان هذا جانب واحد من جوانب مشكلة الطقس. "والعلميّة لايمكن تنفيذها مطلقاً إلاّ اذا كان البحر هادئاً". اما اذا

= وأربع فرق مع لواء مدرع تغطي الساحل الشرقي من التيمس حتى واش Wash. وهذا مايدل على إستفاقة بريطانيا المدهشة بعد كارثة دنكرك التي تركت بريطانيا غير محمية تماماً في البر في شهر حزيران. وكانت إستخبارات بريطانيا عن الألمان مغلوطة جداً، وفي غضون الأشهر الثلاثة الأولى للغزو كادت تكون خاطئة تماماً، وظل چرچل ومشاوروه طوال الصيف واثقين أن إنزال الألمان الرئيس سيكون من الساحل الشرقي ولهذا حشدت أغلبية القوات البرية البريطانية هناك حتى شهر أيلول. (يوميات حرب الأسطول، إجتماع رايدر-براوختش، ١٧ تموز، هويتلي، ص٤٠ حاشية).

١٤- يوميات (هالدر) بتاريخ ٢٢ تموز. يوميات حرب قيادة الأسطول. الص ٧١-٧٣ (تموز:٢١).

١٥- يوميات حرب هيئة قيادة الأسطول ٣٠ تموز. ومذكرة ٢٩ تموز. هويتلي الص: ٤٥-٤٦.

كان هائجاً فان سفن الانزال ستغرق، وقد يحيق الخطر حتى بالسفن الكبيرة. أو تغدو عديمة الفائدة لأنها لن تتمكن من افراغ المعدات والامدادات وراح الأميرال يزداد كآبة وتشاؤماً بالدقائق التي تمرّ عليه وهو يتأمل فيما ينتظر العملية. واستطرد يقول:

"حتى اذا تسنّى نقل الموجة الأولى بنجاح، وفي حالة طقس مواتية، فليس ثم ضمان لدوام حالة الطقس الجيدة هذه أثناء حلول موعد نقل الوجة الثانية والثالثة... وعلينا ان ندرك في الواقع أنه لايمكن عبور عدد من السفن يستحق الذكر لعدّة أيام قبل ان يتمّ وضع اليد على مواني‌ء معيّنة."

إن هذا من شأنه أن يضع الجيش في موقف لايُحسد عليه وسيكون مكشوفاً مبعثراً على الساحل دون امدادات أو نجدات؛ ثم جاء (رايدر) الى نقطة الخلاف الرئيسة بين الجيش والأسطول. الجيش يريد جبهة واسعة من مضيق (دوڤر) الى (لايم)، والأسطول بمختصر القول عاجز عن تقديم السفائن الضرورية لهذه العملية ازاء قوة الأسطول البريطاني ومقاومة الجو المتوقعة. واصرّ رايدر بشدة على تقصر طول الجبهة وان لاتمتد الى مسافة أبعد مما بين مضيق دوڤر و(ايستبورن Eastbourn). ودق أمير البحر مسماره الموجع في الختام حين قال: "كل الأمور تثبت أن خير الأوقات لتنفيذ العمليّة هو شهر أيار ١٩٤١".

إلاّ أن هتلر لم يشأ الانتظار الى هذا المدى البعيد. وعقب قائلاً. ان الطقس لا حيلة فيه "بطبيعة الحال". لكن يجب التأمل في مخاطر ضياع الزمن فالأسطول الألماني لن يزيد من قوته بمواجهة الأسطول البريطاني خلال هذه المدة. والجيش البريطاني الآن في حالة يرثى لها. لكن امهاله ثمانية اشهر أو تسعة يعني اضافة ثلاثين أو خمس وثلاثين فرقة الى قواته وهي قوة لايستهان بها اذا ركزت في منطقة ضيقة كمنطقة الغزو المعيّنة لذلك فان قراره سيكون كما يلي (هذا ما اثبتته الملاحظات الخاصّة التي دونّها كل من رايدر وهالدر لوقائع الإجتماع)[١٦].

"التحول الى افريقيا يجب أن يُعنى بمدارسته. إلاّ أن النتيجة الحاسمة لايمكن الوصول اليها إلاّ بهجوم على إنگلترا. ولذلك يجب القيام بمحاولة الإستعداد للعملية في ١٥ أيلول ١٩٤٠... والقرار في مسألة تنفيذها في أيلول أو تأجيلها حتى أيار ١٩٤١ سيتمّ إتخاذه بعد قيام سلاح الجوّ بغارات مركزة على جنوب إنگلترا أسبوعاً واحداً. فإن نجم عن هذا الهجوم الجوي اضرار بالغة في سلاح الجوّ العدوّ وموانيه وقطعة البحرية الخ... فستنفذ عملية (اسد البحر) سنة ١٩٤٠، والاّ فتؤجل حتى أيار ١٩٤١."

وكل شيء يتوقف الآن على اللوفتوافه.

في اليوم التالي للإجتماع (١ آب) أصدر هتلر عن القيادة العليا أمرين توجيهيين. اولهما بتوقيعه وثانيهما بتوقيع كايتل.

١٦- يوميات اركان حرب الأسطول: (١) آب ١٩٤٠. هذه رواية رايدر الخاصة عن الإجتماع. اما رواية هالدر فيثبتها في وقعة طويلة من وقعات يومياته بتاريخ ٣١ تموز.

-سرّيّ جداً-

مقر قيادة الزعيم

١ آب ١٩٤٠ الأمر التوجيهي: ١٧ (لادارة الحرب الجوية والبحرية ضد إنكلترا)

لغرض ايجاد الظروف اللازمة لدحر إنكلترا دحراً نهائياً. أطلب الإستمرار في الهجومين الجويّ والبحري على الاراضي الإنگليزية، بأشد مما سبق. وتحقيقاً لهذه الغاية أصدرت الأوامر التالية:

أولاً: على القوة الجوية الألمانيـة أن تهزم القوة الجوية البريطانيـة بكلّ ما لديها من حيلة ووسيلة وبأسرع وقتٍ ممكن.

ثانياً: بعد الفوز بتفوق جوي مؤقت أو موضعي، يجب أن يتحول الهجوم على الموانيء، وبخاصّة على المنشآت المتعلقة بالتموين والطعام... الهجمات على الموانيء الجنوبية يجب أن تكون على أضيق نطاق ممكن نظراً لحاجة عمليتنا المقبلة اليها...

رابعاً: يجب أن تكون (اللوفتوافه) مستعدة بكلّ قواها لعملية (اسد البحر).

خامسا: أحتفظ لنفسي بحق تقرير الهجمات الارهابية كوسيلة للردّ بالمثل والعقاب.

سادساً: يترك حق الاختيار للبدء في الحرب الجوية الشديدة بين يوم ٦ آب أو ما بعده... والأسطول مخول أيضا أن يبدأ هجماته الضيقة في الوقت نفسه. أدولف هتلر[١٧]

واليك جانباً من الأمر التوجيهي الثاني الذي وقّعه كايتل عن هتلر:

سريّ جداً

عمليّة أسد البحر

إن قائد الأسطول العام قد أبلغنا في ٣١ أيلول بأن الإستعدادات الضروريّة (لأسد البحر) لايمكن الفراغ منها قبل ١٥ أيلول. وان الزعيم يأمر بما يأتي:

- يجب على الجيش والقوة الجويّة أن يستمرا في الإستعداد لأسد البحر ويكملاه في موعد لايتجاوز ١٥ أيلول.
- بعد البدء بشن الهجوم الجويّ ضدّ بريطانيا المقرر إبتداؤه في (٥) آب - وبعد مرور ثمانية أيام حتى أربعة عشر يوماً عليه، سيقرر (الزعيم) هل يشرع في الغزو هذه السنة أم لا، وسيتوقف قراره أساساً على نتائج الهجوم الجويّ...
- ومع انذار الأسطول بأنه لايضمن مسؤولية الدفاع إلاّ عن جزءٍ ضيق من الساحل (لايبعد أكثر من ايستبورن) فيجب القيام بالإستعدادات على أساس الهجوم في جبهة عريضة كما تتقررّ اصلاً[١٨]...

١٧- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية: ج١٠، الص ٣٩٠-٣٩١. كذلك مثبتة في وثائق نورمبرگ ٤٤٣ PS. ولم تنشر في مؤامرة النازيين وعدوانهم ومحاكمات مجرمي الحرب الكبار).

١٨- السجل الحربي اليومي لهيئة اركان البحرية الص ٨١-٨٢ (آب ١٩٤٠).

هذه العبارة الأخيرة سببت اضرام نار الخصام بين الجيش والأسطول حول مسألة جبهة غزو ضيقة أو عريضة. وقبلها بأسبوعين انجزت هيئة أركان الأسطول تقديرات ما يتطلبه إنزال مائة ألف رجل بكامل معداتهم وتجهيزاتهم في اول موجة على جبهة طولها مائتا ميل من (رامسگيت) الى خليج (لايم) كما إرتأى الجيش فوجدت انه يحتاج الى حشد (١٧٢٢) مركب نقل و(١١٦١) قارباً بخارياً و(٤٧١) مقطورة و(١٥٥) سفينة شحن. وقال (رايدر) لهتلر في ٢٥ تموز: لو افترض ان تجميع هذا المقدار الهائل من السفن ممكن فان ذلك سيصيب الإقتصاد الألماني بدمار محقق لأن وضع اليد على هذا العدد من مراكب النقل والمقطورات سيخرب نظام النقل المائي الداخليّ الذي ترتكز عليه بالدرجة الأولى حياة البلاد الاقتصادية[١٩] وعلى كل حال فقد اوضح (رايدر) أن حماية هذا الأسطول العملاق الذي يحاول اسناد جبهة طويلة ضد هجمات لابد منها تقوم بها القوتان البحرية والجوية البريطانية لهو أكثر مما تتحمله طاقة القوات البحرية الألمانية. وفي إحدى الفقرات أنذر الأسطول قيادة الجيش أنها اذا اصرّت على فتح جبهة واسعة فمن المتحمل أن يخسر الأسطول كل سفنه.

لكن الجيش أصرّ. وقال أن تقدير قوة بريطانيا مبالغ فيه وأن الإنزال في جبهة ضيّقة سيضع الغزاة امام قوات برية بريطانية متفوقة. وفي ٧ آب جرت مقابلة صاخبة بين الصنفين عندما إلتقى (هالدر) بغريمه في الأسطول الأميرال (شنيڤند Schniewind) رئيس هيئة أركان حرب الأسطول. فكان اصطداماً حاداً ومشهداً روائياً: صاح رئيس أركان الجيش وهو في العادة رجل هادىء للغاية:

- اني ارفض اقتراح الأسطول رفضاً باتاً. إني أراها من وجهة نظر الجيش إنتحاراً تاماً. وسأكون كمن يضع الجنود الذين قمت بإنزالهم في آلة حلج اللحم!

ويشير محضر أركان الأسطول للإجتماع[٢٠] أن (شنيڤند) أجاب:

- وسيكون انتحاراً أيضاً، محاولة نقل الجنود واسناد مثل هذه الجبهة الواسعة. أمام تفوق بريطانيا البحريّ.

كان مأزقاً قاسياً وحيرة قاتلة. فلو طبقت فكرة فتح جبهة واسعة بنقل اعداد كبيرة من الجنود لمئها وترصينها فقد يُغرق الأسطول البريطاني كلَّ الحملة الألمانية وهي في عرض البحر. ولو طبقت فكرة الجبهة الضيقة بعدد أقلّ من الجنود فقد يقذف الجيش البريطاني الغزاة الى البحر ويعيدهم من حيث أتوا. وفي ١٠ آب ابلغ القائد العام براوختش، القيادة العليا بأنه (لايوافق) على إنزال بين (فولكستون) و(ايستبورن) على أنه يرغب (وإن كان بتردد شديد) في صرف النظر عن الإنزال في (لايم) حتى تقصر الجبهة ويلتقي بوجهة نظر الأسطول في نصف الطريق.

١٩-المرجع السالف الص ٧٤-٧٥.

٢٠- في يوميات هالدر. توجد وقعة طويلة للقاء المساء هذا. إلاّ انه لم يدوّن ماورد ذكره عن لسانه في المتن وانما في مدّونته: "إن الحديث لم يؤيد إلاّ وجود ثغرة لايمكن سدّها" وقال "ان الأسطول يخشى من الأسطول البريطاني لما وراء البحار ويزعم ان اللوفتوافّه لاتتمكن قط من صدّ غائلة" ويظهر ان الأسطول الألماني ان لم نقل الجيش ايضاً كان يساوره بعض الشكّ في قوة لوافتوافه گورنگ الضاربة آنذاك.

ولم يكن ذلك كافياً لأمراء البحر المعاندنين. وبدا حذرهم وصلابتهم يخلفان أثرهما في القيادة العليا. في ١٣ آب كتب (يودل): "تقديراً للموقف" ووضع خمسة شروط لنجاح عملية أسد البحر، كان أمراء البحر والجنرالات سيجدون فيها دعابة يتندرون بها لو لم تكن ورطتهم خطيرة للغاية. قال يودل: يجب أولاً القضاء على الأسطول البريطاني. في الساحل الجنوبيّ. وثانياً يجب تنظيف الاجواء البريطانية من السلاح الجويّ الملكيّ. امّا الشروط الأخرى فتتعلق بإنزال الجنود بكميات وسرعة يعجز عنهما الأسطول بدون شكّ. واعتبر الإنزال عند عدم تحقق هذه الشروط "عملاً من اعمال اليأس لايلجأ اليه إلاّ عندما تحزب الأمور وتتحرج. ولاسبب يدعونا الى القيام به في الوقت الحاضر[٢١]".

ان كانت مخاوف الأسطول قد امتدت الى (يودل) رئيس دائرة الحركات في القيادة العليا، فان تردده قد خلّف تأثيره في هتلر. كان الدكتاتور النازي يعتمد طوال الحرب على (يودل) بشكل يفوق اعتماده على رئيس القيادة الإمّعة المحدود العقل كايتل. فلا غرابة اذن أن وجد (رايدر) القائد الأعلى يوافق على الأخذ برأي الأسطول في ١٣ آب عندما التقى به في برلين وطلب منه أن يقرر بين الجبهة الواسعة وبين الجبهة الضيقة التي اقترحها الأسطول ووعده أن يصدر قراراً جازماً في المسألة في اليوم التالي بعد ان يتداول مع قائد الجيش العام[٢٢] وبعد سماع هتلر آراء براوختش في ١٤ آب، قرر الأمر نهائياً. وفي ١٦ آب صرح امرٌ توجيهي صادر من كايتل بأن هتلر قرر التخلّي عن فكرة الإنزال في (خليج لايم) وهو الواجب الذي أنيط بجيش (رايخناو) السادس. وان يستمرّ في التأهب للإنزال في جبهة أضيق في ١٥ أيلول. لكن شكوك هتلر الخاصة تسلّلت الآن وللمرة الأولى الى أمر توجيهي سرّي فيه:

فقد جاء مايلي: "الاوامر النهائية لن توجّه إلاّ عندما ينجلي الموقف" وعلى اية حال كان الأمر الجديد توفيقيّاً فقد صدر أمر توجيهي آخر في ذلك اليوم وسّعت فيه الجبهة المضيّقة.

"العبور الرئيس يكون في جبهة ضيقة. إنزال أيضاً في الوقت نفسه بمقدار أربعة الآف أو خمسة آلاف بالزوارق البخارية في (برايتن) يليها عدد مماثل من جنود الجوّ في ديل - رامسگيت Deal Ramsgate يضاف الى هذا قيام اللوفتوافّه في اليوم السابق ليوم الغزو بغارة شديدة على لندن، ينجم عنها هروب السكان من المدينة وانسداد الطرق بهم[٢٣].

ومع أن (هالدر) دّون بالأختزال في مذكراته بتاريخ ٢٣ آب ملاحظة على هذه الأسس "لن يكتب اي نجاح للإنزال في هذه السنة"، فقد صدر أمر توجيهي في ٢٧ آب مذيّل بتوقيع (كايتل) باسطاً الخطط النهائية للإنزال في أربع نقاط اساسية على الساحل الجنوبي بين فولكستون وسلسي بيل Selsey Bill شرقي پورتسماوث مستهدفة كالسابق خطاً يمتد بين پورتسماوث ونهر التيمس شرق لندن

٢١- من أوراق يودل، والقيادة العليا للقوات المسلحة. هويتلي ص٦٨.
٢٢- السجل الحربي اليومي لهيئة أركان الأسطول، الص ٨٢-٨٣ (١٣ آب).
٢٣- الأمران التوجيهيان، المرجع السالف، الص ٨١-٨٢ (١٦ آب).

عند (گريفسند) يتم بلوغه حالما تمسك رؤوس الشطئان وتنظم وتلتحم فيما بينهما. وعندئذ تندفع القوات نحو الشمال. وفي الوقت نفسه أبلغت أوامر التأهب لتنفيذ مناورات خدعة كبراها أطلق عليه أسم (رحلة الخريف Herbstreise) ومؤادها القيام بمظاهرة تغطية لإنزال مزيف واسع النطاق على ساحل بريطانيا الشرقي حيث كان چرچل ومشاوروه العسكريون يتوقعون ومازالوا أن تقع ضربة الغزو الكبرى فيه. لتمرير هذه الخدعة رسم ان تقلع بواخر ركاب ألمانية ضخمة وبضمنها الباخرة الألمانية الكبرى (يوروپا) و(بريمن) مع عشر سفن شحن تواكبها أربعة طرادات، من مواني النرويج الجنوبية وخليج هليگولاند Heligoland Bight قبل الغزو الفعلي بيوم واحد. وتتجه نحو الساحل الإنگليزي ما بين آبردين Abrdeen ونيوكاسل Newcastle. وستكون هذه العمارة البحرية فارغة وستعود القهقري عندما يحلّ الظلام ثم تتكرر المظاهرة المخادعة في اليوم التالي[٢٤].

وفي ٢٠ آب اصدر براوختش أمراً مطولاً بالتعليمات لاجل الإنزال، لكن الجنرالات الذين تسلّموه راحوا يضربون اخماساً باسداس حول مبلغ ايمان قائدهم بالعملية حالياً. وكان عنوان الأمر "تعليمات للتهيؤ الى عملية أسد البحر". وكان الوقت متأخراً جداً لاصدار اوامر إستعداد لعملية رسم لها ان تبدأ في يوم ١٥ أيلول؛ واستطرد الى القول: "إن الامر بالتنفيذ يتوقف على الوضع السياسي" وهو شرط لابّد أوقع الجنرالات اللاسياسيين في حيرة[٢٥].

في ١ أيلول بدأت حركة السفن من مواني بحر الشمال الألمانية متجهة الى المرافيء المعدة لانطلاق قوات الغزو على ساحل المانش وبعد هذا بيومين (١٣ أيلول) صدر أمر توجيهي آخر من القيادة العليا.

"حدد أقرب يوم لإبحار أسطول الغزو بالعشرين من أيلول. وللإنزال بالحادي والعشرين منه. الأوامر الخاصّة بشنّ الهجوم ستعطى قبل عشرة أيام من موعد قيام الغزو أي في ١١ أيلول. الأوامر الأخيرة ستعطى قبل ثلاثة أيام من موعد الغزو كأقصى حدّ، وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً.

"ستبقى كل الإستعدادات عرضة للإلغاء قبل أربع وعشرين ساعة من ساعة الصفر."

كايتل[٢٦]

بدا الأمر جدياً. لكنه كان وهماً في وهم. ففي ٦ أيلول جرى لرايدر حديث طويل آخر مع هتلر. وكتب أمير البحر في يوميات الحرب لهيئة أركان الأسطول معلقاً على نتيجة الحديث في ذلك المساء "لم يستقرّ الزعيم بعد على رأي ثابت بخصوص الإنزال في بريطانيا اذ مازال موقناً بأن تحقيق الغلبة على هذه البلاد ممكن بغير حاجة الى الإنزال". والواقع الذي كشفت عنه مدّونة (رايدر) هذه الطويلة عن الحديث. أن "هتلر تحدث باسهاب في كل موضوع يخطر بالبال باستثناء عملية أسد البحر: تحدث

٢٤- المرجع السالف الص ٨٥-٨٦. هويتلي (الص ١٦١-١٦٢) يقدم تفاصيل رحلة الخريف مستقاة من المصادر الألمانية.

٢٥- نص تعليمات براوختش. من مقر قيادة الجيش العامة. هويتلي الص ١٧٤-١٨٢.

٢٦- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٠- ص٨٨.

عن النرويج وجبل طارق وانتقل الى السويس ثم الى مشكلة الولايات المتحدة، ثم عرج الى المستعمرات الفرنسية وكيفية معالجتها وانتهى ببسط آرائه الغريبة حول اقامة اتحاد ألماني شمالي"[٢٧].

ولو علم چرچل وقادة عسكره بفحوى هذا الحديث لما أرسلت كلمة السرّ (كرمويل Cromwell) تجوب ارجاء إنگلترا في مساء اليوم التالي (٧ أيلول) ومعناها "الغزو قريب". فسببت اضطرابا لاحدّ له، وقرعاً لاجراس البيع لا آخر له من قبل الحرس الداخلي Home Guard ونسف عدد من الجسور بأوامر ألقيت على سلاح الهندسة الملكي ولما سببت وقوع ضحايا لا موجب لها نجمت عن عثراتهم بألغام ارضية وضعت بصورة مستعجلة[٢٨]. لكن الألمان بدأوا في ساعة متأخرة من عصر يوم ٧ أيلول بأول غاراتهم الجبارة على لندن من الجوّ. وقامت بها (٦٥٢) قاصفة تحميها (٦٤٨) مقاتلة. فكان أعنف وافدح قصفٍ جوي عانته مدينة حتى الساعة بحيث بات قصف وارشو وروتردام لعبة اطفال بالنسبة. اليه وبحلول المساء اصبح رصيف المدينة المائي والمنطقة المجاورة له كتلة هائلة من الحرائق واللهيب وقطع كل الخطوط الحديدية المؤدية للجنوب الحيوية جداً للدفاع ضد الغزو. وراحت الأذهان في لندن تؤمن بأن هذا القصف المميت ان هو الاّ مقدمة لعملية إنزال ألمانية وشيكة جداً. ولأجل هذا لا لغيره أذيع انذار "الغزو قريب". وسيتضح بعد قليل أن هذا القصف الوحشيّ للندن في ٧ أيلول كان إيذاناً بتحول حاسم في معركة بريطانيا: أول كفاح حاسم جبّار في سماء العالم رأته البشرية يقترب الآن وبسرعة من ذروته ولو أنه اطلق انذاراً مسبقاً كاذباً وسبب اضراراً عظيمة.

واقترب من نهايته أيضاً الوقت المتوفر لهتلر ليتخذ قراره المصيري هل يشن هجوماً برّياً أو يعدل عنه؟ لامناص من أن يستقرّ على رأي نهائي كما نصّ عليه الأمر التوجيهي المؤرخ في ٣ أيلول الذي عين يوم ١١ أيلول كآخر موعدٍ قبل الأيام العشرة السابقة للغزو لقيام القوات المسلحة بآخر إستعدادها وإجراء التمهيدات للعملية. لكنه قرر في العاشر من أيلول التأجيل الى اليوم الرابع عشر. ويظهر أن لهذا التأجيل سببين على اقل تقدير. اولهما إعتقاد القيادة العليا أن قصف لندن سبب قدراً عظيماً من الخسائر في الممتلكات، وضعضع المعنوية الإنگليزية بحيث لم يعد الغزو ضرورياً[٢٩].

٢٧- المرجع السالف، الص ٩١-٩٧.

٢٨- يقول چرچل انه لم يعلم لا هو ولا رؤساء الأركان بأن الكلمة الرمزية (كرمويل) قد اذيعت. لقد أعطتها قيادة القوات الدفاعية الداخلية (اجمل ساعات حياتهم ص٣١٢). لكن رئيس الوزراء اذاع فعلاً بعد أربعة أيام في (١١ أيلول) انذاراً. انه في حالة قيام الغزو "فلايمكن تأخيره، ولذلك يجب علينا ان نعتبر الأسبوع التالي أو نحوه، فترة هامة جداً من تاريخنا. انها تضاهي أيام اقتراب الارمادا الإسپانية من القنال ودريك Drake ينهي لعبته في الكرة boules. أو عندما وقف نلسن بيننا وبين نابوليون الأعظم في بولون." * كان الأميرال فرنسيس دريك قائد الأسطول الإنگليزي منهمكاً في لعبة الكرة عندما ورده نبأ إقتراب أسطول الغزو الإسپاني (الأرمادا) من الساحل قرب پورتسماوث في ١٥٨٨، فأبى إلاّ أن يكمل لعبته قبل ذهابه الى قيادة الأسطول.

٢٩- اهتم الألمان اهتماماً شديداً بالتقارير التي وردت من سفارتهم في واشنطن. والتي اوردت معلومات وصلتها من لندن. فبالغوا في تفسيرها وبنوا عليها آمالاً. وقيل ان أركان الحرب الأمريكيين لايعتقدون ان بريطانيا ستصمد أكثر من هذا. ويقول المقدم لوسبرگ (في:Im Wehrmacht Fuehrungsstob ص٩١): ان هتلر كان يتوقع بجدٍ، ان تنشب =

والسبب الثاني المصاعب التي بدأ يواجهها الأسطول الألماني عند شروعه بتجميع السفن. والى جانب حالة الطقس التي وصفتها مراجع الأسطول بتاريخ ١٠ أيلول: "بانها سيئة جداً، سريعة التقلّب" فان القوة الجوية البريطانية التي وعد گورنگ بتدميرها والأسطول البريطاني اليقظ راحا يعرقلان تحشيدات أسطول الغزو بشكل متزايد. وفي ذلك اليوم بالذات انذرت هيئة أركان الأسطول (بخطورة) الهجمات البريطانية جواً وبحراً على حركات النقل ووصفتها "بهجمات ناجحة بالتأكيد". وبعدها بيومين (١٢ أيلول) بعث مقرّ قيادة أسطول الغرب بالرسالة المتشائمة التالية:

"إن العراقيل الناجمة عن غارات العدوّ الجوية وقصف مدفعيته ذات المدى البعيد وهجمات وحداته البحرية الخفيفة بدأت للمرة الأولى تظهر آثارها الخطيرة وليس في الإمكان إستخدام قواعد مواني اوستند Ostend ودنكرك وكاليه وبولون، بمثابه مواني‌ء لرسو السفن ليلاً بسبب أخطار القصف البريطاني من الجوّ وقذائف المدفعية عبر القنال. إن وحدات الأسطول البريطاني تتمتع الآن بحرية العمل في مياه القنال دون ان يعترضها عائق تقريباً. وبالنظر الى هذه الصعوبات التي نواجهها نرجو تأجيلاً آخر ليتسنّى لنا تجميع أسطول الغزو.

في اليوم التالي زادت الأحوال سوءً. اذ قامت وحدات خفيفة من قطع الأسطول البريطاني بصب نيران مدافعها على مرافي القنال الرئيسة المخصصة لانطلاق الغزو وهي (اوستند وكاليه وبولون وشربورگ) في حين اغرقت القوة الجوية ثمانين ناقلة جنود في ميناء (اوستند) وفي اليوم نفسه جلس هتلر في برلين الى مأدبة غداء مع قواد قواته المسلّحة العامين وكان من رأيه أن الحرب الجويّة تسير سيراً مرضياً للغاية وقال أنه لاينوي المخاطرة بالغزو[٣٠].

ومن إنطباع (يودل) عن اقوال هتلر "انه كما يبدو قد نبذ جانباً عملية أسد البحر تماماً" وهو استنتاج صائب لذلك اليوم فحسب. كما تأيّد من تغيير هتلر لرأيه هذا مرة أخرى في اليوم التالي.

وترك كل من (هالدر ورايدر) ملحوظاته الخاصّة عن إجتماع الزعيم بقوّاده العامين في برلين (١٤ أيلول)[٣١] وافلح أمير البحر (رايدر) في وضع مذكرة بيد هتلر قبل بدء الجلسة شارحاً فيها رأي الأسطول ومجمله "ان الموقف الجوّي الراهن لايسهل الظروف لتنفيذ العملية [أسد البحر] فالخطورة مازالت عظيمة جداً".

وفي مفتتح الإجتماع أظهر سيّد الحرب النازي روحاً سلبية وشابت افكاره متناقضات. وعلّق رايدر فيما دوّنه في كتاب "يوميات حرب الأسطول" إنه لايعطي الأمر بالغزو ولايلغيه "كما كان قد نوى في ١٣ أيلول حسب الظاهر".

= ثورة في بريطانيا. وكان لوسبرگ ممثل الجيش في القيادة العليا.

٣٠-يوميات هالدر للتاريخ نفسه، آسمان Assmann: Deutche schichsalsjahre الص ١٨٩-١٩٠، يوميات الحرب للقيادة العليا. إقتبسها هويتلي ص٨٢.

٣١- تقرير رايدر في [وثائق مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٠ الص ٩٨-١٠١ يوميات هالدر ١٤ أيلول.

ماهي اسباب هذا التحول الفكري الأخير؟ قام هالدر بستجيلها في تفصيل: "[يقول الزعيم] أن الإنزال الناجح الذي يليه الإحتلال من شأنه أن ينهي الحرب في وقت قصير. ستجوع إنكلترا. وليس من الضروري تنفيذ عملية الإنزال في وقت معين بالذات... إلاّ أن الحرب الطويلة أمر غير مرغوب فيه. وها اننا حققنا كل شيء أردناه."

قال هتلر "إن آمال بريطانيا بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوڤيتي ليست واقعيّة. فروسيا لاتريد ان تنزف دماؤها في سبيل بريطانيا. ولن يصبح التسلح الأمريكي فعّالاً خطيراً حتى ١٩٤٥. أما بالنسبة الى الوقت الحاضر فإن أسرع الحلول هو الإنزال في بريطانيا. إن الأسطول قد هيّأ الظروف الضروريّة. وعمليّات اللوفتوافّه تتجاوز كلّ مديح. ومناخ حسنٌ لمدة أربعة أو خمسة أيام قد يأتي بنتائج حاسمة. إن فرصتنا جيدة في ارغام إنگلترا على الركوع".

إذن ما هي العلّة؟ اين موطن الخطأ؟ لماذا اذن التردّد في تنفيذ عملية الغزو؟

المشكلة كشف عنها هتلر في ختام كلامه: "العدوّ يتماثل إلى الشفاء مرةً بعد أخرى... طائرات العدو المقاتلة لم يقض عليها نهائياً بعد. إن تقارير انتصاراتنا لاتقدم صورة يعتمد عليها اعتماداً مطلقاً وإن كان العدو قد أصيب بافدح الاضرار. وعلى العموم وبالرغم من كلّ نجاحنا. فإن الشروط التي يلزم توفرها لعملية أسد البحر لم تتحقق بعد." ثم لخّص آراءه بمايلي:

١- الإنزال الناجح معناه النصر ولاجل هذا يجب أن نؤمن التفوق الجوي.

٢- سوء الاحوال الجوية حال دون بلوغنا مرحلة التفوق الجوي لحد الآن.

٣- كل العوامل الأخرى لايعتورها نقص أو عيب.

القرار اذن: لن يصرف النظر عن العملية الآن.

وبعد وصوله الى هذه النتيجة السلبية بدأ يبني الآمال العراض على اللوفتوافّه وإمكان تحقيق النصر بها، ذلك النصر الذي استمرّ يكايده ويروغ منه في آخر لحظة. وقال "إن الهجوم الجوّي قد أحدث تأثيراً هائلاً حتى الآن. وان إقتصر تأثيره على الاعصاب بالدرجة الأولى على ما أرى. حتى لو تمكنا من احراز النصر الجوّي في عشرة أيام أو اثني عشر فان الإنگليز سيبقون يعانون انهياراً عصبياً عاماً".

ولأجل اشاعة هذه الحالة، اقترح الجنرال (يشونيك) من مرتبات القوة الجوية أن يسمح له بقصف احياء لندن السكنية لأنه لم يظهر منها بعد أي دليل على "الرعب العام" في المناطق التي تخطاها القصف من لندن. وايّد (رايدر) بحماسة بعض القصف الإرهابيّ. الاّ أن هتلر رأى الأفضل والأهم التركيز على الأهداف العسكرية وقال "يجب أن يترك الى الأخير، القصف الذي يستهدف إحداث رعبٍ عام".

ويظهر أن تحمس أمير البحر (رايدر) للقصف الإرهابي يعود بالدرجة الاولى إلى عدم تحمسه لمشروع الإنزال. وقد تدخل الآن ليؤكد المخاطر العظيمة التي تحفّ به واشار الى ان الموقف لن يطرأ

عليـه أقل تحسن قبل تـاريخي الإنزال المضروبين ٢٤-٢٧ أيـلول. ولذلك يجب التـخليّ عنهـمـا حتى الثامن من تشرين الأول أو الرابع والعشرين منه.

على ان هذا معناه صرف النظر عن الغزو نهائياً عملاً وهو ماكان هتلر يدركه. ولذلك حَكَم بإيقاف أمر الغزو الى ١٧ أيلول ليس إلاّ (أي بعد ثلاثة الأيام) إذ لربّما أمكن تنفيذ الإنزال في ٢٧ أيلول. فإن لم يتسنّ ذلك فسيفكر في تاريخي تشرين الأول المقترحين. وعلى هذا صدر أمر توجيهي من القيادة العليا.

برلين - ١٤ أيلول ١٩٤٠

سرّي جداً

... قرر زعيم ما يلي:

تأجل تأريخ الشروع بعملية أسد البحر مرة أخرى. وسيصدر أمر جديد في ١٧ أيلول. كل الاستعدادات يجب الاستمرار بها. يجب مواصلة الهجمات الجوية على لندن، والأهداف يجب أن تمتد إلى المنشآت العسكرية وغيرها من المناطق الحيوية (أعني محطات السكك الحديد وما أشبه). هجمات الإرهاب على مناطق السكن لاتستخدم إلاّ بمثابة وسائل ضغطٍ أخيرة[٣٢].

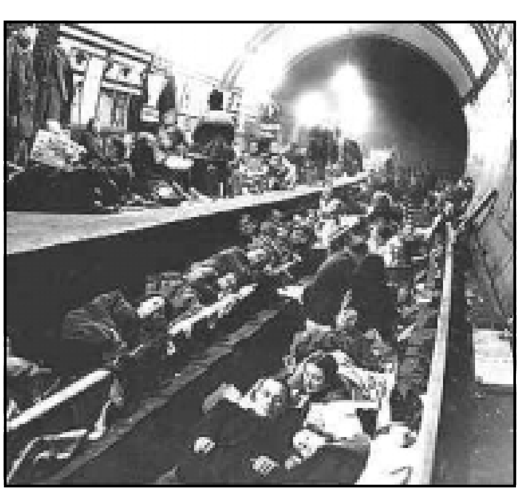
وهكذا لم يتخلّ هتلر عن الغزو وأن أرجأ القرار فيه ثلاثة أيام سيمنح اللوفتوافّه بضعة أيام أخرى للقضاء على القوة الجوية البريطانية وتحطيم معنويات لندن ثم يأمر بالغزو الذي سيأتي بالنصر الختاميّ. اذن فكلّ شيء بات يعتمد مرة أخرى على سلاح گورنگ الجويّ العملاق. والحق أنّ اللوفتوافه بذلت أقصى جهدها في اليوم التالي بالذات.

على أن رأي الاسطول بالقوة الجوية كان يزداد خيبةً بالساعات. ففي مساء يوم الإجتماع الخطير ببرلين أبلغت هيئة أركان الاسطول عن قصف شديد قامت به القوة الجوية البريطانية لكل الموانيء المعدة لانطلاق حملة الغزو من (انتورب) حتى (بولون).

"... في انتورب... وقعت خسائر جسيمة بالسفن الناقلة. عطبت خمس بواخر ناقلة في الميناء عطباً شديداً وغرقت ناقلة جنود ودمرت رافعات وانفجر قطار محمل بالاعتدة واشتعلت النيران بعدد من السقائف". وفي الليلة التالية كان الضرر أفدح وأبلغ الأسطول عن "غارات عنيفة قام بها العدو على منطقة الساحل برمتها بين (الهاڤر) وانتورب" وارسل البحارة نداء استغاثة S.O.S طالبين المزيد من الحماية الجويّة لمواني الغزو. وفي ١٧ أيلول أبلغ الأسطول ما يلي: "لم يظهر على القوة الجوية البريطانية أي أثر للهزيمة: بالعكس انها تظهر فعالية مطردة الزيادة في هجماتها على مواني‌ء القنال وفي الإخلال الكبير بحركات الإحتشاد[٣٣].

٣٢- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٠ الص ١٠٠-١٠١.

٣٣- إستناداً الى مرجع ألماني: ان القاصفات البريطانية في ١٦ أيلول باغتت تمرينا تدريبياً واسع النطاق على الغزو وأوقعت به خسائر جسيمة جداً في الرجال وسفن الإنزال مما اثار تعليقات كثيرة في ألمانيا وأنحاء أخرى من =



قصف لندن (الملاجىء في القطارات التحتية)

كـان القـمـر بـدراً في تلك الليلة جنت القاذفات الليلية البريطانية أعظم الفائدة منه وابلغ الأسطول "عن خسائر جسيمة جداً" في السفن التي باتت الآن تزحم مواني الغزو. ففي دنكرك اغرقت أو عطبت أربعة وثمانون ناقلة جنود. ومن الأضرار التي حلت بين (شربورگ ودن هلدر Den Helder) نسف مخزن عتادٍ فيه (٥٠٠) طنّ من الذخائر وانفجار مخزن تموين عسكري واحتراقه بما فيه. وغرقت زوارق طوربيد وبواخر مختلفة وقتل عددٌ كبير من الجنود. وازاء هذا القصف العنيف فضلاً عن قصف مدفعية الساحل الإنگليزي الضخمة عبر القنال تجد هيئة أركان الأسطول من الضروري بعثرة سفن النقل وقطع الأسطول وتفريقها بعد أن تمّ تجميعها في القنال وايقاف تحركات السفن في مواني الغزو. وتخلص الى القول:

"فإن لم يتمّ ذلك، وبمواصلة فعالية العدّو ستتوالى هذه الخسائر بحيث سيكون تنفيذ العملية على النطاق الذي رسم لها معضلة المعضلات على كل حالٍ[٣٤]. ولقد أصبحت معضلة قبل هذا.

في يوميّات حرب الاسطول الألماني نجد العبارة المختصرة الشديدة الدلالة في وقوعات ١٧ أيلول:

"لا أثر للهزيمة قطّ على سلاح العدو الجويّ وهو يظهر من ناحيةٍ أخرى فعالية متزايدة. إن حالة الجوّ على العموم لاتسمح لنا بتوقع فترة هدوء... **ولذلك قرر الزعيم تأجيل (أسد البحر) الى أجل غير مسمى**[٣٥].

أخيراً واجه هتلر الفشل بعد سنوات عديدة من نجاحٍ مدهش الى نجاح. وبقي التظاهر بإحتمال القيام

= أوروبا. وساد الاعتقاد ان الألمان حاولوا الإنزال فعلاً فصدهم الإنگليز او ردوهم على اعقابهم (جورج و. فويختر W. Feuchter: تاريخ الحرب الجوية Geschivhte des Luftkrieg ص١٧٦) وسمعت نبأ مماثلاً. وانا اقضي بضعة أيام استراحة في جنيف (سويسرا). وشاهدت في يومين متتالين (١٨ و١٩ أيلول) قطاري مرضى طويلين يُنزلان جنوداً جرحى في ضواحي برلين. واستنتجت من اللفائف والاربطة التي تحيط بالأعضاء ان الاصابات هي حروق. في حين لم تكن ثم حرب طوال الأشهر الثلاث المنصرمة. وفي ٢١ أيلول أيدت تقارير الاسطول الألمانية السرية بأن ٢١ سفينة شاحنة و٢١٤ ناقلة جنود (حوالي ١٢٪ من مجموع الحشود البحرية للغزو) قد دمرت او عطبت (مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية. ص ١٠٢).

٣٤- المرجع السالف (أيلول ١٨٠) اوردها هويتلي.

٣٥- مؤتمرات الزعيم في الشؤون البحرية (١٩٤٠ ص١٠٣).

بعملية الغزو في ذلك الخريف مدة شهرٍ تقريباً من هذا التأريخ إلأ انها كانت قضية ميتةً أشبه بمن يصفر في الظلام الدامس. وفي ١٩ أيلول وبصورة رسمية أمر هتلر بايقاف العمل في تحشيد اسطول الغزو المستمّر وان يجري تفريق السفن التي تمّ تجميعها لاجتياز المانش "لتنزل الخسائر في السفن التي تحدثها غارات العدوّ الجويّة الى أقلّ حَدّ ممكن".

ولكن كان أشبه شيء بالمستحيل تفريق ذلك الأسطول الجبار وكُلّ الجنود والمدافع والدبابات والذخائر ومستودعات التموين التي تمّ جمعها لعبور القنال في عملية غزو أرجئت الى أجل غير مسمّى. وهتف (هالدر) في يومية ٢٨ أيلول متأففاً "تلك هي الحالة التي آلت اليها الأمور، هذه الجرجرة المستمرة في (أسد البحر)، أمرٌ لايطاق حقاً". وكتب تشيانو عندما قابل هتلر برفقة موسوليني في (برينر) بتاريخ ٤ تشرين: "ليس ثم اي حديث عن إنزالٍ ما في الجزر البريطانية" إن فشل هتلر جعل شريكه موسوليني في اطيب حالةٍ نفسيّة لم يعرفها منذ زمن طويل. وكتب تشيانو يصفها: "ندر أن شاهدت الدوتشي في حالة من الإنشراح والغبطة... كما رأيته اليوم في ممر برينر"[٣٦].

وراح الأسطول والجيش يلحّان على الزعيم بالغاء عملية أسد البحر نهائياً وأشارت هيئة أركان الجيش العامة أن بقاء الجنود على ساحل القنال "تحت رحمة الغارات الجوية البريطانية المتواصلة يؤدي الى استمرار وقوع ضحايا منهم".

أخيراً أقرّ سيد الحرب النازي بالفشل اقراراً رسمياً في ١٢ تشرين الأول وألغى عملية (أسد البحر) بصورة مؤقتة حتى الربيع القادم وصدر أمرٌ رسمي بذلك:

سرّي جداً

مقرّ قيادة الزعيم

١٢ تشرين الأول ١٩٤٠

قرر (الزعيم) أن الاستعدادات لعملية أسد البحر ستستمر من الآن حتى الربيع للهدف الوحيد وهو ابقاء الضغط السياسيّ والعسكري على إنكلترا.

وفي حالة اعادة النظر في عمليّة الغزو أثناء ربيع أو أوائل صيف (سنة ١٩٤١)، سوف تصدر فيما بعد أوامر التهيؤ للعمليات المقتضية"..."

وأمر الجيش بفكّ ارتباط تشكيلات (أسد البحر) و"ايداعها الى واجبات أخرى، أو إستخدامها في جبهات أخرى" وأشير على الأسطول أن "يتخذ كل الاجراءات لاطلاق المراكب والسفن وتفريقها" لكن على الصنفين أن يعمدا الى تغطية أعمالهما وبيّن ان الإنكليز "يجب ان يبقوا معتقدين بأننا نتهيّأ للهجوم على جبهة واسعة"[٣٧].

٣٦- يوميات تشيانو، ص٢٩٨.
٣٧- مؤتمرات الزعيم في الشؤون البحرية سنة ١٩٤٠، ص١٠٣.



قصف المدن الألمانية

ما الذي إستجدّ من الأمور ليحمل أدولف هتلر على التسليم؟
أمران: النتيجة السيئة لمعركة بريطانيا الجوية. وإنصراف ذهنه مرة أخرى الى الشرق... الى روسيا.

-٢-

معركة بريطانيا

شنّ گورنگ (عملية النسر Adlerangriffe) هجومه الجويّ العظيم على بريطانيا في ١٥ آب والهدف هو تنظيف الجوّ من القوة الجوية البريطانية وبذلك يتحقق الشرط الذي تعتمد عليه عملية الإنزال. لم يقم اي شكّ في ذهن ماريشال الرايخ الذي اصبح الآن مفرط السمنة بالنصر التام. وفي أواسط شهر تموز بدا واثقاً تماماً بإمكان تحطيمه خط دفاع الطائرات المقاتلة البريطانية في جنوب إنگلترا ببضعة أيام في هجوم عام يستخدم فيه كل اسطوله الجويّ. وابلغ گورنگ قيادة الجيش العليا ان تحطيم سلاح الجوّ البريطاني برمّته قد يستلزم وقتاً اطول (ما بين أسبوعين وأربعة)[٣٨]. وكان رئيس سلاح الجوّ الألماني المرصّع الصدر بالأوسمة في الواقع يرى أن (اللوفتوافّه) وحدها كفيلة بارغام بريطانيا على الاستسلام وان غزو البرّ قد لايكون ضرورياً.

وللوصول الى هذا الهدف الأعظم حشد ثلاثة أساطيل جوية ضخمة (Luftflotten) اللوفتفلوتن الثاني

٣٨- كتاب المقدم فون هيسلر Von Hesler الموسوم Vorstudien zur Luftkriegsgeschichte Heft 11, Der Luftkrieg gegen England 1940 - 1941 اقتبس منه هويتلي ص٥٩. اما فترة الأسبوعين والأسابيع الأربعة المحددة فقد اعطيت لهالدر الذي ذكرها في يوميته المؤرخة ١١ تموز.

بقيادة فيلدمارشال كيسلرينگ يعمل من الأراضي المنخفضة وشمال فرنسا. واللوفتفلوتن الثالث بقيادة فليدمارشال (شبيرل) وقواعده في شمال فرنسا. واللوفتفلوتن الخامس بقيادة الجنرال (شتومف Stumpff) وقاعدته النرويج والدنمرك. ويبلغ مجموع طائرات الأسطولين الأولين الكليّ (٩٢٩) مقاتلة و(٨٧٥) قاصفة و(٣١٦) منقضة. أما الاسطول الخامس فكان أقل عدداً بكثير: فهو يملك ١٢٣ قاصفة و٢٤ مقاتلة ذات محركين من طراز مي-١١٠. يقابل هذه القوة الجبارة عدد يتراوح بين ٧٠٠ و٨٠٠ مقاتلة في السلاح الجوي البريطاني مخصصة للدفاع الجويّ عن البلاد في أوائل شهر آب.

اخذت (اللوفتوافّه) خلال شهر تموز تبتعد تدريجياً في هجماتها على السفن البريطانية في القنال والمواني الإنگليزية الجنوبية وهذه عمليّات جسٍّ وتمهيد. على انها كانت ايضاً ضرورية لتنظيف الفاصلة المائية الضيقة قبل أن يبدأ الغزو إلاّ أن الهدف الأساسي هو دفع المقاتلات البريطانية الى ميدان النزال. ففشلت الخطة اذ تحسست بها قيادة القوة الجويّة وأبت أن تقبل التحديّ بغير اعداد ضئيلة من مقاتلاتها. ونجم عن ذلك أضرار جسيمة في السفن وبعض الموانيء. واغرقت أربع مدمرات وثمان عشرة سفينة تجارية لكن هذه المناوشات التمهيدية كلفت اللوفتوافّه (٢٩٦) طائرة تحطمت كلياً و(١٣٥) عطبت جزئياً. وخسر سلاح الجو الملكي (١٤٨) مقاتلة.

في ١٢ آب، أصدر گورنگ أوامره بتنفيذ خطة (النسر) في اليوم التالي. وكمقدمة لبدء الحكاية. قُصفت محطات الرادار الاثنتا عشرة قصفاً شديداً واصيبت خمس منها اصابة مباشرة ولحقها العطب ودمرت واحدة تدميراً تاماً إلاّ ان الألمان لم يكونوا يدركون وقتذاك كم كان (الرادار) حيوياً للدفاع الإنگليزي، فلم يواصلوا هجماتهم عليها. وفي ١٣ و١٤ من الشهر اطلق الألمان حوالي (١٥٠٠) طائرة معظمها ضدّ مطارات المقاتلات الإنگليزية ومع ادعائهم بأنهم دمروا خمسة منها "تدميراً كاملاً" إلاّ أن الضرر كان في الواقع لايستحق الذكر وخسرت اللوفتوافّه (٤٧) طائرة مقابل (١٣) خسرها السلاح الجويّ الملكي[٣٩].

ووقع في ١٥ آب أول اشتباك جبار في الجوّ. قذف الألمان الى المعركة بكلّ تشكيلات اساطيلهم الجوية الثلاثة. وأطلقوا (٨٠١) قاصفة و(١١٤٩) مقاتلة من شتى الأنواع. واصيب الاسطول (اللوفتفلوتن) الخامس الذي يعمل من سكندنياڤيا بكارثةٍ ساحقة فقد بعث بثمانمائة طائرة مرة واحدة في هجمة عامة ماحقة متوقعاً أن يجد الساحل الشمالي الشرقيّ دون حماية لكن قوة منه تتألف من مائة قاصفة تخفرها (٣٤) مقاتلة من طراز مي-١١٠ ذوات المحركين فوجئت بسبعة اسراب من مقاتلات (الهاريكين وسپيتفاير) وهي تدنو من (تاينسايد Tyneside) فدقّت دقاً عنيفاً. واسقطت ثلاثون طائرة ألمانية معظمها قاصفة دون أن يتكبد المدافعون خسارة طائرة واحدة. وفي هذا كان نهاية عمل الاسطول الجويّ الخامس في معركة بريطانيا. فلم يساهم فيها قطّ.

٣٩- إدعى سلاح الجو الألماني ان خسارة بريطانيا فيها كانت (١٣٤) طائرة مقابل (٣٤). ومن ذلك التاريخ راح الجانبان يبالغان مبالغات هائلة في الخسائر التي يلحقها احدهما بالآخر.

وكان الألمان في جنوب فرنسا أكثر نجاحاً ذلك اليوم. اذ شنوّا أربع هجمات عنيفة. تمكنت احداها من بلوغ لندن تقريباً. وقصفت أربعة مصانع للطائرات في كرويدن Croydon واوقعت بها اصابات مباشرة. وبلغ مجموع ما فقده الألمان خمساً وسبعين طائرة مقابل أربع وثلاثين فقدها سلاح الجوّ البريطاني[٤٠] ولم يكن أمل الألمان رغم التفوق العددي الساحق كبيراً في طرد سلاح الجوّ بهذه النسّبة من الخسائر.

وهنا ارتكب گورنگ أولى غلطتيه السوقيتين. كانت براعة قيادة سلاح المقاتلات البريطانية في توجيه إسرابها في ميدان المعركة ضد تشكيلات مهاجمة تفوقها تفوقاً عددياً ساحقاً، انما يرتكن على إستخدامهم الحاذق جهاز الرادار. فالطائرات الألمانية كانت تظهر على ستارة الرادار حالما تحلق من قواعدها في غرب أوروپا. ثم يعود الجهاز لتحديد مسراها واتجاهاتها بصورة دقيقة. وبهذا تعيّن قيادة المقاتلات المكان والزمان الأفضل للاشتباك بها. فكان حدثاً جديداً في عالم الحرب حيرّ الألمان الذين تخلفوا كثيراً عن البريطانيين في تطوير واستعمال هذا الاختراع الاليكترونيّ.

ذكر الطيّار المقاتل الألماني الأشهر ادولف گالاند Adolf Galland في شهادة له فيما بعد الحرب:

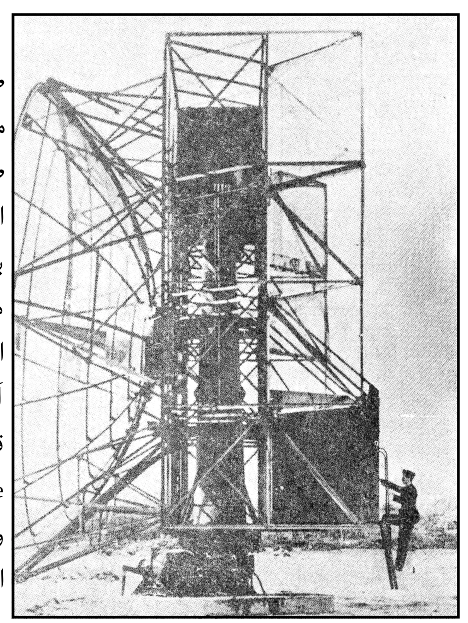
"ادركنا أن اسراب سلاح المقاتلات البريطاني يسيرّ من الأرض بطريقة جديدة خفيت عنّا. لأننا كنّا نلتقط الأوامر الموجهة بدقة وبراعة الى مقاتلات الهاريكين والسپيتفاير لمنازلة التشكيلات الألمانية... وكان الرادار ومراكز مراقبة المقاتلات التوجيهيي مفاجأة لنا... واي مفاجأة مريرة[٤١].

مع ذلك لم يستمرّ الهجوم على محطات الرادار البريطانية الذي بدأ في ١٢ آب عنيفاً للغاية واحدث اضراراً فادحة بها. وكان اول يوم من أيام الهزائم الكبرى التي مني بها گورنگ. فقد أمر بايقاف الهجوم عليها ايقافاً نهائياً. قائلاً: "من المشكوك فيه توقع اي نفعٍ من مواصلة الهجوم على محطات الرادار. لم تتوقف واحدة منها عن عملها حتى الآن."

أما العامل الثاني الذي أنجح الدفاع الجويّ فوق جنوب إنگلترا فهو مراكز القطاعات. وهي عبارة عن جهاز عصبيّ تحت الأرض توجه منه طائرات الهاريكين والسپيتفاير بالراديو التلفوني وتُرسل الأسراب الى المعركة بناءً على آخر المعلومات التي تتلقاها عن الرادار بواسطة مراكز الرقابة الأرضية ومن الطيارين المحلقين في الجوّ. جاء في إفادة (گالاند) أن الألمان كانوا يسمعون وسوسةً مستمرة تملأ موجات الأثير تتبادلها مراكز القطاعات والطيارون المحلقون في الجوّ. فبدأوا بالأخير يفهمون اهمية تلك المراكز الأرضية. وفي ٢٤ آب انتقل سلاح الجو الألماني الى محاولة تدمير مراكز القطاعات. وكان يوجد منها سبعة في المطارات المحيطة بلندن وهي ذات أهمية لاتحدّ لحماية جنوب إنگلترا والعاصمة نفسها. فكانت ضربة شديدة مباشرة على الدفاع الجويّ البريطاني الحيويّ.

٤٠- صدر بلاغ رسميّ في لندن ذلك المساء يفيد اسقاط (١٨٢) طائرة ألمانية وإحتمال تدمير (٤٣) طائرة أخرى. وهذا ما انعش الروح المعنوية الإنگليزية كثيراً بصورة عامة. ورفع من معنويات طياري المقاتلات البريطانية بصورة خاصة.

٤١- ادولف گالاند: "الأول والأخير" ص٢٦. كذلك من استجوابه: اقتبسه ويلموت Wilmot في: "الكفاح لاجل أوروپا" ص٤٤.



الرادار الأول (إنگـلترا)

كانت المعركة تبدو حتى ذلك اليوم في غير صالح اللوفتواڤه. وفي ١٧ آب فقد ٧١ طائرة مقابل ٢٧ خسرها سلاح الجو البريطاني. وكانت طائرة (شتوكا) المنقضة التي مهدت سبيل انتصارات الجيش الألماني في پولندا والغرب اشبه بالبطة الجاثمة لبطئها الشديد فسحبها گورنگ في هذا اليوم من ميدان المعركة وانقصَ تشكيلات الهجوم ثُلثاً. وخيم الهدوء خمسة أيام (١٧-٢٣ آب) بسبب سوء الأحوال الجوية. وبتاريخ ١٩ آب قام گورنگ في قصره الفخم (بكارينهاله Ka-rinhalle) القريب من برلين بتحليل عامٍ للموقف وأمر أن يركز سلاح الجوّ هجماته على القوة الجوية الملكية فقط حالما يتحسّن الطقس وقال "بلغنا مرحلة حاسمة في حربنا الجوية ضدّ بريطانيا. ومهمتنا الأساسية الآن هي دحر قوة العدو الجويّة وهدفنا الأول تدمير مقاتلات العدو(٤٢).

وراح الألمان اعتباراً في ١٤ آب حتى ٦ أيلول يرسلون مايزيد معدّله عن ألف طائرة يومياً لبلوغ هذا الهدف. وهذه المرة الوحيدة التي اصاب بها ماريشال الرايخ كبد الحقيقة، وهي ان معركة بريطانيا دخلت مرحلتها الحاسمة. ومع أن طياري المقاتلات البريطانية قد ادركهم إرهاق شديد لما عانوه طوال شهر من خوض عدة معارك في اليوم الواحد الاّ انهم أبدوا بسالة خارقة وبدأ التفوق العددي الألماني يحدث أثره... اصيبت خمسة مطارات للمقاتلات تقع في الخط الدفاعي الأمامي لجنوب إنگلترا باضرارٍ جسمية ومما زاد في الطين بلّة اصابة ستة من اصل سبعة مراكز قطاعات رئيسة باصابات بالغة على أثر قصف عنيف واصبح نظام الارتباط كلّه على شفا الدمار الذي يهدد بريطانيا بالكارثة.

والأنكى من هذا أن الخسائر التي حاقت بالطائرات بدأت تظهر نتائجها في متانة دفاع المقاتلات. اذ فقد في الأسبوعين المنحصرين بين ٢٣ آب و٦ أيلول (٤٦٦) مقاتلة بين محطمة او معطوبة عطباً شديداً وكانت خسائر الألمان في تلك الفترة أقلّ من ذلك (وان جهل الجانب البريطاني في حينه) فقد خسروا (٣٨٥) طائرة فقط بينها (٢١٤) مقاتلة و(١٣٨) قاصفة. أضف الى هذا أن سلاح الجوّ الملكي فقد (١٠٣) طيارين قتلوا و(١٢٨) طيّاراً اصيبوا بجراح بالغة. وهذا رُبع مجموع الطيارين العاملين.

٤٢- هيئة أركان حرب الجو العامة: "نص الأمر الذي اعطاه گورنگ في هذا المؤتمر. هويتلي ص٧٣.

وكتب چرچل فيما بعد يقول: "إن ميزان التكافؤ قد هبط في غير صالح قيادة المقاتلات... وكان القلق عظيماً جداً". ولو مرت أسابيع قلائل على هذه الحال لتمزق دفاع بريطانيا الجويّ شرّ ممزق ولنجحت عملية الغزو حتماً.

هنا وعلى حين غرة، أرتكب گورنگ خطأه السَّوقي الثاني وهو يوازي بآثاره خطأ هتلر في ايقافه هجوم الدروع على دنكرك في ١٤ أيار، وبذلك نجا سلاح الجو الملكي المهشم وكان واحدة من نقاط التحول الكبرى في اول معركة جويّة عظيمة في تاريخ الحروب.

وفي أثناء ما كان دفاع المقاتلات البريطاني يرزح تحت ثقل هذه الخسائر في البرّ والجوّ، وهي الضربات التي ماكان في وسعه الصمود امامها مدة طويلة، تحوّل سلاح الجوّ الألماني بهجماته في ٧ أيلول – الى خطة القصف الليلي الواسع النطاق للندن. وبهذا اتاح الفرصة لمقاتلات سلاح الجوّ البريطاني للتحامل على نفسها وامهلها للوقوف على قدميها فنجت.

لكن ماذا حدث في المعسكر الألماني ليؤدي الى هذا التغيير في التاكتيك الذي كان له أسوأ النتائج على مطامع هتلر وگورنگ؟ في الجواب غرابة:

في المبدأ حصل خطأ ملاحي صغير جداً، لدى طياري اثنتي عشرة قاصفة ألمانيّة كانوا قد توجهوا في ليلة ٢٣ آب لالقاء حمولتهم من القنابل على مصانع الطائرات ومستودعات الزيت في ضواحي لندن فاخطأوا الهدف والقوا بقنابلهم في قلب العاصمة فدمرّوا عدداً من المنازل وقتلوا بعض المدنيين وحسب البريطانيون العَمَل مقصوداً. فقصفوا مدينة برلين في مساء اليوم التالي على سبيل المقابلة بالمثل.

ولم توقع الغارة ضرراً كبيراً فقد وقفت الغيوم الكثيفة التي كانت تغطي سماء برلين تلك الليلة حائلاً دون وصول أكثر من نصف التشكيلة البريطانية المهاجمة الى اهدافها (عدد الطائرات المغيرة ٨١) وكانت الخسائر المادية لاتستأهل الذكر الاّ أن التأثير المعنوي على الألمان كان هائلاً فهذه هي المرة الأولى التي تشهد برلين غارة جوية.

كتبتُ في مذكراتي في اليوم التالي (٢٦ آب) مايلي "كانت صدمة عنيفة لاهالي برلين، اذ ماكانوا يتصورون حصول ذلك لأن گورنگ اكد لهم في بداية الحرب أنه مستحيل... فآمنوا بقوله" وكانت خيبتهم أمرّ وأدهى. ماعليك الاّ أن تتفرس في الوجوه لتقيس مداها".

كان دفاع برلين الجويّ محكماً فقد أُحيطت بحلقتين جبارتين من المدفعية المضادة للطائرات واستمرت هذه البطريات تطلق قذائفها الى الجوّ بدون انقطاع ثلاث ساعات بينما كانت الطائرات المغيرة تئز أزيزاً فوق السُّحب التي حالت دون اختراق الاضواء الكاشفة لمئات البطاريات ذلك الحجاب الكثيف وكشف الطائرات وكانت النار الأرضية من أعنف مارأيت لكنها لم تصب طائرة واحدة والقى البريطانيون نشرات جاء فيها: "هذه الحرب التي بدأها هتلر ستستمر، وستبقى ما بقي هتلر". كان هذا دعاية جيدّة. إلاّ أنّ صدى انفلاقات القنابل كان أجود منها.

ثم أقبل سلاح الجوّ الملكي بقوة أكبر في ليلة ٢٩/٢٨ آب. وقد نوهت بهذه الغارة في مفكرتي

فقلت "انها قتلت ألماناً لأول مرة في عاصمة الرايخ" وكان بلاغ السلطات عن عدد اصابات: عشرة من القتلى وتسعة وعشرين جريحاً. وسخط قادة النازي سخطاً شديداً. وبعد أن أمر گوبلز صحفه ألاّ تكتب أكثر من بضعة أسطر عن الغارة الأولى عاد اليوم يوجه تعليماته للتنديد "بوحشية" الطيارين الإنگليز بغارتهم على النساء والاطفال العزّل في برلين وخرج معظم الصحف اليومية في العاصمة بعناوين مشابهة لهذه الأنباء. "هجوم بريطاني جبان" وبعد ذلك بيومين على أثر غارة ثالثة كنت تجد العنوان التالي:

"قراصنة الجوّ البريطانيون في سماء برلين!"

وبالرجوع الى مذكراتي وجدت اني قد دونت في ١١ أيلول: "إن التأثير الأعظم للقصف الليلي البريطاني المستمر طوال الأسبوع الماضي قد اشاع كآبة وخيبة عظيمتين بين الناس وغرس بذور الشك في رؤوسهم... في حين لم يكن القصف عنيفاً حقاً، وكان الأول من أيلول، يوم الذكرى الأولى للحرب. ولم تفتني ملاحظة حالة الشعب النفسيّة. دعك من ارهاقهم العصبي المتأتي من حرمانهم النوم وفزعهم من الغارات الجوية المفاجئة وقصف المدافع الأرضية المهول وقلتُ:

"في هذه السنة حقق الألمان بقوة سلاحهم - انتصارات لاتسمو اليها اية انتصارات نالها هذا الشعب العسكري العدواني في ألمع فترة من تاريخه الحربي. مع هذا فالحرب لم تضع اوزارها بعد ولم يتم ربحها ونحو هذا الاتجاه انصرفت اذهان الناس وتركزت في هذا اليوم. انهم مشوقون الى السلم، يريدونه قبل حلول الشتاء".

ولم يجد هتلر مناصاً من توجيه خطاب اليهم في ٤ أيلول بمناسبة بدء حملة معونة الشتاء Winterhilfe. في (سبورتپالاست) واخفى سرّ ظهوره للناس الى آخر لحظة. وهذا يعود الى الخوف من انتهاز العدو الفرصة ليغير مستتراً بالغيوم ويوقع الخلل بالإجتماع العام على أنه تمّ في عصر اليوم قبل حلول الظلام بساعة واحدة.

ندر أن وجدت الدكتاتور النازي متهكماً وأكثر ميلاً لما يعتبره الألمان مزاحاً ودعابة وهو بالأصل جَهم بعيد عن ميدان النكتة فنعت چرچل "بالمراسل الحربيّ المشهور". واما عن ذاك الشخص المسمى (دَفّ كوپر Duff Cooper) "فليس ثم وصف باللغة الألمانية السائدة ينطبق عليه، إلاّ أن للباڤاريين كلمة ينعت بها امثال هذا الرجل نعتاً دقيقاً وهي: كرامفهنه Krampfhenne التي يمكن ترجمتها بالدجاجة العصبيّة العجوز.

"إن هذيان مستر چرچل او مستر ايدن (والاحترام لكبار السن يمنعني من ذكر مستر چمبرلين) لاتعني شيئاً عند الشعب الألماني وهي على أحسن تقدير تثير ضحكاتهم".

وراح هتلر يدفع سامعيه (ومعظمهم ممرضات وخادمات إجتماعيات) الى القهقهة والهتاف الحماسي. وكان يواجه مشكلة الاجابة على سؤالين هما أعظم مايشغل الشعب الألماني: متى يشرع في غزو بريطانيا، وماهي التدابير التي اتخذت ضد القصف الليلي لبرلين وغيرها من مدن ألمانيا؟

وقد أجاب عن الأول: "في إنگلترا الناس يملاؤهم حب الاستطلاع. وهم لايفتأون يتساءلون: لماذا لم يأت؟ صبراً... صبراً. انه لقادم! انه لقادم!" ووجد السامعون هذه النكتة مضحكة جداً، كما اعتقدوا انها وعداً جازماً بالغزو. أما عن القصف الليلي فقد بدأ كما هو معهود فيه بتزييف الحقائق، وانتهى بتهديد صاعق:

"الآن... يفضح مستر چرچل دماغه الصبياني بالغارات الجوية الليلية. ان مستر چرچل لايلجأ الى هذه الغارات لأنها تحقق نتائج كبيرة. بل لأنّ قوته الجوية لاتتمكن من التحليق فوق ألمانيا في رائعة النهار... بينما كانت طائرات ألمانيا تحلق فوق الاراضي الإنگليزية كُلّ يوم... كلما لمح الإنگليزي نوراً او بصيصاً القى قنبلة... على الاحياء المأهولة وعلى الحقول والقرى".

ثم يأتي دور الوعيد: "بقيت ثلاثة أشهر لا أردّ عليهم. لاعتقادي أن مثل هذا الجنون سيكون له نهاية. ففهم مستر چرچل سكوتي دليل ضعفٍ وخور. وها نحن الآن نجيب كل ليلةٍ بليلة... واذا ما القت القوة الجوية البريطانية الفي كيلوغرام او ثلاثةً او أربعة آلاف من القنابل فسنلقي في ليلة واحدةٍ مائة وخمسين الفاً بل مائتين بل ثلاثمائة ألف بل أربعمائة ألفٍ."

ودونت في مذكراتي أن هتلر اضطر الى التوقف عن القاء خطابه عند هذه العبارة بسبب الهتاف الحماسي الذي رددته سامعاته النسوة الألمانيات.

ثم استمر يقول: عندما يصرحون بأنهم سيزيدون من هجماتهم على مدننا. فسوف ندكّ مدنهم دكاً ونسويها بالقاع" وهنا لاحظت الفتيات وقد كدن يخرجن عن وعيهّن ورحن يهتفن بجنونٍ. وعندما ثبن الى رشدهّن أضاف يقول: "سنوقف العمل الأنيق الذي يقوم به هؤلاء قراصنة الليل الجويين. وليكن اللهّ في عوننا". وعندما سمعت الفتيات الألمانيات ذلك "نطَطْنَ على اقدامهنّ وصحن بالموافقة التامة! ونهودهن تعلو وتهبط انفعالاً".

وختم هتلر خطابه بالقول: "ستحين الساعة عندما يهزم أحدنا. ولكن ليس ألمانيا القومية الإشتراكية أبداً!"

وهنا عقبت في مذكراتي: "رفعت الفتيات الألمانيات المنفعلات رؤوسهن الى الحَدّ الذي سمح لهن باطلاق عقائرهن بصرخات داوية فرحة بنغمة واحدة "ابداً... ابداً... ناين ناين!". وفي روما أصغى تشيانو الى اذاعة للخطاب مسجلة بعد ساعات من إلقائه فأقر بأنه أسلمه الى الحيرة وعلق مستنتجاً: "لابدّ وانه كان منفعلاً"[٤٣].

كان انفعاله عاملاً من عوامل اتخاذه القرار النحس بتحويل هجمات اللوفتوافّه الفاجعة النهارية عن السلاح الجويّ الملكي الى قصف عنيف واسع على لندن وكان قراراً سياسياً فضلاً عن كونه قراراً عسكرياً. اتخذ من جهةٍ انتقاماً لقصف برلين وغيرها من المدن الألمانية (وهو شيء تافه عند مقارنته بما أحدثته اللوفتوافه في المدن الإنگليزية)، وكذلك لتحطيم ارادة الإنگليز واستمراريتهم في المقاومة

٤٣- يوميات تشيانو ص٢٩٠.

بدكّ عاصمتهم دكاً. فإن نجحت الخطة (وهو ما لم يكن يشك فيه هتلر وگوبلز) فلن يعود للغزو ضرورة.

ولهذا بدأ الهجوم الجويّ العظيم على لندن في ساعةٍ متأخرة من عصر ٧ أيلول وقذف الألمان كما رأينا بـ(٦٢٥) قاصفة و(٦٤٨) مقاتلة. ووصلت في الساعة ٥ ب.ظ السبت أول موجة وكانت تتألف من (٣٢٠) قاصفة يخفرها كل ماتسنّى للألمان حشده من مقاتلات. وحلقت فوق نهر التيمس وبدأت تنفض حمولتها من القنابل على مستودع سلاح ولوويش Woolwich Arsenal ومختلف مصانع الغاز ومحطات الكهرباء والمستودعات واميال بعد أميال من ارصفة السفن وسرعان ما اصبحت المنطقة كلها كتلة من النيران. وفي إحدى مناطق العاصمة سلڤرتاون Silvertown أحاطت النيران بالأهلين وحصرتهم فتمّ اخلاؤهم بطريق النهر. وفي الساعة ٨,١٠ مساءً بعد حلول الظلام، وصلت الموجة الثانية من القاصفات بتشكيلة بلغت مائتين وخمسين وواصلت الهجوم الذي إستمر دون انقطاع حتى فجر الأحد في الساعة ٤,٣٠، وتجددّ الهجوم في الساعة ٧,٣٠ من المساء التالي بمائتي قاصفة. واستمر طول الليل وبلغ عدد القتلى (٨٤٢) وجرح (٢٩٤٧). حسبما اورده المؤرخ البريطاني الرسمّي. وفي هاتين الليلتين الأوليين وقع أفدح الضرر بالمدينة البائسة[٤٤]. واستمرت الهجمات طوال الأسبوع التالي ليلة بعد أخرى[٤٥].

وقررت اللوافتوافه التي اسكرها النصر (او هذا ما توهمته) القيام بغارة نهارية عظيمة على العاصمة المتقوضة المحترقة فكانت فاتحة لإحدى معارك الحرب الفاصلة في نهار الأحد ١٥ أيلول.

ظهر في سماء القنال ظهراً زهاء مائتي قاصفة ألمانية يخفرها زهاء (٦٠٠) مقاتلة واتجهت الى لندن. وكانت قيادة المقاتلات ترقب حركة التشكيلات المهاجمة وهي تتجمع فوق اجهزة رادارها فتأهبت لها واعترضت اسراب المقاتلات سبيل الألمان قبل بلوغهم العاصمة. واذا كان بعض التشكيلات قد انسلّ الى سمائها فإن معظم طائرات الموجة تبعثرت في الجوّ وتم اسقاط عدد كبير منها قبل ان يتسنىّ لها القاء قنابلها. وبعد هذا بساعتين عادت تشكيلة أخرى تفوقها عدداً فطوردت واندحرت ومع أن البريطانيين إدعوا اسقاطهم (١٥٠) طائرة ألمانية فإن الرقم الحقيقي الذي علم فيما بعد من وثائق برلين، كان أقلّ منه بكثير، وهو (٥٦) من بينها (٣٤) قاصفة ولم يخسر سلاح الجوّ البريطاني غير (٢٦) طائرة.

كشف هذا اليوم عن عجز سلاح الجوّ الألماني التام في القيام بغارة ناجحة كبيرة فوق بريطانيا بعد أن أعطى مهلةَ أسبوع لسلاح المقاتلات البريطاني يستفيق فيها من ضربته الأولى. وتبعاً لذلك بات نجاح اي عملية إنزال ضعيف الإحتمال. ولذلك كان الخامس عشر من أيلول نقطة التحول أو النقطة

٤٤- انظر ت. هـ. اوبراين (الدفاع المدني) وهو مجلد من مجلدات التاريخ البريطاني الرسمي للحرب العالمية الثانية باشراف الاستاذ جي. ر. م بتلر. طبع في مطبعة الحكومة.

٤٥- في ذلك الوقت لم تكن وسائل الدفاع الليلي قد اتقنت ولذلك كانت خسائر الألمان طفيفة.

الحاسمة في معركة بريطانيا كما حكم عليها چرچل فيما بعد.

وفي اليوم التالي غيّر گورنگ تاكتيكه فلم يستخدم القاصفات لالقاء القنابل في النهار، بل جعلها شركاً للمقاتلات البريطانية تجتذبها الى المعركة وفاخر بقوله أن "مقاتلات العدو سيقضى عليها لامحالة خلال أربعة أيام أو خمسة"(٤٦)، على أن هتلر وقادة الجيش وامراء الاسطول كانوا أدرى بالحقيقة. فبعد مرور يومين على المعركة الجوية الفاصلة قام هتلر في ١٧ أيلول بارجاء عملية (أسد البحر) الى اجل غير مسمّى.

قدر للندن أن تدق دقاً مريعاً طوال سبع وخمسين ليلة (من ٧ أيلول حتى ٣ تشرين الثاني) بمعدل يومي قدره مائتا قاصفة حتى أيقن چرچل كما أقر فيما بعد، بأن المدينة ستصبح في فترة قصيرة ركاماً من الأنقاض. وقدر لمعظم المدن البريطانية وعلى رأسها كوڤنتري Coventry ان تمنى بافدح الكوارث في فصلي الخريف والشتاء. إلاّ أن المعنويات البريطانية لم تصب بأي انهيار ولم يعترِ الإنتاج الحربي نقص كما كان هتلر يتوقعه لامحالة بالعكس فقد ضاعفت مصانع الطائرات الإنكليزية مجهودها رغم كونها من أولى الاهداف التي قصدها العدو وفاق انتاجها من الطائرات انتاج ألمانيا فبلغ في ١٩٤٠ (٩٩٢٤) طائرة مقابل (٨٠٧٠) طائرة ألمانية وكانت خسائر هتلر في القاصفات فوق إنگلترا جسيمة للغاية ولم يستطع اللوافتواقّه التعويض عما فقدته تعويضاً كليا. والواقع انها كما اوضحت الوثائق السرية الألمانية - لم تنهض من سقطتها وتصحو من الضربة التي دهتها في اجواء بريطانيا أيام الصيف الأخيرة وفي الخريف.

وبات الأسطول الألماني بعد الخسائر التي تكبدها في سواحل النرويج، كسيحاً عاجزاً عن توفير القوة البحرية اللازمة لغزو بريطانيا كما دأب أمراؤه على الاعتراف وبدون التفوق الجويّ كان الجيش الألماني عاجزاً عن عبور المانش الضيق جداً. للمرة الأولى في مجرى الحرب نجد هتلر يتوقف، وخططه تمنى بالفشل في فتح جديدٍ، الفشل في اللحظة التي كان موقنا بأنه حقق النصر النهائي.

لم يكن متوقعاً (لا أحد غيره كان يتوقع) أن معركة فاصلة قد تتقرر في الجوّ. كذلك لعله لم يدرك بعد - والشتاء الكئيب يزحف فوق أوروپا - بأن حفنةً من طياري المقاتلات البريطانية حافظوا بدحرهم القوات الغازية على إنگلترا لتبقى قاعدةً مكينة تستعمل لإعادة فتح القارة من جهة الغرب فيما بعد. على أن افكاره كانت قد اتجهت رغم أنفه الى جهة أخرى... وسنرى أنها كانت متجهة منذ زمن الى تلك الناحية.

ونجت بريطانيا. ظلّت هذه البلاد حوالي ألف سنة تعتمد في الدفاع عن كيانها على قوتها البحرية. وفي الوقت المناسب تحسس زعماؤهما بل قلّة ضئيلة منهم، بأن القوة الجوية باتت عاملاً حاسماً في منتصف القرن العشرين وأن الطائرة المقاتلة الصغيرة وقائدها هما الدرع الأساس في الدفاع. ادركت هذه القلة ذلك رغم كلّ العثرات خلال فترة مابين الحربين مما امتلأت به هذه الصفحات. وقال چرچل في

٤٦- ملاحظات عن مؤتمر گورنگ مع قواده الجويين ١٦ أيلول. اقتبسها هويتلي ص٨٧.

خطبة محجّلة أخرى ألقاها في مجلس العموم بتاريخ ٢٠ آب عندما كانت نيران المعركة متأججة في السماء ونتائجها غامضة.

"لم يحدث في تاريخ ميدان الصدام البشري أن كان هذا العدد الكبير من الناس مديناً بهذا المقدار الكبير الى هذا العدد الصغير جداً."

-٣-

لو نجح الغزو؟

لن يكون إحتلال النازيين الألمان بريطانيا، عملاً مهذباً، رقيقاً والأوراق الألمانية السرية المستولى عليها لاتدع مجالاً للشكّ في هذا مطلقاً. ففي ٩ أيلول وقع براوختش قائد الجيش العام أمراً يقتضي فيه "ان كلّ الذكور القادرين على العمل بين سن السابعة عشرة والخامسة والأربعين [في بريطانيا] يجب ان يعتقلوا ويرحّلوا الى القارة إلاّ اذا تطلب الوضع المحلي القيام بإستثناءات ضرورية". وصدرت تعليمات بهذا الشأن وأرسلها مدير التموين والذخيرة العام في القيادة العليا للقوات المسلحة الى الجيشين التاسع والسادس عشر المعبأين للغزو بعد صدور أمر براوختش ببضعة أيامّ. لم يقم الألمان في اي بلاد محتلة، حتى ولا في پولندا، بهذه الخطوة الوحشية لقد كان عنوان تعليمات براوختش: "أوامرٌ بخصوص تنظيم وادارة الحكومة العسكرية في إنگلترا" وقد خاضت في تفاصيل كثيرة مختلفة ويظهر أنها صيغت لتضمن النهب المنظم للجزيرة واشاعة الإرهاب في ساكنيها. وألفت "هيئة اقتصاد عسكرية خصوصية – لإنگلترا" في ٢٧ تموز لتحقيق الهدف الأول. أي المصادرة الفورية. وتشمل كل شيء عدا أثاث المنازل المعتاد ويؤخذ عدد من الرهائن. وكل من يلصق إعلاناً أو لافتة لاتعجب الألمان يعرض نفسه للاعدام فوراً وتنزل العقوبة عينها باولئك الذين يمتنعون عن تسليم السلاح واجهزة الراديو خلال أربع وعشرين ساعة.

إلاّ ان الإرهاب الحقيقي سيكون من تدبير هملر والحرس الأسود. ولهذا انيط الأمر برجال أمن الرايخ المركزي الذين يرأسهم هيدريخ هؤلاء الذين طبقت الآفاق شهرتهم وسمعتهم الرهيبة[٤٧]. وكان الرجل الذي عين للإشراف على فعالياتها في لندن المدعو العقيد البروفسّر دكتور فرانز سيكس Dr Franz Six التابع للحرس الأسود، من فصيلة رجال العصابات المثقفين العجيبة الذي اجتذبته في أيام النازي الأولى الخدمة في شرطة هملر السرية، فترك وظيفته كعميد لكليّة الاقتصاد في جامعة برلين والتحق بدائرة أمن (هيدريخ) حيث اختص "بالشؤون العلمية" وهو الجانب الأكثر شذوذاً الذي يُضفي سحراً وغموضاً على (هاينريخ هملر) ذي العوينات واتباعه الشقاة. وأنّ ما نجا منه الشعب البريطاني بعدم

٤٧- وتدعى اختصاراً R.S.H.A: من Reichssicherheitah auptamt (دائرة أمن الرايخ المركزية) التي اصبحت مسيطرة على الحرس الاسود كما مرّ بنا عام ١٩٣٩ ومشرفة على الگشتاپو والشرطة الجنائية ومديرية الأمن SD.

وصول (دكتور سيكس) الى بلادهم يمكن أن يؤخذ عنه فكرة من اعماله التالية في روسيا حيث نشط في فرق الحرس الأسود المسماة Einsatzgruppen الذين مهروا في تنظيم المجازر الجماعية هناك. وكان من جملة ما تخصص به الاستاذ هو إنتقاء، القوميسارين السياسيين السوڤييت وارسالهم الى الآخرة[٤٨].

أظهرت سجلات هذه الدائرة (R.S.H.A) المستولى عليها أن گورنگ أمر هيدريخ في (١) آب بأن يشرع في العمل: إن على الرجال امن الحرس الأسود والشرطة السرية (SD) أن "يبدأوا بنشاطهم حال قيام عملية الغزو وفي الوقت نفسه لأجل وضع اليد ومكافحة العدد الكبير من المؤسسات المهمة والجمعيات المعادية لألمانيا في إنگلترا - بصورة فعالة."

وفي ١٧ أيلول وهو اليوم الذي جعلته غرائب الصدف ومضحكاتها موعد قيام هتلر بتأجيل الغزو الى امد غير معلوم. عُيّن الاستاذ الدكتور (سيكس) رسمياً في وظيفته بإنگلترا بأمر من (هيدريخ) وابلغ بما يلي: "مهمتك أن تحارب بكلّ ما لديك من وسائل كُلّ المنظمات المناهضة لألمانيا والمؤسسات والجماعات المعادية التي يمكن وضع اليد عليها في إنگلترا، للحيلولة دون رفع كل الموادّ التي تحتويها ولاجل تركيزها وحمايتها للاستغلال في المستقبل... واني اخولك بتشكيل فرق العمل الخاص Einsat Zgruppen في اجزاء أخرى من بريطانيا العظمى حسبما يتطلب الموقف وتقضي به الضرورة" على شكل مجموعات صغيرة.

والواقع هو أن (هيدريخ) كان قد ألّف في شهر آب ستّ قيادات لرجال أمنه في بريطانيا تزاول اعمالها مقراتها بلندن وبريستول وبرمنگهام Birmingham وليڤرپول Liverpool ومانچستر Manchester وأدنبره Edinburgh: أو گلاسكو إن تبين لهم أن جسر فورث Forth قد نُسف. ومهمتهم ممارسة الإرهاب النازي. وفاتحة اعمالهم القاء القبض على كل من ادرج اسمه في قائمة "التفتيش الخاصّة: ببريطانيا العظمى". التي نظمها باهمال واستعجال في شهر أيار، الشخص المدعو (ڤالتر شللنبرگ) وهو خريج جامعة آخر، من غرانيق هملر ومجرميه المتألقين في سماء الجريمة. وكان حينذاك مدير (المكتب الرابع: Amt 4 E) لمكافحة التجسس التابع (لدائرة أمن الرايخ المركزية: R.S.H.A) أو هذا ما ادّعاه فيما بعد. على انه كان في تلك الفترة مشغولاً في الغالب في عاصمة البرتغال لشبونه لانجاز المهمة العجيبة مّهمة اختطاف (دوق وندسور).

كانت (قائمة التفتيش الخاصة ببريطانيا العظمى - Die sonderfah G. B Mdungsliste) من بين وثائق "الغزو" الأدعى الى الضحك والتسلية التي وجدت ضمن أوراق (هملر) وإن لم يقصد بالطبع أن تكون هناك بل في محل آخر. وهي تتضمن (٢٣٠٠) إسماً لوجوه القوم وزعمائهم في بريطانيا العظمى (وليسوا كلهم إنگليز). هؤلاء وجد الگشتاپو اعتقالهم الفوري ضرورياً. واسم چرچل فيها الى جانب أعضاء وزارته طبعاً وغيرهم من الساسة المعروفين الشهيرين من جميع الأحزاب وفيها رؤساء التحرير

٤٨- أدين دكتور (سيكس) ١٩٤٨ في نورمبرگ كمجرم حرب وحكم بالسجن عشرين عاماً لكن اخلي سبيله في ١٩٥٢.

الكبار، والناشرون والمكاتبون ومن بينهم مُراسلا التيمس السابقان في برلين (نورمان ايبوت Norman Ebutt) و(دوگلاس ريد Douglas Reed) اللذان كانا يرسلان من التعليقات مايسيء الى النازيين. وكان الاهتمام بالمؤلفين الإنگليز خاصاً. والغريب انه لم يعثر على اسم (برناردشو) في القائمة إلاّ أن اسم (اچ. جي. ويلز) كان موجوداً مع جمهرة من الكتاب امثال فرجينيا وولف Virginia Woolf، وي.م. فورستر E. M. Forster والدوس هكسلي Aldous Hixley و جَي. ب. پربستلي J.B. Pricstley وستيفن سبندر Stephen Spender وس. پ. سنو C. P. Snow، ونوئيل كاوارد Noel Coward وربيكا وست Rebecca West وسير فيليب گيبس Sir Philip Gibbs ونورمان آنجل Norman Angell ولم تستثنِ الباحثين والادباء فأوردت القائمة اسماء گلبرت موري Gilbert Murray وبرتراند رسل Bertrand Russell وهارولد لاسكي Harold Laski وبياترس ويب Beatrice Webb وجَي. ب. إس. هالدين J. B. S. Haldane

وكان الگشتاپو ينوي ايضاً استغلال فترة وجوده في إنگلترا لالقاء القبض على اللاجئين الألمان والاجانب ووجد في القائمة اسماء بادورويسكي Paderewskei وفرويد Freud[٤٩]. وحايم وايزمان. فضلاً عن الرئيس الجيكوسلوڤاكي (پنيش) و(يان مازاريك) وزير الخارجية. من أعضاء الحكومة الچيكية في المنفى. ووجد بين اسماء عدد كبير من اللاجئين الألمان صديقا هتلر الشخصيّان السابقان اللذان انقلبا ضدّه وهما هرمان راوشننگ Hermann Rauschning و(بوتزي هانفنشتانگل). وارتكبت اخطاء فاضحة في تهجئة عدة اسماء إنگليزية حتى بات من المتعذر معرفة المقصود بها.ودونت قبالة اسم "ليدي بونهام كارتر Lady Bonham Carter" التي ورد اسمها هكذا: (ليدي كارتر بونهام) - اسمها بالولادة ڤايوليت أسكويث Violet Asqiuth - سيدة تشتغل لسياسة التطويق! وأشر على كل اسم عنوان المكتب الخاص من مكاتب دائرة امن الرايخ المركزية الذي سيعالج أمرهً شخصياً. فمثلاً كان چرچل من حصّة المكتب السادس (المخابرات الأجنبية) على ان معظمهم كان سيتولى أمرهم المكتب الرابع (الگشتاپو!)[٥٠].

إن هذا "الكتاب الاسود" النازي هو بالفعل ملحق للكتاب السرّي جداً المعروف باسم "كتاب المعلومات Imformatuins heft" الذي زعم (شللنبرگ) أنه قام بتأليفه!. والغرض منه على مايبدو مساعدة الفاتحين على نهب بريطانيا والقضاء على كل المنظمات والمعاهد المعادية للألمان هناك. وهو أطرف وأكثر اضحاكاً من قائمة التفتيش تلك. فالى جانب المؤسسات الخطِرة أمثال المحافل الماسونية والمنظمات اليهودية التي "تستحق اهتماماً خاصاً" من دائرة امن الرايخ المركزية، هناك "المدارس العامة" (في إنگلترا المدارس الخاصّة)، وكنيسة إنگلترا التي وصفت بانها "أداة قوية جداً من ادوات

٤٩- العالم النفسيّ المشهور. وكان قد توفي في لندن ١٩٣٩.

٥٠- وفي قائمة القبض عدد من الامريكان من بينهم برنارد باروخ Bernard Baruch وجون كونثر John Gunther وپول روبسن Paul Robeson ولويس فيشر Louis Fischer ودانييل دي لوس Daniel de Luce (مراسل A. P الذي ادرج اسمه في حرف الدال هكذا: دانييل، دي لوس مراسل امريكي) وم. و. فودر M. W. Fodor مراسل صحيفة شيكاغو: ديلي نيوز المعروف جداً بكتاباته المعادية للنازية.

سياسة بريطانية الامبريالية". ومنظمأت الكشافة التي وصفت بانها "مصدر ممتاز للمعلومات، يعتمد عليها قلم المخابرات البريطاني". واوجبت أن يعتقل فوراً رئيسها الجليل ومؤسسها لورد بادن پاول Lord Baden-Powell.

لو جرت محاولة للغزو، فما أظنّ الألمان سيقابلون بترحابٍ وسيتلقاهم البريطانيون بالأحضان. ولقد اقر چرچل فيما بعد أنه كان لايفتأ يتساءل ما الذي سيحدث حينذاك؟ وكان متأكداً من المقدار التالي: "المجزرة ستكون من الجانبين عظيمةً شنعاءَ. لن يكون ثم محلّ للرحمة أو اللين. كُنّا مستعدين للسير الى آخر الشوط وتخطّي كل الحدود[٥١].

ولم يُفصح بالضبط عن ماهية تلك الحدود. إلاّ أن (بيتر فلمنگ Peter Fleming) في كتابه عن (أسد البحر) يورد وصفاً لأحدها، يقول أن البريطانيين قرروا كعلاج اخير وعندما تفشل وسائل الدفاع المعروفة كافة مهاجمة الألمان النازلين في رؤوس الشواطيء. لقد كان قراراً مؤلماً قاسياً لم يتخذ إلاّ بعد تحليلٍ روحي على أرفع المستويات. وعلق (فلمنك) على هذا القرار بأنه "أحيط بالكتمان الشديد في ذلك الحين والى الأخير"[٥٢].

هذه المجزرة بالذات التي كان يُقلّب چرچل وجوه الرأي فيها وإيقاع مثل هذا النوع من البلايا التي اختطها الگشتاپو، لم تحصل في ذلك الوقت وذلك المكان - للاسباب التي بسطناها في هذا الفصل. ولكن الألمان اطلقوا هذه الداهية الدهماء في محلّ آخر من أوروپا وبعد أقلّ من سنةٍ واحدة وعلى نطاقٍ لم تعانه البشرية من قبل.

قبل أن يصرف هتلر النظر عن غزو بريطانيا كان قد عقد العزم على امرٍ أنه سيتجه نحو روسيا في الربيع القادم.

-٤-

ذيل: مؤامرة النازي
لإختطاف دوق ودوقة وندسور!

هي طريفة أكثر من مهمّة. إلاّ أنها لاتخلو من فائدة لتفهّم الجانب المضحك من حكاّم الرايخ الثالث في ذلك الصيف، صيف فتوحاتهم العُظمى. تلك هي قصّة تآمر النازين على اختطاف دوق ودوقة (وندسور) واغراء ملك إنگلترا السابق للعمل مع هتلر في تسوية سلميّة مع بريطانيا العظمى. إن تطور هذا المشروع العجيب مبسوط بكلّ تفصيل في وثائق وزارة الخارجية الألمانية المستولى

٥١ - چرچل "اجمل ساعات حياتهم" ص٢٧٩.
٥٢ - فلمنگ: "عملية أسد البحر" ص٢٩٣. كتاب ممتاز الاّ أنه منع من مطالعة الوثائق السرية الخاصة لكنه يدعي بإلقائه لمحة (زهاء ساعة او اثنتين) على دراسة هويتلي قبل طبعها بقليل.

عليها[٥٣]. مع تنويه طفيف بالمشروع لـ(ڤالتر شللنبرگ الشاب رئيس الحرس الأسود وشرطة الأمن الذي رُسم أن يقوم بتنفيذه كما تجده في مذكراته[٥٤].

قال ريبنتروب (لشللنبرگ) ان الفكرة هي فكرة هتلر. وتبنّى وزير الخارجية النازي الأمر بالحماسة التي يدفعه اليها غباؤه المطبق الذي لا قعر له في أحيان كثيرة. وارغمت وزارة الخارجية الألمانية وممثلوها الدبلوماسيوّن في اسپانيا والبرتغال على إضاعة الوقت الكثير فيها خلال صيف ١٩٤٠ العصيب.

كان الدوق عضواً في البعثة العسكرية البريطانية الملحقة بقيادة الجيش الفرنسي العليا. وبعد سقوط فرنسا في حزيران ١٩٤٠، عجّل بالرحيل مع الدوقة الى إسپانيا خشية وقوعهما في قبضة الألمان. وفي ٢٣ حزيران أبرق السفير الألماني ايبرهارد فون شتورر Eberhard Von-Stohrer (وهو دبلوماسيّ محترف) بالبرقية التالية الى برلين:

يطلب وزير الخارجية الأسپاني الرّأي منّا حول أسلوب معاملة دوق ودوقة وندسور اللذين سيصلان مدريد في هذا اليوم متوجهين الى إنگلترا عن طريق لشبونه حسبما يبدو. وَيرى وزير الخارجيّة أنه ربّما كُنّا مهتمين بتعويق الدوق هنا، توقعاً لاتصالنا به. ابرقوا بالتعليمات رجاءً".

بادر ريبنتروب بابراق تعليماته في اليوم التالي، "يعوّق الزوجان وندسور أسبوعين في اسپانيا" وحذّر من أن يبدو "هذا الاقتراح صادراً من ألمانيا" وفي اليوم التالي اجابه (شتورر): "وعدني وزير الخارجية [الإسپاني] ان يعمل كل ما في وسعه لاعاقة وندسور هنا، ردحاً من الزمن" والتقى وزير الخارجية العقيد (خوان بگبيديري آتيينزا Jaun Beigbedery Atienza بالدوق ثم ابلغ السفير الألماني بمجمل الحديث الذي داربينهما. فبادر السفير الى ارسال برقية "سرية للغاية" الى برلين بتأريخ ٢ تموز جاء فيها ان وندسور لن يعود الى إنگلترا الاّ اذا عُدت زوجه عضواً في الأسرة المالكة وأن يعين هو نفسه في منصب مهمّ. والاّ سوف يستقر نهائياً في اسپانيا في قلعة وعدت حكومة فرانكو بوضعها تحت تصرّفه.

"[واضاف السفير] أعرب وندسور لوزير الخارجية ولمعارفه الآخرين انه يعارض چرچل، ويعارض هذه الحرب".

ثم سافر الزوجان (وندسور) الى (لشبونه) في أوائل تموز. وفي الحادي عشر منه أبلغ الوزير المفوض الألماني في العاصمة البرتغالية ريبنتروب بأن الدوق عين حاكماً عاماً لجزر البهاما Bahamas الاّ انه "ينوي ارجاء سفره اليها أطول مدة ممكنة... مؤملاً تطور الأحداث الى ما يناسبه".

"[واضاف الوزير المفوض] ويؤكد أنه لو كان باقياً في العرش لأمكن اجتناب هذه الحرب. كما أعرب بوضوح عن مساندته ومناصرته الشديدة لأي حلّ سلمي مع ألمانيا. وهو موقن بأن القصف

٥٣- وثائق سياسة ألمانيا الخارجية ج.١٠.
٥٤- شللنبرگ The Labzinth: التيه" فصل (٢).

الجوي العنيف المتواصل سيجعل إنگلترا مهيّأة لقبول السلم".

هذه المعلومات دفعت وزير الخارجية الألماني الرقيع الى أن يرسل برقية "مستعجلة جداً وسرية جداً" من قطاره الخاص في (فوشل) الى السفارة الألمانية في (مدريد) تمّ ابراقها في مساء ١١ تموز بالذات وفيها: أن رغبته تنحصر في منع الدوق من السفر الى (البهاما) بإعادته الى اسپانيا. وهو يفضل انجاز ذلك بمجهود اصدقائه الاسپان. ونصح قائلاً "بعد عودة الدّوق وزوجه الى اسپانيا، يجب أن يُغرى بالبقاء في الأراضي الاسپانية او يرغم على ذلك" واذا اقتضت الضرورة فيمكن لإسپانيا أن "تعتقله" باعتباره ضابطاً إنگليزياً وتعامله معاملة "العسكري اللاجيء".

"[وقال ريبنتروب] وفي مناسبة موآتية يُبلغ الدوق بأن ألمانيا تريد السّلم مع الشعب الإنگليزي. وأن عصبة چرچل تقف عقبة. ويحسن به أن يهيء نفسه الى تطورات مقبلة. لقد عقدت ألمانيا العزم على ارغام إنگلترا على قبول الصلح بكلّ وسيلة من وسائل القوّة وانها مستعدة ازاء ذلك لتحقيق كل ما يرغب فيه الدوق. وبخاصّة من حيث تعزيز مطلبها بالعودة يه وزوجه الى العرش الإنگليزيّ. ولابأس من أن يكون لديه خطط أخرى. لكن عليه ان يكون متهيئاً للتعاون على تأسيس علاقات طيبة بين ألمانيا وإنگلترا ونحن من جانبنا مستعدون للتأكيد له ولزوجه بتخصيص مورد عيش يسمح له... أن يعيش عيشة تليق بملك(٥٥).

هذا الوزير النازي الأبله يظهر أن سفارته في لندن لم تزوده بتجارب ولم تعلمه شيئاً ما عن الطباع الإنگليزية. فقد ذيل برقيته بالعبارة التالية: إن المخابرات السرية البريطانية قد رسمت أن "تقضي" على حياة الدوق حال وصوله الى البهاما!

وفي اليوم التالي (١٢ تموز) التقى السفير الألماني في مدريد بوزير الداخلية الاسپاني وصهر فرانكو (ريمون سرّانو سونير Remon Serrano Suner) فوعده باغراء قريبه الجنرال فرانكو على المساهمة في المشروع، لتنفيذ الخطة التالية: ترسل الحكومة الاسپانية الى لشبونه صديقاً حميماً للدوق هو (ميگيل بريمو دي ريڤيرا Miguel Primo de Rivera) رئيس حزب الفلانج Falange في مدريد وابن الدكتاتور الإسپاني السابق فيدعوه الى اسپانيا للصيد وللمداولة مع الحكومة حول العلاقات الأنگلو- اسپانية. وهناك سيفاتحه بالمكيدة التي تدبرها له المخابرات البريطانية على حياته.

"[واضاف السفير الألماني] إن الوزير سيشفع ذلك بدعوة رسمية للزوجين لقبول الضيافة الإسپانية او ربما لقبول مساعدة مالية... ويمكن كذلك الحيلولة دون رحيل الدوق بوسيلة أخرى. وسنبقى في كُلّ هذا وراء الستار تماماً".

وتشير الوثائق الألمانية أن (ريڤيرا) عاد من لشبونه الى مدريد بعد زيارته الأولى لآل (وندسور) في ١٦ تموز وهو يحمل من الدوق رسالةً الى وزير الخارجية الإسپاني الذي ناولها الى السفير الألماني

٥٥- قال ريبنتروب لشللنبرگ: وضع تحت تصرفه (٥٠) مليون فرنك سويسري واضاف "ان (الزعيم) مستعد الى رفع الرقم عند الطلب".

فقام هذا بابراق محتواها الى برلين. جاء في الرسالة ان چرچل قد رتب أن يعين الدوق حاكما عاماً للبهاما بموجب رسالة بعث بها اليه "رسالة جازمة جافة". أمره فيها أن يلتحق بوظيفته فوراً وهدّده بإحالته الى محكمة عسكرية ان لم يسافر الى مقرّ منصبه". ويضيف التقرير ان الحكومة الاسپانية وافقت "على تحذير الدوق بشدة مرة أخرى من مغبّة الالتحاق بمركز وظيفته".

عاد (ريڤيرا) من زيارته الثانية الى لشبونه في ٢٢ تموز. وفي اليوم التالي سارع السفير الألماني في مدريد بالابراق الى ريبنتروب بما ظفر به من معلومات في برقية "مستعجلة جداً، سرية جداً".

"جرى بين ريڤيبرا والدوق وندسور حديثان طويلان. وكانت الدوقة حاضرة في الحديث الأخير، وباح الدوق بكل ما في نفسه بحرية تامة... قال انه بمنأى بعيد عن اخيه الملك والحكومة البريطانية الحالية من الناحية السياسيّة... إن الدوق والدوقة لايخشيان الملك الشديد الغباء قدرما يخشيان الملكة الماكرة التي تحكم نسج المكائد لهما بنوعٍ خاص... إن الدوق يفكر في الادلاء بتصريحات علنية... ينتقد فيها السياسة الإنكليزية الحالية ويقطع صلته بأخيه... يقولان انهما شديدا الرغبة في العودة الى اسپانيا". يقول السفير في برقيته، أنه تسهيلاً لهذه الرغبة اتفق مع الوزير (سونير) على ارسال مبعوث إسپاني خاص آخر الى البرتغال "لاقناع الدوق بترك لشبونه متظاهراً انه يريد القيام بنزهة طويلة في السيارة، ثم يعبر الحدود في موضع يتم تعيينه من قبل لتقوم الشرطة السرية الاسپانية بتدبير عبوره الحدود بسلام". وبعدها بيومين حصل السفير الألماني على معلومات أخرى من (ريڤيرا) فسارع بابراقها ببرقية "مستعجلة خاصة جداً" الى ريبنتروب:

"أبدى كل من الدوق والدوقة دهشة واضحة عندما نصح بألاّ يرحل الى البهاما وان يعود الى اسپانيا لأن من المحتمل جداً أن يطلب منه القيام بدورٍ هام في السياسة الإنكليزية، او لربما عاد الى العرش الإنكليزي. وأجابا أنه يتعذر العودة الى العرش بعد التنازل عنه بمقتضى الدستور الإنكليزيّ فابدى المبعوث الخاص توقعه من مجرى الحرب تغييرات عظيمة قد تشمل الدستور الإنكليزي نفسه. وهنا باتت الدوقة كثيرة التفكير".

وذكّر السفير وزير خارجيته ان (ريڤيرا) لايدري شيئاً عن المصلحة الألمانية في الموضوع" وهو كما يلوح - يظن أنه يعمل لمصلحة حكومته.

وبحلول الأسبوع الأخير من شهر تموز رسم النازيون خطتهم لاختطاف الزوجين (وندسور) وسمّى هتلر شخصياً: (ڤالتر شللنبرگ) منفذاً لها. فطار هذا الى مدريد وتباحث مع السفير الألماني. ثم انتقل الى لشبونه للشروع في العمل. وفي ٢٦ تموز تمكن السفير من كتابة تقرير مطول "سري وخاص جداً" الى ريبنتروب مجملاً فيه المكيدة: "... يمكن التأكيد بوجود نية ثابتة لدى الدوق والدوقة للعودة الى اسپانيا. ولأجل تقوية هذه النيّة أرسل المبعوث الثاني موضع الثقة هذا اليوم حاملاً رسالة لهما دقيقة العبارة. وكدعامة لها ألحقت بها الخطة المهيأة نفسها التى تتضمن عبور الحدود.

وتقضي الخطّة أن يسافر الدوق والدوقة في الظاهر لقضاء اجازة صيفية في جبال قريبة من الحدود

الإسبانية. حتى يمكن عبور الحدود في الموضع الذي تمّ الاتفاق عليه بالضبط وفي الوقت المرسوم في أثناء رحلة صيد مزعومة. ولما كان الدوق لايملك جواز سفرٍ فيجب أن يتغلّب على موظف الحدود البرتغالي المشرف هناك بطريق ما. وفي الوقت المعيّن في الخطّة يقوم المبعوث الأول الموثوق به (بريمو دي ريڤييرا) بالإنتظار قرب الحدود مع قوة أسپانية موضوعة بشكل مناسب لضمان السلامة.

أما شللنبرگ وجماعته فيعملون خارج لشبونه باتصال وثيقٍ لهذه الغاية.

ولتحقيق ذلك فإن الرحلة الى محل قضاء اجازة الصيف. فضلاًعن الإجازة نفسها يجب أن تكون تحت الرقابة الدائمة بفضل مدير شرطة برتغالي موثوق به...

في اللحظة المعيّنة للعبور الى الحدود الاسپانية كما تقرر، تقوم جماعة شللنبرگ بتسلم مسؤولية تدابير الصيانة والأمن من جانب الحدود البرتغالية وأن يواصل مهمته هذه في داخل اسپانيا كمرافقين مباشرين يتغيرون بشكل لايجلب المضايقة بين آن وآخر.

ولضمان الخطة كلها خصص الوزير [الاسپاني] وكيلاً ثقة آخر، وهو امرأة تستطيع ان تحقق عند الضرورة الاتصال بالوكيل الآخر موضع الثقة. وتستطيع ايضاً عند الضرورة ايصال المعلومات الى جماعة شللنبرگ.

وفي حالة طروء أمرٍ مستعجل نتيجة تدخل قلم المخابرات البريطانيّ، اتخذت التدابير بحيث يمكن نقل الدوق والدوقة الى اسپانيا عن طريق الجوّ. وفي هذه الحالة كما في تنفيذ الخطة الأولى، يكون المطلب الأساسي هو الحصول على موافقة الدوق بالسفر بمحض اختياره بممارسة تأثير سيكولوجّي قويّ على عقليّته الإنگليزية الصريحة دون أن يبدو عمله فراراً باستغلال قلقه من نوايا قلم المخابرات البريطانية، وباغرائه بنشاط سياسيّ حرّ من الأرض الأسپانية.

وبالاضافة الى الحماية في لشبونه. فقد اتخذت الاحتياطات أيضاً في حالة الضرورة لإستخدام مناورة تخويف مناسبة لتوفير الرغبة بالسفر الى اسپانيا، وإلصاق الحادث بالمخابرات البريطانية."

هذا هو مخطط النازيين لاختطاف الزوجين (وندسور). تجلت فيه السماجة الألمانيّة ذاتها، وحاق به الفشل لعجز الألمان المعهود عن فهم "عقلية الدوق الإنگليزية".

ولم يتأخر شللنبرگ عن تنفيذ مناورة التخويف. ففي إحدى الليالي دبرّ أمر القاء بعض الحجارة على نوافذ ڤيللا الزوجين وندسور ونشر اشاعات بين الخدم أن هذا من اعمال رجال المخابرات البريطانية. ثم رتبّ تقديم باقة من الأزهار الى الدوقة مع بطاقة كتب عليها "إحذري مكائد قلم المخابرات البريطاني، من صديق برتغالي لايراود قلبه الاّ مصلحتكما"، وكتب في تقرير رسمّي بعث به الى برلين "لقد ألغيت من الخطّة اطلاق رصاصات في ليلة ٣٠ تموز (ينجم عنه كسر زجاج غرفة النوم لاغير). لأن التأثير السيكولوجي على الدوقة، سيزيد من رغبتها في الرحيل ليس الاّ".

الوقت يمرّ سراعاً... وفي ٣٠ تموز ابلغ شللنبرگ مرجعه بوصول سرّ والتر مونكتون Sir Walter Moncton الى لشبونه وهو صديق حميم للدوق ومن كبار موظفي الحكومة البريطانية. ومهمته

التعجيل في سفر آل وندسور الى البهاما بأسرع مايمكن. وفي اليوم ذاته ابرق السفير الألماني في مدريد الى ريبنتروب برقية مستعجلة جداً وسرية جداً" جاء فيها أن العميل الألماني في لشبونه قد ابلغه قبل قليل ان الدوق والدوقة يعتزمان الرحيل في ١ آب، اي بعد يومين من تاريخه. وسأل ريبنتروب نظراً الى هذه المعلومات "الا يرى أن نخرج من تحفظنا الى مدى معيّن؟" وأضاف السفير يقول أن الاستخبارات الألمانية تشير إلى أنَّ الدوق قد اعرب لمضيفه الصيرفي البرتغالي (ريكاردو دو اسپيريتو سانتو سيلڤا Ricardo do Espirito Santo Silva) "عن رغبته في الإتصال بالزعيم" فلماذا اذن لايدبّر إجتماع بين وندسور وهتلر؟

في اليوم التالي (٣١ تموز) عاد السفير يبرق لريبنتروب "مستعجلاً وسرياً" بما بلغه من المبعوث الاسپاني الذي قدم لتوه من زيارة وندسور في لشبونه. أن الدوق والدوقة في حين "كانا شديدي الاهتمام بالانباء عن الدسائس الإنگليزية التي تحاك ضدّهما وشعورهما بما يحيق سلامتها الشخصية" الاّ انهما قراراً السفّر بحراً في ١ آب، مع أنهما يحاولان "اخفاء موعد رحليهما الحقيقي" وقال السفير أن وزير الداخلية الإسپاني يحاول القيام "بآخر مجهودٍ ليحول دون مغادرة الدوق والدوقة".

اقلقت ريبنتروب سرعة رحيل آل وندسور فأرسل من قطاره الخاص (بفوشل) برقيةً "مستعجلة جداً وسرية جداً" الى الوزير المفوض الألماني في لشبونه في ساعة متأخرة من مساء ٣١ تموز طلب منه فيها أن يُبلغ الدوق عن طريق مضيفه الصيرفيّ البرتغاليّ بما يلي:

"بالدرجة الأولى تريد ألمانيا السّلم مع الشعب البريطاني. وان طغمة چرچل تقف عقبة كؤوداً في هذا السبيل. إن ألمانيا بعد رفض آخر عرض تقدم به هتلر للرجوع الى الصواب - قد عقدت العزم على ارغام إنگلترا بقبول الصلح بكل وسيلة تملكها. ومن الخير جداً أن يهيّء الدوق نفسه لتطورات مقبلة. وفي هذه الحالة ستكون ألمانيا راغبةً في التعاون تعاوناً جدّ وثيق مع الدوق، وأن تمهّد الطريق لتحقيق ايّ مطلب يشاءه الدوق والدوقة... إن كانت لديهما نيات أخرى لكن يكفي أن يكونا مستعدين للتعاون على انشاء علاقات طيبة بين ألمانيا وإنگلترا. وبالمقابل سيجدان ألمانيا مستعدة للتعاون مع الدوق وتأمين مستقبل الدوقين حسبما يرغبان. وعلى الصديق البرتغالي الذي يعيش الدوق في ضيافته أن يبذل أقصى ما في طوقه من جهدٍ ليحول دون رحيله غداً. فلدينا أنباء موثوق بها تشير الى ان چرچل ينوي أن يضع الدوق تحت سيطرته في (البهاما) حتى يبقيه هناك ابداً. وكذلك لأن انشاء صلة في الوقت المناسب مع الدوق في جزر البهاما يتضمن أعظم صعوبة بالنسبة الينا..."

وصلت رسالة وزير الخارجية المستعجلة الى المفوضية الألمانية في لشبونه قبل إنتصاف الليل بقليل. فاتصل الوزير الألماني بالسنيور (اسبيريتو سانتو سيلڤا) في ساع متأخر من ساعات الليل والحّ عليه أن يبلغ الرسالة الى ضيفه الكبير. ففعل الصيرفي ما أُمر به في (١) آب ويُشير تقرير المفوضية الى ان الدوق اهتم بالأمر اهتماماً شديداً: "أثنى الدوق على رغبة الزعيم في السلم التي تتفق تماماً مع وجهة نظره الخاصّة وهو يعتقد اعتقاداً راسخاً أن هذه الحرب ما كانت لتحصل لو بقي في العرش.

واما بخصوص طلب التعاون منه في الوقت المناسب بغية اقامة صروح السلم فقد وافق مسروراً. ومع هذا فعليه في الوقت الحاضر أن يرضخ لأوامر حكومته الرسمية والتمرد عليها يفضح نواياه فضحاً مبتسراً ويثير فضيحة ويقضي على سمعته في إنگلترا. وهو ايضاً مقتنع بأن اللحظة الحالية سابقة جداً للبروز الى الأمام بنواياه مادام لايوجد ميل حتى الآن في إنگلترا للتقرب من ألمانيا. ومهما يكن من امرٍ، فهو مستعدٌ حالماً يطرأ تغيير على الرأي العام - ان يعود حالاً... إماّ أن تطلب منه إنگلترا ذلك وهو مايراه قريب الإحتمال، أو أن تظهر ألمانيا رغبتها في التفاوض معه. وفي كلتا الحالتين هو مستعد لأي تضحية شخصيّة، وسيبذل كل جهوده في هذا المجال دون أن يهتم قلامة ظفر بأي مطمحٍ شخصيّ.

وسيبقى على اتصال مستمّر بمضيفه واتفق معه على كلمة سرّ ما أن تبلغه حتى يبادر الى العودة فوراً".

وابحر الدوق والدوقة في مساء يوم (١) آب على ظهر الباخرة الامريكية إكسكاليبور Excalibur وسط ذهول الألمان. وكتب شللنبرگ تقريره النهائي عن فشل مهمته في برقية مطولة عنونها الى وزير الخارجية [ريبنتروب] شخصياً". وارسلها في اليوم التالي. قال فيها أنه بذل كل مافي طوقه ولم ييأس حتى آخر لحظة من إعاقة السفر. فلجأ الى شقيق فرانكو السفير الاسپاني في لشبونه لمناشدة الدوقين بالعدول عن الرحيل في الدقيقة الأخيرة وادّعى أنه أحدث "تخريباً" في السيارة التي نقلت امتعتهما كي تصل الامتعة متأخرة الى الميناء ونشر شائعات حول وجود قنبلة موقوتة في الباخرة. وادىّ ذلك الى قيام السلطات البرتغالية بتأخير موعد اقلاع الباخرة ريثما انهت تنقيبها في كل شبرٍ من السفينة.

رغم كل هذه المحاولات رحل آل وندسور في تلك الليلة وفشلت مكيدة النازيين. وفي آخر تقرير رفعه شللنبرگ الى ريبنتروب ألقى اللوم في انهيار "المخطط الاسپاني" على نفوذ مونكتون و"عقلية الدوق".

هنالك وثيقة واحدة أخيرة حول هذه المؤامرة. وجدت في أوراق وزير الخارجية المستولى عليها. في ١٥ آب ابرق الوزير المفوض الألماني في لشبونه الى برلين بمايلي:

"تسلّم عميلنا الآن برقية من الدوق في برمودا Bermuda طالباً منه أن يرسل اليه الرسالة حالما يجد أن الوقت مناسب للعمل، فماذا يكون موقفنا وكيف نجيب؟"

لم يعثر على جوابٍ في أوراق ڤلهلمشتراسّه. ففي أواسط شهر آب كان هتلر قد قرر قهر بريطانيا العظمى بقوة السّلاح. ولا حاجة تدعو الى ايجاد ملكٍ جديد لإنگلترا اذ ستحكم الجزيرة من برلين مباشرة مثلما قضت الاقدار على كُلّ البلاد المحتلة الأخرى... او هذا ما توهمه هتلر.

ذلك هو مجمل الحكاية الغريبة. كما روتها الوثائق الألمانية السريّة وزاد شللنبرگ عليها شيئاً، وهو آخر من يعتمد على أقواله. وان كان من الصعب الاعتقاد بأنه اخترع دوره اختراعاً، وهو الدور الذي

يصفه هو بأنه دور مضحك سخيف.

وفي ١ آب ١٩٥٧ عندما سمح بنشر الوثائق الألمانية أدلى دوق وندسور بتصريح عن طريق محاميه في لندن. ووصف المراسلات المتبادلة بين ريبنتروب وبين سفيري ألمانيا في البرتغال واسپانيا بأنها " أكاذيب محضة. وهي في بعض اجزائها تشويه شنيع للحقائق".

واوضح يقول أنه كان سنة ١٩٤٠ في لشبونه ينتظر موعد السفر الى (البهاما) فتقدم منه "اشخاص معيّنون" اكتشف انهم موالون للنازية ومشايعون لها. وبذلوا مجهودات صريحة لاقناعه بالعودة الى اسپانيا وعدم تسلم منصبه كحاكم في البهاما.

وقال: "لقد وصل بهم الأمر أن لمحوا الى وجود خطر شخصي على الدوقة وعليّ لو رحلنا الى البهاما، إلاّ أني لم أعر إهتماماً ولو لحظةً واحدة لهذا القول ونبذته بالازدراء الذي يستحقه".

واذاعت وزارة الخارجية البريطانية تصريحاً رسمّياً جاء فيه أن الدوق لم يحد قيد شعرة عن ولائه لبريطانيا العظمى أثناء الحرب(٥٦).

٥٦- جريدة نيويورك تايمس (١) آب ١٩٥٧.

الفصل السادس

"بربروسّه BRRBAROSSA"

التحول الى روسيا

-١-

بينما كان هتلر منهمكاً في توجيه فتوحه في الغرب صيف عام ١٩٤٠ انتهز (ستالين) فرصته ليزحف على دول البلطيق ويصل الى البلقان.

كانت المظاهر السطحية تدل على صداقة بين الدكتاتورين. ولاتلوح لمولوتوف فرصة لمدح الألمان والثناء عليهم إلاّ اهتبلها في كل مناسبة فتح جديدٍ او عملٍ من أعمال العدوان. وفي صباح ٩ نيسان ١٩٤٠ يوم بدء غزو النرويج والدانمرك أسرع قوميسار الخارجية السوڤيتي لإبلاغ السفير فون شولنبرگ "أن الحكومة السوڤييتية تتفهم الاجراءات التي اضطرت ألمانيا الى اتخاذها، ونحن نتمنى لها النجاح التام في تدابيرها الوقائية[١]. وبعدها بشهرٍ أرسل ريبنتروب السفير الألماني الى مولوتوف لابلاغه رسمياً بهجوم (الڤيرماخت) في الغرب. وليبلغه عن لسان وزير خارجيته "ان الهجوم فُرض على ألمانيا فرضاً بتهيؤ الجيوش الأنگلو فرنسية للاندفاع نحو الروهر عن طريق بلجيكا وهولندا" فأعرب رجل الدولة السوڤييتي عن ترحيبه. وابرق شولنبرگ الى برلين يقول "تلقىّ مولوتوف الرسالة بروح تفهم. وقال أنه يدرك جيداً واجب ألمانيا في حماية نفسها من هجوم أنگلو فرنسي وهو لايشك قط في نجاحنا[٢]".

وفي ١٧ حزيران وهو يوم طلب فرنسا الهدنة، استدعى مولوتوف شولنبرگ الى مكتبه وأعرب له عن أخلص تهانيء الحكومة السوڤييتية للنجاح العظيم الذي حققه الڤيرماخت الألماني. وكان للقوميسار السوڤييتي ما يقوله خلاف ذلك. وهو ليس بما يسرّ الآذان الألمانية أو يطربها، ابرق به المبعوث الألماني "برقية مستعجلة جداً". "نوّه مولوتوف بعمل سوڤييتي ضدّ دول البلطيق" واضاف يقول (والمرء هنا يكاد يلمس بيده البريق الذي شعّ في عينيّ مولوتوف وهو يلفظ جملته): "لقد بات من الضروري أن يوضع حَدّ نهائي لكلّ المكائد التي تمارسها إنگلترا وفرنسا سعياً لبذر الشقاق

١- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩، ص١٠٨.
٢- المرجع السلف الص ٢٩٤ و٣١٦.

والشنآن بين ألمانيا ودول البلطيق[٣]." واضاف القوميسار السوڤييتي يقول "... فلوضع حدٍ لمحاولة بذر مثل هذا الخصام أرسلت الحكومة السوڤييتية (موفدين خصوصيين) الى دول البلطيق الثلاث." وهؤلاء في الواقع ثلاثة من خيرة مساعدي ستالين وهم: ديكانوزوف Dekanozov الذي أرسل الى ليتوانيا. وڤيشينسكي Vishinsky الذي ارسل الى لاتڤيا، وارسل زدانوڤ Zhdanov الى استونيا.

هؤلاء انجزوا مهماتهم بالدقة المنتظرة منهم. وبخاصة الأخيران منهم. وقبل هذا في (١٤ حزيران) الموافق دخول الجيش الألماني باريس، بعثت الحكومة السوڤييتية إنذاراً الى ليتوانيا مدته تسع ساعات فقط، طالبت فيه باستقالة الحكومة واعتقال نفر من الموظفين الكبار، والسماح للسوڤييت بإرسال ماتراه مناسباً من قوات الجيش الأحمر الى البلاد. ومع أن الحكومة الليتوانية قبلت الإنذار الاّ أن موسكو اعتبرت القبول "غير مرضيّ" وفي اليوم التالي (٥ حزيران) احتل الجيش الأحمر البلاد وهي الدولة البلطيقية الوحيدة ذات الحدود المباشرة مع ألمانيا. وفي اليومين التاليين أرسل إنذاران سوڤياتيان مماثلان الى كل من لاتڤيا واستونيا. ثم دخلهما الجيش الأحمر أسوة بالأولى.

كان باستطاعة ستالين أن يظهر من الفظاظة والقسوة ما يضاهي هتلر في مثل هذه الأمور بل ويفوقه فيها. فمالبث أن اخضع الصحافة للرقابة واعتقل الساسة وعطل الاحزاب باستثناء الحزب الشيوعي. وفي ١٤ تموز جرت الانتخابات العامة في البلاد الثلاثة. وصوتت برلماناتها على اثر الانتخابات بالإنضمام الى الاتحاد السوڤياتي. ووافق مجلس السوڤييت الأعلى على عودة هذه الدول الى الوطن الأم: ليتوانيا في ٣ آب ولاتڤيا في ٥ منه واستونيا في ٦ منه.

وهكذا أذل السوڤييت أدولف هتلر. وكان فاقد الحول لانهماكه في التنظيم والإعداد لغزو بريطانيا وقدم مبعوثو هذه الدول الدبلوماسيون في برلين مذكرات احتجاج على ما وقع فأعيدت اليهم بأمرٍ من ريبنتروب. وزاد مولوتوف في إذلال الألمان بأن أبلغهم بعجرفة في ١١ آب، بأن يقوموا بتصفية مفوضياتهم في كاوناس Kaunas وريگا Riga وتالين Tallinn. خلال أسبوعين وبتصفية قنصلياتهم كلها في البلطيق بموعدٍ لايتجاوز الأول من أيلول. لم يكتف ستالين باستعادة دول البلطيق ولم يبلغ حد الشبع ودفعه إنهيار الجيوش الأنگلو فرنسية السريع المذهل الى المبادرة في الحصول على أقصى ما يستطيعه منتهزاً فرصة خلو الميدان ويبدو أنه كان يحسب لكل دقيقة من الوقت حسابها، ففي ٢٣ حزيران وهو التالي لاستسلام الفرنسيين رسمياً وتوقيعهم معاهدة الهدنة في (كومپين) استدعى مولوتوف السفير النازي للمرة الثانية وأبلغه بأن "حل مشكلة بيسارابيا Bessarabia لايحتمل أي تأخير" وان الحكومة السوڤييتية قد عقدت العزم على إستخدام القوة إن لم ترض حكومة رومانيا باتفاق سلميّ" وزاد مولوتوف يقول أن ماتنتظره الحكومة السوڤييتية من ألمانيا "هو أن لاتعرقل اعمال السوڤييت، بل تناصرهم" كما وان "هذا المطلب السوڤييتي يشمل بوكوڤينا Bucovina أيضاً"[٤].

٣- المرجع السالف الص ٥٩٩-٦٠٠.
٤- المرجع السالف ج١٠، الص ٣-٤.

وكانت رومانيا قد اقتطعت (بيسارابيا) من روسيا في نهاية الحرب العالمية الأولى إلاّ أن (بوكوڤينا) لم تكن بالاصل روسيّة بل من ضمن دولة النمسا حتى انتزاعتها رومانيا منها في ١٩١٩. وفي مفاوضات موسكو التي تمخضت بالميثاق السوڤيتي النازي اضطر ريبنتروب الى اعتبار بيسارابيا من ضمن مجال النفوذ السوڤيتي إلاّ أنه لم يتخلّ عن بوكوڤينا. وقد ذكر ذلك لهتلر عندما سأله عنها.

وشاع بعض نذر الخطر في برلين حتى بلغ مقرّ القيادة العليا للقوات المسلحة في الغرب. كان (الڤيرماخت) يعتمد اعتماداً خالصاً على نفط رومانيا. وألمانيا دائمة الحاجة الى الطعام والعلف الذي تفيض به هذه البلاد البلقانية، وكل هذا سيضيع منها اذا احتل الجيش الأحمر رومانيا. وقبل هذا بزمنٍ عندما بلغت معركة فرنسا ذروتها في ٢٣ أيار. ارسلت هيئة أركان الجيش الروماني استغاثةً الى القيادة العليا الألمانية تعلمها فيه أن الجحافل السوڤييتية تحتشد على الحدود. واجمل (يودل) وصف ردّ الفعل في مقرّ قيادة هتلر بوقعة ٢٤ أيار في يومياته قال: "الموقف في الشرق بات ينذر بالخطر بسبب الحشد السوڤياتي العسكري على حدود بيسارابيا".

وفي ليل ٢٦ حزيران ارسلت روسيا إنذاراً الى رومانيا تطلب فيه التخلي لها عن بيسارابيا والجزء الشمالي من (بوكوڤينا) وتصرّ بأن لايتأخر الردّ عن اليوم التالي. ففزع ريبنتروب الى وزيره المفوض في بوخارست يطلب منه ببرقية أرسلها من قطاره الخاص أن ينصح حكومة رومانيا بالرضوخ. ففعلت في ٢٧ حزيران ودخل الجيش الأحمر السوڤييتي الأراضي الجديدة التي تمّ ضمُّها في اليوم التالي. وتنهدت برلين تنهيدة الارتياح حامدةً حسن حظها لأن مصادر النفط والطعام الغنية لم تنقطع عنها بابتلاع روسيا رومانيا كلها.

كان واضحاً من تصرفات ستالين ومن الوثائق الألمانية السريّة أنه لم يرغب أو يفكر في قطيعة مع هتلر رغم نزوله الى الميدان ليحصل على كل مايمكن الحصول عليه في شرق أوروپا. وقت كان الألمان مكتوفي الايدي في الغرب.

في أواخر حزيران حاول چرچل تحذير ستالين فكتب له رسالة خاصّة ينبهه فيها الى أن خطر الفتوحات الألمانية على روسيا لايقل عن خطرها على بريطانيا[٥] إلاّ أن الدكتاتور السوڤييتي لم يكترث بارسال جوابٍ. ولعله كان يظن كسائر الناس في ذلك الحين ان بريطانيا قد قضت نحبها وانتهى أمرها، ولعلّ هذا هو الذي دفعه الى ابلاغ الألمان ببادرة الحكومة البريطانية؟ وسارع رئيس الوزراء البريطاني الى ارسال السير ستافورد كريپس Sir Stofford Cripps أحد زعماء الجناح اليساري في حزب العمّال البريطاني سفيراً له في موسكو، مؤملاً بهذا العمل أن يضرب في آلة الپولشفيك وتراً حساساً متجاوباً. واقرّ چرچل فيما بعد أنه كان أملاً خائباً بائساً فقد التقاه ستالين في أوائل تموز بمقابلة وصفها چرچل "بالرسميّة المتحفظة". وفي ١٣ تموز سلّم مولوتوف بتوصية من ستالين - السفير الألماني مذكرة خطّية تتضمن الحديث الخاص الذي جرى بين ستالين والسفير.

٥- چرچل "اجمل ساعات حياتهم" الص ١٣٥-١٣٦ (نص كتابه لستالين).

وهذه وثيقة هامة حقاً. لأنها تكشف بما لا يقصر عنه مصدر آخر عن حدود افق الدكتاتور السوفياتي الذهنيّة الضيقة في تقديراته الجامدة في الشؤون الخارجية. اسرع شولنبرگ الى ابراق المذكرة بالعنوان "مستعجل جداً" وبطبيعة الحال "سرّي جداً". وطار ريبنتروب فرحاً بها وبلغ امتنانه حداً انه ابلغ الحكومة السوڤييتة "بعظيم تقديره هذه المعلومات". تقول هذه المذكرة ان (كريپس) طلب من ستالين أن يوضح موقفه من هذه المسألة الأساسية التالية التي تبرز على المسائل الأخرى:

"إن الحكومة البريطانية موقنة بأن ألمانيا تبذل قصارى جهدها للهيمنة على أوروپا هيمنة تامةً... وهو أمر خطر جداً على كيان الاتحاد السوڤييتي مثلما هو خطر على إنگلترا. ومن الواجب أن يتفق البلدان على سياسة وقائية موحدة لحماية كيانيهما من ألمانيا. ولإعادة توازن القوى في أوروپا..."

فكانت أجوبة ستالين كما يلي: "انه لايرى خطر إحتمال بسط ألمانيا سيطرتها على أوروپا، وهو يرصد سياسة ألمانيا بدقة. ويعرف كثيراً من رجال السياسة الألمان معرفة جيدة وانّه لم يتبين في اي منهم رغبة ما في ابتلاع البلاد الاوروپيّة. وهو لايرى في انتصارات ألمانيا العسكرية مايهدد الاتحاد السوڤياتي، أو يهدد علاقاته الودية مع ألمانيا..."[٦]

هذا الجهل العميق، هذا القصور العظيم في تحليل الحقائق لمّا تتقطع له الانفاس ويصعق المرء صعقاً. لايعرف الطاغية الروسي طبعاً أسرار مايجول في دماغ هتلر المتلاطم. لكن سلوكه الماضي ومطامعه المعروفة وفتوحات النازيين السريعة غير المنتظرة يجب أن تكون كافية لإنذاره بالخطر الماحق الذي يتعرض اليه الاتحاد السوڤييتي الآن لكن لاندري لماذا لم يكن كلّ هذا كافياً لستالين.

إتضح من الوثائق النازية المستولى عليها ومن شهادات كبار شخصيات الألمان حول الرواية العظمى التي كانت تمثل على رقعة مترامية من أوروپا الغربية في تلك السنة، أن هتلر في ساعة إنبساط ستالين المشهودة واطمئنانه، كان يقلّب في ذهنه فكرة الإستدارة الى الاتحاد السوڤييتي لتقويضه من أساسه. والفكرة الأساسية تعود الى الماضي الأبعد كثيراً - خمس عشر سنةٍ على أقل تقدير- الى كفاحي! كتب هتلر: "وهكذا نتسلم نحن القوميين الإشتراكين زمام العمل من حيث تركناه قبل ستمائة عامٍ خلت. اننا سنوقف حركة الألمان الأبدية نحو الجنوب والغرب الاوروپيتين ونديرانظارنا الى اراضي الشرق... وعندما نتكلم اليوم عن ارض جديدة في أوروپا فعلينا أن نفكر في روسيا بالدرجة الأولى وفي الدول التابعة المتاخمة لحدودها. ان القدر نفسه يبدو راغباً في ان يدلنا على الطريق هنا...

إن هذه الامبراطورية الجبارة في الشرق قد نضجت للإنحلال. ونهاية سيطرة اليهود في روسيا ستكون ايضاً نهاية روسيا الدّولة[٧]".

فالفكرة كانت تجثم كالصخرة على رأس هتلر ولم يغيّر منها قط ميثاقه مع ستالين وانما أرجأ تنفيذها لا غير ولأمد قصيرٍ فبعد التوقيع على الميثاق بأقل من شهرين وبعد أن قرّ القرار على تحطيم

٦- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ج١٠، الص ٢٠٧-٢٠٨.
٧- كفاحي: ص٦٥٤.

پولندا، ذكّر الزعيمُ الجيشَ بأن اراضي پولندا المستولى عليها يجب ان تعتبر "منطقة تحشيد لعمليات ألمانيّة مقبلة" كان التاريخ ١٨ تشرين الأول ١٩٣٩. وقد دوّن هالدر ذلك في مذكراته في اليوم نفسه.

بعد ذلك بخمسة أسابيع (٢٣ تشرين الأول) عندما خطب في جنرالاته المترددين حول الهجوم في الغرب، لم تكن روسيا بعيدة عن دائرة افكاره. فصرح يقول "لايمكننا منازلة روسيا الاّ عندما نكون أحراراً في الغرب" في ذلك الحين كان خوض الحرب على جبهتين وهو كابوس الجنرالات الألمان طوال قرن من الزمن، يشغل حيزاً كبيراً من تفكير هتلر وقد اسهب فيه هنا وأطال وقال إنه لن يكرر خطأ الحكام الألمان الغابرين. وسيظل حذراً من ذلك ويحاول أن لايدع الجيش يحارب الاّ في جبهة واحدة في وقت واحدٍ.

وكان من الطبيعي اذن أن تتجه افكار هتلر الى روسيا مرة أُخرى بعد سقوط فرنسا وطرد الجيش البريطاني عبر القنال، وظهور إحتمالات في انهيار وشيك بريطانيّ. فهو يفترض لنفسه الآن أنه بات حُرّاً في الغرب وبذلك حقق الشرط الوحيد الذي وضعه "لمنازلة روسيا" هذا وان السرعة التي أتمّ بها ستالين إستيلاءه على دول البلطيق واقليمي رومانيا في حزيران دفعت هتلر الى اتخاذ قراره.

إن ساعة تكوين القرار يمكن تعيينها الآن. يقول (يودل) أن "القرار الأساسي" قد اتخذ "في أيام معركة الغرب"[٨]. ويتذكر العقيد (ڤارلمونت) نائب (يودل) في القيادة العليا أن يودل اعلن في ٢٩ تموز في إجتماعٍ لضباط أركان دائرة العمليات أن "هتلر عقد العزم على مهاجمة الاتحاد السوڤييتيّ. في ربيع عام ١٩٤١" وقبل هذا الإجتماع بزمن قصير ذكر (يودل)، ان هتلر قال لكايتل "انه قرر شنّ هجوم على الاتحاد السوڤييتي أثناء خريف ١٩٤٠" لكن ذلك كان أكثر مما يحتمله حتىّ (كايتل) نفسه واستطاع ان يحمل هتلر على العدول عن قراره مستنداً لا الى المناخ السيء في الخريف وحده بل الى الصعوبات التي تقوم في وجه نقل كلّ الجيش الألماني من الغرب الى الشرق وهو عمل مستحيل. ويقول ڤارلمونت أنّه وفي حدود تاريخ هذا الإجتماع (٢٩ تموز) "كان تاريخ الهجوم المنتوى [على روسيا] قد تحوّل الى ربيع ١٩٤١"[٩].

ونعلم من يوميات (هالدر)[١٠] قبل ذلك بأسبوع أن (الزعيم) كان يجد إحتمالاً في إمكان شن الهجوم على روسيا في الخريف إن لم يتم غزو بريطانيا. وفي مؤتمر حربي ببرلين في ٢١ تموز طلب من براوختش أن يشغل نفسه في التأهب له. ويتضح من جواب براوختش لهتلر بأنه وهيئة أركانه قد أولوا الموضوع بعض الاهتمام قبل ذاك – إلاّ أنّه غير كافٍ. قال براوختش للزعيم أن الحرب "ستمتدّ أربعة أسابيع حتى الستّة" وان الهدف هو: "تدويخ الجيش الروسي ودحره او على الأقل احتلال مساحة

٨ – خطبة يودل بتاريخ ٧ تشرين الثاني ,١٩٤٣ "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج ١ ص ٧٩٥ (وثائق نورمبرگ L١٧٢).

٩– شهادة ڤارلمونت الموثقة باليمين ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٥ "مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٥ ص٧٤١. واستنطاق (ڤارلمونت) ١٢ تشرين الاول ١٩٤٥ المرجع السالف، ملحق ب، الص ١٦٣٥.

١٠– يوميات هالدر ٢٢ تموز ١٩٤٠. سجل ما قال له براوختش عن مؤتمره مع هتلر في برلين قبلها بيوم واحد.

من البلاد الروسية تكفي للحيلولة دون وصول القاصفات السوڤييتية الى برلين او الى منطقة سليزيا الصناعية، في الوقت الذي تتمكن قاصفات اللوفتوافّه من بلوغ كل الاهداف المهمّة في الاتحاد السوڤييتي".

وقدّر براوختش أن ثمانين فرقة ألمانية او مائة على أكثر تقدير كفيلة بانجاز العمل. وقدّر القوات الروسيّة بـ"٥٠-٧٠ فرقة حسنة التدريب" وتكشف ملحوظات هالدر وتعقيباته على ماحدثه به براوختش عن إجتماعه بأن هتلر ثائر نفسياً بسبب ما إستولى عليه ستالين في الشرق. حتى بات يعتقد أن الدكتاتور السوڤييتي "يغازل إنگلترا" ليشجعها على الصمود في وجهه، إلاّ أنه لم يتبيّن أي اشارة تدل على ان روسيا تتأهب لدخول الحرب ضدّ ألمانيا.

وفي مؤتمر آخر عُقد في (برگهوف) في آخر يوم من تموز ١٩٤٠. أدى صرف النظر موقتاً عن مشروع غزو بريطانيا بهتلر الى أن يعلن للمرّة الأولى لقادة عسكره قراره بخصوص روسيا. وكان هالدر من بين الحاضرين هذه المرّة. وأثبت برموزه الإختزالية ما قاله هتلر بالضبط:[١١] وهي لاتكشف فحسب عن قراره الجازم في مهاجمة روسيا في الربيع القادم بل عن قيامه قبل ذلك ببناء الأهداف الستراتيجية الكبرى في مخيلته: "[قال هتلر] أمل بريطانيا هو في روسيا وامريكا. فإن تلاشى الأمل في روسيا فستيلاشى بخصوص امريكا أيضاً لأنّ سحق روسيا سيزيد في قوة اليابان زيادة عظيمة جداً في الشرق الأقصى". وقال: كلما زاد في المسألة تفكيراً كلما زاد يها ايماناً. وهي أن عزم بريطانيا العنيد على مواصلة الحرب يعود الى اعتمادها على الاتحاد السوڤييتي".

"[وفسّر الأمر بما يلي] طرأ على بريطانيا أمرٌ غريب؛ كان سقوط الإنگليز تاماً [١٢]. وهاهم الآن يستوون على اقدامهم مرة أخرى. مداولات سريّة. روسيا قلقة منزعجة من التطورات السريعة في أوروپا الغربية. حسب روسيا أن تلمح الى إنگلترا بأنها لاترغب ان ترى ألمانيا قوية جداً وسيستعيد الإنگليز - كالغريق آمالهم ويتوهمون بأن الموقف سيطرأ عليه تغيير جوهريّ خلال ستة اشهر او ثمانية. لكن لو سحقت روسيا، لتبدد آخر أمل لبريطانيا. وعندئذ ستكون ألمانيا سيدة أوروپا والبلقان.

القرار: نظراً الى هذه الاعتبارات يجب أن تصفّى روسيا في ربيع عام ١٩٤١، والأفضل هو الإستعجال في سحق روسيا.

ثم اخذ ربّ الحرب النازي يكسو خططه الستراتيجية حللاً زاهية من رائع الوصف وكان واضحاً لقادته بأنها ظلّت تنضج في ذهنه زمناً رغم انهماكه في حروب الغرب. قال ان العمليّة تستأهل المخاطرة لهدف واحدٍ فقط الا وهو تدويخ الاتحاد السوڤياتي بضربة صاعقةٍ واحدة. إن احتلال ارجاء واسعة من الأراضي الروسية لايكفي. و"القضاء على عامل الوجود والكينونة في روسيا؛ ذلكم هو

١١- يوميات هالدر: ٣ تموز ١٩٤٠.

١٢- يستخدم هالدر الكلمة الإنگليزية down هنا، في النص الألماني.

الهدف!" وسيكون الزحف الأولي من منطلقين: الاول في الجنوب الى كييف Kiev ونهر الدنيبرDnieper والثاني من الشمال عبر دول البلطيق ثم نحو موسكو وفيها يتم اتصال الجيشين. وبعد ذلك يشرع عند الضرورة بعملية خاصّة لاحتلال آبار النفط في باكو Baku. ان مجرد التفكير في هذه الفتوحات الهائلة كان يثير هتلر ويلهب خياله. وفصل في ذهنه ماذا سيصنع بهذه الغنائم قال أنه سيضّم أوكراينيا Ukraine وروسيا البيضاء ودول البلطيق حالاً ويوسع من رقعة فنلندا الى البحر الابيض المنجمد. وسيخصص للعملية كلها مائة وعشرين فرقة ويحتفظ بستين فرقة للدفاع عن الغرب وسكنديناڤا. واعلن أن الزحف سيبدأ في ايار ١٩٤١ وسيستغرق الفراغ منه خمسة أشهر. وتكون النهاية في الشتاء. واشار الى أنه يفضل الشروع في العملية هذه السنة الاّ أن ذلك لم يكن ممكناً.

وفي اليوم الثاني (١ آب) إنكبّ هالدر على رسم الخطط العسكرية مع ضباط أركانه. ومع أنه ادعى فيما بعد معارضته للفكرة اساساً وعدم موافقته على حرب روسيا بوصفها عملاً جنونياً. فإن وقعات يومياته لهذا اليوم بالذات تظهره مليئاً بالحماسة وهو يعالج هذه المهمّة الجديدة العسيرة.

الآن سار تنظيم الخطط الى الأمام سيراً حثيثاً بالدقة التي كان بها الألمان مضرب الأمثال، وعلى مستويات ثلاثة: مستوى هيئة أركان الجيش العامة. وهيئة أركان العمليات في القيادة العليا للقوات المسلحة باشراف (ڤارلمونت)، وقسم التسليح والتموين في القيادة العليا باشراف الجنرال توماس. وقد طلب گورنگ من توماس في ١٤ آب بناء على رغبة هتلر أن تستّمر ارساليات البضائع التي اوصى بها الروس "حتى ربيع ١٩٤١ فقط"[١٣]. وعلى دائرته في الوقت نفسه أن تقوم باحصاء مفصّل للصناعة السوڤييتية ووسائط النقل ومراكز النفط لتكون دليلاً للأهداف ثم لتكون عوناً لإدارة الاحتلال في روسيا.

قبل هذا ببضعة أيام (٩ آب) أصدر (ڤارلمونت) أول تعليماته لتهيئة مناطق التحشّد في الشرق. لتكون نقاط وثوب على الروس. واتخذ لها الاسم الرمزيّ "بناء الشرق Aufbau Ost" وفي ٢٦ آب أمر هتلر بنقل عشر فرق مشاة وفرقتي دروع من الغرب الى پولندا. وأمر أن تحشد وحدات الدروع في جنوب شرق پولندا، حتى تيسنّ لها التدخل في الوقت المناسب لحماية حقول النفط الرومانية[١٤] إن نقل هذه الجحافل الكبيرة الى الشرق[١٥] لايمكن ان يتّم بدون أن يثير انتباه ستالين السريع الشكّ لو

١٣- اوضح توماس في تقريره بهذا الخصوص.كم كان السوڤييت دقيقين في إيصال بضائعهم وصادراتهم الى ألمانيا في هذا الوقت. يقول انهم في الواقع "استمروا هكذا حتى بداية الهجوم" ويعقب بلهجة لاتخلو من دهشة "حتى في الأيام القلائل الأخيرة. اكملوا [الروس] شحن المطاط الهندي من الشرق الأقصى بقاطرات الترانسيت السريعة" وهو يقصد قطارات سيبيريا بلاشك. (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج ٤ ص١٠٨٣. وثائق نورمبرگ - PS ٢٣٥٣).

١٤- يوميات الحرب، دائرة أركان العمليات للقيادة العليا الألمانية ٢٦ آب ١٩٤٠ اقتبست في (وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج١٠، الص ٥٤٩-٥٥٠).

١٥- لم يبق الألمان في پولندا غير سبع فرق، فرقتان منها نقلتا الى الغرب أثناء معارك الربيع. وقد كشف هالدر أن هذا العدد من القوات كاد لايكفي للاشراف على امور الكمارك والحدود ولو ان ستالين هاجم ألمانيا في حزيران ١٩٤٠. فربما تمكن الجيش الأحمر من الوصول الى برلين قبل ان تنظم امامه مقاومة جدية.

علم بها. وقد تكبد الألمان مصاعب جمّة وساروا شوطاً عظيماً لتبديد شكوكه. اذ لما كان لامفرّ لبعض التحركات من الانكشاف فقد أبلغ الجنرال ارنست كويسترنگ Ernst Koestring الملحق العسكري الألماني في موسكو أن يُعلم هيئة الأركان السوڤييتية أن المسألة هي مجرد استبدال الجنود القدماء بآخرين أصغر سناً ليتم تسريحهم وإستخدامهم في الصناعة. وفي ٦ أيلول أصدر يودل تعليمات تتضمن تفاصيل مطولة عن وسائل التمويه والتعمية. وقال "إن اعادة التجمّع هذا يجب الاّ يخلق انطباعاً في روسيا بأننا نتهيّأ لشنّ هجوم في الشرق[١٦].

ولكيلا تنام القوات المسّلحة على اكاليل غار انتصاراتها الصيفية العظيمة، أصدر هتلر في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ أمراً توجيهياً شاملاً سرياً جداً فصّل فيه المهام العسكرية الجديدة في سائر ارجاء أوروپا وما يليها. وسنتصدّى لبعضها فيما بعد. الا أن ما يهمنا هنا الآن هو الجزء الذي يتعلق بالاتحاد السوڤياتي.

"إنّ المداولات السياسية كانت تدور مبدئياً حول توضيح موقف الاتحاد السوڤييتي في الوقت الحاضر. وبصرف النظر عن نتائج تلك المداولات، يجب أن تستمرّ كل الاستعدادات للشرق كما أمرنا بها شفوياً قبل زمن. وستصدر التعليمات عقب ذلك حالما يتم المشروع العام لخطة الجيش وتعرض عليّ للمصادقة[١٧].

والحق يقال أن مولوتوف وصل في هذا اليوم بالذات (١٢ تشرين الثاني) الى برلين ليواصل هذه المداولات السياسية مع هتلر.

ـ ٢ ـ

مولوتوف في برلين

كانت العلاقات بين برلين وموسكو تزداد تدهوراً خلال الأشهر الماضية. إن قيام هتلر وستالين بازاحة طرفٍ ثالث شيءٌ الاّ أن قيام أحدهما بازاحة الآخر شيء آخر مختلف جداً. كان هتلر فاقد الحول والطول لايستطيع منع الروس من السيطرة على دول البلطيق واقليمي بيسارابيا وبوكوڤينا في رومانيا. ولم تفعل خيبته شيئاً غير زيادة في حقده المتفاقم. ينبغي ان يوقف زحف الروس نحو الغرب. ونحو رومانيا بالدرجة الأولى لأن منابع نفطها ذات اهمية حيوية لألمانيا التي لم تعد تستطيع بعد استيراد

١٦- انظر (ڤارلمونت) شهادتاه. مؤامرة النازيين... ج٥، الص ٧٤٠-٧٤١ (وثائق نورمبرگ ٣٠٣١ - PS ٢). واستجوابه: المرجع السالف الملحق ب ص ١٥٣٦. تعليمات يودل في ٦ أيلول ١٩٤٠. مثبتة في (مؤامرة النازيين ج٣، الص ٨٤٩-٨٥٠ (وثائق نورمبرگ ١٢٢٩ PS).

١٧- الأمر المؤرخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ (مؤامرة النازيين...) ج٣، الص ٤٠٣-٤٠٧، الجزء المتعلق بروسيا في ص٤٠٦.

النفط بحراً بسبب الحصار البريطاني.

ومما زاد من تعقيد مشكلة هتلر مطالبة بلغاريا والمجر باجزاء من الاراضي الرومانيّة. في الواقع كانت المجر قد تهيأت في نهاية صيف ١٩٤٠ لإعلان الحرب طمعاً بترانسلڤانيا Transylvania واعادة ضمّها اليها بعد أن انتزعتها رومانيا منها بعد الحرب العالمية الأولى. وادرك هتلر ان حرباً كهذه ستقطع عن ألمانيا مصدرها الرئيس للنفط الخام وربما تحمل روسيا على احتلال كل رومانيا وتحرم ألمانيا من نفط رومانيا الى الأبد.

بلغ الوضع حداً من التأزم في ٢٨ آب بحيث ألجأ هتلر الى وضع خمس فرق مدرعة وثلاث فرق آلية فضلاً عن وحدات من المظليين وجنود الجّو على اهبة الاستعداد لاجتياح حقول نفط رومانيا في (١) أيلول[١٨]. وفي ذلك اليوم بالذات تداول الأمر مع ريبنتروب وتشيانو في برگهوف، ثم ارسلهما الى ڤينّا حيث شرّعا القانون الذي لامحيص عنه لوزيري خارجية رومانيا والمجر وحملاهما على قبول وساطة المحور حملاً. وانجزت المهمّة بدون صعوبة تذكر بعد أن هدد ريبنتروب وتوعّدهما. وفي ٣٠ آب وبقصر (بلڤديري) في ڤيينا قبل المجريون والرومانيون تسوية المحور المقترحة. وعندما تطلعّ وزير الخارجية الروماني (ميهاي مانيولسكو Mihai Maniolescu) الى الخارطة التي قضت بسلخ زهاء نصف ترانسلڤانيا واعطائها المجر، غاب عن وعيه وسقط مغشياً عليه فوق المنضدة المعدّة لتوقيع الاتفاقية ولم يثب الى رشده إلاّ بعد أن عولج طبياً وحقن بالكمفور [١٩]. ونالت رومانيا من ألمانيا وايطاليا ضماناً لحرمة ماتبقى من اراضيها[٢٠] في الظاهر تعويضاً لرومانيا وفي الواقع لإعطاء هتلر عذراً شرعياً لخططه التالية.

والقي الضوء على خطط (الزعيم) التالية ووضحت للمقربين منه بعد ثلاثة أسابيع. ففي ٢٠ أيلول وبأمر توجيهي سري جداً قضى هتلر بارسال "بعثات عسكرية" الى رومانيا.

"للعالم الخارجي ستبدو مهماتها تدريب رومانيا الصديقة على تنظيم قواتها العسكريّة.

"الغايات الحقيقية: (ويجب أن تبقى مستورة عن الرومانيين وعن جنودنا) ستكون حماية منطقة النفط... والتأهب لتحشيد القوات الألمانية والرومانية من قواعد رومانيا في حالة اضطرارنا الى حربٍ مع روسيا السوڤييتية[٢١].

هذا بخصوص العناية بالجناح الجنوبي لجبهة جديدة بدأت تظهر ملامحها في ذهنه.

١٨- يوميات الحرب: القيادة العليا للقوات المسلحة ٢٨ آب. اقتبست في وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج١٠، الص ٥٦٦-٥٦٧. (حاشية).

١٩- كلّفت الملك عرشه. ففي ٦ أيلول تنازل (كارول) لابنه ميخائيل البالغ ١٨ سنة من العمر وفر مع عشيقته (ماگدا لوپيسكو) ذات الشعر الأحمر في قطار ذي عشر عربات مملوءة بما وصف "بالغنيمة" الى يوغوسلاڤيا ثم استقر بسويسرا. واعلن الجنرال آيون انطونيسكو Ion Antonescu رئيس الحرس الحديدي الفاشيّ وصديق هتلر نفسه دكتاتوراً لبلغاريا. (يوميات تشيانو ص٢٨٩).

٢٠- بإستثناء مقاطعة دبروجه Dobrudja فقد ارغمت رومانيا بالتنازل عنها لبلغاريا.

٢١- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج٦، ص٨٧٣ (وثائق نورمبرگ ٢٥٣).

إن (هدية ڤيينّا)، وبخاصّة ضمانة ألمانيا لما تبقى من الاراضي الرومانية، ساء وقعها على موسكو، لأنها لم تستشر في الأمر. وقابل السفير شولنبرگ مولوتوف في ١ أيلول وقدم له من ريبنتروب مذكرة مسهبة حاول بها تفسير وتبرير ما حصل في ڤيينا. بعدها كتب تقريراً الى برلين عن المقابلة جاء فيه أن قوميسار الخارجية كان "متحفظاً بعكس سلوكه المعتاد". لم يكن متحفظاً جداً الى الحَدّ الذي يقدم احتجاجاً شفوياً قوياً. وانما اتهم الحكومة الألمانية بخرق البند الثالث من الميثاق السوڤييتي النازي. الذي يقضي بالتشاور وتزويد روسيا "بالحقائق التي وقعت" مما يناقض التأكيدات الألمانية حول "مسألة المصالح المشتركة"[٢٢]. وهكذا بدأ يشتجر الجانبان على الأسلاب وهو أمر كاد يكون محتوماً.

واشتدت المهاترات واستعرت نار التراشق بالتهم في الأيام التالية. وفي ٣ أيلول ابرق ريبنتروب مذكرة مطوّلة الى موسكو ينكر فيها خرق ألمانيا ميثاق موسكو ويتّهم روسيا بذلك عند ابتلاعها دول البطليق واقليمي رومانيا دون استشارة برلين. وصيغت المذكرة بلهجة قوية واجاب الروس عنها بتاريخ ٢١ أيلول وبلهجة تماثلها صرامة. في هذا الوقت بات الجانبان يضعان قضاياهما باطار المذكرات المكتوبة وكرّر الجواب الروسي ان ألمانيا اخلّت بالميثاق وحذرت بأن روسيا ما زال لديها مصالح في رومانيا وختمت القول بالاقتراح التهكمي التالي: إن كان البند الذي يدعو الى المشاورة "يسبب مضايقة أو عدم ارتياح" للرايخ فإن الحكومة السوڤييتية مستعدة لتعديل هذا الشرط في المعاهدة أو إلغائه[٢٣].

وزاد شكّ الكرملين بهتلر بحادثين وقعا في أيلول. في السادس عشر منه أبرق ريبنتروب الى شولنبرگ ليقابل مولوتوف ويخبره "عرَضاً" بأن التعزيزات الألمانية لشمال النرويج سترسل من طريق فنلندا. وبعدها بتسعة أيام أرسل وزير الخارجية الألماني الى السفارة في موسكو برقية معنونة هذه المرة الى القائم بالاعمال لأن شولنبرگ كان في اجازةٍ وقد عاد الى ألمانيا. كانت رسالةً على جانب عظيم من السرية.

اذ علّمت بالعبارتين "سرية الى اقصى حدٍ – سرّ دولة" وتشير الى ان محتواها لاينفذ الاّ اذا تسلّم القائم بالاعمال من برلين في اليوم التالي عن طريق البرق او التلفون كلمة سرّ خاصّة[٢٤].

كان عليه ابلاغ مولوتوف "أن اليابان وايطاليا وألمانيا ستوقع خلال الأيام القلائل القادمة في برلين تحالفاً عسكرياً وهو غير موجّه الى روسيا– وسيشار الى هذا بوضوح في مادة خاصة".

"[قال ريبنتروب] إن الحلف موجّه ضدّ امريكا فحسب (ضد تجار الحروب الامريكان) وهذا في

٢٢– العلاقات النازية السوڤيية، ص ١٧٨–١٨١.

٢٣– (المذكرة الألمانية: المرجع السالف الص ١٨١–١٨٣. المذكرة السوڤييتية ٢١ أيلول الجوابية المرجع السالف الص ١٩٠–١٩٤.

٢٤– المرجع السالف، الص ١٨٨–١٨٩.

الحقيقة ماسوف لايذكر في المعاهدة بصراحة جرياً على المألوف، لكن يمكن اكتشافه حالاً عند قراءة البنود... والغرض الأوحد من المعاهدة هي رَدّ الصواب الى عقول تلك العناصر التي تلحّ في دخول أمريكا ميدان الحرب باقناعهم بالدليل الدامغ أن دخولهم الصراع الدائر الرحى سيعني أتوماتياً مواجهة قوى عظمى ثلاثاً تقف امامهم سوية[٢٥].

كان قوميسار الخارجية السوفييتي الشديد البرود الذي راحت شكوكه في الألمان تزداد الآن وتضخم مثل أزهار حزيران، عظيم الريبة عندما جاءه القائم بالاعمال (ڤيرنر فون تپلسكريخ Werner Von Tip-pelskrich) بهذه الانباء في مساء السادس والعشرين من أيلول، فاجابه حالاً بتلك النباهة الدقيقة البارعة المعنية بالتفاصيل التي كانت تضايق كل من يفاوضه صديقاً ام خصماً: ان الفقرة الرابعة من الميثاق السوفييتي الألماني تنصّ على حق الحكومة السوفييتية في الاطلاع على نص معاهدة الحلف العسكري الثلاثية قبل أن يتمّ التوقيع عليه وبضمنه كل "البرتوكولات السرية الملحقة بها".

كذلك رغب مولوتوف أن يعرف المزيد عن الاتفاق الألماني مع فنلندا حول نقل الجنود عبر البلاد الذي إستقى معظم انبائه عن طريق الصحف وبضمنها تقرير لمكاتب وكالة انباء يونايتد پريس من برلين. واضاف مولوتوف يقول ان موسكو تسلمت خلال الأيام الأخيرة الثلاثة تقارير عن نزول القوات الألمانية في ثلاثة موانيء فنلندية على الأقل "دون أن تبلغها ألمانيا بذلك" واستمر يقول: "إن الحكومة السوفييتية رغبت في أن تتسلّم نصّ الإتفاقية الخاصة بمرور القطعات العسكرية في فنلندا وبضمنها الاجزاء السرية من المعاهدة... وأن تبلّغ بالغرض من الاتفاقية وضدّ من وجهت؟ والغايات التي تتوخاها بها[٢٦]."

كان من الضروري تهدئة الرّوس وتسكين غضبهم – حتى ريبنتروب الرقيع البطيء الفهم كان يدرك ذلك. ففي ٢ تشرين الأول ابرق الى موسكو بما قال أنه نصّ الاتفاقية مع فنلندا وردّد أيضاً بأن الميثاق الثلاثي الذي تم توقيعه في تلك الأثناء[٢٧] ليس موجهاً ضد الاتحاد السوفييتي وألحّ بلهجة جازمة بأنه لايوجد قط برتوكولات سرية أو أية اتفاقات أخرى سرية[٢٨]. وبعد أن وجّه (تپلسكريخ)

٢٥- المرجع السالف الص ١٩٥-١٩٦.

٢٦- المرجع السالف، الص ١٩٧-١٩٩.

٢٧- وقع هذه الميثاق في برلين بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٤٠، واخرجت مراسيمه كما تخرج الراوية الهزلية الغنائية وبكبكبة اتيت الى وصفها في مكان آخر (يوميات برلين، ص ٥٣٢-٥٣٧). في المادتين الأولى والثانية منه على التوالي تعترف اليابان "بزعامة ألمانيا وايطاليا في انشاء النظام الجديد في أوروپا" وتعترف الدولتان بدورهما بزعامة اليابان في الأمر ذاته في شرق آسيا الكبرى. والمادة الثالثة تنصّ على بذل المساعدة المتبادلة اذا ما هاجمت الولايات المتحدة أياً من الاطراف الثلاثة المتحالفة. ومع ان الولايات المتحدة لم تذكر صراحة في المعاهدة وانما عرفت تعريفاً نافياً للجهالة، فقد وجدت انا شخصياً (وهذا ماكتبته ذلك اليوم في يومياتي) ان اهم مايستوقف النظر فيه ان هتلر الآن أصبح مستعداً لحرب طويلة الأمد. كذلك توصل تشيانو الذي وقّع الحلف عن ايطاليا (تشيانو: اليوميات ٢٩٦). وكان الميثاق إنذاراً للاتحاد السوفييتي وقد قصد به ذلك فعلاً رغم وجود نص نافٍ.

٢٨- المرجع السالف الص ٢٠١-٢٠٣.

ليخبر مولوتوف "عرضاً" بارسال "بعثة عسكرية" ألمانية الى رومانيا وبعد أن تسلّم ردّ فعل القوميسار الجاف لهذا النبأ الأخير. ("كم عدد الجنود الذين سترسلونهم الى رومانيا؟")(٢٩) بادر ريبنتروب في ١٣ تشرين الأول الى إرسال كتاب مطوّل لستالين يريد به تهدئة قلق السوڤييت من أعمال ألمانيا(٣٠).

الرسالة كانت جوفاء كثيرة المجاملة كما حفلت في الوقت نفسه بالعجرفة والتعالي وامتلأت بالاكاذيب والمراوغة: إنكلترا هي الملومة في إثارة الحرب وعليها تقع عواقبها. إلاّ أن الأمر المؤكد هو أننا "ربحنا الحرب، والقضية الآن قاصرة على الزمن الذي سيقتضي إنكلترا للاقرار بالهزيمة"، وفسرّت الرسالة التحركات الألمانية ضد روسيا في فنلندا وفي رومانيا والمعاهدة العسكرية الثلاثية بنعمةٍ من النعم لروسيا! هذا في الوقت الذي تحاول الدبلوماسية البريطانية -المخابرات البريطانية- اثارة التشكيك والمشاكل بين روسيا وألمانيا وفي سبيل ردّ كيدهم الى نحرهم، ما قول ستالين في ارسال مولوتوف الى برلين حتى يتسنى للزعيم "ان يوضح شخصياً، وجهات نظره حول مستقبل العلاقات بين بلدينا ووضعها في إطار ثابت؟"

ونوه ريبنتروب تنويهاً خفيفاً بما ستكون وجهات نظر زعيمه: انها **لن تتعدى موضوع تقسيم العالم بين الدول الأربع اليابان وايطاليا وألمانيا والاتحاد السوڤييتي** وقال مسترسلاً: **"يبدو ان رسالة هذه الدول الأربع تحتم عليها تبنّي سياسة ذات مدى واسع... بتحديد مصالحها على نطاق العالم بأسره".**

الخطوط هنا تحت العبارات هي من وضع ريبنتروب بالاصل!

كان ثم بعض تأخير في قيام السفارة الألمانية بموسكو بايصال الرسالة الى صاحبها، فثارت ثائرة ريبنتروب واوحى له ذلك ببرقية غاضبة ارسلها الى شولنبرگ يطلب فيها أن يعلمه لماذا لم يسلم خطابه حتى ١٧ منه ولماذا لم يسلم الى ستالين شخصياً "نظراً الى اهمية محتواه" - وكان شولنبرگ قد سلّمه الى مولوتوف(٣١). كان جواب ستالين في ٢٢ تشرين الأول رقيقاً بصورة مدهشة وكتب يقول "إن مولوتوف يقرّ بأنه ملزمٌ أدبياً بزيارتكم في برلين، وأنه ليقبل دعوتكم"(٣٢). لابُدّ وأن تودّد ستالين كان قِناعاً. فبعد أيام قلائل ابرق (شولنبرگ) الى برلين بإحتجاج الروس على رفض الألمان إرسال المواد الحربية في حين تشحن في الوقت نفسه سلاحاً الى فنلندا. وبيّن شولنبرگ لبرلين "هذه أول مرة، ينوّه الاتحاد السوڤييتي بارسالنا السلاح لفنلندا"(٣٣).

بدأت كتابتي في مفكرتي يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠ وانا في برلين: "يومٌ مكفهّر مطيرٌ. وصل مولوتوف كان استقباله جافاً رسمياً الى أقصى حد. قطع بالسيارة شارع (النيدن) ودخل السفارة السوڤييتية. بدا لي أشبه بمدير مدرسةٍ ريفيّ حييّ. لكن لابدّ وانه من الافذاذ بدليل صموده في مركزه

٢٩- المرجع السالف الص ٢٠٦-٢٠٧.
٣٠- خطاب ريبنتروب لستالين ١٣ تشرين أول ١٩٤٠، المرجع السالف ٢٠٧-٢١٣.
٣١- نص برقية تأنيب ريبنتروب، المرجع السالف، ص٢١٤.
٣٢- نص جواب ستالين، المرجع السالف، ص٢١٦.
٣٣- المرجع السالف، ص٢١٧.

الحافل بالمخاطر والمنافسة الدمويّة القاسية في الكرملين. أخذ الألمان يلهجون بالحديث حول ترك موسكو تحقق الحلم الروسي القديم في الاستحواذ على البوسفور والدردنيل بينما يستأثرون هم ببقية البلقان: أي رومانيا ويوغوسلاڤيا وبلغاريا..."

وكانت الثرثرة الألمانية صحيحة كما برهنت الأحداث. ونحن اليوم نعلم أكثر بكثير مما وقفنا عليه في حينه عن هذا الإجتماع الغريب والحاسم كما تبين فيما بعد والفضل يعود الى وثائق وزارة الخارجيّة المستولى عليها، فقد عثر فيها على وقائع الجلسات ليومي الإجتماع السريّة وكلّها -بإستثناء واحدة- كانت من تنظيم دكتور شميدت الحاذق(٣٤).

عقدت الجلسة الأولى بين وزيري الخارجيّة في ظهر يوم ١٢ تشرين الثاني. وكان ريبنتروب في إحدى حالاته النفسية المتعاظمة الحمقاء جداً. ولكن سرعان ما وقف مولوتوف على سرّه وتبيّن مَخْبَره وادرك ماهي اللعبة التي يريد أن يلعبها الألمان... بدأ ريبنتروب بالقول: "إن إنكلترا هزمت واصبحت المسألة الآن مسألة الزمن الذي ستقرّ بهزيمتها... والآن جاءت بداية النهاية للامبراطورية البريطانية" الحق يقال ان البريطانيين يأملون في عون من امريكا إلاّ "أن دخول الولايات المتحدة الحرب لايؤثر قطّ على ألمانيا. وان ألمانيا وإيطاليا لن يسمحا مرة أخرى بنزول الأنكلوسكون في القارة الأوروبية... هذه ليست مشكلة عسكرية البتة... لذلك فإن دول المحور لاتفكر الآن بكيفية ربح الحرب، بل تفكر بالأحرى بأقصر السبل واسرعها الى انهاء الحرب التي تمّ كسبها".

ولما كان الأمر كذلك... فإن الوقت قد ادرك للدول الأربع روسيا وألمانيا وإيطاليا واليابان لتحديد "مجالات نفوذها" وقال ان (الزعيم) قد توصل الى أن التوسع الطبيعيّ للدول الأربع كافة سيكون "باتجاه الجنوب" وقد سبق لليابان أن اتجهت جنوباً كما فعلت إيطاليا، في حين ألمانيا ستجد مجالها الحيوي (ليبنزراوم) الاضافي في اواسط افريقيا! (من كل أرجاء العالم اختارت هذا!) وذلك بعد ان تفرغ من اقامة النظام الجديد في غربي أوروبا. وقال ريبنتروب انه "ليتساءل" عما اذا كانت روسيا لاتفكر "بالاتجاه جنوبا ايضاً للانسياب الطبيعيّ الى البحر الفسيح المترامي الضروري جدا لها".

فقاطعه مولوتوف بحدة سائلا: أيّ بحر؟

كان والحق يقال سؤالاً سخيفاً إلاّ أنه محرج جداً كما قدر للألمان أن يعرفوا خلال الساعات الست والثلاثين التالية التي استغرقتها المباحثات المتواصلة مع هذا البولشفيكي العنيد الجامد الدقيق. وسمّرت المقاطعة ريبنتروب تسميراً لفترة من الزمن ولم يسعفه رأسه بجواب، وراح بدل ذلك يثرثر حول "التغييرات العظيمة التي ستطرأ على العالم بعد الحرب" واستبق القول ان المهمّ في الأمر هو "أن

٣٤- (وقائع إجتماع مولوتوف بريبنتروب ثم بهتلر ١٢-١٣ تشرين الثاني ١٩٤٠ المرجع السالف الص ٢١٧-٢٥٤). تأيدت صحتها فيما بعد من قبل ستالين دون وعي منه. يقول چرچل انه تسلّم رواية لاحاديث مولوتوف في برلين من ستالين في آب ١٩٤٢ فإذا بها "لاتختلف في الجوهر عن الرواية الألمانية لها" وإن كانت اكثر حدةً" (چرچل اجمل ساعات حياتهم، الص ٥٨٥-٥٨٦).

كلا الشريكين في الميثاق السوفييتي الألماني قد حققا ربحاً طيباً" وسوف "يستمران في تحقيق هذا الربح". لكن عندما أصرّ مولوتوف على جوابٍ لسؤاله البسيط أجاب ريبنتروب أخيراً بإقتراحه: "في المدى الطويل، سيكون نفوذ روسيا الى البحر محققاً اعظم الفائدة لها حين تجده متجهاً الى الخليج الفارسي وبحر العرب".

يقول دكتور شميدت الذي كان حاضراً يدوّن الأقوال: "جلس مولوتوف جامد الوجه تكاد لاتقرأ شيئاً مما يجول في رأسه"(٣٥). وكان كلامه قليلاً جداً ولم يفتح فمه إلاّ ليعلّق أخيراً بقوله "ان الدقة والحذر" ضروريان لتحديد مجالات النفوذ والمصالح "لاسيما بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي". وكان المفاوض الروسي الشديد التيقظ يدّخر عتاده لهتلر الذي اجتمع به عصر اليوم. واسفر الإجتماع لسيد الحرب النازي ذي السلطان المطلق عن مفاجأة هائلة محطمة للإعصاب وخيبة ذريعة بل تجربة مزيدة لم يعانها من قبل.

كان هتلر غامضاً مثل وزير خارجيته بل وأكثر تعاظماً وفخراً وبدأ قوله أن ألمانيا ستضرب بريطانيا ضربتها الاخيرة الحاطمة "حالما يطرأ تحسن في الاحوال الجوية". هناك بطبيعة الحال "مشكلة امريكا" إلاّ ان الولايات المتحدة لن تستطيع "تهديد حريات الشعوب الأخرى قبل ١٩٧٠ او ١٩٨٠... وليس لديها اي مصلحة لا في أوروبا ولا في أفريقيا او آسيا) وهو ما خفّ مولوتوف ليوافق عليه ويؤكد اصابته. إلاّ انه لم يتفق معه في الكثير جداً من الآراء الأخرى التي ذكرها.

وبعد ان انهى الزعيم النازي شروحه المسهبة ذات العموميّات المبهجة السارّة وبيّن أنه لايوجد خلافات أساسية بين البلدين في مساعيهما الخاصّة الى أمانيهما وفي مسيرتهما المشتركة نحو "المنافذ الى المحيط" أجاب مولوتوف "إن بيانات (الزعيم) كانت عمومية الطابع" وهو الآن سيبسط آراء ستالين الذي زوّده "بتعليمات دقيقة" عند مغادرته موسكو ثم اندفع يقذف بالكتاب في وجه الدكتاتور الألماني الذي كشفت محاضر الإجتماع أنه لم يكن متأهباً لها.

تذكر (شميدت) فيما بعد: "إن الاسئلة مطرت على هتلر كالوابل الهتان وداهمته بالطعن الدراك. لم يكلمه زائر اجنبي آخر من قبل بالشكل الذي كلمه مولوتوف في محضر منيّ"(٣٦).

أراد مولوتوف أن يعلم: "ماذا تنوي ألمانيا عمله في فنلندا؟ ما معنى مصطلح النظام الجديد في أوروبا وفي آسيا. ما هو الدور الذي سيسهم فيه إتحاد الجمهوريات السوڤياتية الإشتراكية فيه؟ ما هي الغاية التي يستهدفها الحلف الثلاثي؟"، ثم اضاف يقول: "وهناك ايضاً مواضيع يجب توضيحها: تتعلق بمصالح روسيا في البلقان والبحر الاسود. ازاء بلغاريا ورومانيا وتركيا"، وقال انه يرغب في سماع بعض الاجوبة و"الايضاحات".

وربما لاول مرّة في حياة هتلر، يجد نفسه مباغتاً بشيء لم يحسب حسابه فانعقل لسانه وارتج عليه

٣٥- شميدت المرجع الملف ص٢١٢.
٣٦- المرجع السالف، ص٢١٤.

ولم يجد جواباً. واقترح تأجيل الإجتماع "نظراً لإحتمال وقوع إنذار بغارة جوّية" ووعد أنه سيخوض في نقاش تفصيليّ في اليوم التالي.

مشهد عاصف تأجل فحسب، لكن ليس بالإمكان تفاديه. ففي اليوم التالي استأنف الجانبان مباحثاتهما صباحاً وظل القوميسار الروسيّ صامداً كالطود لايلين وفي بدء الحديث عن فنلندا اشتبك الرجلان في نزاعٍ حادٍ مرير. طلب مولوتوف أن تسحب ألمانيا قواتها من فنلندا فأنكر هتلر ان "القوات الألمانية تحتل فنلندا" وانما هي ترسل الى النرويج عبر فنلندا فحسب. الاّ انه يريد أن يعرف "هل تنوي روسيا ان تشن حرباً على تلك البلاد ؟". تقول المحاضر الألمانية أن مولوتوف "ردّ على هذا السؤال بشكل مبهم" ولم يكن هتلر مرتاحاً منه.

واصر هتلر على القول: "يجب أن لاتنشب حربٌ في البلطيق لأنها ستثقل كاهل العلاقات السوڤيتية الألمانية بعبء عسير" وهذا تهديد ضمنيّ دعمه بعد قليل بقوله أن عبئاً كهذا قد يسفر "عن آثارٍ لايمكن التكهن بها". وأراد هتلر أن يعلم ماذا يريد الاتحاد السوڤيتي من فنلندا أكثر مما حصل؟ فأجاب ضيفه انه يريد "تسوية على نطاق شبيه بتسوية بيسارابيا" ومعنى هذا الضمّ الفوري. ولامراء في أن ردّ الفعل في هتلر ضعضع كيان الروسي الذي لايقوى شيء على ضعضعته فقد وجدناه يسرع بسؤاله عن رأي الزعيم في هذا ؟"

وكان الدكتاتور غامضاً بعض الشيء ايضاً واجاب بانه لايسعه الاّ ان يكرر "يبغي أن لاتنشب حرب في فنلندا لان صِداماً كهذا قد يسفر عن عواقب وخيمة ذات آثار بعيدة"، فرد عليه مولوتوف حالاً "لقد دخل عامل جديد في البحث بسبب هذا الوضع".

وحمي وطيس الشجار الى حدّ جعل ريبتروب – الذي لابدّ وان الرعب قد بلغ به منتهاه الآن – يتدخلّ ليقول "انه في الواقع لا سبب يدعو ابداً الى جعل مسألة فنلندا موضوع بحثٍ ولعل هذا سوء تفاهم ليس إلا".

و إستفاد هتلر من هذا التدخل المناسب لتغيير الموضوع حالاً. ألا يمكن اغراء الروس بالغنائم اللامحدودة التي ستتوفر عما قريب بانهيار الامبراطورية البريطانية؟ قال هتلر: "ألا دعنا نعود الى المشاكل الأكثر اهمية". ثم استطرد: بعد فتح إنگلترا ستقسّم الامبراطورية البريطانية كضيعة حاق بها إلافلاس واسعة قدر الدنيا تبلغ مساحتها أربعين مليون كيلومتر مربع. ومن الضيعة المفلسة يوجد لروسيا منفذ الى محيط خالٍ من الجليد رحيب الارجاء حقاً. الى يومنا هذا حكمت اقلية يبلغ تعدادها ٤٥ مليوناً من الإنگليز، (٦٠٠) مليون من سكان الامبراطورية البريطانية وإنه [اي الزعيم] يوشك ان يسحق هذه الاقلية... وفي مثل هذه الظروف تبرز مشاريع عظيمة جداً... كل البلاد التي يمكن ان تفيد من هذه الضيعة التي حكم عليها بالافلاس يجب أن تنبذ الشحناء والخصام وتهتمّ كليّاً بتقسيم الإمبراطورية البريطانية. وهذا ينطبق على ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وروسيا واليابان.

لم يبد على الضيف الروسيّ البارد الجامد أنه تاثر بهذه "المغانم الهائلة" المتألقة. ولم يكن مقتنعاً

(كما أوضح فيما بعد) بأن الامبراطورية البريطانية ستتصدع وشيكاً وتصبح نهباً للطامعين. كما كان الألمان واثقين وقال انه يريد ان يبحث في مشاكل هي الى أوروبا اقرب مثلاً تركيا وبلغاريا ورومانيا.

وقال: "أن الحكومة السوڤيتية ترى أن ضمانة ألمانيا لرومانيا إنما تهدف الى مناهضة مصالح روسيا السوڤيتية إن جاز للمرء أن يتكلم بصراحة"! ظلّ يتكلم طوال يومه بصراحةٍ فيزيد من ازعاج مضيفيه. وهو الآن يشتد في ضغطه ويريد من ألمانيا أن "تسحب" هذه الضمانة فيأبى هتلر. استمر مولوتوف بلا هوادة وقال لابأس في ذلك. والآن ماقول ألمانيا في اعطاء روسيا ضمانة... لبلغاريا بعين الشروط التي اعطت ألمانيا وإيطاليا ضمانة لرومانيا نظراً الى مصالح موسكو في المضايق؟

إن المرأ ليكاد يتبيّن التقطيبة السوداء التي غمّت على أسارير هتلر. وسأل هل أن بلغاريا طلبت مثل هذه الضمانة كما طلبت رومانيا؟ فهو [أي الزعيم] لم يعلم عن أي رجاء تقدمت به بلغاريا. ومهما يكن من أمر فهو ملزم بمشاورة موسوليني قبل أن يعطي روسيا جواباً أوضح لسؤالها. وأضاف منذراً لو أتفق أن "شاءت ألمانيا البحث عن مصدر احتكاك مع روسيا فلن تكون بحاجة الى التعلل بالمضايق". على أن هتلر، الكثير الكلام عادة: لم يعد يعجبه الحديث مع هذا الروسيّ الذي لايطاق.

تقول المحاضر الألمانية "في هذه النقطة من الحديث، ذكّر الزعيم بالساعة المتأخرة وفوات الوقت وبيّن إنه يستحسن فضّ الإجتماع الآن لإحتمال وقوع غارات جوية إنكليزية ولأن المواضيع الأساسية قد بحثت بحثاً كافياً مستفيضاً".

في مساء ذلك اليوم اقام مولوتوف حفلة استقبال وعشاء لمضيفيه في السفارة السوڤيتية. في (اونتردن ليندن). ولم يحضرها هتلر، لأنه على مايبدو كان مرهقاً منزعجاً من محنة العصر.

إلا أن البريطانيين حضروا الحفلة. كنت اتساءل لماذا لم تأت قاصفاتهم وتحلق فوق برلين كما دأبت كل ليلة سابقة تقريباً لتذكر القوميسار السوڤيتي في اول ليلة له في العاصمة بأن بريطانيا مازالت في المعركة ترفس وتخبط رغم ماقاله الألمان عنها. وأقرّ ان فريقاً منّا إنتظر الطائرات والأمل يحدوه فلم تأت ليلتها. وظهر الارتياح على موظفي وزارة الخارجية الألمانية باجلى مظاهره، بعد ان توقعوا السيء. لكن الأمر لم يطل بهم.

ففي مساء ١٣ تشرين الثاني أقبل البريطانيون مبكرين[٣٧]. في هذا الوقت من السنة ينشر الظلام سدوله في برلين من الساعة الرابعة عصراً. وانطلقت صفارات الإنذار تزعق بعد التاسعة مساء بقليل وما هي لحظات الاّ وراح هزيم المدافع المضادة للطائرات يخرق طبلة الأذن يتخلّله صفير القنابل المفزع وهي تنثال من فوق. ويروي دكتور شميدت وكان مدعواً الى مأدبة السفارة السوڤيتية ان مولوتوف إقترح شرب نخب الصداقة فاستوى ريبنتروب على قدميه وفيم هو يهمّ بالجواب انطلقت صفارات

٣٧- يقول چرچل ان الغارة الجوية قد وقتت لهذه المناسبة توقيتاً. وكتب فيما بعد يقول "كنا قد علمنا بالمؤتمر في وقت سابق. ومع اننا لم ندع للمشاركة في المناقشات إلاّ اننا لم نرغب ان نبقى جاهلين تماماً بالوقائع!" چرچل (اجمل ساعات حياتهم ص٥٨٤).

الإنذار تعوي فانفرط عقد المدعوين واسرعوا الى المخابيء. واني لأذكر الهرج والمرج والإضطراب الذي ساد شارع ليندن ومنعطف ڤلهلمشتراسّه عندما اندفع الروس والألمان الى مخابيء وزارة الخارجية تحت الأرض واستبق بعض الموظفين ومن بينهم دكتور شميدت مدخل فندق آلدون حيث وقف بعضنا امام واجهته يرقب الأمور. ولهذا حيل بيننا وبين الإجتماع المرتجل الذي عقده وزيرالخارجية الآن في سراديب وزارة الخارجية العميقة. وبسبب غياب دكتور شميدت الإضطراري قام عنه بتدوين وقائع الإجتماع گوستاف هيلگر Gustav Hilger مستشار السفارة الألمانية في موسكو الذي كان ايضاً يقوم بمهمة مترجم من المترجمين أثناء المحادثات.

وفيم كانت القاصفات البريطانية تحوم فوق سماء برلين ليلاً والمدافع المضادة للطائرات تطلق قذائفها على المغيرات دون تأثير يذكر، حاول وزير الخارجية المراوغ للمرّة الأخيرة طيّ الروس تحت أبطه واستل من جيبه مسودة اتفاقية هي بالأساس قلبٌ للميثاق الثلاثي الى ميثاق رباعي تكون فيه روسيا العضو الرابع. واصغى مولوتوف صابراً بينما كان ريبنتروب يتلو محتوياتها.

كان البند الثاني لبّ المعاهدة. ففيه تتعهد ألمانيا وإيطاليا واليابان والإتحاد السوڤيتي "باحترام كل منها مجال نفوذ الاخريات الطبيعي" وكل الخلافات المتعلقة بتلك المجالات يجب ان تتم تسويتها "بالطرق الودّية" وتوافق الدولتان الفاشيتان واليابان على "الاعتراف بالامتداد الحالى لتخوم الإتحاد السوڤيتي وعلى احترامها". وتتعهد الدول الأربع كلها في البند الثالث بالاّ تنضمّ او تساعد أي مجموعة او اتحاد دولي "موجّه ضدّ واحدة من الدول الأربع الموقعة".

واقترح ريبنتروب أن تنشر المعاهدة نفسها على الملأ وأن تبقى سراً بروتوكولاتها السرية التي بدأ يتلوها. واهمهما طراً البرتوكول الذي يحدد "المجال التوسعيّ" لكلّ دولة. فروسيا "ستركز نفسها جنوب الحدود القومية للاتحاد السوڤيتي باتجاه المحيط الهندي".

لم يستجب مولوتوف الى الطعم. والواضح أن المعاهدة المقترحة لم تكن إلاّ محاولة لتحويل روسيا عن ضغطها التاريخيّ نحو الغرب والبلطيق الى البلقان، ومن المضايق الى البحر الأبيض المتوسط حيث ستصطدم حتماً بالاطماع الألمانية والإيطالية. ولم يكن الإتحاد السوڤيتي في تلك اللحظة على الأقل مهتماً بالمحيط الهنديّ الذي يبعد عنه بعداً شاسعاً. فما يهمه الآن هو على حد ردّ مولوتوف. "أوروپا والمضايق التركية" واضاف مستطرداً "لذلك فإن معاهدات الورق لاتسد خلّة الإتحاد السوڤيتي وعليه أن يبقى مصراً على ضمانات فعالة لأمنه ومنعته".

"[ثم راح يوضح رأيه] أن المسألة التي تهمّ الإتحاد السوڤيتي لاتتعلق بتركيا وحدها بل ببلغاريا... بل ان مستقبل كل من رومانيا والمجر هو ذو اهمية ايضاً للاتحاد السوڤيتي ولايمكن أن يكون عديم القيمة بنظره بأي شكل كان. ويهمّ الحكومة السوڤيتية ان تعلم أيضاً عمّا رسمه المحور بخصوص يوغوسلاڤيا واليونان وما إنتوته ألمانيا بخصوص پولندا... ثم أنّ الإتحاد السوڤيتي مهتم أيضاً بمسألة حياد السويد... والى جانب ذلك توجد ايضاً مسألة المرور من بحر البلطيق..."

لم يترك قوميسار الخارجية السوڤيتي شيئاً إلاّ بحثه.

وانتظر بوجهه القاسي المربع وجَلده الذي لايخور جواب ريبنتروب وقد شعر هذا وكأنه دفن تحت وابل الاسئلة. قال مولوتوف انه "ليكون ممتناً" لو اجاب ضيفه على هذه الاسئلة ولم يسع ريبنتروب إلاّ التظلّم بأنّه "يُستجوب إستجواباً دقيقاً". واستطرد يقول بلهجة خائرة:

"انه لايستطيع إلاّ أن يردد مرة بعد أخرى بأنّ السؤال الحاسم هو هل أن الإتحاد السوڤيتي مستعدٌ أو هو في وضع يقبل التعاون معنا في التصفية العظمى للامبراطورية البريطانية"؟

كان مولوتوف متأهباً له بجواب بتّار، أسرع هلگر بتدوينه في المحضر: "في جواب مولوتوف بيّن أن الألمان يفترضون دائماً أن الحرب ضدّ برطانيا قد انتهت وتم كسبها فعلاً. واذا كانت ألمانيا والحالة هذه "كما زعم هتلر" تخوض غمار كفاح حياة وموت ضد بريطانيا فلايمكنه إلاّ أن يفسّر معنى هذا بأن ألمانيا تحارب "في سبيل الحياة" وإنگلترا تحارب "في سبيل الموت"!!!

واذا ما كانت هذه السخرية تستدق على فهم ريبنتروب الذي بات ثخن عقله مضرب المثل. فمولوتوف ليس ممن يتركون الأمر للظروف والفرص وعقّب على ترديد الألمان القول بأن إنگلترا انتهت: "إذا كان الأمر كذلك فلماذا نحن الآن في المخبأ؟ ولمن هذه القنابل التي تتساقط؟[٣٨]!"

من هذه التجربة المزعجة التي مر بها هتلر مع مفاوض موسكو الصعب المكسر ومن دلائل أخرى عن شهية ستالين المتزايدة التي وردته أنباؤها بعد أسبوعين، توصل الى آخر النتائج.

ومما ينبغي ذكره هنا بأن الدكتاتور السوڤيتي (وإن إدعى فيما بعد خلاف ذلك)، قبل عرض هتلر لإنضمام بلاده الى كتلة الدول الثلاث على أن يزاد الثمن الذي دفع في برلين. ففي ٢٦ تشرين الثاني ولم يمرّ على عودة مولوتوف من ألمانيا غير أسبوعين أبلغ السفير الألماني في موسكو أن روسيا على استعداد للانضمام الى حلف الدول الأربع اذ توفرت الشروط التالية:

١- تسحب القوات الألمانية حالاً من فنلندا التي... ستكون من ضمن مجال مصالح الإتحاد السوڤيتي.

٢- في غضون شهرين من تاريخه يتمّ تأمين مصالح الإتحاد السوڤيتي في المضايق بابرام ميثاق تعاون متبادل بين الإتحاد السوڤيتي وبلغاريا... وبانشاء قاعدة للقوات البرية والبحرية السوڤيتية على مقربة من البوسفور والدردنيل تؤجر لمدة طويلة من الحكومة البلغارية.

٣- يعترف بالاصقاع الواقعة الى جنوب (باطوم وباكو) بالاتجاه العمومي الى الخليج الفارسي مركزاً لمطامح الإتحاد السوڤيتي.

٤- تنزل اليابان عن كل حقوقها في امتيازات الفحم والنفط شمالي سخالين Sakhalin[٣٩].

وطلب ستالين خمسة بروتوكولات بدل إثنين تتضمن مقترحاته الجديدة. واقترح لأسباب وجيهة وفي

٣٨- روى ستالين لچرچل هذه الصفعة الوداعية التي كالها مولوتوف في أيام الحرب التالية "چرچل أجمل ساعات حياتهم ص٥٨٦".

٣٩- تقرير شولنبرگ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٠- USR الص ٢٥٨-٢٥٩.

حالة تمنّع تركيا ومعارضتها انشاء القواعد الروسية التي تسيطر على المضايق أن تتخذ الدول الأربع ضدّها اجراءات عسكرية.

إن المقترحات تتضمن ثمناً أعلى مما رغب هتلر في التفكير به. لقد حاول أن يبعد روسيا عن أوروپا لكن ستالين الآن يريد فنلندا وبلغاريا والاشراف على المضايق بالإضافة إلى حقول النفط العربية والايرانية التي تمدّ أوروپا عادة بمعظم نفطها. ولم يذكر الروس حتى إسم المحيط الهندي. الذي حاول (الزعيم) ابرازه بمثابة مركز "المطامح" الإتحاد السوڤياتي.

قال هتلر لقواده العسكريين: إن ستالين ماكرٌ ذكيّ وهو لايفتأ يطلب المزيد والمزيد. إنه مبتزّ لايرحم. لقد اصبح الروس لايطيقون نصراً لألمانيا ولذلك يجب أن ترغم روسيا على الركوع إرغاماً وباسرع ما يمكن[٤٠].

المبتزّ النازي الأعظم الذي لايرحم لقي الآن قرينه وقد ملأه هذا اللقاء حقداً وضغينة. في بداية شهر تشرين الأول طلب من هالدر أن يأتيه بخطة هيئة الأركان العامة للجيش في الهجوم على الإتحاد السوڤيتي. وفي ٥ تشرين الأول جلبها براوختش وهالدر بملء الطاعة. وبعد أربع ساعات من المداولة أقرّها. أتى إلى تفصيل ما جرى في هذا المؤتمر الخطير كل من يوميات حرب القيادة العليا للقوات المسلّحة المستولى عليها، ومذكرات هالدر الخاصّة[٤١]. واوضح سيد الحرب النازي أنه ينبغي اختراق الجيش الأحمر من شمال وجنوب مستنقعات پريپت Pripet ثم تطويقه وابادته وقال لهالدر ليست موسكو مهمة كما هو الأمر في عاصمة پولندا" والمهمّ هو القضاء على "قوة حياة" روسيا. وستنضم فنلندا ورومانيا الى المعركة. لكن المجر ستبقى خارجها. كما أمر ان تنقل فرقة الجنرال (ديتل Dietl) الجبلية المعسكرة في نارڤيك الى فنلندا عبر السويد لتستخدم في الهجوم على المنطقة القطبية الروسية[٤٢] وخصص لهذه الحرب الكبرى ما يتراوح "مجموعه بين ١٢٠ و١٣٠ فرقة".

وعند ذكر يوميات (هالدر) للمؤتمر نوهت باسم (أوتو) كرمز سريّ للخطة الروسية كما جرى التنويه به في يومية سابقة لها. وفي ١٨ تشرين الأول ١٩٤٨ بعد أقل من أسبوعين أبدل إسم الخطة باسم آخر دخل التاريخ العام منذئذ. ففي هذا اليوم أقدم هتلر على خطوته المنتواة وعبر الجسر بنشره الأمر التوجيهيّ المرقم (٢١) مصدّراً بعنوان "عملية بربروسه" وبدأه كالآتي:

من مقرّ قيادة الزعيم   سريّ جداً

١٨ تشرين الأول ١٩٤٠

يجب أن تستعدّ القوات المسلحة الألمانية لسحق روسيا السوڤيتية في حرب خاطفة. قبل انتهاء

٤٠- مؤتمرات الزعيم في الشؤون البحرية ١٩٤١ ص١٣، يوميات هالدر ١٦ كانون الثاني ١٩٤١.

٤١- يوميات هالدر ٥ تشرين الثاني ١٩٤٠، (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٤، الص ٣٧٤-٣٧٥ (وثائق نورمبرگ ١٧٩٩- PS). والاخيرة هي ترجمة لجزء من يوميات حرب القيادة العليا- قسم الحركات برآسة يودل.

٤٢- سمحت السويد بنقل هذه الفرقة بكامل سلاحها. في حين كانت قد أبت أن تسمح للحلفاء بنقل وحداتهم أثناء الحرب الروسية الفنلندية ولحقت المجر بألمانيا طبعاً فيما بعد ودخلت الحرب الى صفها.

الحرب مع بريطانيا. وتحقيقاً لهذه الغاية يترتّب على الجيش إستخدام كل الوحدات المتيسرة مع المحافظة على الاحتياطيّ الذي سيقوم بحماية المناطق المحتلة من هجوم مباغت...

الاستعدادات... يجب أن تكمل في ١٥ أيار ١٩٤١. وتتخذ اعظم الاحتياطات والحذر من كشف نية الهجوم وافتضاحها."

اذن فيوم الهجوم سيكون ١٥ أيار من الربيع القادم. ولقد اوضح هتلر "الغاية العامة" من عملية بربروسّه كمايلي: "يجب أن يقضى قضاءً تاماً على مجموع الجيش الروسي في روسيا الغربية بعمليات جريئة، تتم باندفاع عميق الى الأمام ودق أسافين مدرعّة. ويجب أن يحال بايّ ثمن كان، دون أي تقهقر منتظم تقوم به الوحدات الروسية المتأهبة للقتال إلى الفضاء الروسي الواسع دون خسائر. الهدف النهائي للعمليــة هو انشــاء خطّ دفاعي بمواجهة روسيا الآسيوية يمتد من مجرى الڤولگا الى آرخانجل Archangel(٤٣)"

وراح أمر هتلر التوجيهي يسهب كثيراً في شرح خطوط الهجوم الأساسية وتحديد دوري فنلندا ورومانيا. اذ ستسخدمان بمثابة نقاط وثوب للهجوم العسكري من اقصى شمال وجنوب الجناحين، فضلاً عن مساهمتهما في تقديم قوات عسكرية لمساعدة الجيوش الألمانية في هذه العمليات. ويؤكد الأمر التوجيهي على اهميّة موقع فنلندا ويقضي بأن تتقدم جيوش ألمانية-فنلندية نحو لينينگراد ومنطقة (لادوگا Ladoga) فتقطع خطّ حديد (مورمانسك Murmansk) وتستحوذ على مناجم النيكل في پتسامو Petsoma وتحتلّ الموانيء الروسية الخالية من الجليد في المحيط القطبيّ. واقرّ هتلر أن الكثير يتوقف على سماح السويد بنقل العساكر الألمانية من النرويج عبر اراضيها الاّ أنه أصاب التكهّن بأن السويديين سيتعاونون في هذا المجال.

وبيّن أن العمليات الاساسيّة يجب أن تجزأ عند مستنقعات پريپت والضربة الكبرى ستهوي في شمال المستنقعات بمجموعتي جيشين كاملتين تزحف إحداهما من دول البلطيق الى لينينگراد وتتقدم الأخرى من الجنوب فتندفع الى روسيا البيضاء ثم تنحرف شمالاً للاندماج بمجموعة الجيوش الأولى وبهذا توقع بين فكيها ما يتبقى من القوات السوڤيتية التي تحاول التقهقر من البلطيق. وهنا فقط يشرع بالهجوم على موسكو، هذه العاصمة التي بدت لهتلر قبل أسبوعين "غير مهمّة" اتخذت الآن مركزاً أكثر خطورة. فقد كتب "ان احتلال هذه المدينة يعني نصراً حاسماً سياسياً واقتصادياً، ناهيك بسقوط أهم مركز خطوط سكك حديد في كلّ البلاد". وأشار الى أن موسكو فضلاً عن كونها مركز مواصلات روسيا الرئيس، هي أكبر منتجة للسلاح".

٤٣- زعم كثير من المؤرخين أن هتلر لم يخض كثيراً في التفاصيل. في اول امرٍ توجيهيّ. وهذا وهم ربما اوقعهم فيه المقتبس المختصر جداً له الذي ورد بترجمة إنگليزية في (مؤامرة النازيين وعدوانهم) الاّ ان النص الألماني الكامل موجود في (محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٢٦، الص ٤٧-٥٢. وهو يكشف عن تفاصيل كاملة. ويثبت كم قطعت خطط الألمان من اشواط بعيدة في هذا التاريخ السابق. (النص الكامل الألماني - المرجع السالف. الترجمة الإنگليزية، المرجع المذكور، ج٣، الص ٤٠٧-٤٠٩.

وتزحف مجموعة جيوش أخرى جنوب المستنقعات وتدوخ اوكرانيا مستهدفة (كييف). وهدفها الأساسي طيّ وتدمير القوات الروسية هناك غرب نهر الدينبر. والى أقصى الجنوب تقوم قوات ألمانية-رومانية مشتركة بحماية جناح العملية الرئيسة وتتقدم نحو اوديسّا Odessa.

ومن ثمّ تزحف على طول ساحل البحر الأسود. وبعد ذلك يتمّ احتلال حوض الدونتز Donets حيث يتركز ستون بالمائة من الصناعات السوفيتية. خطة هتلر الجبّارة هذه تمّ الفراغ منها قبل عيد الميلاد في ١٩٤٠ وقد رسم بدرجة من الإحكام بحيث لم يطرأ عليها ايّة تغييرات جوهرية. ولأجل ضمان السرية والكتمان لم يعمل من الأمر التوجيهي غير تسع نسخ وزعت نسخة واحدة لكلّ صنف من اصناف القوات المسلحة الثلاثة. أما الباقي فقد حفظه مقرّ القيادة العليا في حزرٍ حريز. واوصى الأمر التوجيهي بشكل صريح أن يبقى السرّ بعيداً عن كبار القادة أنفسهم، فيقال لهم أن الخطة انما هي لمجرد "الإحتياط في حالة تغيير روسيا مسلكها ازاءنا" وأمر هتلر أن يقلل عدد الضباط العارفين بالسرّ "الى أقصى حد ممكن" وإلاّ يكون الخطر محققاً "بانكشاف استعداداتنا للعدو مما قد ينجم عنه أسوأ الآثار السياسية والعسكرية".

وليس هناك دليل يثبت أن جنرالات القيادة العليا للجيش اعترضوا على قرار هتلر بالتوجه الى الإتحاد السوفيتي، الذي مكنهم تطبيقه المخلص لميثاقة مع ألمانيا من تحقيق انتصاراتهم في پولندا والغرب. وبعد أن مر الزمن وعفا، يقوم هالدر ليكتب هازئاً مستخفاً "بمغامرة هتلر الروسية" مدعياً أن قادة الجيش كانوا ضدّها من البداية[٤٤] لكن لايوجد كلمة واحدة في وقائع أيام تشرين الأول من مذكرته الأمينة الهامة ما يدعم به زعمه هذا، بالعكس فهو يخلف في قاريء مذكراته انطباعاً عن تحمّسه الصادق لتلك "المغامرة" التي يحمل هو مسؤولية وضع خططها بالدرجة الأولى بوصفه رئيس أركان حرب الجيش العام.

على أية حال رمى هتلر بقداحه وختم على مصيره النهائي بهذا القرار المؤرخ في ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ وان لم يكن يدري به. وبعد أن اراح نفسه من التذبذب وخلا باله بالتوصل الى قرارٍ أخيراً - (كما أقرّ بذلك فيما بعد) سافر للاحتفال بعيد الميلاد مع القوات العسكرية والطيارين المعسكرين على طول القنال الإنگليزي على أبعد مسافة ممكنة من روسيا. بعيد ايضاً فكرياً وربما الى أقصى من هذا مسافة عن عن شارل الثاني عشر ملك السويد ونابوليون بونابرت اللذين لقيا هزيمتهما المنكرة بعد فتوحات شبيهة بفتوحاته في أعماق سهوب روسيا المترامية وكيف يمكن أن تشغل حيّزاً من تفكيره؟ فهو الآن يرى نفسه أعظم فاتحي الدنيا كما ستشرحه الوثائق بعد قليل. إن (جنون الأنا) كان ولمّا يزل داءً عياءً لكلّ الفاتحين وهو الآن يقبض نفس المتشرد الڤيينّي السابق بيد من حديد.

٤٤- هالدر: هتلر سيد الحرب Hitler als Feldherr ص٢٢.

-٣-

ستة أشهر من الإخفاق

ومع كل فتوحات الدكتاتور النازيّ الداوية في ربيع وأوائل صيف ١٩٤٠ فإنّه مني بستّة اشهر من الإخفاق المتوالي ولم يعد الأمر قاصراً على إفلات النصر من يده في بريطانيا بل ضاعت منه ايضاً فرص توجيه ضربة قتّالة لها في حوض البحر الأبيض المتوسط.

بعد يومين من عيد الميلاد التقى امير البحر الأكبر (رايدر) بهتلر في برلين. ولم تكن لديه من افراح عيد الميلاد ما يقدمه. وقال (للزعيم) "ان تهديد بريطانيا في شرق البحر الأبيض المتوسط برمّته، وفي الشرق الأدنى وشمال افريقيا قد زال وقضي عليه. ولذلك بات عملنا الحاسم في البحر المتوسط الذي كنّا نبني عليه الآمال مستحيلاً يتعذر تحقيقه".[٤٥]

والحق يقال، إن هتلر ضيعّ فرصته في حوض البحر المتوسط والسبب هو تلون فرانكو وسرعة تقلّبه، وقلّة كفاءة موسوليني وخرف المريشال بيتان. نزلت الكارثة بالحليف الإيطالي في صحراء (مصر)، وها هو الآن يواجه مثلها في جبال ألبانيا المكسوة بالثلوج. هذه الأحداث غير المتوقعة كانت أيضاً نقاط تحوّل في الحرب وفي مجرى تاريخ الرايخ الثالث ولم يكن سببها الأوحد ضعف حلفاء ألمانيا واصدقائها، وانما يتعداه الى عجز سيّد الحرب النازي عن إستيعاب ستراتيجية خارج القارّة، ذات الفضاء الأرحب وكان (رايدر) وگورنگ نفسه يلحان عليه للعمل في هديها. حاول أمير البحر الأكبر مرتين أن يفتح بصيرة هتلر إلى آفاق جديدة في ١٩٤٠ (٦ و٢٠ أيلول) باشارته الى ان صداماً مباشراً مع بريطانيا لم يعد مجال بحث. وفي مؤتمر الحرب الثاني انتحى (رايدر) بهتلر جانباً وابتعد به عن تدخل ضباط الجيش في حديثه طويل معه، والقى عليه محاضرة طويلة في ستراتيجية الأسطول وفتح عينيه الى اهمية دحر بريطانيا في مواقع أخرى غير الهجوم المباشر عليها عبر القنال الإنكليزي ومما قاله له:

"إن البريطانيين إعتدُّوا دائماً البحر الأبيض المتوسط وجعلوه المحور الذي تقف عليه امبراطوريتهم العالميّة... وإيطاليا التي تضيّق عليها القوات البريطانية الخناق يزداد تعرّضها بصورة سريعة للهجوم الرئيس... والطليان لم يدركوا بعد شدة الخطر المحدق بهم ولذلك رفضوا مساعدتنا ومع هذا فلامناص لألمانيا من شن الحرب الزبون على بريطانيا العظمى بكل ما تملك من وسائل، دون أن يضيّع لحظة واحدة. وقبل أن تستطيع الولايات المتحدة التدخل تدخلاً فعالاً. ولهذا السبب ينبغي أن نفرغ من مسألة البحر الابيض المتوسط خلال اشهر الشتاء."

كيف تعالج المسألة؟

٤٥- مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية ١٩٤٠، الص ١٣٥-١٣٦ (مؤتمرات كانون الأول ٢٧).

هنا يدخل امير البحر في صلب الموضوع فيقول:
"يجب أن نستولي على جبل طارق. وان تحتلّ القوة الجّوية جزر الكنار...
"ونُتم احتلال قنال السويس".

بعد السويس رسم (رايدر) صورة مشرقة لما يقضي المنطق بحصوله "الزحف في السويس عن طريق فلسطين وسورية والوصول الى تركيا عند الضرورة. إن بلوغنا هذه النقطة يضع تركيا في قبضتنا وهنا ستبدو مشكلة روسيا في ضوء آخر... حتى أكاد لاأرى ضرورة لزحفٍ على روسيا في الشمال."

بعد أن فرغ (رايدر) من طرد البريطانيين خارج البحر المتوسط وايقاع تركيا وروسيا في قبضة ألمانيا. مضى يكمل الصورة فتكهن تكهناً صائباً بأن بريطانيا بمساندة الولايات المتحدة والقوات (الديغولية) ستعمد بعد زمنٍ الى النزول في أفريقيا وإستخدامها قاعدةً لجبهة حربٍ ثانية ضدّ المحور. وألحّ امير البحر ان تقوم ألمانيا وحكومة فيشي بالحيلولة دون هذا بوضع أيديهما على هذه الاصقاع الهامة من الناحية الستراتيجية.

يقول رايدر بعد انتهاء محاضرته تلك إن هتلر وافق على "الخطّ العام الذي انتهجته آراؤه" ووعد أن يبحثها مع موسوليني وفرانكو وپيتان مبدئياً[٤٦]. الاّ انه لم يبرّ بوعده إلاّ بعد ضياع فترة طويلة من الوقت. فدبرّ لقاءه مع الدكتاتور الإسپاني في ٢٣ تشرين الأول واجتمع (بپيتان) وهو آنذاك رئيس الحكومة المتعاونة مع الألمان في ٢٤ تشرين الثاني، في مدينة فيشى Vichy وبعدها ببضعة أيامٍ إجتمع بموسوليني.

وفرانكو المدين بنصره في الحرب الاهلية الإسپانية الى العون العسكري الضخم من إيطاليا وألمانيا كان كزملائه الدكتاتورين ذا شهوة لاتشبع الى الغنائم لاسيما إن دفع بها الثمن البخس. وفي حزيران عندما إنهار بناء فرنسا المشمخرّ أسرع يبلغ هتلر عن استعداد إسپانيا للدخول في الحرب مقابل اعطائها معظم الامبراطورية الفرنسية الشاسعة في افريقيا بما فيها مراكش وغرب الجزائر شريطة أن تزوده ألمانيا بالسلاّح الكثير والنفط والارزاق[٤٧]. فلأجل أنه يتيح لفرانكو فرصة الوفاء بوعده هذا وصل قطاره الخاصّ الى (هنداي Hendaye) الواقعة على الحدود الفرنسية الإسپانية بتأريخ ٢٣ تشرين. الاّ أن احداثاً كثيرة كانت قد وقعت في الأشهر المنحصرة بين الوعد واللقاء (منها ان بريطانيا صمدت صموداً عنيداً)، ولهذا قدّر لهتلر أن يفاجأ مفاجأة لاتسرّ.

لم ينطل على الإسپاني الماكر مباهاة الزعيم بأن إنگلترا "هزمت هزيمة نكراء ولم تقم لها قائمة" ولم يكتف بوعد هتلر باعطائه تعويضات اقليمية في افريقيا الشمالية الفرنسية "الى حدّ يمكن تغطية خسارة فرنسا منها بتعويضها من المستعمرات البريطانية". إلاّ ان فرانكو كان يريد الامبراطورية الفرنسية خالصة غير معلقة باسباب مهما كانت. وكإن اقتراح هتلر ان تدخل إسپانيا الحرب في كانون

٤٦- المرجع السالف الص ٩١-٩٧ و١٠٤-١٠٨ (مؤتمر ٦ و ٢٦ أيلول ١٩٤٠. وقع رايدر كلا التقريرين.
٤٧- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية، ج٩، الص ٦٢٠-٦٢١.


بيتان

الثاني ١٩٤١، إلاّ أن فرانكو نوّه بالاخطار التي قد تنجم عن مثل هذا العمل الطائش. واراد هتلر من الإسپان أن يهاجموا جبل طارق في ١٠ كانون الثاني بمساعدة اولئك الخبراء الألمان الذين استولوا على حصون (ايبن آمايل) البلجيكية من الجوّ. فأجاب فرانكو بالكبرياء الإسپانية المعهودة أن الاستيلاء على جبل طارق عمل إسپاني (بحت) وهكذا راح الدكتاتوران يتناجزان ويتصاولان تسع ساعات كوامل. والدكتور شميدت الموجود في الإجتماع ايضاً، يروي أن فرانكو ظلّ يتكلم ويتكلم ويبدي ويعيد بصوت مملّ رتيب يشبه النقرة الواحدة التي لاتتغير حتى طفح الكيل وضاقت نفس هتلر ولم يعد يتمالك اعصابه فاستوى على قدميه وصاح "لا فائدة ثمّ في مواصلة الحديث" مثلما فعل بچمبرلين من قبل(٤٨).

وعلق على هذا امام موسوليني وهو يحدثه عن محنته الكبرى مع الـ(كواديللو Gaudillo أي الزعيم الإسپاني) "اني لافضل أن اخلع ثلاثة او أربعة أضراسٍ من فمي على معاناة هذه المحنة مرة اخرى"(٤٩). ومهما يكن فبعد مرور تسع ساعات وفوات الوقت على موعد تناول العشاء في عربة طعام هتلر الخاصة. أقفل باب الحديث في ساعة متأخرة من الليل دون أن ينتزع وعداً صريحاً منه بدخول الحرب فترك هتلر وراءه ريبنتروب لإكمال مباحثات تلك الليلة مع (سيرّانو سونير) وزير الخارجية الإسپاني وليحاول اقناع الإسپان بالتوقيع على شيءٍ ما واقلّه اتفاقية على طرد البريطانيين من جبل طارق وغلق البحر الابيض المتوسط الغربيّ بوجههم – الاّ أن مساعيه ذهبت ادراج الريح. وراح ريبنتروب صباح اليوم التالي يشتم فرانكو أمام دكتور شميدت قائلاً "ذلك الرعديد ناكر الجميل انه مدين لنا بكلّ شيءٍ، وهو يأبى الآن الانضمام الينا"(٥٠).

وتمخض إجتماعه بـ(پيتان) في (مونتوار Montoire) ثاني يومٍ بنتائج أفضل ولم يكن ذلك إلاّ لأن المريشال الخرف ذا الروح الاندحارية، بطل معركة فردون Verdun في الحرب العالمية الأولى ومقترف جريمة الاستسلام الفرنسي في الحرب العالمية الثانية، وافق على تعاون فرنسا مع قاهرها في آخر

٤٨- شميدت المرجع السالف ص١٩٦. يقدم الترجمان رواية جيدة نوعاً ما للحديث. المحضر الألماني في (وزارة الخارجية الامريكية تحت عنوان الحكومة الإسپانية والمحور) متقطع مفرق. يقدم اريخ كوردت الذي حضر الإجتماع تفاصيل أكثر في مذكراته غير المطبوعة التي سبق التنويه بها.
٤٩- أوراق تشيانو الدبلوماسية ص٤٠٢.
٥٠- شميدت المرجع الملف الص١٩٧.

مجهود لاخضاع حليفتها السابقة بريطانيا. والواقع أنه وافق على أن يسجلّ اتفاقه الفاضح هذا، كتابةً: "إن لدول المحور وفرنسا مصلحة واحدة في إلحاق الهزيمة بإنگلترا وتحقيق النصر النهائي عليها باسرع وقت ممكن. وبناء على ذلك ستساند الحكومة الفرنسية في حدود طاقاتها وإمكانياتها التدابير التي تتخذها دول المحور للوصول الى هذه الغاية"(٥١).

وتعويضاً لهذا العمل الغادر ستعطى فرنسا "في أوروپا الجديدة الوضع اللائق بها" وفي افريقيا تنال من الدكتاتورين الفاشيين تعويضاً على حساب الامبراطورية البريطانية، عن كلّ ما ستضطر الى النزول عنه من اراضيها الى الآخرين. واتفق الجانبان على ابقاء هذا الميثاق "سرّاً مقفلاً"(٥٢).

الا أن هتلر لم يكن راضياً رغم الامتيازات الهامة المخجلة التي نالها من (پيتان) ويزعم دكتور شميدت أنه رغب في الأكثر - فيما لايقلّ عن مساهمة فرنسا الفعالّة في الحرب ضدّ بريطانيا. ووجد الترجمان الرسميّ زعيمه في طريق العودة الطويل الى مونيخ كئيباً خائب الرجاء في نتائج رحلته. وقد زاد خيبة وكآبة في فلورنسا بعدما وصلها في صباح الثامن والعشرين من تشرين الأول لمقابلة موسوليني.

كانا قد اجتمعا قبل ثلاثة أسابيع فقط (٤ تشرين الأول) في ممر (برينر) وقام هتلر كالعادة بدور المتحدث الأكبر والقى بجولة من "آفاقياته" الباهرة Tours d` horizon، ولم ينوه فيها بحرفٍ عن إرساله قوات عسكرية الى رومانيا التي يطمع بها الدوتشي أيضاً. وبلغ السخط بالدوتشي منتهاه عندما علم بذلك بعد بضعة أيام: "[قال لتشيانو وقد إستشاط غيظاً] يجابهني هتلر بالأمر الواقع دائماً. واني مزمع أن اكيل له مثل كيله لي. سيقرأ في الصحف اني استوليت على اليونان وبهذه الوسيلة سيتحقق التعادل(٥٣).

ولم تكن مطامع الدوتشي فيالبلقان بأقل من مطامع هتلر. وبلغ من حرص هذا الأخير على الغنيمة أنه حذر روما منذ أواسط آب بألاّ تقوم بمغامرة عسكرية ضد ايّ من يوغوسلاڤيا واليونان. وكتب تشيانو في يومية ١٧ آب "انه امرٌ مطلق تام بالوقوف على الخط وعدم تخطيه" فطوى موسوليني لفترة من الوقت كل مشاريعه في تحقيق مأثرة عسكرية في البلقان وأيد عزمه بخطاب ذليل الى هتلر في ٢٧ آب. إلاّ ان مطمحه في فتح اليونان بسرعةٍ وسهولة ليضاهي الى حدٍ ما انتصارات شريكه

٥١- نص اتفاقية (مونتوار) موجودة بين وثائق وزارة الخارجية الألمانية المستولى عليها. الاّ ان وزارة الخارجية الأمريكية لم تسمح بالاطلاع عليها زمن الكتابة. على ان وليم. ل. لانگر في كتابه: مقامرتنا في فيشي الص ٩٤-٩٥ يقتبسها. فقد كانت من بين الوثائق التي وضعتها الوزارة تحت تصرفه.

٥٢- مع ان كلاً من چرچل وروزفلت كانا يجهلان الشروط السرية التي اتفق عليها في (مونتوار) الاّ انهما توقعا أسوأ العواقب. وارسل ملك إنگلترا عن طريق امريكي نداءً شخصياً الى پيتان يطلب منه ألاّ ينحاز الى جانب العدّو. وكانت رسالة روزفلت الى الماريشال جافة صاغها بكلمات خشنة. وانذره فيها بالعواقب الوخيمة التي تنجم عن غدر حكومة فيشي الفرنسية ببريطانيا (انظر وليام. ل. لانگير W. L. Langer- ص٩٧. توصل الاستاذ لانگير الى تقليب الوثائق الألمانية البريطانية والامريكية والاطلاع العام عليها).

٥٣- يوميات تشيانو ص٣٠٠.

الإمّعة، كان أعظم مما يستطيع أن يقاومه هذا القيصر الفاشيّ المزهوّ بنفسه مهما كان المطمح زائفاً.

وفي ٢٢ تشرين الأول عيّن يوم ٢٨ تاريخاً لهجوم إيطالي على اليونان وفي اليوم نفسه أرسل خطاباً الى هتلر (جعل تاريخه ١٩ تشرين الأول) منوّهاً بعمله المنتوى تنويهاً جعله غامضاً بخصوص كنه العمل وتاريخه. وذكر تشيانو في مذكراته يومئذ أن ما دفعه الى هذا خوفه من أن يصدر اليه الزعيم "امراً" بالتوقف. إلاّ أن هتلر وريبنتروب وقفا على خطط الدوتشي أثناء عودتهما من فرنسا. وبناء على توجيهات (الزعيم) توقف وزير الخارجية في اول محطة في ألمانيا واتصل بتشيانو تلفونياً وطلب تعيين إجتماعٍ فوريّ لزعيمي المحور فاقترح موسوليني ان يكون يوم ٢٨ تشرين الأول وهكذا كان. وعندما نزل الضيف الألماني في محطة قطار فلورنسا صباح ذلك يوم حيّاه برأس مرفوع، وبعينين تبرقان سروراً وغبطة قائلاً: "ايها الزعيم أننا الآن نزحف الى الأمام. إن القوات الإيطالية المظفرة قد عبرت الحدود الالبانية اليونانية فجر هذا اليوم![٥٤]".

وتشير كل المصادر الى أن موسوليني كان شديد الاستمتاع بانتقامه من صديقه لكلّ المناسبات التي زحف بها الدكتاتور النازي الى البلاد واحدة بعد الأخرى دون أن يعلم حليفه الإيطالي بها مسبقاً. وكان حنق هتلر شديداً. هذا العمل المتسرّع ضدّ خصم عنيدٍ وفي أسوء وقت ممكن من السنة يهدّد بانقلاب "عربة التفاح" في البلقان. ولم يسرع الزعيم الى فلورنسا (كما أخبر موسوليني بعدئذ في رسالة) إلاّ ليمنعه عن ذلك لكنّه وصل متأخراً ويذكر دكتور شميدت الحاضر أن هتلر استطاع كتم ما يعتمل في نفسه من غيظ.

"[كتب شميدت بعدئذ] ورحل هتلر شمالاً بعد ظهر اليوم والألم يأكل قلبه. لقد اخفق ثلاث مرات: في (هنداي ومونتوار) ثم في إيطاليا. وباتت له ذكرى هذه الرحلات الطويلة الممضة في ليالي الشتاء الطويلة للسنوات التي تلت مصدر شكوى لايني يضرب على وتره ولاينقطع عن ترديده عاتباً على ناكري الجميل الغادرين من اصدقائه وشركائه في المحور ثم على الفرنسيين "الخداعين"[٥٥].

مع هذا ينبغي أن يفعل شيئاً في أمر متابعة حرب بريطانيا. بعد أن اضحى غزوها مستحيلاً. ولم يكد يصل برلين حتى برزت ضرورة عمل شيءٍ وزاد ضغط ذلك عليه بسبب اخفاق جيوش الدوتشي في اليونان. اذ ما مرّ على الهجوم الإيطالي المظفر" أسبوعٌ واحد حتى انقلب الى هزيمة. وفي ٤ تشرين الثاني عقد مؤتمراً حربياً في المستشارية ببرلين استدعى اليه (براوختش وهالدر) عن الجيش (وكايتل ويودل) من القيادة العليا. ونحن ندين بيوميات هالدر وتقريرٍ (ليودل) موجه الى البحّرية حول المؤتمر مما تم الاستيلاء عليه بين الوثائق... ولولاهما ماعرفنا عن قرارات سيد الحرب التي تضمنها الأمر التوجيهي الثامن عشر الذي اصدره في ١٢ تشرين الثاني. والنص هو بين محفوظات نورمبرگ[٥٦].

٥٤- نورمبرگ: شهادة ريبنتروب. شميدت، كتابه ص٢٢٠. وهو ايضاً يذكر العبارات.

٥٥- شميدت، المرجع السالف ص٢٠٠.

٥٦- يوميات هالدر: ٤ تشرين ١٩٤٠. تقرير يودل الى الادارة. شنيڤند: ٤ تشرين. مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٠ الص ١١٢-١١٧. الامر التوجيهي الثامن عشر، ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٠. "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٤٠٣-٤٠٧. وثائق نورمبرگ PS ٤٤٤).

بات تأثير الاسطول على ستراتيجية هتلر من الوضوح بمكان. كما كانت ضرورة مد يد العون الى الحليف الإيطالي المتورّط توجب القيام بعملٍ. ولاحظ هالدر "قلة ثقة" الزعيم بالزعامة الإيطالية. وتقرر بالنتيجة (ألاّ) يرسل نجدات ألمانية الى (ليبيا) حتي تبلغ قوات المرشال رودولفو كرازياني Rodolfo Graziani) مرسى مطروح [وكانت في أيلول قد تقدمت ستين ميلاً داخل الحدود المصرية حتى بلغت (سيدي برّاني)]. وهذا يعني تقدماً آخر على محاذاة الساحل يبلغ طوله خمسة وسبعين ميلاً لاينتظر انجازه قبل عيد الميلاد إن إستطاع اليه سبيلاً وفي الوقت نفسه تتخذ التدابير لإرسال عددٍ من الطائرات المنقضّة الى مصر لمهاجمة الاسطول البريطاني في الاسكندرية وزرع الألغام في قنال السويس.

أما بالنسبة إلى اليونان فقد اعترف هتلر لقوّاده بان الهجوم الإيطالي كان "غلطة فظيعة مؤسفة" هددت لسوء الحظّ مركز ألمانيا في البلقان. لقد حقق البريطانيون باحتلالهم جزيرتي كريت Crete ولمنوس Lemnos حصولهم على قاعدة جويّة يتمكنون القيام منها بضرب حقول النفط الرومانية بكل سهولة وبإنزالهم جنوداً الى ارض اليونان فهم يهددون مركز الألمان في البلقان باكمله. ولمواجهة هذا الخطر أمر هتلر الجيش أن يهيّء فوراً الخطط اللازمة لغزو اليونان عبر بلغاريا بقوة لاتقلّ عن عشر فرق ترسل اولاً الى رومانيا. وقال "من المؤمل أن تبقى روسيا على الحياد".

الاّ أن معظم المؤتمر المنعقد بتاريخ ٤ تشرين الثاني واغلب فقرات الامر التوجيهي الثامن عشر الذي تلاه كان وقفاً على تحطيم مركز بريطانيا في غرب البحر الابيض المتوسط:

"[جاء في الأمر التوجيهي] سيستولى على جبل طارق وتقفل المضايق وسيمنع الإنگليز من الحصول على موطيء قدم في نقطة أخرى من شبه جزيرة ايبريا او جزر الاطلنطي.

وسيكون الأسم الرمزي لعمليّة جبل طارق وجزر الكنار الإسپانية وجزر كاپ ڤردي Cape Verde البرتغالية: فيلكس "Felix" وعلى الأسطول أيضاً أن يتدارس إحتمال احتلال جزر الماديرا Madera والآزور Azores البرتغالية. وربما دعت الحاجة الى احتلال البرتغال نفسها وعندئذ سيكون الإسم الرمزي لهذه العملية الأخيرة "ايزابللا Isabella" وسيخصص لذلك ثلاث فرق ألمانية تحتشد على الحدود الإسبانية البرتغالية.

أخيراً يجب أن تطلق من عقالها وحدات من الاسطول الفرنسي والجنود لتتمكن فرنسا من الدفاع عن ممتلكاتها في شمال غربي افريقيا. إزاء بريطانيا وديگول. وقال في أمره التوجيهي "من هذه المهمّة المبدئية ستتطور مساهمة فرنسا في الحرب ضد إنگلترا إلى الحدّ الأكمل".

وتضمنت خطط هتلر الجديدة كما انهاها الى القادة في مؤتمر الرابع من تشرين الثاني وبسطها في امره التوجيهي بعد أسبوع -تفاصيل حربيّة كثيرة ولاسيما عن كيفية أخذ جبل طارق بضربة ألمانية جريئة- ويظهر أنه أدهش بها قواده العامين لجرأتها وحيلتها. إلاّ أنها في الواقع انصاف خطط لايمكن أن تحقق اهدافها عند التطبيق مبنية من جهةٍ على اساس خداع جنرالاته، فهو يذكرهم في الرابع من

تشرين الثاني (كما كتب هالدر) أنه تسلم قبل قليلٍ وعداً مجدداً من فرانكو بدخوله الحرب الى جانب ألمانيا في حين لم يكن ذلك صحيحاً كما بيّنا. وكانت الأهداف المتوخاة من طرد البريطانيين من البحر الأبيض المتوسط معقولةً صائبة الاّ ان القوات المخصصة للمهمّة لاتكفي أبداً ولاسيما بعد ان انكشف ضعف إيطاليا. وأشارت هيئة أركان البحرية الى هذه الحقيقة بلهجةٍ قوية خشنة تضمنتها المذكرة التي رفعها (رايدر) الى هتلر في ١٤ تشرين الثاني[٥٧] يقول رجال البحر: إن الكارثة التي حلّت بالطليان في اليونان لم تحسّن من موقف بريطانيا الستراتيجي تحسيناً كبيراً في البحر المتوسط لكنها رفعت من مكانة البريطانيين وسمعتهم في العالم (في تلك الأيام دفعت جيوش موسوليني مسافة كبيرة الى البانيا واستمرّ تقهقرها) وأما عن الهجوم الإيطالي في (مصر) فقد صارح الاسطول هتلر أن "إيطاليا لن تستطيع مطلقاً القيام بالهجوم المصريّ"، والزعامة الإيطالية متصدّعة. وهم يجهلون حقيقة الموقف جهلاً تاماً، وقواتهم المسلّحة تفتقر الى القيادة والمقدرة الحربيّة على النهوض باعباء العمليات المتطلبة في منطقة حوض البحر المتوسط والخروج منها بنتائج ناجحة بالسرعة والقرارات الضرورية.

ويخلص الأسطول إلى القول أن هذه المهمّة يجب أن تقوم بها ألمانيا وحذر هتلر بأن "الحرب في سبيل المنطقة الأفريقية هو أهم هدف ستراتيجي للحرب الألمانية على العموم... انها ذات أهمية حاسمة في تقرير مصير الحرب". على أن الدكتاتور النازي لم يكن مقتنعاً. فلم يتصور قطّ الحرب في البحر المتوسط وشمالي افريقيا إلاّ حرباً ثانوية بالقياس الى هدفه الأساسيّ. وعندما شرح له الأميرال (رايدر) مفهوم الأسطول الستراتيجي في إجتماع ١٤ تشرين الثاني اجابه "انه مازال يميل إلى عملية ضدّ روسيا"[٥٨]. والواقع انه كان أكثر ميلاً الى ذلك منه في اي وقت، ففي صبيحة هذا اليوم غادر مولوتوف برلين بعد أن ألهب هتلر غيظاً. وعندما التقى أمير البحر بزعيمه بعد يومين من عيد الميلاد ليخبر كيف ضاعت الفرصة في البحر الابيض المتوسط لم يقلق كثيراً ولم يعر اذناً صاغية لحجّة رايدر: بأن انتصار البريطانيين على الطليان في مصر[٥٩] وازدياد المساعدات المادية التي يتسلمونها

٥٧- مؤتمرات الزعيم البحرية ١٩٤٠ ص١٢٥.

٥٨- المرجع السالف، ص١٢٤.

٥٩- في هذا التاريخ قامت قوة بريطانية مختلطة تتألف من فرقة مدرعة واحدة وفرقة مشاة هندية واحدة ولوائين من المشاة وكتيبة الدبابات الملكية. يبلغ مجموعها الكلي (٣١٠٠٠) ألف مقاتل بهجوم على قوات إيطالية تبلغ ثلاثة أضعافها فدحرتها وأخرجتها من الأراضي المصرية، وأسرت (٣٨٠٠٠) مقاتل ولم تخسر غير (١٣٣) قتيلاً و(٣٨٧) جريحاً وثمانية مفقودين. بدأ الهجوم البريطاني المضادّ تحت قيادة الجنرال سرّ ارشيبالد ويڤل Sir Archibald Wavell العامّة في ٧ كانون الأول وما مرت أربعة أيام حتى انقلب نصر جيش المارشال گرازياني الى هزيمة نكراء وما كان قد رسم له ان يكون هجمة معاكسة موضعية لايزيد أمدها على خمسة أيام، استمّر حتى ٧ شباط وحقق فيه البريطانيون زحفاً سريعاً طوله خمسمائة ميلٍ واجتازوا (قرناقة) وابادوا الجيش الايطالي في ليبيا برمته وكان يتألف من عشر فرق. وغنموا (١٣٠٠٠٠) أسيرٍ و(٥٠٠) دبابة و(١٢٤٠) مدفعاً وكانت خسارة المهاجمين (٥٠٠) قتيل و(١٣٧٣) جريحاً. و(٥٥) مفقوداً. يقول الكاتب العسكري البريطاني الكثير الحذر الجنرال (فوللر) عن هذه المعركة "انها واحدة من اعظم المعارك الجريئة التي وقعت في التاريخ" (فوللر: الحرب العالمية الثانية، ص٩٨). =

من امريكا تحتّم تركيز كل الموارد الألمانية لسحق بريطانيا نهائياً، و(بربروسه) يجب ان تؤجل حتى "سقوط بريطانيا". قال هتلر: "نظراً الى التطورات السياسية الراهنة ولاسيما تدخل روسيا في شؤون البلقان، يجب علينا أن نقضي باي ثمن كان على آخر بقايا العدو في القارة الأوروبية قبل إلتحامنا ببريطانيا". ومن هذه اللحظة فصاعداً. بقي مقيماً على هذه الستراتيجية المتعصبة متمسكاً بها.

ووعد هتلر امير البحر الأكبر بمكافأة "وهي محاولة ثانية منه للتأثير على فرانكو" حتى تسهل عملية الهجوم على جبل طارق ويغلق البحر المتوسط في وجه الأسطول البريطانيّ. والواقع أنه كان قد طرح الفكرة كلها من ذهنه. إذ أصدر بتاريخ ١١ تشرين الأول أمراً مكتوماً "بعدم تنفيذ عملية (فيلكس) لانتفاء الدواعي السياسية اليها". ولفرط ملاحقة الأسطول والطليان له، قام هتلر بمحاولة أخيرة مع فرانكو وكان ذلك مؤلماً له فوجّه في ٦ شباط ١٩٤١ رسالة طويلة الى الدكتاتور الإسپاني:

"... يجب أن نتصارح يا (كواديللو) في أمرٍ واحد: نحن الآن نخوض معركة حياة وموت ولسنا نستطيع في هذا الوقت تقديم اي هدية...

"ان المعركة التي تخوضها ألمانيا وإيطاليا الآن ستقرّر مصير إسپانيا أيضاً ولن يكتب لنظامك الحالي الدوام إلاّ بانتصارنا[٦٠]."

ولسوء حظّ المحور وصلت هذه الرسالة (كواديللو) في اليوم الذي أبيدت آخر قوات المرشال گرازياني على يد القوات البريطانية في قرناقة Cyrenaica بالقرب من بنغازي. فلا عجب أن يقوم فرانكو، في ردّه المورخ ٢٦ شباط ١٩٤١ بتذكير الزعيم النازي أن "التطورات الأخيرة قد جعلت من ظروف تشرين الأول حوادث عتيقة لايمكن إدخالها في الحساب" وأن تفهمهما للوقت آنذاك أصبح حالياً غير ذي أثر". على أنه أكدّ "ولاءه المطلق" للمحور.

كانت واحدة من المناسبات النادرة في حياة هتلر العاصفة التي سلم بها بالهزيمة وكتب الى موسوليني يقول: "إن محصّل الكلام المستخلص من اللغو الإسپاني المملّ هو أن إسپانيا لاتريد دخول الحرب الآن وفي المستقبل. إن هذا لما يدعو الى اشدّ الانزعاج لأنّه يعني القضاء على إحتمال توجيه ضربةٍ لبريطانيا بابسط طريقة في ممتلكاتها في البحر المتوسط".

على أن إيطاليا لا إسپانيا هي مفتاح هزيمة بريطانيا في البحر المتوسط إلاّ أن امبراطورية الدوتشي المخلّعة لاتتمكن من ذلك وحدها ولم يكن هتلر بدرجة من الحكمة ليقدم لها الوسائل التي يملكها لتحقيق هذه الغاية. واقرّ الآن ان إحتمال ضرب بريطانيا في عقر دارها عبر القنال أو في البحر

= وكذلك اصيب الاسطول الايطالي بضربة مميتة ففي ليلة ١٢/١١ تشرين الثاني قامت من حاملة الطائرات البريطانية إللستريوس Illustrious (التي ادعت اللوافتوافّه اغراقها) قاصفات هاجمت الاسطول الايطالي في تارانتو Taranto فعطلت عن العمل ثلاث بوراج وطرادين عدة اشهر. وقد بدأ تشيانو مذكرات يوم (١٢ تشرين الثاني) بالجملة التالية: "يوم أسود! لقد اغرق البريطانيون الدارعة الضخمة كاڤور Cavour. واصابوا البارجتين ليتوريو Lit-torio ودويليو Duilio باضرار جسيمة للغاية".

٦٠- الحكومة الاسپانية والمحور الص ٢٨-٣٣.

المتوسط بصورة غير مباشرة قد إنتفى في "الوقت الحاضر". ومع أن ذلك كان فشلاً إلاّ أن الإقرار به أراح هتلر، وبإمكانه الآن أن يلتفت إلى الأمور التي هي أحبّ الى قلبه وعقله في ليلة ٩\٨ من كانون الثاني ١٩٤١ عقد مجلس حرب في برگهوف برخستگادن التي باتت الآن ملفّعة بثلوج الشتاء. وبدا وكأن هواء الجبل قد صفّى ذهنه وكشفت ملحوظات رايدر وهالدر[٦١] المطولة، مرةً أخرى أن افكاره في هذا المؤتمر امتدت الى آفاق شاسعة وبعيدة، وهو يرسم لقوّاده الكبار ستراتيجيته العظمى. ها قد عاد اليه تفاؤله.

"[كتب رايدر يقول] الزعيم مقتنع جداً بأن الوضع في أوروپا لايمكن أن يتطور في غير مصلحة ألمانيا وان خسرنا شمال أفريقيا برمته. إن مركزنا في أوروپا ثابت رصين بحيث لايمكن أن يأتي مستقبل الأحداث بما يخالف مصالحنا... ولم يبق لبريطانيا الاّ أمل واحد في ربح الحرب، وهو هزيمتنا في القارة الأوروپية وهذا ما يراه الزعيم مستحيلاً."

وسلّم بأنّ الغزو المباشر البريطاني هو في الواقع "غير ممكن حتى تُقلّم اظفارها الى حدٍّ كبير، وحتى تحقق ألمانيا تفوقاً جوياً تاماً" وقال أن الاسطول والقوة الجوية يجب ان يركزا هجماتهما على طرق قوافلها البحرية وبذلك تقطع عنها امداداتها. ورأى أن هجمات كهذه الهجمات "قد تؤدي الى النصر في وقت قد لايتعدى تموز أو آب" وفي الوقت نفسه "ينبغي على ألمانيا أن تتقوّى جداً في القارة بحيث يمكنها خوض معركة أخرى مع إنگلترا [وامريكا]".

وهذان القوسان اللذان حصرا كلمة امريكا هما من خطّ هالدر واثباتهما له دلالته، ففي المدوّنات الألمانية المستولى عليها كان هذا اوّل تنويه بأن هتلر بات في مفتتح ١٩٤١ يواجه إحتمال دخول الولايات المتحدة الحرب ضدّه.

وبعد ذلك تناول سيد الحرب النازيّ بالبحث مختلف المناطق الستراتيجية والمشاكل وشرح ما ينوي عمله فيها: "[كتب رايدر]... ويرى الزعيم أن من ضرورات الحرب الحيوية أن لاتتصدع إيطاليا وتنهار... وهو عازم على... الحيلولة دون خروج إيطاليا من شمال افريقيا... سيعني ذلك فقدان سمعة دول المحور... ولذلك فهو مصرّ على تقديم العون لهم..." وفي هذه المرحلة من اقواله حذرّ قوّاده من مغبة افشاء الخطط الألمانية و... هو لذلك يرغب في ابلاغ الطليان بخططنا. فهناك خطر عظيم من تسربها الى المخابرات البريطانية عن طريق الأسرة الملكية الإيطالية!![٦٢]

وصرّح أن المساعدة لإيطاليا ستشمل تشكيلات مضادة للدروع وعدداً من اسراب القوة الجوية الى (ليبيا) واهم من هذا كله ارساله فيلقاً يتألف من فرقتين ونصف فرقة لإيقاف تقهقر الطليان في (ألبانيا) – لأن القوات اليونانية كانت وقتئذ تدفعهم امامها الى الداخل. وسيتعلق بهذا، تنفيذ

٦١– تقرير رايدر في مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٠، الص ٨–١٣. لم يسجل هالدر المؤتمر ذا اليومين في مذكراته حتى ١٦ كانون الثاني ١٩٤١.

٦٢– علامتا التعجب وردتا في كتابة رايدر بالأصل.

"خطّة ماريتا Marita"[٦٣]. وأمر أن يبدأ بنقل القوات من رومانيا الى بلغاريا حالاً حتى يمكن البدء فوراً (بخطة ماريتا) في ٢٦ آذار. وتكلم أيضاً عن ضرورة التهيؤ لتطبيق (خطّة آتيلاً Attila) -يبدو أن اسماء الألمان الرمزية لانهاية لها- وهي الخطة التي تضمنها أمر توجيهي صادر في ١٠ تشرين الأول ١٩٤٠. وتلك خطّة رسمت لاحتلال الجزء الباقي من فرنسا والاستيلاء على الاسطول الفرنسيّ في طولون. وقد رأى الآن أن الحاجة قد تدرك الى تطبيقها وشيكاً. وقال "إن اصبحت فرنسا مزعجةً لنا فيجب علينا أن نسحقها سحقاً تاماً". وهذا خرق فاضح لهدنة كومپين ولكن لم يثر هذا القول أحداً من الجنرالات وامراء البحر المجتمعين - حسبما يستدل من ملحوظات رايدر وهالدر على الأقل.

في مجلس الحرب هذا نفسه، وصف هتلر ستالين بأنه (مبتزّ لايرحم) واعلم قواده بأن الأمور تتطلب خضد شوكة روسيا "بأسرع ما يمكن".

"[وقال هتلر وهي ثاني مرةٍ ينوّه بإحتمال دخول الولايات المتحدة الحرب] إن دخلت الولايات المتحدة وروسيا الحرب ضدّ ألمانيا فالوضع سيكون معقداً للغاية. ولذلك يجب القضاء على ايّ إحتمالٍ من هذا القبيل وهو في المهد. فان ارتفع عنّا التهديد الروسي فبإمكاننا مواصلة الهجوم على بريطانيا الى ماشاءالله وان تقوضت روسيا فستصيب اليابان راحتها الكبرى: ومعنى هذا خطرٌ متزايد على الولايات المتحدة".

تلك كانت مسارب افكار الدكتاتور الألماني في ستراتيجية العالم بدخوله ١٩٤١. وفي ١١ كانون الثاني بعد مرور يومين على مجلس الحرب، صاغها في الأمر التوجيهي الثاني والعشرين. ورسم أن تتحرك الحملة الألمانية الى (طرابلس) تحت الأسم الرمزي "عملية زهرة عباد الشمس" أما النجدة الألبانية فاتُّخذِ لها الإسم الرمزيّ "عملية البنفسج الألبي"[٦٤].

-٤-

"الدنيا ستحبس أنفاسها!"

استدعى هتلر موسوليني الى (برگهوف) لإجتماع يستغرق يومي ١٩ و٢٠ كانون الثاني. كان موسوليني متضايقاً من الرحلة بعد أن لحقه العار ومرارة الخيبة ازاء الكوارث الإيطالية في مصر واليونان ووجده تشيانو عندما استقلّ قطاره الخاصّ "كئيباً شديد العصبيّة". خائفاً من أن يلقاه هتلر

٦٣- فُصّلت خطة (ماريتا) في الأمر التوجيهي العشرين المؤرخ ١٣ كانون الأول ١٩٤٠، وهي تقضي بتحشيد جيش قوامه ٢٤ فرقة في رومانيا، والانحدار بها الى اليونان عبر بلغاريا. حال طروء تحسن على الاحوال الجوية وقد وقعه هتلر. (نص الأمر التوجيهي العشرين في: مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٤، الص ١٠١-١٠٣ (وثائق نورمبرگ ١٥٤١- PS).

٦٤- نص الامر التوجيهي الثاني والعشرين وملحقه في "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٤١٣-٥١٥ (وثائق نورمبرگ ٤٤٨ PS).

وريبنتروب وجنرالات الألمان بمجاملةٍ مهينة وحفاوةٍ تنطوي على الازدراء ومما زاد ضغثاً على إبالة أن الدوتشي اصطحب الجنرال (الفريدو گزّوني Alfredo Gazzoni) معاون رئيس هيئة الأركان ويصفه تشيانو في مذكراته بالإنسان الغبيّ ذي الكرش الضخم والشعر المستعار المصبوغ ويرى أن من المخجل فعلاً تقديم مثل هذا الشخص الى الألمان.

وتنهد تنهيدة ارتياح حين فوجيء بهتلر نفسه ينزل لإستقباله حتى محطة قطار (بوش Puch) المغطى رصيفها بالثلج ووجده رقيقاً ومحتفياً ولم يسمع لوماً عن سجلّ إيطاليا السيء في ساحة القتال، كما وجده ثائر النفس على الروّس. (من ملاحظات تشيانو). وظلّ هتلر يحاضر ضيفهُ أكثر من ساعتين (في اليوم التالي) مع طائفة من جنرالات الدولتين. ونظم الجنرال يودل تقريراً سرّياً بالاحاديث[٦٥]. وتأيد منه ان (الزعيم) رغم اهتمامه الشديد بمساعدة الطليان في ألبانيا، فان جُلّ افكاره كان منصرفاً الى روسيا.

"[قال هتلر] لست أرى خطراً كبيراً من دخول أمريكا الصراع. وحتى لو دخلته، إن الخطر الأعظم هو كتلة روسيا الجبارة. ومع أن لدينا اتفاقيات طيبة جداً سياسية واقتصادية مع روسيا فأنا افضل الاعتماد على الوسائل القوية التي هي في حوزتي". وقد نوه تنويها خفيفاً بما ينوي فعله "بالوسائل القوية" الاّ أنه لم يفصح عن خططه لشريكه. فهي لم تبلغ حدّ الكمال الى الدرجة التي يتمكن بها رئيس أركان الجيش المسؤول عن تفاصيلها، من تقديمها الى القائد الأعلى في إجتماع ببرلين بعد أربعة عشر يوماً.

هذا المؤتمر الحربيّ الذي حضره القادة الكبار من القيادة العليا ومن قيادة الجيش العامة استمرّ من ظهر يوم ٣ شباط حتى السادسة مساءً. ومع ان الجنرال هالدر الذي رسم تفاصيل خطط الأركان العامة زعم في كتابه فيما بعد[٦٦] بأنه أبدى مع (براوختش) شكوكاً حول مدى صحّة معلوماتهما عن القوة العسكرية السوڤيتية وعارضا بشكل عامٍ "بربروسّه" ووصفاها "بالمغامرة"... إلاّ أنه لم يعثر على كلمة واحدة في وقعة ذلك اليوم من مذكراته، ولم يشر الى شيء من هذا في تقرير القيادة العليا السرّي جداً عن هذا الإجتماع[٦٧] مما يؤيد زعم الجنرال. وفي الواقع إن هذين المصدرين يكشفان عن قيام (هالدر) مبدئياً بحسابٍ تقديريّ أشبه بالحساب التجاريّ للقوى المتحاربة. مقدراً أن العدو قد يكون لديه (١٥٥) فرقة تقريباً وهو معادل للقوات الألمانية. إلاّ ان الأخيرة "أجود بكثير جداً". ثم وبعد أن حلّت الكارثة أدرك هالدر وزملاؤه الجنرالات بأن إستخباراتهم عن الجيش الأحمر كانت مغلوطة الى درجة مذهلة. إلاّ انهم لم يكونوا يشكون بهذا في ٣ شباط ١٩٤١. وفي الواقع كان تقرير هالدر في تقدير القوى المتقابلة مقنعاً جداً وكذلك ستراتيجيّته التي رسمها لإبادة الجيوش الروسية[٦٨] حتى أن

٦٥- مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٦، الص ٩٣٩-٩٤٦، وثائق نورمبرگ PS ٨٧٢)

٦٦- هالدر: هتلر سيد الحرب، الص ٢٢-٢٤.

٦٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٣، الص ٦٢٦-٦٣٣ [وثائق نورمبرگ PS ٨٧٢]

٦٨- هذه الستراتيجية ضُمِّنَت بصورة أساسية الأمر التوجيهي الحادي والعشرين المؤرخ ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ (انظر =

هتلر لم يكتف أخيراً بالموافقة (على الكلّ) بل وصل حدّاً من الهياج النفسي للآفاق التي فتحها رئيس هيئة الأركان في سماء آماله بحيث لم يتمالك من الهتاف:

- عندما تبدأ (بربروسه) ستحبس الدنيا أنفاسها ولاتنبس بتعليق !

ولم يطق صبراً على الإنتظار. واسرع متلهفاً يطلب خارطة العمليات وخطّة نشر القوات لترسل له "بأسرع ما يمكن".

-٥-

التمهيد البلقاني

قبل الشروع في (بربروسه) في الربيع كان من الضروري وضع اليد على الجناح الجنوبيّ وهو البلقان والتحشيد للمعركة القادمة ولم يأت الأسبوع الثالث من شهر شباط ١٩٤١ حتى كان الألمان قد حشدوا جيشاً لجباً يبلغ تعداده (٦٨٠٠٠٠) مقاتل في رومانيا التي تتاخم اوكرانيا بجبهة تمتد ثلاثمائة ميلٍ بين پولندا والبحر الأسود[٦٩]. لكن اليونان الى الجنوب ما زالت صامدة في وجه الطليان وكان لبرلين ما يبرر اعتقادها بأن القوات البريطانية في ليبيا ستنزل هناك وشيكاً. واوضحت وقائع مختلف المؤتمرات التي كان هتلر يعقدها في تلك الفترة بأنه كان يخشى أن يفتح الحلفاء جبهةً فوق مدينة سلانيك فستكون أشدّ ازعاجاً للألمان من مثيلتها التي فتحت في أثناء الحرب العالمية الأولى. وتصبح قاعدة إنگليزية تنطلق منها الطائرات لقصف حقول النفط الرومانية والأنكى من هذا إنها تهدّد سلامة (بربروسه) والواقع أن الخطر كان متوقعاً منذ كانون الأول ١٩٤٠ حين صدر اول امرٍ توجيهي لعملية (ماريتا) لتهيئة هجوم ألمانيّ قويّ على اليونان عبر بلغاريا بقوات عبئت في رومانيا.

وبلغاريا ألتي اخطأت الحساب في الحرب العالمية الأولى فكلّفها غالياً عادت الآن لترتكب الخطأ في الحساب نفسه. وباعتقادها بتأكيدات هتلر في أنه ربح الحرب. ولحاقاً وراء لهفتها في الحصول على الأراضي اليونانية جنوباً فينفتح لها منفذ جديد على بحر ايجه، لم تتردد حكومتها في المساهمة بعملية (ماريتا) - الى حدّ السماح على الأقل بعبور القوات الألمانية البلغارية فوقعت اتفاقية لهذه الغاية في ٨ شباط ١٩٤١ (ولم يذع سرّها) بين المارشال (ليست) ورئاسة الأركان البلغارية[٧٠]. وفي ليلة ٢٨ شباط عبرت الجيوش الألمانية نهر الدانوب من رومانيا واتخذت مواقع ستراتيجية في بلغاريا

= ما سبق) كذلك وجدت في تعليقات براوختش وهالدر. واكد هتلر فيه "اهمية ابادة اجزاء كبيرة من قوات العدو، بدلاً من ارغامها على التقهقر." واوضح "ان الغاية الجوهرية هو الاستحواذ على دول البلطيق كافة" والاستيلاء على مدينة ليننگراد.

٦٩- الارقام الألمانية نشرتها وزارة الخارجية في ٢١ شباط ١٩٤١ العلاقات السوڤييتية النازية ص ٢٧٥.

٧٠- محاضر الإجتماع الألمانية. مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٤، الص ٢٧٢-٢٧٥ [وثائق نورمبرگ ١٧٤٦ PS]

التي انضمت الى الحلف الثلاثي في اليوم التالي.

لم تكن يوغوسلاڤيا الأكثر صلابة سهلة الى هذا الحدّ. ودفع عنادهم الألمان إلى ضمّهم الى المعسكر أيضاً. وفي يومي ٤ و٥ آذار استدعي الوصي الأمير پول بسريّة تامة الى (برگهوف) لمقابلة الزعيم وهدّد كالعادة ثم عرضت عليه رشوة (سلانيك) أيضاً. وفي ٢٥ آذار تسلّل رئيس الوزراء اليوغوسلاڤي (دراغيشا چفتكوفتچ Dragisha Cvetkovic) ووزير الخارجية (الكساندر چنكار ماركوفتچ Aleksander Cincar-Markovic) خفيةً من العاصمة بلغراد قبل ليلة تفادياً للمظاهرات المعادية، بل اجتناباً لعملية اختطاف. ووصلا (ڤيينّا) ووقّعا بمحضر من هتلر وريبنتروب اتفاقية انضمامها الى الحلف الثلاثي. وكان هتلر مسروراً للغاية بهذا، وقال لتشيانو ان ذلك سيسهل هجومه على اليونان. وقبل أن يرحل الزعيمان السياسيان عن (ڤيينّا) سلمهما ريبنتروب تصريحين يؤكد فيهما "عزم" ألمانيا على احترام "سيادة وحرمة الأراضي اليوغوسلاڤية في كلّ الأوقات ويتعهّد بأن المحور لن يطلب حقوق مرور جيوشه عبر يوغوسلاڤيا "خلال هذه الحرب"[٧١] وقد خرق هاتين الاتفاقيتين، وضرب بخرقهما رقماً قياسياً بقصر فترة وجودهما.

ما كاد وزيرا يوغوسلاڤيا يعودان الى بلغراد حتى نُحيّا عن الحكم هما والحكومة والأمير پول في ليلة ٢٧/٢٦ آذار بانتفاضة شعبيّة قادها عدد من كبار ضباط القوة الجويّة يدعمهم معظم الجيش.

واعلن اعتلاء (بيتر) الشاب العرش وكان قد نجح في الإفلات من قبضة موظفي مكتب الوصاية بأن انزلق من فوق الى تحت بمساعدة مياه المطر. ومع أن الحكم الجديد برآسة الجنرال (دوسان سيموفيتچ Dusan Simovic عرض توقيع ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا فقد كان واضحاً في برلين بأنهم لن يقبلوا شخصيّة الدولة التابعة التي قررها هتلر ليوغوسلاڤيا. وفي أثناء الاحتفالات الحماسية الصاخبة في بلغراد، حيث بصق الجمهور على سيارة الوزير المفوض الألماني أظهر الصربيّون بشكل واضح الى أيّ جانب تميل عواطفهم.

اسلمت انتفاضة يوغوسلاڤيا هتلر الى نوبة من اشد نوبات الهياج في حياته. فقد اعتبرها تحدياً شخصياً له وفي جائحة غيظه اتخذ قراراً مفاجئاً جلب الكوارث على مصائر الرايخ الثالث كما سيتبيّن فيما بعد.

استدعى رؤساء عسكره فوراً الى دار المستشارية ببرلين في ٢٧ آذار. وكان الإجتماع عاجلاً الى الحدّ الذي ادّى الى وصول براوختش وهالدر وريبنتروب متأخرين عن الموعد وراح يرغي ويزبد منذراً بالانتقام الذي ستناله يوغوسلاڤيا. قال أن انتفاضة بلغراد صارت تهدد عملية (ماريتا)، بل احدق الخطر حتى بـ(بربروسه) ولذلك عزم "دون إنتظار تصريح ولاءٍ وخضوعٍ من الحكومة الجديدة على سحق يوغوسلاڤيا عسكرياً، ووطنيّاً ولن نقوم بأي استفسارات دبلوماسيّة، ولن نقدم إنذاراً نهائياً" وأضاف يقول يجب ان تسحق يوغوسلاڤيا "بقوةٍ لاتداخلها اية رحمة" وأمر گورنگ حالاً "بتدمير بلغراد

٧١- مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج١، الص ٧٨٣ [وثائق نورمبرگ ١٤٥٠ PS]

بغارات على شكل موجات" بطائرات تعمل من قواعد جوية بلغارية واصدر الأمر التوجيهي الخامس والعشرين(٧٢). القاضي بغزو يوغوسلاڤيا حالاً وابلغ (كايتل ويودل) أن يباشرا في مساء هذا اليوم بالذات بوضع الخطط العسكرية واعلم ريبنتروب بأن يبلغ المجر ورومانيا وإيطاليا بأنها ستحصل على أجزاء من يوغوسلاڤيا الى ستقسم بينهم بإستثناء دويلة (كرواتية) تابعة(٧٣) ثم وبحسب ماجاء في عبارة وضع تحتها خط في ملاحظات القيادة العليا التي دونتها عن الإجتماع ذات الصفة السرية جداً(٧٤) أعلن هتلر أهم كل القرارات الحاسمة طراً: قال لجنرالاته "إن موعد بداية عملية (بربروسّه) يجب أن يؤجل أربعة أسابيع"(٧٥).

هذا التأجيل في موعد الهجوم على روسيا، حتى يصب سيد الحرب النازي غلّه الشخصي على دولة بلقانية صغيرة تجاسرت على تحديه، ربما كان أفجع قرار وأسوأه في حياة هتلر. ولسنا بحاجة الى كثير قولٍ بأن إتخاذه في عصر ذلك اليوم من آذار في دار المستشارية ببرلين خلال ساعة توتر وغيظ جائح، ضيّع آخر فرصة ذهبية لربح الحرب. وبناء أعظم إمبراطورية في تاريخ ألمانيا، للرايخ الثالث الذي خلقه بعبقرية مذهلة بربرية ليستوي هو نفسه سيداً على أوروپا بلا منازع. ولم يعد مندوحة للفيلدمارشال فون براوختش القائد العام للجيش الألماني والكولونيل الجنرال هالدر رئيس هيئة أركان حرب الجيش الألماني العبقري الفذ - من إصدار أمر تأجيلها والألم العميق يعتصر قلبيهما. وبإدراك أكثر للآثار التي ستنجم عنها، مما اظهراه وقت قيامهما بتنظيمها عندما اناخ عليهما الثلج الكثيف وصفعتهما درجة حرارة تحت الصفر في روسيا، قبل موعدهما بثلاثة أسابيع أو أربعة، وهي الفترة التي فكرا في انهما يحتاجانها لبلوغ النصر النهائي. فقد ظلاً هما وزملاؤهما الجنرالات ملقون اللوم على ذلك القرار المستعجل السيء الذي اتخذه رجلٌ صلف سريع الغضب ويعزون اليه كل البلايا التي تلت.

كان الأمر العسكري الخامس والعشرون الذي أصدره القائد الأعلى الى جنرالاته قبل إنتهاء الإجتماع نموذجاً للوثائق الهتلرية:

"ان الإنقلاب العسكري في يوغوسلاڤيا غيّر الموقف السياسي في البلقان. يجب أن تعتبر يوغوسلاڤيا -رغم تظاهرها بالأخلاص- عدواً لنا، ولذلك ينبغي سحقها بأسرع ما يمكن.

لقد صحّت نيتي أن اشق طريقي الى يوغوسلاڤيا عنوة... وأن أبيد الجيش اليوغوسلاڤي إبادة تامة".

وطلب من (يودل) بوصفه رئيس دائرة الحركات في القيادة العليا ان يهيّء الخطط في تلك الليلة.

٧٢- قسم من الأمر التوجيهي الخامس والعشرين: في "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٦، الص ٩٣٨-٩٣٩ [وثائق نورمبرگ C - ١٢٧]

٧٣- قال هتلر متهكماً: "ان الحرب ضد يوغوسلاڤيا ستكون متعة حقيقية في إيطاليا والمجر وبلغاريا". وذكر انه سيعطي البانات Banat الى هنگاريا، ومقدونيا الى بلغاريا، وساحل الأدرياتي الى إيطاليا.

٧٤- محاضر القيادة العليا للإجتماع "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٤، الص ٢٧٥-٢٧٨ [وثائق نورمبرگ ١٧٤٦ -P -S ج ٢].

٧٥- كان قد عين اصلاً في ١٥ أيار، ضمن أول أمر توجيهي لبربروسّه بتاريخ ١٨ كانون الأول ١٩٤٠.

قال يودل لمحكمة نورمبرگ "اشتغلتُ طول الليل في دار المستشارية، وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٨ آذار وضعت رؤوس أقلام aide-memoire في يد الجنرال (فون رنتلن Von Rintelen) ضابط إرتباطنا بالقيادة العليا الإيطالية"(٧٦).

ولم يكن مفر من إبلاغ موسوليني بالخطط التي رسمت للعمليات الألمانية حيث بات يخشى على جيوشه المتقهقرة الى ألبانيا أن يضربها الجيش اليوغوسلاڤي من مؤخرتها. كما يجب ان يطلب منه التعاون على ضوئها. ولكي لايبقى شك في ان موسوليني أدرك ما ينتظر منه، بادر هتلر قبل إكمال يودل الخطط العسكرية - بإرسال رسالة له في متنصف ليلة ٢٧ آذار، وأمر أن تبرق محتوياتها الى روما فوراً لتكون في يد موسوليني في الليلة نفسها(٧٧). واليك الرسالة: "ايها الدوتشي: تضطرني الأحداث إلى أن أبلغك وباسرع السبل تقديري للموقف العام والآثار التي ستنجم عنه.

فلقد وجدت يوغوسلاڤيا من البداية عاملاً خطراً في النزاع مع اليونان... ولهذا بذلت مخلصاً كل ما في طوقي لضمها الى الصف... فباءت جهودي بالفشل لسوء الحظ... إن أنباءَ اليوم، لم تبقِ شكاً في قرب حصول تحوّل في السياسة اليوغوسلاڤية الخارجية. ولذلك اتخذت جميع الإحتياطات التي تقتضيها الضرورة... وبالوسائل العسكرية. واني لأرجو منك ايها الدوتشي أن تمنَّ عليَّ بعدم إتخاذ أي إعمال حربية في ألبانيا خلال الأيام القلائل التالية. وأرى من الضروري أن تقوم بتغطية وسدّ كل المنافذ والممرات بين يوغوسلاڤيا وألبانيا بكل ما يتيسر لديك من قوات.

وأرى من الضروري أيها الدوتشي أن تعزز قواتك على الجبهة الإيطالية اليوغوسلاڤية بكل ما تملك من وسائل وبأسرع مايمكنك. كذلك أرى من الضروري ايها الدوتشي أن تحيط كل تدابيرك هذه بالكتمان والتعمية انها ستفقد قيمتها حتماً لو انكشفت. ايها الدوتشي إن حوفظ على سرية هذه الإجراءات... فلست اشك في اننا سنحرز معاً نجاحاً لايقل عن النجاح في النرويج قبل سنةٍ، وهذا هو إيماني الذي لايتزعزع...

تقبل اصدق عواطفي القلبية وتحيات الود من المخلص... أدولف هتلر

كان سيد الحرب النازي مصيباً أيضاً في تكهناته بخصوص هذا الهدف القصير المدى لكنه لم يخطر بباله كم سوف يكلفه إنتقامه الناجح من يوغوسلاڤيا في المدى البعيد. وفي فجر ٦ نيسان إنقضّت جيوشه بقوة جبارة على يوغوسلاڤيا واليونان واندفعت من حدود بلغاريا والمجر وألمانيا نفسها بكل دروعها وتقدمت بسرعة خاطفة للقاء مدافعين فقراء في السلاح طاشت عقولهم واطار صوابهم القصف الجوي التمهيدي المعتاد.

٧٦- شهادة يودل في (محاكمات مجرى الحرب الكبار) ج١٥، ص ٣٨٧. خطته (المرتجلة) للعملية في مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٤، الص ٢٧٨-٢٧٩ [وثائق نورمبرگ PS ١٧٤٦ القسم الخامس].

٧٧- نص رسالة هتلر الى موسوليني ٢٨ آذار. في "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٤، الص ٤٧٥-٤٧٧ [وثائق نورمبرگ PS ١٨٣٥]

أما (بلغراد) نفسها فقد دُكّت دكاً ومسحت مسحاً كما أمر هتلر. راحت قاصفات گورنگ ثلاثة أيام متواصلة بلياليها، تحلق فوق العاصمة الصغيرة على مستوى إرتفاع المنازل آمنةً لعدم وجود مدفعية مضادة للجو. فقتلت ١٧٠٠٠ مدني وجرحت اضعاف هذا العدد وجعلت المدينة خرائب وانقاضاً متفحمة. واطلق عليها هتلر اسم "عملية العقاب"، وكان كما يبدو راضياً من النتيجة لأن أوامره طُبّقت بحذافيرها. أما اليوغوسلاڤ الذين لم تسنح لهم فرصة تعبئة جيشهم الصغير، فضلاً عن إرتكاب هيئة أركانه هفوة محاولة الدفاع عن كل البلاد، فقد غلبوا على امرهم. وفي ١٣ نيسان دخلت القوات الألمانية ما تبقى من بلغراد. وفي ١٧ منه استسلمت بقية الجيش اليوغوسلاڤي البالغة ثمانين وعشرين فرقة في بلدة سراييڤو Sarajevo. وفرّ الملك ورئيس الوزراء الى اليونان بطائرة.

أما اليونانيون الذين مرّغوا سمعة الطليان في الوحل ستة أشهر متتالية من القتال الشديد فما كان بوسعهم الصمود أمام جيش الفيلدمارشال (ليست) الثاني عشر بفرقه الخمس عشرة. منها أربع فرق مدرعة. وأسرع البريطانيون بإنزال زهاء أربع فرق الى اليونان من (ليبيا) يبلغ تعدادها (٥٣٠٠٠) مقاتل. الا انهم لم يستطيعوا شيئاً أمام الدروع الألمانية وتحت الضربات القاتلة التي تنزلها بهم القوة الجوية الألمانية. واستسلمت الجيوش اليونانية الشمالية الى الألمان... والطليان (وفي هذه المرارة بعينها) في ٢٣ نيسان. وبعد أربعة أيام من إستسلامها راحت دبابات الألمان تجرجر سلاسلها مجلجلةً في شوارع أثينا، ورفع علم الصليب المعقوف فوق الاكروبوليس Acropolis في تلك الفترة كان البريطانيون يحاولون المستحيل لإخلاء قواتهم عن طريق البحر مرة أخرى- دنكرك مصغرة وناجحة مثلها تقريباً.

وبنهاية نيسان (خلال ثلاثة أسابيع من الهجوم) إنتهى كل شيء بإستثناء كريت. ولم يلبث الألمان أن انتزعوها من ايدي البريطانيين بهجوم قامت به جنود المظلات في نهاية شهر أيار. وهكذا نجح هتلر في بضعة أيام ربيعية من حيث فشل موسوليني فشلاً مخزياً في موسم شتاء كاملٍ. ومع ان الدوتشي تنفس الصعداء لإنقاذه من الوهدة التي سقط فيها إلاّ انه خرج ذليلاً كسير الخاطر لأن خلاصه لم يكن ممكناً إلاّ بتدخل الألمان ولم تداو مشاعره الجريحه حصة إيطاليا المخيبة للأمل التي نالتها من أسلاب يوغوسلاڤيا، لما بدأ هتلر بتوزيعها على الرؤوس(٧٨).

ولم تكن البلقان الوهدة الوحيدة التي انتشل هتلر شريكه الأصغر منها. فبعد أن ابيدت الجيوش الإيطالية في (ليبيا) وافق هتلر بالأخير بعد تردد على إرسال فرقة مدرعة خفيفة وبعض وحدات من

٧٨- في ١٢ نيسان ١٩٤١، وبعد مرور ستة أيام عن بدء الهجوم على يوغوسلاڤيا أصدر هتلر أمراً توجيهياً سرياً يقسم به البلاد بين ألمانيا وإيطاليا والمجر وبلغاريا. وجعلت كراوتيا دولة ذات حكم ذاتي تابعة لألمانيا. وكان هتلر كريماً سخياً لنفسه. فقد ضم الى ألمانيا كل ما كانت دولة النمسا الملكية تضع يدها عليه من أراضي يوغوسلاڤيا. وإحتلالها كل صربيا القديمة فضلاً عن مناطق مناجم النحاس والفحم. اما حصة إيطاليا فقد بقيت غامضة نوعاً ما إلاّ انها لم تكن كبيرة. [زيادة في التفصيل انظر نص الأمر التوجيهي في مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٨٣٨-٨٣٩ [وثائق نورمبرگ ١١٩٥ PS]

القوة الجوية الى شمالي افريقيا. ورتب أن يكون الجنرال (إرڤين روميل) قائداً عاماً للقوات الإيطالية-الألمانية المرابطة في ذلك الميدان. وروميل هذا ضابط دبابات مقدام واسع الحيلة من صنف لا عهد للبريطانيين بمثله في صحراء افريقيا الشمالية. اثبت لهم انه معضلة المعضلات لهم طوال سنتين. على انه لم يكن معضلتهم الوحيدة. فالجيش الكبير الذي انزله البريطانيون في اليونان أُخذ من ليبيا فأضعف قواتهم في الصحراء الى حد كبير. وفي مبدأ الأمر لم يكن ثم قلق كبير لا محل له. ولم يقلقوا أيضاً عندما ابلغتهم إستخباراتهم بوصول وحدات ألمانية مدرعة الى طرابلس في نهاية شباط. في حين كان عليهم أن يقلقوا.

وسدد روميل بفرقته المدرعة الألمانية وفرقتين إيطاليتين احداهما مدرعة ضربة مباغتة في (قرناقة) في آخر يوم من آذار. وفي اثني عشر يوماً استعاد الأقليم وطوق (طبرق) وبلغ (البردية) وهي على مسافة اميالٍ قليلة من الحدود المصرية. وباتت مراكز البريطانيين في مصر والسويس مهددة مرة أخرى. والواقع أن مركز البريطانيين في شرق البحر الأبيض المتوسط أصبح حرجاً للغاية بوجود الألمان والطليان في اليونان.

ربيع آخر، وهو الثاني للحرب جاء يسحب للألمان ذيول إنتصارات رائعة أخرى وبدت محنة بريطانيا أكبر ومركزها أكثر حراجة وهي وحيدة في ساحة الوغى ينزل بها قصف اللوفتوافّه الليلي ضربات مزعزعة في عقر دارها. وجيوشها تطارد فيما وراء البحار فتطرد من اليونان و(قرناقة). وهبطت سمعتها إلى أسفل دركٍ وهو الشيء المهم جداً في كفاح الحياة والموت الذي تخوضه، حيث سلاح الدعاية شديد فعال، وبخاصة في التأثير على الولايات المتحدة وروسيا السوڤيتية[٧٩].

لم يكن هتلر بطيئاً أو جاهلاً في الإفادة من هذا بخطاب نصرٍ ألقاه على الرايخشتاغ في برلين في ٤ أيار. وكان معظمه هجوماً مسموماً وسخرية بشخص چرچل بوصفه مدير الحرب (مع اليهود) وبانه الشخص الذي يشرف على قيادتها في طريق الخسران والهزيمة.

"إنه اشد الستراتيجيين تعطشاً للدماء في التاريخ أو من أعظم هواتهم... قضى هذا الرجل أكثر من

٧٩- يبدو لهذا المؤلف ان "چارلس أ. لندبرگ" البطل الطيار. بسذاجة محيرة في أمثاله وقع ضحية الدعاية النازية المزيفة الجوفاء أثناء زياراته ألمانيا. فقد راح يبشر في أمريكا بهزيمة بريطانيا المحتومة في خطب كان يلقيها على جموع ضخمة من المستمعين المتحمسين في أمريكا. وفي ٢٣ نيسان ١٩٤١ في الزمن الذي كانت أنباء إنتصارات النازيين في البلقان وشمال افريقيا تترى، ألقى خطبة في ثلاثين ألف مستمع في نيويورك، بمناسبة أول إجتماعٍ جماهيري لجمعية أمريكا الأولى America First Comittee المشكّلة حديثاً وقال "لم يبق للحكومة البريطانية إلاّ خطة يائسة أخيرة... هي إغراؤنا بإرسال حملة أمريكية الى أوروپا والاسهام عسكرياً ومالياً في الهزيمة" وادان إنگلترا بدفعها وتشجيعها الشعوب الصغيرة على حرب خاسرة حتماً. ولم يخطر ببال هذا الرجل ان يوغوسلاڤيا واليونان انما هوجمتا وبوحشية ودون ما إستفزاز منهما وقد حاولتا بدافع ذاتي غريزي الدفاع عن كيانيهما لشعورهما بالكرامة ولبسالة شعبيهما حتى في نزال لا أمل فيه. وها هو ذا هتلر يحطمهما تحطيماً. في ٢٨ نيسان استقال لندبرگ من منصبه (كان عقيد إحتياط في القوة الجوية التابعة لجيش الولايات المتحدة). على أثر قيام الرئيس روزفلت بدمغه بميسم الإندحارية، ووضعه مع فريق انصار المهادنة. فقبل وزير الحربية استقالته.

خمس سنين يجوب أنحاء أوروبا كالمجذوب الذي فقد صوابه بحثاً عن شيء يمكن أن يشعل فيه النار... انه كجندي من أسوأ الساسة وهو كسياسي من أسوأ الجنود... إن الموهبة التي أحرزها مستر چرچل هي موهبة الكذب بوجه ترتسم عليه علائم البراءة والطهر وبرع في تشويه الحقائق حتى جعل اروع الإنتصارات وألمعها أنكر الهزائم وأشنعها... إن چرچل هو واحد من أغبى الستراتيجيين وأخيبهم ولهذا استطاع أن يخسر [في يوغوسلاڤيا واليونان] ميداني حربٍ بضربةٍ واحدةٍ. في أي بلاد أخرى يحال أمثاله الى محكمة عسكرية... إن ضعف قواه العقلية لايمكن تفسيرها إلاّ بأنها أعراض مرض من أمراض الشلل، أو هذيان مدمن خمر..."



رومل

ولم يحاول هتلر اخفاء مشاعره الحقيقية بخصوص إتفاقية يوغوسلاڤيا التي استفزته إلى حدّ الجنون فقال: "لقد صعق كلنا لهذا الإنقلاب، الذي نفذه حفنة من المتآمرين المرتشين... ولاشك انكم تفهمون أيها السادة لماذا اسرعت حالاً باعطاء الأوامر حال سماعي به، للهجوم على يوغوسلاڤيا. شيء لايطاق أن يعامل الرايخ الثالث مثل هذه المعاملة..."

وعلى اختياله وتباهيه بإنتصاراته الربيعية ولاسيّما تلك التي حققها ضد بريطانيا، فقد كان في الواقع لايدرك شدة وقعها على بريطانيا والمحنة العظمى التي تجتازها الإمبراطورية، حق الإدراك ففي اليوم الذي ألقى خطاب الرايخشتاغ، جلس چرچل يكتب رسالة الى الرئيس روزفلت حول الآثار الخطيرة التي قد يخلفها ضياع مصر والشرق الأوسط، مناشداً أمريكا الدخول في الحرب. كان رئيس الوزراء البريطاني في أحلك ساعةٍ عاناها وعرفها طوال الحرب.

"[كتب يقول] اناشدك ايها السيد الرئيس بألا تقلل من تقدير خطورة الآثار التي قد تنجم عن إنهيار الوضع في الشرق الأوسط[٨٠]".

والح الأسطول الألماني على الزعيم أن يستفيد من الموقف بأقصى ما يمكن. ومما حسّن الأمور أكثر بالنسبة الى المحور، ان قام رئيس الوزراء العراقي الجديد (رشيد عالي الگيلاني)، وهو من الموالين للألمان بتوجيه هجوم على القاعدة الجوية البريطانية في الحبانية القريبة من بغداد ووجه نداءً الى هتلر

٨٠- چرچل: الحلف الأعظم، الص ٢٣٥-٢٣٦.

يطلب منه المساعدة لطرد البريطانيين من البلاد العراقية وكان ذلك في بداية أيار. وبإحتلال كريت في ٢٧ أيار ناشد الأميرال (رايدر) هتلر في ٣٠ منه (وكان دائماً بارد الهمة في كل ما يتعلق بعملية بربروسّه) أن يتهيأ إلى هجوم فاصلٍ على مصر والسويس وارسل رومل نداءً مشابهاً من شمال افريقيا متلهفاً الى استئناف زحفه حالما تصله النجدات. قال (رايدر) للزعيم "إن هذه الضربة ستكون أشد وأقتل للإمبراطورية البريطانية من الإستيلاء على لندن نفسها". وبعد مرور أسبوعٍ قدم أمير البحر مذكرة لهتلر أعدتها دائرة الحركات في الأركان البحرية محذراً من مغبة ترك شمالي أفريقيا "في الوقت الذي تحتل (بربروسّه) بالطبع مركز الصدارة في تفكير زعامة القيادة العليا للقوات المسلحة. يجب ألا يؤدي ذلك إلى ترك أو تأخير مواصلة الحرب في البحر الأبيض المتوسط مهما كانت الظروف والاحوال"[٨١].

لكن هتلر كان قد اتخذ قراره الجازم، في الواقع انه لم يغير فيه منذ اعياد الميلاد عندما شَرّع عملية (بربروسّه) وأبلغ أمير البحر (رايدر) بأن القضاء على روسيا "يجب ان يتم اولاً". لم يكن دماغه المحدود بالأرض يستطيع أن يستوعب الستراتيجية الأكثر إتساعاً التي يعرضها الأسطول ويدافع عنها. حتى قبل مناشدة هيئة أركان الأسطول في نهاية أيار، فقد شرع القانون في الأمر التوجيهي الثلاثين الصادر في ٢٥ أيار[٨٢]. وأمر بإرسال بعثة عسكرية الى العراق مع عددٍ قليل من الطائرات والأسلحة، لمساعدة العراقيين وقال في هذا الصدد "قررت تشجيع التطورات السياسية في الشرق الأوسط بمساندتي العراق" ولكنه لم يجد ضرورة لإتخاذ خطوة أبعد من هذه الخطوة القصيرة التافهة. أما بخصوص الستراتيجية الأوسع نطاقاً والأكثر جرأة التي حمل لواء الدفاع عنها أمراء البحر ورومل فصرح يقول: "وسواء أأمكن (واذا كان الأمر كذلك، ومهما كانت الوسائل) شن هجوم على قنال السويس فيما بعد، وطرد البريطانيين من مواقعهم بين البحر المتوسط والخليج الفارسيّ فإن ذلك لايمكن تقريره إلاّ بعد إكمال عملية (بربروسّه)".

فالقضاء على الإتحاد السوڤياتي له الأسبقية وكل ما عداه يجب أن ينتظر. في هذه الفترة من نهاية أيار ١٩٤١ كان هتلر يستطيع بجزء صغير من قواته أن يكيل للإمبراطورية البريطانية ضربة قاصمة، وربّما قاضية. ولم يكن ثمّ من يدرك هذا أفضل من چرچل الممتحن فقد أقر برسالته المؤرخة ٤ أيار للرئيس روزفلت "ان مواصلة الحرب ستكون عسيرة شاقة مضنية" بعد خسارة مصر وضياع الشرق الأوسط وإن دخلت الولايات المتحدة الحرب بعدئذ. إلاّ أن هتلر لم يدرك ذلك. وكان عماه أبعد عن الفهم – لأن حربه في البلقان أخّر عملية بربروسّه عدة أسابيع وعرضها للهلاك. وبات من الواجب أن يتم فتح روسيا في فترة أقصر مما قدر لها في الخطة أصلاً. فهناك فاصل لايرحم: الشتاء الروسي الذي دحر (شارل الثاني عشر) و(نابوليون). إن هذا التأخير لم يسمح بأكثر من ستة أشهر لإجتياح

٨١- من الملفة الروسية للقيادة العامة للأسطول الألماني. وقائع ٣٠ أيار و٦ حزيران، مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٦، الص ٩٩٨-١٠٠٠ [وثائق نورمبرگ C ١٧٠].

٨٢- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ،١٩٤١ الص ٥٠-٥٢.

الألمان روسيا (تلكم البلاد الشاسعة التي لم تفتح من جهة الغرب بتاتاً) قبل حلول الشتاء. وبحلول حزيران كان من الواجب أن يباشر بإعادة الجيش اللجب من الجنوب الغربي في يوغوسلافيا واليونان الى الحدود السوفيتية وقطعه هذه المسافة الشاسعة فوق طرق غير معبدة، وسكك حديدٍ عتيقة مستهلكة ذات خطوط منفردة، لاتستوعب هذا النقل المزدحم الكثيف.



رومل في جبهة الحرب بأفريقيا

واثبتت الأحداث أن هذا التأخير كان عاملاً حاسماً. زعم المدافعون عن (عبقرية) هتلر العسكرية أن حرب البلقان لم تؤخر جدول المواعيد المرسوم لبربروسّه. وانه مهما تكن القضية فإن التأجيل يعزى في الغالب إلى تأخر ذوبان الثلج في تلك السنة مما جعل الطرق في شرق أوروبا موحلة جداً وبقيت كذلك حتى أواسط حزيران. الا أن شهادات أبرز الجنرالات الألمان وأكثرهم اطلاعاً تنفي هذا الزعم. لقد شهد (الفيلدمارشال فردريك فون باولس Friedrich Von Paulus الذي سيبقى اسمه الى الأبد مقترناً بـ(ستالينگراد) والذي كان في هذه الفترة المخطط الأول للحرب الروسية في هيئة الأركان العامة للجيش، أمام محكمة نورمبرگ: بأن قرار هتلر بتحطيم يوغوسلافيا أجّل موعد البدء في (بربروسّه) "زهاء خمسة أسابيع"[٨٣]. وهي بالضبط الفترة التي تحددها يوميات حرب الأسطول[٨٤]. وذكر الفيلدمارشال فون روندشدت الذي كان يقود مجموعة جيوش الجنوب في روسيا لمحققي الحلفاء بعد الحرب "اننا بدأنا الحرب الروسية متأخرين أربعة أسابيع على الأقل" بسبب الحرب في البلقان وكان ذلك "تأخيراً دفعنا ثمنه غالياً جداً"[٨٥].

وعلى كل حال عيّن هتلر في ٣٠ نيسان موعداً جديداً للشروع في عملية بربروسّه بعد أن اكملت جيوشه فتح يوغوسلافيا واليونان. هذا الموعد سيبدأ في ٢٢ حزيران ١٩٤١[٨٦].

٨٣- محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٧، الص ٢٥٥-٢٥٦.
٨٤- مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٦، ص٩٩٦ [وثائق نورمبرگ C - ١٧٠].
٨٥- عن شولمان، المرجع السالف ص٦٥.
٨٦- أمر توجيهي سري للغاية ٣٠ نيسان ١٩٤١. مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٦٣٣-٦٣٤ [وثائق نورمبرگ PS ٨٧٣].

-٦-

التخطيط للفظائع!

لن يقف وازع من ضمير أو رادع من خلقٍ في عملية الإستيلاء على روسيا. وهذا ما شدد هتلر عليه كثيراً. واراد أن يدرك جنرالاته حقيقته بوضوح عندما جمع في أوائل آذار ١٩٤١ قادته العامين للقوات المسلحة الثلاث، وكل قادة جيوش الميدان الأعلين ليبسط أمامهم نصوص هذا القانون وقد سجل هالدر كلماته بالضبط:[٨٧].

"[قال هتلر] الحرب في روسيا لن تجري على أساليب الفروسية والشهامة. فهي كفاح بين عقيدتين وقوميتين مختلفتين عنصرياً. ولذلك يجب أن يكون قاسياً بشكل غير مسبوق لا هوادة فيه ولا رفق وبدون أيّ شعور بالشفقة والرحمة. وعلى الضباط كافة ان يتجردوا من تلك القواعد الخلقية البالية. واني لأدرك جيداً أن ضرورة اللجوء الى هذه الوسائل في شن الحرب القادمة ترتفع عن مفاهيم جنرالاتكم لكني... أصر إصراراً جازماً مطلقاً على تنفيذ أوامري هذه دون أيّ معارضة إن القوميسارين السياسيين هم حملة العقائد المناهضة للقومية الإشتراكية بصورة مباشرة ولذلك يجب إبادة هؤلاء. الجنود (الألمان؟؟) الذين يرتكبون جريمة خرق القانون الدولي... لايرمون بالرصاص ... وروسيا لم تكن من الدول الموقعة على معاهدة لاهاي الدولية ولذلك لا حقوق لها بموجبها.

هكذا صدر ما أصبح يعرف بعدئذ بـ"أمر القوميسارين". وكان مجال نقاش طويل في محاكمة نورمبرگ عندما جوبه الجنرالات الألمان بالمسألة الخلقية العظمى: أكان واجباً عليهم اطاعة أوامر الزعيم وإرتكاب جرائم الحرب أو أن يطيعوا ضمائرهم ويعملوا بما توحيه[٨٨].

وقد روى هالدر عندما استذكر الموضوع وملابساته فيما بعد أن وقع (الأمر) كان شديداً على الجنرالات، وأثار سخطهم وإستنكارهم ولم يكن منهم إلاّ ان تقدموا حال ارفضاض الإجتماع بإحتجاج عليه الى قائدهم العام براوختش. فوعد الفيلدمارشال الضعيف الإرادة[٨٩] بأنه "سيقوم بالإعتراض على صيغة هذا الأمر" ويقسم (هالدر) فيما بعد ان براوختش ابلغ القيادة العليا خطياً أن ضباط الجيش "لايسعهم تنفيذ هذه الأوامر". لكن أحقٌ انه فعل هذا؟

٨٧- إفادة هالدر الموثقة باليمين بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ في نورمبرگ. "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٨، الص ٦٤٥-٦٤٦.

٨٨- قال الفيلدمارشال فون مانشتاين في منصة الشهادة أمام محكمة نورمبرگ عند المناقشة في موضوع أمر القوميسارين: "لأول مرة وجدت نفسي في صراع داخلي بين مفاهيمي العسكرية وبين واجب الطاعة المفروض عليّ. الواقع يحتم عليّ اطاعة الأوامر لكني قلت لنفسي بأني كعسكري لاأستطيع الاسهام في عمل كهذا ولذلك ابلغت قائد مجموعة الجيوش الذي اعمل بأمرته حينذاك... باني لن أنفذ هذا الأمر الذي لايتفق والشرف العسكري. (محاكمات نورمبرگ لمجرمي الحرب الكبار، ج٢٠، ص٦٠٩.

٨٩ - اطلق هتلر عليه لقب "رجل من قش" [احاديث هتلر السرية، ص١٥٣].

اعترف (براوختش) في شهادته أمام محكمة نورمبرگ وفي فترة الإستجواب المباشر بأنه لم يتخذ مثل هذه الخطوة إزاء هتلر.

"لايوجد قوة في الأرض تثينه عما إعتزمه وتبدل رأيه" واعلم المحكمة أن التدبير الذي اتخذه لإحباط الأمر هو إصداره امراً خطياً بمقتضى صلاحياته كقائد الجيش العام إلى جميع الوحدات "بمراعاة الضبط والربط في الجيش بكل دقة وبحسب التعليمات والانظمة التي كانت ساريةً في الماضي".

فسأله القاضي الأمريكي لورنس Lowrance رئيس محكمة نورمبرگ الحادّ اللسان:

- فأنت اذن لم تصدر أي قرار يشير الى "أمر القوميساريين" بشكل واضح مباشر؟

اجاب براوختش: كلا ! لم يكن في مقدوري إبطال الأمر بشكل مباشر[٩٠].

وسنحت لضباط الجيش من الخط القديم ذوي التقاليد العسكرية البروسية فرصة أخرى للصراع بين أوامر هتلر وضمائرهم عندما أصدر كايتل باسم الزعيم تعليمات أخرى في ١٣ أيار واهمها طراً ذلك الأمر الذي حدد اختصاصات المحاكم العسكرية الألمانية. اذ حتم عليها ان تفسح صدرها لتطبيق قانونٍ أكثر همجية: "ان الجرائم التي يرتكبها المدنيون الأعداء [في روسيا] لن تكون بعد الآن وحتى اشعارٍ آخر من صلاحية المجالس العسكرية... **والأشخاص الذين يشك في إرتكابهم أعمالاً جرمية يقدمون فوراً الى ضابط آمر ولهذا الضابط ان يقرر في أمر رميهم بالرصاص.**

"واما بالنسبة الى الجرائم التي يرتكبها أفراد قوات الڤيرماخت ضد المدنيين الأعداء فليست التعقيبات القانونية واجبة بحقهم: وان كان العمل المرتكب يشكل جريمة عسكرية وجريمة عادية في الوقت نفسه[٩١].

وأبلغ الجيش أن يتغاضى عن هؤلاء الافراد الجانحين ويتساهل معهم متذكراً في كل قضية من تلك القضايا الضرر الذي ألحقه البولشفيك بألمانيا منذ عام ١٩١٨ ولامبرر لإجراءات المجالس العسكرية العرفية الألمانية بحق الجنود الألمان إلاّ عندما "يتطلب الضبط العسكري وأمن القوات المسلحة إتخاذها بحق المذنبين منهم" واختتم الأمر التوجيهي بما يأتي: لايصادق على احكام هذه المجالس إلاّ ما يتمشى منها مع النوايا السياسية للقيادة العليا[٩٢]. وأوصى أن يعتبر الأمر "سرياً للغاية"[٩٣].

٩٠- شهادة براوختش في نورمبرگ "محاكمة مجرمي الحرب الكبار" ج٢٠، الص ٥٨١-٥٨٢ و٥٩٣.

٩١- الخطوط الجالبة للإهتمام وردت في نص الأمر التوجيهي.

٩٢- نص أمر كايتل المؤرخ ٢٣ تموز ١٩٤١ في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٦، الص٨٧٦ - [وثائق نورمبرگ C-٥٢ وأمر ٢٧ تموز المرجع السالف الص ٨٧٥-٨٧٦ [وثائق نورمبرگ C-٥١].

٩٣- أصدر كايتل أمراً مؤرخاً ٢٧ تموز ١٩٤١ يقضي بإتلاف كل نسخ الأمر المؤرخ في ١٣ أيار المتعلق بالمحاكم العسكرية. وبيّن أن عملية الإتلاف هذه لن تمسّ بشرعيته ومواصلة تطبيقه. وجاء فيه ايضاً الإيصاء بإتلاف أمر ٢٧ تموز "هذا نفسه ايضاً" إلاّ أن نسخاً من كلا الأمرين وجدا وقدّما الى محكمة نورمبرگ وأدينت بهما القيادة العليا. وقبل هذا بأربعة أيام أصدر كايتل أمراً آخر "سرياً جداً" مؤرخاً ٢٣ تموز جاء فيه: "في ٢٢ تموز بعد أن إستقبل =

ووُجد أمرٌ ثانٍ صدر في التاريخ نفسه بتوقيع (كايتل) يتعلق بايداع "مهمات خاصة" الى (هملر) لإتخاذ الإجراءات المقتضية لإقامة الإدارة السياسية في روسيا "تلك المهام التي ستنبثق عن الكفاح الدائر الرحى بين النظامين السياسيين المصطرعين" وخوّل هذا الشرطي السري النازي الساديّ صلاحية العمل "مستقلاً" عن الجيش "وعلى مسؤوليته الخاصة".

وعلم الجنرالات علم اليقين ما يعنيه توكيل (هملر) "للقيام بهذه المهمات الخاصة" على انهم انكروا علمهم بها عندما وقفوا يدلون بشهاداتهم في نورمبرگ، وبالإضافة الى هذا نصَّ الأمر على وجوب إقفال المناطق الروسية المحتلة عندما يشرع (هملر) في عمله، وان "لايسمح لأحدٍ مهما عَلَتْ وظيفته في الدولة أو مركزه في الحزب" أن يدخلها لإلقاء نظرةٍ على ما يجري. وقضى الأمر بتعيين گورنگ مشرفاً "على إستغلال البلاد والسيطرة على مواردها الإقتصادية لإستخدامها في الصناعة الألمانية" وصرح هتلر في أمره هذا أن روسيا "ستقسم الى دويلات متعددة لكل منها حكومتها الخاصة"(٩٤) حالما تنتهي العمليات الحربية.

واختص بهذا العمل ألفريد روزنبرگ البلطيقي Befuddled والمفكر النازي الرسمي الأول الذي كان كما رأينا سابقاً أحد معلمي هتلر الأوائل من أيام مونيخ. ففي ٢٠ نيسان أصدر هتلر أمراً بتعيينه مندوباً سامياً للسيطرة المركزية على الأمور المتعلقة باقاليم أوروپا الشرقية". فما كان من هذا الرقيع المغفل بعبقريته التي لاتجارى في عجزه عن فهم التاريخ ولاسيما تاريخ روسيا تلك البلاد التي ولد بها وتلقى علومه في معاهدها، إلاّ أن راح يعمل في بناء قصوره الهوائية مما كان وطناً له في الماضي. وقد تم وضع اليد على أوراقه التي ملأت ملفات ضخمة، كاملة لم يفقد منها شيء. وهي مثل كتبه مملة تتعذر قراءتها. ولن ندعها تقطع علينا تسلسل موضوعنا هنا. الا أن السياق سيضطرنا أحياناً الى الرجوع اليها لكونها تكشف عن بعض خطط هتلر التي بيّتها لروسيا.

انجز (ألفريد روزنبرگ) في أوائل أيار أول تصاميمه الخطية لما وعد أن يكون أعظم الفتوح الألمانية في التاريخ. فقسم روسيا الأوروپية مبدئياً الى ما اطلق عليه "قوميساريات الرايخ". اما پولندا الروسية فستكون محمية ألمانيا أطلق اسم (اوستلاند Ostland). والاوكرين "سيصبح دولة مستقلة متحالفة مع ألمانيا" والقفقاس، بحقول نفطها الغنية سيحكمها "مندوب سامٍ ألماني مطلق الصلاحية" اما دول البلطيق الثلاث في روسيا البيضاء، فسيؤلف من مجموعها محمية ألمانية، مهيأة للضم

= الزعيم قائد الجيش [براوختش] أصدر الأمر التالي: "نظراً للمساحات الشاسعة التي تم الإستيلاء عليها في الشرق فإن القوات المتيسرة لحفظ النظام والإستقرار لن تكون كافية إلاّ اذا عوقبت أعمال المقاومة كافة لا بإجراءات قانونية عادية بل بنشر القوات المحتلة إرهاباً شديداً يتكفل بحدّ ذاته بخنق أي ميل للمقاومة عند الأهلين" [نص أمر المحاكم العسكرية في مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٦٣٧-٦٣٩. وثائق نورمبرگ ٨٨٦ PS. هناك نسخة أخرى له تختلف قليلاً وجدت بين أوراق مجموعة جيوش الجنوب مؤرخة ١٤ أيار ونشرت في مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٦، الص ٨٧٢-٨٧٥ (وثائق نورمبرگ ٥٠-C)].

٩٤- نص الأمر التوجيهي مؤرخ ١٣ أيار أيضاً. "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٤٠٩-٤١٣ [وثائق نورمبرگ ٤٤٧- PS].

الفوري المباشر الى الرايخ الألماني الأكبر. واوضح روزنبرگ في احد تقاريره العديدة التي كان يمطر بها هتلر وجنرالاته، أن هذه المأثرة الأخيرة إنما تتخذ لتوضيح معالم "الأحوال التاريخية والعنصرية" لأنها ستختتم (بجرمنة) سكان البلطيق الأقرب عنصرياً الى الألمان. و"نفي العناصر غير المرغوب فيها". وشدد في وجوب اللجوء الى عملية ازاحة السكان من (لاتفيا واستونيا) على نطاق واسع) وعندها يمكن إحلال الألمان محلهم ويفضل أن يكون المستعمرون الجدد من المحاربين القدماء. وحكم على بحر البلطيق "أن يكون بحراً ألمانياً خالصاً"[٩٥].

وقبل وثوب العسكر الألماني على روسيا بيومين فقط. ألقى روزنبرگ كلمة في معاونيه الذين سيحكمون روسيا: "[قال] إن مهمة اطعام الشعب الألماني تقف في رأس قائمة مطالب الألمان في الشرق، والمناطق [الروسية] الجنوبية يجب أن تكون وقفاً على تزويد الشعب الألماني بالقوت.

"نحن لانرى مطلقاً أيّ مبررٍ يلزمنا باطعام الشعب الروسي من فضلة محاصيل تلك الأراضي... وندرك أن هذه ضرورة قاسية مجردة من اية مشاعر...". إن المستقبل يخبيء للروس[٩٦] سنوات عجافاً صعبةً جداً مادام الألمان رسموا بإصرارٍ وتعمدٍ خطة تجويع ملايين الروس حتى الموت.

وكان گورنگ أكثر وضوحاً من روزنبرگ حين انيط به أمر الاشراف على استنزاف الإتحاد السوفيتي إقتصادياً. إذ جاء في أمر أصدرته دائرته الإقتصادية- الفرع الشرقي، بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٤١ "أن الفائض من محاصيل الأقوات التي ينتجها حزام التربة السوداء الروسية في الجنوب يجب ألا يُدفع الى القاطنين في المناطق الصناعية حيث سيتم القضاء على الصناعات حتماً. فالعمال وذووهم سيتركون في تلك الأنحاء ليجوعوا أو ليهاجروا الى سيبيريا. ان محصول روسيا الهائل من الغلة يجب أن يردّ كله الى الألمان. [وجاء في الأمر ايضاً] "حَريٌّ بالإدارة الألمانية في تلك الأراضي ان تخفف من وطأة المجاعة التي لامفر منها وأن تشجع العودة الى الحالة الزراعية البدائية. على أن هذه الإجراءات لن تحول دون المجاعة. وكل محاولة لإنقاذ السكان هؤلاء من الموت جوعاً باستيراد الفائض من منطقة التربة السوداء سيكون على حساب تموين أوروپا. وستقلل من إستمرارية ألمانيا الحربية كما ستقضي على قوة ألمانيا وأوروپا في مقاومة الحصار. هذا ما ينبغي ان يكون مفهوماً فهماً واضحاً جازماً"[٩٧].

ترى كم كان سيموت من المدنيين بنتيجة هذه السياسة الألمانية المجرمة؟ إن إجتماعاً لوكلاء الوزارات في ٢ أيار كان قد أعطى جواباً عاماً مسبقاً. لقد جاء في المحضر السري لهذا المؤتمر مايلي: "لاشك في ان عدة ملايين من الناس سيموتون جوعاً نتيجة "اخذنا من تلك البلاد كل ما هو ضروري

٩٥- نص تعليمات روزنبرگ "مؤامرة النازين وعدوانهم" ج٣، الص ٦٩٠-٦٩٣ [وثائق نورمبرگ (١٠٢٩- PS) و(١٠٣٠- PS)].
٩٦- النص: مؤامرة النازين وعدوانهم، ج٣، الص ٧١٦-٧١٧ [وثائق نورمبرگ ١٠٥٨ PS]
٩٧- نص الأمر: مؤامرة النازين وعدوانهم، ج٧، ص٣٠٠ [وثائق نورمبرگ ١٢٦ EC]

لنا[٩٨]." قال گورنگ وروزنبرگ أنها ستحمل الى الخارج وهو ما ينبغي أن "يكون مفهوماً فهماً واضحاً جازماً".

هل رفع ألماني واحد، أي ألماني صوت احتجاج على هذه الهمجية المخططة المرسومة؟ هذا المشروع الذي تم اعداده بعد تفكير ملي، مستهدفاً القضاء على حياة ملايين الناس جوعاً؟ في كل التقارير والنشرات المتعلقة بقرارات استنزاف روسيا ونهب خيراتها؟ كلا، لايوجد ذكر فيها لإعتراض أو احتجاج رفعه شخص واحد. في حين رأينا بعض الجنرالات على الأقل- يحتجون مستنكرين "أمر القوميسارين"!

إن هذه الخطط لم تكن مجرد نزغات شيطان، ونوايا همجية حفلت بها عقول مشوهة ونفوس شريرة كتلك التي وجدت في هتلر وگورنگ وهملر وروزنبرگ فلقد اوضحت ملفات الحكومة والادارات العامة أن مئات من الموظفين اكبّوا في مكاتبهم أسابيع واشهراً طويلة يكدحون على النور المبهج لأيام الربيع الدافئة يجمعون الأرقام الى الأرقام وينظمون القوائم والتقارير ويحسبون ببرودة دم قاسية كم من المجازر ستقام لملايين الناس، بالتجويع! وفي هذه العملية وحدها!

وفي مكان آخر جلس كذلك (هاينريخ هملر) مربي الدجاج الأسبق ذوالوجه الوديع الشبيه بالحمل، أمام مكتبه في مقر قيادة الحرس الأسود في برلين يحدق من خلال نظارتيه ذات الخيط، بمخطط مجزرةٍ لملايين أخرى من البشر ستتم بطريقة أسرع واعنف من التجويع.

بعد أن رضي هتلر اتم الرضا على مجهودات خدمه الكدودين مدنيين وعسكريين في وضع كل مخططات الهجوم على الإتحاد السوڤياتي لتدميره واستنزاف خيراته وقتل مواطنيه بإقامة مجازر إجماعية، بادر في ٣٠ نيسان الى تعيين يوم ٢٢ حزيران موعداً للهجوم العام ثم ألقى في ٤ أيار خطبة النصر في الرايخشتاغ، وقفل منزوياً في مسكنه المحبوب برگهوف على قمة جبل برختسگادن. وكان بإمكانه ان يشخص بابصاره الى عظمة جبال الألب التي مازالت قممها متوجة بثلوج الربيع، وان يطيل الفكر في فتوحاته الآتية وهي أعظمها طراً تلك التي ستحبس الدنيا لها الأنفاس، كما قال لجنرالاته.

وفي منتجعه هذا بلغته أنباء غريبة غير متوقعة في مساء السبت الموافق ١٠ أيار ١٩٤١، فزلزلت كيانه ودقت عظامه دقاً، وجرت خياله قسراً عن مسارح الحرب وميادينها، كما جرّت أي شخص آخر في العالم الغربي تقريباً...

موضع ثقته الشخصية الأقرب من غيره الى نفسه، نائب رئيس الحزب النازي، ثاني خليفة له بعد گورنگ، الرجل الذي ظل منذ ١٩٢١ أميناً مخلصاً الى حد الهوس، الشخص الذي بات أقرب صديق له منذ مقتل (روهم)... حلّق من القنّ طائراً، رحل بمحض إختياره ومن تلقاء نفسه للتفاوض مع الأعداء!

٩٨- محضر الإجتماع "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٥، ص٣٧٨ [وثائق نورمبرگ ٢٧١٨ PS].

-٧-

طيران رودولف هِسّ

قال شميدت عن أول نبأ وصل هتلر في ساعة متأخرة من مساء ١٠ أيار عن تحليق (هسّ) وحيداً بطائرة من نوع مسز شميدت- ١١٠ "وقع عليه كأنما سقطت قنبلة على برگهوف فصدّعته"[٩٩]. ووجده الجنرال كايتل يذرع ارضية مكتبه الرحب جيئة وذهاباً واضعاً اصبعاً على جبينه مغمغماً: لاشك أن هسّ قد جنّ[١٠٠]. ثم صرخ: "يجب أن أكلم گورنگ في الحال". ويذكر كايتل انه أجرى في صبيحة اليوم التالي أحاديث قلقة مع گورنگ وكل قادة الحزب "للوصول الى رأي" حول كيفية تصوير هذه الحادثة المجرمة للجمهور الألماني وللعالم. وشهد (كايتل) في المحكمة بأن مهمتهم زادت صعوبة بسكوت البريطانيين باديء ذي بدءٍ عن مقدم ضيفهم. وظل هتلر واعوانه فترة من الزمن يعللون انفسهم بفكرة نفاد البنزين في طائرة (هِسّ) وسقوطه في بحر الشمال المنجمد وغرقه.

واول المعلومات التي تلقاها هتلر كان مصدرها رسالة مبهمة غير مفهومة من (هِسّ) ارسلها اليه مع ساعٍ خاص، قبل أن يطير ببضع ساعات في الساعة ٥,٤٥ من ب.ظ العاشر من أيار من مطار اوكزبرگ. وقال هتلر لكايتل عنها: "لاأستطيع أن اجد فيها (هسّ) الذي عرفته. انه شخص آخر- لابد وان خللاً ما طرأ على عقله - إضطراب عقلي" الا انه كان مرتاباً أيضاً. وأمر باعتقال أفراد القاعدة التي طار منها (هِسّ) بطائرة المسز شميت كما القي القبض على عشرات من معاوني نائب الزعيم الفار وموظفيه.

وان كان هتلر حائراً برحيل (هسّ) المفاجيء فان چرچل لم يكن أقل منه حيرة بقدوم الرجل الفجائي غير المتوقع الى بريطانيا[١٠١]. أما ستالين فقد ارتفعت شكوكه كثيراً. وظلت القضية الغريبة طوال فترة الحرب سراً مغلقاً وموضعاً للحدس والتخمين. ولم تتضح حقيقتها إلاّ في محاكمة نورمبرگ حيث كان (هسّ) واحداً من المتهمين. ويمكننا أن نجمل الحقائق مختصراً بمايلي:

كان (هِسّ) المشوش الفكر دائماً لكن ليس بدرجة إلتيات روزنبرگ، قد طار الى بريطانيا بمحض إختياره متوهماً أن بإمكانه تدبير تسوية سلمية. ومع وهمه هذا فقد كان مخلصاً - ولايبدو ثم أي سببٍ يوجب الشك في هذه النقطة. كان قد تعرف أثناء الالعاب الأولمبية في برلين ١٩٣٦ بالدوق هاملتن. واستطاع الوصول بطائرته الى مسافة تبعد اثني عشر ميلاً فقط عن قصر الدوق في سكتلندا (كان ملاحاً ممتازاً) فغادر طائرته وهبط بالمظلة سالماً الى الأرض وسأل فلاحاً أن يدله على دار السيد

٩٩- الدكتور شميدت: المرجع السالف، ص٢٣٣.

١٠٠- إستجواب كايتل "مؤامرة النازيين وعدوانهم" الملحق ب. الص ١٢٧١-١٢٧٣.

١٠١- لقد وصف چرچل كتابةً كيف تلقّى الأنباء في ساعة متأخرة من ليلة السبت اثناء ما كان في زيارة للريف وكيف فكر في الأول انها عجيبة بحيث لايمكن تصديقها (الحلف الأعظم الص ٥٠-٥٥) The Grand Alliance.

السكتلندي. وصادف أن كان هاملتن وهو قائد سرب في القوة الجوية الملكية - يقوم بواجباته في مساء يوم السبت هذا في غرفة عمليات القطاع. وعثر في شاشة الرادار على طائرة (المسز شميت) وهي تدنو من الساحل، ثم تهوي على الأرض محطمة بعد العاشرة مساءً بقليل. وبعد ساعة أبلغ بأن الطائرة قد سقطت مشتعلة والتهمتها النيران وان طيارها الذي قفز بالمظلة يطلق على نفسه اسمه (ألفريد هورن) ويدعي أنه موفد في "مهمة خاصة" لمقابلة دوق هاملتن وقامت السلطات البريطانية بتدبير المقابلة صباح اليوم التالي. وبين هسّ للدوق إنه "قدم برسالةٍ للانسانية. وأن (الزعيم) لايرغب في هزيمة بريطانيا ويريد ايقاف القتال" واستطرد يقول إنها المحاولة الرابعة التي حاولها لبلوغ بريطانيا جواً. وقد اضطره سوء الاحوال الجوية إلى العدول في المحاولات الثلاث الأولى. وأنه على اية حال وزير من وزراء الرايخ وقد أظهر "صدق نيته ورغبة ألمانيا في السلم". وفي هذه المقابلة وغيرها من المقابلات التالية لم يتأخر (هسّ) عن التأكيد بأن ألمانيا ستربح الحرب لا محالة وان استمرت فلن تجني منها بريطانيا غير الكوارث والنكبات العظمى. ولذلك يجب على مضيفيه أن يهتبلوا فرصة وجوده ويبدأوا مفاوضات السلم. كان هذا النازي المتعصب شديد الثقة بأن البريطانيين سيجلسون للتفاوض معه حتى أنه طلب من الدوق أن يرجو الملك اعطاءه الحصانة لأنه قدم أعزل وبمحض إختياره"(١٠٢). وطلب فيما بعد أن يعامل بالاحترام اللائق، بعضو من أعضاء حكومة الرايخ.

وأجرى الأحاديث التالية معه (ايفون كيركپاتريك) السكرتير الأول السابق للسفارة البريطانية في برلين، الخبير في الشؤون الألمانية - بإستثناء جلسةٍ واحدة. واعلنت تقاريره السرية عن هذه الأحاديث في نورمبرگ(١٠٣). وأمام هذا التلميذ الذي خبر مغالطات ألمانيا النازية راح (هسّ) يردد ترديداً ببغائياً حجج هتلر لكل الاعتداءات النازية من النمسا الى سكندناڤيا حتى الأراضي المنخفضة. وبعد إصراره على أن بريطانيا هي المسؤولة الأولى عن اثارة الحرب وانها ستخسرها حتماً إن لم تعمل على ايقافها حالاً. أدلى بمقترحاته في سبيل احلال السلم. ولم تكن بنصها وفصها غير تلك المقترحات التي عرضها هتلر على چمبرلين قبيل هجومه على پولندا ولم يصب بها نجاحاً: وهي أن تطلق إنگلترا يد ألمانيا حرة في أوروپا مقابل إطلاق ألمانيا "يد بريطانيا حرةً تماماً في الإمبراطورية" وان تعاد المستعمرات الألمانية السابقة وأن تبرم بريطانيا صلحاً مع إيطاليا بطبيعة الحال.

"[جاء في تقرير كيركپاتريك]... أخيراً وفيمَ نحن نهم بمغادرة الغرفة، أطلق هس رصاصته الوداعية بقوله مستدركاً إنه نسي إخبارنا بأن المقترحات لن تقبل ألمانيا البحث فيها إلاّ مع حكومة إنگليزية أخرى غير الحكومة الحاضرة. فمستر چرچل الذي خطط للحرب منذ ١٩٣٦ ومن لف لفه من زملائه الذين تبنّوا سياسته الحربية نفسها ليسوا بالاشخاص الذين يستطيع الزعيم التفاوض معهم".

١٠٢- تقرير الدوق هاملتن الشخصي "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٨، الص ٣٨-٤٠ [وثائق نورمبرگ ١١٦ M].

١٠٣- تقارير كيركپاتريك عن مقابلاته مع هسّ في ١٣ و١٤ و١٥ أيار. المرجع السالف، الص ٤٠-٤٦ [نورمبرگ ١١٧ M و١١٨ و١١٩].



رودولف هسّ

كل من عرف رودولف هِسّ يتمكن من أن يشهد مقسماً إنه ساذج الى حد يفوق الوصف، وهو أمر من الغرابة بمكان لألماني نفذ الى هذه المسافة من صراع الغابة الهمجي داخل الحزب النازي ثم داخل الرايخ الثالث. فقد كان جلياً من محاضر هذه المقابلات أنه توقع استقباله فوراً بمثابة مفاوضٍ خطير، إن لم يستقبله چرچل فسيحتفي به "الحزب المعارض" الذي توهم أن الدوق هاملتن هو أحد اقطابه. وعندما وجد اتصاله بالسلطات البريطانية الرسمية قاصراً على (كيركپاتريك) وبإستمرار، ثار ثائره وبدأ يهدد. وفي مقابلة له بتاريخ ١٤ أيار، صور للدبلوماسي المرتاب جداً في أقواله، العواقب الوخيمة التي ستنجم عن مواصلة بريطانيا حربها. وانذر بحصارٍ محكم فظيع على الجزر البريطانية سيبدأ وشيكاً. [وقال لكيركپاتريك] لا جدوى من أن يأمل المرء بأن إنگلترا بعد إستسلامها هنا، قد تستطيع مواصلة الحرب في ارجاء الإمبراطورية. فما انتواه هتلر في هذه الحالة أن يستمر في حصار الجزر حتى تتفشى المجاعة الهائلة في سكانها".

وبين (هسّ) بضرورة بدء المفاوضات التي ركب في سبيلها الأهوال وقامر لاجلها بالكثير. وأوضح لكيركپاتريك "أن المقصود بطيرانه الى بريطانيا هو منحنا فرصة فتح باب المفاوضات دون أن تخدش كرامتنا أو نخسر شيئاً من عزة انفسنا" وإن ضيعنا هذه الفرصة، فسيكون ذلك دليلاً واضحاً على عدم رغبتنا في الوصول الى أي تفاهم مع ألمانيا. وإذ ذاك يصبح من حق هتلر بل من واجبه – القضاء علينا قضاءً مبرماً ويبقينا بعد الحرب دولة مَسُودةً الى الأبد". وأصر أن يكون عدد المفاوضين قليلاً "إذ لايستطيع بوصفه وزير الرايخ أن يضع نفسه في موضع شخصٍ وحيدٍ تنوشه تعليقات محرجة واسئلة عديدة من أشخاص كثيرين". وبهذه العبارة السخيفة انهى حديثه – مع كيركپاتريك فقط. إلاّ أن وجه العجب في الموضوع قيام الحكومة البريطانية في ١٠ حزيران (بإنتداب) لورد سيمون Simon Lord لمقابلة هِسّ كما ذكر چرچل(١٠٤)، وذكر محامي دفاع (هسّ) في محاكمة نورمبرگ. إن (سيمون) وعد بتقديم مقترحات (هِسّ) الى الحكومة البريطانية(١٠٥).

١٠٤- چرچل (الحلف الأعظم) ص٥٤.

١٠٥- في نورمبرگ اعلم (هسّ) المحكمة ان لورد (سيمون) قدم له نفسه باسم (الدكتور كوثري) وقال له: "اني قادم بتخويل من الحكومة واني مستعد للبحث معك في كل ماتريد بحثه والتصريح به لإبلاغ الحكومة" (محاكمات مجرمي الحرب الكبار) ج١٠، الص ٧ و٧٤).



هتلر والى يمينه رودولف هسّ

دوافع هسّ واضحة. فقد رغب في سلمٍ مع بريطانيا من صميم قلبه. ولم يكن يشوب إيمانه شائبة بربح ألمانيا الحرب، وتحطيم المملكة المتحدة، الا اذا تم الصلح فوراً. إلاّ ان هناك دوافع اخرى في الواقع. فقد كان من نتائج الحرب أن كسفت شمسه ولفت زوايا النسيان شخصيته لأن إدارة شؤون الحزب في وظيفته نائب زعيمه انما هو عمل مُملّ رتيب أثناء الحرب وليس فيه اهمية كبيرة. فالمهم في ألمانيا الآن هو إدارة دفة الحرب وتصريف الشؤون الخارجية، وتلك أمور اشغلت كل افكار الزعيم بحيث لم يعد فيه حيز للشؤون الأخرى تقريباً. وهذا من شأنه أن يسلط أضواء الشهرة على (گورنگ وريبنتروب وهملر وگوبلز) والجنرالات، فبدأ (هسّ) يشعر بالغيرة ومرارة الخيبة وخمول الشأن. هل هناك وسيلة لاستعادة مركزه الغابر لدى زعيمه المحبوب أفضل من انجازه مأثرة جريئة بارعة لامعة في عالم السياسة كتحقيق الصلح بين بريطانيا وألمانيا بضربة واحدة من يده فقط؟ ثم إن نائب رئيس الحزب الناتيء الحاجبين، كان كبعض اقطاب النازي (وهتلر وهملر من بينهم) يؤمن بالتنجيم. وقد اسر في نورمبرگ الى طبيب السجن النفساني الأمريكي دكتور دوگلاس. م. كلي Dr Douglas M. Kelly أم منجميه قرأوا له في أواخر عام ١٩٤٠ بأنه اختير ليتحقق السلم على يده. كما حدّثه كيف أن معلمه القديم (هاوسهوفر) أستاذ الجيوبولتيك Geopolitiker قد رآه في الحلم يسير في أبهاء القلاع البريطانية المفروشة بالسجاد. لتحقيق السلم "بين الشعبين النورديين العظيمين"[١٠٦]. فكان لرجل مثله لم يتخلص بعد من عقلية سن البلوغ، شراباً مسكراً قوياً بلا ريب على دفعه للقيام بهذه المهمة الغريبة.

وعرض أحد المدعين العامين الإنگليز في نورمبرگ سبباً آخر للرحلة: زعم أن (هسّ) انما طار الى إنگلترا محاولاً ايجاد تسوية سلمية لكيلا تضطر ألمانيا الى الحرب في جبهتين عند مهاجمتها الإتحاد السوڤيتي. وأيد المدعي العام السوڤيتي هذه النقطة وقال إنه متأكد منها. كذلك كان رأي جوزيف ستالين. فقد تركزت شكوكه الهائلة في تلك الفترة العصيبة لا على ألمانيا كما هو منطقي حري به بل

١٠٦- دوگلاس م. كيلي "اثنتان وعشرون زنزانة في نورمبرگ" الص ٢٣-٢٤.

على بريطانيا العظمى وعلى ما يبدو أن وصول (هسّ) الى سكتلندا أقنعه بوجود مؤامرة عميقة الجذور يحيكها چرچل مع هتلر، تفسح لألمانيا المجال لضرب الإتحاد السوڤياتي بمقدار ما أفسح الإتحاد السوڤيتي المجال لألمانيا لتضرب پولندا ثم الغرب. وبعد مرور ثلاث سنين حاول رئيس الوزراء البريطاني الذي كان يقوم بزيارته الثانية لموسكو أن يقنع ستالين بحقيقة الأمر فلم يصدقه قط. وقد اتضح من اسئلة (كيركپاتريك) لـ(هسّ) التي حاول بها استدراجه الى الإفصاح عن نيات هتلر بخصوص روسيا، أن القطب النازي إما أنه كان يجهل (بربروسّه)، واما أنه لايعلم بقرب تطبيقها.

كانت الأيام التي تلت رحيل (هسّ) المفاجيء من أقسي مامَر بهتلر. فقد أدرك ان سمعة نظامه قد لحق بها ضرر بليغ بطيران أقرب اعوانه اليه، وإحتار كيف يفسرها للشعب الألماني وللعالم الخارجي؟ لقد اثبت التحقيق مع افراد حاشية هسّ المعتقلين بأن نائبه لم يخنه أو يغدر به. وإقتنع أيضا بعدم وجود مؤامرة ما ضده. وأن صديقه قد اصيب بإنهيار عصبي ليس إلا. وفي (برگهوف) قرر- بعد أن ايد البريطانيون هبوط هسّ- أن يقدم الى الجمهور هذا التعليل. وسارعت الصحافة الألمانية بلا تردد تنشر أخباراً مقتضبة مؤادها إن النجم المتألق في سماء القومية الإشتراكية، انقلب فجأة "مثالياً مختلط الشعور محطم الأعصاب مشتت الفكر مبتلىً بداء الهلوسة. تعود أسبابه الى الجراح التي اصيب بها في معارك الحرب العالمية الأولى".

"[قال البلاغ الصحفي الرسمي] يبدو أن رفيق الحزب (هسّ) عاش حياة هلوسة كان من نتائجها أن شعر بإمكانية تحقيق تفاهم بين إنگلترا وألمانيا، وليس لهذا بالطبع تأثير على مواصلة الحرب التي اضطر الشعب الألماني الى خوضها".

أما في السر فقد أصدر هتلر أوامره بإطلاق النار على هسّ وارداته قتيلاً فور عودته.[١٠٧] ثم سارع فجرده رسمياً من كل وظائفه وإستخلف في نيابة رآسة الحزب (مارتن بورمان) الأكثر حماسةً وتعصباً. وكان هتلر يأمل أن تنسى هذه الحادثة الغريبة بأسرع ما يمكن. ثم دارت أفكاره بسرعة وللمرة الثانية الى الهجوم الوشيك على روسيا.

١٠٧- كان منظراً كئيباً متصدعاً أثناء محاكمته في نورمبرگ. حيث إفتعل في فترة من المرافعة فقدان الذاكرة التام (بالتأكيد كان مشتت الفكر تماماً) وعاش بعد هتلر وحُكم بالحبس المؤبد. ويعود خلاصة من حكم الموت بالدرجة الأولى الى إنهياره العقلي. وقد وصفت ملامحة ومظهره أمام المحكمة الدولية في كتابي "نهاية يوميات برلين". عومل في بريطانيا معاملة أسير حرب وأُطلق سراحه في ١٠ تشرين الأول ١٩٤٥ حتى يمثل متهماً في نورمبرگ. وكان يتظلم كثيراً أثناء فترة اسره من إنكار البريطانيين عليه "الامتيازات الدبلوماسية الكاملة"، التي كان دائم الطلب لها، وبدأ عقله الذي لم يكن راكزاً قط، بالتفسخ وانتابته فترات طويلة من حالات فقدان الذاكرة، على انه اخبر الدكتور كيلي بأنه حاول ان يقضي على حياته مرتين أيام إعتقاله، حين أيقن بأن البريطانين يحاولون تسميمه.

-٨-

محنة الكرملين

ظل رجال الكرملين وعلى رأسهم ستالين- وكلهم أناس عرفوا بالواقعية الخالصة. يداعبون بغفلةٍ وعمى فكرة خلاص الإتحاد السوڤيتي بشكل ما من سخط الطاغية النازي وصواعقه رغم توفر كل الدلائل على نيات هتلر السيئة، من تحشيد القوات الألمانية الجرارة في شرق پولندا الى وجود مليون جندي نازي في البلقان المجاورة، الى فتوح الڤيرماخت في يوغوسلاڤيا واليونان، وإحتلاله رومانيا وبلغاريا والمجر. ومن الطبيعي أن شكوكهم الواقعية ما كانت تستطيع الا أن تغتذي بالحقائق المجردة. ولم يكن بالإمكان أيضاً قمع شعورهم بالسخط والحنق المتزايد لزحف هتلر في جنوب أوروپا. ومع هذا فالمرء يجد شيئاً زائفاً يكاد لايمكن تصديقه لغرابته الشديدة- في المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين موسكو وبرلين في أسابيع الربيع تلك (سجلت برمتها وعلى كثرتها في الوثائق النازية المستولى عليها) التي حاول الألمان بها خداع الكرملين بشكلٍ سمج أخرق إلى آخر دقيقة حتى بدا وكأن زعماء السوڤييت عجزواً تماماً عن إستخلاص الحقيقة والعمل على ضوئها في الوقت المناسب.

ومع انهم إحتجوا عدة مرات على دخول الجيوش الألمانية رومانيا وبلغاريا، ثم إحتجوا على ضرب يوغوسلاڤيا واليونان بوصفه خرقاً للميثاق السوڤيتي الألماني وتهديداً "لسلامة مصالح" روسيا، إلاّ أنهم تعدوا كل الحدود في تهدئة ألمانيا ومداراتها في حين كان يوم الهجوم على روسيا يدنو. وكان ستالين شخصياً في الطليعة. وقد ابرق السفير فون دي شولنبرگ في١٣ نيسان ١٩٤١ تقريراً هاماً الى برلين روى فيه كيف أظهر ستالين "إنعطافاً ووداً ظاهراً جداً" أثناء وداع وزير الخارجية الياباني (يوسوكي ماتسووكا Yosuke Matsuoka) في تلك الأمسية في موسكو، لا للسفير الياباني وحده بل للألمان أيضاً، في محطة القطار.

"[أبرق شولنبرگ]... سأل ستالين عنيّ بصوت مسموع علني... ووضع ذراعه حول كتفي وقال لي يجب أن نبقى صديقين وعليك أن تبذل كل مجهودٍ في هذا السبيل! وبعد فترة قليلة إلتفت ستالين إلى وكيل الملحق العسكري الألماني العميد (كريبس: Krebs). تأكد اولاً من كونه ألمانياً ثم وجه الكلام إليه "سنظل أصدقاء لكم في السراء وفي الضراء!"(١٠٨).

وبعد ثلاثة أيام من هذا ابرق القائم بالأعمال (تْبِلْسلكريخ) الى برلين يوضح أن ما حدث في محطة القطار يكشف عن صداقة ستالين لألمانيا وأن هذا مهم بصورة خاصة "إزاء الشائعات المنتشرة التي دأبت على التكهن بخصوص صِدام قريب بين ألمانيا والإتحاد السوڤيتي"(١٠٩).

١٠٨- العلاقات السوڤييتية النازية ص ٣٢٤.

١٠٩- المرجع السالف ص ٣٢٦.

وكان (تبلسلكريخ) قبلها بيوم واحدٍ قد أبلغ برلين أن (الكرملين) قبل "بدون قيد أو شرط" بعد أشهر من الأخذ والرد، المقترحات الألمانية لتسوية نزاع الحدود بين الدولتين من نهر ايغوركا Igohrka إلى بحر البلطيق. وقال إن اسلوب التساهل الذي تبديه الحكومة السوفييتية يسترعي أشد الإهتمام حقاً"(١١٠). وبالنظر الى ما يطبخ في برلين، فهو كذلك بالتأكيد.

وإستمر الإتحاد السوفيتي في تقديم المواد الأولية لألمانيا المطوقة بالحصار البحري، بالروح المسالمة المتساهلة نفسها. وفي ٥ نيسان ١٩٤١ كتب (شنوره) متولي أمر المفاوضات التجارية مع موسكو الى أسياده النازيين، مغتبطاً: (إن الإرساليات الروسية بعد أن طرأ عليها هبوط في كانون الثاني وشباط ١٩٤١ بسبب "فتور العلاقات السياسية" إرتفعت "إرتفاعاً فجائياً" في آذار، وبخاصة في إرساليات القمح والنفط الخام والمنغينز والمعادن الثمينة واللافلزية".

"[واضاف يقول] ان نقل الترانسيت عبر سيبيريا يسير سيراً مرضياً كالعادة. وبناء على طلب منا وافقت الحكومة السوفييتية على وضع قطار شحن خاص لنقل مطاطنا من حدود منشوريا(١١١).

وبعد هذا بستة أسابيع (١٥ أيار) كتب شنوره بأن الروس الكرماء خصصوا عدداً من القطارات الشاحنة الخاصة لإمكان نقل أربعة آلاف طن من المطاط الخام على الخطوط الحديدية السيبرية الى ألمانيا، وهي المادة التي تحتاجها الصناعة الى حد كبير".

"إن كميات المواد الأولية المعقود عليها، يسلمها الروس في مواعيدها المعينة بدقة، رغم العبء الثقيل الذي يضعه هذا على كواهلهم... ويخيل لي أن بإمكاننا أن نطالب ببعض المسائل الإقتصادية، بمقدار يفوق ما حددته معاهدة (١٠) كانون الثاني. مطالب قد تضمن حاجات ألمانيا من الأغذية والمواد الأولية أكثر مما تم الإتفاق عليه من قبل"(١١٢).

وذكر شنوره أن شحنات ألمانيا من المكائن لروسيا يهبط بإستمرار، إلاّ أنه بدا غير مهتم إن لم يهتم الروس من جانبهم. على أن عاملاً آخر أقلقه في ١٥ أيار فشكا من "قيام صعوبات عظيمة، بسبب شائعات لاتحصى عن صِدام قريب بين روسيا وألمانيا". لام عنها المصادر الألمانية الرسمية. ووجه الغرابة هنا إن "الصعوبات" التي شرحها (شنوره) في مذكرة مطولة لوزارة الخارجية لم يكن مصدرها روسيا بل...شركات الصناعة الألمانية التي تحاول (كما قال) "الإنسحاب" من عقودها مع الروس. ومن الواجب ان يذكر هنا أن هتلر كان يبذل ما في وسعه لتبديد الشائعات، إلاّ انه كان مشغولاً في الوقت نفسه بمحاولة إقناع جنرالاته وكبار موظفيه بأن ألمانيا في خطر متزايدٍ من هجوم روسي عليها. ومع أن القادة كانوا يعرفون خلاف هذا من مصادر إستخباراتهم العسكرية الخاصة، فإن سحر هتلر كان بدرجة من المغناطيسية عليهم بحيث أن هالدر وبراوختش ومانشتاين وغيرهم (بإستثناء پاولوس

١١٠- المرجع السالف ٣٢٥.
١١١- المرجع السالف ص ٣١٨.
١١٢- المرجع السالف الص ٣٤٠- ٣٤١.

الذي يبدو أنه كان أكثر صدقاً) ظلوا مصرين حتى مابعد الحرب بأن الحشود العسكرية السوڤييتية على الحدود البولندية باتت تهدد ألمانيا بخطرٍ عظيم في بداية فصل الصيف.

وقابل الكونت فون در شولنبرگ هتلر أثناء قضائه إجازته القصيرة في برلين في الثامن والعشرين من نيسان وحاول إقناعه بنوايا روسيا السلمية وحاول أن يوضح له "أن روسيا مطلعة تماماً على الشائعات التي تتكهن بهجومٍ ألماني عليها". واضاف يقول "ولست أومن قط بالزعم القائل ان روسيا ستهاجم ألمانيا...وإن تعذر على ستالين الإتفاق مع فرنسا وإنگلترا في ١٩٣٩ عندما كانتا قويتين فمن المؤكد أنه لن يتخذ مثل هذا القرار اليوم وفرنسا منهارة وإنگلترا مهشمة. بالعكس اني موقن بإستعداد ستالين للنزول عن إمتيازات أخرى لنا".

وتظاهر (الزعيم) بالشك وقال "لقد أنذرته الأحداث في صربيا بالعواقب". وتساءل أي شيطان هذا وسوس في أذن الروس ليعقدوا ميثاق صداقة مع يوغوسلاڤيا؟"[١١٣]. والحق يقال أنه لايعتقد بصحة "قيام الروس بمهاجمة ألمانيا" ومع هذا فهو مضطر إلى "إتخاذ جانب الحيطة والحذر". ولم يصارح هتلر سفيره في الإتحاد السوڤيتي بما بيّته لهذه البلاد. وبقي شولنبرگ وهو رجل صادق صافي السريرة وألماني من المدرسة القديمة جاهلاً بنواياه الى الأخير.

وكذلك بقي ستالين، لكنه لم يكن جاهلاً بتمهيداتها ونُذرها. ففي ٢٢ نيسان إحتج الإتحاد السوڤيتي إحتجاجاً رسمياً على ثمانين حادثة إعتداء في المجال الجوي قامت بها الطائرات النازية، قال انها حدثت بين ٢٧ آذار و١٨ نيسان وقدم تفاصيل عن كل حادثة بالذات. وذكر في إحداها عن طائرة إستطلاع قرب روڤنو Rovno في ١٥ نيسان، أنه وجد فيها آلة تصوير ولفات من أفلام وخارطة طبوغرافية ممزقة للمناطق الجنوبية من الإتحاد السوڤيتي. "وكل ذلك يقوم دليلاً على أغراض ملاحي هذه الطائرة". حتى في إحتجاجهم هذا كانوا مسالمين، إذ ذكروا فيه أنهم أبلغوا حرس الحدود "بأوامر تقضي ألا يطلقوا النار على الطائرات الألمانية التي تحلق فوق الأراضي السوڤييتية، مادامت لاتحصل هذه التحليقات كثيراً"[١١٤].

وخطا ستالين خطوات ترضية أخرى في أوائل أيار. فلأجل أن يسرّ هتلر طرد الممثلين الدبلوماسيين لدول بلجيكا والنرويج واليونان ولم يستثن حتى يوغوسلاڤيا وأغلق مفوضياتها. وإعترف بحكومة (رشيد عالى الگيلاني) الموالية للنازيين في العراق. وأبقى الصحافة السوڤييتية تحت أشد الرقابة والضغط إجتناباً لإستفزاز ألمانيا أو اثارتها.

"[ابرق شولنبرگ الى برلين في ١٢ أيار] إن إظهار نوايا حكومة ستالين بهذا الشكل مقصودة

١١٣- في ٥ نيسان أيّ قبل العدوان الألماني على يوغوسلاڤيا بيوم واحد. إستعجلت الحكومة السوڤييتية بإبرام "معاهدة صداقة وعدم اعتداء" مع الحكومة يوغوسلاڤية الجديدة وهي في الظاهر محاولة جنونية لصد هتلر. وقد أبلغ مولوتوف شولنبرگ بها قبل الهجوم بليلة. فهتف السفير "ان اللحظة سيئة الإختيار جداً" وحاول عبثاً أن يحمل الروس على ارجائها على الأقل. وتأجيل التوقيع عليها" (١- المرجع السالف ٣١٦- ٣١٨).

١١٤- المرجع السالف ٣٢٨.

ومحسوبة... لإزالة التوتر بين الإتحاد السوڤيتي وألمانيا ولخلق جو أفضل للمستقبل. وينبغي ألا يعزب عن بالنا أن ستالين كان بشخصه يدافع عن علاقات الصداقة بين ألمانيا وبلاده"(١١٥).

ومع أن ستالين كان منذ زمن طويل دكتاتور الإتحاد السوڤيتي المطلق، فهذه أول مرة يستخدم شولنبرگ في تقاريره عبارة [حكومة ستالين] ولهذا سبب. ففي ٦ أيار تقلد ستالين بشخصه منصب رئيس مجلس قوميساري الشعب أيّ رئيس الوزراء مستخلفاً مولوتوف الذي بقي وزيراً للخارجية. وتلك هي المرة الأولى التي يتقلد فيها السكرتير العام القوي جداً- للحزب الشيوعي منصباً حكومياً. وكان رد الفعل العام في أنحاء العالم: انه يعني بلوغ وضع الإتحاد السوڤيتي مرحلة خطيرة جداً، ولاسيما في علاقاته مع ألمانيا النازية. بحيث لايعود احد قادراً على معالجته غير ستالين بصفته رئيساً للحكومة اسمياً وفعلياً. هذا التفسير واضح، الا أن ثمّ تفسيراً آخر ليس بمثل هذا الوضوح بادر السفير الألماني الذكي في الحال الى إبلاغ برلين به.

قال شولنبرگ إن ستالين إستاء لتدهور العلاقات الألمانية السوڤييتية وهو يلقى معظم اللوم في ذلك على سياسة مولوتوف الخرقاء: [ويرى شولنبرگ]: "في رأيي يمكن الافتراض على وجه التأكيد بأن ستالين وضع لنفسه هدفاً في السياسة الخارجية ذا أهمية عظيمة جداً...يأمل بلوغه بمجهوداته الخاصة. اني راسخ الاعتقاد بأن ستالين – في وضع دولي يراه خطيراً – قد جعل أمامه هدف تجنيب الإتحاد السوڤيتي صداماً مع ألمانيا(١١٦).

ألم يدرك الدكتاتور السوڤيتي الآن والوقت يشير الى أواسط أيار ١٩٤١- أن هذا الهدف محال وأنه لاتوجد وسيلة لبلوغه غير الإستسلام الذليل لهتلر؟ لاشك أن مدلول فتح هتلر يوغوسلاڤيا واليونان وتعبئة الجيوش الجرارة الألمانية في رومانيا والمجر على حدود بلاده الجنوبية الغربية وحشود القرماخت العسكرية على الحدود الغربية في پولندا لم يكن خافياً عن ستالين. إن الشائعات المتواترة في موسكو وصلته بدون شك. وفي مبدأ شهر أيار أضحى ما وصفه "بشائعات عن صدام ألماني سوڤيتي وشيك" قبل شهر واحد، بدرجة من الرواج والإنتشار في موسكو، حتى صار يجد صعوبة في محاربتها هو وكل موظفيه في السفارة الألمانية.

"[فنصح برلين بقوله] أرجو أن لايعزب عن البال أن محاولات قطع دابر الإشاعات هنا في موسكو لن يرجى منها أي نجاح فعال إن ظلت تنصب بدون إنقطاع هنا قادمةً من ألمانيا، وكل مسافر نازل في موسكو أو مار بها لايكتفي بنقل هذه الإشاعات وأنما يستطيع أيضاً أن يدعمها بالشواهد"(١١٧).

وساور الشك السفير العتيق أيضاً. وكانت التعليمات من برلين تطلب منه الإستمرار في إنكار الشائعات ودحضها ونشر أضدادها لا بنفي وجود اية تحشيدات للجيوش الألمانية على الحدود

١١٥- المرجع السالف ص ٣٢٨.
١١٦- تقارير شولنبرگ ف ٧ و١٢ أيار. المرجع السالف الص ٣٣٥- ٣٣٩.
١١٧- المرجع السالف ص ٣٣٤.

الروسية. لكن العكس هو الذي يحصل تماماً. فهناك قوات كبيرة يتم نقلها من "الشرق الى الغرب" فعلاً (قيل له "المعلوماته الخاصة" أنها تبلغ ثماني فرق)[١١٨]. وربما أيدت هذه التعليمات شكوك السفير وزادت من قلقه. ففي هذا الوقت بالذات بدأت الصحف في ارجاء العالم المختلفة تذيع أنباءً عن التحشيدات العسكرية الألمانية على طول الحدود الروسية.

لكن قبل هذا بزمن طويل، كان ستالين قد تسلم تحذيراً صريحاً بخصوص النوايا التي يبيّتها هتلر. ولم يكترث له في الظاهر. وأخطر تلك التحذيرات وأهمها طرّاً ذلك الذي كان مصدره حكومة الولايات المتحدة.

في أوائل كانون الأول ١٩٤١ أرسل الملحق التجاري في سفارة الولايات المتحدة ببرلين (سام. ي. وودز Sam.E. Woods) تقريراً سرياً الى وزارة الخارجية يقول فيه أنه سمع من مصادر ألمانية موثوق بها أن هتلر يرسم الخطط للهجوم على روسيا في الربيع القادم. وهو تقرير طويل جداً ومفصل يجمل فيه الخطوط العريضة لخطة هيئة الأركان في الهجوم (ظهر أن مختصره كان في غاية الدقة والضبط) وأن الاستعدادات قائمة على قدم وساق لإعتصار الإتحاد السوڤيتي إقتصادياً حالما يتم إحتلاله[١١٩].

ظن وزير خارجية الولايات المتحدة (كوردل هل Cordell Hull) في مبدأ الأمر أن (وودز) وقع ضحيگة "خداع" ألمانية واستدعي رئيس دائرة التحقيقات الفيدرالية F.B.I (ج، إدگار هوڤر Edgar J. Hoover فقرأ التقرير وحكم بصحته. كان (وودز) قد أورد أسماء عدد من مصادره في كل من هيئة أركان الجيش ومختلف الوزارات في برلين. وبعد تدقيق تلك الأسماء في واشنطن حكم بأنها شخصيات مطلعة على حقائق الأمور وأن مناهضتهم للنازية التي عرفوا بها، هي التي تجعلهم يبوحون بأسرارها. ومع وجود توتر في العلاقات بين حكومتي السوڤييت والأمريكان، قرر (هل) إبلاغ الروس. وطلب من وكيل وزير الخارجية (سمنر ويلز) أن يعلم السفير الروسي (قسطنطين أومانسكي) بمحتويات التقرير. فتمّ ذلك في ٢٠ آذار.

"[كتب ويلز بعدئذ] إمتقع وجه السيد أومانسكي وبات أشد بياضاً من الورقة وظل صامتاً برهة. ثم نطق بهذه العبارة فقط "إني أدرك إدراكاً تماماً خطورة الرسالة التي أبلغتمونيها. وستكون حكومتي ممتنة جداً لثقتكم وسأبلغ عن حديثنا حالاً"[١٢٠].

١١٨- المرجع السالف الص ٣٣٤- ٣٣٥.

١١٩- (سام وودز) شخص ظريفٌ لطيف المعشر قليل الوقوف على امور السياسة العالمية وأحداث التاريخ. يبدو لنا نحن الذين عرفناه وآنسنا اليه آخر شخص من السفارة الأمريكية ببرلين، يحتمل أن يخرج من يده مثل هذه المعلومات الخطيرة ومازال عدد من زملائه في السفارة يشك في كونه صاحب هذا التقرير إلاّ أن (كوردل هل) أيد الامر في مذكراته واوضح التفاصيل. قال: أن لوودز صديقاً ألمانيا من خصوم النازية ذا صلات عليا في الوزارات وبنك الرايخ والحزب. وقد دأب منذ ١٩٤٠ على تزويده بوقائع المؤتمرات التي كانت تعقد في مقرات هتلر بخصوص الهجوم على الإتحاد السوڤيتي وبآخر الأنباء عن التطورات والأحداث مما يدور سراً في مقر هيئة الأركان العامة. وفي دوائر اولئك الذين راحوا يرسمون خطة إستنزاف الإتحاد السوڤيتي إقتصادياً. وكانت مقابلاتهما تتم في عدة دور سينما ببرلين فيسلمه ملحوظات مكتوبة عند إطفاء الأنوار في غفلة عن عيون الرقباء [انظر مذكرات كوردل هل ج٢ الص =

إن كانت الحكومة السوڤييتية ممتنة أو إعتقدت بصحة المعلومات التي جاءت في أنسب وقت، فإنها لم تبعث باشارةٍ تدل على هذا للحكومة الأمريكية. في الواقع اصبحت موسكو بعدها أكثر عداءً وشراسةً إزاء الولايات المتحدة كما اورد هَل في مذكراته لأن مساعدة أمريكا بريطانيا، حرمت روسيا من إستيراد ما تحتاجه من مواد. وعلى اية حال فإن (كوردل هل) يذكر هطول التقارير على وزارة الخارجية من ممثلياتها في بوخارست وستوكهولم في أول أسبوع من شهر حزيران، وكلها تشير الى أن ألمانيا ستغزو روسيا خلال أسبوعين. فزود السفير الأمريكي في موسكو بنسخ منها ليقدمها بدوره الى مولوتوف.

وحاول چرچل إنذار ستالين أيضاً. ففي ٣ نيسان طلب من سر ستافورد كريبس سفير في موسكو أن يقدم مذكرة شخصية الى الدكتاتور يشير فيها إلى خطورة تحرك القوات الألمانية في جنوب پولندا وما يستخلص من ذلك بالنسبة الى روسيا وأنه علم ذلك من وكيل مخابرات بريطاني. وقد ظل چرچل حانقاً على تأخر كريبس في إبلاغ الرسالة حتى عند تنويهه بالحادث في مذكراته بعد سنين[١٢١].

قبل نهاية نيسان كان (كريبس) قد علم بالتاريخ الذي رسم للغزو الألماني وعلم الألمان بأنه يعلم. ففي ٢٤ نيسان أرسل الملحق البحري الألماني في موسكو رسالة مقتضة الى قيادة الأسطول العامة في برلين: "السفير البريطاني يتكهن بيوم ٢٢ حزيران، موعداً لاعلان الحرب"[١٢٢]

هذه الرسالة التي كانت بين أوراق البحرية المستولى عليها. تم تسجيلها حالاً في يوميات البحرية الألمانية، مضافا اليها علامة تعجب(!)[١٢٣]. ودهش أمراء البحر لدقة السفير البريطاني في تكهنه. ولم يكن الملحق البحري الألماني المسكين واقفاً على السرّ شأنه في ذلك شأن السفير في موسكو، ولذلك أضاف يقول في رسالته "إن ذلك ظاهر السخف"!

ولابد ان مولوتوف توهم ذلك أيضاً. فبعد مرور شهر. (في٢٢ أيار) إستقبل شولنبرگ لبحث مختلف المواضيع. وكتب يصفه: "كان رقيقاً جميع النفس خبيراً بالأمور حسن الأطلاع كشأنه دوماً". وبيّن مرة أخرى أن ستالين ومولوتوف "أقوى شخصيتين في الإتحاد السوڤيتي" يعملان بدأبٍ (وفوق كل شيء) على تفادي الصِدام مع ألمانيا[١٢٤]. في نقطة واحدة كان السفير الحديد النظر مخطئاً تماماً. فمولوتوف في هذه المرحلة من الأحداث لم يكن "خبيراً بالأمور حسن الإطلاع" مطلقاً. لكن السفير

= ٩٦٧- ٩٦٨). تركت برلين في كانون الثاني ١٩٤٠ ولقد اخبرني (جورج كينان) ألمع موظفي السفارة الذي بقي هناك، أن السفارة تلقت أنباء الهجوم المدبر على الإتحاد السوڤييتي من عدة مصادر. وتسلمت من قنصلنا في (كوينكسبرگ) المدعو كايكندال Kuykendall تقريراً قبل الهجوم بأسبوعين أو ثلاثة عيّن فيه يوم الهجوم بالضبط.

١٢٠- سُمنر ويلز "ساعة الحزم The Time For Decision" الص ١٧٠- ١٧١.

١٢١- چرچل: الحلف الأعظم الص ٣٥٦- ٣٦١

١٢٢- العلاقات السوڤييتية النازية ص ٣٣٠

١٢٣- مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج٦ الص ٩٩٧ [وثائق نورمبرگ ١٧٠- C]

١٢٤- العلاقات السوڤييتية النازية ص ٣٤٤.

نفسه لم يكن أيضاً. إن المدى الذي وصل اليه قصر باع وزير الخارجية الروسية في الإطلاع على حقائق الأمور إنكشف للملأ قبل وقوع الضربة الألمانية بأسبوع واحدٍ أيّ في ١٤ حزيران. ففي مساء اليوم إستدعى السفير شولنبرگ وسلّمه نصاً لتعليقٍ صادر من وكالة تاس للأنباء، قال عنه أنه سيُذاع هذه الليلة وسينشر في الصحف صباح اليوم التالي[١٢٥]. وهو حملة على (ستافورد كريبس) شخصياً "للشائعات الواسعة الإنتشار عن قرب نشوب حرب بين ألمانيا والإتحاد السوڤيتي التي يبثها في الصحافة الانگليزية والأجنبية". وقد وصفها البيان الرسمي للحكومة بأنها" سخافة واضحة" وثورة دعايةٍ سمجة خرقاء من جانب القوى المتكتلة ضد الإتحاد السوڤييتي وألمانيا وأضاف التعليق قوله: "ترى الاوساط السوڤييتية في هذه الشائعات عن النوايا الألمانية... في شن حرب على الإتحاد السوڤييتي، محض إختلاقٍ لا أساس له من الواقع".

حتى أن نقل الجيوش الألمانية الأخير من يوغوسلاڤيا والبلقان الى الحدود السوڤييتية فسّره البيان الصحفي "أنه لا شأن له بالعلاقات السوڤييتية الألمانية". أما عن الإشاعات القائلة بهجوم الإتحاد السوڤيتي على ألمانيا فوصف بأنه "زيف وبهتان إستفزازي".

إن غثاثة بلاغ (تاس) بالنسبة الى الحكومة السوڤييتية انكشفت على إثر حركتين ألمانيتين وقعت الأولى منها في يوم صدوره (١٥ حزيران) والثانية في اليوم التالي. أرسل ريبنتروب رسالة سرية من البندقية حيث كان مجتمعاً بتشيانو الى (بودابست) بتاريخ ١٥ حزيران ينذر فيها الحكومة المجرية "بإتخاذ خطوات لحماية حدود بلادها نظراً الى التحشيدات الجرارة للقوات السوڤييتية على حدود ألمانيا الشرقية فربما سيضطر الزعيم في بداية تموز على أكثر تقدير الى تصفية العلاقات السوڤييتية الألمانية، عن طريق تقديم مطاليب معينة بهذا الخصوص"[١٢٦].

الألمان ينوهون بالسر الى المجريين ولكنهم لايذكرون شيئاً لحليفهم الرئيس. وفي اليوم التالي عندما سأل تشيانو ريبنتروب أثناء ما كانا يمخران بالگندول إحدى قنوات البندقية، حول الشائعات الدائرة عن هجوم ألماني على روسيا. أجاب وزير الخارجية النازي: "أيها العزيز تشيانو: اني لا استطيع أن أقول لك الآن شيئاً. لأن كل قرارٍ مودع في صدر(الزعيم) الذي لايمكن لأحدُ أن ينفذ الى داخله. ومهما يكن، فهناك أمر واحد ثابت: إن وجهنا ضربتنا فإن روسيا ستالين ستمحى نهائياً من الخارطة خلال ثمانية أسابيع[١٢٧].

وفيم كان الكرملين يتهيأ بسلامة نية لإذاعة بيان ١٤ حزيران ١٩٤١ الذي جاء فيه أن إشاعات الهجوم الألماني على روسيا "سخف ظاهر". قام أدولف هتلر في هذا اليوم بالذات بعقد آخر مجلس

١٢٥- المرجع السالف الص ٣٤٥- ٣٤٦.

١٢٦- المرجع السالف ص ٣٤٦

١٢٧- هذا جزء من أخر يومية دونها تشيانو في مذكراته بتأريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٣ عندما كان نزيل الزنزانة السابعة والعشرين من سجن (ڤيرونا) قبل إعدامه الحياة ببضعة أيام. وزاد يقول إن الحكومة الإيطالية لم تعلم بغزو روسيا. إلاّ بعد بدء الهجوم بنصف ساعة (ص ٥٨٣ - يوميات تشيانو).



من اليسار: ستالين - مولوتوف - فيشنسكي

حرب كبير بخصوص (بربروسّه) حضره قواد الڤيرماخت العظام. ووضع موضع التنفيذ في ٢٢ أيار جدول مواعيد تعبئة القوات في الشرق وتوزيعها على نقاط الوثوب. ثم صدر جدول مواعيد منقح بعد أيام قلائل(١٢٨). وهو وثيقة طويلة مفصلة لاتكتفي بإيضاح إنتهاء كل خطط الهجوم على روسيا في بداية حزيران وحده بل تكشف عن تواصل التحركات الهائلة المعقدة للمشاة والمدفعية والدروع والطائرات وفق المواعيد المعينة بدقة تامة. هناك فقرة مختصرة في يوميات الحرب الخاصة بالأسطول بتاريخ ٢٩ أيار ورد فيها ما يلي "أن التحركات التمهيدية لبوارج بربروسّه قد بدأت". وإنتهت محادثات الأركان لجيوش رومانيا والمجر وفنلندا، وهذه الدولة الأخيرة كانت متلهفة لإسترجاع ما أخذه الروس منها في حرب الشتاء. وفي ٩ حزيران أرسل هتلر من برختسگادن أمراً بعقد مؤتمر في برلين في ١٤ حزيران يحضره كل القادة العامين للقوات المسلحة الثلاثة وقواد جيوش الميدان لإجتماع يوم أخير كامل حول (بربروسّه). ومع ضخامة العمل فقد سرت الثقة من هتلر الى جنرالاته لما شرعوا بمراجعة آخر الدقائق التفصيلية لأعظم عملية عسكرية في التاريخ: هجوم عامٍ كلّي على جبهة تمتد ألفاً وخمسمائة ميل من البحر المنجمد القطبي في بتسامو Petsamo حتى البحر الأسود. وقبلها بيوم واحد عاد الى برلين (براوختش) بعد تفتيش عام لتوزيع القوات في الشرق. وكتب هالدر في يومياته أن قائد الجيش العام كان في غاية الرضا وقال إن الضباط والمراتب يتمتعون بروحٍ عالية وهم على أتم الاستعداد. ودام هذا المؤتمر الحربي الأخير من الحادية عشرة صباحاً حتى السادسة والدقيقة الثلاثين مساءً. وإنفض في الساعة الثانية بعد الظهر لتناول الغداء. وفيه القى هتلر على جنرالاته واحدة من خطبه النارية السابقة للمعركة(١٢٩). ووجدها (هالدر) "خطبة سياسية شاملة جامعة" فيها يبيّن هتلر

١٢٨- النص في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج ٦ الص ٨٥٢ - ٨٦٦. [وثائق نومبرغ ٣٩ - C].

١٢٩- محاضر هذا الإجتماع لم يعثر عليها قط على قدر معلوماتي. إن يومية هالدر بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٤١ تصف الإجتماع. كما ذكر كايتل طرفاً عنه أثناء الإستجواب (محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ١٠ الص ٥٣١ - ٥٣٢) وتنوه بها يوميات حرب الأسطول بإختصار.

أنه لم يكن لديه مفر من مهاجمة روسيا لأن سقوطها سيرغم إنگلترا على "التخلي عن الحرب والتسليم". لكن الزعيم المتعطش للدماء لابد أوضح أموراً أخرى أكثر من هذه. وقد تكلم (كايتل) عنها أثناء إستجوابه المباشر في محاكمة نورمبرگ. قال:

"كان محور أقواله الأساسي هو أن المعركة هي الفاصلة بين عقيدتين فكريتين، وأن التطبيقات التي عرفناها كعسكريين- الوحيدة الصحيحة التي تفرضها قواعد القانون الدولي- يجب النظر اليها بمقاييس أخرى مختلفة تماماً."

واستطرد (كايتل): أصدر هتلر بعد ذلك أوامر بممارسة إعمال أرهاب غير مسبوقة "بوسائل قاسية". فسأله محامي دفاعه: "هل تقدمت أنت أو أيّ جنرال آخر بإحتجاجٍ على هذه الأوامر أو أيّ واحد منها؟

فأجاب الجنرال: "كلا. إني شخصياً لم أتقدم بأي إعتراض. كذلك كان الجنرالات الآخرون"[١٣٠].

أمر يصعب على الفهم حقاً- الا أنها الحقيقة الواقعة- كيف بقي رجال الكرملين الى آخر لحظة لايدركون بأن الضربة ستنزل بهم قوية صاعقة حتى تكاد من هولها أن تطوح بوطنهم وتقضي عليه. رغم كل ما أثر عنهم من شدة اليقظة والحيلة والصلابة، ومع كل الشواهد المتواترة والنذر التي كانت تصرخ في أوجههم قائلة.. "ها أنذا!".

في الساعة ٩.٣٠ من مساء يوم ٢١ حزيران الصيفي اللطيف وقبل بداية الزحف الألماني بتسع ساعات، إستقبل مولوتوف السفير الألماني في مكتبه بالكرملين وقدم اليه آخر عينة Final Fatuity[١٣١].

نوّه أولا بحوادث خرق أجواء أخرى للطائرات الألمانية وقال انه أوعز الى السفير السوڤيتي في برلين بأن يجلب اليها إنتباه ريبنتروب. ثم إنتقل الى موضوع آخر ضمنه شولنبرگ برقية مستعجلة وأرسلها في تلك الليلة الى ڤلهلمشتراسّه. قال: "[ان مولوتوف أخبره] بأن ثمّ عدداً من الدلائل يشير إلى أن الحكومة الألمانية ليست مرتاحة من الحكومة السوڤييتية بل هنالك أيضاً شائعات تدور حول إندلاع حربٍ وشيك بين الإتحاد السوڤيتي وألمانيا... ان الحكومة السوڤييتية لعاجزة

١٣٠- هذا مايؤيده (هاشل). فقد كتب في مذكراته بتاريخ ١٦ حزيران (بعد المؤتمر بيومين) ما يأتي "هالدر وبزاوختش إستبقا الى اعلان موافقتهما على تاكتيك هتلر [في الإتحاد السوڤييتي]. وهكذا قُضي أن يسهم الجيش في دور من المجازر والمحرقات التي ظلت حتى الآن منوطة بالحرس الأسود. في مبدأ الأمر توهم "المتآمرون" ببالغ السذاجة أن أوامر الإضطهاد والأهوال الهتلرية بخصوص روسيا ستثير سخط الجنرالات فتدفعهم الى ثورة على النازية. لكن فأل (هاسل) خاب في ١٦ حزيران وتبددت اوهامه. وبدأ تدوينه في ذلك اليوم بما يأتي: "سلسلة من الإجتماعات مع (پوپتيز) (وگويردلر) و(بيك) و(اوشتر) لتبادل الرأي: هل ان أوامر معينة تسلمها قادة الجيش (لم تنشر مضامينها بعد)، كافية لفتح أعينهم على طبيعة النظام الذي يخدمونه ويحاربون في سبيله... هذه الأوامر تتعلق بإجراءات همجية تقوم بها القوات العسكرية ضد البولشڤيك عندما تغزى روسيا. لقد كانت النتيجة التي توصلنا إليها انه لا أمل في الوقت الحاضر. وهم [أي الجنرالات] انما يخادعون أنفسهم... رووساء عرفاء لانفع فيهم! [يوميات فون هاسل الص ١٩٨ - ١٩٩].

١٣١- المصطلح هو لچرچل

عن إدراك الدواعي لعدم إرتياح ألمانيا.. وهو يود لو أعلمناه بالأسباب التي دعت الى هذا الوضع في العلاقات السوفييتية- الألمانية. [وأضاف شولنبرگ يقول]... فأجبت اني لا أستطيع الإجابة عن سؤاله إلاّ بعد أن تتوفر عندي المعلومات الكافية(١٣٢)

ولم يطل به الزمن، حتى توفرت عنده المعلومات.

فقد كانت برقية راديو في طريقها اليه عبر أمواج الأثير من برلين الى موسكو مؤرخة ٢١ حزيران ١٩٤١. مدونه بالجفرة ومصدرة "مستعجل للغاية، سر دولة، الى يد السفير شخصياً" بُدئت بالآتي:

"بوصول هذه البرقية، يُشرع في إتلاف كل مفاتيح رموز الجفرة عندكم. وان تقوموا بتعطيل جهاز الراديو. نرجو إبلاغ هر مولوتوف حالاً بأن لديك رسالة في غاية الخطورة تريد إبلاغه بها.. ثم نرجو أن تلقي عليه البلاغ الآتي:..."

كان واحداً من تلك البلاغات المألوفة المطرزة بالأكاذيب التي أكل عليها الدهر وشرب والمفتريات التي برع هتلر وريبنتروب فيها واصبحا من أحذق خبرائها، ولطالما دبّجاها لتبرير كل جديد من إعمال العدوان الظالمة السابقة. وقد يكون البلاغ الأخير أشد من سابقيه وقاحةً وأحفلها بالخداع وطمس الحقائق (هذا على أقل تقدير ما رأيته فيه عندما اعدت قراءته). بدأ البلاغ بإتهام الإتحاد السوڤيتي بخرق الميثاق الألماني- الروسي بإستمرارٍ، وفي الوقت الذي ظل الرايخ أميناً على نصوصه. ثم أن الإتحاد السوڤيتي مارس "أعمال تخريب وإرهاب وتجسس" ضد ألمانيا، واحبط محاولة الألمان إقامة نظام مستقر في أوروپا"، وتآمر مع بريطانيا "لمهاجمة قوات ألمانيا في رومانيا وبلغاريا" بتعبئته كل ما هو تحت يده من القوات الروسية على جبهة تمتد من البطليق حتى البحر الأسود"، وهذا ما "هدد كيان الرايخ بالتصدع".

و[إستطرد البلاغ]: إن التقارير المجتمعة في الأيام القلائل الأخيرة بددت آخر شك باقٍ حول الصفة العدوانية التي تتصف بها الحشود العسكرية الروسية... ثم أن التقارير الواردة من إنگلترا تشير الى مفاوضات السفير (كريبس) لإقامة تعاون سياسي وعسكري أوثق عرى بين إنگلترا والإتحاد السوڤيتي.

ومحصل القول تعلن حكومة الرايخ أن الحكومة السوڤييتية خلافاً لإلتزاماتها...

اولاً: لم تكتف بمحاولاتها المستمرة لزعزعة مركز ألمانيا في أوروپا، بل زادت فيه إيغالاً وشدة.

ثانياً: تبنت سياسةً معارضةً لسياسة ألمانيا الخارجية إزدادت تفاقماً أكثر فأكثر.

ثالثاً: إنها حشدت كل قواها ووضعتها في خط الحدود الألمانية على أهبة الإستعداد. فهي بهذا أخلّت بعهودها مع ألمانيا وأزمعت الهجوم على ألمانيا من الخلف وهي تكافح في سبيل الحياة.

لذلك أمر (الزعيم) القوات الألمانية بمقاومة هذا التهديد بكل وسيلة لديهما(١٣٣). واوعز ريبنتروب

١٣٢- العلاقات السوڤييتية النازية الص ٣٥٥ - ٣٥٦

١٣٣- المرجع السالف الص ٣٤٧ - ٩٤٩.

الى سفيره في آخر الرسالة "أرجو ألا تدخل في أيّ نقاش حول البيان".

ماذا كان بمقدور شولنبرگ المضعضع الحواس الخائب الأمل الذي اوقف افضل سنّي حياته على الكدح في سبيل تحسين العلاقات الألمانية الروسية، وهو عالم علم اليقين إن غزو الإتحاد السوڤيتي إعتداء صارخ ليس ثمّ ما يبرره قط؟

كَر عائداً الى الكرملين قبيل إنبلاج الفجر وراح يقرأ البيان الألماني[١٣٤] على مولوتوف الذي علته البغتة، فظل يصغي صامتاً إلى النهاية. وبعدها عقّب يقول:

– انها الحرب أذن. هل تعتقد أننا نستأهل هذا؟

في تلك الساعة من الليل كان فصل من الراوية مماثل إخراجه يجري في ڤلهلمشتراسّه ببرلين. ظل السفير السوڤيتي (ڤلاديمير ديكانوزوف) يحاول طوال عصر يوم ٢١ حزيران بإتصالاته التلفونية بوزارة الخارجية تحديد موعد له مع ريبنتروب ليبلغه إحتجاجاً صغيراً آخر ضد حوادث خرق للأجواء أخرى إرتكبتها الطائرات الألمانية، فيقال له أن وزير الخارجية "خارج العاصمة" وأخيراً أُبلغ في الساعة الثانية بعد نصف الليل (٢٢ حزيران) أن ريبنتروب سيستقبله في الساعة الرابعة فجراً في وزارة الخارجية. ليلقى هناك صدمة لا مثيل لها في حياته. كان السفير السوڤيتي نائباً لوزير الخارجية فوق منصبه الدبلوماسي. وواحداً من دعامات الحكم الذي يتوكأ عليها ستالين ومن أولئك الذين لا يترددون في مواضع الخطر وهو الذي دبّر مسألة إنضمام (ليتوانيا). ولم تكن صدمته بأقل من صدمة مولوتوف في موسكو. ووصف دكتور شميدت المشهد وكان حاضراً: "لم أر ريبنتروب بمثل حالته من الإنفعال قبل وصول ديكانوزوف بخمس دقائق. إذ كان يروح ويجيء في مكتبه هائجاً مثل حيوان في قفص..."

أدخل (ديكانزوف)، وهو خالي الذهن تماماً مما يوشك ان يجرى ومد يده لمصافحة رينتبروب وجلس ثم... همّ بتوجيه أسئلة حكومته عن امور معنية تتطلب إيضاحاً، ولكن ريبنتروب بوجهه الحجري الجامد قاطعه قائلاً "ليس هذا موضوع بحثٍ الآن...".

ثم قام وزير الخارجية الغطريس بشرح موضوع الساعة له. وسلمه نسخة من البلاغ الذي كان شولنبرگ في تلك اللحظة بالذات يسرده على مسامع مولوتوف. وأبلغه أن العسكر الألماني يتخذ الآن إجراءات عسكرية مضادة "على الحدود السوڤييتية". يقول شميدت "أن السفير السوڤييتي إستفاق من هول الصدمة بسرعة وأعرب عن أسفه العميق" للتطورات التي لايلوم عنها إلاّ ألمانيا. "ونهض من

١٣٤– بهذا ختمت حياة هذا السفير الدبلوماسية العريق في مهنته. عاد الى ألمانيا وأُرغم على الإستقالة. وما لبث أن إنضم الى حلقة المعارضة التي يتزعمها (الجنرال بيك وغويردلر وهاسل) والآخرون ورشحه هؤلاء في وقت ما ليكون وزيراً الخارجية في الحكومة الجديدة التي ستقوم على أنقاض الحكم النازي. وذكر (هاسل) انه كان في ١٩٤٣ راغباً في اجتياز خطوط السوڤييت العسكرية في الجبهة للإتصال بستالين والتفاوض في صلح عن حكومة ألمانية معادية للنازية. "يوميات فون هاسل الص٣٢١ – ٣٢٢). القي القبض عليه بعد فشل مؤامرة تموز ١٩٤٤ ضد هتلر واودع السجن ثم أُعدم الحياة في ١٠ تشرين الثاني.

مجلسه وانحنى بجفاء وغادر المكتب دون مصافحة ريبنتروب"(١٣٥).

وهكذا إنتهى شهر العسل السوفييتي النازي. وفي الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين من فجر ٢٢ حزيران ١٩٤١ قبل إنتهاء المراسيم الدبلوماسية في كل من الكرملين وڤلهلمشتراسّه بنصف ساعة، إنطلق هزيم مدافع هتلر يدك معالم الحدود دكاً ابدياً على جبهة تمتد مئاتٍ من الأميال.



گوبلز يذيع إعلان الحرب ضد روسيا

وكان ثم تمهيد دبلوماسي آخر تقدم هزيم المدافع. ففي عصر يوم ٢١ حزيران جلس هتلر الى مكتبه بمقر قيادته الجديد (وجار الذئب Wolfsschanze) الذي حفر له تحت الأرض في غابة كئيبة المنظر في پروسيا الشرقية بالقرب من راشتنبرگ Rastenburg وأملى رسالة مطولة لموسوليني. في هذه المناسبة لم يشذ أيضاً عن مواقفه الأولى في كل إعماله العدوانية الأخرى بإزاء صديقه الحميم وحليفه الأكبر. فهو لا يثق به تلك الثقة الكافية للافضاء بالسر إلاّ في آخر لحظة. وانه ليفعل ذلك أيضاً ورسالته هذه تعد من أبرز وأوثق الشواهد على الأسباب التي دفعت هتلر إلى الخطوة المهلكة، التي حيّرت العالم في تعليلها زمناً طويلاً. تلك الخطوة التي مهدت السبيل لنهاية صاحبها ونهاية الرايخ الثالث معه.

والواقع أن الاكاذيب المعهودة والتنصلات التي يحاول هتلر دائماً أن ينقل عبئها الى عاتق الآخرين حتى الى أصدقائه، كانت سدى الرسالة ولحمتها. لكن المرء يتقرّى بين السطور وخلفها منطقه الأصلي، ومقاييسه الحقيقية "المغلوطة" في الموقف الدولي عندما بدأت بصورة رسمية السنة الثانية في الحرب في صيف ١٩٤١:

"ايها الدوتشي!

اكتب اليك هذه الرسالة. في اللحظة التي استقرت أفكاري القلقة. وإنتهت ساعات الانتظار المتواصلة المحطمة للأعصاب- بأقسى قرار اتخذته في حياتي.

١٣٥- تقرير شميدت الرسمي عن المقابلة. المرجع السالف الص ٣٥٦ - ٣٥٧. كذلك كتابة الص ٢٣٤ - ٢٣٥.

الموقف: إنكلترا خسرت هذه الحرب. وهي الآن كالغريق تتشبث بكل قشةٍ. على أن بعض آمالها لايخلو من قدرٍ من المنطق طبعاً... انه إنهيار فرنسا... وجه انظار مشعلي الحرب البريطانيين إلى موضع حاولوا جاهدين أن يجعلوا الحرب تبدأ منه، هذا الموضع هو روسيا السوڤييتية.

وكلا البلدين روسيا السوڤييتية وإنكلترا شدهما الإهتمام بأوروپا... التي صدعتها حرب طويلة. وخلف هذين البلدين يقف إتحاد أمريكا الشمالية يحثهما ويشجعهما...".

بعد ذلك، شرح هتلر أنه لايستطيع بوجود القوات العسكرية السوڤييتية الكبيرة في مؤخرته، تجميع قواته "ولاسيما الجوية" منها ليشن هجوما عاماً على بريطانيا، فيحسم أمرها نهائياً.

"في الواقع إن كل قوى روسيا هو الآن معبأ على حدودنا... ولو منحني الدهر سبباً لإستخدام القوة الجوية الألمانية ضد إنكلترا فالخطر كل الخطر يأتي من شروع روسيا في ستراتيجيتها السلابة، في الوقت الذي لا أرى مناصاً من الإستسلام والسكوت لمجرد شعوري بالنقص الجوي... واذ ذاك ستكون إنكلترا أبعد عن قبول الصلح. لأنها ستضع كل آمالها على شريكها الإتحاد السوڤيتي. وبالطبع سيتزايد هذا الأمل كلما تقدمت الإستعدادات العسكرية الروسية خطوة الى الأمام ... وخلف هذا كله تأتي حقيقة تدفق الكميات الضخمة من الأعتدة الحربية من أمريكا.. فهم يأملون ان يحصلوا عليها في ١٩٤٢...

لذلك، وبعد أن إنصدع رأسي بالتفكير المتواصل توصلت أخيراً الى قرار قطع الأنشوطة قبل أن تُمزق... إن جملة آرائي بإطارها الواسع هي كمايلي:

اولاً: فرنسا كشأنها دوماً، لايمكن الوثوق بها.

ثانياً: شمالي إفريقيا: بقدر ما يتعلق الأمر بها ولكونها من مستعمراتك أيها الدوتشي، فلا خطر عليها حتى فصل الخريف.

ثالثاً: إسبانيا متقلبة الأهواء، وأخشى أنها لن تنحاز نهائياً إلاّ بعد أن تتقرر نتيجة الحرب...

رابعاً: لايمكن التفكير في شن هجوم لإحتلال مصر قبل حلول الخريف.

خامساً: ليس مهماً سواء أدخلت أمريكا الحرب ام لم تدخل، ومهما ساعدت أعداءنا بما لديها من القوة التي يمكن ان تعبئها.

سادساً: إن الموقف في إنكلترا سيء. وتوفير الأغذية والمواد الأولية يزداد صعوبة بإطراد... والروح العسكرية الدافعة لمواصلة الحرب تعيش على الآمال فحسب. وهي ترتكز على دعامتين: روسيا وأمريكا. ولا فرصة لدينا إبعاد أمريكا عن الميدان. لكن إخراج روسيا مما نقدر عليه- إن إبعاد روسيا من الميدان ليعني في الوقت نفسه تنفيساً كبيراً لليابان في شرق آسيا وقد ينجم عن هذا تهديداً شديداً لفعالية الأمريكان بالتدخل الياباني. ونظراً لهذه

الظروف فقد قررت وضع حد نهائي لتلون الكرملين وأعماله الحربائية."

وإستطرد هتلر يقول إن ألمانيا لن تكون في حاجةٍ إلى أيّ وحدات عسكرية إيطالية في المعترك الروسي (لم يكن يريد أن يشاركه أحد مجده في فتح روسيا، مثلما لم يشأ ذلك عندما قضى على فرنسا."

إلا أنه يرى إيطاليا ذات فائدة "بتقديمها مساعدة على جانبٍ عظيم من الأهمية" بتعزيز قواتها في إفريقيا الشمالية، والوقوف على قدم الإستعداد "لإجتياح فرنسا في حالة قيام الفرنسيين بخرق المعاهدة". وكان هذا صيداً سميناً للدوتشي الدائم الجوع الى الأراضي.

"اما عن الحرب في الشرق- فإنها يا دوتشي ستكون صعبة بلاريب. على أني لاأشك لحظة واحدة بالنجاح العظيم. وأنا آمل بالدرجة الأولى أن نضمن مصدر غذاء مشتركاً في أوكرانيا، التي ستمدنا بكل المواد الفائضة مما سنحتاجه في المستقبل."

ثم يأتي هتلر الى الإعتذار عن عدم إبلاغ شريكه بالأمر قبل هذا الوقت:

"ايها الدوتشي! أنا إن تأخرت الى الآن عن إرسال هذه المعلومات فما ذلك إلاّ لأن القرار الأخير لم يتخذ حتى الساعة السابعة من هذا المساء. ومهما حدث ايها الدوتشي فوضعنا لايمكن أن تصيبه هذه الخطوة بنكسة، بالعكس فقد تحسن. وإن ظلت إنكلترا لاتتعظ ولاتستخلص العبر من الوقائع، فيمكننا توجيه قوانا المتعاظمة على عدونا للقضاء عليه."

اخيراً وصف هتلر عظيم إرتياحه بعد توصله الى قراره الأخير.

"... ألا دعني أصارحك أيها الدوتشي- بشيء آخر. لما كنت عانيت ما عانيت في سبيل الوصول الى هذا القرار، فقد شعرت بالتحرر الروحي المطلق بعده. لقد كانت شركتنا مع الإتحاد السوڤياتي كل حال وفي معظم الأحيان عبئاً ما أثقله على نفسي رغم اخلاص مجهوداتنا لتحقيق وفاقٍ أخيرٍ معه. فقد كانت تلك الشركة تبدو لي أشبه بإنفصامي عن طبيعتي وكياني، مجافاتي لمفاهيمي وواجباتي الأولى وانا الآن سعيد لخلاصي من هذه الآلام النفسية. وتقبلوا مني أعمق التحيات الرفاقية وأحرّها."

المخلص أدولف هتلر(١٣٦).

في الساعة الثالثة من فجر يوم ٢٢ حزيران قبل نصف ساعة بالضبط من إنطلاق الجحافل الألمانية أيقظ السفير الألماني (ڤون بسمارك) تشيانو من نومه في مدينة روما ليدفع اليه برسالة هتلر المطولة. فقام الوزير الإيطالي بإبلاغها تلفونياً الى موسوليني، الذي كان يستجم في رجيوني مصيفه الخاص. ولم تكن هذه أول مرة ينبه فيها الدوتشي من نومه في هدأة الليل، ليُسلم رسالة من شريك المحور. وكان ينزعج كثيراً. ولذلك راح يصرخ في تشيانو: "ليس كافياً أن اشيع القلق في الخدم ليلاً. فالألمان

١٣٦- من هتلر الى موسوليني: ٢١ حزيران ,١٩٤١ "العلاقات السوڤييتية النازية الص ٣٤٩ - ٣٥٣.



المارشالية السوڤييت - من اليسار الواقفون: بوديني - بليوكر. الجالسون: توكاچيفسكي - فوروشيلوف - ييگوروف

يجعلوني أهب من فراشي مذعوراً في اية ساعةٍ من ساعات الليل. دون ذوق أو إعتبارٍ لأي شيء"(١٣٧). على أن موسوليني ما كاد يطرد النعاس من عينيه حتى بادر الى إصدار الأوامر بشأن إعلان الحرب على الإتحاد السوڤييتي فوراً. إنه الآن سجين الألمان تماماً وهو يدرك ذلك ويتميز غيظاً لهذا. قال لتشيانو: "إني لا أرجو إلاّ شيئاً واحداً. وهو أن يُنتف الألمان في حرب الشرق هذه كثيراً من ريشهم"(١٣٨). على انه كان يدرك من الناحية الأخرى ان مستقبله مرهون بمستقبل السلاح الألماني. وكان واثقاً بأن الألمان سيربحون حربهم مع روسيا، إلاّ أنه كان يأمل في الوقت نفسه خروجهم منها بأنفٍ نازفٍ.

ولم يكن يساوره أيّ شك، ولا أن يتكهن (لا هو ولا غيره في الغرب من كلا الطرفين المصطرعين) بأن الألمان سينالهم أكثر من الأنف المهشم بكثير في صبيحة يوم الأحد الموافق ٢٢ حزيران- وهو اليوم الذي تم فيه عبور ناپوليون نهر النيمن Niemen في ١٨١٢، في طريقه الى موسكو. بعد سنة واحدةٍ بالضبط من إستسلام فرنسا وطن ناپوليون في غابة كومپين- تدفقت حجافل هتلر المدرعة والآلية التي لم تغلب قط، عبر نهر النيمن وغيره من الأنهار، وإندفعت بسرعة خاطفة الى قلب روسيا. أما الجيش الأحمر، فرغم الإنذارات والشواهد المتواترة فكان كما ذكر الجنرال هالدر في يوميات أول يوم للغزو: "قد بوغت تاكتيكياً على إمتداد الجبهة"(١٣٩).

١٣٧- يوميات تشيانو الص ٣٦٩ - ٣٧٢

١٣٨- المرجع السالف ص ٣٧٢

١٣٩- هناك تسجيل، غريب جداً في يوميات هالدر، لليوم الأول من الهجوم. فبعد أن ذكر عودة محطات الراديو السوڤييتية الى البث ظهر اليوم (وكان الألمان يتابعون موادها) كتب "لقد طلبت تلك المحطات من اليابان قيامها =

وتم الإستيلاء على كل الجسور المتقدمة سالمةً. والواقع أن الروس "على حد قول هالدر" لم يتخذوا في معظم مواقعهم وضع النشر والإستعداد للمعركة فقضي عليهم قبل أن يفكروا بتنظيم مقاومتهم. وحُطمت مئات الطائرات السوڤييتية وهي جاثمة في مطاراتها(١٤٠). ومامرت أيام قلائل حتى اقتيد عشرات الألوف من أسرى الحرب إلى معسكرات الإعتقال وطوقت جيوش كاملة بسرعة خاطفة أو شُتتت شملها. وبدا الأمر أشبه بالحملة العسكرية الپولندية Feldzug in Polen يعاد تمثيلها.

كان هالدر عادةً كثيرالحذر. ومع ذلك فقد ذكر في اليومية المؤرخة ٣ تموز بعد تدقيقه آخر التقارير الواردة الى هيئة الأركان مايلي "ليس كثيراً بأن الهجوم ضد روسيا قد تم كسبه في أربعة عشر يوماً". ثم اضاف يقول. "لن تمضي أسابيع إلاّ وينتهي كل شيء."

= بدور الوسيط لتسوية الخلافات السياسية والإقتصادية بين روسيا وألمانيا والبقاء على إتصال مستمر مع وزارة الخارجية الألمانية". ترى أكان ستالين يؤمن بإمكان إيقاف الهجوم بشكل من الاشكال بعد مرور تسع ساعات على البدء به؟

١٤٠- ذكر الجنرال (گونتر بلومنتريت) رئيس أركان الجيش الرابع. أنه بعد نصف ليل ٢١ حزيران بقليل، عندما وضعت المدفعية الألمانية تأشيره الصفر على اهدافها، مر قطار برلين- موسكو السريع مخترقاً خطوط الألمان قرب نهر (بوك) وعبره متجهاً الى (برست ليتوفسك) "دون حادث". وقد وجد "الامرغريباً" في تلك اللحظة. كما إستغرب ايضاً من سكوت المدفعية الروسية عن الرَد عند بدء الهجوم. وكتب في هذا يقول "لقد بوغت الروس تماماً في جبهتنا". وعندما لاحت تباشير الفجر إلتقطت محطات الإشارات إللاسلكية الألمانية من شبكات راديو الجيش الأحمر رسالة تقول: "القذائف تطلق علينا. ماذا نفعل؟". وذكر بلومنتريت أن جواباً صدر من المقر لهذه الرسالة: "لا شك إنكم مجانين. لماذا لم تعمدوا الى الإرسال بالجفرة؟" [القرارات الحاسمة: نشرها سيمور فرايدن Seymour Freidin ووليم ريشاردسون William Richardson].

الفصل السابع

تحول المد

-١-

في بداية خريف ١٩٤١، خيّل لهتلر أن روسيا قضت نحبها. ففي الأسابيع الثلاثة الأولى من الهجوم اندفع الفيلدمارشال (ڤون بوك) بمجموعة جيوش الوسط المؤلفة من ثلاثين فرقة مشاة وخمس عشرة فرقة آلية الى الداخل بمسافة (٤٥٠) ميلاً من بيالستوك Bialystok الى سمولنسك Smolnsk، ولم يبق بينه وبين موسكو الى الشرق غير (٢٠٠) ميل بإمتداد الطريق العظيم الذي سلكه ناپوليون سنه ١٨١٢. ومن الشمال زحف الفيلدمارشال (ڤون ليب) بجحفل جيشه المؤلف من إحدى وعشرين فرقة مشاة وست فرق مدرعة، فإجتاح دول البلطيق متجهاً الى (لينينگراد). والى الجنوب تقدم جحفل جيش الفيلدمارشال فون (روندشدت) وقوامه خمس وعشرون فرقة مشاة وأربع فرق آلية وأربع فرق جبلية وخمس فرق مدرعة، مستهدفاً حوض (الدنيپر) ومدينة (كييف) عاصمة أوكرانيا الغنية، التي كان هتلر متلهفاً الى إحتلالها.

إلى هذا الحد كان التقدم الألماني يسير "وفق الخطة المرسومة: Planmaessig" (كما وصفته بلاغات القيادة العليا) على جبهة طولها ألف ميل. والى هذه الدرجة من الثقة كان هتلر مطمئناً إلى تصاعد سرعة الزحف بينما يجري تطويق أو تمزيق الجيوش السوڤييتية واحداً بعد الآخر، إذ ما جاء الرابع عشر من تموز "ثلاثة أسابيع من بدء الغزو لا أكثر" إلاّ وأصدر أمراً توجيهياً يقترح فيه إمكان "إجراء تقليل في قوة الجيش في المستقبل القريب بمقدار كبير" وتركيز الإنتاج الحربي في بناء السفن الحربية، ولاسيما في صنع الطائرات الحربية لأجل مواصلة الحرب ضد العدو الأخير المبتقى، بريطانيا و"ضد أمريكا إن دعت الظروف"[1]. وفي نهاية أيلول أُبلغت القيادة العليا بإتخاذ الأهبة لتسريح ثمانين فرقة من المشاة ليتسنى إستخدام هذه القوة البشرية في الصناعة[2].

وبدا لهتلر أن أعظم مدينتين روسيتين وهما (لينينگراد) التي بناها بطرس الأكبر عاصمةً له على البلطيق وموسكو العتيقة عاصمة العالم الشيوعي الآن مشارفتان على السقوط. وفي ١٨ أيلول

١- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٩٠٥ - ٩٠٦ [وثائق نورمبرگ ٧٤ - C] النص الكامل في النسخة الألمانية من "محاكمة مجرمي الحرب الكبار" ج ٣٦ الص ٢٩٨ - ٣٠٢.
٢- تقرير هالدر [مختصراً: نورمبرگ].

أصدر أوامره مشددة: "يمنع منعاً باتاً إستسلام مدينتي موسكو ولينينگراد، وإن عرض ذلك"[٣] وقد أوضح ماذا سيكون مصيرهما في الأمر التوجيهي الصادر بتاريخ ٢٩ أيلول:

"قرر الزعيم أن تُمسح [سان بطرسبرگ] لينينگراد عن وجه الأرض مسحاً. إن الإبقاء على هذه المدينة الكبيرة ليس مهماً بعد أن تزال روسيا السوڤييتية.. وقد إتجهت النية الى الإطباق على المدينة من كل جهة ودكها دكاً بالمدفعية والقصف الجوي المستمر....إن الطلب الواقع بإحتلال المدينة يجب أن يُرفض. ذلك لأن مشكلة إدامة حياة السكان وإمدادهم بالاغذية لايمكن أن تُحُل ولن تحل على أيدينا.[٤] وفي هذه الحرب في سبيل البقاء، لا فائدة من الإبقاء على جزءٍ من سكان هذه المدينة العظيمة."[٥]

في هذا الأسبوع (٣ تشرين الأول) عاد هتلر الى برلين وألقى خطبة على الشعب الألماني أعلن فيها إنهيار الإتحاد السوڤيتي، قائلا:

"اني اعلن اليوم بأن العدو في الشرق قد أصيب بضربة قاضية ولن تقوم له قائمة بعدها... والآن توجد خلف جيوشنا مساحات من الأراضي تزيد على ضعف مساحة الرايخ الألماني عندما تسلمت الحكم في ١٩٣٣".

وعندما سقطت (أوريل Orel) المدينة الهامة جنوب موسكو في ٨ تشرين الأول. أرسل هتلر مدير مكتبه الصحفي (أوتو ديتريش) بالطائرة الى برلين ليخبر المراسلين الصحفيين الذين يمثلون الصحف الرئيسة في العالم في اليوم التالي لعودته، بأن آخر الجيوش السوڤييتية السليمة، وهي التي يقودها الماريشال (تيموشنكو Timoshenko) المنوط بها الدفاع عن موسكو، قد وقعت أسيرة طوقين ألمانيين فولاذيين أمام العاصمة. وأن جيوش الجنوب بقيادة الماريشال بوديوني Budenny قد هزمت ومزقت شرّ ممزقٍ. وأن جيشاً قوامه بين ستين وسبعين فرقة بقيادة الماريشال (ڤوروشيلوف) قد طُوق داخل (لينينگراد). وختم ديتريش أقواله متفاخراً: "نظراً الى الأهداف العسكرية يمكن القول أن روسيا السوڤييتية أصبحت في عداد الزائلين. وأن الحلم الإنگليزي بالجبهتين قد إضمحل وعفي عنه".

أقل ما يقال عن تصريحات هتلر وديتريش المتباهية انها كانت سابقة لأوانها[٦] فالحق يقال إن الروس، مع انهم أخذوا على حين غرة في ٢٢ حزيران، ورغم خسائرهم الفادحة في المعدات والرجال،

٣- مؤآمرة النازيين وعدوانهم ج ٦ ص ٩٢٩ [وثائق نورمبرگ ١٢٣ – C]
٤- وردت اشارات الإهتمام بالعبارات، في النص الأصلي.
٥- بعد هذا بأسابيع قليلة. قال گورنگ لتشيانو "في هذا العام سيموت في روسيا جوعاً عدد يتراوح بين عشرين وثلاثين مليون إنسان. وربما كان ذلك خيراً وأفضل، إذ ان شعوباً معينة يجب ان تبيد. وحتى لو لم يصبها الهلاك فلا يمكن ان يعمل شيء لمعالجة الأمر. وواضح ايضاً انه لو قضي على البشرية أن تموت جوعاً فشعبانا آخر من يموت به... في معسكرات أسرى الروس بدأ أحدهم يأكل الآخر" [أوراق تشيانو الدبلوماسية الص ٤٦٤ – ٤٦٥].
٦- ليست هي بأسبق من تحذير أركان الحرب الأمريكية التي أبلغت الصحف ومراسلي واشنطن بأن إنهيار الإتحاد السوڤييتي اصبح الآن مسألة أسابيع قليلة. وليس بعجيب ان تجد تصريحات هتلر وديتريش في أوائل تشرين الأول ١٩٤١ صدىً لها في بريطانيا والولايات المتحدة فضلاً عن ألمانيا وغيرها من البلاد.

وإنسحابهم السريع ووقوع قسم من خيرة جيوشهم في الشرك. فقد بدأوا في تموز يظهرون مقاومةً متعاظمة لم ير مثلها (الڤيرماخت) من قبل. وراحت يوميات هالدر وتقارير القواد في خطوط القتال كالجنرال (گودريان) تنوه ثم تحفل بأنباء معارك حامية الوطيس. ووقفات سوڤيتيه صامدة وهجمات مضادة وخسائر جسيمة في الألمان والسوڤييت. وكان (گودريان) يقود مجموعة كبيرة من الدروع في الجبهة الوسطى.

وكتب الجنرال (بلومنتريت) فيما بعد "إن سلوك القوات الروسية حتى في هذه المعركة الأولى لإحتلال مينسك Minsk يختلف اختلافاً بيّناً عن سلوك البولنديين والحلفاء الغربيين أثناء الهزيمة. فهم يصمدون ويقاتلون حتى عندما يتم تطويقهم[٧] وقد ظهر أن هناك عدداً وافراً منهم وبشكة من السلاح أفضل مما تصوره هتلر... "تقذف الى المعارك بصورة متواصلةٍ فرق جديدة سوڤيتية لاتدري المخابرات الألمانية عن وجودها شيئاً". وكتب (هالدر) في يومية ١١ آب يقول:

> "صار يتضح لنا أكثر فأكثر، أننا أخطأنا في تقرير قوة المارد الروسي لا في المجال الإقتصادي ووسائط النقل والمواصلات وحدهما، بل في المجال الحربي فوق كل شيء. ففي مبدأ الأمر قدّرنا ما سنواجهه بمائتي فرقة. وها نحن نجد أمامنا كدفعة أولى ثلاثمائة وستين فرقة، ما أن تحطم بضع عشرة منها إلاّ ويقذف الروس ببضع عشرة أخرى. وفي هذا الإمتداد الشاسع كانت جبهتنا خفيفة جداً ليس بها أيّ كثافة ولاعمق. والنتيجة أن هجمات العدو المتكررة كثيراً ما تصادف بعض النجاح".

أما (روندشدت) فقد قالها لمحققي الحلفاء بعدالحرب بكل صراحة "لقد أدركت بعد الهجوم مباشرة أن كل ما كتب عن روسيا كان هراء وكذباً".

وترك عدد من الجنرالات ومنهم گودريان وبلومنتريت و(سيب ديتريش Sepp Dietrich) تقارير يعربون فيها عن دهشتهم (عند أول التحامٍ لهم بالجيش الأحمر) للدبابة الروسية (ت ٣٤)، وهو طراز لم يسمعوا به من قبل، ذات دروع سميكة جداً لاتخرقها قذائف المدفعية المضادة للدبابات الألمانية. وانما تنفجر فوقها دون أن تحدث فيها ضرراً. وقال بلومنتريت فيما بعد: إن ظهور هذه الدبابة كان فتحاً لما بات يعرف فيما بعد "بإرهاب الدبابة". كذلك لم يجد الألمان أنفسهم لأول مرة في تاريخ الحرب- متفوقين جواً ذلك التفوق الساحق ذا الأفضلية العظمى لحماية قواتهم البرية وطلائعهم المتقدمة. فمع الخسائر الجسيمة التي لحقت بالقوة الجوية الروسية على الأرض في أول يومٍ من المعركة وفي الاشتباكات الأولى، ظلت تظهر المقاتلات السوڤييتية وتحوم في الفضاء مثل ظهور الفرق الجديدة، لايعلم من أين تأتي! زد على هذا أن سرعة التقدم الألماني والإفتقار الى مطارات روسية مناسبة، جعلت قواعد المقاتلات الألمانية بعيدة جداً الى الخلف، ولم تعد ذات أثر ما للحماية في الجبهة. وذكر الجنرال فون كلايست Von Kleist "لقد توقف زحف دروعي في مراحل عديدة من التقدم

٧- من مقال للجنرال بلومنتريت. في "القرار الحاسم" نشرة سيمور فرايدن ووليم رشاردسن ص ٧٥.

بسبب الإفتقار الى الغطاء الجوي)[٨].

هناك خطأ حساب ألماني آخر حول الروس، ذكره (كلايست) لـ(ليدل هارت)، وهو الرأي الذي كان يشاركه فيه معظم الناس الآخرين في غرب أوروبا يومذاك.

قال (كلايست) "بُنيت الآمال في ربح الحرب بالدرجة الأولى على إحتمال نشوب ثورةٍ في روسيا على إثر الهجوم... لقد بنيت آمال عالية جداً على وهم قيام الشعب الروسي بإزاحة الحكومة والنظام الذي تروج له حالما تنزل الهزائم المنكرة بستالين وقد تبني هذا الرأي مستشارو الزعيم السياسيون"[٩].

والواقع إن هتلر قال ليودل "ما علينا إلاّ أن نركل الباب ركلةً لينقض كل البناء المتفسخ ويتهاوى انقاضاً".

وبدت فرصة ركلة الباب وكأنها قبضة يد الزعيم خلال شهر تموز، عندما لاحت أولى بوادر خلاف عظيم حول الستراتيجية في القيادة العليا الألمانية، وادت الى إتخاذ هتلر قراراً يخالف رأي معظم كبار الجنرالات ووسط إحتجاجهم، وجده (هالدر) "أعظم نكبة ستراتيجية للحرب الشرقية". كان الموضوع بسيطاً لكنه جوهري. هل تقوم مجموعة جيوش الوسط بقيادة (بوك)، وهي أقوى وأكثر الجيوش الألمانية الثلاثة الكبرى نجاحاً حتى الآن، بالإندفاع الى الأمام وقطع الأميال المائتين بين موسكو (وسمولسنك) التي احتلتها في ١٦ تموز؟ أو هل يستمر بتطبيق الخطة الأصلية التي فصّلها هتلر في الأمر التوجيهي الثامن عشر، وتقضي بأن يكون الإندفاع الرئيس من الجناحين الشمالي والجنوبي؟ وبكلمة أخرى هل ستكون موسكو الهدف الاكبر أم لينينگراد والاوكرين؟

أصرت قيادة الجيش العامة وعلى رأسها براوختش وهادر بدعم من (بوك)، الذي كانت جيوشه في الوسط تتقدم من موسكو على الطريق العام، وبموافقة (گودريان) الذي كانت فرقة المدرعة تخب في طليعة القوات الزاحفة. أصرّوا كلهم على زحف هجومي عام للإستيلاء على العاصمة السوڤييتية. وكانت حجتهم تنطوي على أكثر من مجرد أهمية إحتلال عاصمة العدو من الناحية النفسية. فقد أوضحوا لهتلر أن موسكو مصدر هام لصناعة السلاح، وأكثر من هذا أهمية انها مزكر شبكة المواصلات ونظام النقل الروسي. فإن تم اخذها فلن يقتصر الأمر على حرمان السوڤييت من مصدر سلاحٍ حيوي، بل سيتعذر تحريك القوات والامدادت والتموين الى الجبهات البعيدة التي سينتابها الضعف بعدئذ وتضمر ثم تنهار.

لكن كان ثم حجة مقنعة أخيرة تقدم بها الجزالات الى نائب العريف السابق، الذي هو قائدهم الأعلى الآن. وهي أن كل تقارير إستخباراتهم كشفت عن قيام الروس بحشد جميع قواتهم الرئيسة أمام موسكو للدفاع الأعظم عنها. والى شرق سمولنسك كان جيش سوڤيتي قوامه نصف مليون مقاتل إستطاع الإفلات من كماشة بوك المضاعفة Deuble Devlepement، يتحصن في مواقعه وينظم صفوفه

٨ - ليدل هارت "الجنرالات الألمان يتكلمون" ص ١٤٧.

٩- المرجع نفسه ص ١٤٥.

ليحول دون أي تقدم ألماني آخر نحو العاصمة.

لقد جاء في تقرير كتبه (هالدر) للحلفاء بعد الحرب مباشرة بما يلي:[١٠] "إن مركز الثقل في القوة الروسية كان إذن بمواجهة مجموعة جيوش الوسط...كانت هيئة الأركان العامة قد إعتنقت فكرة وجوب أن يكون هدف عملياتنا العسكرية، دحر قوة العدو العسكرية. فهي لذلك تعتبر ثاني المهام وأشدها إلحاحاً، التغلب على قوات تيموشنكو، بتحشيدنا كل القوات المتيسرة في قطاع مجموعة جيوش الوسط والزحف على موسكو والإستيلاء على هذا المركز الحيوي لمقاومة العدو وتدمير قطعات العدو الجديدة. إن التجميع لهذه المعركة كان يجب ان يتم بأسرع وقتٍ ممكنٍ لأن الصيف مضى أكثره. وكان على جحفل جيش الشمال في الوقت نفسه أن ينجز واجبه الأصلي وان يحاول الإتصال بالفنلنديين. وعلى مجموعة جيوش الجنوب أن تمضي في تقدمها نحو الشرق لإشغال أقوى قطعات ممكنة للعدو...وبعد فشل المناقشات الشفوية بين هيئة الأركان العامة والقيادة العليا رفع قائد الجيش العام (براوختش) مذكرة الأركان العامة الى هتلر."

ونحن نعلم من يوميات هالدر أن هذا تم في ١٨ آب. وهو يكتب قائلاً "إن الأثر كان إنفجاراً داوياً". كان هتلر قد شخص بعينه الجائعة الى حزام الغذاء في الأوكرين والى مناطقها الصناعية وحقول النفط الروسية وراءها في القفقاس. والى جانب هذا فقد كان يرى فرصةً ذهبية في إيقاع جيوش (بوديوني) في فخ شرق (الدنيپر) خلف كييڤ التي مازالت صامدةً. وهو أيضاً يريد أن يستولي على (لييننگراد) والإتصال بالفنلنديين شمالاً. ولأجل تحقيق هذه الغاية المزدوجة كان يرى وجوب سحب عددٍ من فرق المشاة والدبابات من مجموعة جيوش الوسط وإرسالها الى الشمال، والى الجنوب خاصةً. وعلى موسكو أن تنتظر دورها.

في ٢١ آب دفع هتلر بأمرٍ توجيهي إلى رئيس هيئة أركانه الثائر فنقله هالدر في يومياته كلمةً كلمةً: "إن مقترحات الجيش في كيفية سير العمليات في الشرق لاتتفق مع اغراضي. إن أهم هدف يجب تحقيقه قبل حلول فصل الشتاء ليس إحتلال موسكو، بل الإستيلاء على القرم، والمناطق الصناعية ومناجم الفحم في حوض (الدونتز) وقطع إمدادات النفط الروسية من القفقاس. أما في الشمال فالهدف هو إحكام الحصار على لييننگراد والإتصال بالفنلنديين."

وأما عن الجيش السوڤيتي الخامس في الدنيپر- جنوباً الذي كانت مقاومته العنيدة تزعج هتلر عدة أيام، فقد أفتى بوجوب سحقه سحقاً تاماً وأن يتم إحتلال الأوكرين والقرم وأن تُطوق لييننغراد ويتحقق الإتصال مع الفنلنديين و"عندئذ فقط تخلق الظروف الملائمة لمهاجمة (تيموشنكو) بنجاح والتغلب عليه".

"[وعلّق هالدر على هذا ممتعضاً حانقاً] وهكذا أصبح هدف إلحاق الهزيمة الفاصلة بالجيوش الروسية

١٠- تقرير هالدر.

أمام موسكو هدفاً ثانوياً بالنسبة الى الرغبة في الحصول على منطقة صناعية ثمينة والتقدم نحو النفط الروسي ... بات هتلر اليوم وفكرة إحتلال (لينينگراد وستالينگراد) مستحوذة عليه، ذلك لأنه أقنع نفسه بأن سقوط هاتين المدينتين (المقدستين في العالم الشيوعي) سيكون فيه إنهيار روسيا.

ومما زاد في الطين بلة وزاد في الجرح إهانةً للفيلدمارشالات والجنرالات الذين لم يقدّروا عبقريته الستراتيجية. إنه أرسل للجيش رداً على مذكرة الثامن عشر، ما أطلق عليه هالدر إسم "المذكرة المضادة". ووصفها بكونها (ملأى بالشتائم) كقوله فيها أن قيادة الجيش العامة تختزن عقولاً تحجرت بالنظريات القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب. ولجأ الى يومياته في اليوم التالي ليكتب ساخطاً ثائراً "أمر لايُحتمل! لم يسمع به من قبل! لقد بلغ السيل الزبى!"

وإجتمع طوال العصر والمساء بالفيلدمارشال فون براوختش وظلا يبحثان في تدخل الزعيم "غير المسموح به" في الشؤون التي تخص قيادة الجيش العامة وهيئة أركانه. وإقترح أخيراً أن يستقيل هو ورئيس الجيش، من منصبيهما "فرفض براوختش لأنه ليس شيئاً عملياً ولن تغيّر أستقالتهما الوضع". لقد أعلن الفيلدمارشال الجبان الرعديد إستسلامه المطلق لنائب العريف السابق منذ زمن وفي مناسبات عديدة جداً. وعندما وصل الجنرال (گودريان) الى مقر قيادة الزعيم في اليوم التالي (٢٣ آب) حثّه (هالدر) على محاولة حمل هتلر على العدول عن قراره ذي العواقب الوخيمة، وإن لم يكن قائد الدروع الذي حنّكته المعارك بحاجة الى أي حثّ. وقابله (براوختش) وقال له:

"اني أمنعك من ذكر قضية موسكو أمام الزعيم. فقد صدرت الأوامر بعملية الجنوب والمسألة تنحصر الآن في كيفية تطبيقها فحسب. والمناقشة غير مجدية".

مع هذا عندما أدخل (گودريان) على هتلر وحده (لم يرافقه لا هالدر ولا براوختش) عصي الأوامر وراح يجادل بأقوى ما أمكنه في أفضلية الزحف الآتي على موسكو.

"[كتب گودريان بعدئذ] تركني هتلر أتكلم حتى الأخير. ثم راح يصف مسهباً الدواعي التي حملته على إتخاذ قرار مختلف. قال إن مواد الأوكرين الأولية وغلتها الزراعية ضرورية جداً لإدامة الحرب في المستقبل، وتكلم عن الحاجة الى الإستيلاء على القرم "شبه الجزيرة التي هي أشبه بحاملة طائرات سوڤيتية لمهاجمة حقول النفط الرومانية". ولأول مرة سمعته يستخدم عبارة "إن جنرالاتي لايعلمون شيئاً عن الناحية الإقتصادية من الحرب"... لقد اعطى أوامر مشددة بوجوب البدء فوراً بالهجوم على (كييف) بوصفها الهدف الستراتيجي الآتي وان تطبق العمليات كافة على هذا الأساس. لقد رأيت هنا لأول مرةٍ مشهداً كان سيصبح مألوفاً لدي: فكل من كان حاضراً- كايتل ويودل والآخرون- احنوا رؤوسهم بالموافقة على كل جملة نطق بها هتلر في حين بقيت وحدى ألازم فكرتي..."[١١]

لكن (هالدر) لم يحن رأسه لأي فكرة في المناقشات الماضية. وعندما قابله (گودريان) في اليوم

١١- "هاينز گودريان" قائد الدروع الص ١٥٩ - ١٢٦. إن ارقام الصحائف المثبتة، تعود في هذا الفصل والفصول الأخرى إلى طبعة بالنتاين ذات الغلاف الورقي.

التالي وأبلغه بفشله في حمل هتلر على تغيير رأييه، يقول "إنه [أي هالدر] لدهشتي أصيب بإنهيار عصبيي تام، ادى به الى كيل التهم والنعوت التي لامبرر لها"[١٢]. كانت هذه أعنف أزمة في القيادة العسكرية الألمانية العليا. منذ أن بدأت الحرب، وستعقبها ازمات أعنف منها وأشد مصحوبة بالنكبات والكوارث.

كان هجوم (روندشدت) في الجنوب بحد ذاته نصراً سوقياً عظيماً كما وصفه گودريان. ولم يكن بالإمكان القيام به إلاّ بعد إنجاد جيش الجنوب بقوات (گودريان) المدرعة وفرق المشاة التي سحبت من الجبهة الوسطى. وسقطت (كييڤ) في ١٩ أيلول "كانت الوحدات الألمانية قبلها قد توغلت مسافة ١٥٠ ميلاً وراء المدينة). وفي ٢٦ منه انتهت معركة (كييڤ) بتطويق وإستسلام (٦٦٥٠٠٠) جندي روسي حسب زعم الألمان. وإعتبرها هتلر (أعظم معركة في التاريخ). ومع كونها نصراً باهراً، إلاّ أن بعض الجنرالات كانوا أكثر تشككاً في أهميتها الستراتيجية. وأرغم جيش بوك الذي جرد من الدروع بالبقاء في مكانه منتظراً طوال شهرين على طول نهر دسنا Desna خلف سمولنسك شرقاً. وأخذ موسم الأمطار الروسي الذي سيحيل الطرق الروسية الى برك رخوة من الأوحال يدنو بسرعةٍ وبعد الأمطار يأتي الشتاء ببرده وثلجه.

– ٢ –

الإندفاع الأعظم نحو موسكو

نزل هتلر تحت شدة إلحاح (براوختش وهالدر وبوك) ووافق متردداً على إستئناف التقدم نحو موسكو لكن فات الآوان ولات حين مندم! وقابله (هالدر) في عصر يوم ٥ أيلول فوجده- بعد أن صح عزمه على ذلك – مستعجلاً يريد الوصول الى الكرملين. "ويطلب الشروع بالحركة في الجبهة الوسطى خلال ثمانية أيام". (وهتف هالدر في يومياته" هذا مستحيل!) وأضاف القائد الأعلى وسط عجلته تلك "طوقوهم إضربوهم ثم حطموهم". ووعد بإعادة (گودريان) مع فرق دباباته الى الجبهة الوسطى من الجنوب، حيث مازالت تخوض غمار معارك حامية. بالإضافة الى دروع الجنرال (راينهارد) من جبهة ليننگراد. لكن لم يكن بالإمكان نقل هذه الوحدات واصلاحها واعدادها للمعركة إلاّ في بداية تشرين الأول. وهكذا وفي الثاني منه بدئ بالهجوم العظيم أخيراً وكان الأسم الرمزي له "الإعصار" ريح عاتية، زوبعة هوجاء، ستُعمي الروس وتمزق آخر مالديهم من القوات المحاربة أمام موسكو ليهوي الإتحاد السوڤيتي بعدها متقوضاً.

١٢- يوميات هالدر (٢٤ آب) تقدم راوية مختلفة. فهو يتهم گودريان "بعدم المسؤولية وتغيير رأيه بعد مقابلة هتلر، ويتأمل متحسراً في تعذّر أيّ محاولة لتغيير أخلاق الرجل. فإن كان قد عاني "إنهياراً عصبياً" كما زعم گودريان، فإن يومياته الدقيقة المختلفة تشير الى انه إستفاق بسرعة.

لكن الدكتاتور النازي وقع هنا أيضاً فريسة نوبة من نوبات جنون العظمة. فالإستيلاء على موسكو ليس بكافٍ قبل مجيء الشتاء. لذلك أصدر أمراً للفيلدمارشال (ڤون ليب) قائد الجبهة الشمالية بأخذ لينِنگراد في الوقت نفسه، وتحقيق الإتصال مع الفنلنديين فيما يلي المدينة، ثم يندفع الى الأمام لقطع سكة حديد مورمانسك. وأوعز لروندشدت في الوقت ذاته بتطهير ساحل البحر الأسود وإحتلال روستوڤ والإستيلاء على مايكوب Maikope بحقولها النفطية والتقدم نحو ستالينگراد على (الڤولكا). وبهذا يتم قطع آخر مواصلات ستالين بالقفقاس. وعندما حاول روندشدت أن يوضح للقائد الأعلى أن هذا الواجب معناه التقدم أكثر من أربعمائة ميل فيما وراء الدنيپر، مع بقاء ميسرته مكشوفة بشكل خطيرٍ أجابه أن الروس في الجنوب عاجزون الآن عن إبداء مقاومة جدية. لكن روندشدت، الذي زعم أنه (قهقه) ساخراً بهذه الأوامر السخيفة سرعان ما وجد الأمور عكس ما بيّن هتلر.

في مبدأ الأمر كان إندفاع الألمان على طول الطريق الذي سلكه ناپوليون نحو (موسكو) عارماً عنيفاً كالإعصار الجائح. وفي الأسبوعين الأولين من تشرين الأول وبما وصفه (بلومنتريت) فيما بعد "بمعركة للدراسة" طوق الألمان جيشين سوڤيتين بين ڤيازما Vyasma وبرايانسك Bryansk وزعموا أنهم أخذوا (٦٥٠٠٠٠) أسير وغنموا (٥٠٠٠) مدفع و(١٢٠٠) دبابة. وفي ٢٠ تشرين الأول أصبحت نفائض الدروع على مسافة أربعين ميلاً من موسكو، وهرعت الوزارات السوڤييتية والسفارات الأجنبية بمغادرتها الى كويبشيف Kuibyshev على نهر الڤولكا. حتى أن هالدر الذي كان قد سقط عن ظهر جواده وكسر عظم ترقوته ونزل المستشفى مؤقتاً. أصبح الآن واثقاً بإمكان أخذ موسكو بتوفر القيادة الجريئة وجودة المناخ، قبل أن يأتي الشتاء الروسي.

على أن أمطار الخريف بدأت تهطل وحلّت فترة الطين المأثورة (راسپوتيتزا Rasputitza) فتباطأ سير الجيش العظيم الذي يجر على عجلات. وكثيراً ما أرغم على الوقوف وسحبت الدبابات من المعارك لتقوم بسحب المدافع وسيارات العتاد وإخراجها من الأوحال. وإشتدت الحاجة الى سلاسل وخطافات وهو مالم تُتخذ له الأهبة. وصارت طائرات نقل اللوفتوافه تلقي بربطات من الحبال الضرورية جداً لسحب إمدادات المدفعية. وبدأ هطول الأمطار في أواسط شهر تشرين الأول وأضحت "الأسابيع القلائل التالية تسيطر عليها الأوحال" على حد ما يذكره (گودريان). ووصف الجنرال بلومنتريت رئيس أركان جيش الفيلدمارشال (ڤون كلوگه) الرابع مأزقهم وصفاً دقيقاً قال: "يغوص جندي المشاة

> في حمأة الطين بينما يُحتاج الى عددٍ كبير من طواقم الخيل لسحب كل مدفع الى الأمام. وتغرق العجلات والسيارات كافة حتى محاورها في الطين اللزج. حتى الجرارات لايمكنها الحركة إلاّ بصعوبة. وسرعان ما غاص في التربة الموحلة جانب كبير من المدفعية ولم يعد بالإمكان انتشاله. وربما أمكن تصور درجة الأرهاق الذي احدثه كل هذا في جنودنا بعد أن أدركهم الاعياء."[١٣]

١٣- مقالة بلومنتريت: المرجع السالف ص ٦٦

ولأول مرة تسربت الى يوميات (هالدر) وتقارير (گودريان وبلومنتريت) وغيرهم من جنرالات الألمان عقابيل الشك، ثم إمارات اليأس وبلغت الضباط من الدرجات الصغيرة ثم جنود الميدان. أو لعل أصلها من هؤلاء. وكتب (بلومنتريت) الذي كان في مثار نقع المعركة "الآن وعندما أصبحت موسكو على قيد الأبصار منا بدأ الجنود والقادة يعانون تغييراً نفسياً وإشتدت مقاومة العدو واصبح القتال مريراً... ونقص ملاك كثيرٍ من سرايانا الى ستين أو سبعين رجلاً". وشمل النقص الكبير المدفعية والدبابات الصالحة للعمل. واضاف يقول "إن الشتاء على الأبواب ولا أثر للثياب الشتوية... وبرزت بعيداً خلف خطوط الجبهة أولى وحدات الأنصار، في الغابات الشاسعة والمستنقعات. وراحت تنصب الكمائن الكثيرة فتوقع بارتال التموين وتدمرها.

الآن راح (بلومنتريت) يُلاحَق بأشباح الجيش الفرنسي الأعظم الذي سلك الى موسكو هذا الطريق بالذات. وصارت عاقبة ناپوليون تطارد الفاتحين النازيين في أحلامهم. وإنصرف الجنرالات الألمان الى قراءة ما كتبه كولينكور Caulaincourt عن نكبة الفاتح الفرنسي في شتاء روسيا ١٨١٢، أو يعيدون قراءة صفحاته الكئيبة.

والى الجنوب حيث المناخ أكثر دفئاً والمطر والطين لايقلاّن سوءاً لم تسر الأمور على مايرام أيضاً. ففي ٢١ تشرين الثاني إقتحمت دبابات كلايست مدينة (روستوف) على مصب الدوّن ورافق هذا النصر تطبيل وتزمير أجواق دعاية الدكتور گوبلز، التي راحت تزعق "إن باب القفقاس" قد انفتح على مصراعيه. لكنه لم يبق مفتوحاً اذ أدرك كل من كلايست وروندشدت صعوبة الإحتفاظ بالمدينة روستوف. وما مرّت خمسة أيام إلاّ وعاد الجيش الأحمر فإنتزعها. وهوجمت ميمنة الألمان وميسرتهم. ولم يجدوا بداً من التقهقرالسريع الى الخلف زهاء خمسين ميلاً حتى نهر مويز Muis. وهو الخط الذي كان كلايست وروندشدت قد إختاراه قبل الهجوم ليكون أول موضعٍ من خطوط الشتاء الدفاعية.

ويُعد التقهقر من (روستوف) نقطة تحول صغيرة أخرى في تاريخ الرايخ الثالث. فهنا ولأول مرة يُمنى الجيش النازي بإنتكاسةٍ كبيرة. علّق عليها (گودريان) فيما بعد بقوله "أولى نكباتنا افتتحت في روستوف، وقد كانت أشبه بالكتابة النارية على الحائط". كما كلفت الفيلدمارشال روندشدت أقدم ضباط الجيش الألماني، منصبه في قيادة مجموعة جيوش الجنوب. اذ بينا هو يقتهقر الى نهر مويز... [من اقواله المحققي الحلفاء]: "وصلني فجأة أمر من الزعيم يقول لي فيه «قف حيث أنت ولاتتقهقر

> أكثر من هذا». فبادرت أجيب: من الجنون محاولة الصمود- أولاً لأن الجنود لا طاقة لهم. وثانياً إن لم يتهقروا فسيبادون عن بكرة أبيهم. أكرر، يجب أن يلغي هذا الأمر والا فعليكم أن تجدوا من يحل محلي. وفي تلك الليلة بالذات وصل رد الزعيم "اني اعفيك بناءً على طلبك. أرجو ان تسلم القيادة". قال روندشدت: ففعلت وعدت الى بيتي[١٤]

١٤- كتب هالدر في يومياته بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني يصف تقهقر (روندشدت) الى نهر المويز وعزل (الزعيم) له عن القيادة "المفاجأة العظمى Groeste Aufregung! للزعيم. الزعيم يستدعي براوختش ويشبعه لوماً وتأنيباً." لقد بدأ =

إن الجنون الذي ينطوي عليه إصدار أمر بالصمود لجنود يبعدون كثيراً عن الآمر بغض النظر عما يحدق بهم من خطر، ربما كان السبب في إنقاذ الجيش الألماني من الإنهيار التام خلال الأشهر العصيبة التالية، وإن خالف كثير من الجنرالات هذا الرأي. على أنه أدى بالنتيجة الى (ستالينگراد) والى غيرها من الكوارث وساعد على نهاية هتلر.

وتساقطت الثلوج. وهبطت درجات الحرارة الى مادون الصفر في زمن سبق المعتاد في الشتاء الروسي. ولاحظ (گودريان) طلائع ندف الثلج في ليلة ٧/٦ من تشرين الأول وقت إستيناف عملية الاندفاع نحو موسكو، وهذا ما ذكره بتأكيد طلبه الى المقر العام بإرسال الثياب الشتائية وخص بالذكر الأحذية الثقيلة والجوارب الصوفية السمكية.

ولاحظ في ١٢ تشرين الأول أن الثلج مازال يتساقط. وفي ٣ تشرين الثاني إندفعت أولى موجات البرد. فإنخفضت درجة المحرار الى ما تحت الإنجماد وظل ينخفض إنخفاضاً مطرداً. وفي ٧ منه أبلغ (گودريان) بوقوع "ضربات صقيع شديدة" في مراتب جيشه. وأصبحت "الحاجة ماسة الى الثياب الشتوية" وكان تأثير البرد الزمهرير على المحركات والمدافع كتأثيره على الرجال.

"[كتب گودريان] إن الانجماد يسبب لنا متاعب كثيرة، لأن قلافات سرفات الدبابات لم تصل بعد. والبرد يؤثر على مجال الرؤية التلسكوبي فيها فيجعله بلا فائدة. ونحن نلجأ الى اشعال النار تحت محركات الدبابات لتشغيلها... وفي بعض المناسبات سري الانجماد الى البترول، وتلف الدهن. فقد كل لواء(من فرقة المشاة المائة والثانية عشرة) زهاء خمسمائة رجل بضربات الصقيع، وبسب البرد تعذر إطلاق نار المدفعية. وقد ثبت لنا أن مدافعنا ضد الدروع ذات عيار ٢٧ ملمتراً لاتؤثر نارها في الدبابة [الروسية] ت- ٣٤"[١٥].

"[يقول گودريان] كانت النتيجة رعباً سري حتى بوگرودسك Bogrosodsk. وهو أول ظاهرة من نوعها في الحرب الروسية. كانت نذيراً بأن قابلية جنودنا الحربية بلغت حدها الأقصى".

إلا أن الأمر لم يعد قاصراً على المشاة. ففي ٢١ تشرين الثاني ذكر (هالدر) في يومياته أن (گودريان) كلمه تلفونياً ليعلمه أن وحدات دروعه "قد نفدت طاقاتها تماماً". هذا قائد الدروع الصلب

= هالدر وقعة ذلك اليوم. باثبات أرقام عن خسائر الألمان حتى ٢٦ تشرين الثاني "مجموع الخسائر الكلي لجيوش المشرق (لايدخل فيها المرض)(٧٤٣١١٢) ضابطاً وجندياً. أيّ مايعادل ٢٣٪ من المجموع العام للقوات المحاربة البالغ (٣٢٠٠٠٠٠) رجل". وفي ١ كانون الأول سجّل هالدر نبأ تعيين رايخناو في منصب روندشدت وكان يقود الجيش السادس منذ حرب فرنسا. وهو الجيش الذي تحمل أعنف الضربات شمال فرق كلاسيت المدرعة وكانت تتقهقر من روستوڤ". كتب هالدر: "رايخناو يتصل بـ(الزعيم) تلفونياً، ويطلب منه السماح بالتقهقر هذه الليلة الي خط (المويز). أُعطي له الأمر بذلك. وهكذا عدنا كما كنا يوم أمس. لكننا ضحينا بالقوة والوقت. وفقدنا روندشدت". وأضاف يقول: "إن صحة براوختش تدعو الى القلق نتيجة الإنفعالات المستمرة المتأتية من شدة التوجس". وفي العاشر من تشرين الثاني سجّل هالدر بأن قائد الجيش العام أُصيب بنوبة قلبية حادة. [عن المتن. أنظر إستجواب روندشدت ١٩٤٥. إقتباس شولمان، المرجع السالف، الص ٦٨-٦٩].

١٥- "گودريان" المرجع السالف الص ١٨٩- ١٩٠.

الخشن يعترف أنه قرر زيارة قائد مجموعة جيوش الوسط (بوك) ليرجو منه في هذا اليوم بالذات أن يغير الأوامر التي تلقاها منه لأنه لايجد مجالاً لتطبيقها". وكان في غاية الكآبة والتطير. وكتب في اليوم نفسه: "البرد القارس. والحاجة الى الملجأ. ونقص الثياب. والخسائر الجسيمة في الرجال

والمعدات. وسوء الحالة في إحتياطي البترول، مما يجعل مهمة القائد صعبة وواجباته تدعو الى الرثاء. وكلما إمتد بها الزمن سحقتني مسؤولتيها الضخمة. تلك المسؤولية التي يتحتم على النهوض بها[١٦]."

وإنتقل گودريان الى الناحية الأخرى فإستطرد: "لا يستطيع أن يحكم حكماً صائباً على الحوادث التي تتعاقب الآن. إلاّ من رأى الأراضي المترامية بلا نهاية يغطيها ثلج الشتاء وإطلع على ما نشعر به من بؤسٍ وشعر بالريح المنجمدة التي تقصف في هذه الفلوات الثلجية فتدفن تحت ثلجها كل ما تجده في سبيلها. وللسائر ساعة بعد ساعة في تلك الأرض الحرام ليعثر بعد لأي على ملجأ حقيرٍ خفيفٍ جداً بين رجالٍ نصف جائعين نصف كاسين، ثم يقارن كل هذا بالجنود القادمين تواً من سيبيريا بغذائهم الجيد وثيابهم السميكة وأسلحتهم الكاملة وتدريبهم الخاص لقتال الشتاء[١٧]."

تلك الأحداث من الممكن الآن روايتها بإختصار. لكن ليس قبل أن نقوم بإيضاح نقطة واحدة: مع تسليمنا بقسوة الشتاء الروسي وعلمنا أن الجندي الروسي أكثر تحملاً له من الألمان، فإن العامل الأساسي كان شدة مراس الجيش الأحمر والعنف الذي يبديه في القتال وإرادته التي لاتعرف للإستسلام معنى. ولم يكن الجو والبرد السبب الرئيس. ومما يدل على هذا يوميات هالدر وتقارير قادة الميدان التي كانت تعرب دائماً وبدون إنقطاع عن أعظم الدهشة لإتساع نطاق الهجمات الروسية والهجمات المضادة ولمبلغ شدتها وعنفها. في حين تفصح عن أسى وقنوطٍ لإندحارات الألمان وجسامة خسائرهم. ولم يدر الجنرالات النازيون مالذي يجعل الروس يصمدون لا كالفرنسيين وغيرهم من الشعوب الأخرى. وربما وجدهم الألمان أكثر إستعداداً للإنهيار بسبب نظام الحكم الصارم في بلادهم وللآثار القاتلة التي خلفتها الضربات الألمانية فيهم.

"[كتب بلومنتريت مشدوها] بدهشة وخيبةٍ، إكتشفنا في أواخر تشرين الأول وأوائل تشرين الثاني أن الروس المندحرين يبدون وكأنهم لايدرون ماحل بهم. ولايدركون انهم كقوة عسكرية منظمة لم يعد لهم وجود".

ويتحدث (گودريان) عن لقاء جرى بينه وبين جنرال قيصري متقاعد في (أوريل) على طريق موسكو. "[قال هذا المتقاعد] لو انكم جئتم قبل عشرين سنة لإستقبلناكم بذراعين مفتوحتين. أما الآن فقد فات الوقت. وبدأنا الآن نقف على أقدامنا: وها أنتم جئتم الآن تريدون أن تعودوا بنا الى الوراء

١٦- المرجع نفسه ص١٩٢.
١٧- المرجع السالف ص١٩٤.

عشرين سنة وتلجئونا الى أن نبدأ من جديد؟ كلنا الآن متحدون في سبيل روسيا وفي سبيل هذه القضية(١٨).

مع هذا خيّل لهتلر ومعظم جنرالاته أن موسكو مضمونة حين شارف تشرين الثاني على نهايته. وهم وسط تباشير زوابع ثلجية وفي درجة تحت الصفر مستمرة الإنخفاض. فمن الشمال والجنوب والغرب بلغت الجيوش الألمانية نقاطاً لاتبعد أكثر من عشرين حتى ثلاثين ميلاً عن بغيتها. ولم تكن تبدو هذه المرحلة النهائية شيئاً مذكوراً في عين هتلر وهو ينظر اليها على الخريطة في مقره البعيد جداً في بروسيا الشرقية. لقد تقدمت جيوشه خمسمائة ميل، ولم يعد أمامها غير عشرين أو ثلاثين. وفي أواسط تشرين الثاني إنثنى الى يودل ليقول له: "إن هي إلاّ رفعة واحدة، وبعدها الإنتصار المؤثل" ووصف الفيلدمارشال (ڤون بوك) قائد مجموعة جيوش الوسط في الاندفاع الأخير نحو موسكو معركته هذه لهالدر تلفونياً. وقارن الموقف بمعركة (المارن) "حيث زجت القيادة بآخر فوج من إحتياطها لتقرير مصيرها". وأخبر رئيس هيئة الأركان أن "الاهداف كلها ستنجز" رغم إشتداد مقاومة العدو. وبالفعل، ماجاء آخر أيام تشرين الثاني حتى زج (بوك) بآخر فوج في حوزته لقد حدد الثاني من كانون الأول ١٩٤١ موعداً للهجوم العام النهائي على قلب الإتحاد السوڤيتي.

وتعثر الهجوم أمام مقاومة فولاذية لاتُقتحم: فهاهنا جمع للمعركة أعظم تشكيلة للدبابات شاهدتها جبهة واحدة: جيش الدبابات الرابع بقيادة (هوپنر) وجيش الدبابات الثالث بقيادة الجنرال (هرمان هوث) الى الشمال من موسكو يزحفان جنوباً ثم جيش (گودريان) المدرع الثاني الى جنوب العاصمة يندفع شمالاً من (تولاTula). والجيش الرابع العظيم بقيادة (كلوگه) في الوسط يشق طريقه مقاتلاً نحو الشرق مخترقاً الغابات التي تحيط بالعاصمة - وعلى جحافله الجرارة عقدت آمال هتلر العظيمة.

في الثاني من كانون الأول وصل فوج طليعة من فرقة مشاة المائة والثامنة والخمسين حتى (خيمكي Khimki) وهي من ضواحي موسكو واكتحلت عيونه برؤية قباب الكرملين، إلاّ انه طورد وأخرج بهجوم قامت به بضع دبابات وقوة غير نظامية حُشدت على وجه السرعة من عمال مصانع المدينة. وكانت تلك أقرب نقطة بلغها الألمان في زحفهم على موسكو. وكانت أيضاً أول وآخر نظرة لهم الى الكرملين.

في مساء يوم (١) كانون الأول، كان (بوك) الذي شكا من مغص معوي شديد قد إتصل تلفونيا بهالدر ليقول له أنه ما عاد قادراً على (العمل) بجنوده الذين حل بهم الضعف. فحاول رئيس هيئة الأركان أن يشد من عزماته، وقال له "على المرء أن يحاول قهر العدو بآخر إستجماع للقوة. فإن تعذر عليه ذلك فعلينا أن نتخذ مقررات جديدة". وفي اليوم التالي: خط (هالدر) في يوميته "مقاومة العدو بلغت ذروتها". وفي ٣ كانون الأول إتصل (بوك) به ثانيةً فنقل مجمل المكالمة التلفونية في يومياته: "نفائض الجيش الرابع انسحبت مرة ثانيةً لأن الاجنحة لاتستطيع التقدم... يجب مواجهة

١٨- المرجع نفسه ص ١٩١.

الموقف عندما تصل طاقة جنودنا نهايتها القصوى".

ولما ذكر بوك لأول مرة الإنتقال الى حالة الدفاع ذكّره هالدر بالقول العسكري المأثور "خير الدفاع هو مواصلة الهجوم".

انه لأسهل قولاً من التطبيق عملاً إزاء وضع الروس الحربي وحالة الجو. ففي الرابع من كانون الأول أبلغ گودريان الذي صد جيشه المدرع الثاني في محاولة الإستيلاء على موسكو من ناحية الجنوب- بأن الترمومتر سجل (٣١) درجة تحت صفر. وفي اليوم الذي تلاه انخفض خمس درجات أخرى. وذكر أن دباباته كادت "تصبح عاطلة عن الحركة". وانه مهدد من جناحيه ومؤخرته شمال (تولا). وكان الخامس من كانون الأول يوماً عصيباً. فقد اوقف زحف الألمان في كل مكانٍ على إمتداد جبهة نصف دائرية طوالها (٢٠٠) ميلٍ. وفي مساء اليوم نفسه أبلغ (گودريان) (بوك) بأنه لن يكون قادراً على الصمود. وان التقهقر الى الخلف لا محيص عنه. وراح (گودريان) يخابر (بوك) قائلاً "إن قواه بذلت آخر ما في طوقها" وتحدث براوختش الى رئيس هيئة الأركان يائساً عن عزمه على الإستعفاء من منصب القائد العام. وكان يوماً أسود مدلهماً للجنرالات الألمان.

"[كتب گودريان بعدئذ] لأول مرة اجدني مضطراً الى إتخاذ قرار من هذا النوع، وليس اسوٴ منه... لقد أحبط هجومنا على موسكو وراحت هباءً كل التضحيات التي تحملتها قواتنا الباسلة كلها... اصبنا بهزيمة نكراء."(١٩)

وفي مقر قيادة (كلوگه) قائد الجيش الرابع أدرك رئيس أركانه (بلومنتريت) أن نقطة التحول آتية لاريب فيها، وقد إستذكرها بعد سنين وكتب عنها: "إن آمالنا في توجيه الضربة الماحقة الى روسيا في معارك ١٩٤١ ضاعت منا في آخر لحظةٍ".

وفي اليوم السادس من كانون الأول ضرب الجنرال (جيورجي ژوكوف Georgi Zhukov) ضربته. وكان قد إستخلف المارشال تيموشنكو قائداً للجبهة الوسطى قبل ستة أسابيع. فعلى إمتداد الجبهة ذات المائتي ميل أمام موسكو اطلق سبعة جيوشٍ وفيلقي خيالة (يبلغ مجموعها مائة فرقةٍ) مؤلفة من جنودٍ إما سابقين أبلوا في المعارك، وأما جدد مدربين على القتال في البرد القارس والثلج الكثيف ومزودين بما يقيهم غائلته. وجه هذا الجنرال الذي لم تستطِر له شهرة قبل ذلك اليوم ضربةً بقوىً جبارة من المشاة والمدفعية والدبابات والخيالة والطائرات لايعرف عنها هتلر شيئاً، فوقعت بصورة مباغتةٍ قاصمةٍ لم يستفق الجيش الألماني ورايخه الثالث من تأثيرها قط. وفي الأسابيع القلائل من بقية كانون الأول، وسائر كانون الثاني القاسية المرة بدا وكأن الجيوش الألمانية المقهورة المرتدة بجبهاتها المعرضة لعمليات إختراق روسية دائمة، تريد أن تتفرق أشتاتاً وتتبعثر بدداً وتهلك في الثلج الروسي كما حل من قبل بجيش نابوليون العظيم منذ ١٣٠ سنة. وكان ذلك حال الجيش الألماني في الأشهر التي تلت الإنسحاب بل وفي مرحلة قريبة جداً من التمزق. ولعل إرادة هتلر الحديدية وعزمه، وبالتاكيد شدة

١٩- المرجع السالف ص ١٩٩.

إحتمال الجندي الألماني هما اللذان انقذا جيوش الرايخ الثالث من كارثة تامة.

على أن الخيبة كانت عظيمة. الظاهرانه لم يتم تدمير الجيوش الحمراء كما كان يأمل وإنما عطلها. ولم يستول على موسكو أو لييننگراد او ستالينگراد أو مناطق بترول القفقاس. وبقيت الخطوط البحرية بين بريطانيا وأمريكا شمالاً وجنوباً مفتوحة للمرة الأولى بعد أكثر من سنتين من الإنتصارات العسكرية المتواصلة شرعت جيوش هتلر تعود القهقري أمام قوات متفوقة عليها.



المارشال ژوكوف

لم يكن هذا كل شيء. فالفشل أنكى بحد ذاته. وقد دركه هالدر "فيما بعد الأقل" وكتب يقول "قُضي على خرافة الجيش الألماني الذي لايقهر". أجل سيحقق الألمان إنتصارات أخرى في روسيا عند قدوم صيف جديد، لكنهم لن ينفخوا حياة جديدة في الخرافة الميتة. إذن فالسادس من كانون الأول ١٩٤١ هو نقطة تحول أخرى في تاريخ الرايخ الثالث القصير الأمد وواحد من الأيام الفاصلة. فقد بلغت قوة هتلر ذروتها وهي الآن تشرع بالإنحدار من هذا الحالق. وصارت تتعاورها الضربات المعاكسة المتعاظمة من الشعوب التي شن عليها حروبه العدوانية.

وأصيبت القيادة العليا الألمانية برجةٍ هائلة تناولت أيضاً قادة الميدان. ففيما كانت الجيوش تتقهقر وتجر أذيال الهزيمة فوق الطرق الجليدية والحقول المغطاة بالثلوج أمام الهجمات السوڤييتية المضادة، راحت رؤوس الجنرالات الألمان تطيح تباعاً. فأُعفي (روندشدت) من قيادة مجموعة جيوش الجنوب. كما رأينا لإضطراره الى الإنسحاب من (روستوف). وزادت آلام معدة الفيلدمارشال (ڤون بوك) سوءاً بتوالي الإندحارات في كانون الثاني، فأُعفي في الخامس عشر منه وإستخلف بالفيلدمارشال (ڤون كلوگه)، الذي دُحر جيشه الرابع الممزق دحرةً نهائية في مشارف موسكو. وشملت الغربلة الجنرال المقدام (گودريان) مبدع فن الحرب المدرعة المركزة ومحدث الثورة العظمى في فن خطة المعركة الحديثة. عزل صبيحة عيد الميلاد، لأنه أصدر أمراً بالإنسحاب دون موافقة المافوق. وللأسباب نفسها عُزل فجأةً الجنرال (هويپنر) قائد الدبابات الذي يقل عن سابقة مضاءً وعزماً، وكانت جحافل جيشه الرابع المدرع قد وصلت على قيد النظر من موسكو شمالاً ثم دُفع الى الخلف. جرّده هتلر من رتبته واوسمته ومنعه

من ارتداء بزته العسكرية نهائياً. أما الجنرال (هانس كونت فون شپونيك Hans Count Von Sponeek) الذي مُنح وسام (صليب ريتر Ritterkreurz) لقيادته عملية إنزال جنود الجو في لاهاي قبل سنة. فقد أُنزلت به عقوبة قاسية لأنه سحب فرقة واحدةً من فيلقه في القرم في ٢٩ كانون الأول. بعد أن نزلت وحدات روسية في مؤخرته من جهة البحر. ولم يكتف بتجريده من رتبته فوراً وانما أعتقل وحوكم امام مجلس عسكري. فحكم عليه بالموت بالحاحٍ من هتلر[٢٠].

حتى كايتل المطيع الإمّعة، فقد كان لديه متاعبه مع القائد الأعلى. لم يخل من شعورٍ كاف لرؤية الإنسحاب العام من جبهة موسكو تفادياً للكارثة في أيام كانون الأول الأولى. ولما استجمع ما يكفي من الشجاعة ليصارح هتلر بذلك، التفت نحوه واطلق عليه لسانه ببذيء الكلام والحوشي من الألفاظ ونعته "بالغبي المأفون". بعد هذا بقليل عثر يودل على رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة البائس جالساً الى مكتبه يكتب إستقالته وقد وضع مسدسه الى جانب يده. فسارع يودل بهدؤ وابعد السلاح عنه واقنع كايتل (والظاهر انه لم يبذل في هذا جهداً كبيراً) بأن يبقى ويستمر في ابتلاع إهانات الزعيم. وهذا ما فعله كايتل بصبر يبعث على العجب حتى النهاية[٢١].

إن الجهد المبذول في قيادة جيش لايمكن أن يربح الحروب على الدوام وبإمرة قائد أعلى يصر دائماً على ان يكون النصر حليفه جدد نوبات القلب التي يشكو منها الفيلدمارشال فون براوختش. وصادف أن صح عزمه على ترك منصب القيادة العامة في الوقت الذي بدأت هجمات (ژوكوف) المضادة تترى. عاد الى المقر العام من رحلته التفقدية الى الجبهة التي إنكمشت. ووجده (هالدر) في ١٥ كانون الأول "في حالة نفسية كئيبة للغاية"، وكتب في مذكراته "براوختش لايجد مخرجاً لإنقاذ الجيش من وضعه اليائس"، بلغت روح قائد الجيش العام التراقي ونفد صبره. وكان في ٧ كانون الأول قد طلب من هتلر إعفاءه ثم جدد الطلب في ١٧ كانون الأول فأجيب الى ذلك رسمياً بعد يومين. إن حقيقة رأي هتلر في هذا الرجل الذي عيّنه هو نفسه قائداً عاماً للجيش، تتضح مما قاله عنه لگوبلز بعد ثلاثة أشهر: "[كتب گوبلز في يومياته بتأريخ ٢٠ آذار ٩٤٢] تحدث عنه الزعيم (يقصد براوختش) بإزدراء فحسب ... متعجرف... جبان ... تافه[٢٢]." وقال عنه لأعوانه "ليس جندياً بل هو رجل من قش، ... لوبقي براوختش في منصبه أسابيع قلائل أخرى لآلت الأمور الى داهيةٍ[٢٣]."

وانتشرت تساؤلات في اواسط الجيش عمن سيخلف براوختش، لكن التخمينات كلها كانت أبعد بكثير عن تخمينات من سيخلف هندنبرگ قبل سنين عديدة. وفي ١٩ كانون الأول إستدعى هتلر رئيس هيئة الأركان هالدر. وأبلغه بأنه سيتقلد شخصياً منصب قائد الجيش العام وصارحه بأنه سيدير

٢٠- لم يقتل حتى مؤامرة تموز ١٩٤٤ ضد هتلر. حيث كان مساهماً بها بشكل ما.
٢١- گويرلتز: تاريخ هيئة أركان الحرب الألمانية ص ٤٠٣.
٢٢- يوميات گوبلز الص ١٣٥- ١٣٦.
٢٣- احاديث هتلر السرية ص ١٥٣.

شؤون الجيش بنفسه من الآن فصاعداً كما يدير كل شيء في ألمانيا تقريباً.

وقال أيضاً: "هذا الأمر الصغير، قيادة العمليات العسكرية يمكن أن يقوم به أي شخص. إن مهمة قائد الجيش العام هي تدريب الجيش على الأسس القومية الإشتراكية، وانا لا اعرف جنرالاً أن يقوم بهذا كما أريده، ولذلك قررت تولي قيادة الجيش انا نفسي[٢٤].

بهذا تم نصر هتلر على هيئة ضباط الجيش البروسية واصبح متشرد ڤيينا ونائب العريف السابق، رئيساً للدولة ووزيراً للحرب وقائداً اعلى للقوات المسلحة وقائداً عاماً للجيش. وشكا (هالدر) من هذا في يومياته اذ قال "أصبح الجنرالات فهم لا أكثر من سعاة بريد ينقلون أوامر هتلر المرسومة على مفاهيم هتلر بإستراتيجيته". الفذة" وبالفعل سرعان ماجعل الدكتاتور المجنون من نفسه شيئاً أعظم من ذلك، وتقلد سلطاناً لم يتقلده أيّ بشر من قبله إمبراطوراً ام ملكاً أم رئيس جمهورية في كل مراحل تاريخ الرايخ الألماني الثلاث. ففي ٢٦ نيسان ١٩٤٢ حمل مجلس رايخشتاغه المطيع على سَن قانون يمنحه سلطاناً مطلقاً في الحياة والموت على كل ألماني. وعطّل كل القوانين التي تتعارض مع القانون الجديد.

يجب أن تقرأ كلمات هذا القانون بنصها ليوقن السامع بأنها حقيقة ينبغي الإيمان بها.

"... في الحرب الحاضرة حيث فُرض على الشعب الألماني النضال في سبيل البقاء او الفناء، من الضروري ان يضع الزعيم في يده كل الحقوق ويعرّفها في سبيل التوطئة للنصر ولتحقيقه. لذلك وبدون ان تربطه اية قيود شرعية مسنونة، وبمقتضى صلاحياته كزعيم للأمة والقائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس للحكومة وكرئيس للمجلس التنفيذ الأعلى وكقاضٍ أعلى وزعيم للحزب، يجب أن يكون في وضع القادر عند الضرورة الملجئة أن يرغم ويجبر بكل ما في حوزته من وسائل كل ألماني عندما تدعو الحاجة إلى اداء ما يكلف به من واجبات أكان جندياً بسيطاً أو ضابطاً رفيعاً أو وضيعاً. موظفاً أو قاضياً. عضوا في الحزب بسيطاً أو قائداً عاملاً أو رب عمل وفي حالة التنكر لهذه الواجبات أو خرقها يكون للزعيم الحق بعد تحقيق وجداني. وخلافاً لما يطلق عليه الحقوق المكتسبة العامة أن يفرض عليه العقوبة التي يستحقها أو يزيح المقصر عن منصبه أو يجرده من رتبته، أو يطوح به عن مركزه. دون اللجوء الى التدابير والإجراءات المألوفة[٢٥]."

حقاً لقد أصبح هتلر قانون ألمانيا لا زعيمها فحسب، وهذا مالم يحدث مثله حتى في القرون الوسطى. أو قبلها في عصور المجتمعات القبلية البربرية. لم يحدث أن إدعى ألماني لنفسه بكل هذا السلطان المطلق إسمياً وشرعياً وفعلياً.

خلافاً لهذه السلطات الأضافية كان هتلر سيد الجيش الأوحد الذي تسلم الآن قيادته مباشرةً. لقد

٢٤- هالدر: هتلر سيد الحرب ص ٤٥.

٢٥- "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج ٤ ص ٦٠٠ [وثائق نورمبرگز١٩٦١ PS]

أصابه ذلك الشتاء القاسي الفظيع برجة عنيفة إلاّ أنّه أوقف تراجع جيوشه المدحورة فأنقذها من مصير جيش نابليون على إمتداد الطرق المنجمدة التي تغطي الجيوش أديمها وأسند إرتدادها عن موسكو بمنعه أيّ انسحابٍ آخر منعاً باتاً. ولقد ناقش الجنرالات الألمان طويلاً حسنات هذه الوقفة العنيدة. وتساءلوا أهي التي أنقذت العسكر من الفناء التام أم زادت في جسامة الخسائر التي لم يكن منها بد؟ وزعم معظم القادة أنهم لو أعطوا حرية سحب قواتهم في الوقت المناسب وعندما تحرج الموقف لكان في مقدورهم إنقاذ اعدادٍ كبيرة من الرجال وكميات أكبر من المعدات. ولأصبحوا في حالة أفضل لإعادة تنظيم الصفوف ولم الشتيت بل حتى القيام بهجمات مضادة بينما آل الأمر أن صارت فرق كاملة تُهزم وتُطوق ثم تُمزق تمزيقاً، في حين أن الانسحاب في الوقت المناسب كان يكفل إنقاذها.

مع هذا أقر بعض الجنرالات بعد ترددٍ ان ارادة هتلر الحديدية العاتية بإصراره على ثبات الجيوش في مواقعها والقتال حتى الموت إنما كان أعظم مأثرة حربية له. ولعلها هي التي أنقذت جيوشه من التمزق والفناء في الثلج. وخير من يجمل هذا الرأي هو الجنرال (بلومنتريت): "إن قرار هتلر الجازم بوجوب

ثبات القطعات العسكرية في مواضعها والصمود مهما كلف الأمر كان قراراً صحيحاً بصرف النظر من كل موقفٍ على حدةٍ وحتى في أقسى الظروف وأقربها الى الإستحالة. لقد أدرك هتلر بغريزته أن أيّ تقهقر فوق الثلوج والجليد سيسفر بعد أيام معدودات عن إنهيار عام في الجبهة. وإن حصل ذلك فسيلقى الفيرماخت مصير الجيش الأعظم Grand Arme*... إن الانسحاب عند إنسداد الطرق والمعابر بالثلوج لايتم إلاّ على الأراضي المنبسطة. فبعد مرور ليال قلائل على هذه الحالة تخور قوى الجنود ويصابون بالأعياء التام ولايرون أنفسهم إلاّ وقد ألقوا بأنفسهم حيث ما كانوا فوق الجليد والثلج ليموتوا. ولم تكن لدينا مواقع معدة في المؤخرة يمكن الإنسحاب إليها او الإجتماع بها. كذلك لم يكن لدينا خطوط دفاعية بأي شكل من الأشكال يمكن الصمود فيها[٢٦]."

ووافقه على رأيه هذا، الجنرال (فون تبلسكيرخ Teppelskirch) وهو أحد قادة الفيالق: "انها مأثرة هتلر العظيمة الوحيدة، في تلك اللحظات العصبية إستذكر الجنود ما جرى لانسحاب ناپوليون من موسكو وصاروا يعيشون في ظلال تلك الذكريات السوداء. إن هم بدأوا انسحاباً مرة واحدة فقط فسينتهي انسحابهم فوراً بهزيمة نكراء وإندحار شنيع[٢٧]."

كان الفزع في الجيش الألماني لايقتصر على من هو في الجبهة. بل نفذ بعيداً جداً الى المؤخرة وشاع حتى في المقر العام للقيادة العليا. ودوّن هالدر ما أكّده في يومياته. وبدأ فإفتتح مدونة عيدالميلاد بعبارة "يوم عصيب جداً!"

* - كان الإسم يطلق على جيوش ناپوليون.
٢٦- مقالة بلومنتريت: المرجع نفسه الص٧٨ - ٧٩.
٢٧- ليدل هارت: الجنرالات الألمان يتكلمون ص ١٥٨.

وظل أياماً كثيرة من هذه السنة يفتتح بها يومياته حرفياً كلما وصف خرقاً روسياً جديداً للجبهة أو مواقف مختلف الجيوش :

(٢٩ كانون الأول: يوم عصيب آخر!... حديث تلفوني درامي بين الزعيم وبين (كلوگه). الزعيم يرفض السماح بتراجع آخر لمسيرة الجيش الرابع. ازمة سيئة جداً في الجيش التاسع، ويظهر أن القادة فقدوا صوابهم. ظهراً: مكالمة تلفونية عصبية من (كلوگه) الجيش التاسع يريد الإنسحاب الى ماوراء (رچيف Rzhev).

٢ كانون الثاني ١٩٤٢: يوم قتال عنيف جداً! ازمة خطيرة عند الجيش الرابع والتاسع ... الروس يخرقون الجبهة شمال مالوياروسلاڤتس Maloyaroslovets. تمزق الجبهة وفتح ثغرة واسعة فيها. يصعب الآن جداً أن يفكر المرء كيف يمكن إعادة رص الجبهة ورأب صدعها... هذا الموقف سيحمل (كلوگه) على طلب الإنسحاب من الجبهة المثغورة. جدال عاصف جداً مع الزعيم الذي بقي رغم ذلك مصراً على موقفه. الجبهة ستبقى حيث هي مهما ترتب على ذلك.

٣ كانون الثاني: الموقف ازداد خطورة نتيجة لاختراق الجبهة. مابين مدينتي مالويار وسلافتس وبوروڤسك Borovsk (بوك) و(كوبلر Kuebler[٢٨]) في اشد حالة من الإنفعال وهما يطلبان أمراً بالانسحاب من الجبهة الشمالية التي اخذت تتصدع.

مشهد درامي آخر مع (الزعيم) الذي يشك في شجاعة الجنرالات في إتخاذ قرارات عسيرة. الا ان الجنود لايستطيعون الثبات في مواضعهم عندما تهبط درجة الحرارة الى ٢٠ تحت الصفر.

أوامر الزعيم: هو الذي يأمر ويقرر شخصياً في ضرورة كل إنسحاب..

لم يعد الزعيم هو الذي يأمر ويقرر، بل الجيش الأحمر الذي أصبح الآن يملي إرادته في هذه الأمور.. في إمكان هتلر إرغام القوات الألمانية على الوقوف والصمود والموت، الا أنه لايستطيع بعد الآن إيقاف زحف السوڤييت مثلما لم يستطع الملك كانيوت Canute* أن يحول دون تقدم مد البحر.. في لحظة من الرعب إقترح بعض ضباط القيادة العليا إحتمال تحسن الموقف بإستخدام الغاز السام. وكتب هالدر في يومية ٧ كانون الثاني. "(العقيد Ochsnes أوخسنز) يحاول إقناعي بشن حرب الغاز السام ضد الروس". ربما كان البرد الشديد يحول دون هذه الحرب ولايجعلها ممكنة وعلى كل حال لم يؤخذ بهذا الإقتراح وأهمل.

وكتب هالدر في يومية ٨ كانون الثاني: "يوم عصيب جداً! إن خرق الجبهة في (سوخينيشي

٢٨- حلّ الجنرال (كوبلر) محل (كلوگه) في ٢٦ كانون الأول بمنصب قيادة الجيش الرابع، عندما تولى الأخير قيادة مجموعة جيوش الوسط. ومع كونه عسكرياً صلباً فإنه لم يستطع تحمل الضغط أكثر من ثلاثة أسابيع. وتخلى عن منصبه للجنرال هاينرتيشي Heinrici.

* - كانيوت ملك إنگلترا والدانمرك والنرويج (٩٩٥-١٠٣٥) ومحاولة إيقافه مد البحر هي حديث خرافة.

Sukhinichi)، كان أكثر من طاقة (كلوگه). [الموضع جنوب غربي موسكو]. وهو لهذا يصر على سحب جبهة الجيش الرابع الى الخلف."

وظل الفيلدمارشال ملازماً جهاز التلفون طوال اليوم يصر على (هتلر) و(هالدر) بوجوب الإنسحاب. أخيراً وافق (الزعيم) متردداً في مساء اليوم نفسه وسمح (لكلوگه) بالتراجع "خطوة خطوة" ليحمي خطوط مواصلاته".

وهكذا صارت الجيوش الألمانية تُدفع الى الخلف خطوةً خطوة، وأحيانا كانت تتقهقر بأسرع من هذا في ذلك الشتاء الزمهرير القاسي. وبعد ان كانت تمني النفس بالإحتفال بعيد الميلاد في مدينة موسكو أُرغمت على التراجع بسبب حركات التطويق الروسية وإختراق الجبهات المتتالية. وفي نهاية شباط وجدت نفسها بعيدة عن العاصمة بمسافة تتراوح بين ٧٥ و٢٠٠ ميل. وفي نهاية شهر الإنجماد شرع (هالدر) يدوّن في يومياته الثمن الذي إقتضته المغامرة الروسية الفاشلة من الرجال: فذكر أن مجموع الخسائر الكلي حتى٢٨ شباط بلغ (١٠٠٥٦٣٦) رجلاً أو ٣١٪ من مجموع القوات المسلحة العام. منها (٢٠٢٢٥١) قتيلاً و(٧٢٥٦٤٢) جريحاً و(٤٦٥١١) مفقوداً. (الخسائر بسبب ضربة الصقيع١١٢٦٢٧) ولايدخل في هذا الخسائر التي لحقت بالقوات المجرية والرومانية والإيطالية في روسيا.

وبحلول ذوبان الربيع خيم هدؤ تام على تلك الجبهة الطويلة، وشرع هتلر وهالدر يرسمان الخطط لإرسال قوات جديدة ومزيد من الدبابات والمدافع لإستئناف الهجوم – في جزء من الجبهة على الأقل. اذ لم يعد لديهما من القوة ما يكفل القيام بهجوم على طول خط المعارك المترامي. لأن حصيلة الشتاء المرعب– وأهم من ذلك هجمات (ژوكوف) المضادة قضت على هذا الأمل..

نحن نعرف الآن ان هتلر توصل قبل منتصف تشرين الثاني ١٩٤١ الى إدراك عدم جدوى المغامرة بفتح روسيا لا في ستة أسابيع بل الى الأبد. ونوّه الجنرال هالدر بهذا بمحاضرة طويلة ألقاها على جمع من ضباط القيادة العليا بتاريخ ١٩ تشرين الثاني جيوشه كانت على قيد أميال قليلة من موسكو ورغم إستمرارها في شق طريقها العسير لإحتلالها، فإنه فقد الأمل في توجيه الضربة القاضية للروس تلك السنة وانصرف إهتمامه الى السنة القادمة. وهذا هالدر يسجل أقواله: "الأهداف للسنة القادمة أولاً القفقاس. الواجب حدود روسيا الجنوبية. الزمن: من آذار الى نيسان. في الشمال (بعد إنتهاء حرب هذه السنة) ڤولوگدا Vologda وگوركي Gorki[٢٩]– لكن ليس إلاّ في نهاية أيار. أهداف أخرى للسنة التالية. يجب أن تظل قيد الدرس. وهي تعتمد على كفاءة خطوطنا الحديد. مسألة بناء جدار شرقي تبقى كذلك قيد الدرس."

ليس من حاجة تدعو الى بناء جدار شرقي إن كان القضاء على الإتحاد السوڤيتي أمراً مفروغاً منه.

٢٩– تقع (فولوگدا) على مسافة (٣٠٠) ميل من موسكو وتسيطر على سكة حديد آرخانجل من الشمال الشرقي. وتقع على مسافة ٣٠٠ ميل شرق العاصمة.

لاشك وأن هالدر كـان يغـازل هذه الفكرة وهو يصـغي الى القـائد الأعلى مسـترسـلاً في محاضـرته. "[وختم أقـواله معلقـاً على آراء هتلر] على العمـوم الإنطباع المتخلف هو أن هتلر أدرك الآن بألاّ طاقة لأحدٍ من الطرفين بتحطيم الآخر، وإن هذا سيؤدي الى مفاوضات سلم".

لاشك وان هذا كان يقظة قـاسية للفاتح النازي الذي أذاع من برلين قبل ستة أسابيع تصـريحاً "ليس فيه أي تحفظ": "اقول ان الروس قد هوت عليهم الضربة القاضية فسقطوا ولن تقوم لهم قائمة بعد."

لكن خططه فشلت وأحـلامه تبـددت، ثم أدركهـا القضـاء المبرم في ٦ كانون الأول عندمـا بدأت جيوشه تتلقى الضـربات الموجعة وتنسحب من ضواحي موسكو. في اليوم التالي لهذا التحول. (الأحد الموافق٧ كانون الأول ١٩٤١) وقع حادث في الجانب الثاني من الكرة الأرضية، نجم عنه تحـول الحرب الأوروپيـة، التي أثارها هتلر بغـاية من السـهولة - الى حرب عـالمية، فدقت المسـمـار الأخيـر في نعش الرايخ الثالث.

قـامت قـاذفـات القنابل اليـابانيـة بقـصف پيـرل هاربر Pearl Harbor بصـورة مبـاغـتـة. وفي اليـوم التـالي[٣٠] لها اسرع هتلر عـائداً بالقطار الى برلين من مقره (وجار الذئب). وكـان قد قطع لليـابان عهداً سرياً جازماً وها أن الوقت قد حان إما للبرّ به أو للنكوص عنه.

٣٠- إن تنقلات هتلر مثبتة في روزنامة مواعيده اليومية وهي من بين الوثائق المستولى عليها.

الفصل الثامن

دور الولايات المتحدة

– ١ –

أعطى أدولف هتلر وعده الطائش لليابان أثناء سلسلة من المحادثات في برلين جرت مع (يوسوكي ماتسووكا Yosuke Matsuoka) وزير الخارجية الياباني الموالي للمحور في ربيع ١٩٤١ قبيل الهجوم الألماني على روسيا. إن المحاضر الألمانية للإجتماعات المستولى عليها تساعدنا على تتبع تطورات واحد من سوء تقديرات هتلر الكبرى. هذه المحاضر وغيرها من الوثائق النازية لتلكم الفترة تظهر مدى جهل هتلر العظيم، ومدى خواء عقل گورنگ وغباوة ريبنتروب في إدراك إمكانات قوى الولايات المتحدة العسكرية – وهو خطأ ارتكبته ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وكان المسؤول عنه ڤلهلم الثاني وهندنبرگ ولودندورف.

كان ثم تناقض أساسي من البداية في سياسة هتلر تجاه أمريكا. فمع شدة إستخفافه بقوتها العسكرية، جاهد خلال أول عامين من الحرب لإبقائها خارج منطقة الصراع. وقد رأينا أنّ الواجب – الرئيسي للسفارة الألمانية في واشنطن التي قطعت فيه شوطاً بعيداً وتعدت منه الحدود كان يتضمن رشوة أعضاء الكونگرس ومحاولة منح المؤلفين والكتّاب هبات مالية. ثُم عن طريق إمداد "لجنة أمريكا الأولى" بالإعانات والمنح. لدعم أنصار العزلة الأمريكان، ليُحال دون انضمام أمريكا الى أعداء ألمانيا في الحرب.

وكان هتلر يفهم جيداً أن أمريكا مادامت بقيادة الرئيس روزفلت، ستقف في طريق خططه الجامحة الرامية الى فتح المعمورة وتقسيم هذا الكوكب بين الدول الثلاث المتحالفة. فهم هتلر لهذه الحقيقة أوضحها مختلف الأحاديث الخاصة التي كانت تتدفق من فمه. وكان يرى (كما قال) أن الجمهورية الأمريكية ستكون الأخيرة في قائمة تصفية الحساب وسيعاملها (بشدة). لكنْ بلاد واحدة كل مرة. ذلكم هو السر في نجاح ستراتيجيته حتى الآن. وسيحين دور أمريكا حتماً، لكنه لن يكون إلاّ بعد القضاء على بريطانيا والإتحاد السوڤيتي وعندئذ سيكيل ضربةً للأمريكان المستجدين المتطاولين بمساعدة اليابان وإيطاليا. وسيستسلمون بسرعةٍ لقوى دول المحور لكونهم منعزلين وحيدين. وكانت اليابان مفتاح مجهودات هتلر لإبقاء أمريكا خارج نطاق الحرب حتى تصبح ألمانيا قادرة على التفرغ لها. وقد ألح ريبنتروب لموسوليني في ١١ آذار ١٩٤٠ بأن اليابان تملك الموازنة المكافئة للولايات

المتحدة، الأمر الذي سيحول دون تدخل أمريكا في أوروپا ضد هتلر كما فعلت في الحرب العالمية الأولى[١].

وشدّد هتلر وريبنتروب في مداولات أيام الحرب - النكير على اليابانيين لإجتناب إستفزاز الولايات المتحدة أو إرغامها على ترك مبدأ حيادها. وفي مبدأ ١٩٤١ وجدناهما متلهفين جداً لجرّ اليابان الى الحرب لا مع أمريكا ولا مع روسيا (وكانا سيهاجمانها بعد فترة قصيرة)، بل مع بريطانيا التي أبت الخضوع حتى عندما ظهرت عليها بوادر الهزيمة. وقد زاد الضغط الألماني على اليابان في مفتتح ١٩٤١ لدخول الحرب. ففي ٣٢ شباط ١٩٤١ إستقبل ريبنتروب في ضيعته المغصوبة (فوشل) بالقرب من سالزبرغ السفير الياباني الشرس الحاد الطبع الجنرال هيروشي أوشيما Hiroshi Oshima، الذي كثيراً ما أثار فضول مراقبيه لإظهاره من الحماسة النازية مقداراً يزيد على ما يظهره النازيون أنفسهم. وقال رويبنتروب لضيفه على اليابان أن تدخل الحرب لمصلحتها الخاصة وإن كان قد تم كسبها "بأسرع ما يمكن". كي تستولي على الإمبراطورية البريطانية في آسيا.

"[وواصل القول] أن التدخل الياباني المفاجيء سيحمل أمريكا على البقاء بعيداً عن الحرب. فأمريكا التي لاتملك اليوم سلاحاً وستتردد في تعريض أسطولها الى أي خطر غرب هاوايي Hawaii يمكن أن تفعل ذلك بل أقل منه في هذا الصدد. وإذا احترمت اليابان من جهة أخرى المصالح الأمريكية، فلن يكون ثمّ أي إحتمالٍ ليتعلل روزفلت بعلة فقدان السمعة ليجعل الحرب واجبة في نظر الأمريكان. من المستبعد جداً أن تعلن أمريكا الحرب لو أمّنت لنفسها موقف المتفرج في حين تقوم اليابان بالإستيلاء على الفيليبين".

وإسترسل ريبنتروب: "حتى لو تدخلت الولايات المتحدة، فإن تدخلها لن يهدد النصر النهائي لدول الميثاق الثلاثي. فمن السهولة بمكان أن يهزم الأسطولُ الياباني أسطولَ الولايات المتحدة، وستنتهي الحرب سريعاً بسقوط بريطانيا والولايات المتحدة". وكان هذا أقوى أثراً من الخمر في رأس المبعوث الياباني الفائر الدم وريبنتروب دائب على صب المزيد منها في رأسه، وإرتأى أن يكون اليابانيون صلبين وأن يستخدموا (لغة واضحة) في مفاوضاتهم الجارية الآن في واشنطن.

"لن تتراجع الولايات المتحدة إلاّ اذا أدركت أنها تواجه تصميماً ثابتاً وعزماً راسخاً. إن شعب الولايات المتحدة... لاتساوره رغبة ما في تضحية أبنائه وهو لهذا يعارض فكرة أيّ نوع من الدخول في حومة الوغى. الشعب الأمريكي يشعر بغريزته أن روزفلت والمتنفدين اليهود يريدون زجّه في حربٍ لا ناقة له فيها ولا جمل، ولذلك يجب أن تكون سياستنا مع أمريكا واضحة صلبة...".

وكان في جعبة وزير الخارجية النازي تحذير واحد لليابان، وهو التحذير الذي أخفق مع فرانكو إخفاقاً ذريعاً.

"لو إنتاب ألمانيا أي ضعف، فستجد اليابان نفسها أمام حلف دولي في غضون وقت قصير. وكلنا

١- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ج ٨ الص ٩٠٥- ٩٠٦.

في الهوى سواء، ومصير بلادينا الواحد سيتقرر الآن وللقرون العديدة التالية... وهزيمة ألمانيا معناها نهاية مطامع اليابان الإمبريالية[٢].

ولإطلاع قادته العسكريين وكبار موظفي وزارة الخارجية على سياسته اليابانية الجديدة، أصدر هتلر في ٥ آذار ١٩٤١ أمراً توجيهياً سرياً للغاية عنوانه "أمر رئيس رقم ٢٤ حول التعاون مع اليابان"[٣].

"يجب أن يكون هدف التعاون المبني على ميثاق الدول الثلاث، إقناع اليابان بأسرع ما يمكن لإتخاذ تدابير فعالة في الشرق الأقصى، وبذلك ستُعوق قوات بريطانية كثيرة هناك. وسيتحول مركز الثقل لمصالح الولايات المتحدة الى المحيط الهادىء...

إن الهدف المشترك لمواصلة الحرب يجب أن يكون واضحاً، ألا وهو إرغام بريطانيا على الإستسلام بسرعة، وبهذا تبقى الولايات المتحدة خارج نطاق الحرب.

إن إحتلال سنغافورة مفتاح السيطرة البريطانية في الشرق الأقصى يعني نجاحاً فاصلاً لكل مجرى الحرب لدى الدول الثلاث. كذلك ألحّ هتلر في إستيلاء اليابانيين على قواعد بريطانية بحرية أخرى، حتى قواعد بحرية أمريكية. "إن تعذر تفادي دخول الولايات المتحدة في الحرب". وختم أمره بتحذيره "يجب ألا يُنوّه لليابانيين بأي شيء عن عملية بربروسّه". الحليف الياباني كالحليف الإيطالي يجب أن يستخدم مرقاة لأطماع ألمانية أخرى. ولكن يجب ألا تكون حكومتاهما محل ثقة الزعيم بخصوص الهجوم على روسيا.

بعد أسبوعين (١٨ آذار) عقد هتلر مؤتمراً حضره كايتل ويودل والأميرال رايدر، فيه أوضح لهم ضرورة الضغط على اليابان لمهاجمة سنغافورة. وبيّن أن الفرصة لن تسنح مرةأخرى "بإنشغال الأسطول البريطاني بأجمعه، وعدم تهيؤ الولايات المتحدة ضد اليابان وضعف الأسطول الأمريكي بمقارنته بالأسطول الياباني". وقال الأميرال أن إحتلال سنغافورة "سيحل كل المشاكل الآسيوية الأخرى المتعلقة بالولايات المتحدة وبريطانيا" وسيمكّن اليابان طبعاً من تفادي الحرب مع أمريكا إن شاءت. إلاّ أن ثم عقبة واحدة، حملت هتلر على التجهّم والقطوب عندما ذكرها أمير البحر. فقد حذر قائلاً إن تقارير المخابرات البحرية الألمانية تشير الى أن اليابان لن تتحرك ضد بريطانيا في جنوب شرق آسيا إلاّ اذا "باشرت ألمانيا إنزالها في الجزر البريطانية". وليس ثم في محضر البحرية عن الإجتماع ما يشير الى نوع الإجابة التي أدلى بها هتلر بهذا الخصوص. ورايدر يعرف عن يقينٍ أن القائد الأعلى ليس لديه أية خطط أو أملٍ في الإنزال على شواطيء إنكلترا هذه السنة. وقال رايدر شيئاً لم يستجب اليه الزعيم، فقد "أوصى" أن "يُعرف (ماتسووكا) بما يدبر لروسيا من خطط"[٤].

٢- مؤامرة النازيين ج ٤ الص ٤٦٩ - ٩٠٨ [وثائق نورمبرگ ١٨٣٤ - PS]

٣- النص: في مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٩٠٦ - ٩٠٨ [وثائق نورمبرگ ٢٧٥]

٤- تقرير رايدر [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤١ ص ٣٧، كذلك "مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٩٦٦-٩٦٧ [وثائق نورمبرگ C ١٥٢].

الآن كـان وزير الخارجيـة اليـاباني في طريقـه الى برلين من خلال سـيـبـيـريا ومـوسكو وهو يـطلق تصريحات موالية للمحور يشم منها رائحة الحرب، كما وصفها وزير الخارجية الأمريكي(هل)(٥).

إتفق أنّ وصوله العاصمة الألمانية في ٢٦ آذار كان ساعة إضطراب يعيشها هتلر. ففي تلك الليلة أُسقطت الحكومة اليوغوسلاڤية الموالية للألمان بإنتفاضة (بلغراد)، وكان الزعيم مشغولاً في رسم الخطط لسحق البلد البلقاني المعاند الشديد المراس، فلم يجد بداً من تأجيل مقابلة الضيف الياباني حتى عصر اليوم التالي (٢٧ منه).

وقابله ريبنتروب صباحاً وراح يعزف له الاسطوانات القديمة المخصصة لأمثاله من الضيوف في أمثال هذه المناسبات، على أنه حاول أن يكون أكثر لطفاً من المعتاد وألاّ يدع ذلك الأريب القصير القامة (ماتسووكا) يلفظ كلمة واحدة. إن محاضر الإجتماع السرية التي نظمها الدكتور شميدت (وهي الآن من جملة أوراق وزارة الخارجية المستولى عليها) لاتترك شكاً في هذا(٦).

أعلن ريبنتروب له قائلاً "إن الحرب قد إنتصرنا فيها إنتصاراً تاماً، والموضوع الآن لايتعدى إنتظار إقرار بريطانيا بهذا"، ثم إنقلب رأساً يقترح "هجوماً خاطفاً على سنغافورة" لأن ذلك "سيكون عاملاً جد حاسمٍ لسقوط إنگلترا بسرعة!". ولم تطرف عين للزائر الياباني القميء الجسم، "فقد جلس جامداً يلفهُ الغموض [كما ذكره شميدت فيما بعد] لايكشف قط أي أثرٍ من الإنطباعات التي خلفتها هذه الملاحظات الغريبة في نفسه"(٧).

وأما عن أمريكا فقد إسترسل ريبنتروب يقول: "لاشك في أن بريطانيا كانت ستتخلى عن الحرب منذ أمد بعيد لو لم يواصل روزفلت بعث أملٍ جديدٍ في چرچل... إن هدف الميثاق الثلاثي الأساسي هو إرهاب أمريكا... وإبقاؤها خارج نطاق الحرب... يجب منع أمريكا بكل الوسائل الممكنة من المساهمة بدور فعّال في الحرب ومن جعل مساعدتها لبريطانيا عظيمة التأثير... وعلى أغلب الإحتمال سينجم عن إحتلال سنغافورة إبقاء أمريكا خارج دائرة الحرب لأن الولايات المتحدة لاتتمكن من المخاطرة بإرسال أسطولها الى المياه اليابانية... وسيكون موقف روزفلت عظيم الحراجة"...

ومع أن هتلر حذر من إعطاء (ماتسووكا) معلومات عن الهجوم الألماني المدبر لروسيا. وهي حيطة لازمة لإبقاء السر في حرز والحيلولة دون تسربه إلاّ أن ريبنتروب عمد الى تلميحات عريضة فصيحة للمسألة. كان أثرها سيئاً جداً لألمانيا كما سنرى فيما بعد. فقد قال لضيفه أن العلاقات مع الإتحاد السوڤييتي لاغبار عليها إلاّ أنها ليست طيبة جداً. وفضلاً عن ذلك لو أن روسيا هددت ألمانيا (فإن

٥ - ادلى (هل) بهذه الملاحظة للسفير الياباني في واشنطن الأميرال (نمورا) بمحضر من الرئيس روزفلت في ١٤ آذار. فأجاب (نمورا) أن ماتسووكا "مرتفع الصوت لأنه يتكلم للاستهلاك الداخلي وبوصفه شديد الطموح سياسياً" [مذكرات كوردل هل الص ٩٠٠- ٩٠١) ج ٢].

٦- طبعت مع الاحاديث التالية. وبضمنها حديثان مع هتلر، في مؤتمرات الزعيم البحرية الص ٢٨١ - ٣١٦.

٧- شميدت المرجع السالف ص ٢٢٤.

الزعيم سيسحق روسيا سحقاً) وهو مقتنع [يقصد هتلر] أنه لو آلت الأمور الى حرب ٍفلن يكون ثم ما يسمى روسيا خلال أشهر قلائل".

يقول شميدت أن ماتسووكا إرتجف عند هذا وبان القلق عليه، فأسرع ريبنتروب ليؤكد له بأنه لايعتقد "أن ستالين سيتبع سياسة غير حكيمة". وهنا يذكر شميدت أن هتلر إستدعى ريبنتروب ليبحث معه الأزمة اليوغوسلاڤية ولم يعد حتى لتناول الغداء الرسمي الذي أقامه على شرف الضيف الكبير.

بعد أن صمم هتلر على سحق بلاد أخرى (يوغوسلاڤيا)، راح عصر ذلك اليوم يبذل جهوده مع وزير الخارجية الياباني. فبدأ يقول "لقد خسرت بريطانيا الحرب وعادت المسألة قاصرةً على أن تحرز الذكاء الكافي لإدراك ذلك"، على أن البريطانيين مازالوا يتشبثون بقشتين وهما روسيا وأمريكا. وكان هتلر أنبه من وزير خارجيته بخصوص روسيا فقال، أنه لايعتقد بإمكان قيام خطر حربٍ مع روسيا.

ومهما يكن، فلدى ألمانيا بين ١٦٠ و١٧٠ فرقة تقريباً "للدفاع أمام أيّ هجوم روسي"، أما عن الولايات المتحدة: "فأمريكا الآن تواجه ثلاثة إحتمالات: بإمكانها تسليح نفسها، وبإمكانها مساعدة بريطانيا، وبإمكانها شن حربٍ في جبهة أخرى إن ساعدت بريطانيا لاتتمكن من تسليح نفسها. ولو تخلت عن بريطانيا لقضي على هذه، ولوجدت أمريكا نفسها تحارب دول الميثاق الثلاثي وحيدةً". في حين أنه لاتستطيع بأي حال من الاحوال أن تشن حرباً في جبهة أخرى.

ولذلك فليس ثمّ فرصة يتصورها المرء خير من توجيه اليابانيين ضربةً في المحيط الهادىء دون أيّ تأخير. وقال مشدداً النطق قدر مايستطيع "لحظة مثل هذه لن تتكرر. انها فريدة في التاريخ". فوافقه (ماتسووكا)، على أنه ذكّره بأنه لسوء الحظ "لايهيمن على مقدّرات اليابان وهو الآن لايستطيع الوعد بشيء عن الإمبراطورية اليابانية بخصوص إتخاذ أي إجراء".

إلا أن هتلر الدكتاتور المطلق يتمكن من أن يقطع وعداً، وقد قطعه لليابان ومن دون طلب. في ٤ نيسان بعد عودة ماتسووكا الى برلين من زيارته لموسوليني[٨]. وتمّ الإجتماع الثاني بهتلر قبل يومٍ واحدٍ من الهجوم النازي على دولتين بريئتين أخريين يوغسلاڤيا واليونان. وكان هتلر المتعطش الى فتوحات سهلة أخرى، وللإنتقام من بلغراد، في حالة من حالات التلظّي بحمى الحرب. فقال أنه في الوقت الذي يرى الحرب مع الولايات المتحدة أمراً "غير مرغوب"، فهو لم ينس "أن يدخلها في حسابه" إلاّ أنه قليل الإحتفال بقوة أمريكا العسكرية[٩].

٨ - أبلغ أن موسوليني قال له "ان أمريكا هي العدو رقم واحد. اما الإتحاد السوڤييتي فيأتي في المرتبة الثانية فحسب".

٩- "أو حتى بأي شيءٍ آخر عن الولايات المتحدة" إن هذه المفاهيم العجيبة عن أمريكا (في هذا الوقت صار هتلر يصدق كل ما تبثه دعايته النازية) أتيح لها فرصة انكشافٍ أخرى في حديث جرى له مع موسوليني في الجبهة الشرقية بأواخر آب ١٩٤١. وقد جاء في المحاضر الإيطالية مقتبس عن فم هتلر بصورة غير مباشرة "إن الزعيم دخل من تفاصيل طويلة عن الحلقة اليهودية التي تحيط بروزفلت وتستغل الشعب الأمريكي وأعلن انه لايستطيع مهما أعطي له ان يعيش في بلد كالولايات المتحدة. مفهومها في الحياة مستمد من الذهنية التجارية الشرهة التي لاتحب شيئاً =

"لقد إتخذت ألمانيا كل الأهبة بحيث لايمكن ان ينزل أمريكي واحد في أوروبا. وستشن حرباً زبوناً ضد أمريكا بغواصاتها وقوتها الجوية وبتجاربها المتفوقة، ستكون أكثر من قريع لأمريكا. هذا بصرف النظر عن كون الجنود الألمان أعلى مستوىً بكثيرٍ من الجنود الأمريكان كما هو واضح".

هذا الفخر أدى به إلى اعطاء الوعد القاطع. وقد سجله شميدت في محاضره:

"إن دخلت اليابان في صِدام مع الولايات المتحدة، فستقوم ألمانيا من جانبها بإتخاذ الخطوات اللازمة في الحال."

ويستفاد من ملحوظات شميدت أن (ماتسووكا) لم يفهم تماماً مغزى الوعد الذي قطعه (الزعيم). فلجأ هذا الى تكراره ثانية: "إن ألمانيا كما بيّن- ستشارك فوراً في حالة قيام صِدام بين اليابان وأمريكا...".

إن الثمن الباهظ الذي دفعه هتلر لم يكن قاصراً على هذا العهد الذي قطعه عرضاً، بل لحيلته في كتم نواياه لغزو روسيا عن اليابانيين أيضاً. سأل (ماتسووكا) ريبنتروب بشيء من الخجل أثناء حديث بينهما في ٢٨ آذار ما رأيه في بقائه في موسكو وهو في طريق العودة "ليفاوض الروس في إبرام ميثاق عدم اعتداء أو معاهدة حيادٍ؟" فأجاب وزير الخارجية النازي البطيء الفهم بغباءٍ عظيم: من الأفضل لماتسووكا أن لايثير الموضوع في موسكو إن امكن، مادام ذلك لا ينسجم كلياً مع الإطار العام للوضع الراهن" ولم يدرك تماماً حقيقة الموضوع. لكنها نفذت الى دماغه البليد بعد مرور يومٍ واحد. فبدأ الحديث في اليوم التالي بتنويهه بالأمر. وطرح بالأول - كما كان سيفعل هتلر في ٤ نيسان، وبصورة عرضيةٍ مثله- ضمانةً ألمانية فحواها "أن ألمانيا ستوجه ضربة فورية إذا قامت روسيا بمهاجمة اليابان". وقال أنه أراد أن يقدم هذا التأكيد "لتتمكن اليابان من الإندفاع جنوباً نحو سنغافورة دون أن تخشى خطراً من روسيا". وعندما أقرّ (ماتسووكا) بالأخير انه كان صاحب إقتراح ميثاق عدم الإعتداء على روسيا بموسكو وهو في طريقه الى برلين، ولمح الى أن الإتحاد السوڤياتي حبذ الفكرة ومال اليها، إنقلب دماغ ريبنتروب الى لوح من الخشب ولم يُفتح عليه بشئ. وكل ما ساعفه تفكيره المحدود أنه نصح الوزير الياباني أن يعالج المشكلة "بشكل سطحي".

ولكن ما أن وجد الوزير الياباني نفسه في موسكو عائداً الى بلاده حتى وقع معاهدة حياد مع ستالين وتقضي بأن تبقى كل دولة منها على الحياد في حالة إشتباك الأخرى في الحرب. وقد تكهن السفير فون در شولنبرگ بالآثار التي ستنجم عنها عندما ابرق نبأها الى برلين. هذه المعاهدة وقعت في ١٣ نيسان، وظلت اليابان مقيمة عليها الى الأخير رغم الضغوط التي مارستها ألمانيا عليها في أزمان تالية لحملها على نبذها. اذ قبل أن ينتهي صيف ١٩٤١ كنا سنجد النازيين يتوسلون باليابانيين للهجوم لا على سنغافورة أو مانيلا، بل على ڤلاديڤوستك! Vladivostok

لم يفهم هتلر مغزى معاهدة الحياد السوڤييتية اليابانية في مبدأ الأمر. وفي ٢٠ نيسان قال لأمير

= من تلك المعبرات السامية عن الروح البشرية كالموسيقي مثلاً (أوراق تشيانو السياسية الص ٤٤٩ - ٤٥٢).

البحر رايدر الذي إستفسر منه عنها، بأنها عقدت "برضى من ألمانيا" وأنه رحب بها وحبّذها "لأن اليابان لم تعد الآن تستطيع القيام بأعمال عسكرية ضد ڤلاديڤوستك، وعليها الآن أن توجه هجومها الى سنغافورة بدلها"(١٠).

كان هتلر في هذه المرحلة واثقاً من قدرة ألمانيا على سحق روسيا خلال الصيف، ولم يرغب أن تساهم اليابان في هذه المأثرة العملاقة قدر مالم يكن يرغب أن تساهم في فتح فرنسا. وكان لديه ثقة مطلقة بأن المساعدة اليابانية لاضرورة لها. وردد ريبنتروب صوت سيده، ورجّع صدى أفكاره حين قال (لماتسووكا) في ٢٩ آذار: إذا أجبرت روسيا ألمانيا على أن (تضرب) فهو يرى "من المناسب ألا يدفع الجيش الياباني الى مهاجمة روسيا".

إلا ان وجهة نظر هتلر وريبنتروب في الأمر تغيرت بشكل فجائي مناقضٍ تماماً بعد ثلاثة أشهر تقريباً. فبعد ستة أيام من إطلاق عقال الجيوش الألمانية في روسيا أبرق ريبنتروب في ٢٨ حزيران ١٩٤١ الى السفير الألماني في طوكيو الجنرال أوجين أوت Eugen Ott موعزاً بأن يبذل كل ما في طوقه لحمل اليابان على مهاجمة روسيا السوڤييتية فوراً من المؤخرة. وأشير عليه أن يلوح لليابانيين بالأسلاب ويثير شهيتهم الى الغنائم وكذلك ليبيّن لهم بأنها الطريقة المثلى لإبقاء أمريكا على الحياد.

"[بيّن ريبنتروب] من المتوقع أن يكون إندحار الإتحاد السوڤيتي السريع وبخاصة إذا شرعت اليابان بأعمالها الحربية في الشرق- خير برهان يقنع الولايات المتحدة بعقم دخولها الحرب الى جانب بريطانيا، وهي منغزلة تماماً بمواجهة أقوى حلف في العالم(١١).

وحبّذ (ماتسووكا) الإنقلاب على روسيا حالاً، إلاّ أن الحكومة اليابانية لم تأخذ بوجهة نظره. وبدا وكأن خطتها أنه إذا هزم الألمان الروس بسرعة كما إدّعوا فليسوا هم بحاجة الى معونة من اليابانيين. ومهما يكن فإن طوكيو لم تكن متاكدة تماماً من نصر نازيٍ خاطف وهذا هو السبب الحقيقي في مسلكها. إلا ان ريبنتروب ظل يلح. وفي ١٠ تموز عندما بدأ الهجوم الألماني في روسيا يتقدم حثيثاً حتى ظن هالدر- كما رأينا- إن النصر قد تحقق، بعث وزير الخارجية النازي من قطاره الخاص في

١٠- سببت انباء إبرام معاهدة الحياد اليابانية الروسية بموسكو، قلقاً عظيماً في واشنطن. حيث مال روزفلت وكوردل هل إلى أن يتخذا عنها فكرة شبيهة بفكرة هتلر. أيّ ان المعاهدة ستطلق اليابان حرة في توجية قواتها الى الجنوب - بعد أن أمنت حرباً محتملة مع روسيا - ضد بريطانيا وربما ضد الأملاك الأمريكية. وأوضح (شيروود) أن الرئيس روزفلت عندما بلغته أنباء إبرام الميثاق في ١٣ نيسان - أصدر أمراً بعمل مشروع خطة ترمي الى القيام بعملٍ عدواني ضد الغواصات الألمانية في غرب الاطلنطي يقوم به الأسطول الأمريكي. وصدر أمر جديد يدعو فحسب الى أن تبلّغ السفن الحربية الأمريكية عن حركات قطع الأسطول الألماني الحربية في غرب جزيرة آيسلندا. لا أن تطلق النار عليها. وأعتبر أن المعاهدة الجديدة السوڤييتية -اليابانية جعلت الموقف في المحيط الهادىء شديد الخطورة بحيث لايمكن المخاطرة بالكثير في الأطلنطي. (روبرت شيروود Robert E. Sherwood: روزفلت وهوبكنز: ص ٢٩١) [عن المتن - سجلات تقارير الأسطول الألماني ١٩٤١ الص ٤٧- ٤٨].

١١- وثائق نورمبرگ. ٣٤٣٧ N G. كتاب الوثائق ج ٨ - ب (قضية ڤايسيكر) اخذ عنها مستشهداً "هـ. ل ثريفوس H. L. Trefousse: ألمانيا وحياد أمريكا: ص ١٢٤ والهامش".

الجبهة الشرقية ببرقية جديدة أكثر شدّة الى سفيره في طوكيو: "مادامت روسيا على شفاء الإنهيار الفعلي كما بين تقرير السفير الياباني في موسكو... فمن المستحيل حقاً على اليابان ألا تعمد الى حَل مسألة ڤلاديڤستك ومنطقة سيبيريا حالما تكمل استعداداتها العسكرية... أطلب منك ان تستخدم كل الوسائل المتيسرة لديك للإلحاح الدائب في دخول اليابان الحرب ضد روسيا بأقرب وقت ممكن ... كلما تقدم الزمن كلما كان أفضل. إن الهدف الطبيعي باقٍ وهو أننا واليابان سنتصافح في قطار سيبيريا السريع قبل أن ينتهي الصيف[١٢]."

لم يدُر هذا الإقتراح المُسكِر رأس الحكومة اليابانية ذات الإتجاه العسكري. فبعد أربعة أيام أجاب (أُوت) أنه يفعل كل ما في وسعه لإقناع اليابانيين بمهاجمة روسيا بأسرع وقت ممكن، وأن ماتسووكا متحمس للفكرة. وأن عليه [أي السفير] أن يزيل "عقبات عظيمة في وزارة الخارجية بطوكيو[١٣]". والواقع أن (ماتسووكا) المتحمس سرعان ما أرغم على الإستعفاء من الوزارة. وبنتيجته خسرت ألمانيا وقتئذ أصدق صديق. ومع أن علاقات أوثق أُنشئت بين ألمانيا واليابان كما سنرى، إلاّ أنها لم تكن كافية لإقناع اليابانين بحكمة مساعدة ألمانيا في الحرب ضد روسيا. وهكذا غُلب هتلر مرة أخرى في لعبته المفضلة. غلبه فيها حليف شديد الحذر[١٤].

– ٢ –

"تفادوا الحوادث مع الولايات المتحدة!"

برفض اليابان الجازم مساعدة هتلر على إخراج كستنائه المشويّة من النار في روسيا وإنهماكهما في شيّ كستنائها! بات من ألزم اللزوميات لألمانيا ان تبقى الولايات المتحدة خارج ميدان الحرب حتى تتم الغلبة على الإتحاد السوڤيتي. وهذا ما كان (الزعيم) في صيف ١٩٤١ موقناً بتحقيقه قبل الشتاء.

١٢– نص البرقية. مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٥٤٦ – ٥٦٥ [وثائق نورمبرگ ٢٨٩٦ P S].

١٣– المرجع السالف ص ٥٦٦ [وثائق نورمبرگ ٢٨٩٧ P S].

١٤– ظل ريبنتروب طوال ذاك الخريف ومرات عدة أثناء السنتين التاليين، يحاول جهده إقناع اليابان بالهجوم على روسيا من الخلف. فكانت الحكومة اليابانية تجيبه بأدبٍ كل مرةٍ ما مفادة "رجاءً نحن آسفون". وبقي هتلر نفسه شديد الأمل طوال الصيف. وفي ٢٦ آب قال لرايدر أنه على "يقينٍ من قيام اليابان بالهجوم على ڤلاديڤوستك حالما يتم تحشيد القوى وأن إبتعادهم الحالي يمكن تفسيره بأن تجميع القوى يجب أن يتم بدون عراقيل وبصورة سرية حتى يجيء الهجوم أشبه شيء بمفاجأة" [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤١ ص ١٠٤. إن وثائق اليابانيين تكشف عن كيفية روغان طوكيو من هذا الطلب الألماني المحرج. فمثلاً عندما سأل السفير (أوت) نائب وزير الخارجية الياباني في ١٩ آب عن موعد تدخل اليابان ضد روسيا. أجابه هذا "مسألة قيام اليابان بالهجوم على روسيا، تستدعي منّا تأملاً عميقاً لأنها مسألة خطيرة". وعندما سأل السفير الذي أصبح شديد الضيق – وزير الخارجية الأميرال (تويودا) Toyoda في ٣٠ آب "هل هناك أيّ إحتمال في دخول اليابان الحرب ضد روسيا؟" اجابه: "ان إستعدادات اليابان تقطع الآن أشواطاً سريعة وسيقتضي وقت أكثر لأكمالها" [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٥٤٥ – ٥٤٦ وثائق نورمبرگ ٣٨٣٣ P S].

وكان الأسطول الألماني منذ زمن طويل يحرق الارم قهراً وهو راسف في أغلاله التي كبّل هتلر بها فعالياته في قطع طريق الشحن البحري الأمريكي عن بريطانيا والتصدي الى تحديات القطع الأمريكية الحربية لغواصات ألمانيا وقطعها الحربية العائمة على السواء، العاملة في مياه الاطلنطي. وأمراء البحر النازيون، الذين كان مدى رؤيتهم أبعد بكثير من مدى رؤية هتلر القاصرة على البر وجدوا من أول البداية تقريباً ان دخول أمريكا الحرب أمر مفروغ منه. ولذلك طلبوا من القائد الأعلى أن يتخذ للأمر عدته. فبعد سقوط فرنسا مباشرةً (حزيران ١٩٤٠) ألحّ (رايدر) بمساندة (گورنگ) وحثّه على إحتلال إفريقيا الغربية الفرنسية، وأهم منها الإستيلاء على جزر الاطلنطي وبضمنها جزيرة (آيسلندا) وجزر الآزور والكناري ليحول دون إستيلاء الولايات المتحدة عليها. فأظهر هتلر إهتماماً بالموضوع إلاّ أنه كان يريد غزو إنكلترا وفتح روسيا أولاً، ثم وبعد أن يغدو وضع الأمريكان الحديثي النعمة يائساً، سيستدير إليهم ويهتم بهم. وهناك مذكرة سرية للغاية كتبها الرائد فرايهر فون فالكنشتاين Freiherr Von Falkenstein من هيئة أركان حرب الجيش، تكشف عن وجهات نظر هتلر في نهاية صيف عام ١٩٤٠، جاء فيها: "ان الزعيم في الوقت الحاضر مشغول في مسألة إحتلال جزر

> الاطلنطي مستهدفا شن حرب على أمريكا في تاريخ لاحق. إن المداولات في هذا الموضع مدونة ها هنا(١٥)."

إذن، فالمسألة هي ليست مسألة هل ستُشن حرب على الولايات المتحدة أو لاتُشن بل مسألة إختياره الوقت المناسب. وبمقدم الربيع بدأ هذا الموعد، ينبت في دماغ هتلر. ففي ٢٢ أيار ١٩٤١، جرى حديث بينه وبين (رايدر)، فأبلغه هذا متحسراً أن الأسطول "لا يجد بداً من رفض فكرة إحتلال جزر الآزور"، لأنه ضعيف القوى، إلاّ أن هتلر كان وقتئذ محتمساً للمشروع. فأجاب: [بحسب رواية

> رايدر](١٦) "مازال [الزعيم] يحبذ فكرة إحتلال جزر الآزور ليكون في وسعه إستخدام القاصفات ذات المدى البعيد ضد الولايات المتحدة. وقد تلجئ الضرورة الى هذا في الخريف المقبل(١٧)."

أي بعد سقوط الإتحاد السوفيتي سيأتي دور الولايات المتحدة. وقد أوضح ذلك لـ(رايدر) عندما لقيه بعد شهرين(٢٥) تموز، حين بلغ الهجوم في روسيا أعنف أدواره. وأبلغ رايدر أنه "سيحتفظ لنفسه بحق الإقدام على عملٍ عنيف ضد الولايات المتحدة بعد أن تنتهي معارك الشرق" (١٨).

١٥- مذكرة فالكنشتاين المؤرخة ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٠. مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ ص ٢٨٩ [وثائق نورمبرگ PS - ٣٧٦].

١٦- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤١ ص ٧٣.

١٧- لم تكن لدى الألمان قاصفات بعيدة المدى يمكّنها من بلوغ الساحل الأمريكي من الآزور بله ان تعود أيضاً! وإنها لدليل على نزغات هتلر وخيالاته التي بلغت، وهنا موطن العجب حدَّ التكهن "بالقاصفات ذات المدى البعيد" التي لم يكن لها وجود آنذاك.

١٨- المرجع السالف ص ٩٤.

إلاّ أنه "يريد أن يتفادى قيام الولايات المتحدة الأمريكية بإعلان الحرب "حتى يحين الوقت" لإعتبارات تتعلق بالجيش الذي يخوض الآن معارك طاحنة". ولم يرض (رايدر) بالفكرة، والواقع أن يومياته عن إجتماعاته بالزعيم (أمكن تتبعها في الوثائق المستولى عليها) كانت تفصح عن تزايد نفاد صبره، وتضايقه الشديد من الأغلال التي كبّل هتلر الأسطول بها ودأب في كل مقابلة له مع (الزعيم) على محاولة تبديل رأيه.

في أوائل تلك السنة (٤ شباط) رفع (رايدر) مذكرة الى هتلر عن لسان الأسطول، معرباً فيها عن شكّه الشديد في قيمة إستمرار حياد أمريكا بالنسبة الى ألمانيا بالشكل الحالي. والواقع هو أن أمراء البحر كانوا يجدون في دخول أمريكا الحرب "فائدة محتملة لمجهود ألمانيا الحربي" إن ادى ذلك الى دخول اليابان الحرب الى جانب المحور[١٩]. إلاّ أن الدكتاتور الألماني لم تؤثر فيه الحجة.

وشعر (رايرد) بخيبة عظيمة. كانت معركة الأطلنطي قد بلغت الأوج في عنفها، وألمانيا لاتحرز فيها نصراً. وإمدادات أمريكا وفق قانون الإعارة والتأجير Lend – Lease تنصب على إنكلترا إنصباباً (ودوريات حياد سائر أمريكا Pan American Neutrality Patrol) تزيد في متاعب الغواصات وتكاد تجعلها عاطلة عن العمل. وكل هذا بسطه (رايدر) لهتلر لكن دون كثير جدوى. وواجهه مرة أخرى في ١٨ آذار وأبلغه ان سفن الولايات المتحدة الحربية صارت ترافق القوافل الأمريكية وهي في طريقها الى بريطانيا حتى (آيسلندا)، وطلب منه تخويله صلاحية مهاجمتها دون إنذار. مع إتخاذ إجراء ما للحيلولة دون وضع الولايات المتحدة قدمها في افريقيا الغربية الفرنسية. قائلاً لو حصل ذلك "لواجهنا أعظم الخطر". وأصغى اليه هتلر ثم أجاب بأنه سيبحث هذه الأمور مع وزارة الخارجية (من دون سائر المؤسسات إختار هذه!). وهو أسلوب إتخذه لإسكات أمراء البحر وتعجيزهم[٢٠]. وظل طوال الربيع وأوائل الصيف يدفعهم عنه. وفي ٢٠ نيسان رفض الإصغاء الى رجاء (رايدر) "بشن حربٍ ضد سفن الولايات المتحدة التجارية، بمقتضى قواعد الجعالة Pirze الدولية"[٢١].

واول حادثة اصطدام سجلت بين الأسطولين الأمريكي والألماني كانت في (١٠) نيسان، عندما القت المدمرة الأمريكية نبلاك Niblack قنابل الأعماق على غواصة ألمانية أبدت نية هجوم. وفي ٢٢ أيار عاد (رايدر) الى برگهوف حاملاً مذكرة طويلة يقترح فيها إتخاذ إجراءات مضادة لأعمال الرئيس روزفلت العدائية، إلاّ انه لم يفلح في إغراء قائده الأعلى. "[كتب أمير البحر] يرى الزعيم أن سلوك رئيس الولايات المتحدة لم يتضح بعد. وانه لايرغب مهما كانت الظروف في أن تقع حوادث من شأنها أن تدفع بالولايات المتحدة الى دخول الحرب"[٢٢].

١٩- المرجع السالف الملحق (١): (تقرير رايدر الى: الزعيم ٤ شباط ١٩٤١).
٢٠- المرجع السالف ص ٣٢ (١٨ آذار ١٩٤١).
٢١- المرجع السالف ص ٤٧ (٢٠ نيسان ١٩٤١).
٢٢- المرجع السالف، أيار (٢٢) ١٩٤١.

كانت الضرورة أدعى الى تفادي هذه الحوادث عندما بدأت معركة روسيا. وقد بيّن هتلر في ٢١ حزيران (اليوم السابق لبدء الهجوم) حقيقة ذلك لرايدر. وعرض عليه (رايدر) صورة كلامية مشرقة الجوانب لحادثة قيام الغواصة (و -٢٥٣) بثبيت موقع البارجة الأمريكية (تكساس) ومدمرة مرافقة لها داخل منطقة الحصار المعلن عنها من قبل ألمانيا في شمال الأطلنطي كيف "راحت تطاردهما محاولة مهاجمتها"، ثم أضاف يقول "بقدر ما يتعلق الأمر بالولايات المتحدة. فإن الإجراءات الشديدة هي دائماً أوقع في النفس وأبعد أثراً من السكوت الظاهر".

فوافقه هتلر على المبدأ وخالفه في موضوع إتخاذ عملٍ معين، وأنّب الأسطول مرة أخرى: "يوضح الزعيم مفصلاً بأنه يرغب تفادي أي حادث مع الولايات المتحدة حتى تقطع عملية (بربروسّه) شوطاً كبيراً. إن الموقف سيزداد وضوحاً بعد أسابيع قليلة. ومن المنتظر أن يحدث ذلك تأثيراً طيباً في الولايات المتحدة واليابان. سيقلّ ميل أمريكا في دخول الحرب نظراً الى تهديد اليابان الذي سيتزايد عندئذ. ولذلك من الأوفق أن يتوقف كل الهجمات على السفن في المنطقة المقفلة خلال الأسابيع التالية أن كان ذلك ممكناً."

واحتج (رايدر) على ذلك ليلتئذٍ، بقوله: من الصعوبة بمكان تمييز سفن العدو الحربية من السفن المحايدة. فقاطعه هتلر بأن أمره بإصدار تعليمات جديدة تهدف الى تفادي الحوادث مع أمريكا. وكانت النتيجة أن أصدر قائد الأسطول أوامره في تلك الليلة بوقف كل الهجمات على كل السفن الحربية "خارج منطقة الحصار أو داخلها"، إلاّ اذا تم التأكد من هويتها البريطانية. وأُعطى أمراً مشابهاً لهذا، الى القوة الجوية الألمانية[٢٣].

في ٩ تموز أعلن الرئيس روزفلت أن القوات الأمريكية ستقوم الآن بإحتلال آيسلندا بدلاً عن البريطانيين. وكان رد الفعل من برلين فورياً عنيفاً، وأبرق ريبنتروب الى طوكيو "أن تدخل القوات العسكرية الأمريكية لمعاونة بريطانيا في أراضٍ أعلنّا رسمياً بأنّها منطقة قتالٍ هو في حد ذاته عدوان على ألمانيا وعلى أوروپا"[٢٤]. وهرع (رايدر) الى (وجار الذئب) حيث يقوم الزعيم بإدارة جيوشه في روسيا وقال أنه يريد تقرير أحد أمرين: "هل يعتبر إحتلال الولايات المتحدة جزيرة آيسلندا مساوياً لدخول الحرب أو أنه يعد عملاً من أعمال الإستفزاز يمكن تجاهله" أما عن الأسطول الألماني فهو يرى الإنزال الأمريكي في آيسلندا عملاً من إعمال الحرب". وراح بمذكرة في صحيفتين يذكّر الزعيم بكل الأعمال (العدوانية) الأخرى التي إرتكبتها حكومة روزفلت بحق ألمانيا. وزاد الأسطول فطلب تخويله حق إغراق سفن الشحن الأمريكية في منطقة القوافل ومهاجمة السفن الحربية الأمريكية إن تطلب الموقف ذلك[٢٥]. فرفض هتلر.

٢٣- المرجع السالف الص ٨٨ - ٨٩ (٢١ حزيران - ١٩٤١).

٢٤- مؤآمرات النازيين وعدوانهم ج ٥ ص ٥٦٥ [وثائق نورمبرگ ٢٨٩٦ - P S].

٢٥- ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن الاميرال رايدر أصرّ في أثناء إستجوابه في محكمة نورمبرگ انه فعل كل ما إستطاع لإجتناب إستفزاز الولايات المتحدة وجرّها الى الحرب.

"[ويفيد تقرير رايدر عن الإجتماع] اوضح الزعيم بتفصيلٍ أنه مهتم جداً بتأجيل موعد دخول الولايات المتحدة الحرب شهراً واحداً أو شهرين. كما وأن معركة الشرق يجب أن تستمر بكل القوة الجوية... التي لايرغب أن يحول عن المعركة أي جزءٍ منها، ومن جهة أخرى سيكون للإنتصار في الجبهة الشرقية أثر هائل على الولايات المتحدة. فهو لايرغب في الوقت الحاضر أن يبدل من التعليمات الحالية بل يفضل أن يستمر في إجتناب الحوادث".

وعندما أجاب (رايدر) أن قباطنته البحريين لايمكن أن يكونوا مسؤولين عن (خطأ) إن أصيبت سفن أمريكية. رد عليه هتلر: من الخير للأسطول بقدر ما يتعلق الأمر بسفن الحرب على الأقل، أن "يتاكد بشكل نافٍ للجهالة" بأنها سفن عدوة قبل أن يقوم بمهاجمتها. ولكي يتأكد بان أمراء البحر فهموه فهماً صحيحاً، أصدر أمراً صريحاً في ١٦ تموز جاء فيه "في سائر منطقة العمليات تمنع مهاجمة السفن التجارية الأمريكية سواء أبحرت منفردةً أم كانت ضمن قوافل أمريكية أو بريطانية، وفي حالة التثبت من هويتها قبل اللجوء الى السلاح". ومن الممكن أن تهاجم السفن الأمريكية ضمن منطقة الحصار، التي تعتبرها الولايات المتحدة أيضاً محرمةً عليها. إلاّ أن هتلر أثبت في أمره بكل وضوحٍ بأن منطقة الحرب هذه "لاتشمل طريق الولايات المتحدة- آيسلندا البحري". والخط تحت كلمة (تشمل) هو خط هتلر[٢٦].

لكن لا مَفر من حوادث (خطأ) كما قال (رايدر). ففي ٢١ أيار أغرقت غواصة ألمانية باخرة الشحن الأمريكية (روبن مور Robin Moor) وهي في طريقها الى جنوب افريقيا وفي موضع خارج عن منطقة الحصار الألماني بمسافةٍ. وفي نهاية الصيف قُذفت باخرتان تجاريتان أمريكيتان أخريان بالطوربيد. وفي ٤ أيلول أطلقت غواصة ألمانية طوربيدين على المدمرة الأمريكية (گرير Greer) فأخطأتها. وبعدها بأسبوع (١١ أيلول) رد روزفلت على هذا الهجوم. بخطاب أعلن فيه بأنه أصدر أوامره الى الأسطول "بإطلاق النار عند المشاهدة" وأنذر سفن دول المحور الحربية بأن دخولها منطقة الدفاع الأمريكية "معناه المخاطرة بنفسها".

فزاد الخطاب من حنق برلين وهاجمت الصحافة النازية روزفلت ووصفته "بمشعل الحرب الأول". وتذكر ريبنتروب في نورمبرگ أن "هتلر كان في غاية الإنفعال". على أنّ الهدوء عاد الى هتلر، عندما وصل أمير البحر (رايدر) الى (وجار الذئب) مقر قيادة الجبهة الشرقية في عصر يوم ١٧ أيلول ليطلب إتخاذ تدابير مقابلة عنيفة "لأمر إطلاق النار عند الرؤية". قال هتلر "كلا" أيضاً، ورفض رجاء (رايدر) بإطلاق الأسطول الألماني من القيود التي فُرضت عليه في مهاجمة السفن الأمريكية: "[وجاء

في تقرير (رايدر) عن مقابلته]..[حيث] يبدو أن نهاية أيلول ستتمخض بالنتائج الحاسمة العظيمة في الحرب الروسية. فإن الزعيم يرجو أن يُعنى بتفادي أي حوادث في الحرب الدائرة

٢٦- يوميات حرب الأسطول الألماني. (محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٣٤ ص ٣٦٤ [وثائق نورمبرگ: ١١٨ - C]. ان الترجمة الإنگليزية المقتضبة في "مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ ص ٩١٦ - هي سيئة جداً.

على السفن التجارية. قبل أن يحل نصف شهر تشرين الأول."

علق رايدر آسفاً: "وبناء عليه فعلى القائد العام. وعلى أمير البحر قائد الغواصات [دونيتز Doenitz] أن يسحبا إقتراحاتهما. وينبغي أن تُبلغ الغواصات بالأسباب التي تدعو الى إستمرارها في تطبيق الأوامر الأولى"(٢٧).

ونظراً الى الظروف فلا شك أن هتلر يمارس أسلوب ضبط للنفس غير معهود فيه، ولكن لا مراء في أن هذا القيد أصعب من أن يتحمله قباطنة الغواصات الشبان العاملون في مياه الاطلنطي الشمالية الهوجاء المعرضون بإستمرار الى الإجراءات المضادة للغواصات المتزايدة الخطر التي تتخذها بريطانيا وتشارك فيها سفن الولايات المتحدة الحرب أحياناً. ومن المستبعد أن يبلغ بهم ضبط النفس الى الحد المطلوب منهم. وكان هتلر قد أبلغ (رايدر) أنه لن يحاسب قبطان غواصة إن أغرق سفينة أمريكية "خطأ". وفي ٩ تشرين الثاني ردّ هتلر على خطاب روزفلت في خطابه السنوي أمام الحرس النازي القديم في حانة بيرة مونيخ المعهودة قال: "أمر الرئيس روزفلت سفنه بإطلاق النار حال وقوع انظارها

على السفن الألمانية. أمّا أنا فقد أمرت السفن الألمانية بألاّ تطلق النار عندما تشاهد السفن الأمريكية بل أن تدافع عن نفسها اذا هوجمت. أنني سأقدم للمحاكم العسكرية أيّ ضابطٍ يتردد في الدفاع عن نفسه".

وفي ١٣ تشرين الثاني أصدر توجيهات جديدة يأمر فيها بوجوب قيام الغواصات الألمانية بالدفاع عن نفسها إذا ما هوجمت، في الوقت الذي وجب تفادي الإشتباك مع السفن الحربية الأمريكية قدر المستطاع(٢٨).

ولقد سبق لهم أن طبقوا ذلك. ففي ليلة ١٧/١٦ تشرين الأول شرعت المدمرة الأمريكية كيرني Kearny، التي خفت لمساعدة قافلة هاجمتها الغواصات الألمانية بقذف قنابل الأعماق ضدّ إحدى الغواصات، فردّت هذه بإصابة المدمرة بطوربيد وقتل أحد عشر بحاراً. فكانت أول مجموعة من ضحايا الحرب مُنى بها الأمريكان في حربهم غير المعلنة مع ألمانيا(٢٩). وسرعان ما تزايد العدد. ففي ٢١ تشرين الأول أصيبت المدمرة الأمريكية (روبن جيمس Reuben James) بطوربيد وغرقت وهلك مائة من مجموع بحارتها المائة والخمسة والأربعين، وبضمنهم ضباطها السبعة. وهكذا بدأت الحرب الفعلية قبل أن تتم الرسميات الأصولية لإعلان الحرب.

٢٧- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٧ أيلول ١٩٤١ الص ١٠٨- ١١٠.

٢٨- المرجع السالف ١٣ تشرين الثاني ١٩٤١.

٢٩- صرّح روزفلت مشيراً الى هذه الحادثة في خطبة يوم البحرية المصادف٢٧ تشرين الأول "سجل التاريخ إسم من أطلق النار أولا". ويقتضى القول إنصافاً وعدلاً أن الولايات المتحدة أطلقت النار أولاً بإلقائها قنابل الأعماق. ونظراً الى سجلات البحرية الألمانية السرية. إن هذه الحادثة لم تكن الأولى من نوعها. إن المؤرخ الرسمي للبحرية الأمريكية يؤيد أن المدمرة (نبلاند) [انظر ص ١١٥١] هاجمت غواصة منذ ١٠ نيسان وألقت عليها قنابل الأعماق [صامويل اليوت موريسن: تاريخ عمليات الولايات المتحدة البحرية في الحرب العالمية الثانية ج ١: ص ٥٧].

-٣-

اليابان تلعب لعبتها الخاصة

رأينا أن هتلر أوكل لليابان مهمة إبقاء الولايات المتحدة خارج نطاق الحرب لا جرّها إليها في الوقت الحاضر على الأقل. وكان يدرك بأن أخذ اليابانيين سنغافورة فضلاً عن كونه تهديداً للهند وضربة موجعة لبريطانيا، فإنه سيحوّل إهتمام الولايات المتحدة- وبعض طاقاتها من الأطلنطي الى الپاسفيك. وحتى بعد أن شرع يتوسل باليابان للهجوم على ڤلاديڤوستك فقد وجد في هذا وسيلة لا لإخضاع روسيا، بل ضغطاً آخر على الولايات المتحدة للبقاء على الحياد. والغريب في الأمر أن هتلر لم يفطن لا هو ولا غيره في ألمانيا إلاّ بعد مرور زمن طويل، إن اليابان تطبخ طبيخها الخاص، وأن اليابانيين قد يكونون خائفين من شنّ حربٍ هجومية واسعة في جنوب شرق آسيا ضد البريطانيين والهولنديين دعك من مهاجمة روسيا من الخلف ضماناً لحماية مؤخرتهم أنفسهم بتحطيم أسطول الولايات المتحدة في الپاسفيك. الحق يقال أن الفاتح النازي كان قد وعد (ماتسووكا) بأن تدخل ألمانيا الحرب ضد أمريكا إن اعلنت اليابان الحرب عليها. إلاّ ان (ماتسووكا) لم يعد عضواً في الحكومة كما أن هتلر ما إنفك يصدّع رأس اليابان وينقر فيه بطلب تفادي صدام مباشر مع أمريكا والتركيز على بريطانيا والإتحاد السوڤيتي الذي كانت مقاومته تحول بينه وبين ربح الحرب. ولم يخطر ببال الحكام النازيين أن اليابان قد تكون السباقة في تحدٍ مباشرٍ للولايات المتحدة.

كذلك لم يكن قصد برلين أن يتوصل اليابانيون والأمريكان الى تفاهم. فهذا من شأنه ضياع الغاية الأساسية للميثاق الثلاثي. وقد أُبرم فحسب لتحذير الأمريكان من دخول الحرب وإبقائهم خارج نطاقها. ولعلها المرة الوحيدة في حياة ريبنتروب إعطاؤه تقديراً صادقاً صائباً لأفكار زعيمه في هذا الصدد، عندما قال لأحد المحققين في نورمبرگ: "إنه [أي هتلر] كان يخشى أن تكون نتيجة أيّ

> تفاهم بين الولايات المتحدة واليابان تحرر (ظهر) أمريكا- إن جاز هذا التعبير. وأن يعني ذلك الهجوم المباغت أو دخول الولايات المتحدة الحرب في وقت أسرع مما يُتوقع... وكان قلقاً من إبرام إتفاقية لوجود تكتل معين في اليابان يسعى للوصول الى تفاهم مع أمريكا"[٣٠].

أحد أعضاء هذا التكتل هو الأميرال كجيسابورو نومورا Kichisaburo Nomura ، الذي وصل واشنطن في شباط ١٩٤١ سفيراً جديداً لليابان. وكانت سلسلة مباحثاته السرية مع (كوردل هل)، التي بدأت في آذار تهدف الى تسوية سلمية للخلافات بين الدولتين، ظلت مستمرة حتى النهاية - فأورثت برلين قلقاً عظيماً [٣١].

٣٠- مؤامرة النازيين وعدوانهم - ملحق. ب، ص ١٢٠٠. إستجواب ريبنتروب في نورمبرگ ١٠ أيلول سنة ١٩٤٥.
٣١- كتب كوردل هل في مذكراته "الحقيقة هي ان (نومورا كان مخلص النية في محاولته تفادي وقوع حرب بين بلدينا [مذكرات كوردل هل ج ٢ ص ٩١٧].

والواقع أن الألمان بذلوا أقصى جهودهم لإحباط محادثات واشنطن. وفي ١٥ أيار ١٩٤١ قدّم "ڤايسيكر" مذكرة لريبنتروب مشيراً فيها إلى: "أن أيّ معاهدة سياسية بين اليابان والولايات المتحدة، غير مرغوب فيها حالياً". وأفتى أن الاخفاق في منعها يعني خسران المحور اليابان[٣٢] وزادت مراجعة السفير الجنرال (أوت) لوزارة الخارجية محذراً من مفاوضات (هل- نومورا). لكن لما إستمرت رغم هذا لجأ الألمان الى مناورة أخرى وحاولوا إقناع اليابانيين أن يشترطوا على الولايات المتحدة لإستمرار المفاوضات إيقاف مساعداتها لبريطانيا والعدول عن سياستها المعادية لألمانيا[٣٣].

وكان ذلك في أيار وتمخض الصيف بتغيير. ففي تموز إنصرف جلّ إهتمام هتلر الى ملاحقة اليابان لحملها على مهاجمة الإتحاد السوڤيتي. وفي هذا الشهر أوقف الوزير (هل) محادثاته مع (نومورا)، لأن اليابانيين غزوا الهند الصينية الفرنسية. ثم إستأنفاها في أواسط آب عندما إقترحت اليابان إجتماعاً شخصياً بين رئيس الوزراء الياباني الأمير (كونويي Konoye) والرئيس روزفلت للوصول الى تسوية سلمية، وهذا مالم يقع موقع رضى من ألمانيا قط. وأسرع (أوت) الصبور الدؤوب الى وزارة الخارجية في طوكيو ليعرب عن إستياء النازيين من وصول الأمور الى هذا الحد. فأجابه وزير الخارجية الأميرال (تويودا) ونائبه (آماو Amaw) بكل رقة ودماثة أن محادثات (كونويي- روزفلت) هي في الواقع تحقيق للأغراض التي توخاها الميثاق الثلاثي، أعني منع الأمريكان من دخول الحرب، كما لايخفى[٣٤].

وبقدوم الخريف وإستمرار محادثات (هل- نومورا) تحولت وزارة الخارجية الألمانية الى خطتها الأولى التي إستخدمتها في الربيع..

وأصرت على طوكيو بأن توعز الى (نومورا) بتنبيه الولايات المتحدة إلى أن إيطاليا وألمانيا ستعلنان الحرب عليها إن واصلت إعمال العدوان ضد محورهما الأوروبي. وستضطر اليابان بمقتضى نصوص الميثاق الثلاثي الى الإنضمام اليهما. إن هتلر مازال يريد الولايات المتحدة بعيدةً عن ميدان الحرب. ولقد قام له اليابانيون بهذه الخدمة بإبقاء واشنطن بعيدة عن النزاع والإستفادة في الوقت نفسه من تخفيف تحرشات الأمريكان في الاطلسي.

علم (كوردل هل) بهذا الضغط الألماني الجديد فوراً والفضل كله يعود لما أطلق عليه كلمة "سَحَر" فبهذا "السَحَر" تمكنت الحكومة الأمريكية من حل رموز البرقيات والرسائل اللاسكية الملتقطة لأعقد جفرات طوكيو وأكثرها سرية. ولم يقتصر الأمر على التي ترسل الى واشنطن أو تخرج منها بل شملت تلك التي تصل برلين وغيرها من العواصم وتخرج منها وقد تم حلّها في نهاية ١٩٤٠.

أبرق تويودا بالطلب الألماني الى (نومورا) في ١٦ تشرين الأول ١٩٤١ مشفوعاً بتعليمات تقضي

٣٢- وثائق نورمبرگ (NC - E ٤٤٢٢). كتاب وثائق ج ٩ قضية "ڤايسيكر" من إقتباس تريفوس ص١٠٢.
٣٣- المرجع السالف: عدد كبير من البرقيات المتبادلة بين ريبنتروب وسفيره أوت في أيار ١٩٤١، وشهادة أوت في "محاكمات الشرق الأقصى بطوكيو" عن تريفوس ص ١٠٣.

يتقديم نسخةٍ مخففةٍ منها الى (كوردل هل)[٣٥].

في ذلك اليوم سقطت وزارة (كونويي) وخلفتها وزارة عسكرية يرأسها الجنرال (هيديكي توجو Hideki Tojo) الشكس ذو الرأس الحار. وفي برلين أسرع الجنرال (أوشيما) وهو مقاتل من الطغمة نفسها الى وزارة الخارجية ليزف الأنباء السارة للحكومة الألمانية. وقال أن ظهور (توجو) في منصب رئيساً للحكومة يعني إقتراباً يابانياً أكثر الى شركائهم في المحور وإنقطاع محادثات واشنطن. ولم يذكر لأصدقائه النازيين عمداً أو إهمالاً ماذا سيكون بعد قطع المفاوضات وما هي الآثار التي ستنجم عنها، ولا أن تعيين (توجو) معناه أكثر بكثير مما يتوقعون: وبعبارة أخرى أن حكومته الجديدة عازمة على خوض غمار الحرب ضد الولايات المتحدة إلاّ إذا إنتهت مفاوضات واشنطن بسرعةٍ وبقبول الرئيس روزفلت شروط اليابان بإطلاق يدها حرةً - لا بمهاجمة الإتحاد السوفييتي وحده بل بإحتلال جنوب شرقي آسيا وهذا الأمر مالم يخطر ببال ريبنتروب أو هتلر اللذين مازالا يجدان اليابان عاملاً مفيداً وعوناً للمصالح الألمانية في حالة مهاجمة سنغافورة وسيبيريا فقط وإرعاب واشنطن، الى الحد الذي يجعلها تخشى على الپاسفيك لتنأى بنفسها عن الحرب. ولم يدرك هتلر ولا وزير خارجيته الغبي طبعاً أن فشل مفاوضات (هل- نمورا) في واشنطن والتي كانا يرغبان في أن تنتهي هكذا. سيؤدي الى النتيجة التي ظلا يحاولان إجتنابها حتى أنضجها الزمن: ألا وهي دخول أمريكا في الصراع العالمي[٣٦] والزمن الآن يمر سريعاً.

في ١٥ تشرين الثاني وصل واشنطن سابورو كوروسو Saburo Kurusu سفيراً فوق العادة لمعاونة (نمورا) في المفاوضات، إلاّ أن كوردل هل أدرك حالاً أن الدبلوماسي (الذي كان قد وقع على الميثاق الثلاثي في برلين بوصفه سفير اليابان هناك والمعروف بميوله الموالية للألمان) لم يأت بمقترحات جديدة. وخيّل (لكوردل هل) أن غرضه هو محاولة إقناع واشنطن بقبول الشروط اليابانية حالاً أو باشغال الحكومة الأمريكية (في حالة فشله) بالمحادثات حتى تكون اليابان في حالة الإستعداد لتوجيه ضربة صاعقة مباغتة[٣٧].

وفي ١٩ تشرين الثاني وردت رسالة (الرياح) المشؤمة الى (نومورا) من طوكيو، وسارع خبراء (هل) الجفريين بحل رموزها حالاً. فإن كان مذيع نشرة الأخبار الياباني من راديو طوكيو على الموجة القصيرة (كانت السفارة تلتقطها يومياً) قد دس كلمات "ريح شرقية. مطر" فهذا يعني أن الحكومة

٣٤- ان محضري الإجتماع اليابانيين لنائب وزير الخارجية (٢٩ آب) ولوزير الخارجية تويودا (٣٠ آب) هما في مؤامرة النازيين وعدوانهم "ج ٦ الص ٥٤٦- [وثائق نورمبرگ ٣٧٣٣ - PS]".

٣٥- مذكرات (هل) ص ١٠٣٤، نصوص برقيات تويودا الى (نمورا) في ١٦ تشرين الأول ١٩٤١. عرضت في "تحقيقات الهجوم على پيرل هاربر أمام اللجنة المختلطة للتحقيق في حادث الهجوم على پيرل هاربر" ج ١٢ الص٧١-٧٢.

٣٦- كشفت مذكرات الأمير (كونويي) أن الجيش كان قد ارغمه قبل ٤ آب بأن يوافق على طلب قُدم له بخصوص الإجتماع المقترح، وهو أن يغادر محل الإجتماع حالاً في حالة رفض الرئيس روزفلت شروط اليابان، وهو "عازم على إشهار الحرب مع الولايات المتحدة (مذكرات هل الص ١٠٢٥- ١٠٢٦).

٣٧- (هل) المرجع السالف ١٠٦٢- ١٠٦٣.

اليابانية قد قررت الحرب مع أمريكا. ثم أوعز الى نومورا أن يحرق كل أوراقه السرية ومفتاح جفرته فور وصول انذار "رياح" اليه.

إستقيظت برلين الآن على حقيقة الوضع. ففي اليوم الذي سبق رسالة "الرياح" (١٨ تشرين الثاني)، إنتاب ريبنتروب شيء من الدهشة لدى تسلمه رجاءً من طوكيو، طلب فيه من ألمانيا عقد معاهدةٍ يتفق فيها الطرفان على أن لايبرما صلحاً منفرداً مع عدوهما المشترك. ولم يكن واضحاً أيّ عدو تعنيه اليابان. لكن وزير الخارجية النازي كان يتوقع أن تكون روسيا أول الأعداء. فوافق (على مبدأ) الإقتراح وكل أمله منصرف الى أن اليابان ستقوم آخراً بالوفاء بالوعد الغامض، وهو مهاجمة الإتحاد السوڤييتي من سيبيريا. فعلى الرحب والسعة به وبمجيئه في الوقت المناسب، ذلك لأن المقاومة الروسية على إمتداد الجبهة العريضة تزداد شدة وضراوة، والشتاء الروسي على الأبواب – في زمن أسبق بكثير مما هو متوقع. وإن هجوماً يابانياً على ڤلاديڤوستك والأقاليم البحرية في الپاسيفيك، قد يأتي بما يكفي من الضغط لتحقيق إنهيار روسيا.

لكن سرعان ماخاب فأل ريبنتروب. ففي ٢٣ تشرين الثاني أبرق اليه السفير (أوت) من طوكيو بما مفاده أن الدلائل كلها تشير الى تحركات اليابانيين جنوباً ونيتهم (تايلاند) وحقول نفط بورنيو الهولندية، وأن الحكومة اليابانية أرادت أن تعرف مدى رغبة ألمانيا في أن تجعل القضية مشتركة إن هي شنت حرباً. هذه المعلومات تعني بكل وضوح أن اليابان لن تبادىء روسيا بحرب بل تنوي "بدء حرب" مع هولندا وبريطانيا في جنوب الپاسيفيك، قد يؤدي الى توريطها في صِدام مسلح مع الولايات المتحدة. إلاّ أن (ريبنتروب وأوت) لم يستوعبا النقطة الأخيرة. وبرقياتهما المتبادلة في تلك الفترة من الزمن تظهر أنهما إعتقدا أن تحركات اليابان جنوباً ستكون على ممتلكات البريطانيين والهولنديين، لا على ممتلكات الولايات المتحدة، رغم إدراكهما الآن لخيبتهما– أن اليابان لن تهاجم روسيا. وبذلك سيبقى (العم سام) بعيداً عن المعترك كما رغب هتلر حتى يحين دوره[٣٨].

إن سوء الفهم النازي يعود أغلبه إلى أن اليابانين لم يشأوا في هذه الفترة من الزمن أن يضعوا ثقتهم بالحكومة الألمانية بخصوص قرارهم الخطير نحو أمريكا. وكان (كوردل هل) أخبر من كثير من الألمان، يفضل محطم الجفرة "السحرية". فقد علم منذ ٥ تشرين الثاني أن وزير الخارجية الجديد (شكينوري توجو Shigenori Togo) أبرق الى (نومورا) محدداً ٢٥ تشرين الثاني موعداً نهائياً لتوقيع الإتفاقية– بالشروط اليابانية – مع الحكومة الأمريكية. وقُدمت المقترحات اليابانية الأخيرة لواشنطن في ٢٠ تشرين الثاني. وأدرك (روزفلت وهل) أنها نهائية بعد يومين فقط من تقديمها، لأن "السحر" حَل لهما رسالة جفرية من توجو الى (نومورا) و(كوروسو) تنبيء بذلك. وتمدد أجل الموعد النهائي حتى ٢٩ تشرين الثاني: "[أبرق توجو الى سفيره] هناك أسباب لانستطيع تخمينها جعلنا نحدد

٣٨– الوثيقتان: ٤٠٧٠ و٤٠٧٠ ب "من محكمة الشرق الأقصى. إقتبسها تريفوس الص ١٤٠– ١٤٤.

الخامس والعشرين موعداً أخيراً لتسوية العلاقات اليابانية - الأمريكية. لكن إن كان ممكناً التوقيع على الإتفاقية في التاسع والعشرين منه ... فقد قررنا الإنتظار حتى ذلك التاريخ وليس وراءه مهما كان. هذه المرة لايمكن أن نبدل الموعد الأخير، وبعده ستسير الأمور تلقائياً كما قُدر لها[٣٩]."

الخامس والعشرون من تشرين الثاني ١٩٤١ هو يوم حاسم. في ذلك التاريخ أقلعت القوة اليابانية المكلفة بالعمل الخاص متجهةً نحو (پيرل هاربر). وفي واشنطن قصد (هل) البيت الأبيض، لينذر مجلس الحرب بالخطر الذي يتهدد البلاد من اليابان وليبين لقادة الجيش والبحرية الأمريكيين إحتمال هجوم مباغت. وفي برلين جرى ذلك اليوم إحتفال غريب بمناسبة قيام دول المحور الثلاث بتجديد ميثاق ومكافحة الكومنترون المعقود في ١٩٣٦. وسط مظاهر الفخفخة والأبهة - محاولة جوفاء لم تفعل شيئاً ما لجرّ اليابان إلى الحرب ضد روسيا، كما لاحظ بعض الألمان. إلاّ أنها أتاحت لريبنتروب المختال فرصةً لوصف روزفلت "بمجرم هذه الحرب الأول"، وأن يسفح دموع التماسيح في سبيل "الشعب الأمريكي الصادق الدين"، الذي خانه هذا الزعيم القليل الشعور بالمسؤولية.

ويظهر أن وزير الخارجية النازي سكر بخمرة أقواله. فقد زار (أوشيما) في مساء يوم ٢٨ تشرين بعد مجلس حرب طويل ترأسه هتلر وجرى في ساعة مبكرة من اليوم. وخلّف في السفير الياباني إنطباعاً بأن الموقف الألماني تجاه الولايات المتحدة "قد توتر بمقدار كبير"، وأن سياسة هتلر في بذل المستحيل لإبقاء أمريكا خارج دائرة الحرب حتى تكون ألمانيا مستعدة لمنازلتها تبدو وكأنها تلفظ آخر انفاسها. [أبرق أوشيما بذلك حالاً الى طوكيو]. ثم راح يحث اليابانيين على دخول الحرب ضد الولايات المتحدة علاوة على بريطانيا متعهداً بدعم الرايخ الثالث لهم. وبعد أن حذّر (أوشيما) "ان ترددت اليابان فستجد كل قوى بريطانيا والولايات المتحدة مركزة ضدها"- أطروحة يغلب عليها السخف مادامت الحرب الأوروبية مستمرة! ثم إسترسل يقول: "كما قال هتلر اليوم: هناك خلافات

أساسية في حق البقاء نفسه بين ألمانيا واليابان من جهة وبين الولايات المتحدة من جهة أخرى. لقد بلغتنا معلومات تشير إلى أن الأمل مفقود فعلاً من وصول المفاوضات اليابانية - الأمريكية الى نتيجةٍ مثمرة،. لأن الولايات المتحدة تقف موقفاً صلباً.فإن كان هذا محصل القضية. وإن قررت اليابان قتال بريطانيا والولايات المتحدة فأنا واثق بأن هذا لن يكون قاصراً على مصلحة ألمانيا واليابان المشتركة، بل سيتعداه الى نتائج طيبة لليابان نفسها."

وأدرك العجب المقرون بالسرور السفير الضئيل الجسم المتوفز، لكنه اراد أن يتأكد بأنه فهم المسألة فهماً صحيحاً فسأله: هل يشير سعادتكم الى أن حالة حرب فعلية ستنشأ بين ألمانيا والولايات المتحدة؟ فتردد ريبنتروب. لعله راح بعيداً أكثر مما ينبغي؟ ثم أجاب: إن روزفلت رجل شديد التعصب. ومن

٣٩- (هل) المرجع السالف الص ١٠٥٦- ١٠٧٤.

المتعذر أن يحدس المرء ماقد يفعل. بدا هذا الجواب غريباً غير مرضي لأوشيما بمقارنته مع ما قاله ضيفه قبل قليل. وقبل ختام الحديث: "أصرّ على العودة إلى النقطة الأساسية. ماذا ستفعل إن امتدت الحرب فعلاً "الى الدول التي تساعد بريطانيا"؟

"[أجاب ريبنتروب] إن اشتبكت اليابان في حرب مع الولايات المتحدة فستنضم ألمانيا بالطبع الى اليابان حالاً. وليس هناك إحتمال مطلقاً، في مباشرة ألمانيا مفاوضات صلح منفرد مع الولايات المتحدة تحت هذه الظروف. والزعيم مصرّ على هذه النقطة[٤٠].

تلك هي الضمانة الواسعة التي كانت الحكومة اليابانية تنتظرها. الحق يقال إن هتلر أعطى (ماتسووكا) ضمانةً شبيهة بها في الربيع الغائب، لكن يبدو أنها باتت منسيةً أثناء الفترة المتخللة، عندما كانت هتلر حانقاً على رفض اليابان المشاركة في حرب روسيا. وكل ما تبقى الآن لليابان هو أن تسعى لحمل الألمان على وضع توقيعهم فوق صيغتها الخطية. وأسرع الجنرال (أوشيما) فرحاً بإعداد تقريره وإرساله الى طوكيو في ٢٩ تشرين الثاني. ووردته في اليوم التالي تعليمات جديدة وأبلغ أن محادثات واشنطن "بحكم المقطوعة – المنتهية".

"[اشارت الرسالة عليه بالآتي]" المرجو من سيادتك إذن أن تقابل المستشار هتلر ووزير الخارجية ريبنتروب حالاً. وأن تبلغهما بصورة سرية ملخص التطورات. قل لهما أن إنگلترا والولايات المتحدة قد إتخذنا مؤخراً موقفاً إستفزازياً.. كلتاهما تنويان تحريك قوات عسكرية الى مواقع مختلفة في شرق آسيا، وانه لامفرّ لنا من القيام بعمل مضادٍ بتحريك قواتنا أيضاً. قُل لهما بمنتهى السرية أن خطراً عظيماً من اندلاع حربٍ بشكل مفاجيء بين اليابان والشعوب الإنگلوسكونية بسبب إشتباكٍ ما، وزد على ذلك أن وقت إندلاع تلك الحرب قد يأتي بأسرع مما يحلم أي كائن من البشر."[٤١]

الآن قطعَ أسطولُ حاملات الطائرات الياباني مسافة كبيرة في طريقه إلى (بيرل هاربر)، وطوكيو مستعجلة لتوقيع ألمانيا. وفي اليوم الذي تلقى (أوشيما) تعليماته (٣٠ تشرين الثاني) كان وزير الخارجية الياباني يقابل السفير الألماني ويبيّن له أن محادثات واشنطن قد إنقطعت لأن اليابان رفضت الرضوخ الى المطاليب الأمريكية بترك الميثاق الثلاثي. وان اليابانيين يأملون أن تقدر ألمانيا هذه التضحية للقضية المشتركة.

وقال (توجو) للجنرال (أوت): "هناك قرارات خطيرة الشأن. إن الولايات المتحدة تستعد للحرب استعداداً جدياً... واليابان لاتخشى إنقطاع المفاوضات، وهي تأمل في هذه الحالة أن تقف ألمانيا

٤٠- الرسالة الملتقطة من أوشيما الى طوكيو ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤١. "مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٧ الص ١٦٠- ١٦٣ [وثائق نورمبرگ ٦٥٦- D].

٤١- يقول (هل) أنه تسلم نسخة من هذه الرسالة عن طريق (السحر). وهكذا علمت واشنطن، كما علمت برلين في آخر تشرين الثاني أن اليابانيين قد يوجهون ضربتهم ضد الولايات المتحدة "بأسرع مما يتصور أحد" (مذكرات هل ص ١٩٠٢). [عن المتن الهجوم على پيرل هاربر) ج ١٢ ص ٢٠٤ رسالة طوكيو الملتقطة موجودة أيضاً في مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٣٠٨- ٣١٠ [وثائق نورمبرگ ٣٥٩٨ – PS]

وإيطاليا الى جانبها بمقتضى ميثاق الدول الثلاث". "[أبلغ اوت برلين بالراديو] أجبت أنه لايحوم أيّ شك حول موقف ألمانيا المقبل. وهنا أجاب وزير الخارجية الياباني أنه أدرك كلماتي وستعتبر ألمانيا علاقاتها مع اليابان في هذه القضية علاقة مشاركة مصيرية. فقلت له: في رأيي أن ألمانيا مستعدة بلاشك للإتفاق على المعونة المتبادلة بين البلدين في هذه الحالة"(٤٢).

-٤-

على شفا پيرل هاربر

كان الجنرال (أوشيما) من المغرمين جداً بالموسيقي الكلاسية الألمانية النمساوية، ومع خطورة الموقف وتوتر الوضع فقد رحل الى النمسا للإستمتاع بحفلة مهرجان (موزار)، إلاّ أنه لم يمتع نفسه بسماع موسيقي الملحن النمساوي الجميلة طويلاً. فقد حمله نداء تلفوني مستعجل في ١ كانون الأول على العودة الى سفارته في برلين حيث وجد في إنتظاره تعليمات جديدة تشير عليه أن يعمل لتوقيع ألمانيا الضمانة المنشودة. ولم يكن هناك وقت تصحّ إضاعته.

ولما حوصر ريبنتروب تردد. يظهر أنه أدرك إدراكا تاماً ولأول مرةٍ مغبة وعده الطائش السريع لليابانيين. فإنقلب مراوغاً بارداً الى أقصى حد، وأخبر أوشيما في ساعة متأخرة من مساء يوم ١ كانون الأول انه لا مناص له من إستشارة (الزعيم) قبل إتخاذه إجراءً معيناً. ورجع السفير الياباني الى ڤلهلمشتراسّه نهار الأربعاء٣ كانون الأول ليطرح القضية مجدداً. إلاّ أن ريبنتروب استمهله وأجاب على إحتجاج أوشيما بخطورة الحالة وتحرّج الموقف الى أقصى حد- أنه شخصياً يحبّذ كتابة إتفاقية، إلاّ أن الأمر يجب أن يُرجأ حتى عودة الزعيم من مقر قيادته في نهاية الأسبوع. والحقيقة كما ذكرها تشيانو باسلوب لايخلو من سرورٍ ان هتلر طار الى الجبهة الجنوبية الروسية لمقابلة الجنرال فون كلايست "الذي إستمرت جيوشه تتقهقر تحت وطأة هجوم غير متوقع".

في ذلك الوقت إلتفت اليابانيون الى موسوليني أيضاً الذي لم يكن في أية جبهة. في ٣ كانون الثاني قابل السفير الياباني الدوتشي، وطلب رسمياً من إيطاليا اعلان الحرب على الولايات المتحدة تطبيقاً لنصوص الميثاق الثلاثي حالما يبدأ الصِدام مع أمريكا. كذلك رغب السفير في عقد معاهدة تنص على ألاّ يكون هناك صلح منفرد. وكتب تشيانو في يومياته أن الترجمان الياباني "كان يرتجف كالورقة". أما الدوتشي فقد كان "مسروراً" بتحقيق المطلب بعد التشاور مع برلين.

وفي اليوم الثاني وجد تشيانو برلين في أقصى درجات الحذر. "[وبدأ يوميته للرابع من كانون الأول] ربما سيحققون الطلب لأنه لاسبيل الى خلافه. على أن مسألة إثارة التدخل الأمريكي مكروهة

٤٢- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٥ الص ٥٥٦- ٥٥٧ [وثائق نورمبرگ ٢٨٥٨ - P S].

أكثر فأكثر من الألمان. ان موسوليني من الجهة الأخرى فرح لها".

وبغض النظر عن رأي ريبنتروب. الذي كان هتلر- وهنا موطن العجب- يصغي اليه ويُعنى بأفكاره بعض الشيء. فإن قرار إعطاء ألمانيا ضمانة خطية لليابان لايمكن أن يتخذه غير سيد الحرب النازي نفسه. ويظهر أن وزير الخارجية حصل على موافقة زعيمه في ليلة ٤/٥ كانون الثاني. إذا أنه سلم في الساعة الثالثة صباحاً للجنرال أوشيما مسودة المعاهدة المنشودة، وتنص على إنضمام ألمانيا الى اليابان في حربها مع الولايات المتحدة، وأن لا يُعقد صلح منفرد. وبعد أن غطس غطسته النهائية متأثراً خطى زعيمه في التحول عن سياسة ظل مصراً عليها متشبثاً بها طوال سنتين، بادر حالاً الى حمل حليفه الإيطالي على سلوك السبيل نفسه على الفور.

"[بدأ تشيانو يومية ٥ كانون الأول] قوطعت ليلتي بسماجة ريبنتروب وحرونته. بعد تأخره يومين كاملين، أصبح الآن وليس لديه دقيقة واحدة يضيعها في سبيل إرضاء اليابانيين. في الساعة ٣٠٠ صباحاً بعث بماكنزن [السفير] الى منزلي ليعرض عليّ مسودة ميثاق ثلاثي للتدخل الياباني وعدم عقد صلح منفرد. أرادوا مني إيقاظ الدوتشي فلم أقبل. وإمتنّ الدوتشي من ذلك كثيراً".

حصل اليابانيون على مسودة معاهدة وافق عليها كل من هتلر وموسوليني، إلاّ أنهم لم يختموها بالتواقيع وهذا ما أقلقهم، وجعلهم يشكون بأن (الزعيم) يستمهل لأنه يريد دقةً بدقةٍ Qiud Pro Quo: إن إنضمت ألمانيا الى اليابان في حرب مع الولايات المتحدة، فعلى اليابان أن تنضم الى ألمانيا في حربها مع روسيا. ولقد قدم وزير الخارجية الياباني ببرقيته المؤرخة ٣٠ تشرين الثاني الى السفير أوشيما بعض النصائح في كيفية معالجة المشكلة الدقيقة، إذا أثارها الألمان والطليان: "إن سألوك عن

> موقفنا إزاء السوفييت فقل لهم: سبق لنا وأوضحنا موقفنا إزاء الروس في تصريحنا بتموز الفائت. قل لهم نحن لانقصد من تحركنا الحالي الى الجنوب، تخفيف ضغطنا عن السوفييت، وإن شدّت روسيا يدها على يد بريطانيا والولايات المتحدة وقاومتنا بالأعمال العدوانية فنحن مستعدون إلى تحويل كل قوتنا عليها. ومهما يكن فمصلحتنا الآن تقضي بالشدّ على الجنوب. والأفضل في الوقت الحاضر أن نمتنع من أيّ تحرك مباشرٍ نحو الشمال."[٤٣]

وأقبل السادس من كانون الثاني وفيه شن (ژوكوف) هجومه المضاد أمام موسكو ورجعت الجيوش الألمانية الى الخلف وتقهقرت في الثلج والبرد القارس، وبات هتلر أحوج إلى التعامل على أساس (دقة بدقة). وشاع قلق كبير في وزارة الخارجية في طوكيو لهذه المشكلة الجديدة. كانت القوة البحرية المهاجمة على مسافة طيران من (پيرل هاربر). وضمن مدى طائرات حاملاتها. والاعجوبة أنها لم تكتشف الى حد الآن ولم تر لها أثراً لا السفنُ الأمريكية ولا طائراتُها. لكن ذلك قد يحدث في أية لحظة. وارسلت عن طريق الراديو رسالة مطولة (لنومورا) و(كوروسو) من طوكيو موعزةً لهما بأن

٤٣- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ ص ٣٠٩ [وثائق نورمبرگ ٣٥٩٨ - P S].

يقابلا (كوردل هل) في الساعة الواحدة بالضبط من بعد الظهر اليوم التالي، الأحد الموافق ٧ كانون الأول لتقديم رفض اليابان الرسمي لآخر المقترحات الأمريكية. وإبلاغه أن المحادثات "أصبحت بحكم المقطوعة نهائياً". وإستدارت طوكيو الى برلين في حالة من حالات القنوط بطلب الضمانة الخطية للدعم الألماني. مازال سادة الحرب اليابانيون قليلي الثقة بالألمان، ولذلك لم يخبروهم بسرّ الضربة التي كانوا سيهوون بها على رأس الولايات المتحدة في اليوم التالي. الا أنهم كانوا أشد قلقاً من أيّ وقت مضى لئلا يمتنع هتلر من اعطاء ضمانة، إلاّ إذا واقفت اليابان على مهاجمة روسيا فضلاً عن بريطانيا والولايات المتحدة. وفي وسط هذا المأزق بعثت طوكيو برسالة طويلة للسفير (أوشيما) في برلين تطلب منه أن يتشبث بأي وسيلة لإرجاء البحث في مسألة روسيا مع الألمان وأن لايستسلم إلاّ عندما تضطره الضرورة.

ومع الغرور الذي ملأ نفوس الجنرالات وأمراء البحر اليابانيين – بمقدرتهم على قراع الأمريكان والبريطانيين. فقد كان لديهم من التعقل ما يكفي ليدركوا به ألاّ طاقة لهم بخوض غمار حربٍ مع روسيا في آن واحدٍ، وإن دعموا بقوة ألمانيا. ومن بين الرسائل التي وفق خبراء الوزير (هل) الى حلّ رموزها. رسالة تعليمات بعث بها (توجو) الى (أوشيما).

في ذلك السبت العصيب (٦ كانون الأول). تكشف عن صفحة هامة من صفحات الدبلوماسية، التي مارسها اليابانيون مع الرايخ الثالث في الساعات الأخيرة السابقة لساعة الصفر: "إننا نرغب في

> إجتناب... إشتباك مسلح مع روسيا حتى تسمح الظروف الستراتيجية بذلك. لذلك أشرح موقفنا للحكومة الألمانية وتفاوض معهم على أساس عدم إصرارهم في الوقت الحاضر على الأقل – على تبادل المذكرات الدبلوماسية بهذا الخصوص. وأوضح لهم مفصلاً إن المواد الأمريكية التي تشحن الى روسيا السوڤييتية ليست بذات اهمية كما وكيفاً الى حد الآن. وفي حالة بدء حربنا مع الولايات المتحدة سنأسر كل السفن الأمريكية المتجهة الى الإتحاد السوڤييتي. نرجو أن تبذل جهدك للتوصل الى تفاهم على هذا الخط. وإن أصر ريبنتروب مع ذلك على رفض إعطاء ضمانة في هذا الموضوع ومادمنا لا نملك سبيلاً آخر... فلك أن تعلن تصريحاً بأننا سنحول– مبدئياً– دون وصول المواد الحربية إلى روسيا السوڤييتية، التي تشحنها السفن الأمريكية عبر المياه اليابانية واحمِلهم على الموافقة على مبدأ آخر يسمح بإضافة تصريحٍ مؤداه: مادامت الدواعي الستراتيجية تضطرنا بحكم الضرورة الى تفادينا شنّ روسيا السوڤييتية حرباً على اليابان فإننا لا نستطيع: ذلك مطلقاً (ما أعنيه هنا أننا لا نستطيع أسر السفن السوڤييتية) وفي حالة رفض الحكومة الألمانية [ماسبق بيانه]. وإشتراطها للموافقة مساهمتَنا في الحرب معها عند إبرامنا معاهدة الإمتناع عن الصلح المنفرد، فلا سبيل لنا إلاّ أن نؤجل إبرام هذه المعاهدة."(٤٤)

٤٤– نص البرقية: المرجع السالف الص ٣١٢– ٣١٣ [وثائق نورمبرگ ٣٦٠٠ – P S].

لم يكن اليابانيون بحاجة الى مثل هذا القلق. فلأسباب جهلها عسكريو طوكيو وأي إنسان آخر تتحدى كل منطق وفهم لم يصر هتلر على دخول اليابان الحرب ضد روسيا عند إشتباكها مع الولايات المتحدة وبريطانيا. ولو أنه أصر على طلبه لكان مجرى الحرب سيتغير على الأغلب.

ومهما كان، فقد صح عزم اليابانيين في هذا اليوم، السبت الموافق ٦ كانون الأول ١٩٤١ على أن يوجهوا ضربة للولايات المتحدة في المحيط الهادىء تتحدث بها الركبان. وإن لم يكن أحد في واشنطن أو برلين يعلم أين ستقع ومتى على وجه الدقة. في صبيحة ذلك اليوم أبلغت الأميرالية البريطانية الحكومة الاميريكية بعثورها على أسطول غزو ياباني كبير في خليج سيام مجتهاً الى برزخ (كرا kra)، مما يدل على أن اليابانيين ينوون أن يوقعوا اولاً بتايلاند وربما بالملايا. وفي التاسعة مساءً بعث الرئيس روزفلت برسالة شخصية الى إمبراطور اليابان يناشده فيها الإنضمام اليه لإيجاد "الوسائل لتبديد الغيوم السوداء". وينذره في الوقت نفسه بأن توغل القوات العسكرية اليابانية في جنوب شرق آسيا سيخلق وضعاً "لايمكن القبول به". وفي وزارة البحرية نظم ضباط الإستخبارات آخر تقاريرهم عن مواقع السفن الحربية الكبيرة للأسطول الياباني. وأظهرت القائمة أن معظمها راسٍ في مرافئ البلاد. وبضمنها كل حاملات الطائرات وغيرها من السفن الحربية، التي تألفت منها العمارة البحرية ذات المهمة الخاصة. وكانت في تلك اللحظة قد أصبحت على مسافة ثلاثمائة ميل من پيرل هاربر تهيء قاصفاتها للتحليق عند الفجر.

في مساء ذلك السبت ايضاً أبلغت وزارة البحرية الرئيس روزفلت ومستر هل. أن السفارة اليابانية تقوم بحرق أوراقها ومفتاح جفرتها. وقد ترتب عليها أولاً أن تحلّ رموز رسالة (توجو) الطويلة، التي ظلت تتوارد تباعاً كما ينزل القطر طوال العصر، وبأربعة عشر جزءاً. وكان خبراء البحرية بالجفرة منهكمين ايضاً في حل رموزها بأسرع مما تنزل عليهم. وما جاءت الساعة ٩.٣٠ مساءً إلاّ ووصل ضابط بحري الى البيت الأبيض يحمل تراجم ثلاثة عشر جزءً منها. فقرأها مستر روزفلت الذي كان مع هاري هوپكنز Harry Hopkens في مكتبه – وقال معقباً "هذا يعني حرباً". لكن الرسالة لم تفصح عن المكان والزمان بالضبط. ولم يدر الرئيس أيضاً. حتى الأميرال (نومورا)، ولا هتلر في أوروپا الشرقية. فقد كانت معلوماته أقل من معلومات روزفلت بها الشأن.

–٥–

هتلر يعلن الحرب

بوغتت برلين تماماً كما بوغتت واشنطن، بهجوم اليابان على الأسطول الاميريكي في الپاسيفيك الراسي في ميناء پيرل هاربر في الساعة ٧.٣٠ صباحاً (بالوقت المحلي)، الموافق الأحد ٧ كانون الأول ١٩٤١. ومع أن هتلر كان قد تعهد شفوياً (لماتسووكا) بأن تنضم ألمانيا الى اليابان في حربها

مع الولايات المتحدة وبذل ريبنتروب وعداً مماثلاً للسفير أوشيما. إلاّ أن الضمان لم يوقع بعد واليابانيون لم ينبسوا للألمان بكلمة واحدةٍ عن پيرل هاربر(٤٥). والى جانب هذا، كان هتلر في تلك اللحظة منهمكاً في محاولة لم شعث جنرالاته المترددين. وجنوده المتقهقرين في روسيا.

أسدل الظلام ستاره على برلين عندما أخذ قسم الإنصات في الإذاعة الخارجية يلتقط أولاً بأولٍ أنباء الهجوم المتسلل على پيرل هاربر. ولما إتصل موظف في وزارة الخارجية من قسم الصحافة، بريبنتروب تلفونياً وأبلغه بالنبأ الذي هزّ العالم، أبى أن يصدق أولاً وثار غضبه لإقلاق راحته قائلاً "أنه حيلة دعائية من العدو"، وأمر أن لايزعجه أحد حتى الصباح(٤٦). فلعل ريبنتروب كان يقول الحقيقة عندما شهد أمام محكمة نورمبرگ بأن "هذا الهجوم كان مفاجأة تامة لنا. كنا نتوقع قيام اليابان بمهاجمة سنغافورة أو ربما (هونگ كونگ)، إلاّ أننا لم نتصور أن هجوماً على الولايات المتحدة قد يعتبر في مصلحتنا"(٤٧). ومع ذلك كان جد مسرورٍ للنبأ خلافاً لما قاله أمام المحكمة، أو هذا ماتراءى لتشيانو: "[بدأ تشيانو يومية ٨ كانون الأول] مكالمة تلفونية ليلية من ريبنتروب. كان

شديد الغبطة لهجوم اليابان على الولايات المتحدة. فعلاً كان في غاية السرور بحيث لم يسعني إلاّ أن أهنئه، وإن لم أكن واثقاً من فائدة ذلك... (كذلك) موسوليني كان سعيداً. فمنذ زمن طويل وهو يحبّذ إيضاحاً تاماً للموقف بين أمريكا والمحور".

وفي الواحدة من بعد ظهر الإثنين ٨ كانون الأول، ذهب الجنرال (أوشيما) الى ڤلهلمشتراسه ليحمل روينتروب على بيان موقف ألمانيّ. وطلب إعلان الحرب رسمياً على الولايات المتحدة "فوراً".

"[وأرسل أوشيما رسالة راديو الى طوكيو جاء فيها] أجابني ريبنتروب أن هتلر في هذه الساعة يحضر مؤتمراً في المقر العام يدور حول الأصول الرسمية التي ستتبع في إعلان الحرب بالشكل الذي تخلف انطباعاً جيداً في الشعب الألماني. وإنه سوف ينقل اليه رغبتكم حالاً وأن يبذل كل ما في وسعه لإنجاز الموضوع فوراً".

وكذلك أبلغ الوزير النازي السفير- حسب رسالته الى طوكيو- أن هتلر أصدر في صبيحة يوم ٨ كانون الأول "أوامره الى الأسطول الألماني بمهاجمة السفن الأمريكية في أيّ وقت وحيثما شاهدوها"(٤٨). إلاّ أن الدكتاتور أرجأ اعلان الحرب(٤٩).

٤٥- لطالما إعتقد الكثيرون أن هتلر كان يعرف مسبقاً بساعة الهجوم على پيرل هاربر، ألا أن البحث أعياني للعثور على أصغر دليل يدعم هذا الإعتقاد في أوراق الألمان السرية.

٤٦- شميدت: المرجع السالف الص ٢٣٦- ٢٣٧.

٤٧- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ١٠ ص ٢٩٧.

٤٨- الرسالة الملتقطة - من اوشيما الى طوكيو: ٨ كانون الأول ١٩٤١. مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٧ ص ١٦٣ [وثائق نورمبرگ. ١٦٧ D].

٤٩- في الوقت ذاته كان وزير الخارجية (توجو) يقول للسفير (أوت) "ان الحكومة اليابانية تتوقع أن تسرع ألمانيا الآن بإعلان الحرب على الولايات المتحدة" [وثائق نورمبرگ N G - ٤٤٢٤، ٩ تشرين الأول. كتاب الوثائق ج ٩ "قضية ڤايسيكر"].

تشير ملحوظة مدونة في روزنامة مواعيد الزعيم اليومية أنه أسرع الى برلين في مساء يوم ٨ كانون الأول ووصلها في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي. وزعم ريبنتروب في نورمبرگ أنه أفهم (الزعيم) أن ألمانيا غير ملزمة بإعلان الحرب على أمريكا بمقتضى نصوص الميثاق الثلاثي. مادامت اليابان هي المعتدية في الظاهر.

"إن نص الميثاق الثلاثي لايلزمنا بمساندة اليابان إلاّ في حالة وقوع هجوم عليها بالذات. ذهبت لرؤيته وشرحت له الوجه الشرعي للموقف وأعلمته أنه وإن كنّا نرحب بحليف جديد معنا ضد بريطانيا، إلاّ أن ذلك يعني أيضاً خصماً جديداً ننازله... إن أعلنّا الحرب على الولايات المتحدة".

قلت له: "لما كانت اليابان هي الطرف المهاجم، فلايترتب علينا واجب إعلان الحرب رسمياً بحكم نصوص الميثاق الثلاثي. فأنشأ (الزعيم) يفكر في الأمر ملياً، ثم أعطاني قراراً في غاية الوضوح قال: إن لم نقف الى جانب اليابان، سيموت الميثاق ميتةً سياسيةً. الا أن هذا ليس السبب الأساسي، فالأهم منه هو أن الولايات المتحدة تطلق النار على سفننا منذ زمنٍ. وهو بحد ذاته عامل ملجيء في هذه الحرب. فهم خلقوا حالة الحرب هذه بأعمالهم."

"وكان (الزعيم) يرى في تلك اللحظة أن الولايات المتحدة ستشن الحرب على ألمانيا فعلاً. ولذلك أمرني أن أسلم جوازات السفر للمبعوث الأمريكي(٥٠)".

ذلكم هو القرار الذي توقعه (روزفلت وهل) في واشنطن بثقة تامة وكان قد جرى ضغط عليهما ليطلبا من (الكونگرس) إعلان الحرب على ألمانيا وإيطاليا في ٨ كانون الأول عندما إتخذت هذه الخطوة بحق اليابان، إلاّ أنهما قررا الإنتظار. إن قصف (پيرل هاربر) حررهما من قيدٍ واحدٍ. وإعتقدا أن معلومات معينة في حوزتهما ستؤدي الى أن يحررهما الدكتاتور النازي العنيد من القيد الثاني(٥١).

٥٠- مزجتُ هنا إفادة ريبنتروب في الإستجواب المباشر أمام المحكمة في نورمبرگ (محكمة مجرمي الحرب الكبار ج ١٠) الص ٢٩٧- ٢٩٨ بإفادته أثناء التحقيق السابق للمحاكمة. المثبت في (مؤامرة النازيين وعدوانهم: ملحق ب الص ١١٩٩- ١٢٠٠).

٥١- إنطباعي الخاص عن موقف واشنطن حينذاك، يرجح لي انه كان عسيراً على الرئيس روزفلت اقناع الكونگرس بإعلان الحرب على ألمانيا، فالظاهر أنه كان يوجد ميل قوي لايقتصر على المجلسين كليهما وإنما يتعداه الى الجيش والبحرية يدعم الراي في وجوب تركيز البلاد كل مجهودها على دحر اليابان وألاّ تحمل عبئاً آخر في قتال المانيا معاً. كان (هانس تومسون) القائم بالأعمال الألماني في واشنطن لايختلف عن سائر المبعوثين الدبلوماسيين النازيين في الخارج، في جهلهم الخيوط التي يحبكها هتلر وريبنتروب. هذا المبعوث قام بإبلاغ برلين بذلك الميل بعد أن أنهى الرئيس روزفلت خطابه في الكونگرس صباح يوم ٨ كانون الأول طالباً إعلان الحرب على اليابان. وأبرقَ به الى برلين مباشرةً قال "ان عدم ذكره [يقصد روزفلت] ألمانيا وإيطاليا بكلمة واحدةٍ دليل على أنه يريد في مبدأ الأمر إجتناب تزايد حده الموقف في الأطلنطي." وفي مساء اليوم نفسه بعث تومسون برقيةٍ ثانية حول الموضوع نفسه "لايُعلم هل سيطلب روزفلت إعلان الحرب على ألمانيا وإيطاليا أيضاً؟ إلاّ أن وجهة النظر التي يعتنقها العسكريون الأمريكيون ستؤدي منطقياً الى إجتناب كل مايمكن أن يؤدي الى حرب على جبهتين". وبيّن (تومسون) في عدد من الرسائل قبل پيرل هاربر أن الولايات المتحدة غير مستعدة قط للحرب في جهتين. وفي ٤ كانون الأول بعث بالراديو ما نشرته =

فراحا ينعمان النظر في رسالة السفير أوشيما من برلين الى طوكيو بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (انظر ماسبق)، التي أوردت تأكيدات ريبنتروب لليابانيين بإنضمام ألمانيا اليهم إن (إشتبكوا) في حرب مع الولايات المتحدة. ولم يكن في ذلك التأكيد ما يجعل العون الألماني مقيداً بشرطٍ حول هوية المعتدي. وكان أشبه بصكٍّ موقّع على بياض... ولم يشكّ الأمريكان في أن اليابانيين الآن يلحون على برلين للوفاء به.

وقد وفوا به، ولكن بعد أن تردد سيد الحرب النازي ثانية. فقد دعا مجلس الرايخشتاغ الى الإنعقاد في ٩ كانون الأول يوم عودته الى برلين، إلاّ أنه عاد فأجّله يومين. ويظهر أنه عقد عزمه كما قال ريبنتروب بعد أن ضاق ذرعاً بالحملات التي كان يحملها عليه روزفلت وعلى النازية.

وقد نفذ صبره بالأعمال شبه الحربية التي يقوم بها أسطول الولايات المتحدة ضد الغواصات الألمانية في الأطلنطي ورايدر لاينفك يلاحقه بها طوال عامٍ تقريباً. وكان حقده يتزايد على أمريكا، وأسوأ من كل هذا له ميل متزايد في التقليل من شأن قوى الإنتاج في الولايات المتحدة[٥٢] مما فيه بمرور الزمن.

وفي الوقت نفسه بالغ كثيراً في تقديره قوة اليابان العسكرية. والواقع أنه كان يعتقد كما يبدو أن الأسطول الياباني الذي رآه أقوى أسطول في العالم- ما أن يفرغ من سحق الأسطولين الأمريكي والبريطاني في الپاسيفيك حتى يتحول إلى روسيا ويساعده على إنهاء فتوحه العظيمة في الشرق. وقد قال فعلاً لأخصّ أبتاعه بعد أشهر قلائل أنه يرى في دخول اليابان الحرب "قيّمة لنا لاتقدر بثمن. إن لم يكن لشيء فللتاريخ الذي أختير له.).

"لقد جاء في الواقع – مناسباً حين كانت مفاجآت الشتاء الروسي تشتد في ضغطها على معنويات شعبنا. وعندما كان كل شخص في ألمانيا تعذبه حتمية دخول الولايات المتحدة الحرب عاجلاً أم أجلاً. لذلك كان التدخل الياباني مهماً جداً بالنسبة إلينا وصدفة طيبة."[٥٣]

= جريدة (شيكاگو تريبيون) حول "الخطط العسكرية للقيادة العليا الأمريكية في الإستعداد والإحتمالات لدحر ألمانيا وحلفائها". وقال أيضاً: "التقارير تؤيد أنه لايتوقع مساهمة كاملة لأمريكا في الحرب قبل تموز ١٩٤٣. وإن التدابير الحربية ضد اليابان ستكون ذات طابع دفاعي". وفي رسالة له الى برلين مساء ٨ كانون الأول بيّن أن (پيرل هاربر) ستكون مصدر تخفيف لألمانيا من الأعمال العدوانية في الأطلنطي. وكتب يقول: "ان الحرب مع اليابان تعني تحويل كل طاقات أمريكا الى تسليح نفسها وسيؤدي هذا الى نقصان مطّرد في إعانات إتفاقية الإعارة والتأجير، كما سيؤدي الى تحويل كل فعالياتها الى ميدان الپاسفيك". إن الكاتب يسجل شكرهُ لوزارة الخارجية الأمريكية لسماحها له بالإطلاع على الرسائل المتبادلة بين ڤلهلمشتراسه والسفارة الألمانية بواشنطن خلال تلك الفترة. وستطبع فيما بعد من ضمن مجلدات "وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية".

٥٢- قال هتلر لأعوانه بعد شهرٍ واحد من هذا، في حديث خاص له في مقره العام يوم ٧ كانون الثاني ١٩٤٢: "لست أرى مستقبلاً مشرقاً للأمريكان. إن بلادهم بلاد متفسخة منحلة، فلديهم مشكلتهم العنصرية، ومشكلة التفاوت بين الطبقات الإجتماعية... إن مشاعري المعادية "للأمريكانية Americanizm" إنما هي مشاعر بغض وتقزز عميق. وكل شيء في سلوك المجتمع الأمريكي، يفضح نصف يهوديته، ونصف زنجيته. كيف يتوقع المرء أن تتماسك دولة كهذه، وبلاد يقوم كل شيءٍ فيها على الدولار؟ (احاديث هتلر السرية: ص ١٥٥).

٥٣- احاديث هتلر السرية: ص ٣٩٦.

كذلك أيضاً لايوجد شك في أن ضربة اليابان الغادرة الجبارة على الأسطول الأمريكي في پيرل هاربر، أضرمت نار إعجابه - ومما زاده تقديراً لها أنها كانت من صنف "المفاجآت"، التي طالما إفتخر في إعدادها وتنفيذها بنفسه. وقد أعرب عن هذا للسفير (أوشيما) في ١٤ كانون الأول عندما منحه (الصليب الأكبر- من درجة الإستحقاق للنسر الألماني المذهب) قال له: "لقد اعطيتم إعلاناً حقيقياً

للحرب. هذه الوسيلة هي الصحيحة". واسترسل يقول أنها تنسجم "مع طريقته الخاصة. أعني التفاوض أطول مايمكن. لكن إن وجد المفاوض أن الطرف الثاني لايهتم إلاّ بمشاغلته وإستمهاله وإذلاله وتحقيره عازفاً عن الوصول الى أيّ إتفاق. فعليه أن يضرب - حقاً وبأشد ما يقدر، ولايضيّع الوقت في إجراءات إعلان الحرب. لقد أشاعت الدفء في قلبه أنباء أول العمليات اليابانية. وهو نفسه فاوض أحياناً بصبرٍ لاينفذ، مع پولندا مثلاً وكذلك مع روسيا، وعندما أدرك أن الطرف الآخر لايريد التوصل الى اتفاقٍ، ضرب فجأة بدون رسمياتٍ. وانه سيستمر في سلوك هذا السبيل في المستقبل(٥٤)."

هناك سبب آخر لقرار هتلر المستعجل في إضافة اسم الولايات المتحدة الى قائمة أعدائه الطويلة. وقد وضع الدكتور شميدت أصبعه عليه وشخّصة، وكان في ذلك الأسبوع دائم الرواح والمجيء بين المستشارية ووزارة الخارجية. فكتب يقول فيما بعد "كان إنطباعي أن هتلر برغبته المتأصلة في روحه الى الظهور والسمعة أراد أن يسبق الولايات المتحدة الى إعلان الحرب لتوقعه ذلك منها"(٥٥).

أيّد سيد الحرب النازي ذلك في خطبته أمام الرايخشتاغ بتاريخ ١١ كانون الأول. قال للنواب الهاتفين: "اننا الضاربين أولاً ودائماً وسنبقى دائماً نكيل الضربة الأولى!"

في الواقع كانت برلين تخشى جداً في العاشر من كانون الأول أن تسبقها الولايات المتحدة الى إعلان الحرب، حتى أن ريبنتروب لجأ الى تحذير (تومسون) تحذيراً شديداً لئلا يزلّ لسانه بما تستشف منه وزارة الخارجية الاميريكية شيئاً عن الخطط التي رسمها هتلر ليوم الغد: وفي رسالة (بالراديو مطولة بعثها وزير الخارجية النازي في العاشر منه إلى القائم بالأعمال في واشنطن، أملى عليه نص إعلان الحرب الذي سيبلغه الى القائم بالأعمال الأمريكي ببرلين في اليوم الحادي عشر من كانون الأول الساعة ٢.٣٠ بعد الظهر بالضبط. وأوعز الى تومسون أن يقابل (هل) في الساعة ٣.٣٠ بعد الظهر (بتوقيت برلين) - ويسلم وزير الخارجية نسخة من بيان إعلان الحرب ويطلب منه جواز سفره ثم يودع شوؤن التمثيل الدبلوماسي الألماني الى سويسرا. وحذّره ريبنتروب في ختام رسالته بألاّ يقوم باي إتصال مع وزارة الخارجية قبل تسليم المذكرة. وقال له "نحن نريد ألاّ تسبقنا حكومة أمريكا الى هذه الخطوة مهما كانت الظروف".

ومهما تكن الأسباب التي دعت هتلر الى تأجيل جلسة الرايخشتاغ يومين، فالواضح من الرسائل

٥٤- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٥: ص ٦٠٣ [وثائق نورمبرگ ٢٩٣٢ PS].
٥٥- شميدت المرجع السالف ص ٢٣٧.

المستولى عليها والمتبادلة بين السفارة الألمانية في واشنطن وڤلهلمشتراسه ومن أوراق أخرى لوزارة الخارجية، أن قرار هتلر إعلان الحرب على الولايات المتحدة قد إتخذ فعلاً في ٩ كانون الأول وهو يوم وصوله العاصمة من مقره العام في الجبهة الشرقية. ويظهر أن الدكتاتور النازي لم يحتج الى هذين اليومين الاضافيين للمزيد من التفكير في الأمر، وإنما لإعداد خطبته للرايخشتاغ إعداداً دقيقاً ليخلّف إنطباعاً حسناً في الشعب الألماني الذي مازالت ذكرى دور أمريكا الحاسم في الحرب العالمية الأولى حية في ذهنه، وهتلر يعلم ذلك.

واستدعي (هانس ديكهوف) الذي مازال يعتبر سفير ألمانيا الرسمي الى واشنطن، وإن بقي في ڤلهلمشتراسه منذ أن سحبت الدولتان مبعوثيهما الرئيسين في خريف عام ١٩٣٨، وكُلّف في ٩ كانون الأول بكتابة قائمة طويلة بأعمال روزفلت المعادية لألمانيا ليستفيد منها الزعيم في خطبته أمام الرايخشتاغ(٥٦).

كذلك أوعز الى (تومسون) في واشنطن بتاريخ ٩ كانون الأول أن ينصرف الى إحراق مفاتيح جفراته وأوراقه السرية. وفي الساعة ٣٠ . ١١ من صباح اليوم نفسه أبرق الى برلين "التدابير إتخُذت وتم تنفيذها حسب الأمر" مدركاً لأول مرةٍ ما يجري في برلين. وفي ساعات المساء الأولى أبلغ برلين بأن الحكومة الأمريكية حسبما يبدو تعرف هي الأخرى. وقال "يُعتقد هنا أن ألمانيا ستعلن الحرب على الولايات المتحدة خلال أربع وعشرين ساعة. أو على أقل تقدير ستقوم بقطع العلاقات الدبلوماسية"(٥٧).

٥٦- إن (ديكهوف) الذي يصفه (هاسل): بـ "لين الطباع سهل القياد"، كتب قبل هذا بأسبوع واحد وبطلبٍ من ريبنتروب، مذكرة طويلة عنوانها: "مباديء للتأثير على الرأي العام الأمريكي" ومن بين مبادئه الأحد عشر الّتي صنفها: "الخطر الحقيقي لأمريكا مصدره روزفلت نفسه... تأثير اليهود على روزفلت (فرانكفورتز، باروخ، بنيامين كوهين، صامويل روزنمان، هنرى موركنتاو...الخ). إن شعار كل ام أمريكية يجب أن يكون: لم أربِّ ولدي ليموت فداءً لبريطانيا! (من أوراق وزارة الخارجية الأمريكية وفي سفارتنا ببرلين ينزلون ديكهوف منزلة عالية ويعتقدون انه من أعداء النازية. وشعوري الخاص أنه أجبن من أن يكون كذلك. خدم هتلر حتى النهاية وكان سفيراً للنازيين في اسپانيا فرانكو منذ ١٩٤٣ حتى ١٩٤٥.

٥٧- كذلك إشارة (تومسون) على برلين بإعتقال المراسلين الأمريكان فيها. رداً على إعتقال حفنة من المراسلين في الولايات المتحدة. وقد جاء في مذكرة لوزارة الخارجية وقعها مساعد الوزير (ارنست ڤويرمان Ernst Woermann) في ١٠ كانون الأول (ان كل مراسلي الأمريكان صدر أمر اعتقالهم رداً بالمثل - بإستثناء رئيس مراسلي النيويورك تايمز (گويدو اندريس Guido Emderis) "لموالاته الثابتة للألمان" حسب تعبير ڤويرمان. وهذا في الحقيقة ظلم للمرحوم اندريس، الذي كان مريضاً في ذلك الوقت وربما لم يُعتقل الا لهذا السبب.

-٦-

هتلر في الرايخشتاغ: ١١ كانون الأول

كانت خطبة هتلر في ١١ كانون الأول لآلات الرايخشتاغ المتحركة دفاعاً عن إعلانه الحرب على الولايات المتحدة، قد خصص معظمها لصب الإهانات الشخصية على فرانكلين. د. روزفلت، وإتهامه بإثارة الحرب لتغطية فشله في مشروع (نيوديل New Deal - السياسة الجديدة) وليهدر صارخاً "إن هذا الرجل وحده" بدعم من أصحاب الملايين اليهود كان "مسؤولاً عن الحرب العالمية الثانية". وصب كل حقده الحبيس المتراكم على الرجل الذي وقف من الأول في طريق سيطرته على العالم، ولم ينقطع عن زجره ونقده وأمد بريطانيا بالمعونة الجبارة، في الوقت الذي بدأت علائم التصدع ظاهرة "في تلك الجزر المهشمة" ووقف أسطوله يتحداه في الأطلنطي ويصيبه بالفشل تلو الفشل، إنفجرت براكين سخطه عليه دفعة واحدة:

"اسمحوا لي بتحديد سلوكي للعالم الثاني الذي يمثله ذلك الرجل. ففي حين يحارب جنودنا في الثلج والجليد تراه ببراعةٍ منه يود أن يرسل أحاديثه وهو جالس قرب المدفأة، الرجل الذي هو مجرم الحرب الأول ...

سأمرّ مَرَّ الكرام بالحملات المهينة التي قذفني بها هذا الذي يُدعى بالرئيس. إن نعته لي برجل العصابات شيء غير مهم. وعلى كل فهذا المصطلح لم يسك في أوروبا بل في أمريكا، ذلك لأن أمثال هؤلاء لاوجود لهم هنا بلاشك. وفضلاً عن ذلك فلا يمكن لروزفلت إهانتي لأني أعده مجنوناً، مثلما كان ولسن... إنه يحض على الحرب أولاً، ثم يزيف لها الأسباب ثم يتسربل بشكل مقيت برداء النفاق المسيحي، ثم يقود البشرية الى الحرب ببطء ولكن بثباتٍ، غير ناسٍ أن يُشهد الله على إستقامة عدوانه وصلاحه- باسلوب الماسوني القديم، السليم.....

لقد إرتكب روزفلت سلسلة من أبشع الجرائم ضد القانون الدولي.. مصادرة غير شرعية للسفن ولممتلكات المواطنين الألمان والطليان مشفوعة بنهب وتهديد أولئك الذين حرموا من حريتهم بإعتقالهم. إن عدوان روزفلت المتزايد أبداً، وصل حداً أن أمر الأسطول الأمريكي بضرب السفن التي تحمل أعلاماً إيطالية وألمانية حيثما وجدها، ثم إغراقها- وهذا خرق بالغ للقانون الدولي. إن الوزراء الأمريكان يفرخون بإغراقهم غواصات ألمانية بهذه الطريقة. إن السفن التجارية الألمانية والإيطالية تتعرض لهجمات الطرادات الأمريكية، فتؤسر ويُعتقل بحارتها.

وبهذا الشكل خابت المساعي المخلصة التي بذلتها ألمانيا وإيطاليا لمنع اتساع نطاق الحرب، ولإنشاء علاقاتٍ مع الولايات المتحدة رغم هذه الإستفزازات غير المحتملة، التي إستمر

الرئيس روزفلت في اقترافها..."

ماذا كان يدفع روزفلت "الى إثارة الشعور المعادي للألمان وتوجيهه الى الحرب؟" ثم اورد تفسيرين:

"إن الإدراك بأن مسافة شاسعة جداً تقوم بين آراء روزفلت وبين آرائي. ينحدر روزفلت من أسرة غنية وينتمي الى طبقة مهدت الديمقراطيات لها الحياة. ولم أكن أنا إلاّ طفلاً لأسرة صغيرةٍ فقيرة. وجب على أن أشق طريق بالعمل والكدح المتواصل.

وعندما شبت الحرب العظمى إحتل روزفلت منصباً لم يعرف فيه غير معطياته المريحة الطيبة التي يتمتع بها اولئك الذين يربحون الأموال الطائلة في حين ينزف الآخرون. لم أكن إلاّ واحداً من أولئك الذين ينفذون الأوامر كجندي عاديّ، وبالطبع عدت من الحرب فقيراً كما دخلتها في خريف ١٩١٤ شاركت مصير الملايين بينما شارك فرانكلين روزفلت مصير مايدعي "بالآلاف العشرة الكبار". حاول روزفلت بعد الحرب تمرين يديه في المضاربات المالية. فحقق ارباحاً من جراء التضخم النقدي على حساب بؤس الآخرين بينما... كنت نزيل المستشفى..."

وإستمر هتلر ببعض إسهاب في هذه المقارنات الشخصية، قبل وصوله نقطته الثانية، وهي أن روزفلت إنما لجأ الى الحرب للتخلص من آثار فشله كرئيس جمهورية: "تسلمت القومية الإشتراكية مقاليد الحكم في ألمانيا في العام الذي إنتخب روزفلت رئيساً... تولى حكم دولة في وضع إقتصاديٍ متدهور جداً. وتوليت أنا حكم الرايخ وهو يواجه خراباً كاملاً والفضل في ذلك يعود الى الديمقراطية...

وفيم كانت القومية الإشتراكية تحدث في ألمانيا نهضةً غير مسبوقةً في الحياة الإقتصادية والثقافية والفنية. لم ينجح الرئيس روزفلت في تحقيق أقل تحسن في حالة بلاده.... وليس هذا بعجيب إن تذكر المرء بأن الرجال الذين دعاهم لمساعدته أو بالأحرى الرجال الذين دعوه الى الحكم ينتمون الى العنصر اليهودي أولئك الذين حصروا كل همهم في زرع الإضطراب والشقاق لا النظام.

كان قانون روزفلت: (نيو ديل) خطأ في خطأ. وليس ثم شك في أن إستمرار هذه السياسة الإقتصادية سيكون فيه القضاء على هذا الرئيس زمن السلم رغم حذقه الدايلكتي. وبالتأكيد أنه لوكان في دولة أوروپية لآل مصيره الى الوقوف أمام محكمة دولة متهماً بتبديد الأموال العامة. ومن المشكوك فيه جداً أن يفلت من قبضة محكمة مدنية بتهمة إستخدام طرق غير شرعية لكسب المال".

علم هتلر أن تقديره هذا (للنيوديل) شاركه فيه جزئياً على الأقل- أنصار العزلة الأمريكيون. وطائفة كبيرة من رجال الأعمال وهو يحاول أن يستفيد من ذلك أعظم الإفادة، غير مدرك أن يوم پيرل هاربر جمع هذه الطوائف كغيرها في سائر أمريكا ورصها رصاً للإسهام في خدمة الوطن.

[استرسل يقول مشيراً الى هذه الكتل]: هذه الحقيقة أدركها كثير من الأمريكان وقدّروها ومن بين

هؤلاء شخصيات لها وزنها. ان معارضة خطيرة تتجمع فوق رأس هذا الرجل. فخمن أن درب الخلاص الوحيد هو تحويل إهتمام الرأي العام من الداخل الى السياسة الخارجية... وقد شدّد من عزمه في اتجاهه هذا اليهود المحيطون به... كل شرور اليهود الشيطانية إلتفت حول هذا الرجل، ففتح لها ذراعيه."

وهكذا بدأت الجهود المتزايدة للرئيس الأمريكي بخلق النزاعات المسلحة.

"... ظل هذا الرجل سنوات عديدة يضمر رغبةً واحدة- أن تندلع نار حرب في مكان ما من هذه الدنيا."

ثم تبع ذلك سرد طويل لمجهودات روزفلت في هذا السبيل. مبتدئاً بخطبة (المحجر) في شيكاگو عام ١٩٣٧. وصرخ في أحد نقاط سرده هذا "انه الآن يرتجف خوفاً [يقصد روزفلت] من أن تبدو بعشرته الملايين على السلاح، نصباً وإحتيالاً إن ساد السلام جو أوروپا- مادامت أمريكا آمنة من الغزو- ولهذا وجب عليه هو نفسه أن يثير هذا العدوان على بلاده".

والظاهر أن هتلر بات مرتاحاً بمجيء تلك الفرصة، وراح يشاطر الشعب الألماني شعوره هذا بالإرتياح: "اظنكم وجدتم كلكم الراحة الآن، بعد أن سبقت دولة الى إتخاذ خطوة الإحتجاج على سوء

المعاملة. والانتهاك الوقح الفذ لكل ما هو حق وصواب في التاريخ... الواقع أن الحكومة اليابانية، التي ظلت تفاوض هذا الرجل سنيناً- أدركها التعب والاعياء أخيراً من إستهزائه بها بشكل وضيعٍ. فردّت عليه بأسلوب يلاؤنا جميعاً: أالشعب الألماني وأنا، وكل شعبٍ قويم الخلق بإرتياح عميق... على رئيس الولايات المتحدة أن يفهم أخيراً بأننا نعلم أن هدف هذا الكفاح هو سحق دولة بعد أخرى... أقول هذا لعقيلته المحدودة فحسب. اما الأمة الألمانية فهي لسيت بحاجة الى صدقةٍ لا من مستر روزفلت ولا من مستر چرچل ولانذكر مستر إيدن. إنها لاتريد غير حقوقها! وستنال حقها هذا في الحياة ولو تآمر عليه الآن المدعوّون بچرچل وروزفلت... ولذلك أمرت بإعداد جوازات السفر وتسليمها للقائم بالأعمال هذا اليوم والذي سيتلوه[٥٨]..."

في هذه المرحلة قوطع بقيام نواب الرايخشتاغ وهتافهم وضاعت كلمات (الزعيم) في الضجة.

بُعيد الساعة ٣٠. ٢ ب.ظ إستقبل ريبنتروب بأكثر ما يمكن من مظاهر جفائه ليلاند موريس Leland Morris القائم بالأعمال الأمريكي في برلين. وسلم اليه نسخةً من إعلان الحرب وصرفه ببرود.

"[جاء في نص الإعلان] مع أن ألمانيا من جانبها ظلت دائماً تطبق قواعد القانون الدولي في تعاملها مع الولايات المتحدة أثناء الحرب الحالية، فإن حكومة الولايات المتحدة راحت أخيراً تباشر عمليات حربية ضد ألمانيا، وبهذا خلقت فعلاً حالة حربٍ.

٥٨- هناك ترجمة جزئية لهذه الخطبة في "كلمات هتلر الص ٩٧و ٣٧٦- ٣٧٧ نشرها: كوردن. و. پرانغ Gordon W. Prange.

بناءً على ذلك فإن حكومة الرايخ تقطع كل العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وتعلن نظراً إلى هذه الظروف التي سببها الرئيس روزفلت أن ألمانيا هي الأخرى تعتبر نفسها في حربٍ مع الولايات المتحدة من هذا اليوم".[٥٩] وكان الفصل الأخير لدراما اليوم، هو التوقيع على إتفاقية ثلاثية (ألمانية إيطالية يابانية) تعلن "عزم الدول الثابت على عدم إلقاء السلاح حَتى تتحتم الحرب بالنجاح" وعدم ابرام صلح منفردٍ.

قبل ستة أشهر أو نحوها لم يكن يواجه هتلرَ إلاّ خصمٌ واحدٌ هو بريطانيا، وفي حرب كانت عنده في حكم المنتهية. أما الآن فقد إختار بإرادته أن تتألب عليه أعظم ثلاث دول صناعية في العالم في كفاح تعتمد قواه الحربية في الزمن الطويل على المنعة الإقتصادية بالدرجة الأولى. وهذه الدول العدوة الثلاثة تملك تفوقا ساحقاً في القوى البشرية على شعوب المحور الثلاثة. ويبدو أن هذه الحقائق الدامغة لم تكن محل تفكير ووزن لدى هتلر وجنرالاته وأمراء بحره في يوم كانون الأول الحافل والسنة ١٩٤١ تدنو من نهايتها.

ولم يُثبت الجنرال هالدر الذكي في كتاب يومياته بتاريخ ١١ كانون الأول- أيّ تعليق حول إعلان ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة. لم يذكر سوى أنه حضر مساء ذلك اليوم محاضرة لقبطان بحري حول "أصول الحرب البحرية اليابانية - الأمريكية". أما باقي يوميته فقد أوقفه - ولعله تعمد في هذا - على موضوع إستمرار أنباء السوء من معظم قطاعات الجبهة الروسية المحفوفة بالأخطار، ولم يكن في افكاره متسع ليوم تالٍ عندما ستواجه جيوشه المستضعفة جنوداً جدداً من العالم الجديد.

رحَّب أمير البحر (رايدر) بخطوة هتلر فعلاً. وتحدث اليه في اليوم التالي (١٢ كانون الأول) مؤكداً له "إن الموقف في الأطلنطي سيُفرج بتدخل اليابان الناجح" وأضاف موضحاً: "وصلتنا تقارير

> عن نقل بعض البوارج [الأمريكية] من الأطلنطي الى الپاسيفيك. ومن المؤكد أن القطع الخفيفة، ولاسيما المدمرات ستدعو اليها الحاجة بأعداد متزايدة في الپاسيفيك. وستكون الحاجة إلى سفن النقل شديدة جداً، بحيث يمكن توقع سحب السفن التجارية من الأطلنطي وسيزيد العبء على السفن التجارية البريطانية."

لقد غطس هتلر غطسته بعظمة طائشة؛ فاذا به فجأة يقع فريسة للشكوك. وهو يريد الآن إلقاء بعض الأسئلة على أمير البحر الأكبر: هل "يعتقد أن العدو سيحاول في المستقبل القريب إحتلال جزر الآزور، وكاپ ڤيرد Cape Verdes. وربما مهاجمة داكار Dakar ليستعيد السمعة التي فقدها نتيجة اللطمة التي أصيب بها في الپاسيفيك؟" إن رايدر لايرى هذا الرأي وأجاب: "إن على الولايات المتحدة تركيز كل قواها في الپاسيفيك خلال الأشهر القلائل التالية وبريطانيا لاتريد أن تخاطر مخاطرة واحدة بعد خساراتها الجسيمة من السفن الكبيرة"[٦٠]. ومن المستبعد جداً أن تتيسر حمولة

٥٩- الترجمة الإنگليزية في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج ٨ الص ٤٣٢- ٤٣٣ [وثائق نورمبرگ T C ٦٢].
٦٠- قبلها بيومين (١٠ كانون الأول) اغرقت الطائرات اليابانية البارجتين البريطانيتين "پرنس أوف ويلز Princs of Wales =

ضخمة من السفن لعملية إحتلال كهذه أو لجلب الإمدادات. وكان لدى هتلر سؤال أهم من هذا "هل يوجد إحتمال في أن تترك الولايات المتحدة وبريطانيا شرق آسيا مؤقتاً لتتعاونا على سحق ألمانيا وإيطاليا أولاً؟" وهنا أيضاً كان جواب أمير البحر الأكبر مطمئناً.

"[أجاب] ليس محتملاً أن ينزل العدو عن شرق آسيا وإنْ بصورة مؤقتة، فإن فعلت بريطانيا ذلك لأحدق خطر عظيم بالهند. كما أن الولايات المتحدة لايسعها سحب أسطولها من الپاسيفيك، طالما ظل الأسطول الياباني صاحب اليد الطولى".

ثم حاول (رايدر) إدخال السرور الى نفس الزعيم بأن ستاً من الغواصات "الكبيرة" ستبحر "بأسرع مايمكن" إلى ساحل الولايات المتحدة الشرقي(٦١).

ومالبثت أفكار القائد الأعلى الألماني ورؤوساء عسكره أن تحولت عن العدو الجديد- الذي سيكون مشغول اليدين في الپاسيفيك بعيداً جداً. الى حيث الموقف في روسيا على ماهو، دعك من شمال افريقيا حيث كان رومل يتقهقر. ولم تتوجه أفكارهم الى هذا العدو إلاّ بعد سنةٍ أخرى، أخطر سنة من سنّي الحرب. ففيها كانت نقطة التحول الكبرى ستقرر بشكل لامردّ له نتيجة الصراع، الذي ظل الألمان طوال سنة ١٩٤١ يعتقدون أنهم ربحوه أو كادوا، إلاّ أن مصير الرايخ الثالث تقرر فيها أيضاً، بعد أن رفعته إنتصاراته المذهلة الى أعلى عليين وبسرعة خاطفة، حتى أن هتلر أيقن ببقائه لألف سنة كما قال.

وزادت كتابات هالدر في يومياته تشاؤماً بإقتراب عيد رأس السنة الجديدة ١٩٤٢. وبدأ يومية ٣٠ كانون الأول ١٩٤١: "يوم أسود آخر!" وفي اليوم الأخير من السنة كتب تمهيداً للأمور الفظيعة التي ستتلو.

= وريپلز Repules على مبعدة من ساحل الملايا. يضاف الى هذا الخسائر الأمريكية الجسيمة جداً في البوارج نتيجة عدوان پيرل هاربر (٧ كانون الأول) وهذه الضربة المزدوجة حققت التفوق الساحق للأسطول الياباني في الپاسفيك وبحر الصين والمحيط الهندي. وكتب چرچل عن خسارة هاتين السفينتين العظيمتين "لم أصب بصدمة مباشرة كهذه طوال فترة الحرب".

٦١- مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية ١٩٤١ الص ١٢٨- ١٣٠ (١٢ كانون الأول).

الفصل التاسع

نقطة التحول الكبرى: عام ١٩٤٢
(ستالينگراد والعلمين)

-١-

المؤتمرون يبعثون أحياء

إن الإندحار الكبير الذي منيت به جيوش هتلر في روسيا خلال شتاء ١٩٤١- ١٩٤٢ وطرد عددٍ من الفيلدمارشالية والجنرالية الكبار، أحيت الآمال في نفوس المؤتمرين بالنازية، ونفخت فيهم نسمة الحياة.

لم يكونوا يستطيعون أن يجتذبوا اليهم القادة الكبار للثورة، مادامت جيوشهم تحقق النصر السهل تلو النصر، ومجد السلاح الألماني والرايخ الألماني يرتفع الى السماكين. لكن المقاتلين الذين لم يغلبوا الى الآن أخذوا ينكفئون على أعقابهم في الثلج والبرد القارس أمام عدو أثبت أنه صنو لهم وقريع، وتعدت الخسائر في الرجال رقم المليون. وطرد طرداً فورياً مجموعة كبيرة من مشاهير القادة. وشُهِّر ببعضهم وأُذلّوا علناً مثل الجنرالين (هويپنر) و(شپونيك). ومعظم الباقين حُقِّروا، وجعل منهم الدكتاتور القاسي كباش فداء[1].

١- من بين الذين أُحيلوا الى التقاعد الفيلدمارشال فون براوختش قائد الجيش العام، والفيلدمارشالين فون روندشدت وڤون بوك قائدا مجموعتي جيوش الجنوب والوسط على التوالي. والجنرال گودريان عبقري الدروع، تلاهم قائد مجموعة جيش الشمال الفيلدمارشال فون ليب بعدهم بقليل. فقد تم اعفاؤه في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٢ قبل وفاة الفيلدمارشال فون رانخناو بنازلةٍ دماغية بيوم واحد. (وكان خلفاً لروندشدت). والجنرال أوديت Odet) من سلاح الطيران أطلق الرصاص على نفسه، فمات في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤١. هذا فضلاً عن إستبدال خمسة وثلاثين قائد فرقةٍ وفيلق أثناء تقهقر الشتاء.
بالطبع كانت هذه البداية. وقد أجمل الفيلدمارشال فون روندشدت في نورمبرگ مصير الجنرالات عندما بدأوا يخسرون المعارك، أو وجدوا في أنفسهم الشجاعة لمقاومة هتلر: "من بين سبعة عشر فيلدمارشال أعفي عشرة وأُعدم ثلاثة منهم بسبب يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤ [المؤامرة ضد هتلر W. L. S]. ولم يحتفظ بمنصبه الى نهاية الحرب غير فيلدمارشال واحد. ومن أصل ستة وثلاثين جنرالاً أقدم Generalobersten نحو ثمانية عشر، ومات خمسة على إثر مؤامرة ٢٠ تموز أو ُطردوا طرداً مهنياً من الجيش. ولم يحتفظ بمنصبه الى ما بعد الحرب غير ثلاثة منهم. (محاكمات مجرمي الكبار ج ٢٠ ص ٦٢٥.

وفي ٢١ كانون الأول ١٩٤١. كتب (هاسل) في يوميته وهو منتعش الأمل "الزمن ناضج تقريباً" وكان هو وزملاؤه المؤتمرون واثقين أن هيئة الضباط البروسية ستقوم بعمل معاكس، لا إنتصافاً لنفسها من المعاملة المهينة فحسب، بل لوضع حد لجنون قائدهم الأعلى في قيادتهم مع جيوشهم الى المهالك في الشتاء الروسي.



چرچل وروزفلت

مر بنا أن المؤتمرين كانوا موقنين منذ زمن طويل أن الجنرالات الذين يقودون الجنود هم وحدهم من يملك القوة البشرية الظاهرة لإزاحة الطاغية النازي. والآن ها هي ذي فرصتهم قبل أن يفوت الآوان. والتوقيت هو أهم كل شيء. وجدوا أن الحرب لم يعد أمل في كسبها بعد الإنكسارات في روسيا ودخول الولايات المتحدة الساحة. ولكن الحرب لم تنته وهي سُجال وبإستطاعة حكومة معادية للنازية في برلين أن تحصل على شروط صلح قد تترك ألمانيا دولة قوية، وربما بالأقل من مكاسب هتلر كالنمسا وأرض السوديت وغرب پولندا.

كانت هذه الأفكار تلازم رؤوسهم ملازمة الظل لصاحبه في نهاية صيف ١٩٤١، حتى عندما كان إحتمال تدمير الإتحاد السوڤييتي كبيراً. ووقع عليهم نص ميثاق الأطلنطي الذي أمضاه چرچل وروزفلت في ١٩ آب وقوع الصاعقة، ولاسيما الفقرة الثامنة منه التي نصت على وجوب نزع سلاح ألمانيا بموجب إتفاقية دولية لنزع السلاح تتم بعد الحرب. وفسر (بيك وهاسل وگويردلر) والآخرون من حلقة المؤتمرين هذا النص بما معناه أن الحلفاء لاينوون أن يفرّقوا بين الألمان النازيين والألمان المعادين للنازية. وعلّق هاسل "أن هذا لدليل على أن أمريكا وبريطانيا لاتحاربان هتلر وحده، بل تريدان سحق ألمانيا وتجريدها من أيّ وسيلة دفاع". والواقع إن هذا السفير السابق الأرستقراطي الذي يغرق حتى ذقنه في التآمر على هتلر، المصرّ في الوقت نفسه على الفوز لألمانيا بدون هتلر بأكثر ما يمكن، يرى في الفقرة الثامنة من ميثاق الأطلنطي "تدميراً لكل فرصة مقبولة للسلم" كما أثبت هذا في يومياته(٢).

ومع الخيبة التي أصابهم بها ميثاق الأطلنطي، يبدو أنهم نشطوا إلى العمل بمجرد إبرامه، إن لم يكن إلا لتنبيههم الى ضرورة الإطاحة بهتلر وتوفير مهلة لنظام معادٍ للنازية، ليقوم بمساومةٍ سلمية ذات فوائد لألمانيا، التي مازالت مسيطرة على معظم أوروپا. ولم يكونوا ضد إستخدام فتوحات هتلر وسيلة للحصول على أفضل الشروط لبلادهم. وكانت نتيجة سلسلة طويلة من المحادثات في برلين في أواخر آب بين (هاسل) و(پوپيتز) و(أوشتر) و(دونانيي Dohnanyi) والجنرال (أولبريشت Olburcht)

٢- هاسل المرجع السالف ص ٢٠٨.

رئيس أركان الجيش الداخلي، هي أن "الوطنيين الألمان" كما أطلقوا على أنفسهم. سيقدمون "مطالب معتدلة جداً" للحلفاء. إلا أنهم- كما كتب هاسل- "لا يمكنهم التخلي عن حقوق معينة". ماذا كانت هذه الحقوق؟ لم يذكرها (هاسل)، ولكن المرء يستنتج من وقعات أخرى في مذكراته أنها الإصرار على حدود ١٩١٤ الألمانية في الشرق فضلاً عن النمسا وأرض السوديت، لكن الوقت يمر سريعاً. وبعد مؤتمر أخير لهاسل مع رفاقه في نهاية آب كتب في مذكراته: "انهم متفقون بالإجتماع بأن الفرصة ستفوت وشيكاً. وسوف لايعود مجدياً القيام بأي عمل عندما تتلاشي فرصنا في النصر أو تغدو ضعيفة جداً"[٣].

بذل بعض المجهودات لإستمالة كبار الجنرالية في الجبهة الشرقية لإعتقال هتلر في روسيا أثناء الهجوم الصيني. ومع أن هذه المحاولة لم تكن ذات أثر لأن قادة العسكر الكبار كانوا بالطبع في شغل عنهم بإنتصاراتهم الباهرة الأولية، حتى أنهم لم يجدوا مايبرر التفكير بالإطاحة برجل أتاح لهم فرصة تحقيق هذه الإنتصارات. إلا أن المحاولة زرعت في أذهانهم العسكرية بذوراً قدر لها أن تخرج شطئها أخيراً.

كان مركز المؤآمرة في الجيش، حينذاك في مقر قيادة الفيلدمارشال فون بوك، الذي كانت مجموعة جيوشه الوسطى تندفع نحو موسكو وكان رئيس الحلقة أمير اللواء (هيننگ فون ترسكوڤ Henning Von Tresckow) من أركان جيش بوك. الذي بلغ من شدة حماسته الماضية للقومية الإشتراكية أن دفعت به الآن الى صفوف المؤتمرين.

وكان يعاونه (فابيان فون شلابرندوف) مرافقه. واثنان من جماعته المؤتمرين اللذين وضعهما مرافقين لـ(بوك)، وهما الكونت هانس فون هاردنبرگ Count Hans Von Hardenberg والكونت هاينبرخ فون ليندورف Count HeinrihVon Lendorff. وكلاهما سليل أعرق واشهر الأسر الألمانية[٤]. وكان من جملة المهمات التي أخذاها على عاتقهما بذل الجهود لإقناع الفيلدمارشال بإلقاء القبض على هتلر في احدى زياراته لمقر القيادة العامة لمجموعة جيوش الوسط. لكن (بوك) كان صعب المكسر. ومع أنه كان يصرح بكرهه للنازية، إلاّ أنّه نال ترقياته في عهدها، وكان ذا كبرياءٍ وطموح إلى الحَد الذي لايشجعه على أية مغامرةٍ في هذه المرحلة المتقدمة من اللعبة. ومرةً عندما حاول الجنرال (ترسكوف) الإشارة الى أن (الزعيم) يقود البلاد الى كارثة صاح (بوك)) "لا أسمح أن ينتقد الزعيم أمامي!"[٥].

ثبط عزم (ترسكوف) ومرافقه إلا أنهما لم يفقدا الأمل. وقررا العمل على مسؤوليتهما. ووضعا خطة للقبض على هتلر عندما قدم في زيارة لمقر قيادة الجيش في بوريسوف Borisov بتاريخ ٤ آب ١٩٤١- أثناء إنتقاله من المطار الى مقر (بوك). ألا أن المؤتمرين كانوا جماعة من الهواة وقتها، ولم

٣- المرجع السالف ص ٢٠٩.
٤- اعدم ليندروف النازيون قي ٤ أيلول ١٩٤٤.
٥- شلابرندروف المرجع السالف ص ٣٦.

يحسبوا حساباً لتدابير الحماية والأمن. إذ لم يتح للضابطين حتى فرصة الإقتراب منه وهو محاط بحرسه الخاص من الـ(إس. إس). ولم يستقل سيارة من سيارات الجيش للوصول بها الى المقر، لأنه كان قد أرسل قبل مجيئه أسطول سياراته الخاصة.

هذا الفشل- ويظهر أنه لم يكن الأول- لقّن المؤتمرين من الخط العسكري دروساً، أولهما أن وضع ايديهم على هتلر ليس عملاً بسيطاً، لأنه محروس دائماً حراسة جيدة. ومن الدروس أن إلقاء القبض عليه وإعتقاله قد لايحل المشكلة مادام الجنرالات ذوو الحل والعقد أجبن وأشد حيرةٍ في موضوع يمين الولاء من أن يتولوا مساعدة المعارضة لممارسة عملها من هناك. وفي حدود ذلك الزمن أو نحوه (خريف ١٩٤١) توصل بعض الضباط الشبان في الجيش وكثير منهم مدنيون في ثياب عسكرية مثل (شلابرندورف)، بعد شيء من التردد الى أن أبسط حل، أو ربما الحل الوحيد هو قتل هتلر. وعند ذلك يتحلل الجنرالات الرعاديد من يمين ولائهم الشخصي (للزعيم) ويسايرون النظام الجديد ويمنحونه دعم الجيش.

على أن الرؤوساء في برلين لم يكونوا على إستعداد لقطع هذا الشوط بعد فقد تدبروا خطةً بلهاء سمّوها (العمل المنفرد)، توهموا لسببٍ ما أنها سترضي ضمير الجنرالية بخصوص إخلالهم بيمين الولاء الشخصي (للزعيم)، وفي الوقت نفسه ستضمن التخلص من هتلر. من الصعب أن يفهم المرء حتى يومنا هذا، ماذا كان يجول في مخيلتهم عندما إستخلصوا هذا الحل، والفكرة أن يقوم القادة العسكريون في الشرق والغرب في وقت معين وعند اعطاء إشارة، بعصيان أوامر هتلر بوصفه قائداً أعلى للجيش. سيكون هذا بالذات حنثاً بقسمهم يمين الطاعة له، إلا أن المتخلفين في برلين تظاهروا أنهم لايرون هذا. واوضحوا أن الغرض الحقيقي على كل هو خلق الفوضى، وفي وسطها يقوم الجنرال (بيك) بفضل وحدات من الجيش الداخلي في برلين بتولي السلطات وتنحية هتلر والقضاء على شرعية القومية الإشتراكية.

يكاد الجيش الداخلي لايعتبر قوة عسكرية، بل هو أشبه بمجموعة مختلطة متباينة من المجندين يمارسون تدريباً أساسياً قليلاً قبل أن يرسلوا الى الجبهة لإكمال الملاكات في الوحدات العاملة. وُجد من الضرورة أن يُستمال بعض الجنرالات القادة في روسيا أو المناطق المحتلة، ممن يوجد تحت إمرتهم جنود حسنة التدريب إن شاؤوا النجاح حقاً. وبدا الفيلدمارشال فون فيتزليبن قائد الجبهة الغربية العام، وهو أحد القادة الذين وقع الإختيار عليهم في مؤامرة هالدر أيام مونيخ لإلقاء القبض على هتلر. بدا ضالة المؤتمرين المنشودة. وللإتصال به وبفون فالكنهاوزن Von Falkenhousen الحاكم العسكري لبلجيكا. أرسل المؤتمرون هاسل في أواسط كانون الثاني ١٩٤٢. ولما كان السفير السابق ملاحقاً من قبل الگشتابو فقد موّه رحلته مستتراً بحجة قيامه بجولة إلقاء محاضرات على جماعات من ضباط الجيش وموظفي المناطق المحتلة في موضوع "الإمبريالية والمجال الحيوي". واختلى فيما بين المحاضرات (بفالكنهاوزن) في بروكسل وبـ(فيتزليبن) في پاريس، فوجد لديهما إستعداداً طيباً وبخاصة الأخير منهما.

كان (فيتزليبن) وهو في منفاه فرنسا بعيداً، في حين يخوض رفاقه الفيلدمارشالية في روسيا المعارك الطاحنة العظمى يتوق الى العمل والحركة. وصارح هاسل أن فكرة "العمل الانعزالي" خيالية (إيتوپية) والعمل المباشر لإسقاط هتلر هو الحل الوحيد، وإنه ليود أن يساهم فيه بدور رئيس. وربما كان خير وقت لتوجيه الضربة في صيف ١٩٤٢ عندما يبدأ الهجوم الألماني في روسيا. ولأجل التهيؤ لهذا اليوم، فهو يريد أن يكون على أحسن حال من الصحة ، ولذلك سيجري لنفسه عملية صغيرة جراحية تجعله لائقاً تماماً. ولسوء حظ الفيلدمارشال ورفاقه المؤتمرين كان لقراره هذا آثار سيئة على المؤامرة. كان (فيتزليبن) كفردريك الأكبر وكثير من الناس يشكو البواسير(٦). والعملية الجراحية لإستئصال هذا الداء المزعج المؤلم- هي عملية روتينية بسيطة جداً كما هو معروف. لكن عندما حصل فيتزليبن على إجازة مرضية قصيرة في الربيع لإجراء العملية، إنتهز هتلر الفرصة لإحالة الفيلدمارشال على قائمة شبه الإستيداع ونصب في محله (روندشدت)، الذي لم يكن على إستعداد للتآمر ضد (الزعيم) رغم المعاملة الدنيئة التي لقيها منه. وهكذا وجد المؤتمرون وقد عقدوا أملهم الأكبر في الجيش فيلدمارشالاً بلا جنود تحت إمرته. وليس يمكن انشاء نظام حكم جديد دون جنود. وأصيب زعماؤهم بخيبة مرّة وثبط عزمهم. إلا انهم ظلوا يجتمعون سراً ويتآمرون، رغم عجزهم عن التغلب على خيبتهم وسجل هاسل في نهاية شباط ١٩٤٢ بعد إجتماعات لاتحصى "يبدو أنه لايمكن عمل شيء لهتلر في الوقت الحاضر"(٧).

على انهم عملوا كثيراً في مجال تعديل آرائهم بخصوص نوع الحكم الذي يريدونه لألمانيا بعد الإطاحة بهتلر وبعد تقوية عزماتهم الخائرة والقضاء على ترددهم وتنظيم صفوفهم، بحيث يمكنهم السيطرة على الحكومة عندما يحين الوقت.

كان معظم زعماء المقاومة من طبقة المحافظين المتقدمين في السن. يريدون من جهةٍ إعادة ملوكية آل هوهنزلرن. لكنهم ظلوا زمنا طويلاً على خلافٍ في أي من أمراء هو هنزلرن سيُرفع الى العرش؟ وإختار (بوبيتز) وهو من زعماء المؤتمرين المدنيين ولي العهد السابق الذي يكرهه معظم المؤتمرين كراهة تحريم. وفضل شاخت إبن ولي العهد البكر الأمير ڤلهلم. وإختار (گويردلر) أصغر أبناء ڤلهلم الثاني: الأمير أوسكار أوف پروسيا. وإتفق الجميع على إستبعاد الأمير (اوگست ڤلهلم) إبن القيصر الرابع الملقب (آوڤي Auvi) لأنه نازي متعصب وقائد Gruppenfuehrer في الحرس الأسود.

وبحلول صيف ١٩٤١ وبعد مزيدٍ من الأخذ والرد إتفُق على أن خير المرشحين للعرش هو (لويس فرديناند) ثاني أبناء وليّ العهد(٨) وأكبر الباقين منهم في قيد الحياة. وكان له من العمر إذ ذاك ثلاثة وثلاثون عاماً قضى منها خمسةً يشتغل في مصانع (فورد) للسيارات في (ديربون) بأمريكا.

٦- كان الملك البروسي كثيراً مايشكو من آثار مرضه هذا، ويجده يعرقل صفاء تفكيره فضلاً عن فعالياته البدنية.
٧- هاسل: المرجع السالف ص ٢٤٣.
٨- مات الأمير ڤلهلم الإبن الأكبر متأثراً بجراحه في معارك فرنسا بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٤٠.

كذلك هو الآن مستخدم شغيل في خطوط (لوفتهانزا) الجوية. وكان يعطف على المؤتمرين ويتصل بهم. إعتبر هذا الشاب الرصين آليق آل هوهنزلرن. فهو يفهم القرن العشرين ذو نزعة ديمقراطية ذكي وفوق هذا فزوجته هي الأميرة كيرا Kira الغراندوقة الروسية السابقة – امرأة جذابة شجاعة رقيقة. على أن أهم ما وجد فيه المؤتمرون لمرحلتهم تلك– هو صداقته الشخصية للرئيس روزفلت، الذي كان قد دعاه وزوجه ليحل عليه ضيفين في البيت الأبيض بمناسبة شهر عسلهما بأمريكا في ١٩٣٨.

ولم يكن هاسل وفريق من جماعته متفقين تماماً على أن (لويس فرديناند) هو المرشح الأمثل، حتى انه وصفه في يومية عيد الميلاد بلهجة لاتخلو من التأفف والتبرم "أنه يفتقر الى كثير من المزايا التي تؤهله لمركزه المقبل". لكن هاسل لم يشأ الخروج عن إجماع الآخرين ووافق.

وإنصرف جلّ إهتمام السفير السابق الى طبيعة وشكل الحكومة الألمانية المقبلة. وكان في أوائل السنة التي سلفت قد صاغ منهجاً لمرحلتها المؤقتة بعد مشاورة الجنرال بيك وگويردلر وپوتينز ثم أجرى تنقيحاً فيه العام ١٩٤١[٩]. وعمل مسودة أخرى نصت على إطلاق الحرية الفردية ووضع السلطة العليا أثناء فترة الإنتقال وحتى سَنِّ الدستور الدائم بيد وصي على العرش، يمارس صلاحيات رئيس الدولة فيعيّن الحكومة ومجلس الدولة. إلا أن هذا كان ينم عن إتجاه الى السيطرة الفردية لم يعجب (گويردلر) وممثلي النقابات بين المؤتمرين، وإقترحوا بدل هذا إجراء إنتخابات عامة مباشرة "كي يتعزز نظام الحكم المؤقت بتأييد شعبي ويقدم الدليل على شكله الديمقراطي". لكن لما لم يكن ثمّ بديل آخر أفضل لمنهج (هاسل) فقد قُبل على العموم من حيث المبدأ الذي رسمه على الأقل، حتى إستُعيض عنه بمشروع أكثر تحرراً ودقة وضع في ١٩٤٣ بضغط وإلحاحٍ من حلقة (كرايساو) التي يتزعمها الكونت (هلموت فون مولتكه).

أخيراً إتخذ المؤتمرون في ربيع ١٩٤٢ قائداً للحركة بشكل رسمي. فقد إعترفوا كلّهم بالزعامة للجنرال بيك. ليس لذكائه ومتانة خلقه فحسب، بل لمكانته المحترمة بين الجنرالات وطيب إسمه في البلاد وسمعته في الخارج. على كل فقد بلغ بهم الإستقلال الفكري واختلال التنظيم حداً أنهم لم يسلموا له بالأمور فعلياً. وكان لفئة منهم كـ(هاسل) بعض شك في قابلياته مع شدة إعجابه واحترامه لرئيس هيئة الأركان العامة السابق. وكتب في يوميته قبيل عيد الميلاد ١٩٤١ "إن مشكلة بيك الأساسية هو أنه نظري جداً أو كما يقول عنه پوپتز: رجل تاكتيك حقاً، لكن بقليلٍ من قوة الإدارة". وقد تبيّن أن هذا الحكم لم يكن اعتباطياً واهي الأساس. إن ذلكم النقص في طبع الجنرال، ذلكم الإفتقار العجيب الى قوة الإدارة للعمل، قُدّر له أن يسبب مأساةً وكارثة بالأخير.

على كل حال، قرر المؤتمرون في شهر آذار بعد عدة إجتماعات سرية أن "بيك هو الذي سيمسك بالأعنة" حسبما كتب (هاسل)، وفي نهاية هذا الشهر كتب في يوميته "أُختير بيك رسمياً رئيساً

٩- نص أول مسودة كتبت في شهري كانون الثاني وشباط ١٩٤٠. هاسل المرجع السالف الص ٣٦٨- ٣٧٢. ونص المسودة الثانية نظمت في نهاية ١٩٤١. هويلر بينيت Nemesis.. الملحق – أ – الص ٧٠٥- ٧١٥.

لمنظمتنا"[١٠].

على أن المؤامرة بقيت ضبابية تحفّ بها الغيوم ويكتنفها جو الخيال الذي كان يغشى أنشط أعضائها. ولايسع المرء إلا أن يتبيّن ذلك من الأول من أحاديثهم الطويلة التي لاتنتهي، كما يمكن تتبعه في هذه المرحلة من المدونات التي خلّفوها. وقد علموا بإستعداد هتلر في ذلك الربيع لإستئناف هجومه في روسيا حال جفاف الأرض، وشعروا أن هذا سيؤدي الى غوص ألمانيا في الوهدة وإقترابها مسافة أخرى من الهاوية. فلم يفعلوا شيئاً رغم كثرة كلامهم. وفي ٢٨ آذار ١٩٤٢ جلس هاسل في بيته الريفي في (إيبنهاوزن Ebenhausen) وراح يدون في يوميته: "تحدثت في برلين في الأيام الأخيرة مع بيسن[١١] وبيك وگويردلر. الإحتمالات ليست طيبة جداً"[١٢]. واعجباه! كيف يمكن أن تكون "طيبة جداً" ولم يختطوا بعد سبيلاً للعمل الآن وحيث مازال ثم وقت!

كان هتلر هو الذي إختط وهو ذو الإرادة العنيفة في تنفيذ ما إختطه أثناء هذا الربيع الثالث للحرب.

- ٢ -

آخر الهجمات الألمانية الكبرى في الحرب

رغم أن الحماقة العظمى التي إرتكبها هتلر برفضه السماح للجيوش الألمانية في روسيا بالإنسحاب في الوقت المناسب قد أدت الى خسائر جسيمة في الرجال والمعدات. والى وهنٍ في عزيمة عددٍ كبير من القيادات العسكرية، ثم الى موقف كاد يهدد بالإنتهاء بالكارثة العظمى خلال الأسابيع القليلة من شهري كانون الثاني وشباط ١٩٤٢، فمما لايُنكر أن عزيمة هتلر التي لاتلين في الوقوف والصمود والقتال ساعدت أيضاً على وقف المد السوڤييتي، أما الباقي فقد حققته شجاعة الجنود الألمان التقليدية وشدة احتمالهم المأثور.

وما جاء يوم ٢٠ شباط إلا وكان الهجوم الروسي من البلطيق حتى البحر الأسود قد أطلق آخر سهمٍ في كنانته. وإنطفأت آخر جمرةٍ من ناره. في نهاية آذار حلّ موسم الطين الكثيف مصطحباً معه هدوءٍ نسبيّ خيّم على طول الجبهة الطويلة الملطخة بالدماء. كان الإعياء قد أدرك الخصمين. وكشف تقرير للجيش الألماني في ٣٠ آذار ١٩٤٢، أي ثمن غالٍ هائل دفعته حروب الشتاء: لم يعُد من مجموع

١٠- هاسل المرجع الص ٢٤٧- ٢٤٨.

١١- (ينس پيتر ييسن Jens Peter Jessen): أستاذ الإقتصاد في جامعة برلين هو واحد من مفكري الحلقة. أصبح نازياً مخلصاً خلال الفترة ١٩٣١- ١٩٣٣ وكان واحداً من مفكرين اصلاء قلائل في الحزب، ولم يلبث أنْ خاب أمله بعد سنة ١٩٣٣. وسرعان ما أصبح مناهضاً متعصباً للنازية. إعتقل بتهمة مساهمته في مؤامرة ٢٠ تموز ١٩٤٤ ضد هتلر وأعدم الحياة في سجن پلويتزنس Ploetzensee ببرلين في شهر تشرين الثاني ١٩٤٤.

١٢- المرجع السالف ص ٢٤٧.

(١٦٢) فرقة ميدان في الشرق غير ثماني فرق صالحة للإضطلاع بمهمات هجومية. ولم يعد من الفرق المدرعة الست عشرة غير (١٤٠) دبابة صالحة للإستعمال تتوزعها تلك الفرق الست عشرة فيما بينها. في حين كان الملاك الإعتيادي لكل فرقة مدرعة يزيد عن هذا العدد(١٣).

وفي حين راح الجنود يصيبون بعض الراحة ويعيدون تنظيم صفوفهم -(في الواقع قبل هذا بزمن طويل أثناء ماكانوا يتقهقرون في ثلوج أواسط الشتاء) إنهمك هتلر، الذي جمع الآن بين صفتي قائد الجيش العام والقائد الأعلى للقوات المسلحة، في رسم الخطط لهجوم الصيف القادم. ولم تكن اهدافه واسعةً طموحةً كأهداف السنة الماضية. وأصبح لديه من العقل ما يكفي ليدرك أنه لايستطيع تحطيم كل الجيوش الحمراء في معركة واحدة. في هذا الصيف سيركّز أكبر مجموعة من جيوشه في الجنوب ليفتح حقول نفط القفقاس وحوض الدونتز الصناعي، وحقول القمح في كوبان Kuban ويحتلّ ستالينگراد على الفولگا. وهذا من شأنه ان يحقق أهدافاً عديدة هامة:

سيحرم السوڤييت من البترول والمنتجات الصناعية وكثير من الاغذية مما هم في أمس الحاجة اليه. كما سيمنح الألمان في الوقت نفسه موارد النفط والغذاء التي لاتقل حاجتهم اليه عن السوڤييت.

قال هتلر للجنرال (پاولوس) قائد الجيش السادس السيء الحظ، قبل أن يبدأ هجوم الصيف بقليل "إن لم استول على نفط مايكوب Maikop وگروزني Grozny فعليّ انهاء هذه الحرب"(١٤).

وكان بإمكان ستالين أن يقول الشيء نفسه تقريباً، فهو أيضاً في مسيس الحاجة الى نفط القفقاس إن شاء مواصلة الحرب. ومن هنا جاءت أهمية (ستالينگراد). فإن إستيلاء الألمان عليها سيقطع آخر طريق رئيسٍ الى بحر قزوين من نهر الفولگا الذي يأتي به النفط الى روسيا الوسطى، طالما بقيت الآبار في حوزة الروس.

والى جانب حاجة هتلر الى البترول لتسيير دباباته وطائراته وسياراته، فهو ايضاً في حاجة الى الرجال ليسد الثغرات في الوحدات التي فقدت الكثير من ملاكها. اذ بلغ مجموع الخسائر الكلي في نهاية قتال الشتاء (١,١٦٧,٨٣٥) رجلاً ماعدا المرضى، وليس لديه مايكفي لسد النقص وجبر الخسائر. فإلتفتت القيادة العليا الألمانية الى حلفاء ألمانيا أو بالأحرى توابعها تستجدي منهم المزيد من الجنود. وأسرع (كايتل) في أثناء الصيف الى بوداپست وبخارست لينتزع من المجريين والرومانيين جنوداً... بل فرقاً كاملة لهجوم الصيف القادم. وقام گورنگ بمناشدة موسوليني لإرسال

١٣- "الحرب الألمانية في روسيا- خططها وعملياتها" ١٩٤٠- ١٩٤٢ [دائرة الجيش- واشنطن - ١٩٥٥] ص ١٢٠. هذه الدراسة مستندة بصورة عامة على سجلات بالجيش الألماني المستولى عليها. والتقارير الشخصية التي كتبها وأعدّها الجنرالية لقسم التاريخ في جيش الولايات المتحدة، وهي في وقت كتابة هذا التاريخ لم تكن ميسورة بصورة عامة للمؤرخين المدنيين. وعليّ أن اشير بأني مدين في إعداد هذا الفصل والفصول التالية الأخرى لدائرة رئيس قسم التاريخ العسكري التابعة للجيش. فقد كانت كثيرة المعونة لي في إطلاعي على الوثائق الألمانية.

١٤- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٧ ص ٢٦٠ (شهادة پاولوس في نورمبرگ). ملاحظة هتلر هذه، كانت في ١ حزيران. أيّ بعد مرور شهر فقط على بدء الهجوم.

قطعات إيطالية.

وصل گورنگ روما في نهاية كانون الثاني ١٩٤٢ ليستجدي نجدات إيطالية للجبهة الروسية. مؤكدا لموسوليني أن ١٩٤٢ سيكون عام القضاء على الإتحاد السوڤييتي. وإن بريطانيا العظمى ستلقي سلاحها في ١٩٤٢. ووجد تشيانو مارشال الرايخ السمين ذا الصدر المرصع بالأوسمة ثقيلاً لايطاق، وكتب في يومية ٢ شباط بعد قدومه بيومين "انه كالعادة منتفخ سمج المجلس". وإسترسل يقول: "غادر

> گورنگ روما، بعد أن تناولنا العشاء في فندق (إكسلسيور) وفي أثنائه كان حديثه قاصراً على الجواهر التي يملكها. في الواقع وجدت في أصابعه بعض الفتخات الجميلة... وفي طريقه الى المحطة وجدته يرتدي معطفاً سابغاً من فرو السمور، معطف يقوم وسطاً بين ما إعتاد سواق سيارات العام ١٩٠٦ ارتداءه، وبين ما تلبسه عواهر الطبقة العليا عند ذهابهن الى دار الأوبرا!(١٥)"

إن تفسخ الرجل الثاني في الرايخ الثالث وتحلله الخلقي كان ينحدر به إنحداراً سريعاً مطرداً!

وعد موسوليني گورنگ أن يرسل فرقتين إيطاليتين شريطة أن يجهزها الألمان بالمدفعية. إلا أن قلقه لهزائم حليفه في الجبهة الشرقية وصل حداً قرر معه هتلر أن الوقت قد حان لعقد إجتماع آخر ليشرح له كم هي ألمانيا قوية الآن.

وتم في يومي ٢٩ و٣٠ نيسان، في سالزبرگ، وأنزل الدوتشي وتشيانو وحاشيتهما في قصر كلسهايم Klessheim الفخم، الذي كان فيما مضى مسكن الأمراء الأساقفة. وقد اعيدت زخرفته بالستائر والمعلقات والأثاث والسجاجيد المستوردة من فرنسا. وشكّ تشيانو في أن الألمان "لم يدفعوا بهذه الأشياء أثماناً عالية". وتبين تشيانو علائم الإرهاق في سيماء الزعيم وكتب في يومياته: "إن اشهر الشتاء في روسيا قد حطت بثقلها على كاهله، واني أرى لأول مرة شعرات بيضاء كثيرة في رأسه"(١٦).

ثم وضعت الاسطوانة الألمانية المألوفة في الحاكي حول تقدير الموقف العام مشفوعة بتأكيدات هتلر وريبنتروب لضيوفه أن كل شيء على مايرام في روسيا وشمال أفريقيا وفي الغرب وماوراء البحار وباحا بسرهما عن الهجوم المقبل في الشرق وإستهدافه آبار نفط القفقاس.

"[قال ريبنتروب] عندما تفقد روسيا منابع نفطها ستخر صريعة وتلفظ أنفاسها الأخيرة. والبريطانيون... سيحنون رأسهم للأمر الواقع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من إمبراطوريتهم الممزقة...".

"أما أمريكا فهي (خدعة) كبيرة!"

١٥- تشيانو: يوميات (المرجع نفسه) الص ٤٤٢ - ٤٤٣.

١٦- واجه گوبلز هتلر قبل ذلك بشهر واحد في مقر قيادته وأعرب في يومياته عن الصدمة التي أصابته لما يشكو من أدواء "لاحظت أن الشيب إنتشر في شعره... قال لي أنه في حرب عوان مع نوبات عنيفة من الدوخة (الدوار)... الحق اقول ان حالة الزعيم باتت تقلقني هذه المرة". وأضاف يقول "إن لديه حساسية شديدة بدنية من الصقيع والثلج... والذي يقلق الزعيم ويعذبه أكثر من كل شيء في تلك البلاد أنها مازالت مكسوة ثلجاً". [يوميات گوبلز الص ١٣١- ١٣٧].

وكـان إنطبـاع تشـيـانو الذي راح يصـغي صـابراً إلى رقـمـه العكسي، هو أن الألمان هم الذين "يخادعون" بالمقارنة الى ما سوف تقوم به الولايات المتحدة في المرحلة الأخيرة. وهم في الحقيقة "يشعرون برعشة تنزل الى عمودهم الفقري" كلما أطلقوا عنان تفكيرهم في أجواء ما سيأتي.

وكالعادة، إنفرد (الزعيم) بمعظم الحديث.

"[كتب تشيانو في يومياته] هتلر يتكلم ويتكلم ويتكلم. وموسوليني يتعذب، فهو المعتاد الكلام نفسه، لايجد مناصاً من السكوت مرغماً. في اليوم التالي بعد الغداء وقول كل ما يلزم قوله، أنشأ هتلر يتكلم بدون إنقطاع، ساعةً وأربعين دقيقة بالضبط، وطرق كل المواضيع ولم يترك شيئاً فمن الحرب والسلم الى الدين والفلسفة، والفن والتاريخ: موسوليني يديم النظر الى ساعة يده بشكل آلي... والألمان هذا الشعب المسكين ملزم بسماع تلك الأقوال يومياً. اني لعلى يقين بأنه لاتوجد فيها فكرة أو ايماءة أو كلمة أو وقفة إلا وحفظوها عن ظهر قلب. بعد كفاح بطولي مرير ذهب الجنرال يودل ليصيب غفوة على أريكة، أما كايتل الذي قتله النعاس إلا أنه نجح في البقاء مرفوع الرأس، فقد كان قريباً من هتلر بحيث يتعذر عليه الإستسلام لسلطان النعاس..."(١٧)

بهذا السيل الدافق من الكلام- وربّما بسببه، حصل هتلر على وعد بالمزيد من (الغذاء) الإيطالي للمدافع الروسية في الجبهة الشرقية، ونجح هو وكايتل في دورتهما على الدول التابعة حتى قدرت القيادة العليا الآلمانية أنها ستحصل على (٥٢) فرقة حليفة متأهبة لنزال الصيف منها (٢٧) فرقة رومانية و(١٣) فرقة مجرية و(٩) فرق إيطالية وفرقتان سلوفاكيتيان وفرقة إسپانية واحدة. وهذا العدد هو ربع قوة المحور المختلطة في الشرق. وكان من بين الفرق الواحدة والأربعين الجديدة التي سيُعزز بها القسم الجنوبي من الجبهة حيث ستهوي ضربة الألمان الكبرى، واحدة وعشرون فرقة "أجنبية" موزعة هكذا: (عشر فرق مجرية وست إيطالية وخمس رومانية). ولم يكن هالدر ومعظم الجنرالات الألمان يريدون أن يقامروا بهذا العدد من الفرق الأجنبية في هذه الأهداف الهامة. اذ إن قابلياتها العسكرية هي في رأيهم موضع مساءلة بإختيار أخف التعابير. لكنهم قبلوا المساعدة بتردد بسبب نقص الرجال الألمان. وهذا القرار كان سيعزى اليه عما قريب - الكارثة التي تلت.

في ذلك الصيف ١٩٤٢ إرتفعت حظوظ المحور في المراحل الأولى. اذ حقق نصراً رائعاً في شمال أفريقيا، قبل بدء الوثوب على القفقاس والتقدم نحو ستالينگراد. فقد إستأنف الجنرال رومل هجومه ١٩٤٢ في الصحراء(١٨) وضرب ضربة سريعة خاطفة بـ(فيلقه الأفريقي Afrika Kosps)، المؤلف من

١٧- المرجع السالف الص ٤٧٨ - ٤٧٩.

١٨- على إثر سلسلة من المعارك الوحشية مع البريطانيين في شهري تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٤١، دُحرت قوات رومل وأُخرجت من قرناقة الى خط دفاع الأغيلة في حدودها الغربية. إلا أنه عاد بسرعته الضاغطة المعهودة في كانون الثاني ١٩٤٢، فإسترجع نصف الأرض التي فقدها بمعركة سريعة دامت سبعة عشر يوماً بلغتُ به الى (الغزالة) ومنها بدأ اندفاعه الجديد في نهاية أيار ١٩٤٢.

فرقتين مدرعتين وفرقة مشاة آلية واحدة وثماني فرقٍ إيطالية إحداها مدرعة. وسرعان ما أجبر جيش الصحراء البريطاني على التقهقر بسرعة الى الحدود المصرية.

وفي ٢١ حزيران إحتل طبرق مفتاح خطوط الدفاع البريطانية التي ظلت صامدة تسعة أشهر خلال ١٩٤١ حتى رفع التقدّم البريطاني الحصار عنها. وبعد يومين (٢٣ حزيران) دخل حدود مصر. وفي نهاية حزيران وصل (العلمين) التي تبعد (٦٥) ميلاً عن الأسكندرية ودلتا النيل. وبدا لكثير من ساسة الحلفاء وهم يبحلقون في الخريطة ألاّ شيء يردع روميل عن توجيه الضربة القتّالة للبريطانيين بإحتلال مصر، وإن أدركته النجدات فلا شيء يقف في طريق إندفاعه شمالاً للإستيلاء على حقول النفط العظيمة في الشرق الأوسط، ثم الزحف الى القفقاس للإلتقاء بالجيوش الألمانية في روسيا، وكانت قد بدأت حينذاك في تقدمها نحو هذا الأقليم من الشمال.

كانت لحظةً سوداء من أحلك لحظات الحرب بالنسبة الى الحلفاء ومن أعلاها قدراً للمحور. إلا أن هتلر كما رأينا – لم يكن يفهم قط الحرب ذات النطاق العالمي ولم يدرِ كيف يستثمر نجاح روميل المفاجيء في افريقيا. فقد منح قائد الفيلق الأفريقي المقدام عصا المارشالية، إلا أنه لم يبعث اليه بنجدات أو معدات(١٩).

كان هتلر بعد إلحاحٍ من رايدر وملاحقة من روميل قد وافق بتردد كبير على إرسال الفيلق الافريقي مع قوة جوية ألمانية صغيرة الى ليبيا في مبدأ الأمر، ولم يفعل ذلك إلا ليحول دون الإنهيار الإيطالي في شمال افريقيا لا لأنه رأى اهمية كبيرة في إحتلال مصر.

وكان مفتاح النصر جزيرة مالطة الصغيرة الواقعة بين صقلية وقواعد المحور في ليبيا. فمن هذه القلعة البريطانية كانت الطائرات والغواصات والسفن الحربية العائمة تحدث الدمار في السفن الإيطالية والألمانية التي تنقل الإمدادات والنجدات الى شمال افريقيا. في آب ١٩٤١ أغرقت هذه القاعدة ٣٥٪ تقريباً من إمدادات روميل ونجداته، وفي تشرين الأول ارتفعت النسبة الى ٦٣٪، وفي ٩ تشرين الثاني كتب تشيانو في مذكراته وهو كاسف البال: "منذ ١٩ أيلول، تركنا محاولة إرسال

> قوافلنا الى ليبيا. كل محاولة كنا ندفع فيها ثمناً غالياً... في هذه الليلة حاولنا مرة أخرى. أقلعت قافلة تتألف من سبع سفن بحراسة طرادين حمولة الواحد منها عشرة آلاف طن وعشر مدمرات. الكلّ – أعني كل سفننا، إبتلعه اليمّ. وعاد البريطانيون الى مراسيهم [في مالطة]

١٩– إن ترقية هتلر روميل الى رتبة الفيلدمارشال في اليوم التالي لإستيلائه على طبرق سببت لموسوليني "كثيراً من الألم"، لأنها كما قال تشيانو "أبرزت المجهود الألماني الغلاب للمعركة". وبادر الدوتشي حالاً الى السفر الى ليبيا ليغتنم بعض الأمجاد لنفسه معتقداً أن بإمكانه دخول الاسكندرية "في ظرف خمسة عشر يوماً"، كما ذكر تشيانو. وفي الثاني من تموز إتصل تلفونياً بهتلر "حول مستقبل الحكم السياسي في مصر" مقترحاً أن يكون روميل القائد العسكري العام، وان يُنصّب إيطالي بوظيفة "المقيم المدني". فأجاب هتلر بأنه لايرى الموضوع ملحاً بحيث يدعو إلى "قرار سريع". [يوميات تشيانو الص ٥٠٢ – ٥٠٤]. فيما بعد ذكر الجنرال فريتز بايرلاين رئيس أركان روميل "ان موسوليني كان ينتظر على أحرّ من الجمر في درنة [خلف الجبهة] حلول اليوم الذي سيقف على منصة التحية مستعرضاً دبابات المحور في ظلال الأهرام" [القرارات الحاسمة: فرايدن وريشاردسن ص ١٠٣].

بعد أن جَزَرونا جزراً!"[٢٠]

بعد تلكوءٍ، حوَّل الألمان عدداً من الغواصات الى البحر المتوسط من معركة الأطنطي وأرسل الى (كسلرينگ) أسراب من الطائرات إضافية لتعزيز قاعدته في صقلية. وهكذا فقد تقرر شل (مالطة) وتحطيم الأسطول البريطاني في شرق البحر المتوسط إن امكن وكان النجاح سريعاً. إذ ما جاءت نهاية ١٩٤١ حتى كان البريطانيون قد خسروا ثلاث بوارج ضخمة وحاملة طائرات واحدة، وطرادين وعدداً كبيراً من المدمرات والغواصات وإنسحب ما تبقى من أسطولهم الى القواعد المصرية. وقصفت الطائرات الألمانية (مالطة) قصفاً هائلاً ليلاً ونهاراً عدة أسابيع، وكانت النتيجة نجاح إمدادات المحور في الوصول الى غايتها (في شهر كانون الثاني لم يفقد منها طن واحد)، وتمكن رومل من رصّ صفوفه وتقويتها للإندفاع العظيم داخل مصر. وفي آذار كلم أمير البحر رايدر زعيمه للمصادقة على خطط هجوم رومل على النيل (عملية عائدة)، بله إحتلال مالطة نفسها بالجنود المظليين (عملية هرقل). ورُسم أن يبدأ الإندفاع من ليبيا في نهاية أيار، وان يكون موعد الهجوم الجوي على مالطة أواسط شهر تموز. لكن هتلر أرجأ في (١٥ حزيران) عملية غزو مالطة، حين كان رومل في اوج إنتصاراته الأولى. إذ لم يجد متسعاً للإستغناء عن الجنود والطائرات من الجبهة الروسية كما صارح رايدر. وبعد أسابيع قليلة أجّلَ (عملية هرقل) "مرة ثانية" بقوله يمكنها أن تنتظر حتى نهاية الهجوم الصيفي في الشرق. وإستيلاء رومل على مصر[٢١].

واوضح المشكل بقوله إن مالطة يمكن ابقاءها عاطلة خلال هذه الفترة بالقصف الجوي المتواصل. إلا انها لم تبق عاطلة. ودفع الألمان بعدئذ ثمناً غالياً لفشلهم في تعطيلها أو الإستيلاء عليها. اذ وصلت قافلة بريطانية كبيرة الى الجزيرة المحاصرة في ١٦ حزيران، بسلامٍ وإن فُقد عدد من القطع الحربية والشاحنات في سبيل المحافظة عليها. إن سلامة هذه الشحنة أعاد مالطة ثانية الى ميدان الجهاد. فقد أنزلت حاملة الطائرات الامريكية (واسپ Wasp) اليها أعداداً من طائرات (سپيتفاير) التي أسرعت بطرد قاصفات (اللوفتوافّه) من الأجواء، وشعر رومل بالوطأة حين صارت تغرق ثلاثة ارباع إمداداته منذ ذلك الحين.

وصل رومل العلمين بثلاث عشرة دبابة صالحة فقط[٢٢]. وكتب في مذكراته بتاريخ ٣ تموز "لقد إضمحلت قوتنا". حدث ذلك في وقت كادت الأهرام تلوح للغازي وخلفها الجائزة الكبرى: مصر والسويس! كانت هذه فرصة أخرى ضاعت. واحدةً من آخر الفرص التي أتاحتها له (عنايته الإلهية) وحظوظ الحرب المقبلة ففاتته.

٢٠- المرجع السالف الص ٤٠٣ -٤٠٤.
٢١- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٢ ص ٤٧ (مؤتمر برگهوف ١٥ حزيران)
٢٢- بحسب شهادة الجنرال (بيرلاين) بعد الحرب. وأغلب الظن أنه بالغ في خسارته. فالإستخبارات الحليفة تعطى رقم (١٣٢) لعدد دبابات رومل في تلك اللحظة.

-٣-

هجوم الصيف الألماني
في روسيا: ١٩٤٢

في نهاية صيف ١٩٤٢ بدا هتلر مرة أخرى وكأنه في قمة العالم. الغواصات الألمانية تغرق شهرياً ما تبلغ حمولته (٧٠٠٠٠٠) طن من السفن البريطانية والأمريكية في الأطلنطي. وهو نقص أكثر مما يمكن سده من إنتاج أحواض السفن الذي بلغ الذروة في كندا الولايات المتحدة وسكوتلاندا. ومع أن الزعيم كان قد جرد الجبهة في الغرب من معظم جنودها ودباباتها وطائراتها حتى ينهى الحرب مع روسيا. فلم يلح في هذا الصيف أيّ بارقةٍ بأن لدى البريطانيين والأمريكان القوة ما يكفي للقيام حتى بإنزال صغير في القنال. بل إنهم لم يخاطروا بإنزال في شمال غربي افريقيا الفرنسي. في حين لايملك الفرنسيون الضعفاء المنقسمون من قوات مايوقفون به أي هجوم إن خطر ببالهم المقاومة. وليس لدى الألمان أيّ شيء هناك خلا غواصات قليلة العدد وحفنة من الطائرات في إيطاليا وطرابلس.

عجزت البحرية البريطانية وسلاح الطيران عن منع مرور البارجتين شارنهورست وغنايزناو والطراد الثقيل (الأمير أوجين). عبر القتال الإنكليزي في وضح النهار ووصولها سالمة الى مرافئها من (بريست)[٢٣] وكان هتلر يخشى أن يحاول البريطانيون والأمريكان إحتلال شمال النرويج، ولذلك أصر على تسلل هذه السفن من بريست ليمكن إستخدامها في الدفاع عن مياه النرويج. وقال (لرايدر) في نهاية كانون الثاني ١٩٤٢ "النرويج هي منطقة المصير" ومن الضروري الدفاع عنها بكل ثمن. وقد ظهر فيما بعد ألاّ حاجة تدعو الى ذلك. لأن الانكلو- أمريكان كانوا يرسمون خططاً أخرى لقواتهم المحدودة في الغرب.

كانت فتوحات هتلر حتى أيلول ١٩٤٢ تبدو هائلةً للناظر اليها فوق الخارطة. فقد بات البحر المتوسط بحيرة محورية فعلاً، بوجود معظم الساحل الأفريقي الشمالي والأوروبي الجنوبي من اسبانيا الى تركيا، ومن تونس الى ما يبعد بخمسة وستين ميلاً عن النيل، في قبضة يد المحور. والواقع أن الجيوش الألمانية كانت تقف وقفة الراصد من رأس الأطلنطي في (بريست) الى مواطيء الفولگا الجنوبية على حدود آسيا الوسطى.

٢٣- وقع ذلك في يومي ١١و١٢ شباط ١٩٤٢، وبوغت به البريطانيون مباغتة تامة. ولم تجمع الا قوة ضعيفة من الطائرات والقطع البحرية في حينه لمهاجمة الأسطول الألماني، وكان العطب الذي أحدثته صغيراً. وعلّقت جريدة التايمس في لندن على ذلك بقولها "لقد نجح نائب الأميرال سيلياكس Ciliax [قائد عملية الإقتحام] من حيث فشل دوق مدينا سيدونيا Duke Medina Sidonia من قبل... لم يحدث شيء أخزى لكبرياء القوة البحرية في المياه الإقليمية مثل هذا، منذ القرن السابع عشر". [تقصد بالمقارنة ما حصل في العام ١٥٨٨ من عجز الأرمادا الإسپانية عن غزو إنگلترا].

وصل الجنود الألمان من الجيش السادس الى الفولگا شمال ستالينگراد في ٢٣ آب. وقبلها بيومين رفع علم الصليب المعقوف على جبل إلبروس Elbrus أعلى قمة في سلسلة جبال القفقاس (إرتفاعه ١٨٤٨١ قدماً) وإستُوليَ على أبار نفط (مايكوب) التي تنتج سنوياً مليونين ونصف مليون طن من البترول في ٨ آب، وإن وجدها الألمان قد دُمرت تدميراً كاد يكون تاماً. وفي ٢٥ منه وصلت دبابات (ڤون كلايست) الى مزدوك Mozdok، التي لاتبعد غير خمسين ميلاً عن مركز النفط السوڤييتي الرئيس حول (گروزني) ومائة ميل تقريباً عن بحر قزوين. وفي ٣١ منه كان هتلر يحث الفيلدمارشال (ليست) لحشد كل ما يستطيعه من قوات للإندفاع الأخير الى (گروزني) حتى "يضع يده على حقول النفط". وفي هذا اليوم الأخير من آب بدأ رومل أيضاً بهجوم لخرق خطوط دفاع العلمين، وهو شديد الأمل بالوصول الى النيل. ومع أن هتلر لم يرض قط عَما حققه جنراليوه. وقد طرد الفيلدمارشال فون بوك الذي قاد إندفاع الجنوب بكامله في ١٣ تموز، ودأب على شتم ومضايقة معظم جنراليه الآخرين فضلاً عن هيئة الأركان، لأن التقدم لايجرى بالسرعة المطلوبة كما كشفت يوميات هالدر- فإنه إعتقد أن النصر الحاسم أصبح على قاب قوسين منه. وأمر الجيش السادس والجيش المدرع الرابع بالإندفاع شمالاً على إمتداد الفولگا، بعد أن تمّت الإحاطة بـ(ستالينگراد) بحركة تطويق واسعة كانت ستمكنه بعدئذ من التقدم والتوغل في أواسط روسيا حتى موسكو من ناحية الشرق فضلاً عن ناحية الغرب. وأيقن بنهاية الروس وذكر هالدر عنه أنه كان في تلك اللحظة يتحدث عن التوغل بجزءٍ من قواته في إيران حَتى الخليج الفارسي[٢٤]. ولن يمر كثير من الوقت حتى يحقق الإتصال باليابانيين في المحيط الهندي. ولم يداخله الشك في تقرير الإستخبارات الألمانية المؤرخ ٩ أيلول، بأن السوڤييت إستخدموا كل إحتياطيهم على الجبهة كلها.

ووجد (رايدر) في حديث جرى معه في نهاية آب، أن افكاره إنصرفت عن روسيا، التي يعتبرها الآن على حد قوله "المجال الحيوي المحرم تماماً" على البريطانيين والأمريكان. ولن يلبث هؤلاء بدورهم أن يصلوا الى "حَد البحث في شروط السلم"[٢٥].

ومع هذا، فحتى المظاهر كانت خادعة مهما بدت آنذاك زاهرة، على حد قول الجنرال كرت زايتزلر Kurt Zeitzler. وكاد كل قادة الميدان فضلاً عن ضباط هيئة الأركان يرون ثغرات وعيوباً في الصورة الجميلة. ومن الممكن إجمالها بمايلي: الألمان لايملكون إحتياطياً وموارد في الرجال أو المدافع أو الدبابات اوالطائرات، ولا وسائل نقل يصلون بها اهدافهم التي اصرّ هتلر على وضعها. وعندما حاول رومل أن يوضح هذا لسيد الحرب بخصوص مصر. أمره هتلر أن يطلب إجازة مرضية يقضيها في جبال (سمرينگ Semmering). وحاول هالدر والفيلدمارشال ليست إقناعه بالموضوع نفسه، فطُردا من منصبيهما. كان بوسع أبسط الستراتيجيين الهواة أن يرى الخطر المتزايد على الألمان في جنوب روسيا،

٢٤- هالدر: "هتلر سيد الحرب الص ٥٠ - ٥١.
٢٥- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٢ ص ٥٣ (مؤتمر ١٦ آب في مقر قيادة هتلر).

عندما بدأت المقاومة السوڤييتية تشتد عنفاً وضراوة في القفقاس وقطاع ستالينگراد وموسم الأمطار الخريفية يدنو كان الجناح الشمالي للجيش السادس مكشوفاً بصورة خطيرة على طول خط الدون الأعلى بمسافة (٣٥٠) ميلاً من ستالينگراد الى (ڤورونيز Voronezh). وهنا وضع هتلر ثلاثة جيوش تعود للدول التابعة هي الجيش المجري الثاني جنوب (ڤورونيز) والجيش الإيطالي الثامن الى جنوبه. والجيش الروماني الثالث الى اليمين عند إنعطافة الدون غرب (ستالينگراد).

وبسبب العداء المستحكم بين الرومانيين والمجريين وضع الجيش الإيطالي بينهما حداً فاصلاً. وفي السهوب الواقعة جنوب ستالينگراد عسكر جيش دولة خاضعة آخر هو الجيش الرابع الروماني.

وبغض النظر عن قابليات هذه الجيوش المشكوك فيها. فهي سيئة التجهيز لاتملك سلاح الدروع والمدفعية الثقيلة والعجلات. زد على هذا أنها لم تكن منتشرة على العمق. وخطوطها خفيفة جداً. فكان الجيش الروماني الثالث يحتل جبهة طولها (١٠٥) أميال بتسعة وستين فوجاً لاغير! إلاّ أن هذه الجيوش الحليفة هي كل ما يملكه هتلر ولم يتيسر له وحدات ألمانية كافية لسد الثغرة، ولما كان يعتقد أن الروس قد (إنتهوا) حسب قوله لهالدر، فلم يساوره قلق زائد لامبرر له على جناح الدون الطويل المكشوف.

على أنه كان مفتاح بقاء كل من الجيشين السادس والرابع المدرع في ستالينگراد ومجموعه الجيوش الأولى في القفقاس. ولو إنهار جناح الدون لما إقتصر الأمر على وقوع القوات الألمانية في ستالينگراد تحت خطر التطويق، بل سيتعداه الى قطع خط الرجعة على تلك الجيوش المتوغلة في القفقاس. لقد قامر سيد الحرب النازي مرة أخرى ولم تكن مقامرته الأولى في هجوم الصيف.

ففي ٢٣ تموز والهجوم قد بلغ ذروته، قام بمقامرته الأخرى: كان الروس يتراجعون تراجعاً عاماً بين الدونيتز والدون الأعلى متقهقرين بسرعة نحو ستالينگراد شرقاً ونحو الدون الأسفل جنوباً. فوجب أن يُتخذ قرارٌ، هل يركز الألمان هدفهم في الإستيلاء على ستالينگراد وسد نهر الفولگا عن روسيا الوسطى؟ أو يوجهون ضربتهم الكبرى في القفقاس طلباً للنفط الروسي؟ في أيام الشهر الأولى أطال هتلر التفكير في المسألة ولم يقطع برأي. في الأول أغرته رائحة النفط وصرفته عمّا سواه، فعمد في ١٣ تموز الى سحب الجيش المدرع الرابع من مجموعة جيوش (ب) التي كانت مندفعةً نحو الدون بإتجاه ثنية النهر وستالينگراد تحتها. وبعث به لمساعدة الجيش المدرع الأول بقيادة كلايست للوصول الى الدون الأسفل قرب (روستوف)، ثم التوغل في القفقاس حتى آبار النفط. في تلك اللحظة ربما كان بوسع الجيش المدرع الرابع إقتحام ستالينگراد، التي كانت آنذاك بدون حماية على الأغلب ويسهل الإستيلاء عليها. وفي الوقت الذي أدرك هتلر غلطته كان الوقت قد فات والفرصة ضاعت، وهنا عقّد غلطته بدل تصحيحها. عندما نقل الجيش المدرع الرابع الى ستالينگراد ثانيةً بعد اربعة عشر يوماً كان السوفييت قد عباؤا قواهم وإستعادوا صفاء ذهنهم بحيث تمكنوا من صده، في الوقت الذي ترك سحبه من جبهة القفقاس (كلاسيت) في حالة من الضعف لم يستطع معها مواصلة زحفه نحو حقول

نفط گروزني [٢٦].

إن تحويل هذا الجيش المدرع الجبار الى الاندفاع نحو ستالينگراد كان نتيجة واحدة للقرار المصيري الذي اتخذه هتلر في ٣ تموز. إنّ قراره العنيد في الإستيلاء على كل من ستالينگراد والقفقاس في آن واحد خلافاً لنصح هالدر وقادة الميدان، الذين لم يعتقدوا بإمكان ذلك، ضمنه أمره التوجيهي الخامس والأربعين الذي ذاع صيته في تاريخ الجيش الألماني. اذ كان واحداً من أخطر حركات هتلر في الحرب. لأنّه آل بالأخير وفي وقت قصير جداً الى الفشل في تحقيق الهدفين معاً، وختم بأشنع هزيمة في تاريخ الحروب الألمانية. مؤكداً له أنه لن يربح الحرب وأن أيام الرايخ الثالث الألفي باتت معدودة".

إرتاع هالدر وصُعق! وكان ثم مشهد عاصف في (ڤيرڤولف Werewolf) مقر القيادة في الأوكراين قرب ڤينتسا Vinnitsa، حيث إنتقل هتلر في ١٦ تموز ليكون قريباً من الجبهة. أوضح رئيس هيئة الأركان العامة أن القوات الأصلية يجب أن تركز للإستيلاء على ستالينگراد، وحاول أن يشرح له أن الجيش الألماني بصراحة، لايملك من القوة ما يستطيع به أن يشن هجومين عظيمين في إتجاهين مختلفين. ولما رد هتلر بأن الروس قد (إنتهوا) حاول هالدر اقناعه بأن الحقيقة خلاف ذلك تماماً حسب تقارير إستخبارات الجيش نفسه.

"[كتب هالدر في يومياته ذلك المساء وهو في غاية الحزن] إن مواصلة الاستخفاف بإمكانات العدو تتخذ اشكالاً غريبة، وتصبح ذات خطورة. العمل الجدي بات مستحيلاً هنا. إن رد الفعل المرضي (الباثولوجي) لإنطباعات وقتية، وإنعدام كفاءة تام لتقدير المواقف وإحتمالاتها يضفى على هذا الذي يطلق عليه اسم (الزعامة) طابعاً خلقياً غريباً جداً".

وكان على رئيس هيئة الأركان العامة الذي أصبحت أيامه الآن معدودةً، أن يعود الى هذا المشهد ليكتب: "لم يكن في قرارات هتلر ما يصلها ببعيد أو قريب بمباديء الستراتيجية والحركات كما

> تواضعت عليها الاجيال السابقة. فهي نتاج طبع عنيف يطيع حوافز آنية لاتعترف بحدودٍ ما للإحتمالات، وتجعل من أحلام رغباتها أباً لأعمالها." [٢٧]

وقد قص هالدر فيما بعد حكاية عما دعاه في القائد الأعلى "داء زيادة تقدير قواه وجريمة التقليل من قوى العدو" قال: "في احدى المناسبات عندما قُرىء عليه تقرير موضوعي بنّاء، يظهر فيه إن

> ستالين مازال قادراً في ١٩٤٢ على تجريد جيوش يتراوح تعدادها بين المليون ومليون وربع

٢٦- أيد (كلاسيت) هذا لليدل هارت: "ان الجيش المدرع الرابع... كان بإمكانه الإستيلاء على ستالينگراد من دون قتال في نهاية تموز إلاّ أنه وُجه الى الجنوب لمساعدتي في عبور الدون. ولم أكن في حاجة الى معونته ولم يفعل إلاّ أن زحم عليَ الطرق التي كنت أستخدمها. وعندما نُقل الى الشمال ثانية "بعد أسبوعين، كان الروس قد حشدوا قوات كافية في ستالينگراد كفيلة بصد زحفه". وفي ذلك الوقت أدركت (كلايست) الحاجة الى هذه الدروع الإضافية. وأضاف يقول "وكان بإمكاننا الوصول الى هدفنا [نفط گروزني] لو لم تُسحب قواتي... للمساعدة في الهجوم على ستالينگراد (ليدل هارت: الجنرالات الألمان يتكلمون الص ١٦٩- ١٧١).

٢٧- هالدر المرجع السالف ص ٥٠.

المليون من الجنود الجدد في إقليم يقع شمالي ستالينگراد وغربي نهر الفولگا خلافاً لنصف مليون أخرى في القفقاس، ويقدم أدلة وشواهد على أن إنتاج روسيا من الدبابات المستخدمة في خطوط الجبهة يبلغ ألف ومائتي دبابة في الشهر على أقل تقدير. هجم هتلر على الرجل الذي كان يتلو التقرير بقبضتين مضمومتين والزبد يعلو شدقيه وصاح له منتهراً ومنعه من الإسترسال في قراءة مثل هذا الهراء الجنوني[٢٨]."

يقول هالدر: "إنك لاتحتاج إلى مواهب نبي لتتيقن ماذا سيحصل عندما يطلق هذا المليون ونصف المليون من الرجال ضد ستالينگراد وجناح الدون[٢٩]. لقد أوضحت ذلك لهتلر بكل جلاء. وكانت النتيجة عزل رئيس أركان الجيش العام".

حدث هذا في ٢٤ أيلول. وقبل ذلك (في التاسع منه)، عندما أخبره كايتل أن الفيلدمارشال (ليست) القائد العام لجميع الجيوش في القفقاس قد نُحي من منصبه، أدرك بأن الدائرة ستدور عليه الآن. فقد قيل له أن (الزعيم) أصبح موقناً بان هالدر "لم يعد كفواً نفسياً لمتطلبات منصبه". وفسّر هتلر هذا بتفصيلٍ وافٍ لرئيس أركانه عند مقابلتها الوداعية في الرابع والعشرين من أيلول.

"أنت وانا نعاني من تعب الأعصاب. ونصف إرهاقي العصبي أنت سببه. والأمر لايستحق الإستمرار فيه. إننا الآن بحاجة الى الحماسة القومية الإشتراكية لا الى كفاءة المحترفين. ولست أتوقع هذا من قائدٍ مثلك من المدرسة القديمة".

وعلّق هالدر على قوله هذا فيما بعد "لم يتكلم كسيد حربٍ مسؤول بل كسياسي متعصب)[٣٠].

وهكذا رحل (فرانز هالدر). لم يكن معصوماً من الأخطاء وهي مشابهة لأخطاء سلفه الجنرال بيك فكثيراً ما تختلط عليه الأمور ويضطرب فكره فتشلّ إراداته عندما يجدّ الجدّ ويحين دور العمل. ومع أنه كان يقف في وجه هتلر متحدياً في مواقف كثيرة دون تأثير يذكر، فقد كان أيضاً مثل سائر ضباط الجيش الآخرين الذين تمتعوا بالرتب العليا أثناء الحرب العالمية الثانية- فسايروه وظلوا زمناً طويلاً يخفضون له جناح الذل ويباركون له إعتداءاته الشنعاء وفتوحاته. ومع ذلك فقد ظل يحافظ على بعض فضائل العصر الأكثر تمدناً. وكان آخر رؤوساء هيئة الأركان من المدرسة القديمة، الذين رأسوا جيش الرايخ الثالث[٣١]. وقد إستخلف بالجنرال (كرت زايتزلر) وهو ضابط أصغر من طينة

٢٨- المرجع السالف ص ٥٢.

٢٩- يتحدث هالدر انه وقع آنذاك "بمحض الصدقة في الأوكرين، على كتاب ألّف حول دحر ستالين جيش الجنرال (دنكين Denikin) بين ثنية (الدون) وستالينگراد أثناء الحرب الروسية الاهلية. ويقول هالدر أن الموقف في ذلك الوقت كان شديد الشبه بموقف ١٩٤٢، وان ستالين إستغل ببراعةٍ "موقف (دنكين) الدفاعي الضعيف على إمتداد الدون". واضاف يقول "ومن هذا جاء السبب في تغيير إسم المدينة من "تسارتين Tsarityn" الى ستالينگراد.

٣٠- ان الاحاديث الواردة في المتن مقتبسة من كتاب هالدر ويومياته ومن كتاب "ستالينگراد" ص ٥٣ بقلم هاينز شرويتر Heinz Shroater.

٣١- لم يكن طرد هالدر خسارة للجيش الألماني فقط، بل خسارة لمؤرخي الرايخ الثالث ذلك لأن يومياته التي لاتقدر بثمن، إنقطعت إعتباراً من ٢٤ أيلول ١٩٤٢. ولقد جرى إعتقاله بعد ذلك ووضع في معسكر إعتقال (داخاو) مع =

أخرى، كان رئيس أركان روندشدت في الجبهة الغربية. وقد بقي في منصبه هذا، الذي كان يعتبر أعلى وأقوى منصبٍ في الجيش الألماني ولاسيما في الحرب العالمية الأولى، لايزيد عن خادم مكتبٍ للزعيم حتى محاولة إغتيال الدكتاتور في تموز ١٩٤٤[٣٢].

إن التغيير في رؤساء هيئة الأركان لم يغير من موقف الجيش الألماني الذي أوقف زحفه التوأم على ستالينگراد والقفقاس، بإشتداد المقاومة السوڤييتية لا غير. وإستمر قتال شوارعٍ وحشي داخل ستالينگراد طوال شهر كانون الأول. واحرز الألمان بعض التقدم من بناية الى أخرى ولكن بخسائر جسيمة جداً، ذلك لأن خرائب المدينة الكبيرة تتيح فرصاً كثيرة لدفاعٍ عنيد طويل الأمد – كما يعرف كل من خبر الحرب الحديثة وعانى أهوالها– وإستغل الروس ذلك وراحوا يقاتلون في سبيل كل شبر وكومة أنقاض قتالاً عنيفاً ويبلون أعظم البلاء. ومع أن هالدر وخَلَفَه أنذرا هتلر بأن عسكر ستالينگراد قد أدركه الإعياء. فقد اصرّ القائد الأعلى على التقدم. وزُجّت فرق جديدة في المعركة فما لبثت أن لتُطحن طحناً في جهنم مستعرة وتذوب.

وبدلاً من أن تكون ستالينگراد واسطةً لغايةٍ (تحققت الغاية عندما بلغت الوحدات الألمانية الضفاف الغربية لنهر الفولگا شمال المدينة وجنوبها وقطعت بذلك خط الملاحة النهري) فإذا بها تصبح غاية بحد ذاتها. والإستيلاء عليها صار عند هتلر هدفاً ومسألة سمعة شخصية. وعندما إستجمع (زايتزلر) ما يكفي من الشجاعة ليقترح على الزعيم وجوب إنسحاب الجيش السادس من ستالينگراد الى ساعد الدون نظراً الى الخطر المتزايد على الجناح الشمالي الطويل الممتد على ضفافه. ثارت ثائرة هتلر وصاح "حيثما يوضع الجندي الألماني، فهناك يبقى!"

ومع التقدم الصعب والخسائر الهائلة. أبلغ الجنرال (پاولوس) قائد الجيش السادس، (هتلر) عن طريق الراديو في ٢٥ كانون الأول أنه يتوقع إكمال إستيلائه على المدينة خلال فترة لاتتعدى العاشر من تشرين الثاني. فدفعه فرحه بهذا التأكيد الى إصدار أوامر في اليوم التالي تقضي أن يستعد الجيش السادس والجيش المدرع الرابع، الذي يقاتل الى جنوب المدينة للإندفاع نحو الشمال والجنوب على إمتداد نهر الفولگا حالما تسقط ستالينگراد.

ولم يكن هتلر يجهل الخطر الذي يتهدد جناح الدون فيوميات القيادة العليا تكشف بمالا ريب فيه أن هذا الموضوع كان يورثه قلقاً كبيراً. ولكنه لم يوله ما يستحق من جدٍ وإهتمام، فلم يفعل شيئاً

= سجناء مشاهير وشخصيات عالمية كشوشنگ وشاخت. وحررته القوات الأمريكية في نيدردوف جنوب التيرول في ٢٨ نيسان ١٩٤٥. ومنذ ذلك الحين حتى يوم كتابة هذا الكتاب وهو يتعاون مع الجيش الأمريكي في دراسات تاريخية عسكرية عن الحرب العالمية الثانية. وقد نوهت في محل ما من الكتاب بفضله على مؤلفي هذا لإجابته كثيراً من إستفساراتي ولإرشادي الى المصادر.

٣٢– كان الجنرال يودل المخلص والأمين للغاية، مدير العمليات في القيادة العليا في (وجار ذئب) هتلر حينذاك. وعارض في طرد هالدر والفيلدمارشال ليست. وسبّب دفاعه عنهما ثورة جائحة في نفس هتلر حتى أنه أبى مصافحة يودل أو تناول الطعام معه أو أيّ ضابط ركن أشهراً عديدة. وكان هتلر يهم بطرد (يودل) في نهاية كانون الثاني ١٩٤٣ وإحلال الجنرال پاولوس محله. لكن الأوان كان قد فات إذ سنرى أن پاولوس لم يكن ميسوراً وقتذاك.

لتفاديه. في الواقع أنه كان على ثقة تامة من سيطرته على الموقف، حتى انه ترك في آخر أيام تشرين الأول مقره في (ڤينيتسا) في الأوكرين مع كل ضباط أركان القيادة العليا والقيادة العامة للجيش وعاد إلى (وجار الذئب) في راشتنبرگ. لقد أقنع الزعيم نفسه فعلاً إنه لو شنَّ السوڤييت هجوماً شتوياً ما فسيكون موضعه في الجبهتين الوسطى والشمالية وبإمكانه أن يعالج الأمر بصورة من مقر في شرق پروسيا.

ما كاد يستقر هناك حتى وصلته نذر السوء من جبهة أخرى بعيدة، الفيلدمارشال رومل وفيلقة الأفريقي في مأزق.

-٤-

الضربة الأولى

"العلمين" والإنزال الانگلو- أمريكي

إستأنف "ثعلب الصحراء" كما أشتهر به عند الطرفين المتحاربين في الجبهة- هجومه على العلمين في ٣١ آب، وفي نيته تحطيم الجيش الثامن الإنگليزي والتوغل في مصر والإستيلاء على الاسكندرية ودلتا النيل. وحصلت معركة عنيفة في حرارة محرقة على إمتداد أربعين ميلاً في الصحراء بين ساحل البحر ومنخفض (القطارة). لكن رومل لم ينجح في مسعاه تماماً، وفي ٥ أيلول أوقف القتال ولجأ الى الدفاع. فبعد إنتظار طويل تسلم الجيش البريطاني في مصر تعزيزات قوية في الرجال والمدافع والدبابات والطائرات (عدد كبير من الصنفين الأخيرين جاء من أمريكا). كما وصله في ١٥ آب قائدان جديدان. جنرال غريب الأطوار إلا أنه موهوب إسمه (سير برنارد لوو مونتگمري Sir Bernard Law Montgomer)، الذي تسلم قيادة الجيش الإنگليزي. والجنرال (سير هارولد الكساندر Sir Harold Alexander) الذي برهن على براعة ستراتيجية وألمعية في الإدارة، وقد تسلم منصب القيادة العامة في الشرق الأوسط.

بعيد تقهقر رومل: عاد الى أوروپا لقضاء إجازة مرضية في (سيمرينگ) في الجبال الى جنوب (ڤيينا) مستشفياً من التهابٍ في أنفه وتضخم في كبده. وهناك إتصل به هتلر تلفونياً عصر ٢٤ تشرين الأول: - أي رومل! إن الأنباء من افريقيا تبدو سيئة. والموقف غامض بعض الشيء ويبدو ألاّ أحد يدري ما حَل بالجنرال شتومه Stumme[٣٣]. أتشعر بقابلية الرجوع الى أفريقيا وتسلم القيادة ثانية؟[٣٤]

٣٣- توفي الجنرال (شتومه) الذي كان نائباً لرومل في القيادة أثناء غيابه - بسكتة قلبية في أول يوم من الهجوم البريطاني، أثناء ماكان يفر سيراً على القدم في الصحراء من يدي دروية بريطانية كادت تأسره.

٣٤- اقتبسها الجنرال (بيرلاين) من أوراق رومل الخاصة. "القرارات الحاسمة: فرايدن وريشاردسن ص ١١٠".

ووافق (روملُ) على العودة رغم مرضه. ورجع حالاً.

وفي الوقت الذي وطئت قدماه مقره غرب العلمين في مساء اليوم التالي. كانت المعركة التي شنّها (مونتگومري) في مساء ٢٣ تشرين الأول (الساعة ٤٠ , ٩ ليلاً) كادت تنتهي. كان الجيش الثامن يملك عدداً كبيراً جداً من المدافع والدبابات والطائرات، ومع أن الخط الألماني الإيطالي ظل صامداً ورغم محاولات رومل اليائسة لنقل فرقه المشهمة لصد مختلف الهجمات بل حتى القيام بهجمات مضادة، فقد أدرك أن الموقف ميئوس منه إذ لم يكن لديه احتياطي في الرجال أو الدبابات أو البترول. وللمرة الأولى كان سلاح الجو البريطاني يسيطر على الجو سيطرة تامة وهو يدق عسكره ويصب القنابل على دباباته وما تبقى له من مخازن عتاد وتموين بلا رحمةٍ.

وفي ٢ تشرين الثاني إخترقت مشاة (مونتگمري) ودروعه خطوط العدو في القطاع الجنوبي من الجبهة، وبدأت تكتسح الفرق الإيطالية هناك. وفي ذلك المساء أرسل رومل رسالة راديو الى مقر قيادة هتلر في پروسيا الشرقية على مسافة ألفي ميل يقرّ فيها أنه لم يعد يستطيع بعد الصمود، وهو ينوي الإنسحاب في حين ما تزال الفرصة موجودة- الى (الفوكه) الواقعة على بعد أربعين ميلاً نحو الغرب. وقد بدأ ذلك عندما وصلته برقية مطولة في اليوم التالي من القائد الأعلى:

الى الفيلدمارشال رومل: "أنا والشعب الألماني نرقب معركتك الدفاعية البطولية في مصر بأخلص ثقة في مواهبك القيادية وبسالة القوات الألمانية - الإيطالية التي هي تحت إمرتك. ليس هناك أي بديلٍ عن الصمود والوقوف بثبات وعدم التراجع خطوة واحدة وقذف كل مدفع وكل رجل الى المعركة ... لايمكنك أن تظهر لجنودك أي مخرجٍ غير هذا الذي يؤدي إما الى النصر وإما الى الموت." أدولف هتلر(٣٥)

هذا الأمر الجنوني يعني في حالة إطاعته، الحكم على الجيوش الألمانية والإيطالية بالإبادة السريعة التامة. يقول بيرلاين Beyerlain تلك هي المرة الأولى التي يقع فيها رومل في حيرة ولايدري ماذا يفعل. وبعد نزاع قصير مع ضميره قرر- رغم إحتجاجات الجنرال (ريتر فون توما Ritter Von Thoma) القائد الفعلي للفيلق الألماني في افريقيا، الذي قال أنه سينسحب رغم كل شيء(٣٦)، قرر أن يطيع قائده الأعلى. وكتب بعدئذ في يومياته "قررت أخيراً أن ارغم نفسي على إتخاذ هذه الخطوة، لأني كنت أتطلب أنا نفسي من جنودي الطاعة العمياء دائماً، ولذلك رغبتُ في تطبيق هذا المبدأ على نفسي". إلا أنه علم فيما بعد أن ثمّ شيئاً أفضل من هذا، كما صرح في يومياته التالية.

أصدر رومل أمره بتردد، في إيقاف التقهقر وفي الوقت نفسه بعث برسول الخاص الى هتلر بالطائرة

٣٥- اقتباس بيرلاين للأمر: المرجع السالف ص ١٢٠.

٣٦- في اليوم الثاني (٤ تشرين الثاني) قال الجنرال فون توما لبيرلاين "إن أمر هتلر هذا هو جنون لايرقى اليه شئ. إني لا استطيع تحمل هذا بعد الآن"، ثم أرتدي بزة عسكرية نظيفة وثبت عليها كل شارات رتبته وأوسمته. ووقف بالقرب من دبابة محترقة حتى دنت منه وحدة بريطانية فإستسلم لها. وفي مساء ذلك اليوم كان يتناول الطعام مع مونتگمري في مقر قيادته.

محاولة منه لشرح الموقف، وبيان ضرورة السماح له بالتراجع حالاً وإلاّ سيقضى عليه. لكن الأحداث السريعة جعلت هذه الرحلة غير ضرورية. ففي مساء ٤ تشرين الثاني قرر (رومل) إنقاذ ما تبقى من قواته والإنسحاب الى (الفوكه) مخاطِراً بمثوله أمام مجلس عسكري. ولم يجر إنقاذ غير بقية ضئيلة من الدروع والوحدات الآلية. وترك الجنود المشاة واغلبهم إيطاليون في المعركة ليستسلموا الى العدو وهذا ما فعلوه.(٣٧)

وفي ٥ تشرين الثاني وصلت رسالة جافة من (الزعيم) "أوافق على سحب جيشك إلى موقع (الفوكه)، إلا أن مونتگمري كان قد إكتسح هذا الموقع بدباباته. وفي غضون خمسة عشر يوماً كان رومل قد انكفأ الى الخلف مسافة سبعمائة ميلٍ الى ماوراء بنغازي ببقية جيشه الافريقي- زهاء عشرين ألف إيطالي وعشرة آلاف ألماني وستين دبابة لا أمل لديه للوقوف حتى في هذا الموضع.

تلك كانت بداية النهاية لهتلر تلك أعظم ما ربحه أعداؤه من معارك حتى هذه اللحظة. إلا ان المعركة الثانية التي تفوقها أثراً بكثيرٍ كانت على وشك أن تبدأ في سهوب روسيا الجنوبية المغطاة بالثلوج. لكن قدّر للزعيم قبل بدايتها أن يسمع أنباء سيئة أخرى عن شمال أفريقيا، صوت نعي لمصير المحور الختامي في هذا الجزء من العالم.

لما بدأت التقارير الأولى عن كارثة رومل تتوارد، تسلم مقر قيادة هتلر في ٢ تشرين الثاني أنباء مفادها أن عمارة بحرية ضخمة حليفة، شوهدت وهي تتجمع في جبل طارق. لم يستطع أحد في القيادة العليا أن يتكهن بشيء عنها. ومال هتلر الى الظن بأنها لاتعدو أن تكون قافلة متجهة الى مالطة بحراسة شديدة. وكان الأمر غريباً يستوقف الفكر. إذ قبل ورود النبأ بأسبوعين (١٥ تشرين الأول) إجتمع رؤوساء أركان القيادة العليا لتبادل الرأي حول محتوي عدة تقارير تنبيء عن "إنزال انگلو أمريكي" وشيك في غرب إفريقيا. والظاهر أن مصدر المعلومات هو روما، لأن تشيانو كان قد كتب قبلها بأسبوعين (٩ تشرين الأول) خلاصةً في يومياته، لحديث جرى له مع رئيس الإستخبارات العسكرية السرية: "ان الانگلوسكسون يتهيأون لإنزال قوة في شمال افريقيا". هذه الأنباء اقضّت مضاجع تشيانو. وقد تكهن- مصيباً جداً كما اثبتت الأحداث- أن هذا الإنزال سيؤدي لامحالة الى هجوم حليف مباشر على إيطاليا.

ولم يأخذ هتلر هذه المعلومات الأولية مأخذاً جدياً وهو في إنشغال وهمومٍ لإستمرار الروس في مقاومتهم الجهنمية. وفي إجتماعٍ للقيادة العليا في ١٥ تشرين، إقترح (يودل) أن يسمح لحكومة (ڤيشى) الفرنسية بإرسال تعزيزات لشمال افريقيا حتى يتمكن الفرنسيون من صد أيّ إنزال انگلو - أمريكي. وتقول محاضر القيادة العليا أن هتلر رفض الإقتراح لأنه يضايق الطليان الشديدي الغيرة لأي مبادرة في تقوية الفرنسيين. ويظهر أن الموضوع تنوسي في مقر القائد الأعلى حتى الثالث من

٣٧- كانت خسائر رومل في العلمين (٥٩٠٠٠) بين قتيل وأسير وجريح، منهم (٣٤٠٠٠) ألماني، من أصل المجموع الكلي البالغ (٦٩٠٠٠) رجل.

تشرين الثاني. لكن في ذلك اليوم نفسه ورغم ورود تقارير من الوكلاء الألمان في الجزء الاسپاني من جبل طارق حول مشاهدتهم أسطولاً انكلوأمريكياً جباراً يتجمع هناك، فقد كان هتلر أكثر إنشغالاً بإيقاف تقهقر رومل في العلمين من أن يهتم بما توهمه مجرد قافلة إعتيادية لمالطة.

في ٥ تشرين الثاني أبلغت القيادة العليا أن قوة بريطانية بحرية منفردة قد خرجت من جبل طارق متجهة شرقاً، ولكن لم يفكر هتلر جدياً بالأمر إلا في صبيحة السابع من تشرين الثاني أيّ قبل بدء الإنزال الانكلو أمريكي في شمال افريقيا باثنتي عشرة ساعة. وأفادت التقارير الواردة الى مقره في شرق پروسيا قبل الظهر، أن قوة بحرية بريطانية في جبل طارق وعمارة نقل بحرية ضخمة وسفناً حربية من الأطلنطي قد إجتمعت كلها وإتجهت الى البحر الأبيض المتوسط. وجرت مناقشة طويلة بين ضباط الأركان والزعيم. ما معنى كل هذا؟ ما هو هدف هذا الأسطول الكبير؟ قال هتلر أنه يميل الآن الى الظن أن حلفاء الغرب يحاولون إنزالاً كبيراً بأربع فرق أو خمس في طرابلس أو بنغازي ليطبقوا على مؤخرة (رومل). وصرّح أمير البحر (كرانكه Krancke) ضابط الإرتباط البحري في القيادة العليا أنه لايمكن أن تزيد قوة العدو عن فرقتين كأعلى تقدير وحتى لو كان الأمر كذلك؛ فينبغي أن يتخذ إجراء ما. وطلب الزعيم إرسال نجدات فورية لسلاح الطيران الألماني في البحر المتوسط، فقيل له ان هذا محال في "الوقت الحاضر". وبحسب ما جاء في يوميات القيادة العليا، فكل ما فعله هتلر في هذا اليوم أنه أبلغ (روندشدت) القائد العام في الغرب، ليكون متهيأ لتنفيذ (انطون Anton) وهو الإسم الرمزي لعملية إحتلال بقية فرنسا.

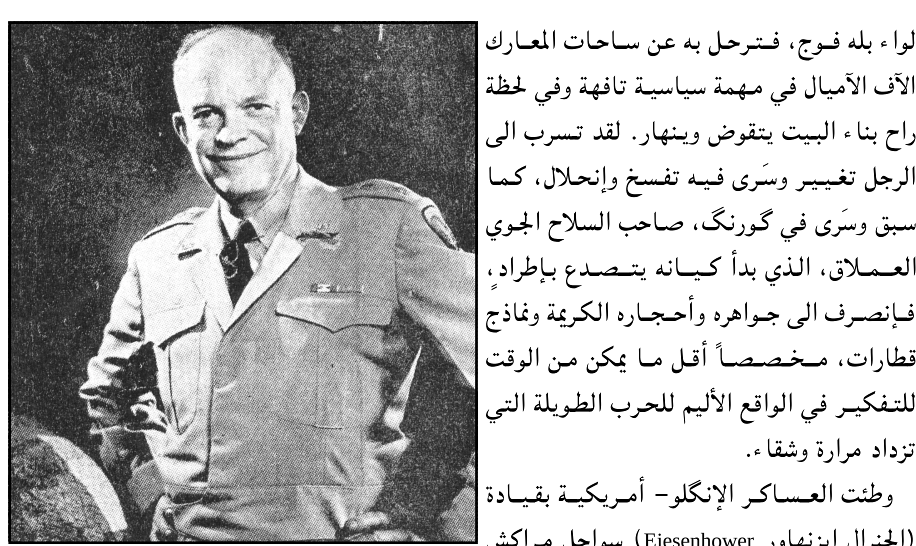
وبعد هذا كله نحّى القائد الأعلى عن رأسه أنباء السوء هذه، وورطة رومل الذي كان سيقع في الفخ ان نزل الإنكلوأمريكيون وراء ظهره. وآخر التقارير المنذرة بقرب قيام الروس بهجوم مضاد في الدون على مؤخرة الجيش السادس في ستالينگراد. نفض كل هذا من ذهنه وركب القطار بعد تناوله الغداء مسافراً الى مونيخ في ٧ تشرين الثاني، لإلقاء خطابه السنوي على رفاق حزبه القدماء المجتمعين للإحتفال بذكرى إنقلاب مشرب البيرة الفاشل![٣٨].

تغلبت الشخصية السياسية فيه على الشخصية العسكرية – كما قال هالدر– في أحرج لحظات الحرب. وترك مقر القيادة العليا في شرق پروسيا بعهدة مقدم يُدعى (فرايهر ترويش فون بوتلار براندنفلز Freiherr Treusch Von Butller-Brandenfels ورحل معه الجنرالان (كايتل ويودل) أقدم ضابطين في القيادة، للمشاركة في إحتفالات مشرب البيرة.

في هذه البادرة وأمثالها شيء غريب يستدقّ على الفهم. فلقد كانت تجتذب سيد الحرب الأعلى الذي أصرّ على إدارة الحرب بجبهاتها المترامية الأطراف الى حد تدخله المباشر على مستوى فرقة بله

٣٨– يستفاد من دفتر مواعيد هتلر المستولى عليه، أن محل الإحتفال نُقل من مشرب البيرة القديم، الذي حصل فيه الإنقلاب فعلاً الى مشرب بيرة أفخم في مونيخ عرف بإسم لويڤنبراوكللر Loewenbraukller. وذكر أن المشرب القديم كان قد خرّبته القنبلة الموقتة التي كادت تقضي على هتلر في ٨ تشرين الثاني ١٩٣٩.

لواء بله فوج، فترحل به عن ساحات المعارك الآف الآميال في مهمة سياسية تافهة وفي لحظة راح بناء البيت يتقوض وينهار. لقد تسرب الى الرجل تغيير وسَرى فيه تفسخ وإنحلال، كما سبق وسَرى في گورنگ، صاحب السلاح الجوي العملاق، الذي بدأ كيانه يتصدع بإطرادٍ، فإنصرف الى جواهره وأحجاره الكريمة ونماذج قطارات، مخصصاً أقل ما يمكن من الوقت للتفكير في الواقع الأليم للحرب الطويلة التي تزداد مرارة وشقاء.



آيزنهاور

وطئت العساكر الإنگلو- أمريكية بقيادة (الجنرال ايزنهاور Eiesenhower) سواحل مراكش والجزائر في الساعة ٣٠ . ١ بعد ظهر الثامن من تشرين الثاني ١٩٤٢. وفي الساعة ٣٠ . ٥ عصراً كان ريبنتروب يكلم تشيانو تلفونياً من مونيخ لإبلاغه النبأ: "[كتب تشيانو في يومياته] كان الإنفعال يغلب عليه وأراد أن يعلم ما نحن في سبيله. وأقرّ إني بعامل المفاجأة وبغلبة النعاس عليّ، لم أكن قادراً على إعطائه جواباً مرضياً".

وعلم وزير الخارجية الإيطالي من السفارة الألمانية أنّ الموظفين فيها "إنتابهم الفزع التام لهذه البليّة العظمى".

لم يصل قطار هتلر الخاص القادم من پروسيا الشرقية الى مونيخ إلاّ في الساعة ٤٠ . ٣ ظهر ذلك اليوم. وكانت التقارير الأولى التي تسلمها عن الإنزال الحليف في شمال افريقيا تبعث على التفاؤل[٣٩]. فالفرنسيون يبدون مقاومة عنيدة في كل مكان وفي مدينتي الجزائر ووهران، صُدت محاولات الإنزال كافة.

وفي الجزائر راح الأميرال (دارلان) وهو من أصدقاء ألمانيا ينظم الدفاع والمقاومة بموافقة الحكومة الفرنسية في فيشي. وكانت ردود فعل هتلر الأولى مشوشة. فقد أمر بتقوية حامية (كريت) البعيدة

٣٩- إن مصدر هذا وكثير غيره مما جاء في هذا الفصل حول مؤتمرات هتلر للقيادة العليا هو مايدعى بيوميات القيادة العليا التي دأب على تدوينها الدكتور هلموث كرانير Dr Helmuth Greiner حتى ربيع ١٩٤٣ وبعده تولاها الدكتور پرسي ارنست شرام Dr Percy Ernst Schramm حتى نهاية الحرب. اتلفت اليوميات الأصلية في أوائل أيار ١٩٤٥ بأمرٍ من الجنرال (ڤينتر Winter) معاون يودل. وأعاد گرانير بعد الحرب تنظيم الجزء الذي تولاه مستعيناً بذكرياته وملاحظاته الخاصة ومسوداته، ثم قدمها الى قسم التاريخ العسكري للجيش الأمريكي بواشنطن. ونُشر جزء من المواد في كتاب كرايز (١٩٣٩- ١٩٤٣ Die Obesste Wehrmacht uehring).



جيرو

جداً عن مرسح العمليات الحربية، بصورة عاجلة، متعللاً بأن هذه الخطوة مهمة للغاية بقدر أهمية إرسال نجدات الى افريقيا. وأمر الگشتابو بجلب الجنرالين (فيگان وجيرو)[٤٠] إلى فيشي ووضعها تحت المراقبة. وطلب من الفيلدمارشال فون روندشدت أن يشرع حالاً بعملية (أنطون)، على ألاّ يعبر خط الهدنة في فرنسا إلا بعد تلقي الأمر منه. ورجا من تشيانو[٤١] وبيير لافال، الذي هو الآن رئيس وزراء حكومة (فيشي) أن يقابلاه في مونيخ في اليوم التالي.

ظل هتلر أربعاً وعشرين ساعة يقلب في ذهنه فكرة محاولة عقد حلفٍ مع فرنسا لإدخالها في الحرب ضد أمريكا وبريطانيا ولتقوية عزم حكومة بيتان في الوقت الحاضر على مقاومة الإنزال الحليف في شمال افريقيا. ولعل ما شجعه على هذا إقدام بيتان على قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة في صباح يوم الأحد الثامن من تشرين الثاني. وبتصريح المريشال الفرنسي الشيخ للقائم بالأعمال الأمريكي: إن قواته ستقاوم الغزو الانگلوأمريكي. وتفصح يوميات القيادة العليا نهار الأحد "بأن هتلر منشغل الآن في مشروع "تعاون واسع النطاق مع فرنسا". وفي مساء اليوم نفسه قدم الممثل الألماني في فيشي (كروگ فون نِدّا Krug Von Nidda) اقتراحاً لبيتان بحلفٍ وثيق بين ألمانيا وفرنسا[٤٢].

وفي اليوم التالي، وبعد خطابه في رفاق الحزب القدماء وإعلانه "أن ستالينگراد هي الآن في قبضة الألمان المحكمة"، غيّر رأيه في الموضوع. وقال لتشيانو أنه لايشك في عزوف الفرنسيين عن القتال وأنه قرر "إحتلالاً كاملاً لفرنسا، وإنزالاً في (كورسيكا) ورأس جسر في تونس". وابلغ هذا القرار للافال - دون التوقيت - عندما وصل الى مونيخ بالسيارة في ١٠ تشرين الثاني. فبادر هذا الفرنسي الخائن يتعهد بإقناع بيتان الهرم الخرف بالمصادقة على هذه التدابير التي ينتوي هتلر تنفيذها برمتها.

٤٠- في تلك اللحظة كان الجنرال جيرو قد وصل الجزائر بعد فراره من معتقل اسرى الحرب. استقر في جنوب فرنسا حيث نقلته غواصة بريطانية في ٥ تشرين الثاني وجيء به الى جبل طارق للمداولة مع الجنرال ايزنهاور قبيل الإنزال.

٤١- كتب تشيانو في ٩ تشرين الثاني. "إتصل بي ريبنتروب ليلاً تلفونياً. إما أنا وإما الدوتشي، يجب أن نحضر الى مونيخ حالاً وسيكون لافال هناك ايضاً. فأنهضت الدوتشي ولم اجده متحمساً للسفر ولأنه لايشعر بمزاجٍ طيب. فسأذهب أنا".

٤٢- محاكمة بيتان Proce`s du Petain (باريس ١٩٤٥ - ص ٢٠٢ - شهادة لافال).

وترك لنا تشيانو وصفاً لرئيس حكومة فيشي الذي أعدم الحياة بعد الحرب بتهمة الخيانة.

"كان لافال برباطه الأبيض وبذلته الشائعة بين الفرنسيين الريفيين أبناء الطبقة الوسطى مظهراً نابياً في الصالون العظيم بين عدد كبير من البزات العسكرية. حاول الكلام بلهجة من عدم التكلف عن رحلته وغفوته الطويلة في السيارة. لكن حديثه لم يلق أذنا صاغيةً. كان هتلر يعامله بمجاملةٍ باردة..."

"المسكين، لايستطيع حتى أن يتصور الأمر الواقع - الذي سيضعه الألمان أمامه. لم تلفظ كلمة واحدة للافال حول العمل المنتوى- إلا أن الأوامر بإحتلال فرنسا كانت تصدر في حين جلس هو يدخن سيكارته ويتحدث الى مختلف الناس في الغرفة المجاورة. وأخبرني فون ريبنتروب بأنهم لن يبلغوا لافال إلا صبيحة اليوم التالي في الساعة الثامنة، سيقولون له أن هتلر بناءً على معلومات تلقاها أثناء الليل قد إضطر الى إحتلال شاملٍ للبلاد"(٤٣).

أُعطيت الأوامر بإحتلال بقية فرنسا عنوةً وخرقاً لإتفاقية الهدنة بشكل صريح في الساعة ٨.٣٠ من مساء يوم ١٠ تشرين الثاني. ونفذت في صبيحة اليوم التالي دون أيّ حادثٍ خلا الإحتجاج العقيم الذي قدمه المريشال بيتان. وإحتل الطليان كورسكا، وبدأت الطائرات الألمانية تنقل الجنود لإحتلال تونس، التي يسيطر عليها الفرنسيون قبل أنه تدخلها قوات آيزنهاور.

وكان ثم حادثة غدر هتلرية أخرى- نموذجية. في ١٣ تشرين الثاني أكّد هتلر لبيتان أن قاعدة الأسطول الفرنسي (طولون) ستبقى بمنجى من الإحتلال الألماني والإيطالي. وكان مرفأ طولون القاعدة البحرية التي لجأ اليها الأسطول الفرنسي وربط هناك منذ الهدنة .وقد جاء في يوميات القيادة العليا بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني أن هتلر قرر تنفيذ عملية "ليلا Lila" (زنبقة) بأسرع مايمكن(٤٥).

وهذا هو الأسم الرمزي لعملية إحتلال طولون والإستيلاء على الأسطول الفرنسي. وفي صبيحة يوم ٢٧ منه هاجمت قوات ألمانية الميناء، إلا أن البحارة الفرنسيين بأمرٍ من الأميرال دي لابورد De Laborde صمدوا في وجه المهاجمين ما يكفي من الزمن لإغراق السفن وهكذا خسر المحور الأسطول

٤٣- يوميات تشيانو الص ٥٤١-٥٤٢.

٤٤- من العدل أن نشير الى أن هتلر كان يشك شكاً قوياً - (ليس بدون مبرر) أن الأسطول الفرنسي قد يحاول الإقلاع الى الجزائر ويلتحق بالحلفاء، ومع صفقات الأميرال دارلان المشبوهة مع الألمان وبغضه الشديد للبريطانيين فقد شاءت الصدف أن يزور هذا الأميرال مدينة الجزائر في وقت الإنزال ليعود إبنه المريض، فأجبره ايزنهاور للخدمة هناك بمنصب قائد عام لشمال افريقيا لا لأنه الضابط الفرنسي الوحيد الذي يحتمل أن يقدر على حمل الجيش الفرنسي والأسطول على وقف إطلاق النار في وجه الإنزال الانكلوأمريكي فحسب، بل مؤملاً منه أن يقنع الأميرال القائد في تونس بمقاومة الإنزال الألماني في تونس، وكذلك لإستمالة الأسطول الفرنسي في طولون للهروب الى شمال افريقيا. فحاول دارلان ذلك ولكنه فشل. فقد تسلم من الاميرال دي لابوردك جواباً عن رسالته بسحب الأسطول من طولون الى افريقيا - في كلمة واحدة معبرةً ان لم نقل خشنة "Merde" (مرافعات بيتان). [يُقابل هذا عندنا تعبير: كل خرا]

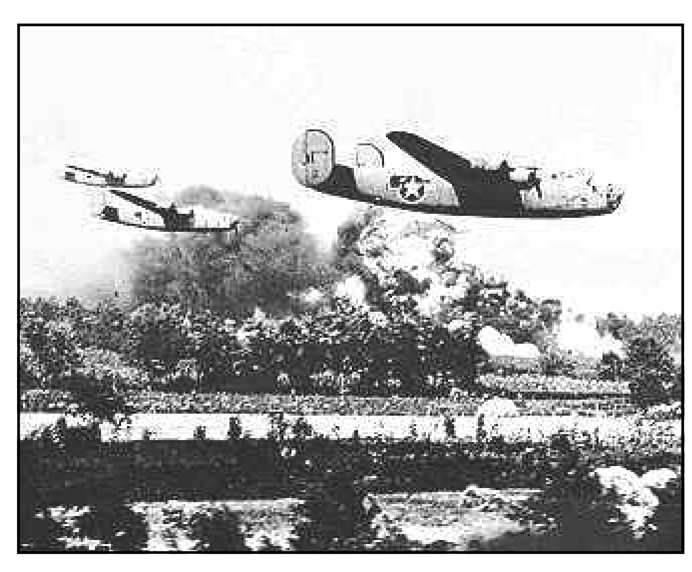
٤٥- يثبت الجنرال انرنهاور عددهم بما يناهز ١٢٥٠٠٠ من اصل المجموع الكلي البالغ ٢٤٠٠٠٠ جندي محوري. والباقي إيطاليون. وهذا الرقم قاصر على المستسلمين في أخر أسبوع من القتال (٥ - ١٢) أيار ١٩٤٣ [الحملة الصليبية في أوروبا ص ١٥٦].

الفرنسي، الذي كان بأمس الحاجة الى سفنه الحربية في البحر المتوسط. وحُرم الحلفاء منه أيضاً وكان لهم ذا قيمة لاتقدر.

وربح هتلر السباق مع ايزنهاور في إحتلال تونس، إلا انه كان نصراً مشكوكاً فيه. وبإلحاح منه تدفق ربع مليون مقاتل إيطالي وألماني لإحتلال رأس الجسر هذا. ولو أن الزعيم أرسل خمس هذه القوات والدبابات لرومل قبل أشهر قليلة، لكان ثعلب الصحراء الآن قد تخطى النيل على أغلب الإحتمال. ولما تمكن البريطانيون والأمريكان من الإنزال في شمال افريقيا. ولضاعَ البحر المتوسط نهائياً من يد الحلفاء لا محالة وضمن للمحور غطاءً واقياً لمايلي البطن من بدنهم. وكانت النتيجة أن كل جندي ودبابة ومدفع زجّ به هتلر في تونس ذلك الشتاء فضلاً عن بقية الفيلق الأفريقي ضاع كله في نهاية الربيع ووجد الجنود الألمان انفسهم يسيرون الى معتقلات الأسر بأعدادٍ أكثر مما استسلم منهم في ستالينگراد التي سنعود اليها الآن(٤٥).



آيزنهاور يتفقد جنوده



بي ٢٤ الأمريكية تقصف المواقع الألمانية

-٥-

القارِعة في ستالينگراد

كان هتلر وكبار جنرالات القيادة العليا للقوات المسلحة يستمتعون على رسلهم بمناظر برختسگادن الألبية الجميلة عندما بلغهم أول أنباء الهجوم السوڤييتي المضاد على جبهة الدون بعد بضع ساعات من بدئه في فجر التاسع عشر من تشرين الثاني وسط عاصفة ثلجية. ومع أن الهجوم السوڤييتي كان متوقعاً. إلا أن الإعتقاد الذي ساد (ق ع. ق م) انه لن يبلغ حداً من الأهمية بحيث يستدعي إستعجال هتلر ورؤوساء مشاوريه العسكريين ككايتل ويودل بالعودة الى المقر العام في شرق پروسيا بعد الخطبة الرنانة في مشرب البيرة (٨ تشرين الثاني) أمام الرفاق القدماء في مونيخ. ولهذا تسكعوا في اوبرسالزبرگ يستنشقون هواء الجبل المنعش. وقطع حبل راحتهم ودعتهم فجأة بنداء تلفوني مستعجل من الجنرال (زايتزلر) رئيس هيئة الأركان العامة الجديد. الذي بقي في (راستنبرگ) يحمل إليهم من الأنباء ماوصفتها يوميات القيادة العليا "بالمفزعة". في أول ساعات الهجوم إخترقت قوات روسية مدرعة عظيمة خطوط الجيش الروماني الثالث بين سيرافيموڤيج Serafimovich وكليتسكايا Kletskaya على الدون شمال غربي ستالينگراد. والى جنوب المدينة المحاصرة كانت قوات سوڤيتية جبارة أخرى تهاجم بعنفٍ شديد الجيش المدرع الرابع الألماني والجيش الرابع الروماني وتهدد بخرق جبهتهما.

الهدف الروسي واضح لكل شخص ينظر الى الخريطة وهو واضح بصورة خاصة لـ(زايتزلر)، الذي علم من الإستخبارات العسكرية بأن العدو قد حشد ثلاثة عشر جيشاً مدعمة بآلاف الدبابات في الجنوب لتحقيق الهدف. راح الروس الآن بشكل جليٍ يندفعون بقوةٍ هائلة من الشمال والجنوب لعزل ستالينگراد وارغام الجيش السادس الألماني هناك، إما على التراجع الى الغرب أو أن يجد نفسه مطوقاً. وقال (زايتزلر) فيما بعد أنه بعد أن تبين ما يحدث طلب من هتلر أن يسمح للجيش السادس بالتراجع من ستالينگراد الى ثنية الدون، حيث يمكن إعادة بناء الجبهة المخروقة هناك. إلا أن مجرد الإدلاء بهذا الإقتراح أسلم الزعيم الى غضب جائح.

صاح قائلاً: لن اترك الڤولگا! لن أنسحب من الڤولگا.

وكان الأمر كذلك. هذا القرار الذي إتخذه في نوبة من الانفعال أدى حالاً الى الكارثة. لقد أمر الزعيم شخصياً الجيش السادس بالصمود بشدة حول ستالينگراد[٤٦].

٤٦- رجعنا في إعداد هذا الفصل وإستمداد بعض المعلومات الى بحث الجنرال (زايتزلر) حول ستالينگراد. المثبت في "القرارات الحاسمة" نشرة فرايدن. والمراجع الأخرى هي "يوميات القيادة العليا الحربية" (أنظر هامش رقم (٢٢) أعلاه، كتاب هالدر، كتاب ستالينگراد، تأليف هانز شرويتر Hans Shroeter). وهو مراسلٌ حربي كان يرافق الجيش السادس. وإستطاع أن يتوصل إلى مدونات وبرقيات ورسائل الراديو للقيادة العليا ولمختلف أوامر العمليات =

عاد هتلر وهيئة أركانه الى مقر القيادة في ٢٠ تشرين الثاني. وفي ذلك الوقت: اليوم الرابع من المعركة كانت الأنباء سلسلة من الفواجع والبلايا. إلتقى الجيشان السوڤييتيان المندفعان من الشمال ومن الجنوب في كالاچ Kalach الواقعة على بعد أربعين ميلاً غرب ستالينگراد وعلى ثنية الدون. وفي المساء وردت برقية لاسلكية من الجنرال پاولوس قائد الجيش السادس يؤيد أن قواته الآن باتت مطوقة، وأسرع هتلر حالاً يرد الجواب طالباً منه أن ينقل مقر قيادة جيشه الى داخل المدينة ويتخذ خطة دفاع القنفذ. وسيموَّن الجيش السادس جواً حتى يُفك الحصار عنه.

كان هذا هراءً في هراء. فهاهنا الآن عشرون فرقة ألمانية وفرقتان رومانيتان معزولة في ستالينگراد. وأرسل پاولوس رسالة بالراديو يقول فيها أنهم يحتاجون إلى سبعمائة وخمسين طناً من المؤونة يومياً على الأقل، تقذف اليهم جواً وهو فوق طاقة القوة الجوية الألمانية بكثير لأنها تفتقر الى طائرات النقل، وحتى لو تيسر منها العدد الكافي فلن تفلح في الوصول بسبب الزوابع الثلجية، ولأنها تطير فوق منطقة حقق السوڤييت فيها التفوق بالطائرات المقاتلة. ومهما يكن فقد اكد گورنگ لهتلر أن القوة الجوية قادرة على إنجاز العمل لكنها لم تبدأ به.

كان إنقاذ الجيش السادس أكثر من عملية واقعية ذات إحتمالات مشجعة. وفي ٢٥ تشرين الثاني إستدعى هتلر الفيلدمارشال فون مانشتاين ألمع كلّ قادة ميدانه- من لیننگراد وأمرّه على تشكيلة مستحدثة لمجموعة جيوش جديدة. (جيش الدون) وكلف بواجب الإندفاع من الجنوب الغربي لإنقاذ الجيش السادس في ستالينگراد.

الا أن هتلر الآن فرض شروطاً جديدة على القائد الجديد فحاول مانشتاين إقناعه بأن أمل النجاح الوحيد هو أن يشق الجيش السادس طريقة عنوةً خارج ستالينگراد بإتجاه الغرب، في حين تندفع قواته يتقدمها الجيش الرابع المدرع من الشمال الشرقي وتضغط ضغطاً شديداً على القوات الروسية، التي تقع بين القوتين الألمانيتين. إلا أن هتلر عاد يرفض الانسحاب الفولگا. يجب على الجيش السادس أن يبقى في ستالينگراد وعلى مانشتاين أن يشق طريقه اليه داخل المدينة.

وحاول مانشتاين أن يبيّن له إستحالة ذلك. قال له أن الروس في غاية من القوة. ومهما يكن من أمرٍ، فقد شن (مانشتاين) بقلب مُثقلٍ بالهم، هجومه في ١٢ كانون الأول. وقد سمي بحق "عملية ريح الشتاء" حيث أن فورة الشتاء الروسي القصوى راحت الآن تسفع السهوب الجنوبية وتدفع الثلج جبالاً وتخفض درجة الحرارة الى ماتحت الصفر بكثير. وفي مبدأ الأمر أحرز الهجوم تقدماً جيداً. وكان الجيش الرابع المدرع بقيادة الجنرال (هوت) يندفع نحو الشمال الشرقي على جانبي سكة الحديد من

= الخاصة بقواد الميدان وخرائطهم المؤشرة وأوراقهم الخاصة بكل من كان منهم في ستالينگراد وخرج من المدينة قبل الاستسلام. وأوكل اليه كتابة القصة الرسمية للجيش السادس في ستالينگراد، على أساس وثائق القيادة العليا للقوات المسلحة. وقد منع الدكتور گوبلر نشر الكتاب. وانقذ (شرويتر) مخطوطته من عوامل الحرب وبدأ يواصل دراساته عن المعركة قبل أن يعيد كتابتها.

(كوتيلنكوفسكي Kotelnikovski) نحو ستالينگراد التي تبعد زهاء خمسة وسبعين ميلاً. وفي ١٩ كانون الأول أصبح على مسافة أربعين ميلاً من ضواحي المدينة الجنوبية، وفي ٢١ منه إقترب الى مسافة ثلاثين ميلاً. وبات جنود الجيش السادس المحصور يرون ليلاً وومضات إشارات مخابرات منقذيهم عبر السهوب المغطاة بالثلج.

في هذه اللحظة كانت محاولة الجيش السادس شقّ طريقه من ستالينگراد نحو الخطوط المتقدمة للجيش الرابع المدرع ستنجح على أكثر تقدير حسب ما شهد به الجنرالية الألمان فيما بعد. لكن هتلر منع ذلك مرة أخرى. وفي ٢١ كانون الأول إنتزع (زايتزلر) أذناً منه لجنود پاولوس أن يقوموا بحركة خرقٍ للحصار المضروب عليهم، "بشرط" أن يظلوا كذلك صامدين في ستالينگراد. يقول (زايتزلز) إن هذه الطُرْفة من الحماقة كادت تؤدي به الى الجنون...

وتحدث رئيس الأركان (زايتزلر) فيما بعد: "في مساء اليوم التالي رجوت هتلر أن يوافق على الهجوم لفك الحصار ونبهته إلى أنها فرصتنا الأخيرة في إنقاذ المائتي ألف رجل التي يتألف منها جيش پاولوس" .

"بقي هتلر مصراً، وعبثاً كان وصفي له الأحوال السيئة في داخل ما يسمي بالحصن: قنوط الجنود الجائعين، فقدانهم الثقة بقيادتهم العليا، الجرحى يلفظون آخر أنفاسهم لإفتقارهم الى العناية الطبية الصحيحة بينما يموت الالآف من ضربة الإنجماد. لكنه بقي لا يستجيب لهذه الحجج، كما لم يستجب للأخرى التي عرضتها قبلاً". ولم يتبق للجنرال (هوت) من القوة لقطع الأميال الثلاثين الباقية الى ستالينگراد فقد زادت مقاومة الروس له من القلب ومن الميسرة والميمنة. وإعتقد أن الجيش السادس في إندفاعه من المدينة قد يتمكن من الإتصال به، وعندئذ تشق القوتان طريقهما معاً منسحبتين الى (كوتلينكوفسكي). وهذا من شأنه إنقاذ حوالى مائتي ألف نفس ألمانية على الأقل(٤٧). وربما كان هذا ممكناً خلال يوم أو يومين (بين ٢١ و٢٣ تشرين الأول) لكن الأمر أصبح مستحيلاً بعد هذا التاريخ. إذ لم يدر (هوت) أن الجيش الأحمر قد شن هجوماً شمالياً، وبات يهدد الآن ميسرة كل مجموعة جيوش الدون بقيادة مانشتاين. وفي ليل ٢٢ تشرين الأول إتصل مانشتاين تلفونياً بـ(هوت) وأبلغه بأن يهيىء نفسه لأوامر جديدة خطيرة. وفي اليوم التالي تسلمها: عليه أن يتخلى عن زحفه نحو ستالينگراد ويدفع بإحدى فرقه المدرعة الثلاثة الى جبهة الدون شمالاً ويدافع عن نفسه حيث هو بما تخلّف له من قوات بأفضل ما يمكنه.لقد باءت محاولة فك الحصار عن ستالينگراد بالفشل.

جاءت أوامر مانشتاين المشدّدة نتيجةً للأنباء السيئة التي وصلته في ١٧ تشرين الأول. ففي صباح

٤٧- يقول الفيلدمارشال فون مانشتاين في مذكراته بعد الحرب: أنه في ١٩ كانون الأول أمر فعلاً الجيش السادس الألماني خلافاً لأوامر هتلر بالبدء بالخروج من ستالينگراد وشق طريقة الى الجنوب الغربي والإتصال بالجيش الرابع المدرع. ونشر نص الأمر. إلا أنه كان يتضمن بعض التحفظات. لكن پاولوس الذي لم يزل وقتئذ مرتبطاً بأوامر هتلر بألاّ يخرق الحصار، لابد وأن الإضطراب الفكري لم يتح له مجالاً لإتخاذ قرار. وقال مانشتاين "كان هذا أملنا الوحيد والأخير في إنقاذ الجيش السادس. [مانشتاين: النصر الضائع الص: ٣٣٦- ٣٤١، ٥٦٢-٥٦٣).

هذا اليـوم إختـرق جيش سـوفيـتي جبـهـة الجـيش الإيطالي الثـامن في نقطة بأعلى الدون قـرب بوگوشارBoguchar ، وفي المسـاء فتح ثغرة عمقها سبعة وعشـرون ميـلاً. ولم يمر على ذلك ثلاثة أيام حتى إنفتحت الثغرة بإمتداد تسعين ميـلاً، وأخذ الإيطاليـون يفرون فزعين مرتعبين أمام الجيش الروماني الثالث الى الجنوب، الذي كان قد أصابه ما أصابه من البلاء في أول يوم من الهجوم الروسي (١٩ تشرين الثاني). فقد راح الآن يتمزق ويتبعثر فلا عجب أن اضطر مانشتاين الى استعارة جزء من قوات (هوت) المدرعة لتساعده على سد الثغرة. وتبع ذلك رد فعلٍ متوالٍ.

لم يقتصر الأمر على تراجع جيوش الدون، بل تعداها الى قوات (هوت) التي كانت اقرب الجيوش الى ستالينگراد. هذا التراجع العام هدد بدوره الجيش الألماني في القفقاس. اذ كان سيقطع عليه خط الرجعـة اذا بلغ الروس (روسـتوف) وبحر آزوف (الأسود). وبعد عـيد الميـلاد بيـوم أو إثنين قـال (زايتزلر) لهتلر "إن لم تقم بسحب الجيش من القفقاس فسيكون عندنا ستالينگراد أخرى". وبعد ترددٍ أصدر القائد الأعلى الأوامر الضرورية في ٢٩ تشرين الثاني لمجموعة جيـوش (كلايست) الأولى المتألفة من الجيش الأول المدرع والجيش السابع عشر التي فشلت في مهمتها للإستيلاء على حقول نفط (گروزني). فبدأت هي الأخرى تقهقراً طويلاً بعد أن أصبح هدفها على مرأى منها.

هذه النكبات التي حاقت بالألمان في روسيا والإيطاليين والألمان في شمال افريقيا حركت موسوليني واسلمته الى التفكير. كان هتلر قد دعاه الى سالزبرگ في أواسط شهر كانون الأول. ووافق الدوتشي الخاضع الآن لنظام غذاء دقيق لعلّة يشكوها في معدته- على القدوم بشرط واحدٍ فقط: أن يتناول طعامه منفرداً، لأنه كما قال لتشيانو "لايريد أن يعرف كثير من الألمان الكواسر بأنه مضطر الى العيش على الأرز والحليب".

وقرر موسوليني أن الوقت قد حان ليشير على هتلر بأن يوقف خسائره عند حدّ في الشرق. بعقد صفقة ما مع ستالين وتركيز قوة المحور في الدفاع عن بقية شمال افريقيا والبلقان وغرب أوروپا، وقال لتشيانو "إن عام ١٩٤٣ سيكون العام المخصص للإنگلوأمريكان" .ولم يكن هتلر قادراً على مغادرة مقر قيادته الشرقي حتى يواجه موسوليني، ولذلك قام تشيانو بقطع المسافة الطويلة الى راشتنبرگ في ١٨ كانون الأول نيابة عنه، وأنهى اليه بمقترحات موسوليني. فإستحف بها هتلر وإزدراها، واكّد لوزير الخارجية الإيطالي أنه يستطيع إرسال قوات اضافية الى شمال افريقيا دون أن يلحق أي ضعف بالجبهة الروسية، وأيّد وجوب الصمود في افريقيا. ووجد تشيانو المعنويات الألمانية متدهورة في المقر العام رغم تأكيدات هتلر وثقته.

"الجو ثقيل. وإلى أنباء السوء أن نضيف كآبة تلك الغابة الكثيرة الرطوبة، والملل الناجم عن العيشة الإجتماعية في الثكنات... لم يحاول أحد أن يخفي عني ما يشعر به من شقاءٍ وألم بسبب أنباء إختراق الروس للجبهة. هناك محاولات مكشوفة لإلقاء اللوم علينا".

في تلك اللحظة بالذات كان الناجون الأحياء من الجيش الإيطالي الثامن على الدون بفرّون

بجلودهم. وعندما سأل واحد من حاشية تشيانو ضابطاً من ضباط القيادة العليا عما إذا كان الطليان قد تكبدوا خسائر فادحة، أُجيب: ليس ثم أيّ خسارة: انهم يركضون![٤٨]

وإن لم تكن القوات الألمانية في القفقاس والدون تركض هي الأخرى، فإنها كانت تبادر الى الخروج منهما بأسرع ما يمكن خوف التطويق وقطع المواصلات. وبدخول السنة الجديدة ١٩٤٣ كان كل يوم منها يبعدهم مسافة عنها. لقد حان وقت الروس الآن ليسلّطوا سيف القضاء المبرم على رؤوس الألمان المحصورين فيها. لكنهم أعطوا أولاً فرصةً للجنود القاطعين الأمل لإنقاذ أرواحهم.

في صبيحة اليوم الثامن من كانون الثاني ١٩٤٣، دخل ثلاثة ضباط من الجيش الأحمر يرفعون العلم الأبيض الخطوط الألمانية من مشارف المدينة الشمالية. وقدموا للجنرال فون پاولوس انذاراً من الجنرال (روكوزوفسكي Rokossovski) القائد العام للقوات السوڤييتية على جبهة الدون. فبعد أن ذكّره بان جيشه قد عزل وقطع عليه خط الرجعة. قال: "إن وضع عسكرك لا أمل فيه. فهو يعاني الجوع

والمرض والبرد والشتاء الروسي القاسي بالكاد بدأ الآن. ولن يلبث أن يأتي الجمد الصلب. والريح الصرّ الزمهرير، والأعاصير الثلجية. وعسكرك غير مزوّد بثياب الشتاء يعيش في ظروف صحية تعافها النفس وتتقزز منها ... إن وضعك يائس لا جدوى منه. وكل مقاومة أخرى إنما هي حماقة ومحض جنون... ونظراً الى ما تقدم (بيانه) وإجتناباً لسفك المزيد من الدماء نقترح عليكم شروط الإستسلام الآتية:..."

كانت شروطاً مشرفةً كريمةً: يعطي كل الأسرى "وجبات طعام إعتيادية" ويمنح المرضى والجرح والمصابون بضربة الصقيع العلاج الطبي المناسب. ويحتفظ كل الأسرى بشاراتهم ورتبهم وأوسمتهم وحاجاتهم الخاصة. ومنح پاولوس أربعاً وعشرين ساعة مهلةً للتفكير والجواب.

وبادر حالاً بإرسال نص الإنذار إلى هتلر بالراديو وطلب منه حرية العمل. فرفض رجاؤه رفضاً جازماً. وبعد مرور أربع وعشرين ساعة عن إنتهاء المهلة المعينة في الإنذار للإستسلام وفي صبيحة (١٠) كانون الثاني بدأ الروس بآخر صفحة من صفحات معركة ستالينگراد بقصف مدفعية الميدان. تصبها خمسة آلاف فوهة مدفع! كانت المعركة مرةً دمويةً، وقاتل الجانبان بشجاعة لاتُصدق، وبإقدام بلغ حد التهور والجنون فوق أرض متجمدة تتكدس عليها خرائب المدينة- ولكن ليس لأمد طويل. ففي غضون ستة أيام انكمش الجيب الألماني الى النصف وأصبح يشمل رقعة أرض طولها خمسة عشر ميلاً وعرضها تسعة أميال في اعمق جزءٍ منها. وبحلول يوم ٢٤ من الشهر قطعت هذه الأرض الى جزئين وفُقدت آخر محطة نزول جوي للحالات الطارئة. ولم يعد بالإمكان هبوط الطائرات، التي كانت قد جلبت بعض الأقوات والإمدادات ولاسيّما الادوية للمرضى والجرحى ونقلت (٢٩٠٠٠) حالة سريرية.

واعطى الروس عدوهم الشجاع فرصة أخرى للإستسلام. ووصل المبعوثون السوڤييت الى الخطوط

٤٨- يوميات تشيانو ص ٥٥٦. اورد مقترحات موسوليني في الصفحات ٥٥٥- ٥٥٦ وهي تطابق ما اوردته منها المصادر الألمانية: [يوميات حرب القيادة العليا بتاريخ ١٩ كانون الأول.

الألمانيـة في ٢٤ كـانون الثـاني. بعرض جديد. فناشد پاولوس (هتلر) وهو نهب ممزق بين واجبه في طاعة الزعيم المجنون، وبين إلتزامه بإنقاذ الأحياء من عسكره من إبادة تامة. قال له: "[من رسالة

بالراديو في ٢٤ كانون الثاني] الجنود لم يبق لديهم عتاد ولا طعام ... القيادة الفعّالة لم تعد ممكنة بعد الآن... ثمانية عشر ألف جريح بدون إسعافات أو أربطة أو أدوية أو غذاء... والمقاومة عبث لا طائل تحته. والإنهيار محتوم لا مفر منه. الجيش يرجو أذناً فورياً بالإستسلام لإنقاذ حياة العسكر الباقي."

واليك نص رد هتلر: "الإستسلام ممنوع. سيصمد الجيش السادس في مواقعه الى آخر رجلٍ وآخر طلقة. وبإحتمالهم البطولي سوف يقدمون هبةً لاتنسى في سبيل إنشاء جبهة دفاعية، وفي إنقاذ العالم الغربي."

العالم الغربي! إنها لجرعة مريرة يسقيها لرجال الجيش السادس، الذين حاربوا ضد هذا العالم نفسه، في فرنسا والفلاندرز، منذ زمن ليس بالطويل.

ولم تعد المقاومة عبثاً وجنوناً، بل مستحيلةً. وما راح كانون الثاني يدنو من نهايته حتى أخذ لهيب المعركة يتهافت ويضمَحل كبقية نار الشمعة المنتهية، يرتعش ثم يموت. وفي ٢٨ كانون الثاني أصبحت بقايا ماكان جيشاً عظيماً، مقطعة الى ثلاث أوصال صغيرة الجيوب. في الجيب الجنوبي كان الجنرال فون پاولوس قد جعل مقره في قبو من الأنقاض: كان قبلاً مخزناً كبيراً ملحقاً بالجامعة. وبحسب رواية شاهد عيان: جلس القائد العام على فراشه العسكري في زاوية معتمة وهو على شفا الإنهيار العصبي.

لم يكن لا هو ولا جنوده بمزاجٍ يصلح لتقبل سيلٍ من رسائل التهاني المرسلة عن طريق الراديو والتي بدأت تهطل عليهم من ألمانيا. وارسل گورنگ تهنئة بالراديو في ٢٨ كانون الثاني بعد قضائه جانباً كبيراً من الشتاء في إيطاليا المشمسة يخطر مختالاً بمعطفه الفرو ويعبث بجواهر أصابعه: "إن القتال

الذي خاضه الجيش السادس سيسجل في بطون التاريخ وستتكلم الأجيال القادمة بفخر وإعتزاز عن بسالة لانگمارك Langemorck، وعناد ألكازار Alcazar وشجاعة نارڤيك، والتضحية في ستالينگراد."

ولم يُصَبوا بفرحة أو إنتعاش عندما راحوا يسمعون إلى مارشال الرايخ السمين في المساء الأخير (٣٠ كانون الثاني ١٩٤٣) وهو يفرقع ويصخب في الراديو محيياً الذكرى السنوية العاشرة لتسلم النازيين أمور الحكم: "من الآن وللألف سنة القادمة سيتحدث الألمان عن هذه المعركة (ستالينگراد)

بإحترام وخشوع، وسيذكرون رغم كل شيء أن نصر ألمانيا النهائي قد تقرر هاهنا... سيقال في السنين القادمة الكثير عن المعركة البطولية على ضفاف الفولگا: عندما تأتي ألمانيا قل إنك وجدتنا نثوي في ستالينگراد حيث اوجب علينا شرفنا وزعيمنا أن نفعل في سبيل مجد ألمانيا الأعظم".

إن مجد الجيش السادس وساعات إحتضاره الفظيعة الأخيرة بلغت الآن نهايتها. في ٣٠ كانون الثاني أرسل پاولوس رسالة أخرى لهتلر بالراديو "لايمكن تأخير الإنهيار النهائي أكثر من أربع وعشرين ساعة".

ودفعت الرسالةُ القائد الأعلى إلى أن يُمطر الترقيات على الضباط المنتهي أمرهم في ستالينگراد، مؤملاً كما يظهر أن يقوي هذا التكريم من عزائمهم ليموتوا موتاً شريفاً في مواضعهم الدموية. قال هتلر ليودل "لم يذكر التاريخ العسكري الألماني أن فيلدمارشال ألمانيا أُخذ اسيراً". ثم بادر تواً الى الراديو ليمنح (پاولوس) عصا المرشالية المشتهاة. وقفز (١١٧) ضابطاً الى رتب أعلى. ولم تكن إلا صحوة موتٍ.

وكانت النهاية نفسها فريدة في بابها. ففي ساعةٍ متأخرةٍ من آخر يوم لكانون الثاني بعث (پاولوس) برسالته النهائية الى المقر العام.

"إن الجيش السادس، براً منه بقَسَمه وإرضاءً لضميره وبعلمٍ بأهمية رسالته السامية صمد في مواقعه الى آخر رجل وآخر طلقة لأجل الزعيم والوطن، حتى النهاية".

وفي الساعة ٧.٤٥ مساءً أرسل عامل الراديو في مقر قيادة (پاولوس) آخر رسالة له "الروس على باب ملجأنا. فنحن نتلف معداتنا"، ثم ذيّلها بالحرفين المتفق عليهما دولياً (L.C) ومعناهما "هذه المحطة لن ترسل بعد الآن".

كان ثمّ قتال آخر لحظةٍ في مقر القيادة. إلا أن پاولوس وضباط أركانه لم يصمدوا الى آخر رجل. فقد دخلت وحدة من الجيش الأحمر يقودها ضابط صغير في جحر القائد العام المعتم.

ومدّ الضابط رأسه من الثقب طالباً الإستسلام فوافق الجنرال (شميدت Schmidt) رئيس أركان الجيش. وكان پاولوس جالساً على فراشه كئيباً كاسف البال عندما وجه شميدت كلامه اليه: "ايسمح لي الفيلدمارشال بالسؤال عما إذا كان يوجد ما يقال بعد؟".

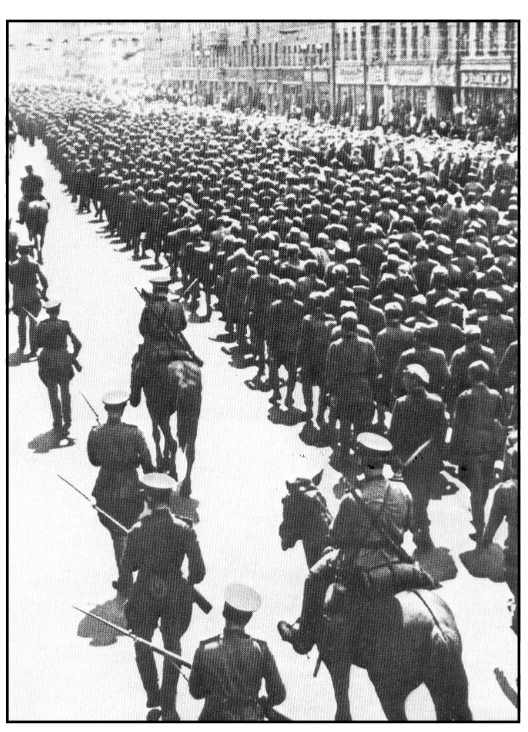
كان (پاولوس) اشدّ إعياءً من أن يقوي على الإجابة.

الى الشمال بقليل استمر جيب ألماني صغير- يتضمن كل ما تبقى من فرقتي الدروع وفرقة المشاة الثالثة- في القتال داخل خرائب معمل جرارات زراعية. وفي (١) شباط تسلم رسالةً من مقر قيادة هتلر: "الشعب الألماني ينتظر منكم تأديه واجبكم كما فعل تماماً الجنود الذين صمدوا في الحصن الجنوبي. كل يوم وكل ساعة تطليون لها القتال ستساعد على تسهيل بناء جبهة جديدة".

وقبيل ظهر اليوم الثاني من شباط تم إستسلام هذا الجيب بعد إرساله آخر رسالة الى القائد الأعلى... "لقد جرى القتال الى آخر رجل ضد قوات متفوقة تفوقاً ساحقاً. عاشت ألمانيا!"

اخيراً ساد السكون على ساحة تلك المعركة المغطاة بالثلج والملطخة بالدماء كالمسلخ. وفي الساعة ٢.٤٦ من بعد ظهر يوم (٢) شباط حلقت طائرة إستطلاع ألمانية عالياً فوق المدينة وأرسلت رسالة الراديو التالية: لاأثر للقتال في ستالينگراد".

وفي أثناء ذلك كانت تتعثر فوق الثلج والجمد صفوف واحدٍ وتسعين ألف أسير ألماني بينهم أربعة وعشرون جنرالاً. نصف جياع، ضربهم الصقيع، وأكثرهم جرحى، يشدون على جسومهم وفوق رؤوسهم بطانيات جَفت فوقها الدماء. وفي درجة حرارة تشير الى الأربع والعشرين تحت الصفر، راحوا يسيرون مترنحين إلى معتقلات الأسر المنجمدة الموحشة في سيبيريا. وبإستثناء عشرين ألف رجل روماني، وتسعة وعشرين ألف جريح تم اخلاؤهم جواً، فهذا كل ما بقي من الجيش الفاتح الذي كان يعد مائتين وخمسة وثمانين الفاً قبل شهرين فقط. اما الآخرون فقد ذبحوا ذبحاً. وهؤلاء الواحد والتسعون ألف ألماني الذين بدأوا مسيرتهم الشاقة إلى الأسر في يوم الشتاء هذا، لم يُقدر إلاّ لخمسة آلافٍ منهم فقط رؤية أرض الوطن ثانية(٤٩).



الأسرى الألمان - موسكو

وبالعود الى مقر القيادة الجيد التدفئة في پروسيا الشرقية. فإننا نجد سيد الحرب النازي، الذي كان عناده وحماقته مسؤولين عن هذه النكبة - يسلق جنرالات ستالينگراد بلسانه السليط ويمضي في هجائهم لأنهم لم يعرفوا كيف يموتون ومتى يموتون.

وقد وصل إلينا المؤتمر الذي عقده في (ق ع. ق م) مع جنرالاته في الأول من شباط. ومنه القي ضوء على طبع الدكتاتور الألماني في هذه الفترة العصبية من حياته ومن حياة جيشه وبلاده.

"لقد استسلموا هناك إستسلاماً رسمياً مطلقاً. وإلا لضموا صفوفهم ضماً وشكلوا دفاعاً قنفذياً وبخعوا أنفسهم بآخر إطلاقه لديهم... ذاك الرجل (پاولوس) كان المفروض فيه أن يبخع نفسه كالقادة في الزمن الغابر الذين ألقوا بأنفسهم على نصال سيوفهم عندما وجدوا الأمر مقضياً ... حتى فاروس Varus، أصدر أمره لعبده قائلاً: "والآن اقتلني!"

٤٩- بحسب الأرقام التي نشرتها حكومة بون في ١٩٥٨، فقد مات عددٌ كبير من الأسرى أثناء إنتشار طاعون التيفوس في الربيع التالي.

وأصبح حقد هتلر على (پاولوس) لإيثاره الحياة، يقطر سُماً زعافاً وهو يسترسل في شكواه: "تصوروا الأمر- سيؤتى به الى موسكو- ولكم أن تتخيلوا ذاك الجرذ الذي أطبقت عليه المصيدة هناك سيضع توقيعه على كل شيء، سيدلي بإعترافات، سيذيع تصريحات- وسترون سينحدر الى مستوى الإفلاس الروحي إلى أسفل دركٍ منه ... سترون- لن يمر أكثر من أسبوع وستسمعون سيدليتز Litz Seyd وشميدت حتى پاولوس- من الراديو[٥٠]. سيوضعون في (ليوبلانكا Liublanka) وهناك ستأكلهم الجرذان. كيف يمكن أن يصل المرء الى هذه الدرجة من الجبن؟ اني لا أفهم.... ماهي الحياة؟ الحياة هي الوطن. والفرد مصيره الموت بأي شكل ومهما تعددت الأسباب. ووراء حياة الفرد يقف الوطن. لكن كيف يمكن لأي انسان أن يخشى هذه اللحظة لحظة الموت التي سيحرر بها نفسه من هذا الشقاء إن لم يربطه واجبه بهذا الوادي وادي الدموع! لا! ... سيموت عدد كبير من البشر، ثم يأتي رجل كهذا ليلطخ بالعار بطولة هذا العدد الكبير من الآخرين في آخر لحظة. بإمكانه أن يحرر نفسه من كل الآلام ويصعد الى اجواء الخلود، والذكرى الوطنية الباقية، إلا انه فضّل الذهاب الى موسكو!.... إن ما يورثني من الألم أشده، وبصورة شخصية هو ترقيتي إياه الى رتبة الفيلدمارشال. أردت أن اقدم اليه آخر ترضية ومطمح، ألا فليكن آخر فيلدمارشال أعينه في هذه الحرب. عليك ألاّ تحصي دجاجاتك قبل أن تفقس."[٥١]

ثم تلا ذلك حديث موجز بين هتلر والجنرال (زايتزلر) حول كيفية إذاعة نبأ الإستسلام للشعب الألماني. وفي ٣ شباط، بعد مرور ثلاثة أيام على التسليم نشرت (ق م. ق ع) بلاغاً خاصاً:

"انتهت معركة ستالينگراد. إن الجيش السادس ظلّ أميناً على قسمه بالقتال الى آخر نفس وتحت قيادة الفيلدمارشال پاولوس المثالية، قد تغلب عليه تفوق العدو الساحق والظروف غير المواتية التي إكتنفت قواتنا".

وسبق تلاوة البلاغ من راديو ألمانيا. قرعات طبول مختنقة ثم عزفت الحركة الثانية من سمفونية (بيتهوفن) الخامسة. وأعلن هتلر أربعة أيام حداد وطني. أُغلق فيها كل المسارح والسينمات والنوادي وصالات الرقص.

وكتب (ڤالتر كويرلتز) المؤرخ الألماني في كتابه عن "تاريخ هيئة الأركان" "كانت ستالينگراد (يينا) ثانية وهي لاشك أشنع هزيمة مني بها الجيش الألماني[٥٢]، إلا أنها كانت أكثر من ذلك. فبإقترانها مع (العلمين) والإنزال الانگلوأمريكي في شمال افريقيا. تقوم بمثابة نقطة التحول الكبرى

٥٠- كان هتلر مصيباً في تكهناته إلا بخصوص الوقت. ففي تموز الصيف التالي أصبح (پاولوس وسيدليتز) قائدي ما اطلق عليه "اللجنة الوطنية لألمانيا الحرة. وأخذا يذيعان من راديو موسكو نداءات الى الجيش للإطاحة بهتلر.

٥١- فيلكس غبلرت Filerx Gilbert "هتلر يقود حروبه" الص ١٧- ٢٢. هذا ختام لأحاديث هتلر المأخوذة بالاختزال في مؤتمراته الحربية للقيادة العليا. ولسوء الحظّ لم يبق إلاّ جزء صغير من هذه المدونات.

٥٢- گويرلتز: تاريخ هيئة الأركان العامة الألمانية، ص٤٣١.

في الحرب العالمية الثانية. وبدأ الآن ذلك المد العظيم للفتوحات النازية، الذي غطى معظم أوروبا حتى حدود آسيا من الفولگا وفي افريقيا حتى النيل، ينحسر كي لايعود ثانية. إن عصر حرب الصاعقة النازي بالآف الدبابات والطائرات تنشر الرعب في صفوف جيوش الأعداء وتمزقها شرّ ممزق قد إنتهى الى غير رجعة. الحق يقال سيكون ثمّ بعض الهجمات الموضعية اليائسة، مثلاً في خاركوف Kharkov في ربيع ١٩٤٣، وفي الآردين في عيد ميلاد ١٩٤٤- إلا أن هذه لم تكن إلا جزءً من الحرب الدفاعية، التي خاضها الآلمان بصبرٍ وشجاعةٍ خلال السنتين الأخيرتين من الحرب. لقد إنتقلت المبادأة من يد هتلر الى حيث لا رجعة. واعداؤه هم الذين يقبضون عليها الآن ويحتفظون بها ليس في البر وحده، بل في الجو. وقبل هذا التاريخ (في ٣٠ أيار ١٩٤٢) قام البريطانيون بأول غارة قصف جوي على مدينة كولن بألف طائرة وأتبعوها بالمزيد على مدن أخرى أثناء الصيف المدلهم. وراح المدنيون الألمان يذوقون للمرة الأولى (مثلما ذاق الجنود الألمان في معركة ستالينگراد والعلمين) الفظائع والويلات التي صبتها قواتهم المسلحة على رؤوس الآخرين حتى اللحظة.

أخيراً تحطم على ثلوج ستالينگراد ورمال صحراء شمال افريقيا المحرقة الظلم النازي العظيم المرعب. إن نكبتي پاولوس ورومل لم تختما على مصير الرايخ وحده، بل قضتا على ما يدعى "بالنظام الجديد" الشاذ المهول، الذي إنشغل هتلر ومجرموه من رجال الحرس الأسود بإقامته في الأراضي المفتوحة. وقبل أن نعود الى الفصل الأخير: سقوط الرايخ الثالث، يجدر بنا أن نتوقف قليلاً لنرى ماهو النظام الجديد. - نظرياً وعملياً بشكله البربري المطبَّق، ومن أيّ مصير تم إنقاذ هذه القارة العتيقة المتمدينة في آخر لحظة، بعد أن عانت كابوساً قصيراً مريعاً من جراء أول همجية لذلك النظام. من الضروري أن لايخلو منه هذا الكتاب. ومن الواجب كذلك أن يكتب للأوروپيين الطيبين، الذين عاشوه أو الذين قتلوا قبل القضاء على أسود صفحة من صفحات تاريخ الرايخ الثالث.

الكتاب الخامس

بداية النهاية

الفصل الأول

النظام الجديد

-١-

لم يُرسم قط مخطط شامل واف للنظام الجديد. ولكن يتضح من الوثائق المستولى عليها، ومما حدث فعلاً أن هتلر عرف حق المعرفة ماذا يقصد له وماذا يريد منه: أوروبا خاضعة للحكم النازي تُستغل مواردها لمنفعة ألمانيا وتصبح شعوبها عبيداً أرقّاء للعنصر الألماني السيد. أما العناصر الأخرى (غير المرغوب فيها) وفي مقدمتها اليهود وكذلك أيضاً الكثير من السلاف من الشرق، ولاسيما المثقفين منهم- فستتم إبادتهم.

ان اليهود والسلاف هم (أحطُّ من البشر Untermenschen) وهم لايستأهلون العيش في عُرف هتلر، إلا للكدح في الحقول والمناجم عبيداً لسادتهم الألمان. وليس بالكافي أن تُمحى عن وجه الأرض مدن موسكو ولينينگراد ووارشو وأضرابها[١]،

بل يجب أن يُقضى القضاء التام المبرم على مدنية الروس والپولنديين والسلاف الآخرين وأن يحرموا الثقافة والتهذيب المعتاد. وان تفكك مصانعهم النامية الناجحة وتشحن الى ألمانيا. وشعوبها يحولون الى الفلاحة والزراعة لإنتاج القوت للألمان ولايترك إلا ما يقيم أودهم ويقيهم الجوع وأما أوروپا نفسها فيجب أن تكون "خالية من اليهود" كما صرح قادة النازي.

صرح (هينريخ هملر) في ٤ تشرين ١٩٤٣ في كلمة ألقاها على ضباط الـ(إس. إس) في (پوزن Posen) "ما هو مقدّر حصوله للروسي أو الچيكي لايهمني قلامة ظفر" وكان هملر في هذا الوقت الشخص الذي يلي هتلر أهميةً في الرايخ الثالث بوصفه مديراً عاماً لجهاز الشرطة في كل الرايخ الثالث والرئيس الأعلى للـ(إس. إس)، يملك سلطان الحياة والموت لا على ثمانين مليون ألمانيّاً وحدهم بل على ضعفه أيضاً من الشعوب المحتلة.

"[استرسل هملر يقول] ما يستطيع شعب ان يقدمه عن طريق الدم الجيد من صنف دمنا، سنأخذه حتى ولو لجأنا الى اختطاف اطفاله وتربيتهم هنا معنا. وسواء أعاش شعب من الشعوب برفاه أو جاع فمات كما تنفق الماشية فلايهمني إلا بمقدار ما نحتاجه منه كعبيد "لحضارتنا Kultur" وإلا فلن اهتم به

١- منذ ١٨ أيلول أصدر هتلر أمره الصريح بلينينگراد "أن تمحى من وجه الأرض وتُدك دكاً بعد أن يتم تطويقها "حتى تصبح قاعاً صفصفاً" بقنابل المدفعية والقصف الجوي، وأن يُباد سكانها (ثلاثة ملايين نسمة) ويُطمروا تحتها" [انظر ص١١١٨ من الكتاب].

ابداً. وسواء سقطت عشرة آلاف أنثى روسية اعياءً أثناء حفرهن خندقاً مضاداً للدبابات فلايهمني إلا بقدر ما يكمل حفر هذا الخندق في سبيل ألمانيا[٢]..."

قبل خطبة (همار) في پوزن بزمن طويل (سنعود الى الخطبة لأنها تشمل مظاهر أخرى في النظام الجديد) وجه زعماء النازي أفكارهم وخططهم لإستعباد شعوب الشرق وإسترقاقها.

ففي ١٥ تشرين الأول ١٩٤٠ قرر هتلر مستقبل الچيك أول شعبٍ سلافي اخضعه. نصفهم سيتم "إستيعابهم" على الأغلب بنقلهم الى ألمانيا لعمل السخرة، أما النصف الآخر "ولاسيما" المثقفون فهم بالكلمة البسيطة التي تضمنها التقرير السري حول الموضوع "سيبادون"[٣].

وقبل هذا باسبوعين (٢ تشرين الأول) بسط الزعيم أفكاره بخصوص مصير الپولنديين ثاني شعب سلافي سيخضعه. فقد ترك سكرتيره الأمين (مارتن بورمان) مذكرة مسهبة عن خطط النازي التي رسمها هتلر لـ(هانز فرانك) الحاكم العام لپولندا المبتقية بعد التقطيع ولغيره من الموظفين[٤].

"[بيّن هتلر] سيكون العمل المنحط من نصيب الپولنديين... ولن يكون تحسين وضعهم موضوع بحث. ومن الضروري إبقاء مستوى المعيشة في پولندا واطئاً وألا يسمح له بالإرتفاع... الپولنديون كسالى وينبغي أن تُستعمل الشدة لإرغامهم... إن الحكومة العمومية [الپولندية] لن نستخدمها إلا مصدراً للأيدي العاملة غير الماهرة... كل سنة، يمكن للرايخ أن يتزود من هناك بما يحتاجه من العمال".

وأما عن القساوسة الپولنديين: "سيعظون ما نريد أن يعظوا به. وإن شذ أحدهم فسنزيحه حالاً عن الطريق. إن مهمة القس هو أن يُبقي الپولنديين ساكنين اغبياء بلهاء".

هناك طبقتان أخريان من الپولنديين يجب معالجة أمرهما ولم يهمل الدكتاتور النازي أمر التنويه بهما: "مما لا محيص عنه أن نضع نصب أعيننا إبادة أفراد الطبقة العليا الپولندية، ومهما بدا الأمر قاسياً فمن الواجب تصفيتهم أينما كانوا... لن يكون للپولنديين إلا سيد واحد هو الألمان. سيدان إثنان جنباً الى جنب أمر لن يكون قط. ولذلك فكل ممثلي الطبقة المثقفة الپولندية يجب أن يزالوا من الوجود. الأمر يبدو قاسياً إلا إنه شرعة الحياة."

هذا التشبث الألماني بفكرة كونهم العنصر السيد والشعوب السلافية عبيداً لهم بلغ حد السم الزعاف في روسيا بصورة خاصة. وأعرب عنه (أريخ كوخ) القوميسار الألماني الفظ (للأوكرَين) في كييف في الخامس من آذار ١٩٤٣.

"نحن العنصر المتفوق وعلينا أن نحكم بشدةٍ لكن بعدلٍ... سأستنزف آخر قطرةٍ من هذه البلاد. لم آت لأنشر الخيرات والبركات... الأهالي يجب ان يشتغلوا ويشتغلوا، ثم يشتغلوا... لاشك أننا لم نأت

٢- "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٤، ص٥٥٩. [وثائق نورمبرگ- ١٩١٩ PS].

٣- المرجع السالف، ج٣، الص ٦١٨-٦١٩ [وثائق نورمبرگ ٨٦٢ PS]. تقرير الجنرال (گوتهارت هاينريشي Gotthard Heinrici، نائب الحاكم العام في المحمية.

٤- مذكرة بورمان وردت في "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" ج٧، الص ٢٢٤-٢٢٦ [وثائق نورمبرگ- إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوڤيتية- ١٧٢].

هنا لنُنزل المنَ. جئنا هنا لنخلق أسساً للنصر. نحن الشعب السيد الذي يجب أن يتذكر دائماً أن أحط عامل ألماني هو أثمن بايولوجياً وعنصرياً ألف مرةٍ من السكان هنا(٥)."

وقبل سنة من هذا تقريباً (٢٣ تموز ١٩٤٢) عندما كانت الجيوش الألمانية تحث خطاها نحو القفقاس والڤولگا، كتب (مارتن بورمان) سكرتير الحزب النازي وساعد هتلر الأيمن الآن. رسالةً طويلةً الى روزنبرگ ينقل له فيها آراء الزعيم في الموضوع. وقد لخصها موظف في وزارة روزنبرگ:

"على السلاڤ أن يشتغلوا لنا، وإن لم تكن لنا حاجة بهم فلا بأس أن يموتوا. لذلك فليس هناك ضرورة للتلقيح الاجباري والخدمات الصحية الألمانية ولا داعي لها. إن خصوبة نسل السلاڤ غير مرغوبٍ فيها. ولهم أن يستخدموا وسائل منع الحمل والإجهاض- والزيادة في ذلك خير على خيرٍ. التعليم فيه خطورة، ويكفي أن يصلوا بالعدّ الى رقم مائة... وكل شخص مثقف هو عدو الغد. أما الدين فنتركه لهم كوسيلة من وسائل التلهي والانشغال. واما بخصوص الغذاء فلن يحصلوا على أكثر مما هو ضروري جداً، نحن السادة ولنا الأسبقية(٦).

عندما دخلت الجيوش الألمانية لم تلقَ أول الأمر في بعض الأماكن صدوداً من الأهلين الذين كان إرهاب ستالين يجثم على صدورهم وذكرت المصادر الألمانية عن كثير من الهروب في صفوف الجيش الأحمر في دول البلطيق التي كانت قد ضُمت إلى الإتحاد السوڤيتي قبل زمن وجيز. وفي الاوكرَين تحرّك بعض خصوم النظام السوڤيتي من دعاة الأوكرَين المستقلة قبل ثورة أكتوبر وأعلنوا إستعدادهم للتعاون "حتى مع الألمان".

وكانت ثم أقلية ضئيلة في برلين تتوهم ان هتلر لو لعب بحذق وعامل الأهلين بالرفق ووعد بالخلاص من حكم البولشفيك بمنحه الحرية الدينية والإقتصادية وإلغاء المزارع التعاونية (كذا!) واعطائه حق الحكم الذاتي لأمكنه ان يكسب الروس ولن يقتصر الأمر على تعاونهم مع الألمان في البلاد الملحقة، بل ربما إلى إنتفاضات على حكم ستالين الفردي في المناطق غير المحتلة. وراحوا أكثر من ذلك سارحين في خيالهم فقالوا أن النظام البلشفي نفسه قد ينهار ويتمزق الجيش الأحمر كما تمزقت الجيوش القيصرية في ١٩١٧.

إن كان لهذا الإحتمال أيّ ظل من الحقيقة، فإن همجية الإحتلال النازي والأهداف الواضحة التي وضعها الفاتحون الألمان التي كثيراً ما انكشفت علناً عن نهب لبلادٍ وإسترقاق شعوبها الساكنة فيها وإستعمار المشرق. جعلت من تلك الخيالات أوهاماً ومن هؤلاء الحالمين المستيقظين نقدم نموذجاً بالدكتور أوتو براوتيگام Dr. Otto Broutigam وهو دبلوماسي محترف ونائب رئيس الدائرة السياسية لوزارة روزنبرگ المستحدثة باسم "الوزارة الخاصة بالأراضي الشرقية المحتلة". فقد سَطّر خطاباً سرياً مرّاً لرؤسائه في ٢٥ تشرين الأول ١٩٤٢، أجمل فيه نتائج سياسة الإرهاب والتدمير التي قضت على

٥- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج٣، الص ٧٩٨-٧٩٩ [وثائق نورمبرگ ١١٣٠ PS].
٦- المرجع السالف، ج٨، ص٥٣ [وثائق نورمبرگ ٣٦- R].

كل الفرص، وتجرأ على وضع النقاط فوق الحروف وتبيان اخطاء النازيين في روسيا.

"وجدنا عند وصولنا الإتحاد السوڤيتي شعباً ملّ من حكم ستالين وهو ينتظر بشوقٍ شعارات جديدة لمستقبل أفضل له. وكان من واجب ألمانيا ان تقدّم هذه الشعارات إلا انها لم تأتِ بشيء منها". في الواقع كان يوجد شعار، إلا أن الشعب الروسي سرعان ما كشف القناع عنه.

"وبغريزة الشعوب الشرقية المتوارثة سرعان ما وجد الرجل البسيط أن شعار ألمانيا "التحرر من البلشفية" ليس الاّ حجة وتعلة لاستعباد شعوب الشرق بطريقتها الخاصة... وتبين للفلاح والعامل حالاً أنّ ألمانيا لاتعتبرهم شركاء ذوي حقوق متساوية بل مجرد وسائل لتحقيق أهدافها السياسية والإقتصادية... وبغطرسة لا مثيل لها نبذنا جانباً كل المفاهيم والمعرفة السياسية و... صرنا نعامل سكان أراضي الشرق المحتلة معاملة "بيض من الدرجة الثانية" خصصتهم العناية الإلهية ليتخذ منهم عبيداً لألمانيا..." ويذكر الدكتور براوتيگام حدثَين آخرَين ملاءا الروس حقداً على الألمان: المعاملة البربرية لأسرى الحرب السوڤييت، وشحن جماعيّ للروس رجالاً ونساء لعمل السخرة.

"لم يعد سراً على الصديق أو الخصم ان مئات الألوف من أسرى الحرب الروس ماتوا جوعاً أو برداً في معتقلاتنا... ونحن الآن نعاني الصورة الشاذة والحالة الغريبة في وجوب جمع ملايين من العمال من أراضي الشرق المحتلة بعد أن مات أسرى الحرب من فرط الجوع مثل الذباب...

"في هذا الإنتهاك السافر اللامحدود للبشرية السلاڤية ووجدت الوسائل التي تستخدم في (التجنيد) أصولها في احلك فترات التعامل بالرقيق. وافتتح عهد جديد منظم لصيد الرجال. وشحن الناس الى ألمانيا أفواجاً دون إعتبار للسن والصحة...[٧] إن سياسة الألمان وأعمالهم في روسيا "اضرمت في شعوب الشرق نار المقاومة العنيدة".

"ان سياستنا جمعت البولشفيك وسائر المواطنين الآخرين الروس في جبهةٍ موحدة ضدنا والروس هم اليوم يحاربون بشجاعة تفوق حد الوصف وبنكران ذات وتضحية لا لشيء أكثر من المحافظة على كرامتهم الإنسانية".

وطلب الدكتور (براوتيگام) في ختام مذكرته ذات الثلاث عشرة صحيفة إجراء تغيير تام في السياسة وقال "يجب أن يفهم الشعب الروسي شيئاً معيناً عن مستقبله"[٨].

وكان هذا صوتاً تائهاً في القفر النازي. فقد وضع هتلر خططه كما رأينا وقبل مهاجمته روسيا ورسم ما سيحل بالروس وبروسيا (انظر ما سبق). وهو ليس بالرجل الذي يمكن أن ينزل الى رأي ألماني حي أو يغير ما اختطه بمجرد تقديم مذكرة.

٧- لم يكن إهلاك الألوف المؤلفة من أسرى الحرب الروس ولا ممارسة عمل السخرة في الروس، بالأمور الخفية عن الكرملين. فمنذ تشرين الثاني ١٩٤١ اصبح مولوتوف إحتجاجاً رسمياً دبلوماسياً على "قتل أسرى الحرب الروس" وفي نيسان ١٩٤٢، أعلن إحتجاجاً آخر ضد برنامج عمل السخرة التي تمارسه ألمانيا في روسيا.

٨- مذكرة دكتور براوتيگام ٢٥ تشرين الأول ١٩٤٢ النص مثبت في "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٢٤٢-٢٥١ الأصل الألماني في (محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٢٥، الص ٣٣١-٣٤٢ [وثائق نورمبرگ ٢٩٤- PS]

في ١٦ تموز ١٩٤١، بعد بدء الحرب الروسية بأقل من شهر - وحين كان متوقعاً من الإنتصارات الأولية أن جزءً كبيراً من الإتحاد السوفيتي لن يلبث أن يُستولى عليه إستدعى هتلر كلاً من گورنگ وكايتل وروزنبرگ وبورمان ولاميرس Lammers (وهو رئيس شؤون مستشارية الرايخ) الى مقره في پروسيا الشرقية ليذكّرهم بأهدافه ونواياه في البلاد المفتوحة حديثاً. ولاجدال في ان هدفه كان معداً من قبل في "كفاحي" وهو الحصول على "مجال حيوي" واسع للألمان في روسيا. وواضح من المذكرة السرية التي كتبها (مارتن بورمان) على أثر الإجتماع (عُرضت في نورمبرگ)[٩] أنّ هتلر ما جمع أكبر أعوانه إلا ليؤكد في أذهانهم ما ينوي عمله بتلك الأراضي. وحذرهم بألاّ تنشر آراؤه هذه على الملأ بل تبقى سراً. قال: "لا حاجة تدعو الى ذلك (أي العلانية). إلا أن المهم في الأمر أن نكون نحن على علم... وينبغي ألاّ يستطيع أحد الاستنتاج بأن إجراءاتنا مقدمة الى تسوية نهائية. ولايمنعنا هذا من إتخاذ كل التدابير الضرورية- الإعدام، التهجير الخ... ولسوف نأخذ بها.

واسترسل هتلر يقول: من ناحية المبدأ "علينا الآن أن نباشر بمهمة قطع الكعكة حسب حاجتنا حتى نستطيع:

أولاً: السيطرة عليها.

وثانياً: ادارتها.

وثالثاً: إستغلالها.

وقال أنه لايهتم بأوامر الروس بشن حرب الأنصار خلف الخطوط الألمانية "فهذا ما يساعدنا على استئصال شافة كل من يعارضنا".

وعلى العموم، ستكون سيطرة الألمان على الأراضي الروسية إلى حد جبال الأورال. ولن يسمح لغير الألمان بحمل السلاح في هذه المنطقة الشاسعة من الأرض. وبعد ذلك راح هتلر يفصّل ماذا سيُعمل بمختلف أجزاء الكعكة الروسية:

"كل بلاد البلطيق ستدغم في ألمانيا... ويجلى عن القرم كل الأجانب ويسكن الألمان فيها فقط. [لتصبح] من أراضي الرايخ.

... وستأخذ ألمانيا شبه جزيرة كولا Kola بسبب مناجم النيكل الواسعة فيها. أما ضم فنلندا في إتحاد فيدرالي فيجب أن يعالج بحذر... وسيسوّي الزعيم ليننگراد بالأرض ثم يسلمها الى الفنلنديين".

وقضى هتلر على حقول نفط باكو بأن تكون "إمتيازاً ألمانياً". وان تلحق المستعمرات الألمانية على الڤولگا بألمانيا حالاً. وعندما بلغت المناقشة مسألة نصب المشرف على إدارة تلك المناطق من بين الزعماء النازيين، نشأ شجار عنيف.

"يقترح روزنبرگ أنه ينوي إستخدام النقيب فون بيترسدورف Von Petersdorff نظراً لكفاءاته الخاصة. إستنكار عام، رفض عام. يبين الزعيم ومارشال الرايخ [گورنگ] أنه ليس ثم شك في جنون

٩- "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٧، الص ١٠٨٦-١٠٩٣ [وثائق نورمبرگ- L ٢٢١]

فون (بيترسدروف).

كان هناك أيضاً خلاف حول انجع الوسائل لحفظ الأمن في المناطق المحتلة واقترح هتلر تزويد الشرطة بسيارات مصفحة وابدى (گورنگ) شكه في ضرورتها وقال "أن طائراته ستقذف قنابلها في حالة حدوث شغب".

"[واضاف يقول] بطبيعة الحال يجب أن تُهدّأ هذه المنطقة المترامية الشاسعة باسرع مايمكن. وخير حل هو أن يطلق الرصاص على كل من يتطلع يمنة ويسرة مختلساً النظر"(١٠).

ولما كان (گورنگ) مشرفاً عاماً على مشروع السنوات الأربع، فقد انيط به أمر الإستغلال الإقتصادي لروسيا(١١).

و"النهب" قد يكون أدق تعبير، كما صرح گورنگ في خطاب ألقاه على مدراء إدارة المناطق المحتلة في ٦ آب ١٩٤٢ إذ قال "ينبغي أن يسمى نهباً، إلا أن الأمور اصبحت اليوم أكثر إنسانيةً، ورغم هذا فأنا عازم على النهب وأن اقوم به بشكل دقيق كاسح"(١٢).

وفي هذا على الأقل- كان أمينا على عهده. ليس في روسيا وحدها بل في سائر أنحاء أوروپا المحتلة. وكل هذا كان جزءاً من النظام الجديد.

-٢-

نهب النازيين خيرات أوروپا

ليس بالأمكان معرفة المجموع الكلي للمنهوبات. فهذا العمل فوق طاقة البشر لكن هناك بعض الأرقام وأكثرها من المصادر الألمانية. وهي توضح الدقة الألمانية المأثورة التي جرى بها تطبيق تعليمات گورنگ التي صدرها لمرؤوسيه حتى ينفذوها.

"كلما وقعتم على أي شيء فيه فائدة للشعب الألماني فانقضّوا عليه مثل كلاب الصيد... يجب أن يصادر... ويؤتى به الى ألمانيا(١٣)."

صودر الكثير جداً: بضائع وأثاث ومصانع، فضلاً عن الذهب والأوراق المالية. كلما احتل هتلر بلداً

١٠- قبلها بسنة. والشيء بالشيء يذكر- قال گورنگ لتشيانو "في هذه السنة ربما سيموت في روسيا عدد يتراوح بين عشرين وثلاثين مليون نفس بسبب "الجوع" و"ربّما كان من الخير أن يحدث ذلك" وقال ايضاً "ان أسرى الحرب الروس يأكل الآن بعضهم بعضاً".

١١- في التعليمات التي أصدرتها دائرة گورنگ الإقتصادية بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٤١صدر الأمر بتدمير المناطق الصناعية الروسية. ويترك العمال وأسرهم في تلك المناطق يموتون جوعاً. وجاء في التعليمات ايضاً "كل محاولة لأنقاذ الاهلين هناك من الموت جوعاً باستيراد [الاغذية] الفائضة من منطقة التربة السوداء [الروسية] ممنوعة منعاً باتاً.

١٢- "محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج٩، ص٦٣٣.

١٣- المرجع السالف، ص٦٣٤.

إندفع وكلاؤه الماليون لوضع يديهم على رصيد الذهب والعملة الأجنبية في المصارف الحكومية. وهي البداية ليس إلا. بلغت "نفقات الإحتلال" أرقاماً مذهلة واستحصلت منذ قيام الإحتلال مباشرة. وفي نهاية شباط ١٩٤٤. أعلن الكونت (شرڤين فون كروسيك) وزير المالية النازي أن المجموع الكلي الوارد عن هذه المصادر بلغ زهاء ٤٨ بليون مارك (١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار) تقريباً. وأعظم عمليات النهب والإبتزاز جرى بفرنسا كانت حصتها فيه أكثر من النصف. وبنهاية الحرب بلغ مجموع دخل ألمانيا من نفقات الإحتلال ماييناهز (٦٠) بليون مارك أي ما يعادل (١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار).

أرغمت فرنسا على دفع (٣١,٥) بليوناً من هذا المبلغ وكانت الفريضة السنوية (٧) بلايين وهي تعادل أربعة اضعاف مجموع المبالغ السنوية التي كانت ألمانيا قد دفعتها لفرنسا بمثابة تعويضات بموجب مشروعي (داوز- ويونك) بعد الحرب العالمية الأولى- وهي غرامة الحرب التي كان هتلر يراها جريمة شنعاء، زد على هذا أن بنك فرنسا أرغم على فتح "إعتمادات" لألمانيا بلغت أربعة بلايين ونصف بليون مارك. وان تدفع نصف بليون آخر "غرامات". وقُدر في نورمبرگ أن ألمانيا ابتزت ثلثي الدخل القومي البلجيكي على شكل نفقات إحتلال "وإعتمادات" وسلبت هولندا مبلغاً مماثلاً. وقدرت دراسة قامت بها دائرة مسح القصف الستراتيجي الأمريكية أن الألمان سلبوا من البلاد المحتلة على شكل غرامات وضرائب ما ناهز مجموعه الكلي (١٠٤) بلايين مارك (يعادل ٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار)[١٤]. إلا أن الممتلكات التي صودرت ونقلت الى الرايخ دون شكليات دفع الثمن لايمكن تقديرها مطلقاً. فقد راحت الأرقام تنصب على نورمبرگ حَتى تاهت بها العقول. ولكن لم يتصدَّ - على حد علمي- أحد من خبراء المال لتنسيقها وإستخراج المجموع العام منها. ففي فرنسا مثلاً قدر أن الألمان نقلوا ("كنوعٍ ما من غرامة") تسعة ملايين طن من القمح و٧٥٪ بالمائة من محصول الشعير الكلي و٨٠٪ من الزيت و٧٤٪ من الحديد وعلى هذا فقس... بما بلغ ثمنه (١٨٤,٥) بليون فرنك.

وروسيا التي خربتها الحرب والهمجية الألمانية. كانت أصعب إحتلالاً. والوثائق النازية ملأى بالتقارير عن (المدفوعات) السوڤيتية. وفي ١٩٤٣ مثلاً سجل الألمان من بين "المدفوعات" تسعة ملايين طنٍ من القمح ومليونا طن من العلف. وثلاثة ملايين طن من البطاطا و٦٦٢٠٠٠ طن من اللحوم. واضافت الى هذا الرقم لجنة التحقيق السوڤيتية عن طول فترة الإحتلال تسعة ملايين رأس من الماشية (الأبقار) وثلاثة عشر مليون رأس غنم وثلاثة عشر مليون خنزيراً خلافاً لبعض المواد الأخرى. إلا أن المدفوعات الروسية كانت أقل من المتوقع بكثيرٍ. وقد قدرها الألمان بمبلغ كلي صافٍ يناهز (٤) بلايين مارك أيّ (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار)[١٥]. واعتصر النازيون الفاتحون الجشعون من پولندا كل ما

١٤- بسعر النقد الرسمي (كل ماركين ونصف المارك يعدل دولاراً واحداً) ويكون المبلغ (٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) دولار. إلا أني استخدمت السعر غير الرسمي، أيّ ان الدولار الواحد يعادل أربعة ماركات ألمانية. لإن إتخاذ سعر القوة الشرائية للنقد مقياساً هو أكثر دقة.

١٥- جاء في دراسة الكساندر دالين Alexander Dallin المفصلة [الحكم الألماني في روسيا] ان ألمانيا كانت تستطيع الحصول على أكثر من هذا في ميدان التجارة الإعتيادية.

امكنهم إعتصاره. قال الدكتور فرانك الحاكم العام "سأعمل جهدي على أن اعتصر من هذا الأقليم كل شيء يمكن اعتصاره" وكان ذلك في ١٩٤٢ وفي غضون ثلاث سنين منذ الإحتلال احتلب هذا الرجل كما فخر دوماً - الكثير وبخاصة الاغذية لإطعام الألمان الجائعين في الرايخ لكنه حذر بقوله "عند تطبيق مشروع التغذية الجديد في ١٩٤٢ سيبقى نصف مليون شخصٍ في وارشو وضواحيها فحسب، دون طعام[١٦].

ووضحت طبيعة النظام الجديد في پولندا حالما تم الإستيلاء عليها. ففي ٣ تشرين الثاني ١٩٣٩ أبلغ (فرانك) الجيش بأوامر هتلر: "لايمكن إدارة پولندا إلا بإبتزاز البلاد بوسائل الاستغلال القاسية،

> وبنقل كل الأغذية الأولية والمكائن ومنشآت المصانع وكل ما هو مفيد لمجهود الألمان الحربي وتأمين حاجة ألمانيا من العمال وتقليص الإقتصاد الپولندي القومي كافة الى الحد الأدنى الذي يسدّ الرمق وغلق كل المعاهد الدراسية، ولاسيّما المعاهد التنكولوجية والكليات لكيلا تخرج طبقة مثقفين جديدة في پولندا. يجب أن تُعامل پولندا معاملة المستعمرات وسيكون الپولنديون عبيداً للرايخ الألماني الأكبر[١٧]."

وأضاف (رودولف هسّ) نائب الزعيم النازي أن هتلر قرر "أن لايُعاد بناء وارشو مرة أخرى. وليس في نية الزعيم أن يعيد بناء أيّ صناعة أو يقيم أيّ معمل في الحكومة العمومية[١٨].

وأصدر الدكتور فرانك مرسوماً يقضي أن تكون ممتلكات الپولنديين واليهود في پولندا عرضة للإستيلاء بدون تعويض. وبمقتضى هذا إنتُزعت مئات الألوف من المزارع الپولندية الخاصة وأُعطيت للمستعمرين الألمان الجدد عنوةً وإقتداراً. وبحلول ٣١ أيار ١٩٤٣ تمّ وضع اليد في الأقاليم الپولندية الملحقة بألمانيا (پروسيا الغربية وبوزن وزنگناو Zichnau وسيليزيا) على سبعمائة ألف مزرعةٍ تبلغ مساحتها خمسة عشر مليون (إيكر). و"صودرت تسعة آلاف وخمسمائة مزرعة بلغ مجموع مساحتها ستة ملايين ونصف مليون (إيكر)". وظل فيصل التفرقة غامضاً غير مفسر بين مصطلحي "وضع اليد" وبين" المصادرة. في اللائحة المفصلة التي أعدتها "دائرة الأراضي الزراعية المركزية"[١٨].

حتى كنوز الفن في البلاد المحتلة، لم تسلم من النهب. وقد جرى ذلك بناءً على أوامر هتلر وگورنگ الصريحة، كما أبانت فيما بعد وثائق النازيين المستولى عليها. وبذلك انميا وأكملا مجموعيتهما "الخاصتين". وقدّر المارشال السمين أن مجموعته الفنية أصبحت تسوى خمسين مليون مارك. والحقيقة هي أن گورنگ كان المحرك الأكبر لفتح هذا الميدان الخاص في النهب، وقد أصدر بعد فتح پولندا مباشرة أوامره بوضع اليد على نفائس الآثار الفنية هناك. ولم تمر ستة أشهر حتى تسنى للمندوب الخاص المعين لتنفيذ أوامره بهذا الشأن ان يكتب في تقريره أنه تمكن من الإستيلاء على كل

١٦- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٨ ص ٩.
١٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٧ الص ٤٢٠- ٤٢١ [وثائق نورمبرگ ٣٤٤- E C- ١٦ و١٧].
١٨- المرجع السالف ص ٤٦٩ و ج ٨ الص ٦٦- ٧٦ [وثائق نورمبرگ- ٤١١ E C و ٩٢ R].

نفائس آثار تلك البلاد تقريباً.[١٩]

ألا أن فرنسا كانت كعبة الآثار الفنية الأوروپية وكنزها الأكبر، فما أن أضيف إسم هذه البلاد الى قائمة الشعوب المقهورة، حتى أعلن هتلر وگورنگ وضع أيديهما على تلك الكنوز. ولإتمام عملية السلب عيّن الزعيم روزنبرگ مشرفاً، فأنشأ دائرة أطلق عليها (اينساتزشتاب- روزنبرگ Einsatzstab R -) وأعانه في مهمته گورنگ وكايتل. فقد أصدر هذا الأخير أمراً الى قيادة الجيش المحتل في فرنسا، يشير فيه الى أن روزنبرگ مخوّل بنقل الأشياء الثقافية التي يقدّرها وان تكون في حيازته حتى تنقل الى ألمانيا. وقد إحتفظ الزعيم لنفسه بحق تقرير أمرها"[٢٠]. وإتضح معنى قرار الزعيم بشأنها في أمرٍ سري أصدره گورنگ في ٥ تشرين الثاني عيّن فيه شكل توزيع تلك التحف الفنية المنهوبة من متحف اللوڤر بپاريس، قال: "ستوزع... على الشكل التالي:

(١) تلك التي كان الزعيم قد إحتفظ لنفسه بحق تقرير أمرها (٢) تلك.. التي ستكمل مجموعة مارشال الرايخ (گورنگ) (٣) تلك التي... سترسل الى المتاحف الألمانية [٢١]."

إحتجت الحكومة الفرنسية على نهب كنوز البلاد الفنية، وأوضحت ان هذا العمل يعد خرقاً وإنتهاكاً لمعاهدة لاهاي. وإجترأ الهر (بونييس Bunjes) أحد العاملين في دائرة روزنبرگ، على تنبيه گورنگ الى هذه النقطة. فأجابه المارشال البدين:

- أيّ عزيزي (بونييس) دع الأمر لي. اني أعلى قاضٍ في الدولة وأوامري نهائية. وعليك ان تقوم بتنفيذها.

وظهر (بونييس) هذا مرة واحدة في تاريخ الرايخ عندما رفع تقريره بهذا الشأن "تلك الآثار الفنية التي جمعت في (يودي پوم Jeude Paume) وسترسل الى الزعيم، وتلك التي إختارها مارشال الرايخ لنفسه ستُشحن في عربتين تُربطان بقطار المارشال الخاص... الى برلين[٢٢]. وشحنت عربات أخرى كثيرة. وآخر تقرير يفيد أن حوالى (١٣٧) سيارة نقل محملة بـ(٤١٧٤) صندوقاً من التحف يضم (٢١٩٠٣) قطعة منها (١٠٨٩٠) لوحة زيتية كلها وصلت الى برلين من الغرب لغاية تموز ١٩٤٤[٢٣]. وتشمل آثاراً لمشاهير الرسامين ومنهم گويا Goya ورامبراندت Rambrandt وروبنز Ru-bens وهال Hals، وڤيرمير Vermeer وڤيلاسكويز Velazquez وموريللو Murillo وفيكيو Vecchio وواتو Watteau وفراگونار Fragonard ورينولدز Reynolds وگينزبورو Gainsborough. وفي كانون الثاني ١٩٤١ قدّر روزنبرگ الغنائم الفنية التي نهبت من فرنسا الى حد ذلك التاريخ بما يبلغ ثمنه بليون مارك[٢٤].

١٩- المرجع السالف ج ٣ ص ٨٥٠ [وثائق نورمبرگ ١٢٣٣- PS].
٢٠- المرجع السالف ص ١٨٦ [وثائق نورمبرگ ١٣٨ PS].
٢١- المرجع السالف الص ١٨٨- ١٨٩ [وثائق نورمبرگ ١٤١ PS].
٢٢- المرجع السالف ج ٥ الص ٢٥٨- ٢٦٢ [وثائق نورمبرگ ٢٥٢٣ ps].
٢٣- المرجع السالف ج ٣ الص ٦٦٦- ٦٧٠ [وثائق نورمبرگ ١٠١٥ ب- PS].
٢٤- المرجع السالف ج ٨ ص ١١٠٥ [وثائق نورمبرگ- ٩٠ PS].

ربما أمكن الصفح عن نهب المواد الأولية والبضائع والغذاء وإن أوصلت الشعوب المحتلة الى الفاقة والمسغبة حتى التضور جوعاً وخرق إتفاقية لاهاي في الحرب ربما امكن الصفح عن مرتكبيها الألمان، إن لم يكن تبريرها بضرورات الحرب الجماعية القاسية. إلا أن سرقة نفائس الفن لم تساعد ماكنة الحرب الهتلرية. إنها مجرد جشعٍ وشهوة شخصية في هتلر وگورنگ ليس إلا.

كل السلب والنهب الذي جرى للشعوب المغلوبة محتمل- فالحرب والإحتلال الأجنبي يعقِّبان الفاقة والحرمان حتماً. إلا أن هذا جزء فقط من النظام الجديد"، بل أخف جزء منه. ولكن لن يذكر "النظام الجديد" القصير العمر "لحسن الحظ" ذكراً طويلاً بسبب سلب المال والمقتنى بل بسبب الأرواح. فهنا هبطت الحِطّة النازية الى أسفل درك شهدته البشرية منذ أن وجدت على سطح الكرة الأرضية. سيق ملايين من الرجال والنساء الأطهار الأبرياء الى عمل السخرة، وعُذب ملايين أخرون جسدياً ونفسانياً في معسكرات الإعتقال، وملايين من هؤلاء (منهم أربعة ملايين ونصف مليون يهودي) قُتلوا عمداً، أو تُركوا يموتون جوعاً وأُحرقت جثثهم لإزالة آثار الجريمة.

قصة الهول التي لاتُصدق وقعت فعلاً، وما كان لأحد من البشر أن يصدقها لو لم تثبت بالوثائق والحجج الدامغة وبشهادات الذين ساهموا بمجارزها أنفسهم. وما سنذكره هنا منها ليس إلا مجملاً مختصراً سأسقط منه آلاف الحوادث التفصيلية لضيق المقام- مستخلصاً المأساة من أدلة لايتطرق الشك اليها، مدعّمةً بين آن وآخر براويات شهود عيان ممن كُتبت لهم النجاة وهم قلّة.

-٣-

عمل السخرة في "النظام الجديد"

بمجيء ١٩٤٤ كان يوجد في الرايخ الثالث زهاء سبعة ملايين ونصف مليون مدني أجنبي يكدحون لأجله. ويكاد يكون كلهم ممن جُمع بالقوة ونُقل الى ألمانيا في سيارات مقفلة في العادة دون طعام أوماء أو أي تدابير صحية، وهناك دُفعوا الى العمل في المصانع والمزارع والمناجم، ولم يكتف منهم بذلك بل أُهينوا وضُربوا وجاعوا، وكثيراً ماتُركوا ليموتوا بسبب نفاد الطعام وعدم وجود كساء وملجأ. وأضيف الى هذا العدد مليونان من أسرى الحرب، وضع ما لايقل عن نصف مليون منهم في مصانع الذخيرة والسلاح وهو خرق فاضح صريح لإتفاقيات لاهاي وجنيف التي تحرم إستخدام أسرى الحرب في مثل هذه الأعمال[٢٥].

وهذا الرقم لايشمل مئات الألوف من أسرى الحرب الذين أُرغموا بالقوة على بناء التحصينات وحمل

٢٥- أقرّ البرت شپير Albert Speer وزير التسليح والإنتاج الحربي في محاكمة نورمبرگ بأن ٤٠٪ من كل مجموع أسرى الحرب كان يستخدمون في ١٩٤٤ في إنتاج الأسلحة والعتاد وما إليها من الصناعات الحربية (مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ ص: ٤٥٦ [وثائق نورمبرگ ١٧٢٠ p s].

الذخائر إلى خطوط النار، بل حتى على ملء المدافع المضادة للطائرات، وهو خرق آخر للإتفاقيات الدولية التي كانت ألمانيا إحدى الموقعات عليها[٢٦].

في الشحن الإجماعي لعمال السخرة الى الرايخ كانت الزوجات يُنتزعن من أزواجهن والأطفال من آبائهم ويُدفع بهم الى أجزاء أخرى من ألمانيا. ولم يكن يُعفى الأحداث من العمل إن بلغوا سنّ القدرة. وإشتغل في خطف الصبيان حتى جنرالات الجيش الكبار، وكانوا يوضعون في شاحنات ويُنقلون إلى ألمانيا لتأدية أعمال السخرة. وهناك تقرير من ملفات روزنبرگ مؤرخ ١٢ حزيران ١٩٤٤ يفضح هذا العمل في روسيا المحتلة: "جحفل جيش الوسط، ينوي أن يجمع ما يتراوح بين أربعين الى خمسين

> ألف صبي تتفاوت اعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة... وينقلهم الى الرايخ... وهذا التدبير إقترحه الجيش التاسع بالأصل... والنية متجهة إلى توزيع هؤلاء الأحداث بالدرجة الأولى- على الحرف والصناعات اليدوية الألمانية كمساعدين... لقد رحبت الصناعة بهذا الإقتراح ترحيباً حاراً، لأنه إجراء حاسم لحل مشكلة قلة الصنّاع المساعدين. وليس القصد من هذا العمل منع العدو من الإفادة بتعزيز قواه منهم لا غير بل لتقليل كفاءته في التناسل."

وكان لعملية الإختطاف هذه، إسم رمزي هو "عملية القش" .وتقول المذكرة أن مجموعة جيوش الأوكرين الشمالية- بقيادة الفيلدمارشال مودل Model قد نفذتها[٢٧].

واستُخدم الإرهاب المتزايد لجمع الفرائس. في مبدأ الأمر كانت الوسائل المستعملة بسيطة. فمثلاً يُقبض على الناس حين خروجهم من البيع أو دور السينما. وفي الغرب بصورة خاصة كان الحرس الأسود يسد منافذ من البلدة ويلقي القبض على الرجال والنساء القادرين على العمل. وكانوا يطوقون القرى ويدخلون بيوتها بحثاً عن ذلك. وفي المشرق عندما يلاقون مقاومة وإباءً لأوامر أعمال السخرة، يعمدون الى حرق القرية وشحن ساكنيها. وقد إمتلأت ملفات روزنبرگ المستولى عليها بتقارير ألمانية عن هذه الحوادث. وفي پولندا وجد موظف ألماني واحد على الأقل أن الأمور خرجت عن الحد كثيراً.

"[كتب الى الحاكم فرانك] إن صيد البشر القاسي الهمجي كما ينفذ في كل مكان: في المدن والريف والشوارع والميادين والمحطات حتى في البيَع وليلاً في المنازل قد حطم الأعصاب وسلب مشاعر الطمأنينة من الأهلين كل امرءٍ معرض لخطر القبض في أي مكان وزمان فجأة وبشكل غير متوقعٍ، أو أن يرسل الى معسكر تجميع ولا أحد من ذوي قرباه يعرف ماذا حل به[٢٨].

إلا أن مطاردة عمال السخرة كانت الخطوة الأولى ليس إلاّ[٢٩]. وكان نقلهم إلى ألمانيا يجرى

٢٦- السجل المستولى عليه يكشف ان الفيلدمارشال (ميلش) من القوة الجوية طلب في ١٩٤٣ خمسين الف أسير روسي آخر مضافاً الى الثلاثين الفاً الأولى، التي كانت تستخدم لإملاء المدافع المضادة للطائرات. وضحك (ميلش) قائلاً "ما أطرف ذلك! الروس يديرون المدافع!" [المرجع السالف ج ٨ ص ١٦٨ [الوثائق ١٢٤ R].

٢٧- المرجع السالف ج ٣ الص ٧١- ٧٣ [وثائق نورمبرگ ٣١- P S].

٢٨- المرجع السالف ج ٤ ص ٨٠ [وثائق نورمبرگ ١٥٢٦- P S].

٢٩- أوكل تنفيذ برنامج عمل السخرة بكامله الى فريتز ساوكل Fristy Sauckel، الذي مُنح عنوان "المفوض العام" =

بشكل تعافه النفس ويقشعر منه البدن. وقد وصف من يدعى بالدكتور (گوتكلخ Dr Gutkelch) مناسبة واحدة في تقرير لوزارة روزنبرگ مؤرخ ٣٠ أيلول ١٩٤٢، يروي فيه كيف ان قطاراً مكدساً بعمالٍ شرقيين "إستنفدت قواهم" وهم يعادون من محلات عملهم. فإلتقى في احدى محطات الوقوف بقطار آخر مملوء بعمال روس "مجندين حديثاً" يقلّهم الى ألمانيا. وجرى ذلك اللقاء بالقرب من (برست ليتوڤسك): "كان من المحتمل أن تحدث نكبة بسبب الجثث في القطار المملوء بالعمال العائدين... في

> هذا القطار كانت نسوة قد وضعت أجنتهن ثم قذفنها من النوافذ الى الخارج أثناء الرحلة. وثم اشخاص مصدورون ومصابون بأمراض تناسلية يركبون في العربة نفسها. والمحتضرون يلفظون انفاسهم الأخيرة وهم مستلقون في قاع عربات الشحن بدون وطاءٍ وألقي بجثة أحد الموتى على رصيف السكة- لاشك أن مثل هذا قد حصل في قطارات أخرى عائدة[٣٠].

لم يكن هذا وجهاً جميلاً للرايخ الثالث في نظر العامل الشرقي Osterbeiter، ألا أنه كان عامل إعداد وتهيئة على الأقل للأهوال التي تنتظرهم. الجوع والضرب والمرض والتعرض للبرد في مساكن غير دافئة بأسمالهم الرقيقة هذا ما ينتظرهم. دعك من ساعات العمل الكثيرة التي لايحددها إلا مقدرتهم على الوقوف.

كانت مصانع (كروب) حيث تصنع مدافع ألمانيا ودباباتها وعتادها مَحلاً نموذجياً للعمل. شغل كروب عدداً كبيراً من عمال السخرة من ضمنهم أسرى حربٍ روس. وفي فترة من فترات الحرب. جيء بستمائة إمرأة يهودية من معسكر إعتقال (بوخنڤالد) ليشتغلن في تلك المصانع. "فوُضِعن" في مخيم عملٍ مقصوف بالقنابل نُقل عنه قاطنوه أسرى الحرب الإيطاليين. وقد وصف الدكتور ڤلهلم يايگر Dr Wilhelm Jaeger "الطبيب الأقدم" لأرقاء كروپ ماذا رأى عندما تسلم مهام وظيفته هناك، بشهادة موثقة باليمين في نورمبرگ: "في أول زيارة لي وجدت هاته النسوة يعانين من جروح مفتوحة متقيحة

> وغيرها من الأمراض. وكنت أول طبيب يزورهن منذ أسبوعين على اقل تقدير... ولم يكن ثمّ مواد طبية... ليس في ارجلهن أحذية وهن يسرن عاريات الأقدام. والثوب الوحيد الذي يكسو بدن كل واحدة منهن هو غرارة فتحت فيها فتحات للرأس والأيدي وشعورهن محلوقة. والمخيم يحيط به سياج من الاسلاك الشائكة ويحرسه رجال من الإس. إس حراسة مشددة. كمية

= المطلق الصلاحية لتوزيع العمل. كان من النازيين الثانويين في الزعامة، وگاولاتيراً لمقاطعة (ثورينجيا) وحاكماً عاماً لها. رجل قمئ ذو عينين ضيفين خشن، فظ قال عنه گوبلر في يومياته "أنه أغبى الاغبياء". وفي قفص الإتهام بمحكمة نورمبرگ وجدته شخصياً نكرة، لايميزه شيء. ووضعته في صنف أولئك الألمان الذين قد يكونون في أيّ وقت كسبة بسطاء، وقد يكون هذا في ظرف آخر قصاباً في سوق لحم بلدة صغيرة لا غير. ومن الأوامر الأولى التي أصدرها بعد تعيينه وجوب معاملة "العمال الأجانب بشكل يضمن إستنزاف اقصى حد من طاقاتهم بأقل مايمكن من النفقات" [المرجع السالف ج ٣ ص ٥٧ [وثائق نورمبرگ ١٦- P S]. وقد إعترف في نورمبرگ بأنه لم يقبل على العمل طوعاً أكثر من مائتي ألف من كل العمال الأجانب. وانكر أيّ مسؤولية له في سوء معاملتهم. إلا أنه وجد مذنباً وحكم بالموت وشُنق في سجن نورمبرگ في ليلة ١٦/١٥ تشرين الأول ١٩٤٦.

٣٠- المرجع السالف ج ٣ ص ١٤٤ [وثائق نورمبرگ ٨٤٠ P S].



في معسكرات الإعتقال النازية

الطعام في المخيم قليلة إلى درجة لاتوصف ومن صنف ردٍ ىء للغاية. ولايدخل المرء الثكنات إلا وتستقبله أسراب الذباب... وامتلأ ذراعيَ وسائر جسمي ببثور كبيرة. نتيجة العدوى منهن..."

وأبلغ الدكتور يايگر بالحالة مدراء إدارة (كروپ)، بل تحدث مع الطبيب الخاص لـ(غوستاف كروب ڤون بوهلن وهلباخ) مالك المصانع وعبثاً حاول. ولم تحدث تقاريره عن المخيمات الأخرى أيّ تغيير أو أثر. وتذكر في شهادته ما كتبه في تلك التقارير عن حالة ثمانية مخيمات يشغلها العمال الروس والپولنديون: الإحتشاد والضيق الذي يولّد المرض، عدم وجود طعام كاف لسد الرمق والبقاء. نزرة الماء، عدم وجود مرافق صحية. "كانت كسوة العمال الشرقيين أيضاً غير كافية بالمرة. ويشتغلون وينامون بالثياب التي جاؤوا بها من بلادهم وهم جميعاً لايملكون معاطف، فيضطرون الى إستخدام بطانياتهم بهذه المثابة وقاءً في المناخ البارد والمطر. ونظراً إلى قلة وجود الأحذية، فكثير العمال مرغمون على الذهاب الى عملهم بأقدام عارية. حتى في أيام الشتاء...

"أما الأحوال الصحية فهي فظيعة همجية وفي مخيم (كرامر بلاتز Kramer Platz) لم يكن يوجد أكثر من عشرة مراحيض للأطفال خُصصت لألف ومائتين من النزلاء الرجال... وكان البول والخرى يغطي كل أرضياتها... وأكثر من يقاسي من ذلك التتر والقرغيز، فهم يموتون كالذباب (من جراء) سوء السكن وقلة الطعام وإفتقاره الى المواد المغذية الضرورية ولكثرة العمل وقلة الراحة.

"هؤلاء العمال مصابون أيضاً بالحمى المناوبة والقمل الذي ينقل هذا المرض الى جانب ما لايحصى من الذباب والبق وغيرها من الهوام بما يعذب الساكنين في تلك المخيمات... ويُقطع الماء عنهم أحيانا لفترات تتراوح بين ثمانية أيام وأسبوعين...

وحالة العمال الغربيين على العموم أفضل من حالة العمال الشرقيين، فهولاء الأخيرون لايعتبرهم الألمان بشراً، إلا أن الفرق نسبي لا أكثر كما وجد الدكتور (يايگر) في أحد مخيمات عمال كروپ، التي اشغلها أسرى الحرب الفرنسيين في نوگرات شتراسّه No-gerratstrasse قرب (إيسن) "أُبقي نزلاؤه حوالى نصف سنةٍ في بيوت الكلاب والمباول والمخابز القديمة. وبيوت الكلاب هذه إرتفاعها ثلاث أقدام وطولها تسع وعرضها ست. ويحشر فيها خمسة رجال ويضطر الأسرى الى الزحف على أربع لدخولها... وليس في المخيم ماء."[٣١].

وسُخّر زهاء مليونين ونصف مليون عامل رقيقٍ- معظمهم من الروس والإيطاليين- للعمل في المزارع والحقول الألمانية. ومع أن عيشتهم بحكم الظروف التي يحيونها كانت أفضل من عيشة زملائهم في مصانع المدينة. إلا أنها سيئة الى حد كبيرٍ- مجردة من الإنسانية. وقد إستُولي على لائحة تعليمات حول "معاملة العمال الزراعيين البولنديين" ومنه يتضح شكل تلك المعاملة. ومع انها

٣١- الى جانب إستخدام شركة كروپ آلافاً من عمال السخرة مدنيين وأسرى حرب للعمل في مصانعها المختلفة في ألمانيا، فإنها بنت معملاً كبيراً للصمامات الكهربائية في معسكر الموت في (أُوشويتز)، حيث كان اليهود تستنزف قواهم الجسدية بالعمل المرهق حتى إذا سقطوا إعياءً خُنقوا بالغاز السام. وجِّه للبارون گوستاڤ كروپ ڤون بوهلن وهلباخ المدير الأعلى لمجلس الإدارة العام الإتهام في نورمبرگ واحيل للمحاكمة كأحد مجرمي الحرب الكبار مع (گورنگ) ورفاقه، لكنه لم يقدم الى المحاكمة بسبب "سوء حالته الصحية والعقلية" [اذا اصيب بنازلةٍ وأدركه الخرف] ووافاه الأجل في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٠. وبذل الإدعاء العام مجهوداً لتقديم إبنه (الفريد) للمحكمة بديلاً عنه، لأن ملكية معامل الشركة إنتقلت اليه في ١٩٤٣، لكن المحكمة رفضت الطلب. وفيما بعد قدّم (الفريد كروب) الى محكمة عسكرية في نورمبرگ (أمريكية صرفة) مع تسعة من مدراء شركاته في (قضية الولايات المتحدة ضد الفريد كروب ورفاقه) وفي ٣١ تموز ١٩٤٨ أصدرت علية حكما بالسجن لمدة اثنتى عشرة سنة وبمصادرهُ كل ممتلكاته. لكن أُطلق سراحة من سجن لاندسبرگ (حيث قضى هتلر مدة سجنه سنة ١٩٢٤) بتاريخ ٤ شباط ١٩٥١ بموجب مرسوم العفو العام، الذي أصدره المندوب السامي الأمريكي (جون. جي ماكلوي)، ولم يكتف بإلغاء قرار مصادرة ممتلكاته في شركاته وإنما اعيدت اليه ثروته الشخصية وتبلغ عشرة ملايين دولار. كانت حكومات الحلفاء قد أمرت بتفتيت إمبراطورية كروب الصناعية الواسعة، الاّ ان (الفريد كروب) تسلم الإدارة الفعلية للشركة بعد إطلاق سراحه من السجن، وأفلح في إلغاء أمر حَل الشركات. وفي وقت كتابة هذه السطور (١٩٥٩) أعلن بموافقة حكومة بون أنه لن يصفي أعماله بل سيتولى إنشاء صناعات جديدة.

كانت مخصصة للبولنديين وحدهم (تاريخها ٦ آذار ١٩٤١ أي قبل أن يتيسر الروس) إلاّ أنها إستخدمت كدليل فيما بعد الى معاملة الآخرين من جنسيات مختلفة.

"عمال الزراعة البولنديو الجنسية، لايحق لهم رفع شكوى ولذلك لاتقبل منهم أية شكوى الى أيّ مرجع رسمي... الذهاب الى الكنائس ممنوع منعاً باتاً... إرتياد المسارح والسينمات أو أي اماكن لهو ثقافية ممنوع منعاً باتاً... الصلات الجنسية مع النساء والفتيات ممنوع منعاً باتاً". وإن كانت الصلة الجنسية مع أنثى ألمانية فالعقوبة هي الموت. بحسب مرسوم أصدره هملر في ١٩٤٢[٣٢]. وإستخدام "القطارات والباصات وغيرها من وسائل النقل العمومية" محظور على عمال السخرة الزراعيين. ويظهر أن هذا الإجراء إتخذ ليحول دون هروبهم من المزارع التي ارتبطوا بها.

"و [وجاء في التعليمات]... التغيير الكيفي لمحل العمل ممنوع منعاً باتاً. وعلى العمال الزراعيين ان يشتغلوا طالما شاء رب العمل منهم. وليس هناك وقت محدود لساعات العمل أو اوقاته... لرب العمل الحق في فرض عقوبة الجلد على مستخدميه العمال الزراعيين... ومن المستحسن ان أمكن أن يعزلوا عن الأحياء المنزلية، ولابأس أن يسكنوا في الاسطبلات وغيرها. ويجب ألا تقف العاطفة أو تبكيت الضمير حائلاً دون هذا العمل[٣٣]. حتى النساء السلافيات، فقد كنَّ عرضة للقبض والشحن الى ألمانيا للقيام بالأعمال المنزلية ومعاملتهن كرقيقاتٍ. ومنذ ١٩٤٢ كان هتلر قد أمر (ساوكل) بأن يجمع قرابة نصف مليون منهن حتى يحملن عن عاتق الزوج الألمانية أعباء بيتها". وقد وضع (قوميسار) عمل السخرة شروط العمل في منازل الألمان: "ليس هناك حق بطلب وقتٍ للراحة. يمكن لعاملات البيت الشرقيات أن يتركن المنازل ليقمن بمهامٍ تتعلق بأعمالهن... ويحظر عليهن دخول السينمات وغشيان المطاعم والمسارح وما إليها من الأماكن. الذهاب الى الكنيسة ممنوع أيضاً."[٣٤]

لاتقلّ حاجة مشروع عمل السخرة النازي الى النساء عنها الى الرجال. فمن بين ثلاثة ملايين مدني روسي نقلوا جبراً للعمل في ألمانيا، زهاء نصف مليون امرأة ومعظمهن إستُخدمن في أعمال زراعية ثقيلة وفي المعامل الصناعية.

ولم يكن إسترقاق الملايين من الرجال والنساء من البلاد المحتلة ككادحين أدنياء للرايخ الثالث ضرورة حتمتها ظروف الحرب. فمن تصريحات هتلر وگورنگ وهملر وغيرهم مما أتينا الى ذكره (وهي

٣٢- إن تعليمات هملر المؤرخة ٢٠ شباط ١٩٤٢ كانت موجهة بصورة خاصة إلى عمال السخرة الروس، ونصّت على معاملتهم "معاملةً خاصة" وكذلك "بسبب خرقهم الفاضح للنظام وبضمنه رفض العمل أو التباطئ فيه" ففي هذه الأحوال:- "يرجى ان تكون "المعاملة خاصة". والمعاملة الخاصة هي الشنق. ويجب ألا يُنفذ ذلك في المخيم أو بالقرب منه. وعلى كل حال من اللازم ان يحضر التنفيذ عدد معين" [المرجع السالف ج ٥ ص ٧٤٤- ٧٥٤ وثائق نورمبرگ- ٣٠٤٠ PS]. إن اصطلاح "المعاملة الخاصة" كثير الترداد في ملفات همل،ر وكناية معروفة عند النازيين أثناء الحرب. وهو بالضبط يعني ماقصده هملر في تعليماته هذه.

٣٣- المرجع السالف ج ٧ الص ٢٦٠- ٢٦٤ [وثائق نورمبرگ- EC ٦٨].

٣٤- المرجع السالف ج ٧ ص ٧٦٥ [وثائق نورمبرگ ٣٠٤٤- PS. ب].

أمثلة قليلة جداً) يتضح: لو أن البقاء الطويل قد كتب لألمانيا النازية فسيكون معنى النظام الجديد سيادة الشعب الألماني المتفوق على إمبراطورية هائلة من العبيد الأرقاء تمتد من سواحل الأطلنطي حتى جبال الأورال. ولتكن واثقاً أن أسوء المصير كان مُدخراً للسلاف.

بيّن هتلر في تموز ١٩٤١، ولم يمض شهرٌ على مهاجمته الإتحاد السوڤييتي كل خططه عن إحتلالها مجملةً في عبارة "تسوية نهائية". وبعدها بعامٍ واحدٍ في حين بلغت إنتصاراته الروسية أوجها راح يحذّر معاونيه بقوله: "أما بخصوص المائة مليون سلاڤي المنحطين. فسوف نحوّر أفضلهم التحوير الذي يناسبنا وسنعزل الباقين منهم في زرائبهم الخنزيرية. وكل من يتحدث عن إبقاء السكان المحليين والأخذ بيدهم الى المدنية يذهب حالاً الى معسكر الاعتقال"![٣٥].

-٤-

أسرى الحرب

مع أن إستخدام أسرى الحرب في مصانع السلاح أو أي عمل يتعلق بالقتال في الجبهة، يعتبر إنتهاكا صريحاً فاضحاً لإتفاقيات جنيف ولاهاي، فلم يكن ذلك ليصيب الرايخ الثالث بأي قلق حين عمد اليه، وهو أيضاً أزهد ما يقلق بال ملايين الجنود الأسرى مادام هو أهون من الموت على كل حال.

فقد انحصر كلّ همهم في البقاء أحياء حتى نهاية الحرب. فإن كانوا روسيين فالأمل ضعيف ونسبة الإحتمالات في غير صالحهم. كان عدد الأسرى الروس يفوق عدد كل الأسرى من الشعوب الأخرى مجتمعةً – ولقد قدروا بخمسة ملايين وثلاثة أرباع المليون، لم يعثر منهم إلا على مليون حَي فقط في معسكرات أسرى الحرب عندما حررتهم جيوش الحلفاء في ١٩٤٥. ومن ذلك المجموع أطلق سراح مليون تقريباً أو ضموا الى الوحدة الروسية البيضاء المتعاونة مع الألمان التي شكّلها الجيش. وقضى مليونان نحبهم في الأسر الألماني– جوعاً وبرداً ومرضاً. أما المليون الباقي فلم يعرف عن مصيره شيء. وفي نورمبرگ ثبت بأكثر من دليل أن اغلب هذا المليون أما قضى نحبه نتيجة الأسباب الآنفة، أو تولى قتلهم رجال أمن الحرس الأسود (S. D). وتشير التقارير الألمانية الى قتل (٦٧٠٠٠) أسير منهم. ولكن هذا ولاشك جزء صغير من الرقم الحقيقي[٣٦].

ان القسم الأكبر من أسرى الحرب الروس (مايناهز ٣٨٠٠٠٠٠) وقعوا في ايدي الألمان في أولى

٣٥– احاديث هتلر السرية ص ٥٠.

٣٦– استندت الى الدراسة الواسعة العميقة التي قام بها الكساندر دالكين للسجلات الألمانية، وضمنها كتابه "الحكم الألماني في روسيا الص ٤٢٦– ٤٢٧". وقد إستخدم الأرقام التي جمعتها دائرة القوات المسلحة العامة Allgemeines Wehrmachtamt التابعة للقيادة العليا للقوات المسلحة– في: Nachweisungen des Vesbleily des Soujetichen Kr. Gef. . Nachdem stand vom 1- 5 - 1944.

صفحات الحرب الروسية أثناء معارك التطويق الكبرى التي وقعت مابين ٢١ حزيران و٦ كانون الأول ١٩٤١. وإقراراً بالحقيقة، كان يصعب على أي جيش في خضم المعركة والتقدم السريع أن يعنى عناية جيدة بمثل هذا العدد الهائل من الأسرى. إلا أن الألمان لم يبذلوا أيّ مجهود في هذا الصدد. والواقع أن المدوّنات النازية تكشف كما مرّ بنا إن الأسرى السوڤييت تُركوا عمداً بدون طعام وفي العراء دون غطاء أو وطاء ليموتوا حتف أنفهم في شتاء ١٩٤١ – ١٩٤٢ الفظيع الثلجي النازل درجات عديدة تحت الصفر.

كان شعار العدد الكبير من المسؤولين النازيين بحسب مرجع لايقل أهمية عن روزنبرگ نفسه، قوله "كلما زاد عدد من يموت من هؤلاء الأسرى، فهو أفضل لنا".

هذا الوزير المأفون للأراضي الشرقية المحتلة، لم يكن نازياً إنسانيّ النزعة وبخاصة نحو الروس الذين ترعرع بينهم كما مرّ بنا. حتى هذا الصخري، تحركت عاطفته الى حد الإحتجاج الرسمي على معاملة أسرى الحرب السوڤييت في رسالة مسهبة الى الجنرال كايتل رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة مؤرخة في ٢٨ شباط ١٩٤٣. كان ذلك في ذروة الهجوم السوڤيتي المضاد الذي دحر الألمان عن موسكو وروستوف وبلغ أبعد مداه في ذلك الشتاء عندما صحا الألمان على الحقيقة، وهي أن مقامرتهم بتحطيم روسيا في حرب قصيرة واحدة– قد فشلت ولربما كان فشلها نهائياً وأنهم قد لايربحون الحرب لاسيما بعد أن أضيف إسم الولايات المتحدة الى قائمة اعدائهم البريطانيين والسوڤييت. وإنهم في هذه الحالة سيحملون مسؤولية جرائم الحرب التي ارتكبوها.

"[كتب روزنبرگ لكايتل] إن مصير أسرى الحرب السوڤييت في ألمانيا هو مأساة بأوسع معانيها. فمن بين ثلاثة ملايين وثمانمائة ألفٍ لم يبق غير بضع مئات الألوف يقدرون على القيام بأعمالهم بصورة كاملة. لقد سقط عدد كبير منهم إعياءً من فرط الجوع أو قضوا نحبهم بسبب قسوة المناخ". واستطرد روزنبرگ يقول ان هذا يمكن تفاديه. فثمّ قوت يكفيهم في روسيا.

"ومهما يكن من أمرٍ ففي معظم الحالات كان آمرو المعتقلات يمنعون توزيع الطعام على الأسرى، ويفضلون قتلهم جوعاً، ومنع المدنيون من إعطاء طعامٍ للأسرى عندما كانوا في طريقهم الى المعتقلات سيراً. وفي كثير من الأحيان كان يقتل بالرصاص المرهقون منهم والمنهكون جوعاً أثناء المسيرة وأمام اعين السكان المدنيين الهَلِعة، وتُترك الجثث على قارعة الطريق. ولم تتخذ التدابير في مختلف المعتقلات لإنشاء سقوف يحتمي تحتها الأسرى. وبهذا يبقون في العراء تحت السماء أثناء هطول الأمطار والثلوج...."

"واخيراً لايفوتني أن أذكر مسألة إطلاق النار على أسرى الحرب وقتلهم هذه... تتجاهل كل المفاهيم السياسية فمثلاً في عدد كبير من المعتقلات كان كل الأسرى "الآسيويين" يُقتلون رمياً بالرصاص..."[٣٧]

٣٧– مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ الص ١٢٦– ١٣٠ [وثائق نورمبرگ ٨٠ PS].

ليس الآسيويين وحدهم. بعد بدء الحرب الروسية بقليل توصلت القيادة العليا للقوات المسلحة ورجال أمن الحرس الأسود الى إتفاقية فيما بينهما بخصوص (ستر) الأسرى الروس. والهدف من ذلك كشفت عنه إفادة موثقة بقسم أداها (أوتو اوليندورف Otto Ohlendorf) وهو واحد من قتلة رجال أمن الـ(إس.إس) الكبار ومثقف شاذ ككل المحيطين بهملر. فقد حاز شهادتين جامعيتين في القانون وفي الإقتصاد. وكان أستاذاً في معهد العلوم الإقتصادية التطبيقية.

"[شهد اوليندورف] لقد كان مقرراً أن يؤخذ كل اليهود وكل كادر شيوعي من معتقلات أسرى الحرب ويعدموا الحياة رمياً بالرصاص. وعلى مدى معرفتي كان هذا العمل مستمراً طوال الحرب الروسية"[٣٨].

لكن لم يكن الأمر سهلاً في بعض الأحيان. ففي أحيانٍ يبلغ الإعياء حداً بالأسرى الروس بحيث لايعودون قادرين على السير الى ساحة الموت. وقد إستدعى هذا إحتجاجاً من (هاينريخ موللر) رئيس الگشتاپو وهو رجل خفيف الحركة أنيق، لكنه سفاك لاتهزه عاطفة[٣٩].

"إن آمري المعتقلات يجأرون بالشكوى الدائمة: من وصول ٥ أو ١٠ بالمائة من السوڤييت الروس المقرر قتلهم، الى معسكر الاعتقال موتى أو أشباه موتى... والملاحظ بصورة خاصة عند سير الأسرى مثلاً من محطة القطار الى المعتقل أن يسقط عدد كبير منهم اعياءً إمّا موتى وإمّا انصاف موتى، وكان ينبغي أن يرفعوا ويوضعوا في لوريات تسير وراء الرتل لايمكن أن يُحال دون الألمان ورؤيتهم هذه الحوادث".

إن الگشتاپو لايهتم قلامة ظفر بالأسرى السوڤييت وهم يسقطون موتى من الجوع والإعياء إلاّ بقدر ما يحرم الجلادين من ضحاياهم. ألا أنهم لايريدون ان يشاهد الألمان هذا المنظر، ولذلك أصدر الگشتاپو موللر أمراً:

> "يتم العمل به من هذا اليوم [٩ تشرين الثاني ١٩٤١]: كل الروس السوڤييت الذين تبدو عليهم علامات الإحتضار الواضحة وهم لذلك عاجزون عن قطع المسافات سيراً حتى المسيرة القصيرة، يفصلون عن القافلة المرسلة الى معسكر الإعتقال للقتل، ومن الآن فصاعداً"[٤٠].

إن أسرى الحرب الموتى أو المحتضرين جوعاً أو المنهوكي القوى لايمكن ان ينجزوا عملاً، وفي **١٩٤٢** عندما إتضح للألمان أن الحرب ستستمر طويلاً وعندما أخذوا يفكرون بأن الأسرى السوڤييت سيكونون مصدر طاقة لاغنى لهم عنه وإحتياطي عملٍ هم في أمس الحاجة اليه، نبذوا سياسة التقتيل الى سياسة التشغيل. وشرح هملر التغيير في خطابه أمام رجال الحرس الأسود في پوزن **١٩٤٣**.

٣٨- المرجع السالف ج ٥ ص ٣٤٣ (وثائق نورمبرگ PS ٢٦٢٢].

٣٩- لم يعثر على(موللر) بعد الحرب. وقد رؤي أخر مرة في ملجأ هتلر في برلين في ٢٩ نيسان ١٩٤٥، ويعتقد بعض زملائه الباقين في قيد الحياة انه الآن في خدمة دوائر الأمن السرية السوفييتية، التي كان يلهج بها اعجاباً.

٤٠- المرجع السالف ج ٣ ص ٨٢٣ [وثائق نورمبرگ- PS ١١٦٥].

"في ذلك الوقت [١٩٤١] لم نقدر قيمة الكتل البشرية كما نقدّرها الآن- بوصفها مادة اولية. وإن نحن فكرنا للأجيال القادمة فما هو الآن مؤسف بسبب ضياع الطاقة الإنتاجية وليس مُحزناً - هو أن يموت الأسرى بعشرات الألوف بل بمئات الألوف، إرهاقاً وجوعاً"[٤١] والآن يلزم أن يُطعموا ما يكفي ليجعلهم قادرين على العمل. وفي شهر كانون الأول ١٩٤٤ كان ثلاثة أرباع المليون منهم، وبينهم عدد كبير من الضباط، يكدحون في مصانع السلاح والمناجم (خصص منهم مائتا ألف) وفي المزارع كانت معاملتهم قاسيةً جداً الآ انه سمح لهم بالحياة على الأقل حتى أن الوشم الذي كان الجنرال كايتل قد إقترحه للأسرى الروس أُهمل ولم يعمل به[٤٢].

اما معاملة أسرى الحرب الغربيين وبخاصة الإنگليز والأمريكان، فكانت أفضل نسبياً من المعاملة التي أُخضع لها الروس. كانت تقع حوادث قتل ومجازر بين آن وآخر، إلا أن ذلك مردّه عادةً الى القسوة والسادية المفرطة في آمري المعتقلات بصورة فردية. مثل حادث قتل عمدٍ لواحدٍ وسبعين أسيراً أمريكياً في ميدان الحرب بالقرب من (مالميدي Malmedy) في بلجيكا في ١٧ كانون الأول ١٩٤٤ أثناء معركة (بولج Bulge). هناك مناسبات أخرى حينما كان هتلر نفسه يأمر بقتل الأسرى الغربيين كقضية الطيارين البريطانيين الخمسين، الذين قبض عليهم في ربيع سنة ١٩٤٤ بعد فرارهم من معسكر إعتقال (ساگان Sagan) ووصفها گورنگ في نورمبرگ "إني اعتبرها أخطر حادث من حوادث الحرب"، ونعتها الجنرال يودل "بجريمة قتلٍ صرفة".

ويبدو فعلاً انها جزء من سياسة ألمانية متقصدة إتُخذت بعد أن اصبح القصف الإنگلوأمريكي لألمانيا واسعاً مدمراً من ١٩٤٣ فصاعداً لتشجيع قتل الطيارين الحلفاء الذين يقذفون بأنفسهم من طائراتهم فوق ألمانيا. وشُجع المدنيون على تعليق الطيارين حالما ينزلون الى الأرض بمظلاتهم. وقد حوكم عدد من هؤلاء الألمان لعملهم هذا بعد الحرب. في ١٩٤٤، عندما بلغ القصف الجوي الإنگلوأمريكي أوجه، إقترح ريبنتروب أن يُقتل الطيارون حالاً رمياً بالرصاص، إلا أن هتلر تبنى وجهة نظر أخف من هذه بعض الشيء. فأصدر في ٢١ أيار ١٩٤٤ بالإتفاق مع گورنگ أمراً يقضي أن يرمى بالرصاص فوراً وبدون محكمة عسكرية، الطيارون الأسرى الذين اطلقوا مدافعهم الرشاشة على قطارات الركاب أو طائرات مدنية أو ألمانية إضطرت الى الهبوط هبوطاً اجبارياً.

وفي بعض الأحيان كان الطيارون الأسرى يُسلمون الى رجال أمن الحرس الأسود لإجراء "المعاملة الخاصة" عليهم. وبهذه الصورة قُتل سبعة وأربعون ضابطاً طياراً من الهولنديين والإنگليز والأمريكان

٤١- المرجع السالف ج ٤ ص ٥٥٨ [وثائق نورمبرگ ١٩١٩- PS].

٤٢- في ٢١ تموز ١٩٤٢ كتب كايتل الأمر:

١- يجب أن يُعلَم أسرى الحرب الروس بوشم خاصٍ لايزول يتضمن علامةً فارقة.

٢- الوشم يكون على شكل زاوية حادة ذات (٤٥) درجة تقريباً طول كل من ضلعيها سنتمتر واحد. مؤشرة الى الأسفل. على الردف الأيسر بإرتفاع كفٍ واحدٍ تقريباً من المستقيم (الشرج). [محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٣٩ الص ٤٨- ٤٩].

قتلاً وحشياً في معسكر إعتقال (ماوتهاوزن) في أيلول ١٩٤٤. ووصف شاهد العيان (موريس لامب Mourice Lampe) وهو أحد نزلاء المعتقل- كيف تم ذلك في محكمة نورمبرگ قال: "اقتيد السبعة والأربعون ضابطاً وهم عراة الأقدام الى قطع صخور... وفي اسفل المرتقى حَمل الحرس كل واحدٍ منهم حملاً من الحجارة على ظهورهم لنقله إلى القمة. وخصصوا للرحلة الأولى ستين پاونا لكل واحدٍ ترافقها الركلات والرفسات... وكانت النقلة الثانية أثقل من الأولى فإذا سقط أحد المساكين تحت ثقلها رُكل بالأرجل وضُرب بالهراوات... وبحلول المساء مددت أحدى وعشرون جثة منهم على الطريق. أمّا الستة والعشرون الباقون فقد قضوا نحبهم في صبيحة اليوم التالي.[٤٣]"

وهذا شكل مألوف "من الإعدام" استُخدم في معتقل (ماتهاوزن)، ومن بين من ذاقه عدد كبير من أسرى الحرب الروس.

ومنذ ١٩٤٢ فصاعداً (أعنى عندما أخذ مد الحرب ينحسر عن هتلر) أمر بقتل افراد الكوماندو الحلفاء أينما أسروا وبخاصة في الغرب. (أما أفراد الأنصار السوڤييت فكانوا يقتلون حالاً بالطبع). ومن بين الوثائق النازية "أمر الكوماندو" السري جداً؛ الذي أصدره هتلر في ١٨ تشرين الأول ١٩٤٢.

"من الآن فصاعداً، يُقتل الى آخر رجلٍ كل الأعداء الذين يقومون بما يطلق عليه (أعمال الكوماندو) في أوروپا أو أفريقيا وتشتبتك معهم قواتنا، سواء في بزاتهم العسكرية، سواء أهم مسلحون أو عزّل، في حالة مواجهة أو حالة هزيمة"[٤٤].

وفي ملحق توجيهي أصدره في اليوم نفسه شارحاً لقواده الأسباب التي دعته الى إتخاذ هذا القرار، قال "بسبب نجاح كوماندو الحلفاء... اضطررت الى أن أصدر أوامر مشددة لتدمير قوات العدو التخريبية. يجب أن نوضح للعدو أن كل القوات التخريبية ستبُاد بدون إستثناء الى آخر رجل. وهذا يعني أن فرصهم في النجاة بأرواحهم هي صفر... ولن يتوقعوا مهما كانت الظروف أن يعاملوا وفق قواعد إتفاقيات جنيف وإذا كان الأمر يتطلب (لأسباب الإستجواب)، إستثناء واحدٍ أو اثنين فيجب أن يقتلاً بعد إنتهاء الإستجواب"[٤٥].

هذه الجريمة بالذات يجب أن تبقى سراً مغلقاً. فقد ذيّل الجنرال (يودل) تعليمات هتلر بعبارة وضع تحتها خط: "هذا الأمر لايطلع عليه غير القادة. ويجب ألاّ يقع في يد العدو بأي حالٍ من الأحوال". وأُمر القادة بإتلاف كل نسخة بعد أن يطلعوا عليه. ولاشك أنه إنطبع في أذهانهم، لأنهم بدأوا في تنفيذه وسنقدم حادثتين منه فيما يلي.

في مساء ٢٢ آذار ١٩٤٤ نزل بَر إيطاليا ضابطان وثلاثة عشر جندياً من "فوج الإستطلاع الخاص"

٤٣- المرجع السالف ج ٦ الص ١٨٥- ١٨٦.
٤٤- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ الص ٤١٦- ٤١٧ [وثائق نورمبرگ- ٤٩٨ PS].
٤٥- المرجع السالف الص ٤٢٦- ٤٣٠ [وثائق نورمبرگ ٥٠٣ PS].

المائتين والسابع والستين التابع لجيش الولايات المتحدة، نزلوا من سفينة أسطول بعيداً جداً عن خطوط الألمان بمهمّة نسف نفق قطار بين (لاسپيزيا La Spezya وجنوه Genoa) وهم ببزاتهم العسكرية ولايحملون معهم ثياباً مدنية فأسروا بعد يومين قتلوا رمياً بالرصاص أمام فصيلة إعدام بدون محاكمة.

وبأمرٍ مباشر من الجنرال (انطون دُستلر Anton Dostler) قائد الجيش الألماني الخامس والسبعين. وقد حوكم فيما بعد أمام مجلس عسكري أمريكي فنفى عنه مسؤولية عمله بقوله أنه أطاع أمر هتلر الخاص بالكوماندو ليس إلا، ولو لم ينفذ الأمر لحوكم هو نفسه أمام مجلس عسكري ألماني[٤٦].

وأعدم الحياة في معتقل (ماوتهاوزن) بأمرٍ من الدكتور ارنست كالتنبرونر Dr Ernst Kaltenbruner خليفة (هيدريخ) في رآسة قسم الأمن في الحرس الأسود وأحد المتهمين في نورمبرگ[٤٧]. خمسة عشر عضو بعثة عسكرية أنگلوأمريكية، بضمنهم مراسل حربي لوكالة الأسوشييتيد پريس، وكلهم في بزات عسكرية هبطوا بالمظلات في سلوڤاكيا في كانون الثاني ١٩٤٥. وكان مقتلهم سيبقى سراً أبدياً لولا شهادة نائب ضابط في المعتقل رأى أعدامهم يأم عينه. ذلك لأن معظم ملفات القتل الإجماعي في هذا المعتقل قد أُتلفت[٤٨].

-٥-

الهَوْل النازي في الأراضي المحتلة

في ٢٢ تشرين الأول ١٩٤١ نشرت صحيفة فرنسية إسمها (لوفار Le Phare) الملحوظة التالية:

"لقد قتل المجرمون الرعاديد من وكلاء إنگلترا وموسكو قائد ميدان مدينة (نانت)- Nantes - Feldkemmondont في صباح العشرين من تشرين الأول. ولم يقبض على القتلة حتى الآن... وتكفيراً عن هذه الجريمة أمرتُ أن يُقتل خمسون من الرهائن رمياً بالرصاص في الدفعة الأولى... وسيُقتل خمسون رهينة أخرى إن لم يجر إعتقال المجرمين إبتداء من هذا اليوم حتى ٢٣ تشرين الأول منتصف الليل."

باتت هذه الملحوظات مألوفة اعتيادية على صفحات الجرائد أو على إعلانات جدران ذات حواشٍ سوداء في فرنسا وبلجيكا وهولندا والنرويج وپولندا وروسيا. والنسبة التي أعلنها الألمان رسميا هي نسبة ثابتة: مائة لواحد، مائة رهينة تقتل رمياً بالرصاص مقابل كل ألماني قتيل.

ومع أن عادة أخذ الرهائن هي من العادات الموغلة في القدم وأكثر من إستعملها الرومان، فهي

٤٦- حكمت محكمة عسكرية أمريكية في روما بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٤٥ بالموت على الجنرال دوستلر.
٤٧- شنق (كالبتزونر) في سجن نورمبرگ في ليلة ١٦/١٥ من تشرين الأول عام ١٩٤٦.
٤٨- المرجع السالف ج ٧ الص ٧٩٨- ٧٩٩ [وثائق نورمبرگ- ٥١ L].

على العموم لم تمارس في الأزمنة الحديثة. خلا أن الألمان مارسوها في الحرب العالمية الأولى وكذلك البريطانيون في الهند وجنوب افريقيا أثناء حرب البوير Boer. الاّ أن الجيش الألماني إستخدمها في أيام هتلر بنطاقٍ واسع أثناء الحرب. وقد عُرضت في نورمبرگ عشرات من الأوامر السرية بتوقيع الجنرال كايتل ومن يليه من القادة الأدنى رتباً- تقضى بأخذ الرهائن وقتلها. وفي ١ تشرين الأول ١٩٤١ بيّن كايتل "من الأهمية بمكانٍ أن هؤلاء [الرهائن] يجب أن يكونوا من الشخصيات البارزة المعروفة. أو من افراد أسرهم"، وبعدها بسنة واحدة أكد الجنرال ڤون (شتولبناكل) القائد الألماني في پاريس "كلما كانت الرهينة التي ستقدم الحياة معروفة بارزة كلما كان التأثير الرداع أشد في الفاعلين".

وبلغ مجموع الرهائن التي قتلها الألمان في فرنسا أثناء الحرب (٢٩٦٦٠) ضحية. وليست هذه من ضمن الأربعين ألف فرنسي الذين (ماتوا) في السجون الفرنسية. أما الرقم الپولندي فبلغ ثمانية آلاف رهينة، وفي هولندا حوالي ألفين. وفي الدانمارك ناب عن الإعلان الرسمي بإعدام الرهائن ما أصبح معروفا بنظامِ "القتول الغاسلة". فقد أصدر هتلر أوامره الصريحة بخصوص تطبيق العقوبات على مقتل الألمان في الدانمرك بصورة سرية "وبنسبة واحدٍ الى خمسة"[٤٩]. وبهذا الشكل وعلى هذه الأسس قُتل القس الدانيمركي الشاعر والمسرحي العظيم (كاي مونك Kai Munk) وأحد أحب الشخصيات في سكندناڤيا. قُتل قتلةً شنعاء ورمى الألمان جثته على قارعة الطريق وشبكوا فيها رقعة كتبوا فوقها ما يلي: "خنزير! لقد عملتَ لألمانيا أيضاً".

من بين سائر جرائم الحرب التي قال الجنرال كايتل في محكمة نورمبرگ أنه ارتكبها بأوامر من هتلر... وهي (أشنعها طرّاً) على حد قوله: تلك التي نجمت عن "مرسوم الليل والضباب Nacht und Nebel Erlass). وخُص بهذا الأمر الشاذ أولئك البائسون من سكان الغرب المحتل، ووضعه هتلر نفسه موضع التنفيذ في ٧ كانون الأول ١٩٤١. والغرض منه كما يدل عنوانه الشاذ هو: إلقاء القبض على الاشخاص الذين" يهددون سلامة الدولة الألمانية" فلا يقتلون فوراً وأنما يذوبون ويتلاشون دون أن يبقى لهم أثر في (ليل وضباب) المجهول في ألمانيا. ولايُعطى عنهم أيّ معلومات لأسرهم ولايُخبر أحد بمصيرهم وان كان السؤال لمجرد معرفة مواضع دفنهم من بلاد الرايخ كما رُسم بشكلٍ باتٍ.

وفي ١٢ كانون الأول ١٩٤١ أصدر كايتل التعليمات التي يشرح بها مرسوم الزعيم من حيث المباديء والأسس" فقال "إن عقوبة الموت تفرض على كل الجرائم التي تُرتكب ضد الدولة الألمانية، لكن... إن عوقب على هذه الجرائم بالسجن حتى الأشغال الشاقة المؤبدة فسيُعد هذا دليلاً على الخور والضعف. والإرهاب ذو الأثر المجدي لايتحقق إلا بأمرين: أما بعقوبة الموت أو بإتخاذ إجراءات عدم تعريف أقرباء المجرم والأهالي بشيءٍ ما عن مصيره".[٥٠]

٤٩- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٧ ص ٤٧.
٥٠- مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج ٧ الص ٨٧٣- ٨٧٤ [وثائق نورمبرگ- ٩٠ L].

وفي شباط التالي توسع كايتل في شرح "مرسوم الليل والضباب"... فأوصى في حالات عدم إيقاع عقوبة الموت خلال ثمانية أيام من إلقاء القبض على الشخص..بأن "يُنقل الموقوفون الى ألمانيا سراً.. ولهذا الإجراء تأثير رداع شديد لأن: (١) الموقوف سيضيع دون ان يخلف اثراً. (٢) المعلومات لاتُعطي مطلقاً عن مكانه أو مصيره[٥١].

وأُنيط برجال أمن الحرس الأسود صلاحية القيام بهذه المهمة الشنعاء. لذلك كانت ملفاتها السرية المستولى عليها مشحونة بمختلف الأوامر المتعلقة بتنفيذ مرسوم الليل والضباب، أو كما سموه إختصاراً (ن. ن – N. N)، ولاسيما تلك التي تحتم إبقاء قبور الضحايا سراً مكتوماً. ترى كم من الأوروپيين الغربيين إختفوا تحت جنح الليل والضباب؟ ذلك مالم يُعلم عدده في نورمبرگ على أن قليلاً جداً من هؤلاء خرجوا احياءً.

ومهما يكن. فهناك أرقام تتعلق بعدد من ضحايا عملية مهولةٍ أخرى طبقت على أراضي محتلة في روسيا أمكن الحصول عليها من سجلات رجال الأمن السريين لتنير لنا بعض السبيل. لقد نفذ هذه العمليه ما عرف في ألمانيا باسم فصائل العمل الخاصة (اينزاتسگروپن Einsatz gruppen)، وما نفضل أن نطلق عليه "فصائل القتل" انسجاماً مع طبيعة العمل الذي كلفت به. وظهرت أولى الأرقام التقريبية لما انجزت بمحض الصدفة في نورمبرگ.

في احد الأيام التي سبقت محاكمات نورمبرگ كان اللفتانت كوماندر من البحرية الأمريكية وِتني ر. هاريس. Whitney R.Harris من مساعدي هيئة الادعاء العام، يستجوب المدعو (أوتو أوليندروف) عن أعماله في أيام الحرب. وكان الضابط الأمريكي يعلم أن هذا المثقف الألماني الوسيم ذا الملامح الشابة (يبلغ من العمر ٣٨ سنة) قد رأس القسم الثالث من دائرة أمن هملر المركزية. إلا أنه في سنوات الحرب الأخيرة قضى معظم اوقاته بوظيفة خبير في التجارة الخارجية بوزارة الإقتصاد. فأجاب أنه قضى فترة الحرب موظفاً في برلين سنة واحدة فسأله المحقق عن الأعمال التي تولاها خلال هذا العام. فأجاب: "كنت رئيساً لفصيلة العمل الخاص الرابعة (آنيزاتسكروپن: دي).

كان هاريس يمتهن المحاماة. وقد بات مرجعاً هاماً في الشؤون الألمانية وقتذاك، وهو بهذه الفصائل عليم فبادره حالاً:

– في السنة التي توليت رآسة فرقة العمل الخاص الرابعة، كم أهلكت فرقتك من الرجال والنساء والاطفال؟

يتذكر (هاريس) فيما بعد أن (أوليندروف) هزّ كتفية بعدم إكتراث وأجاب بعد قليل جداً من التردد (تسعون ألفاً!)[٥٢].

في مبدأ الأمر، قام (هملر وهيدريخ) بتشكيل هذه الفرق لتتبع الجيوش الألمانية الى پولندا في

٥١- المرجع السالف الص ٨٧١- ٨٧٢ [وثائق نورمبرگ- ٩٠ L].
٥٢- هاريس "الطغيان أمام المحكمة Tyramny on Trial الص: ٣٤٩- ٣٥٠.

١٩٣٩، وتقوم بجمع اليهود من أرجاء البلاد وحشرهم في أحياء خاصة: Ghettos. وبعد مرور سنتين تم الإتفاق مع الجيش الألماني أن تتبع هذه الفصائل وحدات الميدان الى المناطق المحتلة لتنفيذ إحدى صفحات "الحَل النهائي". وشُكلت لهذا الغرض أربع فصائل: (ا، ب، ج، د)، والأخيرة منها كانت برآسة أوليندروف منذ حزيران ١٩٤١ حتى حزيران ١٩٤٢. وزاولت أعمالها في القطاع الجنوبي الأدنى من (أوكرانيا)، ورُبطت بالجيش الحادي عشر. في قفص الإتهام وجه العقيد المدعي العام جون هارلان آمين John Harlan Amen، سؤالاً الى أوليندروف عن فحوى التعليمات التي تسلمها. فأجاب:

– نصت التعليمات على (تصفية) جميع اليهود والقوميسارين السياسيين السوڤييت.

فسأله آمين: عندما تقول (تصفية) فهل تعني (القتل)؟

فأجاب (أوليندروف): نعم أعني (القتل). وبيّن أن القتل لم يقتصر على الرجال وإنما شمل النساء والأطفال. وهنا ابتدره القاضي السوڤيتي الجنرال. ي. ت. نيكتيچنكو T .I.Nikitchenko

– ما الأسباب التي دعت لقتل الأطفال؟

أوليندروف: الأوامر كانت تقضي بإستئصال اليهود إستئصالاً جماعياً.

الجنرال نيكيتچنكو: وبضمنهم الأطفال؟

أوليندروف: نعم.

الجنرال نيكيتچنكو: أو أهلكتم كل الأطفال اليهود؟

أوليندروف: نعم.

وفي أثناء إجابته على اسئلة أخرى وجهها اليه العقيد (آمين)، شرح أوليندروف في إفادته كيف يتم القتل الجماعي: "تدخل وحدة من هذه الفرقة قرية ما أو بلدة وتطلب من أبرز القوم اليهود فيها أن يجمعوا بني جلدتهم في محل واحد لغرض "اعادة إسكانهم"[٥٣]

وبعد أن يتم جمعهم يُطلب منهم تسليم أثمن مقتناهم كما يؤمرون بنزع ثيابهم الخارجية (وهذا يتم قبل إهلاكهم بوقت قصير) وبعدئذ ينقلون الى ساحة الرمي، وتكون عادة خندقاً من الخنادق المضادة للدبابات- بلوريات تحمل أكثر ما يمكن منهم وبأكثر ما يتسع الوقت لقتلهم في الحال. ونحن بهذه الوسيلة نحاول ان نجعل الفترة المنحصرة بين معرفة الضحايا المصير المقدر لها وبين تنفيذ عمل القتل فيها أقصر ما يمكن. وبعد ذلك نطلق عليهم النار وهم إما واقفون وإما راكعون أمام فصائل الإعدام على الطريقة العسكرية. وتقذف الجثث في الخندق. ولم أسمح بإطلاق النار بشكل فردي بل آمر أن يقوم عدة رجال بإطلاق النار في آن واحدٍ حتى تُرفع المسؤولية الشخصية المباشرة – أما غيري مِن قادة فرق العمل الخاص، فقد كانوا يأمرون الضحايا أن ينبطحوا على الأرض وتزهق ارواحهم بإطلاق الرصاص عليهم في رقابهم عند القذال، ولكني ما كنت أحبّذ هذه الوسائل"

فسأله (آمين): ولماذا؟

٥٣- يقصد: انهم يخبرون بنقلهم وإسكانهم في مكان آخر.

فأجاب أوليندروف: لأنها كانت من الناحية النفسية عبئاً يصعب أن يتحمله الجانبان: الضحايا وأولئك الذين يقتلونهم.

ويتذكر أوليندروف انه تسلم في ربيع عام ١٩٤٢ أمراً من هملر يقضي بتغيير طريقة إهلاك النساء والاطفال[٥٤]. فراحوا منذ ذلك الحين يقتلونهم في "عربات الغاز"، وهي سيارات صنعتها لهذا الغرض بالذات شركتان ألمانيتان في برلين. وقد وصف (ضابط الأمن) للمحكمة كيف تقوم هذه العربات العجيبة بعملها القتّال، قال:

"الغرض الحقيقي لهذه العربات لايُستشف قط من مظهرها الخارجي، فهي تبدو للرائي لوريات مقفلة، جرى تركيبها الآلي بشكلٍ خاصّ، ما أن يدور المحرك حتى يدخل غاز الإحتراق (العادم) الى داخل العربة المحكمة السد، بدل أن يخرج الى الخارج في السيارات الإعتيادية. وتحصل الوفاة في فترة تتراوح بين عشرة وخمس عشرة دقيقة".

ورغب العقيد (آمين) أن يعرف "كيف يتم إقناع الضحايا بدخول هذه العربات؟"

فأجاب ضابط الأمن أوليندروف: يقال لهم أنهم سيُنقلون الى مكان آخر[٥٥].

وشكا من أن دفن ضحايا عربات الغاز كان "محنة عظيمة جداً" لأفراد فرق العمل الخاص. وأيده في ذلك شخص يدعى الدكتور (بيكر Beeker). فقد تعرف أوليندروف عليه في محكمة نورمبرگ عندما عرضت أحدى الوثائق هناك، وشهد إنه مصمم هذه العربات ومخترعها. هذا الدكتور إحتج في رسالة بعثها الى المقر العام على تكليف رجال الأمن الألمان بمهمة تفريغ جثث النسوة والأطفال الذين تم خنقهم بالغاز ونبّه الى..

"الآثار النفسية العظيمة والأضرار الصحية الجسيمة التي يلحقها هذا العمل بالرجال، فهم يشكون لي صداعاً وأوجاعاً في الرأس ما تلبث إلا ان تظهر فيهم بعد تغريغ كل حمل".

واشار الدكتور بيكر على رؤوسائه إلى أن.."إستخدام الغاز عادةً لايتم بشكل صحيح، فلأجل الوصول الى نهاية سريعة جداً، يجب على السائق ان يدوس فرملة الغاز إلى أقصى حدٍ تصل اليه وبهذا يتأتى الموت بسبب الاختناق لا بسبب الغيبوبة وهو المطلوب".

ان الدكتور بيكر كان إنسانياً كبيراً (بالشكل الذي يصوره لنفسه). ولذلك أمر بإجراء تغيير في اسلوب إجراء العملية.

"لقد اثبتت تعليماتي أخيراً أن الموت يتأتى بأسرع وقت، اذ يروح السجناء في إغفاءةٍ هانئة عند قيامنا بضبطٍ صحيحٍ للفرملة Lover. ولم تعد تلاحظ السِّحن المنقلبة والأوجه المتقلصة والقيء وغيرها

٥٤- كان لهذا الأمر سبب خاص: انظر ما سبق.

٥٥- حوكم أوليندورف مع واحد وعشرين آخرين من رفاقه في فرق العمل الخاص أمام محكمة عسكرية أمريكية. وحكم على أربعة عشر منهم الموت. ولم ينفذ الحكم الآ في أربعة وهم أوليندورف والآخرون قادة الفرق. وتم ذلك في٨ حزيران ١٩٥١ في سجن لاندسبرگ بعد ثلاث سنوات ونصف سنة من صدور الحكم عليهم تقريباً. وقد خففت أحكام الموت عن الآخرين.

من الإفرازات"[٥٦].

ولم تكن عربات الغاز قادرة على إهلاك أكثر من عشرة حتى خمسة عشر شخصاً كل دفعةٍ- كما شهد (أوليندروف). وهذا لايستقيم قط مع نطاق المجارز الواسع الذي أمر به هتلر وهملر ويعجز مثلاً عن انجاز العمل الذي تم في (كييڤ) عاصمة أوكرانيا خلال يومي ٢٩ و٣٠ أيلول ١٩٤١، حيث تم ازهاق (٣٣٧٧١) نفساً كما جاء في تقرير رسمي لفرق العمل الخاص، ومعظم هؤلاء من اليهود السوڤييت[٥٧].

وران على قاعة محكمة نورمبرگ صمت عميق من فرط الرعب، عندما قام السر هارتلي شوكروس Sir Hartley Shaucross رئيس الإدعاء العام الإنگليزي، فقرأ تقرير شاهد عيان ألماني حول كيفية تنفيذ مجرزة إجماعية في اوكرانيا أقل من السابقة عدداً. هذا التقرير هو إفادة موثقة باليمين أداها هرمان كرايبه Hermann Craebe مدير ومهندس فرع دائرة شركة إنشائية ألمانية في أوكرانيا بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٤٢. وقد شاهد كوماندو (فرقة العمل الخاص) مع المليشيا الأوكرانية وهي تمارس عمل الجلادين في حُفر الإعدام بدوبنو Dubno في الأوكرين. قال إن الموضوع كان يتعلق (بتصفية) خمسة آلاف يهودي سوڤييتي لاغير!

"... ذهبتُ أنا ورئيس عمالي الى الحُفَر. وبوصولي صك سمعي صدى إطلاق نارٍ متواصلٍ مصدره جهة ثانية من أحد تلول الأتربة... إن الناس الذين نزلوا من اللوريات كانوا رجالاً ونساءً واطفالاً من مختلف الأعمار.. ولقد أمرهم واحد من رجال الحرس الأسود كان ممسكا بكرباج كلابٍ أو خيل، لا أدري- بأن يخلعوا كل ثيابهم. ويفرقوها حسب اصنافها في الاماكن المخصصة لكل منها. فالأحذية في مكان، والثياب الخارجية من مكان، والثياب الداخلية في مكان. وشاهدت كومة من الاحذية يتراوح عددها بين ثمانمائة زوج وألفٍ. كما شاهدت اكداساً عظيمة من الثياب الداخلية البيضاء وغيرها من الكسوات.

خلع هؤلاء الناس ثيابهم دونما صراخ أو عويل ووقفوا في جماعات متكتلة. وراح يقبل أحدهم الآخر ويودع بعضهم بعضاً. منتظرين إشارةً من حرس أسود آخر كان واقفاً بالقرب من النقرة وبيده كرباج. ولم أسمع أثناء الدقائق الخمس عشرة التي وقفتها بالقرب من الحفرة، أيّ شكوى أو إستغاثة أو طلب رحمة.

وشاهدت عجوزاً بيضاء اللّمة تحتضن في ذراعيها طفلاً عمره سنة واحدة تغني له وتناغيه. وكان الطفل يثغو ويتضاحك طرباً وأبواه ينظران اليه بأعين دامعةٍ. والوالد ممسك بيد صبي

٥٦- شهادة أوليندورف أمام محكمة نورمبرگ "محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٤ الص ٣١١- ٣٢٣ وإفادته مستندة على إستجواب (هاريس) له "مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٥ الص ٣٤١- ٣٤٢ [وثائق نورمبرگ ٢٦٢٠- PS]. رسالة الدكتور بيكر. المرجع السالف ج ٣ الص ٤١٨- ٤١٩ [وثائق نورمبرگ ٥٠١ PS].

٥٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٨ ص ١٠٣ [وثائق نورمبرگ ١٠٢ R].

في حدود العاشرة يكلمه برقة، والصبي يغالب دموعه ويحبسها قسراً. ثم أشار الأب الى الأعلى وربت على رأس الصغير وبدا وكأنه يُسر الى إبنه كلاماً.
في تلك الأثناء صاح الحرس الأسود القريب من الحفرة منادياً رفيقه، فعد هذا الأخير حوالي عشرين نفراً من العراة وأمرهم بالذهاب الى ماوراء تل التراب... وأذكر جيداً فتاةً نحيفة القامة سوداء الشعر أشارت الى نفسها عندما مَرت بالقرب مني وقالت: - ثلاث وعشرون سنة!
رحتُ ادور حول التل فإذا بي أمام قبر واسعٍ، ورأيت أكداساً من الأبدان مكدسة طبقةً فوق طبقة وهي مصبوغة الأذرع بالدماء المتدفقة من رؤوسها. وبعضها مازالت الحياة تنبض فيه، وشاهدت الأحياء منهم يرفعون سواعدهم ويديرون رؤوسهم ليدلوا على أنهم مازالوا احياء. وكانت الحفرة ممتلئة بالجثث الى الثلثين، وقدرت أنها تحتوي على ألف جثة. وحانت مني إلتفاتة الى الشخص الذي يقوم بإطلاق النار على الضحايا، وهو من رجال الحرس الأسود، فوجدته جالساً عند حافة النهاية الضيقة من الحفرة وقد أدلى بقدميه فيها ووضع مدفعه الرشاش على ركبته وهو يدخن سيكارة.
نزل هؤلاء الاشخاص عراة كما خلقهم الله بضع درجات الى الحفرة وراحوا يطاؤن رؤوس الذين سبقوهم. حتى وصلوا الى الموضع الذي أمروا بالانبطاح فيه. ففعلوا ذلك أمام الموتى والجرحى الأوائل وأنشأ بعضهم يعانق أولئك الذين مازالوا أحياء ويكلمونهم همساً. ثم سمعت رشقةٍ من النار وتطلعت الى الحفرة فرأيت الجسوم تتلوى وتتشنج والرؤوس هامدةً فوق الجثث الملقاة تحتها. وكان الدم يتدفق من أعناقهم- في تلك الأثناء كانت الدفعة التالية قد تقدمت ونزلت الى الحضرة وإستلقت فوق الضحايا السابقين، وتمّ قتلها كالأول...."

وهكذا إستمر قدوم الدفعات واحدة بعد الأخرى. وفي اليوم التالي عاد المهندس الألماني الى الموضع...

"شاهدت حوالي ثلاثين عارياً مستلقياً قرب الحفرة، بعضهم أحياء وبعضهم جثث هامدة... أُمر الاحياء منهم فيما بعد أن يقوموا بإلقاء الجثث الزاحفة الى الخارج، داخل الحفرة وبعد أن أتموا ذلك. أمروا بان ينبطحوا فوقها واطلق الرصاص على اقفية اعناقهم... وأشهد أمام الله إنها الحقيقة بعينها"[٥٧].

ترى كم جزرت فصائل فرق العمل الخاص من اليهود السوڤييت ومن كوادر الحزب الشيوعي في روسيا قبل أن يدفع الجيش الأحمر بالألمان الى خارج البلاد؟ (الضحايا من الأولين أكثر من الأخيرين بكثير)؟ لم يقدم الى محكمة نورمبرگ رقمٌ دقيق للمجموع الكلي. إلا ان سجلات هملر على تزييفها وتعميتها تعطينا فكرة تقريبية.

٥٧- المرجع السالف ج ٥ الص ٦٩٦- ٦٩٩ [وثائق نورمبرگ ٢٩٩٢ P S].

لم تبلغ فرقة العمل الخاص الرابعة بضحاياها التسعين ألفاً، ما بلغته الفرق الأخرى كُلاً على حدة. فالفرقة الأولى في الشمال أبلغت في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٢ أنها قبضت على (٢٢٩٠٥٢) نفساً في أقاليم البلطيق وجمهورية روسيا البيضاء. وكتب قائدها (فرانز شتاليكر Franz Stahlecker) الى هملر بما يعاني في روسيا البيضاء من مصاعب، لإضطراره الى بدء أعماله متأخراً بسبب حلول موسم الإنجماد الكثيف مما جعل الإعدام الجماعي شاقاً للغاية، على أنه أبلغ عن قتله ٤١٠٠٠ نفس حتى تاريخ الرسالة في [روسيا البيضاء] وحدها. ولم يفت شتاليكر هذا الذي قتله الأنصار السوڤييت بعد سنة – أن يرفق بتقريره خريطة أنيقة، اثبت فيها عدد الأرواح التي أزهقها برمز تابوت فوق كل منطقة تحت سيطرته. ويتضح منها أنه قتل في (ليتوانيا) وحدها (١٣٦٤٢١) يهودياً وأرجأ قتل (٣٤٠٠٠) آخرين مؤقتاً "للحاجة التي تدعو الى تشغيلهم". أما (إستونيا) التي يسكنها قليل من اليهود نسبياً، فقد جاء في التقرير أنها أصبحت (خالية من اليهود)[٥٨].

وبعد فترة سبات الشتاء القاسي تحركت فصائل الموت التابعة لفرق العمل الخاص وإنهمكت طوال فصل صيف ١٩٤٢ بقتل حوالي (٥٥٠٠٠) يهودي آخر في روسيا البيضاء الى اليوم الأول من تموز. وفي تشرين الأول قضت على كل سكان الأحياء اليهودية في مدينة (منسك) البالغ عددهم (١٦٢٠٠) في يوم واحد فقط. وماحل شهر تشرين الثاني حتى إستطاع (هملر) إبلاغ (هتلر) أن عدد اليهود الذين أبيدوا في روسيا خلال اشهر آب وأيلول وتشرين الأول قد بلغ (٣٦٣٢١١). ولعل هذا الرقم قد بولغ فيه خصيصاً لأدخال السرور الى نفس الزعيم المتعطشة للدماء[٥٩].

وبحسب رواية كارل [أدولف] إيخمان رئيس الدائرة اليهودية في الگشتاپو أتمّت (فرق العمل الخاص: آنيزاتسگروپن) "تصفية" مليوني شخص في الشرق معظمهم يهود. لكن هذا مبالغة مؤكدة. وتلك ظاهرة غريبة في زعماء الحرس الأسود لكنها حقيقية. فهم كثيرو الفخر والمباهاة بالعدد الذين يهلكونه، وغالباً ما كانوا يبلغون (هتلر وهملر) أرقاماً كبيرة خيالية لمجرد إدخال المسرّة في نفسيهما. ولقد أبلغ مدير دائرة إحصاء هملر بخاصة (الدكتور ريكارد كورهرّ Dr. Richard Korherr) رئيسه في تقريرٍ مؤرخٍ في ٢٣ آذار ١٩٤٣، أن المجموع الكلي الذي "أعيد إسكانه" من يهود روسيا قد بلغ (٦٣٧٣٠٠) شخصاً. و"إعادة الإسكان" تعبير يدل على القتل بأيدي فرق العمل الخاصة[٦٠].

٥٨- المرجع السالف ج ٤ الص ٩٤٤- ٩٤٩ [وثائق نورمبرگ ٢٢٧٣- P S].

٥٩- في ٣١ آب أمر (هملر) وحدة من فرقة العمل الخاص التي تتولى القتل. بأن تقوم بتجربتها أمامه على مئة معتقل في سجن (منسك) ليري كيف يكون. ويروي باخ زالفسكي Baek Zalawski، وهو ضابط كبير في الحرس الأسود كان حاضراً، أن هملر كاد يسقط مغشياً عليه حين شاهد التأثير الذي أحدثته أولى رشقة من الرصاص. وبعد بضع دقائق عندما وجد أن الرصاص لم يقض على امرأتين حالاً، أدركت زعيم الحرس الأسود نوبة عصبية حادة وكان من أثر هذه التجربة ان أصدر أمراً يمنع قتل النساء والأطفال بالرصاص وأن يتم إزهاق أرواحهم في عربات الغاز [المرجع السالف: وثائق نورمبرگ: رقم ٢٦٥٣]. [القضية رقم ١١ من محاكمات مجرمي الحرب [وثائق نورمبرگ رقم ٥١١] وهي ماعرفت بإسم قضية فرقة العمل الخاص وعنوانها (الولايات المتحدة ضد أوتو اوليندورف).

٦٠- اوردها رايتلينگر Reitlinger في كتابة "الحل النهائي: الص ٤٩٩- ٥٠٠ ودراساته في هذا الكتاب وكتابة =

ومن الغريب أن هذا الرقم يتفق بصورة تقريبية مع نتائج الدراسات المستفيضة المضنية التي قام بها عدد من الخبراء المختصين. ولتضف الى هذا مائه ألف أخرى ذُبحت في السنتين الأخيرتين من الحرب، وسيكون الرقم أقرب ما يمكن أن نتوصل اليه من الحقيقة(٦١).

ومهما بلغ هذا الرقم من الإرتفاع، فهو صغير جداً بالمقارنة الى عدد من ازهقت انفاسهم في معسكرات هملر للإبادة الجماعية. عندما بُديءَ بتنفيذ "الحَل النهائي".

-٦-

"الحَل النهائي"

في أحد أيام حزيران الجميلة من عام ١٩٤٦ كان ثلاثة أعضاء من هيئة الإدعاء العام الأمريكي في نورمبرگ يستجوبون ضابط الحرس الأسود (نائب الزعيم Ober gruppen fuehres) اوسڤالد پوهل Pohl Osvald، الذي كان في وقت ما مشرفاً على المشاريع الإنشائية لنزلاء معسكرات الإعتقالات النازية، وهو عمل واحد من بين أعمال مختلفة أُنيطت به.

وكان (پوهل) ضابطاً بحرياً قبل التحاقه بالحرس الأسود، إختفى عن الأنظار بعد إنهيار ألمانيا، ولم يقبض عليه الاّ بعد مرور سنة واحدة (في أيار ١٩٤٦) عُثر عليه يشتغل في مزرعة متنكراً بهيئة عامل فلاح (٦٢).

وفي أثناء إجابته على أحد اسئلة هؤلاء المحققين، استخدم تعبيراً كان الإدعاء العام في نورمبرگ قد بدأ يألف وجوده أثناء تقليبه الدائب في الوثائق المستولى عليها وتمحيصه في ملايين الكلمات والمصطلحات التي تعرض خلالها. وقال (پوهل) أن زميلاً له يُدعى (هوييس Hoess) إستخدمه في مشروع "الحل النهائي لمشكلة اليهود".

فسألوه: "وما معنى هذا؟"

فأجاب: "معناه: استئصال شافة العنصر اليهودي".

هذا الإصطلاح تسلل بسرعة وزاد إستخدامه زيادة مطردة في أحاديث وملفات زعماء النازي بتقدم

="الحرس الأسود" من أدق الابحاث التي وجدتها في الموضوع.

٦١- لم يتحدد عدد أعضاء الحزب الشيوعي السوڤييتي (الكادر) الذين ذبحتهم فرق العمل الخاصة، وبقدر معلوماتي ان معظم تقارير رجال الأمن التابعين للحرس الأسود، كانت توردهم دمجاً مع اليهود السوڤييت. وقد وجدت في أحد التقارير الواردة من فرقة (أ) بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٤١، إثبات رقم (٣٣٨٧) شيوعياً من ضمن مجموع كلي برقم (١٢١٨١٧) تم قتلهم والباقون هم يهود سوڤييت. الاّ أن التقارير كانت تُدمج الإثنين معاً.

٦٢- حكمت محكمة عسكرية تابعة للولايات المتحدة بالموت على (پوهل) في القضية التي عرفت باسم "قضية معسكر الإعتقال". وقد صدر الحكم عليه في ٣ تشرين الأول ١٩٤٧، ونُفذ فيه في ٨ حزيران ١٩٥١ في سجن لاندسبرگ مع أوليندورف وآخرين.

الحرب. وبدت براءته الظاهرة المخادعة وكأنها تريد أن تجنب اولئك الناس آلام تذكير واحدهم الآخر بما يعنيه حقاً وما يستر تحته من أهوال. وربما ظنوا أيضاً أن هذا المصطلح المقنّع كاف لتغطية جريمتهم إذا ما رأت الدلائل الثبوتية النور. والواقع أن معظم الزعماء النازيين في نورمبرگ أصروا على إنكار علمهم بمعناه. وزعم گورنگ أنه لم يستخدم هذا التعبير قط لكن دعواه ما لبثت أن تبخرت في الهواء. ففي القضية التي رفعت ضد مارشال الرايخ السمين. كان من بين الوثائق المبرزة، توجيهات خطية أرسلها الى (هيدريخ) رئيس دائرة الأمن في ٣١ تموز ١٩٤١ أيام راحت فرق العمل الخاص (آنيزا تسگروپن) تباشر أعمال الإبادة في روسيا بكل نشاط.

"[ومما جاء في تلك التعليمات] اني أخولك [والمقصود هيدريخ] بهذا، أن تقوم بإتخاذ كل الإستعدادات الخاصة المتعلقة... بحل نهائي للمسألة اليهودية في تلك الأراضي الأوروپية التي تقع تحت السيطرة الألمانية... وكذلك أطلب منك أن تعرض عليّ بأسرع ما يمكنك لائحةً تتضمن كل الإجراءات المتخذة قبل هذا في سبيل تنفيذ <u>الحل النهائي</u> المطلوب للمسألة اليهودية[٦٣].

أدرك (هيدريخ) إدراكاً تاماً ماذا يقصد گورنگ باصطلاح (الحل النهائي)، لأنه كان هو نفسه قد إستخدمه قبل عامين تقريباً في إجتماع سري عقده بعد سقوط پولندا مباشرة. وعيّن فيه الخطوة الأولى التي ستُتبع للحل النهائي. وتتضمن تجميع كل اليهود في أحياء خاصة بالمدن الكبيرة ليسهل فيما بعد توجيههم من هناك الى مصيرهم المحتوم[٦٤].

"والحل النهائي" الذي طُبق فيما بعد هو ما إحتل ذهن أدولف هتلر منذ أمدٍ طويل وما ظلّ يعلنه للملأ، حتى في الفترة التي سبقت الحرب. فقد جاء في خطبته التي ألقاها أمام الرايشتاغ يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٩: "إن نجح رجال المال اليهود الدوليون في زج بلادنا مرة أخرى في أتون حرب عالمية فالنتيجة ستكون... القضاء المبرم على العنصر اليهودي في كل أوروپا".

وقال أنها نبوءة وكررها خمس مرات حرفياً في خطاباته العلنية التالية. ولا فرق ثمّ في أن يكون هو الذي زج العالم في صدام مسلح لا "رجال المال اليهود الدوليون". وما يفهمه هو أن الحرب العالمية تدور رحاها الآن، وانها تتيح له الفرصة لتنفيذ مآربه في إبادتهم إبادة تامة. بعد أن فتح أصقاعاً شاسعة في الشرق، حيث يقطن معظم يهود أوروپا. وفي الوقت الذي بدأ غزو روسيا، كان قد أصدر أوامره بهذا الشأن. وما بات معروفاً في الاوساط النازية العليا "بأمر الزعيم في الحل النهائي"، يبدو

٦٣- ان الإشارة تحت عبارة الحل النهائي هي من المؤلف. وخطأ ترجمة السطر الأخير من هذه الرسالة جعل الكلمة الألمانية Endloesung تعنى "الحل المرغوب فيه" في النسخة الإنگليزية. وكان القاضي الأمريكي (جاكسن) يجهل الألمانية لذلك ترك گورنگ الذي كان في أثناء إستجوابه المباشر يحاول التملص بإدعائه انه لم يستخدم هذا التعبير الفظيع [انظر الحاشية ٥٤]. وصاح يقول مرة "لأول مرة هنا في نورمبرگ أعلم بهذه الإبادة البشرية المرعبة!". [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ الص ٥٢٥- ٥٢٦، وثائق نورمبرگ ٧١٠- PS]. ان الترجمة الإنگليزية للسطر الأخير هنا تضيّع المعنى كله. فكلمة (اندلاوسونگ) الألمانية معناها (الحل النهائي) لا(الحل المرغوب فيه).

٦٤- انظر ما سبق.

أنه لم يُدون كتابةً، أو على أقل تقدير لم تصلنا منه نسخة مدونة، أو لم يعثر على واحدةٍ بين الوثائق النازية المستولى عليها حتى الساعة. والدلائل كلها تشير إلى أن الأمر أُبلغ شفوياً الى گورنگ وهملر وهيدريخ على أغلب الإحتمالات، فأوصلوه بدورهم الى مرؤوسيهم في صيف وخريف ١٩٤١. وشهد عدد من الشهود في نورمبرگ أنهم "سمعوا به"، إلا أنه لم يشهد واحد بأنه أطّلع عليه، وهكذا أجاب (هانس لاميرس) رئيس دائرة مستشارية الرايخ العنيد كالثور عندما حوصر في منصة الشهادة، إذ قال: "علمتُ ان أمراً أصدره الزعيم، ونقله گورنگ الى هيدريخ. وهذا الأمر أُطلق عليه إسم "الحل النهائي للمسألة اليهودية"[٦٥]. إلا أنه إدعى كما إدعى كثيرون غيره في مقعد الشهادة، إنه لم يدرِ في الحقيقة عَلامَ كان يدور وما هو الغرض منه حتى كشفت عنه هيئة إدعاء الحلفاء العامة في نورمبرگ[٦٦].

في بداية ١٩٤٢ كان الوقت قد حان كما قال هيدريخ "لفض المشاكل الأساسية" المتعلقة "بالحل النهائي"، حتى اصبح تنفيذها ممكناً بالأخير للوصول بها الى الخاتمة. ولهذا دعا الى إجتماعٍ لممثلي مختلف الوزارات ومدراء دوائر الأمن السرية. ورؤوساء الحرس الأسود، في ضاحية ڤانسي Wannsee البرلينية الجميلة بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٢. وكان لمحاضر ذلك الإجتماع موقع مهم في بعض محكمات نورمبرگ التي تلت[٦٧].

كان الموظفون الألمان المجتمعون واثقين من ربح الحرب. أو هي بحكم المنتهية وبأن ألمانيا ستبسط سلطانها المطلق عما قريب على كل أوروپا وبضمنها إنگلترا وايرلندا رغم أنباء الإنكسارات المتوالية التي كان يُمنى بها (الڤيرماخت) في روسيا إذذاك. وبناء على هذا قال هيدريخ للمجتمعين البالغ عددهم خمسة عشر من كبار الموظفين "في مجال تطبيق هذا "الحل النهائي" لمشكلة يهود أوروپا، يوجد أحد عشر مليوناً منهم يشملهم الموضوع". وراح بعد ذلك يسرد الأرقام لكل البلدان الأوروپية. فبيّن أنه لم يبق من يهود بلاد الرايخ الأصلية غير (١٣١٨٠٠) من أصل ربع مليون في ١٩٣٩. لكن يوجد في جمهوريات الإتحاد السوڤيتي خمسة ملايين، وفي أوكرانيا ثلاثة ملايين وفي حكومة عموم پولندا مليونان وربع مليون وفي فرنسا ثلاثة أرباع مليون، وفي إنگلترا ثلث مليون. وأوضحُ

٦٥- محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٣ ص ١٤١.

٦٦- في نيسان ١٩٤٩ حكمت محكمة عسكرية أمريكية في نورمبرگ على (لاميرس) بالسجن لمدة عشرين عاماً، وكانت تهمته الأساسية مسووليته عن المراسيم الصادرة ضد اليهود، لكن- كما كان الحال مع معظم المحكومين النازيين الذين خفضت احكامهم السلطات الأمريكية الى نسب ضئيلة، فقد أُنقصت مدة سجنه الى عشر سنوات ١٩٥١. وأُطلق سراحه من سجن لاندسبرگ في نهاية ذلك العام بعد قضائه ست سنواتٍ فقط من مدة حبسه. ومما هو جدير بالإشارة هنا، أن معظم الألمان (على الأقل بقدر مايمثل پرلمان ألمانيا الغربية لمشاعرهم لم يرضوا على الأحكام التي صدرت بحق شركاء هتلر، رغم أنها كانت خفيفة نسبياً). وقد سلم الحلفاء عدداً من هؤلاء الى السلطات الألمانية فلم تحلهم هذه الدولة الى المحاكم بتهمة، مع أن بعضهم كان منهما بالقتل الجماعي. وسرعان ماوجد طائفة منهم طريقه الى الوظيفة في حكومة بون.

٦٧- محاكمات مجرمي الحرب ج ٨ الص ٢١٠- ٢١٩ [وثائق- NG ٢٥٨٦- G].

الإستنتاجات هو وجوب القضاء على هذه الملايين الأحد عشر قضاءً تاماً. ثم أنه شرح الوسائل التي سيتم بها تنفيذ هذا الواجب الضخم.

"لأجل المضي في تنفيذ الحل النهائي، يجب علينا أن نأتي باليهود الى الشرق... ونشغلهم في فرق عملٍ كبيرةٍ، على أن نفرّق بين الجنسين. اليهود القادرون على العمل يؤتى بهم الى هذه المناطق ليُستخدموا في أشغال الطرق وأمثال ذلك. وسيتناقص عددهم بصورة طبيعية نتيجة ذلك. أما من يبقى منهم حياً رغم ذلك، وبما أن هذه أقوى ظاهرة لشدة المقاومة فيهم، فيجب أن تُعالج على هذا الأساس... مادام هؤلاء يمثلون نموذجاً لقانون الإنتخاب الطبيعي، فيجب إعتبارهم أصغر جرثومة حياة يتركز عليها التكاثر اليهودي".

وبعبارة أخرى: ينبغي اولاً أن يُنقل يهود أوروبا الى المشرق المحتل، ثم يُشغلون حتى الموت. الأقلية العنيدة التي تبقى حية "تُباد بالقتل". ماذا عن ملايين اليهود الذين يسكنون في المشرق وهم الآن في قبضتنا؟ هنا ينبري الدكتور (يوزف بوهلر Dr. Josef Buehler) سكرتير الدولة وممثل حاكم پولندا العام بإقتراحه الناجز الجاهز. فقال يوجد مليونان ونصف مليون يهودي في پولندا في الوقت الحاضر، وهو "خطر كبير" لأنهم "حملة أمراض، وتجار السوق السوداء، زد على هذا أنهم لايصلحون لأي عملٍ "وليس ثمّ مشكلة تتعلق بنقل هؤلاء المليونين ونصف المليون، فكلهم مجتمعون هناك. "[وختم كلامه قائلاً] لدي إقتراح واحد، وهو وجوب حل المشكلة اليهودية في منطقتي بأسرع مايمكن".

لقد كشف سكرتير الدولة الطيب عن نفاذ صبر شاركته فيه الأوساط النازية العليا كابراً عن كابرٍ حتى هتلر. ولم يكن يدرك واحد منهم في ذلك الزمن- في الواقع لم يدركوا حتى نهاية ١٩٤٢ بعد فوات الأوان، كم ستكون قيمة هؤلاء الملايين للرايخ الثالث في أعمال السخرة. كان جهلهم في تلك اللحظة قاصراً على أن تشغيل تلك الملايين من اليهود حتى الموت في أعمال الطرق الروسية قد يقتضي وقتاً طويلاً، وهذا ما لايوده الألمان. لذلك وإختزالاً لحياتهم وقبل إستنزاف طاقاتها بالعمل، قرر هتلر وهملر إتخاذ وسائل أخرى أسرع للقضاء عليهم في كثير من الأحيان قبل البدء في تشغيلهم. واستخدمت وسيلتان أساسيتان أولاهما خططت قبيل غزو روسيا كما مرّ. (في صيف ١٩٤١) وهي وسيلة المجازر الجماعية في پولندا وروسيا انيطت بفصائل الإعدام السريعة (للآنيزاتسگروپن)، فقضت على ثلاثة أرباع مليون.

وكانت تساور ذهن (هملر) وسيلة ثانية لتحقيق (الحَل النهائي) عندما ألقى كلمة في جنرالات الـ(إس. إس) في پوزن بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٤٣:

"... اريد أيضا التحدث اليكم بصراحة تامة حول أمرٍ شديد الخطورة فيما بيننا يجب أن نتحدث فيه بكل صراحة في حين ينبغي لنا ألاّ نتكلم به علناً...... وأعني... القضاء على العنصر اليهودي... لاشك أن معظمكم يدرك مايعني وضع مائة جثة أو خمسمائة أو ألف إحداها الى جانب الأخرى. بالتخلص منها والبقاء في الوقت نفسه بشراً سوياً ذوي أدبٍ وخلقٍ (ودعك من الحالات الشاذة الناجمة عن

الضعف البشري)، هو ما يجعل مناً رجالا صلبي العود، وتلك هي صفحة مجدٍ في تأريخنا لم تكتب، ولايمكن أن تُكتب قط..."[68]

لاشك أن زعيم الحرس الأسود ذا النظارات، الذي كاد يُغمى عليه لمشهد عددٍ قليل من يهود المشرق بينهم نساء، وهم يقتلون في سبيلٍ إستمتاعه الخاص، سيجد في تشغيل ضباط الحرس الأسود المتقن لغرف الغاز في معسكرات الإبادة صفحة أكثر مجداً في تاريخ ألمانيا ففي معتقلات الموت هذه حقق "الحل النهائي" أبشع مراحل نجاحه طُراً.

-٧-

"معسكرات الإبادة"

كُل معتقلات النازيين الرئيسة وعددها ينوف على الثلاثين كانت معسكرات قتل، مات فيها ملايين المعتقلين جوعاً وتعذيباً[69]. ومع أن السلطات كانت تحفظ سجلات وفيات (لكل معسكر سجل موته الخاص: Totenbueh) إلا أنها ليست دقيقة أو كاملة، وكثير منها جرى إتلافه عندما أطبقت قوات الحلفاء المنتصرة عليها. ومن بين ما وصلنا جزء من (كتاب الموت) الخاص بمعسكر (ماتهاوزن)، وفيه (٣٥٣١٨) واقعة موتٍ للفترة المنحصرة بين كانون الثاني ١٩٣٩ ونيسان ١٩٤٥[70].

وفي نهاية عام ١٩٤٢ عندما مَسّت الحاجة الملحة الى الأيدي العاملة المسخّرة، أمر هملر "بوجوب تقليص" نسبة الموت في معسكرات الإعتقال. وللنقص الذي ظهر في الأيدي العاملة ثارت ثائرته لتقرير تسلمته دائرته، جاء فيه أن (٧٠٦١٠) من أصل (١٣٦٧٧٠) نزيلاً جديداً في معسكرات الإعتقال بين أشهر حزيران وتشرين الثاني ١٩٤٢ قد قضوا آجالهم. كما أُعدم الحياة أثناء ذلك (٩٢٦٧) نزيلاً منهم، و"نُقل" الى غرف الغاز (٢٧٨٤٦) نزيلاً، فلم يبق عدد كبير لتشغيلهم في الأعمال[71].

لكن أعظم نجاحٍ في مضمار "الحل النهائي" إنما حققته معسكرات الإبادة وأكبرها وأشهرها طراً كان معسكر (أُوشويتز) بغرف غازه الجبارة الأربع ومحرقته المجاورة لها جعلت إستيعابه يفوق المعسكرات الأخرى بما لايمكن مقايسته، كـ(تربلنكا Treblinka) وبلسن Belsec وسيبيبور Sibibor وخلمنو Chelmno،

٦٨- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٤ ص ٥٦٣ [وثائق نورمبرگ ١٩١٩- P S].

٦٩- يقدر (كوغون Kogon) العدد الهالك بـ (٧١٢٥٠٠٠) من أصل المجموع الكلي لنزلاء معسكرات الاعتقال البالغ (٧٨٢٠٠٠٠)، ولاشك أن في الرقم مبالغة كبيرة جداً [كوغون: جهنم بين النظرية والعمل] ص ٢٢٧.

٧٠- وبحسب رواية آمر المعتقل فرانز زيرايس Franz Ziereis، بلغ المجموع الكلي (٦٥) ألفاً [المرجع السالف ج ٦، ص ٧٩١ وثائق نورمبرگ ٣٨٧٠ P S].

٧١- المرجع السالف ج ٤ الص ٨١٢ و٨٣٢- ٨٣٥ [وثائق نورمبرگ ٢١٧١- P S].

وكلها في پولندا. وكان ثمّ معسكرات إبادة أخرى أصغر من هذه بالقرب من مدن (ريغا وڤيلنا، ومنسك وكاوناس ولڤوف)، إلاّ أن الإبادة فيها كانت بالرصاص لا بالغاز.

ومرت فترة منافسة وسباقٍ بين آمري الحرس الأسود، حول قابلية غرف غازهم على إرسال أكبر كمية من اليهود الى العالم الآخر بأسرع مايمكن. وكانت السرعة عاملاً مهماً، ولاسيما في معسكر (أُوشويتز). فقد ظل حتى النهاية يحقق أرقاماً قياسية مطردة الإرتفاع إنتهت بوصوله الى تسميم (٦٠٠٠) ضحية في اليوم الواحد. ومن آمري هذا المعسكر لفترة من الزمن (رودولف هويس) وهو مجرم سابق محكوم بجريمة قتل. شهد في نورمبرگ بفعالية الغاز السام الذي يستخدمه. وتحقيقه التفوق على غيره في هذا المضمار[٧٢].

قال: "إن (الحل النهائي) للمشكلة اليهودية كان معناه القضاء التام على كل يهود أوروپا. وفي حزيران ١٩٤١ صدر لي الأمر بإنشاء وسائل إبادة جماعية في (أُوشويتز). في ذلك الزمن كان يوجد في حكومة عموم پولندا ثلاثة معسكرات إبادة وهي: بلسن وتربلنكا وڤولچيك Wolzek.

... زرت معسكر (تربلنكا) للإطلاع على كيفية إزهاق الأرواح فيه. واعلمني آمر المعسكر أنه أتمّ "تصفية" ثمانين ألف شخصٍ خلال نصف عام، وأهم ما يشغل باله في الوقت الحاضر هو "تصفية" كل اليهود الموجودين الآن في الحي المخصص لهم بوارشو[٧٣].... وكان يستعمل غاز أول أوكسيد الكاربون، ولم أجد وسائل سريعة جداً، لذلك إستخدمت مادة (الزايكلون – ب) Zyklon – B وهو حامض البروسيك Brussic البلوري. عندما أقمت بناية الموت في (أُوشويتز) وكنا نسقطه الى غرفة الخنق من فتحة صغيرة ولايحتاج الى أكثر من فترة تتراوح بين ثلاث دقائق وعشرٍ لقتل جميع من فيها. وهذا التفاوت يعود الى الأحوال الجوية.

كنا نعرف متى تتم الوفاة لأن الصراخ ينقطع. إلا اننا في العادة ننتظر زهاء نصف ساعة قبل فتح الأبواب ورفع الجثث... بعد أن تُرفع الجثث يقوم فدائيون خصوصيون بخلع الذهب من

٧٢– ولد عام ١٩٠٠، وابوه بقّال صغير في بادن– بادن Baden - Baden. ألحّ على ابنه أن يصبح قساً، فقد كان كاثوليكياً ورعاً، فلم يصغ اليه وإلتحق بالحزب النازي في ١٩٢٢. وفي السنة التالية إتهم بقتل معلم مدرسة، إدعى أنه ندد بـ(ليو شلاكيتير Leo Shlageter) وسبّه، وهو احد المخربين في الروهر أعدمه الفرنسيون وعَدّه النازيون من شهدائهم، فحكم عليه بالسجن المؤبد. ثم أُطلق سراحه في العفو العام الصادر في ١٩٢٨ وإلتحق بالحرس الأسود بعد سنتين. وفي ١٩٣٤ أصبح عضوا في فرقة رأس الموت (الجمجمة) التابعة للحرس الاسود، ومهمتها الأصلية حراسة معسكرات الإعتقال. وكان عمله الأول في هذه الوحدة بـ(داخاو). وهكذا قضى معظم سنّي شبابه أولاً سجيناً وأخيراً سجاناً. وكان لايتورع قط وبمبالغة أحياناً عن الإعتراف بما إرتكب من قتول في شهادته أمام محكمة نورمبرگ. وفي إفادته الموثقة باليمين لصالح الإدعاء العام. وقد سُلّم فيمابعد الى الپولنديين وحكم عليه بالموت وشنق في آذار ١٩٤٧ في أُوشويتز موضع أشنع جرائمه.

٧٣– وهو عمل لم يتمكن من انجازه حتى ١٩٤٣ كما سنرى، بسبب العدد الكبير الذي ستشمله التصفية وبسبب الإنتفاضة المسلحة التي حصلت في الأخير.

الأسنان ونزع الخواتم. وقد حققنا تحسيناً في أسلوب (تربلنكا)، وهو أننا بنينا غرف غازنا لتسع لألفي شخص دفعةً واحدة. في حين كانت غرف غاز (تربلنكا) العشر لاتتسع الواحدة منها الى أكثر من مائتين."

وبعد ذلك شرح (هويس) كيف يتم إنتقاء ضحايا غرف الغاز من حيث أنه لايقضى حالاً على كُل القادمين الجدد. فبعضهم يحتاج اليهم لعمل السخرة في شركة (آي. جي. فاربن) الكيميائية، وفي تشييد مصنع (كروب) حتى تعتصر منهم آخر صبابة في قواهم، فيكونون متهيئين (للحلّ النهائي)...

"لدينا طبيبان من دائرة الإس إس. عُينا لأوشويتز يقومان بفحص المعتقلين الجديد فحصاً عابراً وهم يمرون أمامهما لإنتقاء اللائقين بدنياً بمجرد نظرةٍ، فمن يصلح للعمل يقاد الى المعتقل أما الآخرون فيؤخذون حالاً الى بنايات الإبادة. والأحداث الصغار السن يتم إهلاكهم دون إستثناء، لأن صغر سنهم يحول دون إستخدامهم في أيّ عمل".

ودأب (الهر هويس) على إدخال التحسينات في فن القتل الجماعي. "... وحققنا تحسيناً آخر على أساليب تربلنكا. وهو أن الضحايا في ذلك المعسكر يكادون يعرفون دائماً أنهم سيُسممون بالغاز، ونحن في أُوشويتز كنا نعمل على خداع الضحايا وإيهامهم بأن عملية تعقيم أبدانٍ ستجري لهم. بالطبع كانوا يدركون نوايانا الحقيقية في كثير من الأحيان، مما ينجم عنه حوادث شغب، ويخلق لنا مصاعب. وفي أحيانٍ كثيرة كانت الأمهات يخفين اطفالهن تحت طيات الثياب، إلا أننا كنا نرسل هؤلاء الصغار الى حتوفهم حال عثورنا عليهم بالطبع.

وكان المفروض علينا أن ننفذ أعمالنا بالسر. إلاّ أن الرائحة الكريهة التي تصيب المرء بالغثيان من جراء الإستمرار في إحراق الجثث، وتنتشر في أجواء المنطقة الى مسافاتٍ، عرّفت سكان المناطق المجاورة لنا بما يحدث هنا في أُوشويتز."

وأوضح هويس أن قليلاً من "المعتقلين الخصوصيين" والظاهر أنهم أسرى الحرب الروس. كانوا أحياناً يُقتلون بمجرد زرق حقنة من (البنزاين Benzine). وزاد يقول (وقد خُوِّل أطباؤنا صلاحية كتابة شهادات وفاة إعتيادية ولهم أن يدرجوا أي سبب يريدون من أسباب الوفاة[٧٤].

ومن المفيد ان يُضاف إلى وصف (هويس) الوافي وصف مختصر مكملٍ لكيفية إجراء عملية الموت الجماعي في (أُوشويتز)، كما نقلتها ألسن الحراس والمعتقلين الذين كتبت لهم الحياة.

إن انتقاء عمال السخرة من بين الذين سيُخنقون حالاً يتم على رصيف محطة القطار حالما يترك المعتقلون الجدد عربات الشحن المقفلة عليهم مدة أسبوع بدون طعام ولا ماء، إذ كان يؤتى بعدد كبير

٧٤- ويكتب عادة "مرض القلب" وكوغون نفسه، الذي كان في بوخنڤالد ثماني سنين، يعرض بعض النماذج "... مات المريض بعد مضاعفات طويلة بتاريخ (كذا)، في الساعة (كذا). سبب الوفاة: ضعف القلب، مع مضاعفات من ذات الرئة" [كوغون: جهنم بين النظرية والتطبيق ص ٢١٨]. وقد ضُرب صفحاً عن هذه الرسميات في أُوشويتز عندما بدأ الخنق الجماعي بالغاز. وفي كثير من الأحيان لم تكن تُحصى حصيلة الموتى اليومية. [إفادة هويس: مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٧٨٧- ٧٩٠ وثائق نورمبرگ ٣٨٦٨ P S].

منهم من أماكن بعيدة مثل فرنسا وهولندا واليونان، ومع وقوع مشاهد تفطر القلوب وتثير المشاعر حين يُشرع بفصل النسوة عن ازواجهن والأطفال عن آبائهم. فلم يكن أحد من هؤلاء الأُسارى (كما شهد هويس وأمّن على صدق قول النزلاء الأحياء) ليدرك ما خبأ لهم القدر المحتوم. وكان بعضهم يُعطى بطاقات بريدية جميلة الزخرفة معنونة، ليذيلوها بتواقيعهم، حتى ترسل الى اقربائهم في بلادهم، وقد كتبت عليها العبارة التالية: "نحن نعيش عيشة طيبة هنا. ولدينا عمل، ومعاملتنا جيدة ننتظر مقدمكم!".

وغرف الغاز نفسها والمحرقة التي تجاورها، لاتبدو للناظر عن كثبٍ مواضع قتل مخفيةٍ. ومن المستحيل أن تكشف العين حقيقة أمرها من الخارج مهما بلغت من الدقة. ففي الطبقة العليا منها توجد أفاريز مخضوضرة مُعتنىً بها مزروعة بمختلف الأزهار، وهناك لافتة مثبتة في المدخل كتب عليها "حمامات".

والضحايا الحسنو النية يتوهمون أنهم يؤخذون الى الحمامات فعلاً لتُعقّم أبدانهم كما جرت العادة في كل المعسكرات الأخرى: والأنكى من هذا كله أنهم يسيرون الى حتوفهم على إيقاع أنغام موسيقية عذبة! فثمّ موسيقى خفيفة والحقّ يُقال! إنّ بعض من كُتبت لهم الحياة يتذكرون جوقة موسيقية مؤلفة من "فتيات جميلات صغيرات يرتدين زياً موحداً يتألف من ثوبٍ أبيض وفستان أزرق" أختُرن من بين السجناء. تقوم هذه الفرقة الموسيقية أثناء إنتقاء ضحايا غرف الغاز بعزف ألحان مرحةٍ من "الأرملة الطروب" و"حكايات هوفمان". ولاشيء من موسيقى بيتهوفن الحزينة الثقيلة، لأن مسيرات الموت في (أُوشويتز) تتم على إيقاع أنغام مرحة مشرقة مقتبسة رأساً من الأوبرات الخفيفة الباريسية والفينيّة. فعلى ألحانها يستذكر المرء أيامه الخوالي الأكثر سعداً ونَزَقاً. يُقاد الرجال والنساء والأطفال الى غرف "الإستحمام" ويُطلب منهم أن يخلعوا ثيابهم إستعداداً لحمام رشاشٍ. وفي بعض الأحيان يعطون مناشف. وما أن يجدوا أنفسهم داخل القاعة حتى يغلق الباب الكبير ثم يقفل قفلاً محكماً (وربما كانت هذه اللحظة أولى لحظات الشك في شذوذ مايجري، حين يجدون أنفسهم زهاء ألفين وقد حشروا في غرفة واحدة كما يُحشر السمك الصغير في علبةٍ مما يجعل الإستحمام أمراً من الصعوبة بمكان). وعلى سطح القاعة من الخارج حيث الأفاريز الأنيقة ومنابت الأزهار، التي تكاد تحجب أقماعاً هرمية كنبات الفِطر وهي نهاية الهوائيات التي تخرج من قاعة الموت. يقف على إستعدادٍ بالقرب من رؤوس الهوائيات أفراد من رجال المعسكر لإسقاط بلورات (أزرق ألاميثيست لسيانايد الهيدروجين أو(زايكلون– ب). وهو يُنتج تجارياً للإستعمال بوصفه معقماً قوي المفعول، الى أن وجد له (هويس) وجه إستعمال جديد وكان به معتزاً فخوراً.

ويرقب المعتقلون وهم في ثكناتهم القريبة، كيفية إعطاء الإشارة للأفراد الواقفين على رؤوس

الهوائيات. حتى يسقطوا بلوراتهم القتالة في الفتحة، فيذكرون نداء العريف مول Moll إليهم: "والآن اعطوهم شيئاً يتلهون بمضغه! Na gib ihnen zu fressen!
ثم يقهقه ضاحكاً، وتسقط البلورات من ثقوب الفتحات وتُسد بإحكام. وكان الجلادون يستطيعون متابعة مايحصل في الداخل من خلال فتحات في الباب مغطاة بزجاجٍ سميك: يشخص السجناء العراة بأبصارهم الى رشاشات الماء في السقف فلا يجدون أثراً فيها للماء، أو ربما تطلعوا الى الأرضية متسائلين عن سر عدم وجود منافذ لتصريف المياة القذرة. ويقتضي للغاز لحظات ليشتد مفعوله. لكن الحقيقة سرعان ما تنبلج للسجناء ليدركوا أن مصدر الغاز هو ثقوب الهوائيات، فيسيطر عليهم الرعب عادةً ويأخذون بالإبتعاد عن الأنابيب، ثم يسرعون ركضاً الى الباب الحديدي "حيث يتكدسون عليه جسداً فوق جسد ليتألف منهم هرم أزرق اللون ملطخ بالدماء، اذ تدفعهم غرائزهم إلى أن ينهش بعضهم بعضاً باسنانه ويسلخ جلده بأظافره حَتى يلفظوا آخر أنفاسهم". ذلكم هو الوصف الذي أعطاه (رايتلنگر). وبعد عشرين دقيقة أو ثلاثين تتوقف تلك الكتلة اللحمية الهائلة العارية عن الرعشة الأخيرة، فتقوم شفاطات الهواء بسحب الغاز السام من الغرفة ويفتح الباب الكبير وتدخل فرقة (السوندر كوماندو Sonderkommando)، وهم من المعتَقلين قُطع لهم وعد بإبقائهم في قيد الحياة ومنحهم القوت الكافي. مقابل قيامهم بتنفيذ أشنع جزءٍ من عملية الإبادة[٧٥]. ويبدأون عملهم بعد أن يضعوا على اوجههم أقنعة الغاز السام وينتعلوا أحذية مطاطية مع خراطيم مائية.

وإليك وصف راتلنگر: "وأول أعمالهم ازالة الدماء والإفرازات الجسمية قبل فصل الجثث المشتبكة في صراع الموت الأخير، ويقومون بهذا مستعينين بخطافات وحبالٍ، وهو تمهيد للمرحلة الثانية الفظيعة مرحلة البحث عن الذهب، وقلع الأسنان وقص الشعر وكل هذه يعتبرها الألمان (مواد ستراتيجية). ويلي ذلك نقل الجثث بعربات حديدية تجري فوق سكةٍ، أو برافعةٍ. فيؤتى بها الى الأفران ثم تؤخذ البقايا الى طاحونة لطحن العظام المحترقة إلى ترابٍ ناعم، ثم يُعبأ الرماد في لوري، ليقذف به الى نهير سولا Sola [٧٦]."

والمدونات تكشف عن التنافس التجاري بين رجال الأعمال للحصول على تعهد بناء منشآت الموت

٧٥- كانوا يرسلون الى غرفة الغاز ليهلكوا بإنتظام وبلا إستثناء، ويؤتي بفرق عمل جديدة لاتختلف مصائرها عن سابقاتها. ذلك لأن الحرس الأسود لم يكن يريد أن يبقي منهم أحياء يبوحون بما رأوا.

٧٦- هناك شهادة في محاكمات نورمبرگ يُستفاد منها أن الرماد المتخلف من الجثث المحروقة كان يباع أحياناً كسماد. وقدم الإدعاء العام السوڤياتي وثيقة تثبت أن إحدى شركات دانزگ أنشأت حوضاً يسخن بالكهرباء لعمل الصابون من الشحم البشري. ووصفة العمل هي: "١٢ پاونداً من الشحم البشري و١٠ ليترات من الماء و٨ أونسات حتى پاوند واحد من صودا الغسيل... تغلى معا ساعتين أو ثلاثاً ثم تترك لتبرد" [وثائق نورمبرگ- الإتحاد السوڤييتي- S. ص ١٩٧. مستنسخة].

ومحارق الجثث ولإمداد المعتقل ببلورات الموت الزرقاء. وقد فازت شركة (ي. ت. توف وأولاده I. T. Topf) في (إيرفورت Erfurt) وهي منتجة أجهزة تدفئة، بتعهد بناء محرقاتٍ في أُوشويتز. وإفتضحت حكاية مشروعها التجاري من مراسلات مطولة وجدت بين أوراق المعسكر. واليك رسالة مؤرخة ١٢ شباط تصلح نموذجاً:

"الى دائرة الإنشاءات المركزية للـ(إس. إس)، والشرطة في أُوشويتز المحترمين.

الموضوع: المحرقتان (٢) و(٣) الخاصتان بالمعسكر.

نؤكد تسلمنا طلبكم الخاص بتجهيزكم بخمسة أفران ثلاثية مع مصعدين كهربائيين لرفع الجثث، ومصعد ثالث للحالات الطارئة وقد طلبتم أيضاً، موقداً عملياً لإيقاد الفحم وتأسيسات أخرى لنقل الرماد"[٧٧].

وفي نورمبرگ عُرضت مراسلات شركتين أخريين متخصصتين في توريد أفران حرق الجثث. إن التخلص من الجثث على نطاق العدد الهائل في معسكرات إبادة النازيين، أثار روح المنافسة التجارية. فعرضت واحدة من أعتق الشركات في هذا المضمار من التجارة، تصاميمها الخاصة لمحرقة جثث تبُنى في معتقل الـ(إس. إس) في (بلغراد). وتقدمت شركة صناعية أخرى كبيرة للفوز بتعهد إنشاء فرنٍ في معتقل نازي بمدينة (بلغراد)، مدعية بتفوّق إنتاجها الصناعي وجودته على غيره.

"ولأجل تلقيم الجثث الفرن لا نقترح غير مذراة معدنية تدور على إسطوانات. وسيكون لكل فرن موقد طوله ٢٥ إنجاً وعرضه ١٨ إنجاً. لعدم إدخال التوابيت. ولأجل نقل الجثث من مواقع الخزن الى الفرن نقترح إستخدام عربات خفيفة تسير على عجلات وإننا نرفق بكتابنا هذا الأبعاد بالمقياس الجاري تصميمه[٧٨].

وهناك شركة (سي. هـ. كوري C. H. Kori) حاولت هي أيضاً أن تنال تعهداً في (بلغراد). وبرهنت على طول باعها وخبرتها في هذا الميدان بسبق إنشائها أربعة أفران حرقٍ لمعسكر (داخاو) وخمسة لمعسكر (لوبلن)، قالت "إنها حازت بها الرضاء التام عندما بديء بإستخدامها".

"عطفاً على محادثتنا الشفوية بخصوص قيامنا بتجهيزكم بمعدات لبناء محرقة للجثث من الصنف البسيط، نقدم اليكم تصاميم لمواقد حرق الجثث الخاصة بشركتنا ومن النوع المحسن الذي يشتغل بالفحم. وقد حازت رضاءً تاماً الى حد تأريخه.

واننا نقترح إنشاء فرني إحراق للبناية المصمة. على أننا ننصحكم بالقيام بإستسفارات أخرى لتتأكدوا من كفاية موقدين فقط لمتطلباتكم. ونحن نضمن فعالية مواقد الإحراق فضلاً عن

٧٧- محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٧ ص ٥٨٤.
٧٨- المرجع السالف ص ٥٨٥.

متانتها، بإستخدام أحسن المواد، وبفضل صناعتنا المتقنة جداً.

وبإنتظاره إشارة أخرى منكم، سنكون دائماً في خدمتكم. هايل هتلر.

سي. هـ. كوري. گ. م. ب. هـ (٧٩)

بالأخير برهنت تلك المجهودات العظيمة المبذولة في المشروع الألماني الحُر، بإستخدامه أفضل المواد، وأدقها وأتقنها، بأنها قاصرة تماماً عن انجاز ما يُطلب منها في ميدان إحراق جثث الموتى. ولم تعد المحرقة المحكمة الصنع والبناء قادرة على إستيعاب ما يقذفه فيها عدد من المعتقلات، وبخاصة معسكر (أُوشويتز) في سنة ١٩٤٤. ولاغرو ولاعجب في هذا عندما بلغت حصيلة الجثث اليومية ستة آلاف (رفع هويس الرقم الى ستة عشر ألفاً). فمثلا صُفي في هذا المعسكر ربع مليون أو ثلاثمائة ألف مجري يهودي خلال ٤٦ يوماً من صيف ١٩٤٤. حتى غرف الغاز نفسها أبدت قصورها في إستيعاب مثل هذا العدد، ولذلك اضطر الجلادون الى وصل ما إنقطع برجوعهم إلى الرمي الجماعي بالرصاص على طريقة فرق العمل الخاص. وتلقى الجثث في الخنادق وهناك تحرق حرقاً عادياً وكثيراً ما لاتأتي النار عليها فتبقى نصف محترقة وبعدها يهال عليها التراب ثم يُسوى بالجرارات. وفي آخر الأمر شكا آمرو المعسكرات أن المحرقة فضلاً عن بطئها قد ثبتت "كثرة تكاليفها".

وكانت بلورات (الزايكلون- ب) القاتلة، تجهزها شركتان ألمانيتان إبتاعت حقّ الإنتاج من احتكار (فاربن) هما شركة (تيش وشتابينوف Teseh & Stabenow) من هامبورگ وشركة (دگيش Degesch) في (دساو Dessau). فالأولى كانت تقدم طنين من بلورات (السيانيد) شهرياً والثانية ثلاثة أرباع الطن. وقد عرضت قوائم شحن هذه الكميات على محكمة نورمبرگ.

وإدّعى مديرا الشركتين أنهما لم يبيعا منتوجهما إلا لأغراض التعقيم والتبخير، ولم يدريا أنه كان يستعمل لقتل البشر. لكن دفاعهما كان ضعيفاً ولم يصمد أمام الحقيقة فقد عُثر على رسائل من (تيش وشتابينوف) تعرض فيها أنهما لاتكتفي ببيع بلورات الغاز، بل تبيع معدات التهوية والتسخين الخاصة بغرف الإبادة. زد على هذا شهادة (هويس) المعدوم النظير الذي لم يقف عند حد في إعترافاته ما إن فضّل الإعتراف. فقد قال: لايمكن أن يكون مديرا شركة (تيش وشتابينوف) جاهلين بالغرض الذي تُستعمل له البلورات، مادامت قد أانتجت ما يكفى لقتل مليونين ونصف مليون إنسان. وإقتنعت بهذا محكمة عسكرية بريطانية نظرت قضية الشريكين (برونو تش Bruno Tesch) و(كارل ڤاينباخر Karl Weinbarcher) وحكمت عليهما بالموت، وأعدما الحياة في ١٩٤٦. أما الدكتور (گيرهارد بيترز peters Gerhard)، فقد خرج منها بحكم أخف بكثير أصدرته بحقه محكمة ألمانية وهو الحبس لمدة خمس سنين(٨٠).

٧٩- المرجع السالف ص ٥٨٥ [وثائق نورمبرگ- الإتحاد السوڤييتي- ٢٢٥] مستنسخة. C. H. Kori G. M. B. H

٨٠- "تقارير قانونية عن محاكمات مجرمي الحرب" ج ١ ص ٢٨- ط. لندن ١٩٤٦. وهذا الكتاب هو خلاصة لإثنتي عشرة قضية ثانوية من مرافعات نورمبرگ. وردت في مجلدات (محاكمات مجرمي الحرب).

ساد الإعتقاد قبيل المحاكمات التي أعقبت الحرب أن القتول الجماعية إنما هي من عمل قلة نسبية من زعماء فرق الـ(إس. إس) الشديدي التعصب فحسب. إلا ان وقائع تلك المحاكمات لم تبق ذرة شك في مساهمة عددٍ من رجال الأعمال الألمان فيها. ولم يقتصر الأمر على (كروب) وإحتكار شركات فاربن الكيمائي وأمثالها، بل تعداه الى مؤسسات تجارية أصغر منها شأناً، عُدّ أصحابها من أنبل الناس وأسماهم خلقاً، رجال هم أعمدة مجتمعاتهم ومثلها المحتذاة- ككل رجال الأعمال الطيبين في أي مكان!

تُرى كم من الناس الأبرياء المنكودي الحظ، ومعظمهم يهود وأسرى حربٍ سوڤييت وآخرون غيرهم، أُزهقت أرواحهم عمداً وغيلة في معسكر واحدٍ فقط.. معسكر أُوشويتز؟ لن يُعرف العدد بشكل دقيق قط. فـ(هويس) أجمل الرقم في إفادته الموثقة باليمين بـ"مليونين ونصف مليون نفس قُتلت بالرصاص أو خُنقت بالغاز ثمّ أُحرقت جثثها وطُحنت عظامها رماداً. يضاف الى هذا نصف مليون على الأقل ماتوا جوعاً أو مرضاً. فيكون المجموع العام ثلاثة ملايين". لكنه أنقص الرقم في محاكمته بـ(وارشو) وجعله (١,١٣٥,٠٠٠). أما الحكومة السوڤيتية التي قامت بتحقيق في المعسكر بعد إستيلاء الجيش الأحمر الظافر عليه في كانون الثاني ١٩٤٥، فقد قررت الهالكين فيه بأربعة ملايين نفس. ويُستفاد من دراسة (رايتلنگر) المستفيضة، أنه لايستطيع أن يرفع عدد من خنقهم الغاز فيه الى أكثر من ثلاثة أرباع المليون، ويقدره بحوالى (٦٠٠ ٠٠٠)، ثم يضيف إليه (الجزء المجهول) وهو ما يناهز (٣٠٠٠٠٠) أو أكثر ممن "فُقدوا"، ويقصد اولئك الذين قتلوا رمياً بالرصاص أو ماتوا جوعاً أو مرضاً وأي رقمٍ من هذه الأرقام، هو رقمٌ كبير مفزع[٨١].

الجثث تُحرق، لكن حشوات الاسنان الذهبية تبقى. ثم تستخلص من الرماد هذا إن لم يسرقها الحرس الذي يشتغل بنقل أكداس الجثث[٨٢]، ثم يُذاب ذلك الذهب ويُشحن مع المقتنى الثمين المنزوع من الموتى لإيداعها (بنك الرايخ). اذ جرى إتفاق سري بين (هملر) وبين الدكتور (ڤالترڤونك) محافظه، يجري بمقتضاه إيداعها لحساب الـ(إس. إس). واختُرِع اسم (ماكس هايليكر) Max Hailiger لتسجيل المستودعات على حسابه وفي رصيده. هذه الغنائم الواردة من معسكرات الإبادة ضمت

٨١- هناك مصادر أخرى خلاف المصادر التي ذكرتها في إعتمادي اياها لكتابة هذا الجزء عن أُوشويتز. من شهادة مدام ڤايان كوتوريه Vaillan Cauturies وهي إمرأة فرنسية كانت معتقلة فيه، محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٦ الص ٢٠٣- ٢٤٠، قضية رقم ٤ المعروفة بقضية معسكر الاعتقال وعنوانها الولايات المتحدة ضد (بوهل) ورفاقه في محاكمات مجرمي الحرب [محاكمة بلسن]- لندن ١٩٤٠ (غلبرت)، يوميات نورمبرگ، فيليب فريدمان [ذاك هو أُوشويتز]، كتاب رايتلنگر الرائع [الحل النهائي. والأس. اس].

٨٢- وأحيانا تُقلع الأسنان قبل الفتك بالضحايا. ويوضح تقرير سري بعث به مدير سجن (منسك) الألماني، أنه بعد ان إستخدم طبيب اسنان يهودي "راح كل اليهود يزيلون جسور أسنانهم وحشواتهم وأكسيتها الذهبية أو يكسرونها بناءً على آوامره قبل القيام (بالعمل الخاص) بساعة أو إثنين دائماً. وذكر مدير السجن ايضاً ان (٥١٦) روسياً قد جرى قتلهم في هذا السجن خلال ستة أسابيع في ربيع ١٩٤٣، منهم (٣٣٦) نُزع ذهب اسنانهم قبل قتلهم [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٨ ص ٢٠٨ وثائق نورمبرگ R ١٣٥].

خلاف الأسنان الذهبية، ساعات ذهبية واقراطاً وخواتم وعقوداً وحتى إطارات العوينات. فقد أُغري الضحايا بإصطحاب أغلى مايملكونه الى أماكن "إعادة إسكانهم"، ارض الميعاد الجديدة. ولذلك وُجد في المستودعات مجموعات من الحلي لاسيما الألماس والكثير من آنية الفضة، وكان ثمّ حزم كبيرة من أوراق النقد.

والحق يُقال أن بنك الرايخ غصّ بالمودوعات المسجلة بإسم (ماكس هايليكر) لكثرتها، ولم تعد خزائنه تستوعبها بمجيء عام ١٩٤٢. وحاول مدراء البنك الشديدو الحرص على الربح تحويلها الى نقد حقيقي والتخلص منها بيعاً بتصريفها في دكاكين الرهون البلدية. وهناك رسالة من بنك الرايخ الى أحد تلك الدكاكين مؤرخ في ١٥ أيلول ينوّه (بالشحنة الثانية) ويبدأ بعبارة (نودع اليكم الحاجات الثمينة التالية راجين تصريفها بالشكل الذي يضمن خير منفعه ممكنة). والقائمة طويلة دقيقة التفاصيل تحوي (١٥٤) ساعة يد ذهبية و(١٦٠١) قرط ذهبي و(١٣٢) خاتماً ألماسيا و(٧٨٤) ساعة جيب فضية و(١٦٠) طقم أسنان، بعضها مكسو بالذهب). وفي بداية ١٩٤٤ غصّ حانوت رهون برلين بهذا السيل المتدفق من تلك البضائع المسروقة، وأُبلغ بنك الرايخ بأنه لايستطيع قبول المزيد منها. وعندما إجتاحت جيوش الحلفاء ألمانيا إكتشفت أجزاء من تركة (ماكس هايليكر) في بعض مناجم الملح المهجورة، حيث أخفى النازيون جانباً من سجلاتهم ومنهوباتهم. وهو كفيل بملء أضخم ثلاث خزائن من فرع بنك الرايخ في (فرانكفورت)(٨٣).

هل أدرك رجال البنك مصدر تلك المودوعات الفريدة في بابها؟ زعم مدير دائرة المعادن الثمينة في بنك الرايخ أمام محكمة نورمبرگ بأنه بدأ هو وزملاؤه يلحظون ورود العدد الكثير من الشحنات من (لوبلن وأُوشويتز)، وقال: "كنا نعلم جميعاً أن هذين المحلين هما موقعا معسكري إعتقال،وذهب الاسنان لم يظهر في المودوعات إلاّ عند ورود الشحنة العاشرة في شهر تشرين الثاني ١٩٤٣، ثم تكاثرت كمية هذا النوع من الذهب بشكل غير اعتيادي(٨٤)."

وفي نورمبرگ ايضاً إنبرى (اوسفالد پوهل) السيء الصيت رئيس الدائرة الإقتصادية في الـ(إس. إس)، الذي تولى أعمال منظمته المالية وصفقاتها التجارية، ليبيّن ان الدكتور (فونك) وموظفي بنك الرايخ ومديريه هم على علم تام بمصادر هذه الحاجات التي يحاولون رهنها. وشرح بشيء من التفصيل (الإتفاق التجاري الذي تم بين (فونك) والـ(إس. إس)، بخصوص إيداع الحاجات الثمينة المنزوعة من جثث الموتى في بنك الرايخ). واستذكر محادثةً مع نائب رئيس بنك الرايخ الدكتور (إميل بوهل)، قال: "في هذه المحادثة زال كل شكّ في أن الحاجات التي ستُرسل الى البنك [مصدرها] اليهود الذين

تمت إبادتهم في معسكرات الإعتقال، وهذه الحاجات هي خواتم وفتخات وساعات وعوينات وسبائك ذهب وحليّ ودبابيس وحشوات اسنان ذهبية وماشاكل..."

٨٣- مؤامرة النازيين وعدوانهم، الملحق أ، الص ٦٧٤- ٦٨٢ [وثائق نورمبرگ ٣٩٤٥ P S و٣٩٤٨ P S و٣٩٥١ P S].
٨٤- المرجع السالف ص ٦٨٢ [وثائق نورمبرگ ٣٩٥١ P S].

وذكر (پوهل) ان الدكتور (فونك) دعا في احدى المناسبات أعضاء لجنة تفتيش قامت بجولة تفقدية في خزائن بنك الرايخ، حيث كُنزت فيها الحاجات الثمينة (من موتى اليهود)، الى مأدبة عشاء مبهجة دار فيها الحديث حول المصادر الغريبة التي جاءت منها هذه الأسلاب[٨٥].

-٨-

"الگيتو" في وارشو لم يعد له أثر!"

علّق أكثر من شاهد عيانٍ واحدٍ على روح الإستسلام التي كان يستقبل بها الكثير من اليهود حتوفهم في غرف الغاز النازية وفي حفر الموت الكبيرة، التي كان يقودهم اليها رجال (الآي٤٣نزاتسگروپن). إلا أن اليهود لم يخضعوا كلهم الى قضاء الجلادين فيهم بمثل هذا الإستسلام وبصورة دائمة. ففي ربيع عام ١٩٤٣ وقف زهاء ستين الفاً منهم صفاً واحداً وأسندوا ظهورهم الى الجدران في منطقة اليهود بوارشو، وكانوا كل ما تبقى من أربعمائة الفٍ، سبق جمعهم في هذه البقعة كما تُجمع الماشية في ١٩٤٠، ثم إستداروا نحو جلاديهم النازيين ليقاتلوهم قتالاً مريراً.

وربما كان وصف ضابط الـ(إس. إس) الصلف الذي تولى أخماد هذه الإنتفاضة[٨٦] في حي اليهود بوارشو يفوق كل ما كُتب عنها دقة وشناعة. هذا الألماني يُدعى (يورگن شتروب Juergen Stroop) زعيم فرقة في الـ(إس. إس)، وميجر جنرال (أمير لواء) شرطة. وقد وصل الينا سليماً كاملاً[٨٧] تقريره الرسمي ذو العبارة الفصيحة المصحّف بغلافٍ جلدي، مملوءً بالصور مطبوعاً بالآلة الكاتبة على خمس وسبعين صحيفة من الكاغد الكتاني الفاخر السميك مصدّراً بالعنوان "الگيتو في وارشو لم يعد له أثر"[٨٨].

في نهاية خريف عام ١٩٤٠، بعد مرور عامٍ واحد على إحتلال النازيين پولندا، جمع الـ(إس. إس) زهاء أربعمائة ألف يهودي ووضعهم داخل سورٍ عالٍ عزلهم عن باقي مدينة وارشو في منطقة يبلغ طولها حوالها ميلين ونصف وميل وعرضها ميلاً واحداً تقريباً. وهي الرقعة التي تحيط بالحي اليهودي القديم للقرون الوسطى ويستوعب عادة مائة وستين ألف ساكن. ولذلك ضاقت الرقعة بالآلاف

٨٥- حكم على الدكتور (ڤالتر فونك) في نورمبرگ بالسجن مدى الحياة.

٨٦- ان جون هرسي John Hersey في قضيته "الجدار The Wall" اعتمد على المصادر اليهودية. إن هذه القصة ملحمة رائعة لتلك الإنتفاضة المسلحة.

٨٧- لكن صاحبه شتروب لم يسلم، إذ قُبض عليه بعد الحرب وأُحيل الى محكمة عسكرية أمريكية بتهمة قتله رمياً بالرصاص عدداً من الرهائن في اليونان. فحكمت عليه بالموت في داخاو في ٢٢ آذار ١٩٤٧. ثم سُلّم الى السلطات الپولندية ليحاكم على إبادته اليهود في حي وارشو وحُكم عليه بالموت ثانية وشنق في موضع جريمته في ٨ أيلول ١٩٥١.

٨٨- النص في المرجع السالف ج ٣ الص ٧١٩- ٧٧٥ [وثائق نورمبرگ ١٠٦ P S].

الأربعمائة إلا أن هذا أخف المصاعب. فقد رفض الحاكم العام (فرانك) أن يخصص طعاماً يكفي لسد رمق نصف هذا العدد. ومنعوا من مغادرة الرقعة التي يكتنفها الجدار العالي والا عرّضوا أنفسهم للرصاص دون إنذار ولم يكن لديهم من عمل غير مصانع قليلة للإنتاج الحربي داخل السور يشرف على إدارتها (الڤيرماخت) ورجال الأعمال الألمان الجشعون المفترسون الذين يعرفون كيف يكسبون الأرباح الطائلة من إستخدام عمل السخرة. وحاول مائة ألف يهودي على أقل تقدير أن يبقوا نسمات الحياة في جسومهم بالعيش على طاسٍ واحدٍ من الشورباء يومياً كثيراً ما يسلق فيه القش الذي تنزل لهم عنه صدقة الآخرين وشفقتهم، فكان نضالاً فاشلاً في سبيل الحياة.

إلا أن سكان الحي لم يموتوا جوعاً أو مرضاً بالسرعة التي تناسب (هملر). فأمر في صيف ١٩٤٢ أن يُجلى يهود وارشو هؤلاء قاطبة "لأسباب تتعلق بالأمن". وفي ٢٢ تموز بدأت عملية "إعادة إسكانٍ" عظيمة. ونُقل بين هذا التاريخ و٣ تشرين الأول ما بلغ مجموعة (٣١٠,٣٢٢) شخصاً الى محل "السكنى الآخر" كما يقول (شتروب)، أعني الى معسكرات الإبادة ومعظمهم لقي مصيره المحتوم في غرف غاز (تربلنكا).

ومع ذلك لم يرض (هملر). وعندما قام بزيارة مفاجئة لوارشو في كانون الثاني ١٩٤٣ ووجد ستين ألف يهودي مازالوا احياء في (الگيتو)، أمر أن تتم عملية "إعادة الإسكان" في ١٥ شباط بشكل نهائي، لكن التنفيذ بدا عسيراً. ومما زاد في مهمة الـ(إس. إس) تعقيداً هو الشتاء القاسي وإفتقارهم الى القطارات الضرورية لنقل آخر دفعة من (المهجرين) الى مصائرهم، والسبب يعود الى أن كارثة ستالينگراد وماتلاها من تقهقر الجيش في جنوب روسيا أدت الى دفع تعزيزات وإمدادات للجبهة وإعطاء الأسبقية لها على خطوط النقل. كذلك أبلغ (شتروب) أن اليهود يقاومون عملية التصفية النهائية "بكل ما في حوزتهم من وسائل". لولم يتسنّ تطبيق أمر (هملر) إلا بحلول الربيع وقرر تنظيف الحي "بعمل خاص" في ثلاثة أيام فقط. لكنه لم يفلح الاّ بعد أربعة أسابيع كما تبين له.

إن نقل ثلاثمائة ألف يهودي سهّل على الألمان تقليص رقعة الحي المسوّر. ووجه جنرال الحرس الأسود (شتروب) دباباته ومدفعيته وباصقات لهبه وفصائل نسفه الى تلك الرقعة التي لاتزيد مساحتها عن (١٠٠٠ × ٣٠٠ يارد) في صبيحة ١٩ نيسان ١٩٤٢. ومع ضيق الموقع، فقد كان كثير الزوايا والخبايا والسراديب وأنفاق تصريف المياه، التي حولها اليهود اليائسون الى مواضع منيعة مستحكمة. وكانوا قليلي السلاح، عدد من المسدسات والبندقيات، وعشرة الى عشرين مدفعاً رشاشاً هُربت خفية الى الداخل وقنابل يدويه صنعوها بانفسهم- وعقدوا العزم على إستخدام هذا السلاح في صبيحة ذلك اليوم من نيسان. لأول مرة وآخر مرةٍ في تاريخ الرايخ الثالث يقف اليهود وقفة نزالٍ أمام مضطهديهم النازيين وبيدهم السلاح. كانت تحت أمرة شتروب (٢٠٩٠) رجلاً نصفهم تقريباً من الجنود النظاميين أو ما يدعى (Waffen–S. S) والباقي من شرطة الحرس الأسود، معزز بحوالى (٣٣٥) متطوعاً ليتوانياً وأفراد من الدرك اليولندي ورجال الإطفاء، إلا أنهم اصطدموا

بمقاومة لم يتوقعوها في اليوم الأول: "[جاء في تقرير الجنرال شتروب الأولي الذي أتبعه بعدد كبير من التقارير اليومية بالتتالي].. ماكادت العملية تبدأ حتى جابهنا اليهود والشقاة بنارٍ شديدة مركزة. وأُصيبت الدبابة والسيارتان المصفحتان (بكوكتيل مولوتوف)... وإضطررنا الى الإنسحاب بسبب الهجوم المضاد الذي شنه العدو".

وجدد الألمان هجماتهم لكنهم وجدوا النجاح عسيراً.

"في حوالي الساعة ١٧٣٠، إصطدمنا بمقاومة عنيفة جداً من مجموعة أبنية. وفُتحت علينا نار مدفع رشاش. تمكنت فصيلة فدائية خاصة من دحر العدو، الاّ انها لم تستطع وضع يدها على المقاومين. اليهود والمجرمون كانوا يواصلون المقاومة من سرداب الى سرداب ويفلتون في آخر لحظة... خسائرنا في الهجوم الأول إثنا عشر رجلاً."

وإستمرت الحال على هذا المنوال في الأيام القلائل الأولى، والمدافعون يتقهقرون أمام هجوم الدبابات بسلاحهم التافه وينسحبون من أمام باصقات اللهب ونار المدفعية، إلاّ ان مقاومتهم لم تهن ولم يستطع الجنرال (شتروب) ان يفهم لماذا لاتستسلم "هذه النفاية من البشر المنحطّ" (كما وصفهم في تقريره) وتخضع لعملية تصفيتهم!

"[كتب يقول] إتضح خلال أيام قليلة أن اليهود ليست لديهم أي نيةٍ "لإعادة إسكانهم" طوعيةً بل عقدوا العزم على مقاومة الجلاء... وفي حين إستطعنا خلال الأيام الأولى القبض على عدد لا بأس به منهم اليهود الجنباء بطبعهم فقد زادت الصعوبات أكثر فأكثر في القبض على هؤلاء الشقاة خلال النصف الثاني من العملية. وتتوالى علينا فصائل صدامية تتألف من عشرين الى ثلاثين رجلاً يصحبهم عدد مماثل من النساء فيؤججون نار معركة جديدة".

وذكر (شتروب) أن النسوة ينتمين إلى الخالوتزيم Chalutzim وقد إعتدن "إطلاق مسدساتهن بكلتا يديهن. وكذلك قذف القنابر اليدوية التي كن يخفينها في صدورهن" Bloomers وفي اليوم الخامس من المعركة أصدر هملر الذي فرغ صبره وثارت ثائرته، أمراً لشتروب (بتمشيط) الحي "بأقسى ما يمكن وبشدة لاتفلّ".

"[وكتب شتروب في تقريره الأخير] وعند ذلك قررت تدمير الحي اليهودي برمته بإشعال النار في كل مجمع بنايات."

ثم وصف ما تبع ذلك: "كانوا يبقون في البنايات المحترقة حتى تدركهم النار ويقذفون بأنفسهم من حالقٍ خشية أن تأكلهم النار وهم أحياء ويسقطون على الأرض من الطوابق العليا... ويحاولون رغم كسور عظامهم ان يزحفوا الى البنايات التي لم تنوشها النار عبر الشارع... ورغم خطر إحتراقهم احياء، فكثيرا مافضّلوا العودة الى اللهب على الوقوع في أيدينا."

أمر غير مفهوم ابداً لرجلٍ من صنف شتروب. تفضيل الرجال والنساء الموت إحتراقاً وهم يحاربون، على الموت الهادي في غرف الغاز ذلك لأنه كان يشحن الأسرى ممن لم يقتلهم الى (تربلنكا). وفي

٢٩ نيسان بعث برسالة تلفونية الى مقر القيادة العامة للـ(إس. إس) يذكر فيها أسره (٢٧٤٦٤) يهودياً.

"سأحاول تأمين قطارٍ الى ت – ٢ [تربلنكا] غداً. وإلاّ ستتم التصفية هنا غداً."

وكثيراً ما تمت "التصفية" موقعياً. في اليوم التالي أبلغ (شتروب رؤوساه: "جُرّ ألف وثلاثمائة وثلاثون يهودياً من إستحكاماتهم وقضي عليهم في الحال (قُتل (٣٦٢) في ساحة المعركة)" ولم "يُخلَ" إلاّ ثلاثون اسيراً.

بمشارفة الثورة على ختامها لجأ المدافعون الى أقنية تصريف المياه التحتية وحاول (شتروب) إرغامهم على الخروج بدفع الماء وملء الأقنية الرئيسة، إلا أنهم استطاعوا إيقاف اندفاع المياه. وفي أحد الأيام ألقى الألمان قنابل دخان الى الأقنية من الفتحات الواسعة المائة والثلاث والثمانين، إلا أن شتروب كتب حانقاً، إنهم فشلوا في "الوصول الى النتائج المتوخاة".

لم يكن ثمّ شك في النتيجة الختامية. وظل اليهود المحاصرون شهراً كاملاً يقاتلون قتالاً مستميتاً بشجاعة جنونية وإن وصفها (شتروب) في أحد تقاريره اليومية وصفاً مغايراً بشكواه من "وسائل القتال الماكرة، والحيل التي إستعملها اليهود والعصابات". وفي ٢٦ نيسان كتب يقول أن عدداً كبيراً من المدافعين أصيب بالجنون من فرط الحرارة والدخان والإنفجارات".

"أحرقت خلال اليوم عدة مجمعات من البنايات حرقاً تاماً، وهذه هي الطريقة الوحيدة والأخيرة لإرغام تلك النفاية من البشر المنحطّ على الخروج من المخابيء."

وكان اليوم الأخير السادس عشر من أيار وفي ليله أرسل شتروب آخر تقارير الميدان اليومية.

"قُضي على مائة وثمانين يهودياً وقاطع طريق وبشر منحطّ ولم يعد للحي اليهودي العتيق بوارشو أي وجود. إن العملية الواسعة النطاق قد إنتهت في الساعة ١٥, ٢٠ بنسف كنيس لوارشو...المجموع الكلّي لليهود الذي تصدينا له (٥٦٠٦٥) ويشمل اليهود الذين قُبض عليهم واليهود الذين يمكن البرهان على هلاكهم.".

وبعد أسبوع طُلب منه إيضاح الرقم، فأجاب: "من المجموع الكلي المقبوض عليه البالغ (٥٦٠٦٥) قُضي على (٧٠٠٠) في الحي اليهودي السابق أثناء العملية الواسعة، وهلك (٦٩٢٩) بنقلهم الى (تربلنكا). وبذلك يبلغ مجموع الهالكين (١٣٩٢٩). وإضافة الى هذا قُضي على عدد يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف بالمتفجرات أو الموت حرقاً."

لم يكن حساب الجنرال شتروب واضحاً تماماً، لأن تقريره يهمل ذكر مصير (٣٦٠٠٠) شخصٍ، لكن ليس ثمّ شك في أنه كان صادقاً في ماذكره في تقرير الأخير الأنيق العبارة والتجليد بأنه قبض على "مامجموعه (٥٦٠٦٥) يمكن البرهان على هلاكهم أجمعين". لاشك أن صافي الحساب في غرف الغاز وهي المسؤولة الستة والثلاثين ألفاً".

وزعم (شتروب) ان خسائر الألمان بلغت ستة عشر قتيلاً وتسعين جريحاً، وربما كان الرقم الحقيقي

أعلى من هذا بكثير لطبيعة قتال المنازل الوحشي الذي وصفه الجنرال نفسه بتفصيلٍ شائق. إلا أن الرقم عُدِّل وقُلل منه لئلا تقلق مشاعر (هملر) الحساسة الرقيقة. وختم شتروب تقريره بأن الجنود والشرطة الألمان "انجزوا واجبهم دون ان يعتريهم الكلل وبروح زمالة مخلصة ووقفوا معاً نموذجاً يحتذى به للجنود".

مضى "الحل النهائي" يجرّ أذياله على أوروپا الى آخر ساعة من ساعات الحرب. فكم ذُبح من اليهود ياترى؟ بقي الرقم موضع أخذٍ وردٍ. وبحسب قول شاهدين من الـ(إس. إس) في نورمبرگ، إن المجموع العام هو بين خمسة ملايين وستة، كما قدّره واحد من كبار خبراء النازيين في الموضوع، وهو (كارل أدولف إيخمان Karl Adolf Eichmann) رئيس الدائرة اليهودية في شرطة الگشتاپو، الذي قام بتنفيذ (الحل النهائي) تحت إشراف مبدعه ومطبقّه الباطش السفاح هيدريخ[٨٩]. والرقم الذي ورد في لائحة إتهام نورمبرگ (خمسة ملايين وسبعمائة ألف) هو مقارب للحساب التقديري الذي توصل اليه المؤتمر اليهودي العالمي. واستنتج رايتلنگر في دراسته الضخمة (للحل النهائي) أن الرقم الحقيقي يقلّ بعض الشيء، وقد قدّر المجموع الكلي بما يتراوح بين (٤١٩٤٢٠٠) و(٤٥٨١٢٠٠)[٩٠].

في العام ١٩٣٩ كان يوجد زهاء عشرة ملايين يهودي في المناطق التي تحلتها قوات هتلر. وبأي تقدير فمما لايرقى اليه الشك أن نصفهم تقريباً هلكوا بأيدي الألمان. هذا هو الأثر الأخير والثمن الهائل المدفوع لأفكار جنونية ملتاثة إحتلت رأس الدكتاتور النازي أيام عيشته المتشردة زمن الشباب في ڤيينا، والتي أوحى بها أو شارك فيها كثير من أتباعه الألمان.

-٩-

التجارب الطبية

جرت في حياة "النظام الجديد" القصير العمر ممارسة بعض التجارب والإختبارات من قبل بعض الألمان بدافعٍ سادي بحت، لابدافع الشهوة الى القتل الجماعي. وخبير علم النفس الجنائي ربما يجد فرقاً بين الإنحرافين، وإن كانت النتيجة النهائية للإنحراف الأول لاتختلف عن نتيجة الإنحراف الثاني إلا بعدد الموتى.

والتجارب الطبية النازية تقوم مثالاً على هذه السادية، ذلك لأن إستخدام نزلاء معسكرات

٨٩- ذكر احد أعوان إيخمان عنه قوله قبيل الإنهيار الألماني انه "ليقفز الى سعير جهنم وهو ضاحك السن هانئاً لشعوره بأن ضميره المثقل بخمسة ملايين نفس بشرية إنما هو مصدر راحة عظيمة جداً له." [محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج ٤ ص ٣٧١]. لقد فرّ (إيخمان) من معتقل حبس أمريكي سنة ١٩٤٥. [ملاحظة: أثناء طبع هذا الكتاب أعلنت اسرائيل أنها ألقت القبض عليه. وقد حوكم فيها ووجد مذنباً وحُكم عليه بالموت. وفي ١٩٦٢ (شباط) قدم إستئنافاً للمحكمة].

٩٠- رايتلنتر: (الحل النهائي) الص ٤٨٩- ٥٠١، يحلل الكاتب في مؤلفة عمليات الإبادة لكل دولةٍ على حدةٍ.

الإعتقال وأسرى الحرب بمثابة خنازير غينية بشرية لايحقق من منفعة للعلم إلا النزر التافه، إن لم نقل أنه لايحقق شيئاً بالمرة. وتلك هي حكاية هولٍ مرعبةٍ لاتشرّف مهنة الطب الألماني مطلقاً. فمع إن تلك التجارب" أجراها عدد يقل عن المائتين من ادعياء الأطباء القتلة "ولوكان بعضهم يحتل مراكز رفيعة في عالم الطب"، فعملهم الإجرامي هذا كان معروفاً لدى آلافٍ من مشاهير الأطباء في الرايخ لم يرفع واحد منهم صوته بأي إحتجاج علني على ما يجري[٩١].

من مَقاتل هذا الميدان لم يكن اليهود الضحايا الوحيدين، لأن الأطباء النازيين إستخدموا أسرى الحرب السوفييت ونزلاء معسكرات الإعتقال البولنديين نساءً ورجالاً بل امتدت ايديهم الى النزلاء الألمان. وتجاربهم متنوعة لاتدخل تحت حصرٍ، فمن وضع السجناء في غرف ضغطٍ واخضاعهم الى فحوص الإرتفاعات العليا حتى ينقطع تنفسهم، الى حقنهم بمقادير قتالة من جراثيم التيفوس واليرقان. إلى إجراء تجارب "الانجماد" عليهم بوضعهم في جمدٍ من الماء، أو بتعريضهم عراة الأبدان الى الثلج في العراء حتى يموتوا انجماداً. الى تجريب الرصاص السام في جسومهم، إلى إستنشاقهم غاز الخردل المميت وهكذا... وفي معسكر اعتقال رافنسبروك النسائي كانت مئات من السجينات البولنديات (عُرفن أنذاك باسم "الفتيات الجُزدان") تُحدَث في اجسادهن جروح لكنگرينة الغاز السام، بينما يجري على أخريات منهن تجارب في (تطعيم العظام). وفي (داخاو وبوخنڤالد)، أنتقي طائفة من الغجريات (الكاوليات) ليجد المجربون كيف وبأية صورة يستطعن الحياة في ماء الملح. وجرت تجارب إخصاء وتعقيم بنطاق واسعٍ في عدة معسكرات إعتقال وبمختلف الأساليب على الرجال والنساء. وقد شرح السبب في هذه التجارب طبيب الـ(إس. إس) أدولف پوركورني Adolf porkorny برسالة بعث بها الى (هملر) بهذه المناسبة، قال "إن العدو يجب ألا يُكتفى بقهره بل بإبادته". فإذا تعذرت إبادته فيجب أن يحال دون تكاثره بالتناسل (إن الحاجة الى عمل السخرة في الأيام الأخيرة من الحرب، جعل هذه التجربة أمراً لا فائدة فيه - كمامر بنا). في الواقع أخبر الدكتور (پوركورني) رئيسه هملر بأنه يعتقد بتوصله الى اكتشاف الوسائل الناجعة لهذه الغاية وقال ان نبتة (كالاديوم سيكونيم Caladuim Sequinum) تحدث عقماً تاماً دائماً. وكتب هذا الطبيب الخيّر الى زعيم الـ(إس. إس):

"إن الفكرة، فكرة امكان إخصاء ثلاثة ملايين شيوعي هم الآن في الأسر الألماني بحيث

٩١- ولم يشذّ عن هذا حتى الدكتور فرديناند ساوربروخ Dr. Ferdinand Sauerbruch أشهر جِراحي ألمانيا طرّاً، وإن اصبح أخيراً من أعداء النازية وإنضم الى المؤتمرين بها وساهم مع المقاومة. جلس (ساوربروخ) ينصت الى محاضرة في الأكاديمية الطبية العسكرية بمدينة برلين، ألقاها في أيار ١٩٤٣ طبيبان قاتلان من اسوأ الاطباء صيتاً في هذا الميدان هما كارل گيبهاردت Karl Gebhardt وفريتز فيشر Fritz Fisher في موضوع "گنگرينا الغاز السام" ونتائج تجاربها على السجناء. وكان تعليق (ساوربروخ) الوحيد حول الموضوع هو ان الجراحة أفضل من السلفانيلانيد Sulfanilanide!. وقد حُكم على البروفسر غيبهاردت بالموت في ماعرف "بقضية الأطباء"، وشُنق في ٢ حزيران ١٩٤٨، اما الدكتور فيشر فقد حُكم عليه بالسجن مدى الحياة.

يكونون صالحين للعمل، عاجزين عن الإخصاب في الوقت نفسه، إنما تفتح أمامنا آفاقاً شاسعة"[٩٢].

وثمّ طبيب ألماني آخر وجد أمامه "مطامح شاسعة الآفاق" هو الأستاذ اوگست هيرت Prof. August Hirt مدير معهد التشريح في جامعة (ستراسبورگ Strassbourg) وكان ميدان تجاربه الخاص يختلف بعض الشيء عن ميادين تجارب الآخرين شرحها في رسالة كتبها في عيد ميلاد ١٩٤١ الى جنرال الـ(إس. إس) الفريق رودولف براندت Rudolf Brandt مساعد (هملر) قال فيها:

"لدينا مجموعات كبيرة من الجماجم لكل اجناس البشر تقريباً. ومع هذا فليس فيها من العنصر اليهودي إلا نماذج لأنواعٍ قليلةٍ جداً... والآن تتيح لنا حرب المشرق فرصة سد هذا النقص. ولو تم حصولنا على جماجم القوميسارين اليهود- البولشڤيك الذين يمثلون نموذجاً كريها للبشر المنحطّ تام الخصائص، فسينفتح لنا الباب للدراسة العلمية.

والأستاذ لايريد جماجم "قوميساري اليهود- البولشفيك الموتى" بدليل إقتراحه أن تؤخذ قياسات رؤوس هؤلاء وهم أحياء أولاً، ثم...

"وبعد قتل هذا اليهودي الشيوعي بحيث لايلحق برأسه عطب أوضرر، يقوم الطبيب حالاً بفصل الرأس عن الجسد وإرساله... في علبة صفيح ملحومة بإحكام" وبوصوله يشرع الدكتور هيرت في عمل مقاسات علمية أخرى له[٩٣]. كما وعد.

وطرب (هملر) للفكرة وأمر أن "يُمَدّ الپروفيسور بكل ما يحتاج لأبحاثه. ولقد زُوِّد بالكثير، وكان المورّد الفعلى شخص نازي يسترعي الإنتباه إسمه (ڤولفرام سيڤرز Welfram Sievers) إحتل مقعد الشهادة مراراً ولفترات طويلة في محاكمة نورمبرگ الكبرى، وفي المحاكمة التالية "قضية الأطباء" التي كان فيها واحداً من المتهمين[٩٤].

إرتقى (سيفرز) بائع الكتب السابق الى رتبة (عقيد) في شرطة الـ(إس. إس) والى منصب السكرتير التنفيذي لـ(أنينربه Ahnenerbe) وهو معهد البحوث الوراثية، أحدى المؤسسات "العلمية" السخيفة الحمقاء التي أنشأها (هملر) لدراسة فكرة من فكراته المجنونة. وزعم (سيڤرز) أن لهذا المعهد خمسين فرعاً للبحوث، منها فرع إسمه "معهد البحوث العلمية العسكرية" ويرأسه (سيڤرز) بالذات.

كان ذا عينين ماكرتين توضح سيماؤه عن ذلك الطبع (المفيستوفلي Mephistophel*) الخبيث. ولحية كثة سوداء بلون الحبر. وفي نورمبرگ إتخذ طابع "ذي اللحية الزرقاء النازي) مقلداً القاتل الفرنسي

٩٢- "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" ج ٢٠ ص ٥٤٨.
٩٣- المرجع السالف ص ٥١٩.
٩٤- حكم عليه بالموت ونفذ فيه شنقاً.
* هو الشيطان في رواية فاوست الشهيرة من تأليف گوته.

المشهور. ولم يشذ عن الكثير جداً من شخوص هذا التاريخ، بإحتفاظه بيوميات منتظمة في غاية الدقة أرسلته هي ومراسلاته التي وصلت سالمةً غير منقوصة الى نطع الجلاد.

في حزيران ١٩٤٣، اتمّ سيڤرز في معسكر (أُوشويتز) إختيار الرجال والنساء الذين ستكون هياكلهم العظمية موضوعاً "للقياسات العلمية" الخاصة ببحوث الأستاذ الطبيب هيرت في جامعة (ستراسبورگ). وكتب تقريراً جاء فيه: "المجموع الكلي (١١٥): مقسمون على الوجه الآتي (٧٩) يهودياً و(٣٠) يهودية و(٤) من الآسيويين وپولنديان، مهيأون للطريقة.." ثم رجا من الدائرة العامة للـ(إس. إس) في برلين أن تعمل على نقلهم من أُوشويتز الى معسكر إعتقال ناتسڤايلر Natzweiler القريب من ستراسبورگ. وهنا سأله المستنطق البريطاني عن معنى كلمة (الطريقة).

فأجاب سيفرز: "المقاسات الأنثروپولوجية".

– أتعني أن قياساتهم الانثروپولوجية تؤخذ قبل أن يقتلوا؟ أهذا كل ما يتضمنه التعبير من معنى، اليس كذلك؟

فعقب سيڤرز: وكذلك تؤخذ لهم قوالب جبسية.

وماتبع هذا تولّى روايته نقيب الـ(إس. إس) (جوزيف كرامر Josef Kramer). وهو قاتل محترف زوال صناعته في (أُوشويتز وداخاو وماوتهاوزن) وغيرها، وحقق شهرة دواية بلقبه الذائع الصيت (وحش بلسن). حكمت عليه بالموت محكمة عسكرية بريطانية في (لوينبرغ Lueneborg) قال (وحش بلسن): "أبلغني الپروفيسور (هيرت) من المعهد التشريحي في ستراسبورگ، بقرب وصول قافلة سجناء من (أُوشويتز). وقال لي: هؤلاء الأشخاص يجب أن يتم قتلهم بالغاز السام في غرفة الغاز الخاصة بمعسكر (ناتسڤايلر)، ثم يُنقلون الى معهد التشريح ليكونوا تحت تصرفه. وأعطاني زجاجه تحتوي على مايقارب نصف (بُطل) من الأملاح- أعتقد انها ملح السيانايد. وأرشدني الى المقدار التقريبي الذي يكفي لتسميم السجناء المنقولين من أُوشويتز.... وفي أوائل شهر آب ١٩٤٣ تسلمت ثمانين سجينة وسجيناً تقرر خنقهم بالغاز الذي زودني به هيرت. وفي ليلة من الليالي قصدت الى غرفة الغاز بسيارة صغيرة ومعي خمس عشرة إمرأة في الدفعة الأولى هذه. وبوصولي طلبت من النسوة الدخول الى الغرفة لأجل تعقيم أجسادهن، ولم أقل لهن أنهن سيُخنقن بالغاز".

في هذا الزمن كان النازيون قد أتقنوا الأصول. [وإسترسل كرامر]: "وبمساعدة عدد من رجال الحرس نضوت عن النساء ثيابهن ولم أبق على اجسادهن شيئاً وأدخلتهن غرفة الغاز وهن عاريات تماماً. وما أن أقفل الباب عليهن حتى بدأن يعولن ويصرخن. واسقطت مقداراً معيناً من الملح في الأنبوب... واخذت أراقب من كوةٍ ماذا يجري في الداخل. إستنقشت النسوة الغاز حوالي نصف دقيقة ثم سقطن على الأرض... ووجدتهن جثثاً هامدة مسجاةً على الأرض يعلوها الغائظ..."

وأفاد النقيب (كرامر) أنه كرر العملية حتى إستصفى كلّ السجناء الثمانين وبعث بجثثهم تباعاً الى الأستاذ هيرت "حسب الطلب".

وسأله القائم على إستجوابه عن شعوره في تلك الفترة، فأدلى بجوابٍ لايمكن أن يُنسي، ومنه يتوصل المرء الى تفهمٍ لظاهرةٍ نفسية في الرايخ الثالث شقّ إدراكها على العقول البشرية السوية، قال:

"لا أحس بأي مشاعرٍ عند تنفيذ هذه الأعمال. لأني تسلمت أمراً بقتل السجناء الثمانين بالطريقة التي شرحتها لكم الآن... وهذا على كلٍ، ما دُرِّبتُ عليه"[٩٥].

ويكمّل شاهد آخر ما حصل بعد ذلك. وهو فرنسي يدعى (هنري هيريپيير Henry Herypierre)، وكان يقوم بمهمة مساعد مختبر الأستاذ هيرت في معهد التشريح بستراسبورگ، حتى وصول الحلفاء، قال هيريپيير: "الشحنة الأولى التي وصلتنا كانت تتألف من ثلاثين جثة امرأة... هذه الجثث الأنثوية

لم تزل حارة عند وصولها. وكانت العيون مفتوحة تلمع، حمراء يغشاها الدم بارزة من محاجرها. وثمّ آثار دماء في الأنف وزوايا الفم، ولم يكن لحالة تصلب الموت Rigor Mortis أثر فيها بعد".

يقول (هيريپيير) أن الشكوك ساورته في أنهن قُتلن قتلاً، ولذلك أسرع لينقل سراً أرقام السجن التي وشمت على اذرعتهن اليسرى، ووصلت المعهد شحنتان أخريان مجموعهما ستة وخمسون جثة ذكرٍ تلوح عليها الأعراض السابقة تماماً.

ونقعها بالكحول بإشراف الدكتور هيرت الخبير. إلا أن الأستاذ كان منفعلاً بعض الشيء للأمر كله وإلتفت الى مساعده قائلاً: "پيتر! إن لم تبق فمك مقفلاً، فستكون جثةً هامدة مثل هذه الجثث".

وإنهمك الأستاذ هيرت في عمله رغم ذلك. وتكشف مراسلات (سيڤرز) أن الطبيب - كما كتب له - قام بفصل الرؤوس عن الأجساد، وتنظيم مجموعة الهياكل العظمية التي لم يكن لديهم مثلها قبلاً" لكن قام بعض المصاعب لم يتردد (سيڤرز) في إبلاغها الى هملر كما وصفها له (هيرت). [لم يكن رئيس الأنينربه ذا خبرة طبية أو تشريحية أو على أي المامٍ بهما] فكتب في ٥ أيلول ١٩٤٤:

"نظرا الى القدر الكبير من الأبحاث العلمية الجارية، فإن عملية تحويل الجثث الى هياكل عظمية لم تتم الى حد الآن. ويتطلب وقت طويل لثمانين جثة".

كان الوقت يمرّ مروراً خاطفاً والقوات الفرنسية والأمريكية الزاحفة تدنو من ستراسبورگ. فطلب هيرت "تعليمات" عما يفعله بـ"المجموعة".

"[كتب سيڤرز الى المقر العام نيابة عن دكتور هيرت] يمكن تجريد الجثث من اللحم وبهذا يتعذر تشخيصها. على أن ذلك يعني أن جزءً من العمل الكامل على الأقل قد ضاع الجهد المبذول فيه هباءً. وإن هذه المجموعة الفذة سيفقدها العلم، إذ سيكون متعذراً عمل قوالب

٩٥- إستجواب جوزيف كرامر. القضية الأولى من "قضايا محاكمات مجرمي الحرب" وما دعى بمحاكمة الاطباء كان عنوانها "الولايات المتحدة ضد براندت ورفاقه".

جبسية لها فيما بعد. وستكون مجموعة الهياكل العظمية في هذه الحالة غير معروفة. أما الأجزاء اللحمية، فيمكن القول أنها كانت موجودة من زمن الفرنسيين. وقد عثرنا عليها عندما تسلمنا معهد التشريح[٩٦]. وأنها سترسل لأجل الإحراق. أرجو أن تشيروا على: أياً من المقترحات الثلاثة التالية أنفذ. (١) الإحتفاظ بكل المجموعة (٢) إتلافها جزئياً (٣) إتلافها كلياً" ؟

سأل المدعي العام البريطاني وسط السكون الشامل الذي ساد قاعة محكمة نورمبرگ - ايها الشاهد، لماذا أردت تجريد اللحم عن العظم؟ لماذا إقترحت نقل التبعة الى الفرنسيين؟

فاجاب "ذو اللحية الزرقاء" النازي: بصفتي رجلاً من العامة غير مختصّ أقر انه لا رأي لي في الموضوع كله، وإنما نقلت إستفسارات الأستاذ هيرت نصاً وليس لي أيّ علاقة بقتل هؤلاء الناس. وعملي لايزيد عن عمل ساعي بريد.

فإرتد اليه المدعي العام قائلاً: بل كنت دائرة بريد، دائرة واحدة من دوائر بريد النازيين الشهيرة وأيمُ الحق!. ولقد كان دفاعاً متهافتاً كثيراً ما تشبت به النازيون أثناء المحاكمات، فيتناوله الإدعاء العام ويهتكة هتكاً دائماً كما كان في هذه المناسبة[٩٧].

وكشفت ملفات الـ(إس. إس) المستولى عليها أن سيڤرز أبلغ رؤساه في ٢٦ تشرين الأول ١٩٤٤ "ان مجموعة (ستراسبورگ) قد أبيدت تماماً تنفيذاً للتعليمات، وهذا التدبير هو أفضلها نظراً الى الموقف العام"[٩٨].

ووصف (هيرپيير) محاولة إخفاء الأثر بكونها لم تكن ناجحة تماماً: "في أيلول ١٩٤٤، حقق الحلفاء تقدمهم نحو بلفور Belfort. فأمر الأستاذ هيرت كُلاً من (بونغ Bung) وهر (ماير Maier) بتقطيع كل الجثث، ثم حرقها في المحرقة... فسألت هر (ماير) في اليوم التالي هل فرغ من تقطيع كل الجثث؟ فأجاب هر (بونغ) كلا لم يكن بوسعنا تقطيعها كلها. انه عمل مرهق جداً. لقد تركنا قليلاً منها في المشرحة.

وإكتُشفت هناك عندما دخل الجيش السابع الأمريكي تتقدمه فرقة الدروع الفرنسية الثانية الى مدينة ستراسبورگ بعد شهر واحدٍ[٩٩]."

ولم تكن هواية سادة النظام الجديد قاصرة على جمع الهياكل العظمية البشرية، وإنما راحوا يقتنون جلود البشر. وفي هذا الباب لم يكن ثمّ مجال للتعليل بالبحث العلمي أو القيام بتجارب، فجلود سجناء معسكرات الإعتقال، وبخاصة أولئك الذين يُقتلون لهذا الغرض فقط، ليس فيها أكثر من

٩٦- كانت ألمانيا قد ضمت إليها الإلزاس بعد سقوط فرنسا في ١٩٤٠، ووضع الألمان ايديهم على جامعة ستراسبورگ.

٩٧- شهادة سيڤرز "محاكمة مجرمي الحرب الكبار" الص ٥٢١- ٥٢٥.

٩٨- المرجع السالف ص ٥٢٦.

٩٩- إختفى البروفسر الدكتور هيرت. وقد سُمع وهو يغادر ستراسبوگ يقول: "بأنه لن يقبض عليه حياً. ويظهر أنه لم يقبض عليه أحد لا حياً ولا ميتاً. [شهادة هرپيير في محضر قضية محاكمة الأطباء].

قيمة زخرفية. اذ وجد انها تصلح لتكون مظلات ممتازة للمصابيح الكهربائية. وقد رُكّب بعض هذه الجلود بناء على توصية خاصة وإشباعاً لرغبة السيدة (إلسي كوخ Ilse Koch) زوج آمر معتقل بوخنڤالد. تلك التي كان نزلاؤه يلقبونها "بكلبة بوخنڤالد"[١٠٠].

وفيما يبدو كان الجلد الذي يعلوه وشم أعلى قيمة. وتحدث سجين ألماني يدعى (أندرياس فافنبرگر Anareas Pfaffenberger) عن هذا في شهادته أمام محكمة نورمبرگ، قال: "... أُمر جميع النزلاء ممن

يوجد وشم في ابدانهم أن يتوجهوا الى المستوصف... وبعد أن فُحص هؤلاء، أختير منهم من وجد في بدنه أجمل وشم وأكثره فناً، فقتلوا بحقنة سمٍ. ثم أرسلت الجثث الى القسم الباثولوجي. وهناك سُلخت عنها الأجزاء الموشومة المرغوب فيها، ثم عولجت. وبعد الفراغ منها أُعطيت قطعاً الى زوج كوخ. فعملت منها أغطية للمصابيح وإستخدمتها في أمور زخرفية أخرى للأثاث المنزلية[١٠١].هناك قطعة جلدية بشرية سحرت مشاعر السيدة كوخ ألوشم فيها نُقشت علية عبارة (هاينزل وگرتيل Haensel Und Gretel).

وفي المعتقل الآخر (داخاو) كان الطلب على هذه الجلود يفوق العرض، وشهد معتقل چيكي هو الدكتور بلاها Blaha، أمام محكمة نورمبرگ بمايلي: "لايتسير أحيانا جثث كافية ذات جلود جيدة.

فيقول لنا الدكتور (راشر): - حسناً سيكون لديكم أجسام. وفي اليوم التالي نتسلم عشرين أو ثلاثين جسداً شاباً قُتلوا جميعهم برصاصة في أعناقهم أو بضربة على الرأس. حتى لايُصاب الجلد بعطب... يجب ان يكون الجلد لسجناء اصحاء ويشترط خلوه من العيوب"[١٠٢].

والظاهر ان المقصود بالدكتور هنا، هو (سيگموند راشر Sigmund Rascher)، الذي كان مسؤولاً عن تجارب طبية أشد سادية وأفظع. هذا الدَعيّ البربري إسترعى إنتباه (هملر) الذي كان من جملة تتبعاته الشاذة محاولة إنتاج سلالة متفوقة جداً من العنصر النوردي - عن طريق تقارير وردت الى الـ(إس. إس) تشير الى أن (السيدة راشر) رُزقت بثلاثة اولاد بعد تجاوزها سن الثامنة والأربعين ! وحقيقة الأمر أن الزوجين إختلسا هؤلاء الأطفال من أحد دور اليُتم في فترات متناسبة متوالية وأدّعيا بإنجابهم.

١٠٠- كانت سلطة السيدة كوخ على حياة وموت نزلاء (بوخنڤالد) مطلقةً. ونزوة واحدة منها تكفي لإيقاع أشد عقوبة بالسجين. حُكم عليها بالحبس المؤبد "في قضية بوخنڤالد". الاّ انه خفض الى أربع سنوات. ومالبث ان أُطلق سراحها. وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٥١ حكمتها محكمته ألمانية بالسجن مدى الحياة بتهمة قتل. وزوجها حكمته محكمة الإس اس بالموت "للتجاوز في القسوة". لكنه خُيّر بالخدمة في الجبهة الروسية، إلا ان الأمير ڤالديك قائد الحرس الأسود في تلك المنطقة أمر بإعدامه قبل ان يفعل ذلك. كانت الأميرة ماڤالدا بنت ملك وملكة إيطاليا وزوج الأمير فيليب من بين أولئك الذين قتلوا في بوخنڤالد.

١٠١- "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج ٦ الص ١٢٢- ١٢٣ [وثائق نورمبرگ ٣٢٤٩ P S].

١٠٢- المرجع السالف ج ٥ ص ٩٥٢ [وثائق نورمبرگ ٣٢٤٩ P S].

كان الدكتور راشر في ربيع عام ١٩٤١ يحضر دورة طبية خاصة بسلاح الجو الألماني في مدينة مونيخ، وهناك ثارت في رأسه زوبعة دماغية. فكتب عنها لهملر في ١٥ أيار ١٩٤٥، قال له انه وجد ويالهول ما وجد، أن الابحاث الخاصة بتاثير الإرتفاعات العليا على الطيارين قد ظلت في مرحلة الجمود. ولم تحقق خطوة واحدة من التقدم. والسبب في هذا يعزي الى تعذر إجراء الفحوص بالمادة البشرية الحية حتى وقتنا هذا: "لأن مثل هذا التجارب مخفوف بأعظم الأخطار وليس من أحد يُرغب

التطوع لها. فهلاّ أمكنكم أن تيّسروا لي إثنين أو ثلاثة من المجرمين المعتادين لأجري عليهم هذه التجارب... ومن المحتمل أن يموت موضوع التجربة التي ستتم بمعرفتي... وإشرافي"[١٠٣].

فأجابه زعيم الـ(إس. إس) بعد أسبوعٍ، أن السجناء سيكونون متوفرين بالطبع وبكل سرورٍ لأجل القيام بالأبحاث الخاصة بالطيران العالي.

وكان (هملر) عند كلمته، وشرع الدكتور راشر بالعمل. وكلّ ما توصل اليه من نتائج تكشف عنها تقاريره وتقارير الآخرين فيها مما عرض في محكمة نورمبرگ فضلاً عن وقائع المحاكمة التالية لأطباء الحرس الأسود في المحكمة عينها.

تقوم المكتشفات التي توصل اليها الدكتور راشر نموذجاً حياً للتخبط والدجل العلمي المزيف. فلأجل إجرائه فحوص الإرتفاعات العليا، نقل غرفة ضغوظ القوة الجوية التي كانت في مدينة مونيخ الى معسكر إعتقال (داخاو) المجاور حيث "الخنازير الغينية البشرية" متوفرةً الى أقصى حد وكلها طوع أمره، فيسحب الهواء من فضاء القمرة Contraption بحيث يصبح جوها كالإرتفاعات العليا بقلة أوكسجينه وشدة ضغطه. ثم يقوم بمراقبة الأعراض وتدوين الملاحظات. وإليك نموذجاً مبسطاً منها:

"الفحص الثالث كان بدون اوكسجين وبضغط يعادل إرتفاعاً قدره (٢٩٤٠٠) قدم. أجري على يهودي عمره (٣٧) سنة صحته جيدة بصورة عامة. التنفس يستمر ثلاثين دقيقة. بعد أربع دقائق يبدأ موضوع التجربة ينضح عرقاً ويدور به رأسه.

تبدأ التشنجات بعد خمس دقائق. وفيما بين الدقيقة السادسة والعاشرة يزداد تنفسه سرعة وبصورة متلاحقة لاهثة، ويفقد وعيه. وفي الدقيقة الحادية عشرة حتى الثالثة عشرة يتباطأ التنفس الى حد ثلاث شهقات في الدقيقة الواحدة. حتى يقف تماماً بنهاية الفترة... وبعد حوالي نصف ساعة من توقف النفس يبدأ بتشريح الجثة[١٠٤]."

هناك وصف أقل علميةً لسجين نمساوي يشتغل في دائرة الدكتور راشر وإسمه (أنطون باخوليك Anton Pacholegg): "شاهدت بعيني من نافذة المراقبة الزجاجية في غرفة الضغوط.. حيث يقف السجين في فراغ خال من الهواء حتى تتمزق رئتاه... يصابون بالجنون وينتفون شعورهم يريدون

١٠٣- المرجع السالف ج ٤ ص ١٣٢ [وثائق نورمبرگ PS ١٦٠٢].

١٠٤-تقرير الدكتور لهملر (٥ نيسان ١٩٤٢) في محضر وقائع قضية الاطباء رقم (١) "الولايات المتحدة ضد براندت ورفاقه" كان الدكتور كارل براندت طبيب هتلر الخاص ومدير صحة الرايخ. وجد مذنباً وحكم عليه بالموت ونفذ به.

بذلك تخفيف الضغط عنهم ويمزقون اوجههم ورؤوسهم باظافرهم واناملهم، يحاولون تشويه أنفسهم بنوبة جنونهم، ويضربون الجداران بأيديهم ورؤوسهم ويصرخون جاهدين في تخفيف الضغط الهائل على طبلات آذانهم. هذه الأعراض تنتهي عادة بموت موضوع التجربة[١٠٥]."

أُخضع لهذه الفحوص زهاء مائتي معتقل قبل ان ينفض الدكتور راشر يده منها. ومات منهم ثمانون في أثناء التجربة، اما الباقون فجرى قتلهم فيما بعد لئلا يفضحوا سرّها. وقد جاء هذا في شهادة سُمعت أثناء النظر قضية الأطباء في نورمبرگ.

إنتهى مشروع البحوث الخاصة في هذا الموضوع في شهر أيار ١٩٤٢. وفي حدود ذلك الوقت قام الفيلدمارشال (إيرهاد ميلش) رئيس أركان سلاح الجو الألماني بإبلاغ (هملر) شكر گورنگ لتجارب (الدكتور راشر الرائدة). وبعدها بزمن قصير (١٠ تشرين الأول ١٩٤٢) قدّم الجنرال (الفريق) الدكتور هبكه Hippke مفتش الأمور الطبية في سلاح الجو، (الى هملر) "إمتنانه الخاضع المطيع بإسم طب الطيران والبحث العلمي الألماني لتجارب داخاو"، على أنه يرى أنها أغفلت أمراً واحداً وهو أنها لم تضع في حسابها البرد الشديد الذي يكتنف الطيار في طبقات الجو العليا. ولأجل سد هذه الثغرة في البحث، فهو يعلم هملر بأن اللوفتوافّه بنت حجرة ضغوط جهزتها باجهزة تجميدٍ وبإرتفاع إسمي مقداره (١٠٠٠٠٠) قدم. وزاد يقول "ان تجارب الانجماد على خطوط أخرى تجري الآن في داخاو[١٠٦].

حقّاً أن التجارب متواصلة والدكتور راشر قائد الحملة وطليعتها هنا أيضاً. إلا أن هزة شكٍ إعترت فريقاً من زملائه الأطباء في سلاح الجو. وراحوا يتساءلون فيما بينهم "أمن المسيحية ما يفعله راشر؟"

وكان اللغط يدور في اوساط قليلة من أطباء اللوفتوافّه. فسمع به هملر وثارت ثائرته وبادر فوراً بالكتابة الى الفيلدمارشال (ميلش) محتجاً على هذه العوائق، التي تسببها "الأوساط الطبية المسيحية". في القوة الجوية. ورجا رئيس أركان الجو أن يتنازل عن خدمات راشر في طب القوة الجوية حتى يتمكن من ضمه الى الـ(إس. إس). واقترح أن يجد "طبيباً غير مسيحي" إلا أنه مُشرّفٌ بعلمه"، للمصادقة على شرعية أعمال الدكتور راشر القيمة. كما إقترح زعيم الـ(إس. إس) أن "يأخذ شخصياً على عاتقه مسؤولية توفير أفراد من سقط المجتمع ومجرمين لايستحقون غير الموت من معسكرات الاعتقال لإجراء هذه التجارب عليهم".

كانت "تجارب الإنجماد" التي قام بها الدكتور راشر، على نوعين: الأول أن يجد أقصى مقدار من البرد يتحمله الإنسان قبل أن يموت. والثاني أن يجد أنجع الوسائل لتدفئة شخص مازال حياً بعد أن تعرض لأقصى حدٍ من البرد. واختير اسلوبان لتجميد الشخص: تغطيسه في حوضٍ يحوي ماءً بدرجة الانجماد. أو تركه عارياً تماماً في الثلج لمدة ليلة واحدة أثناء الشتاء. والتقارير التي بعث بها (راشر)

١٠٥- مؤامرة النازيين وعدوانهم ملحق- أ- الص ٤١٦- ٤١٧ [وثائق نورمبرگ ٢٤٢٨ PS].
١٠٦- رسالة البروفسر الدكتور هبكه الى هملر (١٠ تشرين الأول ١٩٤٢) في محضر وقائع القضية الأولى.

الى (هملر) حول تجاربه "في الإنجماد" و"التدفئة" كثيرة جداً. ويكفي لأخذ فكرة عنها، مثل واحد أو مثلان. ومن أوائلها التقرير المؤرخ ١٠ أيلول ١٩٤٢: "أُلقي الاشخاص الذين تُجرى عليهم الفحوص

في الماء بعد إكسائهم بزة طيران كاملة...مع الخوذة. وأُلبسوا سترة نجاة حتى يطفوا. واجريت التجارب في ماء درجة حرارته تختلف بين ٥ . ٣٦ و٥ . ٥٣ فهرنهايت. في أول سلسلة من الفحوص أبقي قفا الرأس ومؤخرة الدماغ فوق سطح الماء. وفي سلسلة ثانية أُبقي القذال والمخيخ تحت سطح الماء. درجة حرارة البطن ٥ . ٧٩ ودرجة حرارة منطقة العصعص ٧ . ٧٩ وقد سُجّلت كهربائياً. الوفاة لا تقع إلا عندما يثلج المخيخ والنخاع العظمى.

ووجد أثناء تشريح هذه الحالات. كميات كبيرة من الدم الحر السائب في قاع الجمجمه وتجويفها دائماً، وقد يبلغ كميته أحياناً (بُطلا) واحداً. ويظهر في البطين الأيمن من القلب عادةً، إنتفاخ واسع. والأشخاص في هذه الفحوص يموتون لامحالة عندما تهبط حرارة الجسم الى ٥ . ٨٢ فهرنهايت. ولاتفيد كل وسائل الإسعاف. هذه المكتشفات التشريحية تثبت بوضوح أهمية واقي الرأس والرقبة الدافيء. في البزة الجوية المنفوخة التي هي الآن في طور الإعداد(١٠٧)."

وارفق الدكتور (راشر) بتقريره لائحة تتضمن ست حالات وفاة. اثبت فيها درجات حرارة الماء ودرجات حرارة الجسم عند إنتشاله من الماء، ودرجته عند حصول الوفاة، ودرجاته طوال فترة بقائه في الماء. والزمن الذي يستغرقه الشخص ليموت. وقد إستنتج أن أصلب الرجال عوداً يتحمل الماء المثلوج مائة دقيقة وأضعفهم لايتحمله أكثر من ثلاث وخمسين دقيقة.

وأدلى ڤالنر نف Walther Neff من نزلاء المعسكر ومن فرّاشي الدكتور راشر- بوصف الرجل البسيط لفحص واحدٍ من فحوص الماء المنجمد في (قضية الاطباء) أمام محكمة نورمبرگ: "كانت هذه أفظع

كُل التجارب التي أجريت. جيء من ثكنات المعسكر بضابطين روسيين وأمر أن تُنضى عنهما ثيابهما وأنزلا الماء المثلوج عاريين تماماً ومرت الساعة تلو الساعة. وفي حين كانت الغيبوبة تحصل عادةً بعد ستين دقيقة وهو أقصى حدٍ في هذه التجارب بقي الضابطات مسيطرين على كامل قواهما العقلية طوال ساعتين ونصف ساعة. وعبثاً حاولنا اقناع (راشر) بحقنها حقنة منومة ولم تفد معه توسلاتنا. ولما شارفت الساعة الثالثة من وقت إنزالهما الحوض قال أحدها لزميله الآخر "ايها الرفيق أرجو منك أن تطلب من الضابط إطلاق الرصاص علينا. فرد عليه الآخر قائلاً أنه لايتوقع أيّ رحمةٍ من هذا الكلب الفاشي. وإمتدت يداهما وتصافحاً وقال أحدهما للآخر "وداعاً أيها الرفيق.. وداعاً أيها الرفيق" ترجم هذه العبارات لراشر، شاب پولندي كان معنا، ولكن ببعض اختلافٍ. وانصرف راشر الى مكتبه فإنتهز البولندي فرصته وأسرع يحاول تخدير الضابطين بالكلوروفورم ألا ان راشر عاد حالاً وانشأ يهددنا بمسدسه...

١٠٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٤ الص ١٣٥- ١٣٦ [وثائق نورمبرگ ١٦١٨- P S].

ودامت التجربة خمس ساعات على أقل تقدير قبل أن يقضيا نحبهما[١٠٨].

كان (الرئيس) الأسمي لمبادىء تجارب الماء الأولى. طبيباً، إسمه دكتور هولزلوينر Dr Holzloehner) وهو أستاذ طب في جامعة (كييل)، يعينه فيها المدعو الدكتور فينكه Dr.Finke. وبعد إشتغالهما مع (راشر) زهاء شهرين، إقتنعا أنهما وقفا على كل ما يمكن الوقوف فيه من الإحتمالات التجريبية وإستنفذا كل الفحوص الميسورة، راح ثلاثتهم يدونون خلاصة ما وجدوه في تقرير "سري" بإثنتين وثلاثين صحيفة للقوة الجوية الألمانية، وجعلوا له عنوان "تجارب الإنجماد على البشر". ثم دعوا الى إجتماع لعلماء الألمان في نورمبرگ بتاريخ ٢٦ و٢٧ تشرين الأول ١٩٤٢ لسماع حصاد تجاربهما ومناقشته. وكان الموضوع "مسائل طبية في الشؤون البحرية وغوائل الشتاء"، وقد وردت شهادات في محاكمة الأطباء تشير الى أن الإجتماع ساهم فيه خمسة وستون عالماً ألمانياً، من بينهم عدد من أشهر رجال الطب. ومع ان الأطباء الثلاثة لم يتركوا شكّاً في أذهان سامعيهم بأن عدداً كبيراً من البشر قد لاقوا حتوفهم بسبب تجاربهم هذه، إلا أنه لم يوجه لهم سؤال بهذا الصدد ولم يرتفع صوت إحتجاج ضدهم.

ترك الدكتوران هولزلونير[١٠٩]. وفينكه العمل في هذا الوقت. وبقي الدكتور راشر المثابر يواصل العمل منفرداً من تشرين الأول ١٩٤٢ حتى أيار ١٩٤٣. واراد مما اراد، متابعة التجارب في ما أسماه "الإنجماد الجاف" وكتب (لهملر) بأن أوشويتز...: "هي أفضل من داخاو وأنسب لإجراء

> الفحوص، لأن الجو هناك أشد قسوة"، ولأن إتساع البقعة وبعد الموقع يسببان أقل مايمكن من الإنتباه والفضول الى ما يجري في المعسكر "عندما يسري الانجماد في الاشخاص الذين تجرى عليهم التجربة يصرخون صراخاً عظيماً".

ولسببٍ ما، لم يتغير موقع التجارب، ومضى الدكتور راشر في دراساته قدماً في (داخاو) متطلعاً الى شتاءٍ حقيقي.

> "[كتب الى هملر في أوائل ربيع ١٩٤٣]: شكراً لله، فقد دهتنا في داخاو موجة بردٍ شديدة. بعض الأشخاص ظلوا في العراء أربع عشرة ساعة في درجة حرارة جو قدرها ٢١ درجة، محافظين على درجة حرارة داخلية قدرها ٧٧ مع اصابتهم بضربات صقيع Peripheral[١١٠].

وفي محاكمة الأطباء بنورمبرگ أدلى (نيف) أيضاً بشهادة الرجل البسيط واصفا تجارب رئيسه في "الإنجماد الجاف" قال: "يوضع السجين وهو عار تماماً فوق نقالة جرحى ويُترك تحت السماء خارج

> الثكنات مساءً ويُغطى بقطعة من القماش وبين ساعة وأخرى يلقى عليه جردل من الماء المثلوج. هؤلاء الاشخاص الخاضعون للتجربية يبقون في العراء هكذا حتى الصباح. وتُسجّل

١٠٨- شهادة (ڤالتر نيف) في محضر جلسات القضية رقم ١.

١٠٩- ربما كان ضمير الأستاذ هولزلونير مثقلاً بالجريمة. فقد قتل نفسه إثر إلقاء القبض عليه وإستجواب البريطانيين له لأول مرة.

١١٠- كتاب الدكتور راشر الى هملر في ٤ نيسان ١٩٤٣. في محضر وقائع القضية الأولى.

درجات حرارتهم. ثم إن الدكتور (راشر) قال فيما بعد: من الخطأ وضع غطاء على الشخص أو رشه بالماء... من الآن فصاعدا سيتعرض الاشخاص للتجربة بدون غطاء. والتجربة التالية أُجريت على عشرة سجناء تمّ عرضهم في الجو دون أيّ وقاء. أخذ السجناء يجمدون ببطء وكان الدكتور راشر ومساعده يسجلان درجة الحرارة وعمل القلب والتنفس وما إلى ذلك. وكثيراً ما كانت صراخات المعذبين تشق غيهب الليل".

"[وشرح (نيف) للمحكمة] في مبدأ الأمر منع راشر إجراء هذه الفحوص على الأشخاص وهم في حالة تخدير. إلا أنهم كانوا يقومون بضوضاء شديدة حتى بات مستحيلاً على (راشر) الإستمرار في تجاربه دون تخدير[١١١].

الأشخاص الذين تجري التجارب تُجرى عليهم يُتركون يلفظوا أنفاسهم الأخيرة، فهم يستحقون ذلك كما قال (هملر). يموتون في أحواض الماء المثلوج أو ممددين على الأرض خارج الثكنات في ليلة شتاء فظيعة في داخاو وهم عراة تماماً. أما إذا بقوا احياء بعد التجربة، فلن يمتد بهم الأجل كثيراً وتتم تصفيتهم. إلا أن طياري ألمانيا الشجعان وبحارتها الذين تجري هذه التجارب لأجلهم ولمنفعتهم كما يُفترض، قد يجدون أنفسهم غارقين في مياه المحيط المنجمد الشمالي المثلوجة أو هائمين في أرض جليدية مترامية فوق الدائرة القطبية في النرويج أو فنلندا أو شمال روسيا. والواجب يقضي بإنقاذهم إن كان الأمر ممكناً. لذلك راح الكتور (راشر) الذي لايُبارى، يجري على خنازيره الغينية البشرية في داخاو ما أطلق عليه "تجارب التدفئة". أراد أن يعرف ماهي أفضل وسيلة لتدفئة إنسان متجمد واعادة حرارته الداخلية اليه وإنقاذ حياته؟

لم يبخل (هاينريخ هملر) على مجموعة علمائه الدؤبين بتقديم "حلوله العملية". فإقترح على (راشر) تجربة "التدفئة بحرارة الحيوان"، إلا أن الطبيب لم يجد في الفكرة ما يبعث على الإهتمام، وكتب لزعيم الـ(إس. إس) "إن التدفئة بحرارة الحيوانات – اعني بأجسام الحيوانات والنساء عمل بطيء جداً". إلا أن (هملر) مافتيء يلاحقه بإقتراحه، وكتب اليه يقول "إن إهتمامي عظيم جداً في موضوع التجرية بحرارة الحيوان. وإعتقادي الشخصي أن هذه التجارب قد تؤتي بأفضل النتائج وأحسنها".

مهما بلغ إرتياب الدكتور (راشر) في جدوى هذه التجربة المقترحة، إلا أنه لم يكن بالرجل الذي يتجاهل إقتراحاً صدر من زعيم الـ(إس. إس). فأسرع يباشر سلسلة من أفظع التجارب شذوذاً وفظاعةً. وسجّل مراحلها المنحرفة بتفاصيلها المخجلة للأجيال القادمة. أُرسل اليه من معسكر إعتقال راڤنسبروك للنساء، أربع نزيلات. وكان في واحدةٍ منهن شيء عَكّر ذهن الطبيب (كلهن كُنّ مدرجات في قائمة العواهر).

١١١– شهادة ڤالتر نيف (المرجع السالف).

ولهذا كتب الى رؤوساه بما أشغل باله: "وجدت في إحدى النسوة اللاتي أرسلن إليّ خصائص بادية للعيان للعنصر النوردي لايمكن تجاهلها... فسألت الفتاة لماذا تطوعت لتزاول الفحش هنا؟ فأجابت ليتسنى لي الخروج من معسكر الإعتقال. ولما إعترضت عليها بأن تعاطي البغاء هو حطّة وعار أجابتني بقولها: نصف سنة في المواخير خير من نصف سنةٍ في معسكر الإعتقال. ثار ضميري القومي لفكرة قيام فتاة نوردية خالصة المظاهر بمضاجعة عناصر وقوميات منحطة في معسكر الإعتقال... ولهذا السبب رفضتُ إستخدام الفتاة في تجاربي"(١١٢).

على أنه استخدم أخريات، كان شعرهن أخف شُقرةً وعيونَهن أقل زرقةً. ثم أسرع بالنتائج الى هملر في تقرير "سري" مؤرخ ١٢ شباط ١٩٤٢(١١٣): "جُمِّد الاشخاص الخاضعون للفحوص بالطريقة المعتادة عراة وكساة في ماء بارد تختلف درجاته... وتم رفعهم من الماء عند درجة حرارة ثابتة وهي (٨٦) فهرنهايت. في ثمان حالات وضع الأشخاص المنجمدون كل شخصٍ بين امرأتين عاريتين في سرير واسع. وأمرتُ المرأتين أن تلتصقا بالرجل المنجمد ما أمكنهما، ثم غطيت الثلاثة بالبطانيات... وما أن عاد الرشد الى الاشخاص المنجمدين، حتى بقوا مستيقظين الى الأخير ولم تدركهم نوبة إغماء أخرى. وفهموا الأمر حالاً وراحوا يزيدون إلتصاقهم بأبدان النسوة العاريات. وكان إرتفاع درجة حرارة الجسم تصعد بالسرعة التي تصعد بها حرارة الاشخاص الذين دُفئوا بالأغطية السميكة فقط... وشذّ أربعة اشخاص منجمدون عن سائرهم. إذ تمكنوا من الجماع وهم في درجه حرارة جسم يتراوح بين ٥ . ٨٩ و٨٦. وعلى إثر الوقاع بدأ إرتفاع سريع للغاية في حرارة الجسم يضاهي ما يحققه حمام الماء الساخن في هذا المجال". ولدهشة الدكتور (راشر) وجد أن امرأة واحدة تحقق في تدفئة الرجل ما لاتحققه امرأتان وتستغرق وقتا أقل. "اني أعزو ذلك الى حقيقة انعدام الحياء الشخصي وتوفر العادة الطبيعية. فالمرأة اذ ذاك تزداد التصاقاً بالشخص المتجمد بلا حرج. وهنا أيضاً تكون العودة الى حالة الرشد التام سريعةً. وهناك حالة واحدة فقط، لم يتحقق فيها إلا درجة إرتفاع بسيطة ومات الشخص بأعراض النزف الدماغي. وتأيد ذلك بالتشريح فيما بعد."

ومجمل القول فإن هذا المشعوذ القاتل يستنتج أن تدفئة رجل منجمد بواسطة النساء إنما "تتم بشكل بطيء جداً" وأن الحمام الساخن هو أشد مفعولاً.

وختم كلامه بقوله: "الأشخاص المنجمدون الذين تسمح لهم حالتهم البدنية ولياقتهم الصحية بالجماع هم وحدهم يدفأون بسرعة عجيبة وهم كذلك يبدون سرعة مدهشة في التماثل الى الشفاء والعودة الى الحالة الطبيعية."

١١٢- رسالة هملر وإحتجاج راشر (المرجع السالف).

١١٣- [P. S ١٨١٦] في محضر القضية الاولى. لم تُطبع في "محاكمات مجرمي الحرب الكبار] والترجمة الإنگليزية في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" مختصر لاتغني ولاتفيد.

وعلى ما جاء في شهادات محاكمة الأطباء تم إجراء ما يناهز (٤٠٠) تجربة إنجماد على (٣٠٠) شخص مات منهم أثناء التجربة عدد يتراوح بين ٨٠ و٩٠ حالة. أما الباقون (بإستثناء قلة ضئيلة) فقد قُتلوا فيما بعد. وأصيب بعضهم بالجنون. ويشاء القدر الاّ يكون (راشر) موجوداً في محاكمة الأطباء للإدلاء بأقواله. لقد واصل تجاربه الدموية في مختلف الميادين الجديدة التي يضيق بنا المجال عن سردها – الى شهر أيار ١٩٤٤. وفيه إعتقله الحرس الأسود مع زوجه لا بسبب تجاربه القاتلة كما قد ينصرف اليه الذهن، بل بتهمة غشه هو وزوجه بخصوص طريقة حصولهما على أطفالهما الثلاثة، إن نكايةً مثل هذه كانت أكثر من ان يتحملها (هملر) المعروف بعبادته للأمهات الألمانيات. لقد وثق من كلّ قلبه بزعم السيدة (راشر) أنها حملت أولادهما الثلاثة بعد إجتيازها سن اليأس وبلوغها الثامنة والأربعين. وعصف الغضب به حين علم أنها اختطفتهم تباعاً من دار لليُتم. وهكذا وضع الدكتور (راشر) في الثكنة السياسية من معسكر إعتقال داخاو المألوف لديه، وأُودعت عقيلته معتقل راڤنسبروك النسوي الذي أمدّ الدكتور بما إحتاجه من عواهر لفحوص التدفئة الحيوانية. ولم يمتد بهما الأجل طويلاً، والمعتقد أن هملر أمر شخصياً بإعدامهما الحياة، فكان واحداً من آخر أعماله في حياته إذ قد يكونان شاهدين محرجين له في المستقبل.

إلا أن عدداً من هؤلاء الشهود المحرجين إمتد بهم العمر ليقفوا متهمين أمام المحكمة. فحُكم على سبعة منهم بالموت ونُفذ فيهم شنقاً. وظلوا الى الأخير يدافعون عن مشروعية تجاربهم القتّالة ووصفوها بالأعمال القومية التي توخوا بها خدمة الوطن الأكبر.. والأنثى الوحيدة بين المتهمين الطبيبة (هرتاو اوبرهوسر Herta Oberheuser) حُكمت بالسجن عشرين سنة بتهمة زرق حقن سامة (لخمس اوست) نساء پولنديات من بين مئات قاسين العذاب المرّ على يد الأشرار المناحيس في معسكر إعتقال راڤنبسروك. وبُرّيء عدد آخر منهم كالدكتور السيء الصيت (پوركورني) الذي أراد إخصاء الملايين من رجال العدو. وقليل من ندم على أعماله وإستيقظ ضميره.

وفي محاكمة ثانية لأطباء الاطفال وقف الدكتور (ادوين كاتزينلنبوگن Katzenellenbogen Edwin) العضو الجامعي لكلية هارڤرد للطب، وطلب من المحكمة أن تنزل به عقوبة الموت قائلاً "لقد رسمتم وصمة (قابيل) على جبيني، وأي طبيب إرتكب ما اتهمت به من جرائم يستحق ان يقتل" وحكم عليه بالسجن مدى الحياة[١١٤].

١١٤– الكساندر ميتشرليخ Alexander Mitsherlich (دكتور طب). وفريد ميلكه Fred Mielke (اطباء الاطفال) الص ١٤٦– ١٧٠) وهي خلاصة ممتازة لقضية الأطباء" كتبها ألمانيان. كان الدكتور ميتشرليخ رئيس لجنة الاطباء الألمان المنتدبين وقت المحاكمة.

-١٠-

مقتل "هيدريخ" ونهاية "اليديشي"

في أواسط الحرب. أنزل بزعماء العصابات من سادة النظام الجديد عقوبة شديدة لذبحهم الشعوب المقهورة وإبادتها. وكان المحكوم (هيدريخ) رئيس شرطة أمن الرايخ ومدير أمنه ونائب رئيس الگشتاپو. هذا الرجل الطويل الأنف القاسي العنين البالغ من العمر ٣٨ سنة، والشرطي بطبعه الذي هو من طينة إبليس ومن عمله. عبقري "الحل النهائي" الملقب في سائر البلاد المحتلة "بهيدريخ الجلاد"، لقي مصرعه وقضى غير مأسوفٍ عليه. دفعه تلهفه الشديد للمزيد من السلطان ودسّه سراً لإزاحة (هملر) عن طريقه إلى ان يحرز لنفسه منصباً آخر زيادة على مناصبه الأخرى، وهو "حامي بوهيميا ومورافيا بالوكالة". وأرسل هتلرُ العجوزَ المسكين (نيوراث) حامي الإقليم في إجازة مرضية غير محدودة في أيلول ١٩٤١. وحلّ هيدريخ محله مستوياً على العرش القديم لملوك البوهيميين في حصن (هراد شين) في پراغ. إلا أن الزمن كان له بالمرصاد، فلم يطل به الحكم.

في صبيحة ٢٩ أيار ١٩٤٢، بينما كان هيدريخ يقود سيارته (المرسيدس) الرياضية المكشوفة عائداً من مغناه الريفي الى حصن پراغ، القيت عليه قنبلة من صنع بريطاني فمزقت السيارة ونثرت اشلاءها وحطمت عمود سائقها الفقري. وكان المسؤولان عن قذفها چيكيين من قوات جيش چيكوسلوڤاكيا الحرّة. أنزلتهما بالمظلة طائرة بريطانية، وهما (يان كوبيس Jan Kubis) و(جوزف گابياك Josef Goleik) وكانا على أتم إعدادٍ وتمرّن للقيام بمهمتهما إذ إستطاعا الفرار بستار من الدخان أحدثاه عند إنساحبهما. ولقيا الملجأ عند قساوسة بيعة القديس (كارل بوروما يوس Karl Bor-rommareus) في پراغ. قضى (هيدريخ) نحبه متأثرا بجراحه في ٤ حزيران. وكان ذلك إيذاناً بالثأر الألماني على طريقة المراسيم التوتونية الغابرة- لمقتل أحد ابطالهم.

وتفصح تقارير الگشتاپو أنهم جزروا بسبب الحادثة (١٣٣١) چيكياً بينهم (٢٠١) شخصاً تم قتلهم فوراً [١١٥].

وحاصر رجال الحرس الأسود القاتلين الفعليين مع مائة وعشرين مقاتلاً من الأنصار الچيك، الذين كانوا مختفين في بيعة (كارل بورمايوس) وقضي عليهم الى آخر رجل[١١٦]. على أن سهم اليهود من الكارثة بسبب هذا العمل الذي وجده العنصر المتفوق تحدياً له- كان أكبر وأفدح. فقد طُرد ثلاثة آلاف عن الحي اليهودي تيريزنشتاد Theresinstadt (الممتاز). وأُرسلوا الى المشرق حيث قُتلوا. وأمر گوبلز

١١٥- نشرة مكتبة ڤيينر Wiener سنة ١٩٥١ ج ٥ الص ١- ٢، اقتبسها واتيلنكر "الحرس الأسود" ص ٢١٦.

١١٦- يستفاد من قول شللنبرگ الذي كان هناك. ان الگشتاپو لم يعلم قط بأن القاتلين الفعليين كانا بين الموتى في البيعة (شللنبرگ- الميتة ص ٢٩٢).

يوم إلقاء القنبلة بجمع خمسمائة من اليهود القليلين الذين بقوا احراراً في برلين. وفي يوم موت (هيدريخ) نفذ بمائة وإثنين وخمسين منهم حكم الموت. إنتقاماً "وجزاءً".

من كل الويلات التي نجمت عن مقتل هيدريخ. سيبقى خالداً في ذهن العالم المتمدين ذكر مصير قرية ليدتشي Lidice الصغيرة، القريبة من كلادنو Kladno مدينة المناجم غير بعيد عن پراغ.

ولم يكن ثمّ سبب في تطبيق هذه الهمجية التي فاقت كل الحدود على مجتمع ريفي صغير مطمئن، إلا ليُضرب به مثل لشعب مقهور تجرأ على حياة واحد من رجال محتليه القاهر المرهوبي الجانب.

في صبيحة يوم ٩ حزيران ١٩٤٢ وصل قرية (ليدتشي) شاحنتان معبئتان بشرطة أمن ألمانية، يقودها النقيب ماكس روشتوك Max Rostock[١١٧].

فطوقها ولم يسمح لأحدٍ بالخروج منها. لكن سُمح بدخولها لكل ساكن فيها وإتفق أنّه كان بعيداً عنها. وحاول صبي في الثانية عشرة كان قد أمّها في نزهة، أن يتسلل الى الخارج فأطلق عليه الرصاص وصُرع في الحال. وفرّت امرأة قروية عبر الحقول فأدركها الرصاص في ظهرها وقُتلت. ثم حبس كل سكانها الذكور في مخزن للحبوب وإسطبل وسرداب تعود الى الفلاح هوراك Horak شيخ القرية.

وفي اليوم التالي بدأ الشرطة منذ انبلاج الفجر حتى الساعة الرابعة بعد الظهر يسوقون المعتقلين عشرة عشرةً الى حديقة تقع وراء مخزن الغلة أمام فصيلة إعدام ليقتلوا تباعاً. وبلغ المجموع الكلي ١٧٢ ذكراً بين رجلٍ وحدثٍ لايقل عمره عن السادسة عشرة. وقُبض على تسعة عشر رجلاً آخر يعملون في مناجم كلادنو أثناء المجزرة وأُرسلوا الى پراغ حيث تم إهلاكهم. وقُبض على سبع نساءٍ من القرية وأُرسلن الى پراغ وفيها قُتلن. أما باقي النساء وعددهن (١٩٥)، فقد جرى نقلهن الى معسكر إعتقال (راڤنسبروك النسائي) في ألمانيا. وهناك خُنق سبع منهنّ بغرف الغاز، و"إختفت" ثلاث. ومات (٤٢) من سوء المعاملة. وأخذ أربع من نساء القرية كُنَّ في آخر أيام حملهن إلى مستشفى ولادة في پراغ. وقُتلت الاجنة الوليدة حالما وضعنهن ونُقلت النفساوات الى (راڤنسبروك).

بقي على الألمان ان يتخلصوا من أطفال (ليدتشي) وصغارها، الذين قتل آباؤهم وسُبيت أمهاتهم. الحق يُقال ان الألمان لم يقتلوهم حتى الذكور منهم، بل نقلوهم الى معسكر إعتقال (غنيزناو) وكانوا (تسعين) عداً، منهم سبعة أعمارهم تقل عن العام الواحد إنتقاهم النازيون بعد فحص مناسب قام به خبراء هملر "في الملامح القومية"، وأُرسلوا الى ألمانيا لينشأوا ألماناً بأسماء ألمانية جديدة. وبهذا الشكل تم تصريف الآخرين فيما بعد.

نختم التقرير الرسمي عن ليدتشي الذي رفعته الحكومة الچيكوسلوڤاكية الى محكمة نورمبرگ بالعبارة التالية "هؤلاء فُقد كل أثر لهم".

١١٧- شُنق في براغ في شهر آب ١٩٥١.

ويشاء حسن الحظ أن يعثر على عددٍ منهم بعد الحرب بمدةٍ. وأذكر أني في خريف ١٩٤٥ قرأت بعض نداءات تفطر القلب نشرتها في صحف ألمانيا، التي يشرف عليها الحلفاء، أولئك الامهات اللاتي بقين أحياء من سكان (ليدتشي)، يطلبن فيها من شعب الألمان مساعدتهن في التفتيش عن أطفالهن وإرسالهم الى ذويهم[١١٨].

أما القرية نفسها، فقد مُسحت من وجه الأرض مسحاً. إذ ما أن تم ذبح الرجال ونُقل النساء والأطفال منها حتى أضرم رجال الأمن النار فيها، ثم نسفوا أبنيتها بالديناميت. ومرّوا عليها بدباباتهم حتى سويت بالقاع.

ان ليدتشي لم تكن القرية الوحيدة التي يُضرب بها المثل للوحشية النازية من هذا النوع. فثمّ قرية أخرى في البلاد المحتلة لاقت هذه النهاية البربرية والمصير الأسود هي قرية (ليژاكي Lezhaky) في چيكوسلوڤاكيا أيضاً، وهناك عدد كبير في پولندا وروسيا واليونان ويوگوسلاڤيا، حتى في الغرب حيث كان النظام الجديد أقل ضراوة نسبياً. وكرر الألمان مأساة ليدتشي، وإن كانوا غالباً ينقلون الرجال والنساء والأطفال الى معسكرات إعتقال منفصلة ثم يهدمون كل بنايات القرية حتى يسووها بالقاع قرية تيليفاگ Televaag في النرويج.

إلا انه أزهقت مجموعة كبيرة من الأرواح في قرية (أورادور) على نهر گلان Oradour- sur- Glane الفرنسية القريبة من ليموج Limoge في ١٠ حزيران ١٩٤٤ بعد مذبحة ليدتشي بعامين بالضبط. فقد قامت وحدة من الـ(إس.إس) التابعة لفرقة (الرايخ Das Reich) التي نالت شهرة داوية في نشر الإرهاب - إن لم يكن! في الحرب الروسية، بالزحف على القرية الفرنسية وتطويقها ثم أمرت بأن يجتمع كل السكان في الساحة المركزية. وهناك أبلغ القائد أن الأنباء الواردة اليه تؤيد وجود متفجرات مخبأة في القرية وسيقومون الآن بالتفتيش وفحص بطائق الهوية. ثم أقفل الابواب على كل سكان القرية البالغ عددهم (٦٢٥) نفساً. الرجال حبسوا في مخازن الغلة. والنساء والاطفال سيقوا الى بيعة القرية. ثم أضرموا النار في كل البنايات وأطبق الجنود الألمان على السكان. ومن لم يمت من الرجال حرقاً حصدته المدافع الرشاشة حتى ابيدوا عن بكرة أبيهم. ثم اديرت فوهات المدافع الرشاشة الى البيعة حيث النساء والاطفال محتجزون فمن لم يقتل منهم أتت عليه النار التي اضرمها الألمان فيها. وبعد ثلاثة أيام وجد مطران (ليموج) جثث خمسة عشر صبياً متفحمة في كومة واحدة خلف مذبح البيعة المحترقة.

وتبيّن من وقائع محكمة عسكرية فرنسية بعد تسع سنوات (١٩٥٣) أن (٦٤٢) شخصاً من سكان (اورادور) قد لاقوا حتفهم في المجزرة، (٢٤٥) امرأة و(٢٠٧) طفلاً و(١٩٠) رجلاً. ولم يبق من مجموع سكانها الكلّي غير عشرة إحتالوا على الموت رغم اصابتهم بحروق بالغة، فتخلصوا من

١١٨- ابلغت (الأونرا) في ٢ نيسان ١٩٤٧ ان سبعة عشر منهم عثر عليهم في باڤاريا وأرسلوا الى امهاتهن في چيكوسلوڤاكيا.



معتقل داخاو (قرب ميونيخ)

براثنه[١١٩]. ولم يُعَد (اورادور) مثل أختها ليدتشي. وظلت خرائبها ذكرى حية لنظام هتلر الجديد في أوربا. ويقف الآن هيكل البيعة المهشم يُطل على الريف المجاور الساكن مذكّراً بيوم حزيران الجميل قبيل أوان حصاد الغلة، يوم إمّحت القرية مع سكانها وزالت من الوجود فجأة. وفي موضعٍ كانت تحتله نافذة فيما مضى ثُبتت لافتة صغيره دون عليها ما يأتي "مدام روفانس Madame Rouffance الشخص الوحيد الحي في البيعة هربت من هذة النافذة". وعلى واجهة خرائب البيعة عُلّق تمثال صغير للسيد المسيح مسمّراً على صليب حديدي صديء.

تلك هي بداية نظام هتلر الجديد – كما صوّرناه في هذا الفصل. تلك هي مطالع إمبراطورية العصابات النازية في أوروپا. ولحسن حظ البشرية حُطمت وهي في مهدها – لم تحطمها ثورة الشعب الألماني على هذه الردة الرجعية الى عهود البربرية، بل بقهر السلاح الألماني وإسقاط الرايخ الثالث الذي تلاه. وهي القصة التي بقي علينا أن تقصها.

١١٩- حكم على عشرين من رجال وحدة الـ(إس. إس) بالموت ولم ينفذ الاّ بإثنين، أما الباقون فخُفعت أحكامهم الى السجن مدداً تتفاوت بين ٥-١٢ سنة. أما قائد فرقة الرايخ من الإس. إس الفريق: اللفتننت جنرال هاينز لامردينغ Heinz Lammerding، فقد حُكم عليه بالموت غياباً. ولم يقبض عليه حتى اليوم على مدى معلوماتي. واما القائد المنفذ للمجزرة الرائد أوتو ديكمان Otto Dickmann، فقد قتل في ميدان الحرب بنورماندي بعد بضعة أيام.

الفصل الثاني

سُقوط موسوليني

في ثلاثة فصول صيف متتالية من سنوات الحرب الثلاث كان الألمان هم الذين يشنون الهجوم العظيم على قارة أوروپا. لكن في ١٩٤٣ قُلب ظهر المجن.

بعد أن تم الإستيلاء على قوات المحور في تونس بمطلع شهر أيار من تلك السنة، وهي كل ما تبقى من الفيلق الجبار في شمال أفريقيا، أصبح واضحاً أن جيوش الجنرال أيزونهار الأنگلو أمريكية ستستدير نحو إيطاليا نفسها. وكان هذا الكابوس الذي خيّم على وجود موسوليني، وطارده طوال شهر أيلول ١٩٣٩ مما جعله يؤخر دخول إيطاليا الحرب حتى قَهَرَ الألمانُ جارته فرنسا وهربت الحملة البريطانية عبر القنال لاتلوي على شيء. وها هو الكابوس يعود ثانية مستعجلاً لينقلب الى حقيقة واقعة.

كان موسوليني نفسه العليل الجسم الخائب الأمل: خائفاً. والروح الإندحارية تسود شعبه وقواته المسلحة. وقد حصلت إضطرابات واسعة في المدن الصناعية الكبرى أمثال ميلان وتورين وغيرها، حيث تجمهر العمال الجائعون مطالبين "بالخبز والسلم والحرية" وبدأ النظام الفاشي الفاسد المفلس يتصدع وينهار. وعندما أعفي الكونت تشيانو من وزارة الخارجية في بداية السنة وأرسل الى الفاتيكان سفيراً. دبَّ الشك في نفوس الألمان بأنه ماعيّن لهذا المنصب إلا ليحاول التفاوض على عقد صلح منفرد مع الحلفاء. كما كان الدكتاتور الروماني (انطونيسكو) يحاول منذ مدة.

كان موسوليني يمطر هتلر بوابلٍ من النداءات خلال أشهر عديدة طالباً منه أن يعقد صلحاً مع ستالين، حتى يتمكن من سحب قواته الى الغرب لينشيء دفاعاً مشتركاً مع الإيطاليين ضد التهديد المتزايد للقوات الأنگلو أمريكية في البحر الأبيض المتوسط. وللقوات التي يعتقد أنها تتجمع في إنگلترا لعبور القنال وغزو أوروپا. وأدرك هتلر أن الوقت قد أزف مرة أخرى لعقد إجتماع مع موسوليني لتقوية معنويات شريكه المنهارة وتبديد مخاوفه. ورتّب أن يكون ٧ نيسان ١٩٤٣ في سالزبرگ. ومع أن موسوليني وصل وهو عاقد العزم على أن يتصرف كما يحلو له - أو على الاقل ان يقول ما يحلو له، إلا انه تطامن مرة أخرى ووهى عزمه أمام وابل هتلر الكلامي. وقد وصف هتلر فيما بعد نجاحه لگوبلز فسجل هذا أقواله في يومياته:

"بوضع كل درهم من الطاقة في المجهود نجح في دفع عربة موسوليني الى خط السكة... وعانى

الدوتشي تغييراً تاماً اذ عندما خرج من القطار. عند قدومه خيل للزعيم أنه يرى فيه شيخاً محطماً، وعندما رجع (بعد أربعة أيامٍ) كان رابط الجأش مستعداً لأي عمل"[1].

إلا أن واقع الحال يشير الى أن موسوليني لم يكن مستعداً للاحداث التي اخذت تتعاقب بسرعة آخذة بعضها بحجز بعضٍ.. لأن الحلفاء اتبعوا إنتصارهم في تونس بإنزال أنگلو أمريكي ناجح في صقلية بتاريخ ١٠ تموز. ولم يكن للإيطاليين قابلية كبيرة أو رغبة لخوض معركة في عقر دراهم. وما لبثت أن حملت الأنباء الى هتلر بأن الجيش الإيطالي "في حالة إنهيار" كما انهاها هو الى مشاوريه في القيادة العليا للقوات المسلحة.

"[قال هتلر لمجلس الحرب في ١٧ تموز] لايمكن إنقاذ الوطن إلا بتدابير قمعية بربرية كتلك التي طبقها ستالين في ١٩٤١ او الفرنسيون في ١٩١٧... نوع من محكمة، أو مجلس عرفي عسكري يجب أن يقام في إيطاليا لإزاحة العناصر غير المرغوب فيها"[2].

واستدعي موسوليني مرة أخرى ليبحث الأمر وتم الإجتماع في ١٩ تموز في (فيلتري Feltre) بشمالي إيطاليا. فكان المؤتمر الثالث عشر الذي يعقده الدكتاتوران وسار على منوال سابقيه، هتلر يستأثر بمعظم الحديث، وموسوليني بمعظم الإنصات - ثلاث ساعات كاملة من حديث لاينقطع قبل الغداء ثم كلام بعده، لمدة ساعتين ولم ينجح الزعيم الألماني المتعصب في محاولة إضرام جذوة نارٍ في روح صديقه وحليفه المريض المتهافتة، يجب عليهما مواصلة القتال في كل الجبهات ولايمكن أن يخلفا مهمتها "الى الجيل الآخر". إن "صوت التاريخ" مازال يناديهما. من الممكن الصمود في صقلية وإيطاليا والإحتفاظ بهما اذا قاتل الإيطاليون. سترسل نجدات أخرى ألمانية لمساعدتهم. ستنزل الى البحر غواصة جديدة تكيل للبريطانيين ضربة "كستالينگراد" وهكذا دواليك.

رغم تعهدات هتلر ومباهاته وجد الدكتور شميدت الجو كئيباً يثقل على الأنفس. وبلغ من سهوم موسوليني وإنشغال باله أنه عجز عن متابعة سيل صديقه الدافق، وبالأخير طلب من شميدت أن يعطيه الملحوظات التي دوّنها. وزاد يأس الدوتشي عندما جاءته أنباء أثناء الإجتماع عن أول غارة نهارية جوية يقوم بها الحلفاء على روما[3].

بات بنيتو موسوليني مرهقاً مكدوداً طاعناً في السن وإن لم يتخط الستين بعد. هذا الذي كان يتبختر مزهواً على المسرح الأوروپي عشرين عاماً هو الآن ينحدر الى مصيره بخطىً حثيثة. وعند عودته الى روما وجد الأمور أسوأ بكثير مما كانته عقب القصف الشديد الأول وواجه تمرداً من بعض أعوانه الأقربين في اوساط الحزب الفاشي العليا. حتى من ختنه وخليل بنته (تشيانو). وخلف هذا

١ - يوميات گوبلز، ص٣٥٢.

٢- مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٣، ص٦١.

٣- محاضر إجتماع (فيلتري) الإيطالية في "هتلر وموسونسنس" الص ١٦٥-١٩٠ وكذلك في دائرة نشرة الدولة ٦ تشرين الأول ١٩٤٦ الص ٦٠٧-٦١٤ و٦٣٩، وصف الدكتور شميدت للإجتماع في كتابه "المرجع السالف، ص٣٦٣".

تكمن مؤامرة للإطاحة به تحيكها حلقة أوسع تصل الى الملك.

طلب الزعماء الفاشيون المتمردون (دينو گراندي Dino Crandi وگوسيپي بوتاي Giuseppe Bottai وتشيانو) عقد إجتماع المجلس الفاشي الأعلى الذي لم يجتمع منذ تشرين الأول ١٩٣٩، وكان دائماً آلة "مسخرة" يسيطر عليه الدوتشي سيطرة مطلقة فالتأم في ليلة ٢٤/٢٥ تموز ١٩٤٣. ووجد موسوليني نفسه لأول مرة في حياته كدكتاتور - هدفاً لنقدٍ جارح للكارثة التي قاد اليها البلاد. واتخذ قرار بأغلبية ١٩ صوتاً مقابل ثمانية أصوات بإعادة الدستور وصلاحيات الملك الدستورية مع برلمان ديمقراطي وكذلك أعيدت القيادة التامة المباشرة لجميع القوات المسلحة الى الملك.

ويبدو أن الفاشيت الثائرين بإستثناء (گراندي) لم تكن لديهم أي نية للسير أبعد من هذا. لكن كان يوجد مؤامرة ثانية أوسع نطاقاً يحيكها الجنرالات والملك، فانفجرت الآن. وظهر أن موسوليني نفسه شعر بأنه تمكن من الصمود للعاصفة. على كل في شؤون إيطاليا لن تتخذ القرارات بأغلبية الأصوات في المجلس الأعلى بل يتخذها الدوتشي- فاذا به يباغت تماماً عندما أستدعي لمقابلة الملك في قصره مساء الخامس والعشرين من تموز ليطرد فوراً من منصبه وينقل في سيارة بوليس مخفوراً الى أحد مراكز الشرطة[٤].

وهكذا سقط قيصر الرومان الحديث سقطته الشنعاء. رجل صخبٍ وعراك من القرن العشرين، عرف كيف يستفيد من الإضطراب الذي عَمّ هذا القرن ومن اليأس الذي اكتنفه. لكن واجهته الزاهية هذه لم تكن تبطن غير حشية من نشارة الخشب. وهو كشخصٍ لايمكن وصفه بقلة العلم والذكاء فقد قرأ في التاريخ كثيراً حتى ظن أنه وعى دروسه وعبره، الاّ أنه كدكتاتور ارتكب الخطأ المميت، خطأ محاولته إقامة دولة معظمة وإمبراطورية عسكرية في بلاد فقيرة في الموارد الصناعية التي قد تؤهلها الى ذلك. وشعبها الذي لايشبه الألمان، كان أعرق مدنية وأقوى منطقاً، وأقرب الى الواقع من أن يجتذبه طموح زائف كهذا. إن الشعب الإيطالي لم يعتنق الفاشية كما اعتنقها الألمان وانما عاناها ورزح تحتها مدركاً انها مرحلة عابرة زائلة. ومن يدري؟ فلعل موسوليني أدرك هذه الحقيقة في الأخير ايضاً. لكنه ككل الدكتاتورين لعب خمر السلطان برأسه وحمله على بساط ريحه فأفسده وحجر تفكيره وسمّم أحكامه وقاده الى غلطته المميتة الأخرى وهي ربط مصيره ومصائر إيطاليا معاً بالرايخ الثالث. فلما بدأ الناقوس يقرع لجنازة ألمانيا الهتلرية بدأ يقرع ايضاً لإيطاليا موسوليني، وقد تناهى الى سمعه الرنين عند إقبال صيف ١٩٤٣، لحين لم يعُدْ ثَمَّ حيلة له في إنقاذ نفسه من هذا المصير لأنه أسير هتلر.

٤- كتب موسوليني فيمابعد يصف حالته الفكرية عندما انطلق الى القصر "كنت متحرراً تماماً من أيّ تشاؤم". لكن الملك فكتور عمانوئيل لم يضع وقتاً في جَر موسوليني الى الواقع. فقد ذكر هذا الأخير أن الملك ابتدره بالقول "اي عزيزي الدوتشي لا فائدة قط. لقد تمزقت إيطاليا شر ممزق. ولم يعد الجنود يريدون قتالاً، وانت الآن أبغض الناس في إيطاليا". ويقول موسوليني أن رده كان "انك تتخذ قراراً ينطوي على أعظم الخطر" ومن روايته نفسها يظهر انه لم يقم بمحاولة كبيرة لاقناع الملك بالعدول عن رأيه وختم كلامه "بتمني الخير" لمن سيخلفه. [مذكرات موسوليني ١٩٤٢-١٩٤٣ الص ٨٠-٨١].

قذيفة مدفع واحدة لم تطلق لإنقاذه ولم تصدر حركة ولو صغيرة من حرسه الفاشي... ولم يرتفع صوت دفاعاً عنه او يكترث احد للطريقة المخزية التي اقصي بها. جر جراً من أمام الملك وقذف به الى سيارة شرطة ألقت به في غيابة السجن. والعكس هو الذي حصل فقد عم الفرح والابتهاج لسقوطه وانهارت الفاشية بالسهولة التي سقط بها زعيمها وألّف المارشال بادوليو Pietro Badoglio حكومة لاحزبية اعضاؤها جنرالات وموظفون مدنيون. وحُلّ الحزب الفاشي، وأقصي الفاشيت عن المناصب الهامة وتم إطلاق سراح أعداء الفاشية من السجون.

ربما خطر للمرء ان يتخيل مدى رد الفعل الذي احدثته أنباء سقوط موسوليني في مقر قيادة هتلر – وإن لم يكن به الى ذلك حاجة، لأن التقارير الهائلة التي لايمكن احصاؤهما تصور الأمر على حقيقته وتغني عن التخيل(٥). كانت الصدمة عنيفة مزلزلة. وراحت بعض مفارقات ومقارنات تظهر واضحة في الأذهان النازية. فما أقلق گوبلز كثيراً خطر نشوء سابقةٍ سيئة جداً بحادث روما. وقد استدعي هذا على عجل في ٢٦ تموز الى مقر القيادة في (راشتنبرگ) وعلمنا من يومياته أن باله انشغل أولاً في كيفية تفسير سقوط موسوليني للشعب الألماني. وسأل نفسه "ماذا سنقول لهم على كل حال؟" ثم قرر أن يقال لهم في الوقت الحاضر: إن موسوليني إستقال "لأسباب صحية".

[كتب في يومياته] "العلم بهذه الأحداث قد يشجع ولا غرو بعض العناصر الهدامة في ألمانيا على التفكير في محاولة تطبيق ما حققه (بادوليو) وطغمته في روما – ها هنا في ألمانيا. أمر الزعيم (هملر) بإتخاذ أشد الإجراءات قسوةً لحفظ الأمن في حالة تحسس أيّ خطر قريب هنا" وزاد گوبلز يقول أن هتلر مع ذلك لايرى أي خطر داهم في ألمانيا. ثم طمأن وزير الدعاية نفسه بقوله أن الشعب الألماني لن"يجد في أزمة روما سابقة تحتذى."

ومع أن هتلر كان قد لحظ بوادر تصدع في كيان موسوليني ابان إجتماعهما قبل أسبوعين لا أكثر، الاّ أنه بوغت تماماً لما راحت الأنباء الآتية من روما تتسرّب الى مقر القيادة بعد ظهر ٢٥ تموز ولم يكن أول نبأ يزيد عن انعقاد مجلس الفاشيست الأعلى. واستفسر هتلر عن الداعي اليه ثم تساءل "مافائدة مثل هذه المجالس؟ ماذا يجري فيها غير الثرثرة؟"

في مساء ذلك اليوم تحققت أسوأ مخاوفه. اذا أعلن لمشاوريه العسكريين المبغوتين في مؤتمر بدأ الساعة ٩,٣٠ ليلاً "الدوتشي إستقال! وتسلم مقاليد الحكم بادوليو ألدّ اعدائنا طراً".

لمرةٍ واحدةٍ في مراحل الحرب الأخيرة برهنت تدابير هتلر وردود فعله في الأنباء على صواب الأحكام

٥- المراجع الرئيسة هي المدونات لمؤتمرات هتلر مع مساعديه في مقر قيادته في پروسيا الشرقية في يومي ٢٥ و٢٦ تموز – كتبت اصلاً بطريقة الإختزال. وطبعت في كتاب (فيلكس گلبرت) الموسوم "هتلر يشرف على توجيه حربه Hitler Directs His War الص ٣٩-٧١، كذلك: يوميات گوبلز: وقعات الأيام المنحصرة ١-٣١ تموز ١٩٤٣ الص ٤٠٣-٤٢١، و"مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية: وقعات تموز وآب ١٩٤٣. سجلها الأميرال دونتز. القائد العام الجديد للأسطول الألماني.

القاسية الصارمة التي طالما أبداها في أزمات الأيام الخالية الأكثر إشراقاً فانتشلته من المآزق. فلما اقترح يودل انتظار تقارير أخرى حول الوضع أكثر تفصيلاً من روما قاطعه هتلر قائلاً:

"بالتأكيد، لكن علينا استباق الأحداث بخطط مدروسة. لاريب أنهم في غدرهم وخديعتهم سيعلنون أمانتهم على العهود...

"ومع أن هذا [الكذا وكذا بادوليو] صرح فور وصوله الحكم أن الحرب ستستمر فالأمر سيان فليقولوا مايقولون وستبقى الخيانة خيانة، ونحن سنلعب اللعبة عينها، بينما نقوم بإعداد كل شيء للانقاض على العصابة والقبض على كل هؤلاء الرعاع والسوقة بضربة واحدة". كان أول فكرة ساورت هتلر القبض على من أطاح بموسوليني، وإعادة صديقه الى الحكم.

"[واستطرد] سأرسل غداً رجلاً الى هناك، يحمل أوامر لقائد فرقة المدفعية المدرعة الثالثة Pan-zergrenadier. للزحف على روما بواجب خاص وإلقاء القبض على كل أعضاء الحكومة، الملك والحاشية وفي المقدمة ولي العهد. مفاجأة كل العصابة ولاسيما بادوليو وأعوانه، ولكم ان تنظروا اليهم وهم ينهارون، سترون إنقلاباً آخر خلال يوم أو إثنين. ثم التفت الى مدير الحركات في القيادة العليا."

هتلر: يودل! إبدأ بإصدار الأوامر... قل لهم أن يقتحموا روما بمدافع الهجوم. ويلقوا القبض على الحكومة والملك والحاشية. أريد ولي العهد بالدرجة الأولى.

كايتل: إنه أهم من الرجل العجوز [يقصد الملك]

بودنشاتز: Bodenschatz [جنرال في القوة الجوية]: يجب ترتيب كل شيء بحيث يمكن جمعهم كلهم في طائرة واحدة والتحليق بهم بعيداً.

هتلر: الى الطائرة حالاً، لتحلق بهم.

بودنشاتز: وانتبهوا لئلا يضيع منكم (بامبينو Bambino) في المطار."

وفي مؤتمر تالٍ عقد بُعيد منتصف الليل بحث موضوع موقفهم من الفاتيكان. فكان هتلر هو المجيب على السؤال:

هتلر: سأذهب الى الفاتيكان رأساً. أتظنون أني سأتحرج منه؟ سنستولي عليه حالاً... الهيئة الدبلوماسية كلها هناك... سنلقي القبض على ملك العصابة من الخنازير هناك... وبعدها نقدم الإعتذار.

في تلك الليلة بالذات أصدر هتلر أوامره لإحتلال مسالك الألب، ما هو بين إيطاليا وألمانيا وما هو بين إيطاليا وفرنسا. ولهذا الغرض جمعت بصورة مستعجلة ثماني فرق ألمانية من فرنسا وجنوب ألمانيا وتألف منها مجموعة جيش (ب) تحت قيادة رومل النشيط. اذ لو نسف الطليان الأنفاق والجسور الألبية [كما كتب گوبلز في يومياته] فسيقطع على القوات الألمانية خطوط تموينها وبعضها مشتبك الآن في قتال حامي الوطيس مع قوات آيزنهاور، ولن تصمد وقتاً طويلاً.

إلا أن الأيطاليين لم يكن بإمكانهم أن يقلبوا للألمان ظهر المجن فجأة، إذ كان على (بادوليو) أول

الأمر أن ينشيء جسر إتصال بالحلفاء ليتبيّن هل يستطيع الوصول الى هدفه. وهل سيسانده الحلفاء ضد فرق (الڤيرماخت) هناك؟ وكان هتلر مصيباً في تكهنه فذلك مافعله بادوليو بالضبط إلا أنه ماكان يظن أنه سيستغرق الوقت الذي استغرقه فعلاً.

والواقع أن هذه القضية كانت محور النقاش في مجلس الحرب المنعقد بتاريخ ٢٧ تموز في مقر قيادة الزعيم وحضره معظم الأقطاب في حكومة النازي والقوات المسلحة. فكان ثم گورنگ وگوبلز وهملر ورومل والقائد العام الجديد للأسطول أمير البحر كارل (دونتز) الذي خلف أميرالبحر الأكبر (رايدر) في كانون الثاني عندما بات هذا من المغضوب عليهم[٦] وكان معظم الجنرالات وفي مقدمتهم رومل يؤثرون الحذر والتريث قائلين ان الضرورة تقضي بالتفكير المليّ في أيّ عمل منويّ لإيطاليا وتهيئته مسبقاً. وأراد هتلر التحرك حالاً وإن اضطر الى سحب فرق مدرعة من مناطقها الحيوية في الجبهة الشرقية حيث كان الروس قد بدأوا (١٥ تموز) بشن أول هجوم صيفي لهم في الحرب. ويبدو ان الجنرالات إستطاعوا مرة واحدة فرض رأيهم على هتلر فرضخ اليهم واقتنع بوقف الحركة. وفي الوقت نفسه قرر ان يدفع عبر الألب الى إيطاليا كل مايمكن جمعه من القوات الألمانية. وكان رأي گوبلز على نقيض ما إرتآه الجنرالات وهو متأنف من ترددهم. وكتب في يومياته على أثر ختام مجلس الحرب. "انهم لم يحسبوا حساب ما سيفعله العدو. لاريب أن الإنگليز لن ينتظروا أسبوعاً بينما نحن هنا نتشاور في الأمر ونتخذ الأهبة للحركة".

ولم يكن لا هو ولا هتلر بحاجة الى القلق. وانتظر الحلفاء ستة أسابيع لا أسبوعاً واحداً وفي تلك الفترة أكمل هتلر خططه وعبأ قواته لتنفيذها.

في الوقت الذي إلتأم مجلس الحرب كان دماغ هتلر الفائر قد صاغ على وجه الاستعجال الخطط اللازمة لمعاجلة الموقف. لتنبثق عنها في جلسة ٢٧ تموز الخطط الأربع التالية: (١) عملية (بلوط Eiche) لإنقاذ موسوليني إما بالأسطول إن وجد في إحدى الجزر، وإما بمظلي سلاح الجو إن كان في بر إيطاليا (٢) عملية "تلاميذ Students" وتقضي بإحتلال روما بهجوم خاطف وإعادة موسوليني الى الحكم. (٣) (العملية السوداء Schwarz) وهذا الإسم يرمز الى خطّة الإحتلال العسكري لسائر إيطاليا. (٤) عملية (محور Achse) وتقضي بالإستيلاء على الأسطول الإيطالي أو تدميره. ثم

٦- اشتد حنق هتلر على (رايدر) الذي بقي قائداً عاما للأسطول الألماني منذ سنة ١٩٢٨، وسبب حنقه يعود الى فشل الأسطول في تدمير قوافل إمدادات الحلفاء للإتحاد السوڤييتي في المحيط المنجمد الشمالي وللخسائر الجسيمة التي تكبدها في تلك المنطقة. وفي نوبة هستيرية عارمة في مقره العام أصدر أمراً في ١ كانون الثاني بتعطيل عمل الأسطول الألماني ماوراء البحار حالاً وأن يجري تفكيك أجزاء السفن الحربية لتكون مجرد قراضة حديد، وفي ٦ كانون الثاني جرى نقاش عاصف بين هتلر (ورايدر) في المقر العام (وجار الذئب) وإتهم هتلر الأسطول بالعجز والإفتقار الى الإرادة في القتال والجبن وفقدان روح المغامرة فطلب (رايدر) إعفاءه من القيادة وقبلت إستقالته ونشرت في ٣٠ كانون الثاني. ولم يكن القائد العام الجديد دونتز قائد سلاح الغواصات السابقة ليعرف الكثير عن مشاكل الأسطول القائم ولذلك ركّز جهوده في حرب الغواصات.

دمجت العمليات الأخيرتان في خطة واحدة اطلق عليها الإسم الرمزي (محور).

حادثتان وقعتا في أوائل أيلول ١٩٤٣ فأطلقتا خطط الزعيم من عقالها الى ميدان التطبيق. ففي ٣ أيلول أنزل الحلفاء قواتهم في رأس جزمة جنوب إيطاليا. وفي ٨ أيلول أعلنت الهدنة بين إيطاليا ودول الغرب و"كانت قد وقّعت سراً في ٣ أيلول".

في ذلك اليوم كان هتلر قد طار الى (زاپوروجي Zaporszhe) في اوكرانيا ليحاول إعادة بناء الجبهة الألمانية المتصدعة هناك، لكن "شعوراً غريباً بالقلق وعدم الإرتياح تملّكه" (حسبما رواه گوبلز) فعاد مساءً الى مقر قيادته في راشتنبرگ ببروسيا الشرقية فوجد في إنتظاره أنباء فرار حليفه الأكبر من الميدان ومع أنه كان متوقعاً ذلك ومتأهباً له، إلا أن التوقيت الفعلي باغته تماماً وساد الإضطراب العظيم مقره العام عدة ساعات. كانت معرفة الألمان الأولى بالهدنة الإيطالية من نشرة اذاعية لدار الإذاعة البريطانية بلندن. واتصل (يودل) تلفونياً من راشتنبرگ بالفيلدمارشال كسلرينگ في فراسكاتي Frascati قرب روما ليسأله عن صحة الخبر. فأجابه قائد الجيوش الألمانية في جنوب إيطاليا انه لم يسمع بالخبر إلا منه وهي مفاجأة له. على أن (كسلرينگ) الذي كانت قاصفات الحلفاء قد دمرت مقر قيادته صباح ذلك اليوم، وهو مشغول بتجميع القطعات لصد إنزال حليف جديد في مكان ما من الساحل الغربي – أفلح في إخراج الإسم الرمزي (محور) الى حيز الوجود واطلق حركة الخطط الرامية الى تجريد الجيش الإيطالي وإحتلال البلاد برمتها.

ظل موقف القوات الألمانية في إيطاليا الوسطى والجنوبية يوماً واحداً أو إثنين في غاية الحراجة. فهناك فرقتان ألمانيتان في ضواحي روما تواجهان خمس فرق إيطالية. ولو أن أسطول الغزو الحليف الجبار الذي لاحت قطعه في ٨ أيلول على مبعدة من ناپولي، انحرف الى الشمال وانزل قواته بالقرب من العاصمة معززاً إنزاله بإلقاء المظليين لإحتلال المطارات القريبة كما كان كسلرينگ وأركانه يتوقعون في مبدأ الأمر، لو تم ذلك لإتخذ مجرى الحرب في إيطاليا سبيلاً آخر غير الذي اتخذه في الواقع. ولحلّت النكبة الكبرى القاضية بالرايخ الثالث قبل وقوعها الفعلي بسنةٍ واحدة. وذكر (كسلرينگ) أن هتلر والقيادة العليا الألمان اعتبروا كل القوة الألمانية المؤلفة من ثماني فرق(٧) في حكم الضائعة في يوم ٨ أيلول مساءً ونفضوا ايديهم منها. وبعد يومين أسرّ هتلر في أذن گوبلز أن جنوب إيطاليا قد ضاع ويجب إنشاء خط دفاع جديد شمال روما في جبال الأپنين Apennines إلا أن قيادة الحلفاء لم تستفد من سيادتها المطلقة في البحر مما يؤهلها القيام باي إنزال في أيّ مكان تشاء من سواحل إيطاليا بل ولم تستغل تفوقها الجوي الساحق كما خشي الألمان. زد على ذلك انهم كما بدا، لم يبذلوا أيّ مجهود لمحاولة قيادة آيزنهاور الإستفادة من الفرق الإيطالية الخمس في ضواحي روما. ولو فعل آيزنهاور ذلك لاستحال على الألمان الخروج من المأزق هذا على الأقل ماكان واضحاً

٧- مذكرات الفيلدمارشال كسلرينگ (لندن ١٩٥٣ الص ١٧٥ و١٨٢) [اعتمدت الطبعة الإنكليزية. ولقد نشرت المذكرات بطبعة أمريكية وعنوانها "وقائع جندي"].

لكل من (كسلرينگ) ورئيس أركانه الجنرال (سيگفريد وستفال Siegfried Westphal). وصرّحا أنهما لم يكن لديهما طاقة لوقف زحف جيش (مونتگمري) في شبه الجزيرة من طرف رأس الحذاء نحو الشمال ودفع قوة غزو الجنرال مارك كلارك Mark Clark من حيث أتت ومناجزة التشكيلات الإيطالية الكبيرة المعسكرة وسط الألمان وفي مؤخرتهم(٨). وشهق الجنرالان شهقة إرتياح عندما اختار الجيش الأمريكي الخامس نقطة إنزاله لا قرب روما بل في (سالرنو Salerno) جنوب ناپولي، ولم يظهر مظليو الحلفاء فوق مطارات روما. وتضاعف إرتياحهما وتعاظم لمّا إستسلمت لهما الفرق الإيطالية الخمس دون أن تطلق رصاصة واحدة، فتم تجريدها من سلاحها. وكان هذا يعني أن بإستطاعة الألمان الإحتفاظ بروما في الوقت الحاضر بكل سهولة، لا بل حتى بمدينة (ناپولي) وهذا ما يجعل سيطرتهم تشمل ثلثي إيطاليا بما فيه مناطق الصناعة الشمالية التي بدأت معاملها تنتج السلاح لهم. وهكذا وبشيء يشبه المعجزة امتد أجل هتلر زمناً(٩).

قال هتلر لگوبلز حين استدعي مرة أخرى الى (راشتنبرگ) إن إنسحاب الطليان من الحرب قد ملأه غماً وهذا مثل "هائل على الدناءة والحقارة" زد على هذا أن سقوط موسوليني حمله على التأمل في حقيقة وضعه شخصياً ودوّن گوبلز في يومياته بتاريخ ١١ أيلول "إن الزعيم اتخذ الإجراءات الأخيرة للحيلولة دون قيام تطورات مشابهة عندنا ومنعها بصورة باتة".

واقنعه گوبلز بعد كثير من التوسل بإلقاء خطاب على الشعب الألماني قائلاً له أن من حق الشعب سماع كلمة تشجيع وسلوى من الزعيم في هذه الأزمة العصيبة. وتكلم هتلر مساء العاشر من أيلول بشيء من التحدي في هذا الموضوع:

"إن توقع وجود خونة هنا يستند الى جهل تام بطبيعة الدولة القومية الإشتراكية. والإعتقاد بإمكان

٨- يرى النقيب هاري سي. بوچر Harry C. Butcher مرافق آيزنهاور البحري ان كلاً من رئيس هيئة الأركان الأمريكي الجنرال جورج سي. مارشال Marshall ورئيس هيئة الأركان البريطاني الفيلدمارشال السر جون جي. ديل Dill لم يكونا محقّين في الشكوى من تراخي آيزنهاور في إندفاعه شمال إيطاليا وقال بصدد الدفاع عنه ان قلة السفن الخاصة بنقل جنود الإنزال حدت من خطط آيزنهاور وأن إجراء عملية إنزال جنود البحرية الأمريكان في منطقة شمالية قريبة من روما قد تبعد ميدان العمليات كثيراً وتخرجه من مدى المقاتلات الحليفة التي كان يتعين عليها أن تحلق من قواعدها في صقلية. اما آيزنهاور نفسه فيذكر أنه أمر بعد إحتلال صقلية بإعادة سبع فرق (أربع أمريكية وثلاث بريطانية) الى إنگلترا لإستخدامها في الغزو الوشيك. فبات بأمس الحاجة الى جنود. وصرح (بوچر) أيضاً ان آيزنهاور كان بالأصل قد اختط إلقاء جنود المظلات في مطارات روما لمساعدة الطليان في الدفاع عن العاصمة. الاّ ان (بادوليو) ناشده في آخر لحظة "تأجيل العملية مؤقتاً". اما الجنرال (ماكسويل بتلر) الذي خاطر بنفسه مخاطرة عظيمة بدخوله روما خفية للمداولة مع بادوليو فقد ابلغ ان إلقاء فرقة المظليين عمل انتحاري نظراً لإنهيار معنويات الطليان وقوة الألمان [أنظر آيزنهاور: الحرب الصليبية في أوروپا ص١٨٩. وبوچر: سنواتي الثلاث مع آيزنهاور الص ٤٠٧-٤٢٥] [انظر كسلرينگ: المرجع السالف. وكتاب الجنرال وستفال: الجيش الألماني في الغرب الص ١٤٩-١٥٢].

٩- كان غيظ هتلر لايوصف حين تمكن الملك وبادوليو والحكومة من الفرار من روما استقروا جميعاً بعد فترة وجيزة في القسم الجنوبي الإيطالي الذي حرره الحلفاء. كذلك هرب معظم قطع الأسطول الإيطالي الى مالطة رغم خطط أمير البحر دونتز الماكرة للإستيلاء عليه او تدميره.

إحداثهم (٢٥ تموز) ثانية في ألمانيا إنما يرتكز على وهم أساسي بخصوص وضعي أنا شخصياً فضلاً عن سلوك أنصاري من الساسة ومارشالاتي وأميرالاتي وجنرالاتي..."

والواقع كما سنرى كان ثم عدد قليل من الجنرالات الألمان وحفنة من الساسة الذين تعاونوا في الماضي، ممن بدأ يعتنق أفكار الخيانة والثورة أثناء ما راحت الإندحارات العسكرية تتوالى، تلك الأفكار التي ماجاء شهر تموز العام القابل حتى ترجمت الى أعمال أعنف من الأعمال التي أطاحت بموسوليني إلا أنها كانت أقل نجاحاً.

ومن أحد إجراءات هتلر لقمع أي مظهر خيانةٍ في مهده، أمر أصدره بتسريح كل الأمراء الألمان الذين يعملون في القوات المسلحة. وألقي القبض على (الأمير فيليب هسّ) الساعي (الصبي) السابق بين الزعيم وموسوليني الذي دأب على التسكع حول المقر العام، وسُلِم الى رحمة الگشتاپو الرقيقة، كذلك اعتقلت زوجه الأميرة (مفالدا) بنت ملك إيطاليا واودعت هي وزوجها معسكر إعتقال. وتخلص ملك إيطاليا من براثن هتلر كما تخلص قبله ملكا النرويج واليونان. فأصاب ما تيسر له من إنتقام منه بإعتقال بنته[١٠].

وخصصت مؤتمرات الزعيم العسكرية اليومية معظم أوقاتها ولعدة أسابيع لدراسة مشكلة كانت نارها تضطرم في رأس هتلر ألا وهي إنقاذ موسوليني. ويذكر القاريء اسم خطتها الرمزي (بلوط) وكان يشار في محاضر الموتمرات الحربية دائماً الى موسوليني باسم "الحاجة الثمينة" وقد شك معظم الجنرالات وگوبلز نفسه ان الدوتشي السابق، مازال "حاجة ثمينة" جداً إلاّ ان هتلر كان مقتنعاً، ولذلك أصرّ على تحريره. ففضلاً عن رغبته الشديدة في اداء خدمة لصديق الأيام الماضية الذي مازال يشعر بحب شخصي له، كان يرمي ايضاً الى إقامة موسوليني على رأس حكومة فاشية في شمال إيطاليا وهذا من شأنه إراحة الألمان من مشاكل إدارة أمور البلاد، والعون على حماية خطوط المواصلات والتموين الطويلة من تعرض الأهلين ذوي الميول المعادية، وخاصة بعد ان راحت قوات الأنصار المزعجة تنبثق من بين صفوفهم. وابلغ أمير البحر (دونتز) هتلر في ١ آب بان الأسطول يظن انه عثر على موسوليني في جزيرة (فنتوتيني Ventotene) وفي أواسط آب تأكدت شرطة هملر السرية أنّ موسوليني هو الآن في جزيرة (مادلينا) القريبة من رأس (سردينيا) الشمالي. فرُسمت خطط متقنة لإنزال في الجزيرة بالمدمرات والمظلات. لكن موسوليني نقل قبل الشروع في الخطة. وكان ثم بند سري في إتفاقية الهدنة يلزم الحكومة الإيطالية بتسليم موسوليني الى الحلفاء ولأمر ما أخّر بادوليو تنفيذ الشرط. وفي أوائل (أيلول) نقلت "الحاجة الثمينة" بعيداً الى فندق يقع في قمة جبل (گران ساسو دي يتاليا Gran

١٠- لم يهتم هتلر بها شخصياً. وفي مجال ذكرها قال لجنرالاته في أثناء مؤتمر عسكري في مقر قيادته شهر أيار من تلك السنة "كنت مضطراً الى الجلوس جنب مفالدا... ما الذي يهمني من أمر مفالدا؟... إن مواهبها الفكرية لم تكن بالشيء الذي يمكن أن تأخذ بلبك، ولن أقول شيئاً عن وسامتها" [من السجلات السرية لمؤتمرات هتلر العسكرية اليومية. ضمنها فيلكس گِلبرت في كتابه "هتلر يشرف على توجيه حربه: ص٣٧].

Sasso d` Italia وهي أعلى ذرى سلسلة جبال (ابروزي-ابينين Abruzzi-Apennine. ولايمكن بلوغ الفندق الاّ بقطار هوائي كهربائي.

وما لبث الألمان أن عرفوا بمكانه فقاموا بإستطلاعٍ جوي لقمة الجبل وقرروا ان جنود الزلاقات قد يتمكنون تحقيق عملية إنزال فيه، ومفاجأة حرس الكارابنيري Carabineiri والتغلب عليهم ثم وضع موسوليني في طائرة صغيرة من طراز (فيسيلير- شتورك Fieseler Storch والفرار به. نفذت هذه الخطة الجريئة في ١٣ أيلول وقادها رجل آخر من مثقفي هملر العتاة الواسعي الحيلة، ضابط نمساوي يدعى أوتو سكورزيني Otto Skorzeny، سيبرز اسمه ثانية في نهاية هذا التاريخ بطلاً لمغامرة جرئية فذة[١١]. الواقع أنه اختطف جنرالاً إيطاليا وحشره معه في زلاّقته وانزل قوته من جنود الجو على مسافة مائة يارد من الفندق القائم على قمة الجبل ومن هناك إستطاع مشاهدة الدوتشي وهو يتطلع بأملٍ من نافذة في الطابق الثاني وما أن تبيّن حرس (الكارابنيري) الألمان حتى هرب معظمهم الى الجبال أما الباقون فقد أقنعهم (سكورزيني) وموسوليني بالعدول عن إستخدام أسلحتهم. صاح قائد الحرس الأسود محذراً إياهم من إطلاق النار على جنرال إيطالي (دفع أسيره الضابط الى مقدمة صفوفه) وصرخ الدوتشي من نافذته كما تذكر أحد شهود العيان): لاتطلقوا النار كلكم! لاتسفكوا أيّ دمٍ!

ولم تُرق قطرة دمٍ واحدة.

وفي غضون بضع دقائق حمل الدوتشي الى طائرة الفيسيلير- شتورك الصغيرة والدنيا تكاد لاتسعه فرحاً، وهو الذي أقسم يميناً بأن يبخع نفسه على أن يقع في أيدي الحلفاء ليعرض في حديقة (ماديسن سكوير) في نيويورك[١٢] كما كتب فيما بعد.

وبعد محاولة خطيرة للإرتفاع بالطائرة في الجو من فوق مرج وعر تغطيه الصخور تحت الفندق، حلقت به الى روما ومنها الى ڤيينّا في اليوم نفسه بطائرة نقل من القوة الجوية الألمانية[١٣].

مع ان موسوليني كان ممتناً إلا انه الآن رجل محطم خبت فيه تلك النار المتأججة وآضت رماداً. واشتدت خيبة هتلر عندما لم يجد فيه همة كبيرة لبعث النظام الفاشي في إيطاليا التي تخيلها الألمان. ولم يحاول هتلر قط إخفاء خيبة أمله في صديقه العتيق الإيطالي بحديث طويل مع گوبلز في أواخر أيلول.

١١- استدعي سكورزيني لأول مرة في حياته الى مقر قيادة الزعيم، في اليوم التالي لسقوط موسوليني وكلفه هتلر شخصياً بتنفيذ خطة إنقاذه. والاشراف على مراحل العملية بنفسه.

١٢- قبل أن يجري إنقاذ موسوليني بزمن وجيز. تسلم النقيب هاري بوچر برقية مرسلة الى قيادة آيزنهاور من شركة تدير عدداً من المسارح في مدينة (كيب تاون) تعرض فيها دفع مبلغ عشرة آلاف پاون لوجوه البر والإحسان "إن سمحت القيادة بعرض موسوليني على خشبة المرسح في سائر مراسحنا (بكيب تاون) والعقد لمدة ثلاثة أسابيع" [بوچر: سنواتي الثلاث مع آيزنهاور، ص٤٢٣].

١٣- المصادر الاصلية لإنقاذ موسوليني في: أوتو سكورزيني [مهمة سكورزيني السرية] بقلم موسوليني نفسه في مذكراته ١٩٤٢-١٩٤٣ وبقلم مدير ومديرة فندق (كامپو امپراتوري Campo Imperatore) في مقال خاصٍ ألحق بالطبعة الإنگليزية لمذكرات موسوليني.

"[كتب گوبلز في يومياته بعد الحديث] لم يستخلص الدوتشي النتائج الأدبية من النكبة الإيطالية كما كان الزعيم يتوقع منه... كان يتوقع من الدوتشي ان يفتح عمله بصب جام إنتقامه كاملاً على رؤوس أولئك الذين خانوه إلا أنه لم يُبدِ أيَّ ميل الى ذلك وبهذا كشف عن ضيق أفقه الحقيقي. انه ليس ثورياً مثل (الزعيم) أو مثل (ستالين). كان وثيق الإرتباط بأبناء جلدته الشعب الإيطالي الى الحد الذي جرده تماماً من الميزات الواسعة الحدود للثوري والإنقلابي ذي النظرة العالمية واشتد غيظ هتلر وگوبلز أيضاً بمصالحة موسوليني لتشيانو، وبدا وكأنه ألعوبة بيد ابنته (إدا Edda) زوج تشيانو وكان الزوجان قد لجآ في حينه الى مونيخ[١٤]. وكان من رأيهما أن يعدم تشيانو حالاً وأن تعاقب (إدا) بالجلد! بتعبير گوبلز[١٥]. وإحتجّا على موسوليني بوضعه تشيانو، "ذلك الفطر السام" بتعبير گوبلز في رأس الحزب الجديد "الحزب الجمهوري الفاشي" فقد أصر هتلر على أن يشكل الدوتشي حالاً مثل هذا الحزب وفي ١٥ أيلول بناءً على إلحاح الزعيم أعلن موسوليني الجمهورية الإيطالية الإشتراكية.

إلا انها لم تكن ذات قيمة ما. لأن موسوليني لم يبدِ لها تحمساً ربما لبقاء مايكفي من العقل في رأسه ليتبيّن أنه الآن لا أكثر من تابع خاضع لهتلر وأنه و"حكومته الجمهورية الفاشية" ليس لديهما من سلطة غير ما أعطاهما هتلر لمصلحة ألمانيا وأن الشعب الإيطالي لن يرضى به وبالفاشية مرةً أخرى.

ولم يعد الى روما. واستقر في بقعة منعزلة في أقصى الشمال - روكا دللي كاميناتي Rocca delle Caminati قرب گارنيانو Gargnono على ضفة بحيرة گاردا Garda حيث كانت تحرسه حراسة شديدة وحدة من وحدات الحرس الأسود Leibstandarte والى مصيف البحيرة الجميل هذا جيء لموسوليني بمعشوقته السيئة الصيت كلارا پيتاتشي Clara Petacci. رافقها الى ذلك المكان (سيپ ديتريش) أحد اوباش الـ(إس. إس) القدماء الذي استدعي لهذا الغرض بالذات من فيلق الـ(إس. إس) المصفح الأول المتقهقر في روسيا. هكذا كانت الأمور تُصرّف في الرايخ الثالث!

وبعودة حبيبة الدكتاتور الساقط الى أحضانه ماعاد يهتم بأيّ شيء آخر في الدنيا. وأقر گوبلز الذي لم يبقَ مقيماً على معشوقة واحدة بل عشيقات. أنه قد صُدم بهذا:

"[كتب گوبلز في يومياته بتاريخ ٩ تشرين الثاني] إن سلوك الدوتشي الشخصي مع صديقته التي جاءه بها (سيپ ديتريش) يثير كثيراً من الهواجس".

قبل ذلك بأيام قليلة لاحظ گوبلز أن (الزعيم) بدأ "يُسقط الدوتشي من حسابه سياسياً" ولكن

١٤- في الحقيقة أو على الأقل كما ظهر من رسالة كتبها تشيانو بعدئذ الى الملك ڤكتور عمانوئيل أن الألمان إحتالوا عليه وأغروه بالقدوم الى ألمانيا في آب فقد أبلغوه ان أولاده في خطر وان الحكومة الألمانية سيسعدها أن تنقله الى إسپانيا مع أسرته عبر ألمانيا (يوميات تشيانو: ص٥ - المقدمة).

١٥- كتب گوبلز في يومياته: "إدا موسوليني تعمل كالقطة الوحشية في ڤيللتها الباڤارية وهي تحطم أواني الصيني والأثاث لأقل إستفزاز" [يوميات گوبلز: ص٤٧٩].

علينا أن نذكر انه لم يفعل ذلك إلا بعد إرغامه على "قطع" تريست Trieste وإيستريا Istria وجنوب التيرول وضمها الى ألمانيا مع سبق تفاهم حول إضافة البندقية الى ذلك فيما بعد. والآن لم يبقَ حدّ يقف عنده إذلال هذا الذي كان طاغيةً متجبراً يوماً ما. ضغط عليه هتلر حتى حمله على إعتقال ختنه تشيانو في تشرين الثاني، وإعدامه الحياة في سجن ڤيرونا بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩٤٤[١٦].

أمكن هتلر في أول خريف ١٩٤٣ أن يحقّ له الإدعاء بسيطرةٍ تامة على أخطر ما هدد الرايخ الثالث. إن سقوط موسوليني وإستسلام حكومة بادوليو في إيطاليا بدون قيد أو شرط للحلفاء كان من المحتمل أن يؤدي بكل سهولةٍ الى كشف حدود ألمانيا الجنوبية لهجوم حليف مباشرٍ وفتح الطريق – من شمال إيطاليا الى البلقان الضعيف الدفاع للغاية الى مؤخرة الجيوش الألمانية المكافحة كفاح المستميت في جنوب روسيا. وهذا أخوف ماكان يخافه هتلر وجنرالاته في تلك الأسابيع القلائل العصيبة. كان نزول الدوتشي الذليل عن سُدة السلطان، ضربة عنيفة لسمعة هتلر في الداخل والخارج، كما كان فيه تحطيم للحلف المحوري. إلا أن هتلر إستطاع خلال شهرين وبضربة جريئة إعادة موسوليني الى الحكم على الأقل في نظر العالم الخارجي. وتم تحصين وتحكيم مناطق الإحتلال الإيطالية في البلقان: يوگوسلاڤيا واليونان وألبانيا. ضد أي هجوم حليف توقعته القيادة العليا الألمانية في أي يومٍ من أيام ذلك الصيف. واستسلمت القوات الإيطالية هناك بفرقها العديدة بكل خنوع وأخذوا أسرى حرب وبدلاً من شطب قوات كسلرينگ وقراءتها السلام عليها كما هَمّ به في البداية وقيامه بالإنسحاب الى شمال إيطاليا، وجد لإرتياحه التام جيوش الفيلدمارشال تحفر خطوطها الدفاعية جنوب روما. حيث إستطاعت بكل سهولة إيقاف الجحافل الفرنسية- الإنگليزية- الأمريكية في زحفها شمالاً. ليس من يجادل في أن موقف هتلر في الجنوب قد تم إصلاحه الى حد كبير بسعة حيلته الجريئة وصلابة جنوده.

على أن حظوظه في مكان آخر إستمرت في المعاكسة.

في ٥ تموز ١٩٤٣ شن ما تبين أنه آخر هجوم كبير له في الحرب ضد الروس. فقد دفع بزهرة الجيش الألماني – نصف مليون مقاتل يساندهم ما لايقل عن خمس عشرة فرقة مدرعة، جُهزت بدبابات (النمر) الجديدة الثقيلة – هَوَت هذه الكتلة الجبارة على جيش سوڤيتي جَرار في غرب (كورسك

١٦- آخر وقعة في يوميات تشيانو مؤرخة في "٢٣ كانون الأول ١٩٤٣ -الزنزانة ٢٧- سجن ڤيرونا". وهي قطعة مؤثرة. واني لأحار في كيفية قيامه بتهريب هذه الكلمة الأخيرة ورسالة بالتاريخ نفسه الى الملك الإيطالي من زنزانة الموت. على أنه يذكر بأنه أخفى بقية المذكرات قبل أن يقبض عليه الألمان وقد قامت (إدا تشيانو) بتهريب الأوراق في طيات ثيابها الداخلية وبهذا نجحت في التسلل الى سويسرا.
وحوكم كُل القادة الفاشيست الذين صوّتوا ضد الدوتشي في المجلس الأعلى ووقعوا في قبضته أمام محكمة خاصة بتهمة الخيانة وحكم عليهم جميعاً بالموت بإستثناء واحدٍ منهم واعدموا رمياً بالرصاص مع تشيانو. ومن بينهم واحد من أقوى مشايعي الدوتشي الأوائل – المارشال اميليو دي بونو Amilio de Bono وهو أحد أعضاء الرابوع الذي تقدم الزحف الفاشي على روما وسلم موسوليني زمام الحكم.

Kursk). لقد عرفت هذه الهجمة (بعملية: قلعة) وكان هتلر يأمل منها تطويق أحسن الجيوش الروسية – مليون مقاتل وهي الجيوش التي دحرت الألمان من ستالينگراد والدون في الشتاء الماضي، فضلاً عن مساعدته على استئناف إندفاعه نحو الدون وربما حتى الڤولگا والزحف من الجنوب نحو موسكو وإحتلالها. إلا أنّ هجومه إنتهى بهزيمة ساحقة وكان الروس مستعدين له.

في ٢٢ تموز بعد أن فقدت فرق الدروع نصف دباباتها، توقف الهجوم الألماني توقفاً تاماً ثم بدأ التقهقر وكان السوڤييت على درجة من الثقة بقوتهم، بحيث لم ينتظروا نتيجة الهجوم وبادروا فوراً بشن هجومهم الخاص ضد جيش (اوريل) اللجب شمال (كورسك) في أواسط شهر تموز. واخترقوا الجبهة بسرعة وكان هذا أوّل هجوم صيفي سوڤييتي في الحرب ومنذ تلك اللحظة لم يفقد الجيش الأحمر المبادأة قط. وفي ٤ آب دفعوا الألمان خارج (اوريل) التي كانت قاعدة الإندفاع الألماني للإستيلاء على موسكو في كانون الأول ١٩٤١.

الآن امتد الهجوم السوڤيتي فشمل الجبهة بطولها. وسقطت خركوف في ٢٣ آب وبعدها بشهر واحدٍ (٢٣ أيلول) أخرج الألمان من مدينة (كونسك) التي تبعد ثلاثمائة ميل الى الشمال الغربي. وهي المدينة التي انطلق منها الجيش الألماني مثل سلفه الجيش الأعظم `Grand Arme الفرنسي بثقة تامة في أولى أشهر الحرب الروسية نحو موسكو في طريق لاحبٍ. وبمجيء نهاية أيلول كانت جيوش هتلر المضيّق عليها الخناق في الجنوب قد تراجعت إلى خط الدنيپر والى خط دفاعي أنشأته من (زابوروجي) الى منعطف النهر جنوب بحر آزوف. وفقد حوض الدونتز الصناعي وبات الجيش الألماني السابع عشر في القرم مهدداً بقطع خط رجعة.

كان هتلر واثقاً من قدرة جيوشه على الصمود في (الدنيپر) وفي المواقع المستحكمة الى الجنوب من (زابوروجي) وهي تؤلف معاً ما عرف "بخط الشتاء" إلا أن السوڤييت لم يقفوا لإلتقاط أنفاسهم بل حتى لإعادة تجميع القوى. وفي الأسبوع الأول من تشرين الأول عبروا الدنيپر من شمال (كييڤ) وجنوبها، وسقطت المدنية في أيديهم في ٦ تشرين الثاني. وما حلت نهاية السنة الفاصلة ١٩٤٣ حتى كانت الجيوش السوڤييتية في الجنوب تدنو من الحدود الپولندية والرومانية مارة بساحات معارك كان جنود هتلر قد حققوا فيها إنتصاراتهم الكبرى الأولى في صيف ١٩٤١ وهم يتوغلون في قلب البلاد الروسية.

ولم يكن هذا كل شيء.

فهنالك إندحاران منيت به حظوظ هتلر في تلك السنة، كانت أيضاً ايذاناً بتحول المدّ عنه: هما خسرانه معركة الاطلنطي، واشتداد وطأة الحرب الجوية التدميرية ليلاً ونهاراً فوق ألمانيا بالذات.

وكما رأينا. أغرقت الغواصات الألمانية في ١٩٤٢ ما زنته ستة ملايين وربع مليون طن من سفن الحلفاء معظمه كان في طريقه الى بريطانيا أو البحر الابيض المتوسط وهي حمولة تضيق بسد ثغرتها أحواض بناء السفن في الغرب ويتعذر جداً رأب صدعها. لكن يد الحلفاء ارتفعت في بداية ١٩٤٣،

وحققت سيطرتها على الغواصات ويعود الفضل في ذلك الى إجراء تحسينات في خطط إستخدام الطائرات ذات المدى البعيد وحاملات الطائرات. أما الفضل الأكبر فيعود الى تركيب اجهزة الرادار في السفن الماخرة وبهذا تمكنت من تعيين مواقع غواصات العدو قبل أن يتسنى لتلك مشاهدتها. في مبدأ الأمر شك الأميرال (دونتز) قائد الأسطول الجديد وربيب حرب الغواصات أن في الأمر خيانة عندما هاله تدمير هذا العدد الكبير من غواصاته بنصب الكمائن لها وإغراقها قبل أن يتسنى لها مشاهدة قوافل الحلفاء. ثم ماعتم أن علم أنه الرادار الذي سبب هذه الخسائر الهائلة وليست الخيانة.

ففي الأشهر الثلاثة شباط وآذار ونيسان أغرق خمسون غواصة وفي أيار وحده دمر سبع وثلاثون وتلك نسبة لايتحملها الأسطول الألماني وقتاً طويلاً. فما كان من (دونتز) إلا وسحب جميع الغواصات من شمال الاطلنطي قبل أن ينتهي أيار وعلى مسؤوليته الخاصة. ثم أعادها في أيلول، الاّ أنها لم تغرق من سفن الحلفاء خلال الأشهر الأربعة الباقية من السنة غير ٦٧ سفينة في حين غرقت ٦٤ غواصة وهي النسبة التي لفظت حكم الموت على حرب الغواصات وحسمت معركة الاطلنطي نهائياً.

في ١٩١٧ إبان الحرب العالمية الأولى كادت الغواصات الألمانية ترغم أنف بريطانيا وتضطرها الى التسليم رغم توقف الجيوش الألمانية في الجبهة الغربية. ومثل هذا الهدف كاد يتحقق أيضاً في ١٩٤٢ مع توقف جيوش هتلر في روسيا وشمال أفريقيا وعندما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تبذلان جهوداً مضنيةً لإيقاف توغل اليابانيين من جنوب غربي آسيا من جهة، ولجمع المعدات والرجال والمؤن لغزو إمبراطورية هتلر الأوروبية من الغرب. فكان فشلها في تحقيق إلحاق أعظم الخطر على الحلفاء بقطع خط النقل البحري في شمال الاطلنطي خلال عام ١٩٤٣ أشد أثراً مما تصوره مقر قيادة هتلر وإن كانت أنباؤه الحقيقية تزيد من ألمه[١٧]، ذلك لأن نقل تلك المعدات الهائلة الجرم من الأسلحة والمؤن قد تم خلال الأشهر الإثني عشر الحاسمة من تاريخ الحرب دون أن تتعرض لها سفينة عدوة في طريقها عبر الاطلنطي وهذا ما جعل الهجوم الحليف على قلعة أوروبا ممكناً في العام التالي.

في تلك الفترة أيضاً وصلت فظائع الحرب الحديثة الى الشعب الألماني. بلغت عقر دارهم وجثمت على أعتاب بيوتهم. لايعلم جمهرة الألمان عن حرب الغواصات إلا القليل. ومع أن أنباء الحرب عن روسيا والبحر المتوسط وإيطاليا كانت تزداد سوءً فهي على كل حال تتحدث عن امور تبعد عنهم مئات من الأميال بل ألوفاً. إلا أن القنابل التي تلقيها الطائرات البريطانية ليلاً والطائرات الأمريكية نهاراً باتت الآن تهدم بيت الألماني، ودائرته أو مصنعه الذي يعمل فيه.

١٧- عندما قام الأميرال دونتز بإبلاغ هتلر في ٣١ أيار، بأن الغواصات قد سحبت من شمال الاطلنطي، انفجر به صائحاً "لن يكون ثم أيّ حديث حول التخلي عن حرب الغواصات. إن الاطلنطي هو خط دفاعي الأول في الغرب". وكان القول اسهل من العمل. ففي ١٢ تشرين الثاني كتب دونتز في يومياته قانطاً "العدو يمسك بيده كل ورقة رابحة. مغطياً كل المناطق بدوريات جوية بعيدة المدى ومستخدماً وسائل تعيين المواقع لانملك ضدها شيئاً ينذرنا بها مسبقاً. العدو يعرف كل اسرارنا ونحن لانعرف أيّ سر له" [كلام هتلر من: مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية - ١٩٤٣ ص١٥٢].

ولم يزر هتلر ولو مرة واحدة تلك المناطق المقصوفة، والظاهر أنه كان يجده واجباً مؤلماً يشق عليه إحتماله. وهذا ما أحزن گوبلز وجعله يشكو مُرّ الشكوى من إغراق الناس له بالرسائل التي تسأله: "لماذا لايزور الزعيم المناطق التي دمرتها الغارات الجوية ولم لايشاهد گورنگ في مكانٍ ما؟" وتصف يوميات وزير الدعاية وصفاً محكماً واقعياً الأضرار المتزايدة نتيجة القصف الجوي في المدن والصناعات الألمانية:

١٦ أيار ١٩٤٣: غارات القاذفات الأمريكية النهارية تخلق مصاعب غير اعتيادية. في (كييل)... الأضرار في المنشآت العسكرية والتكنولوجية التابعة للأسطول خطيرة جداً... ولو استمر هذا فستكون العواقب وخيمة. والآثار خطيرة لايمكن تحملها في المدى الطويل...

٢٥ أيار ١٩٤٣: الغارة الليلية البريطانية على (دورتموند Dortmund) كانت شديدة الوطأة بصورة غير مسبوقة، ربما كانت أشد غارة شنت على مدينة ألمانية... التقارير من (دورتموند) جد فظيعة... ضربت المنشآت الصناعية ومعامل الذخيرة ضرباً مبرحاً... بين ثمانين ألف ومائة ألف من السكان لا مأوى لهم... الناس في الغرب بدأوا يفقدون شجاعتهم تدريجاً... تلك هي جهنم التي لاتحتمل... مساء هذا اليوم جاءني تقرير [آخر] عن (دورتموند)، الدمار عام شامل في الواقع لم يبق منزل واحد صالح للسكن...

٢٦ تموز ١٩٤٣: في الليل، غارة عنيفة جداً على هامبورگ... النتائج على أقصى درجة من الخطورة جسيمة في الأرواح والمنتوج الحربي... انها لكارثة واي كارثة.

٢٩ تموز ١٩٤٣: أثناء الليل دهمتنا اشد غارة عرفتها هامبورگ قامت بها بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ قاصفة، بعث اليّ كاوفمان Kaufmann [گاولايتر المنطقة] باول تقرير عنها... يتكلم عن نكبة تفوق الخيال، مدينة يسكنها مليون من البشر دمرت بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ. نحن نواجه الآن مشاكل يكاد حلها يكون ضرباً من المحال. علينا أن نوفر طعاماً لهذا المليون، وان نوجد لهم الملجأ، يجب اخلاء السكان الى ابعد مسافة ممكنة وأن يمنحوا الكساء. ومجمل القول نحن نواجه هناك مشاكل ما كانت في الحسبان قبل بضعة أسابيع... يتحدث (كاوفمان) عن ثمانمائة ألف شخص دون ملجأ يجوبون الشوارع هائمين على اوجههم لايدرون ما يصنعون.

مع الأضرار الكبيرة التي نزلت بالمصانع الحربية الألمانية المعروفة وبخاصة تلك التي تنتج الطائرات المقاتلة و(البولبيرينات) والسفن والفولاذ والبترول للنفاثات الجديدة ومحطة الصواريخ التجريبية الهامة التي يعلق عليها الآمال الجسام ومع القصف المستمر للسكك الحديد ووسائط النقل المائية[١٨]،

١٨- في شهر أيار ١٩٤٣ قامت طائرة استطلاع من القوة الجوية البريطانية بتصوير منشآت (بينيموندة Peenemunde) بناء على اشارة معلومات ارسلها رجال المقاومة السرية البولنديون الى لندن تفيد أن كُلاً من طائرة نفاثة بدون طيار ذاتية الحركة (عرفت فيما بعد بـ(ث-١) أو قنبلة (بز) Buzz وصاروخاً (ث-٢) يجري تطويرهما في ذلك الموقع. =

فإن الإنتاج الحربي الألماني لم يطرأ عليه نقصان محسوس عند وصول القصف الأمريكي ذروته خلال ١٩٤٣. وهذا مرده من جهة - إلى إتساع رقعة الإنتاج وزيادته المطردة في مصانع المناطق المحتلة ولاسيما في چيكوسلوڤاكيا وفرنسا وبلجيكا وشمال إيطاليا. وكلها خارج منطقة القصف.

وأعظم الضرر الذي احدثته الغارات الجوية الأنگلو أميريكية - كما اوضح (گوبلز) في يومياته هو في البيوت وفي معنويات الشعب الألماني تلك التي كانت كما يذكر الكاتب - مرتفعة منتعشة بالتقارير الحافلة باخبار السلاح الجوي الألماني وضرباته الماحقة التي يسددها للعدو ولاسيما الدمار الذي احدثه في إنگلترا. وكانوا واثقين بأن هذه المآثر الجوية ستختصر الحرب وتنهيها بأسرع وقت ممكن. وها هم أولاء في عام ١٩٤٣ وقد بدأوا هم أنفسهم يرزحون تحت وطأة الحرب الجوية، وينوؤن بأعظم ثقلٍ منها. ويشاهدون حولهم من الدمار ما لم يحدثه سلاحهم الجوي في الآخرين حتى في لندن ١٩٤٠-١٩٤١. لامشاحة في أن الشعب الألماني احتملها بشجاعة وبلامبالاة مثلما كان موقف الشعب البريطاني منها. إلا أنها كانت جهداً عنيفاً يضغط على أنفسهم. وليس بعجيب أن يبدأ اليأس ينخز في قلوبهم ويدركوا انها بداية النهاية ماوراءها غير الهزيمة، بآمالهم المنهارة في روسيا وشمال أفريقيا وإيطاليا وبمدنهم من أقصى الرايخ الى أدناه تطحن من الجو طحناً.

وكان الجنرال هالدر العاطل الآن سيتناول القلم ليكتب عن هذا فيما بعد "عندما شارفت السنة ١٩٤٣ على نهايتها بدا واضحاً وضوح الشمس ان الحرب منيت بالخسران المحقق[١٩]".

ولم يبلغ الجنرال (يودل) هذا الحد من التشاؤم في التفكير في خطابه الكئيب الخاص الذي ألقاه في مونيخ على حكام المناطق النازيين في ٧ تشرين الثاني ١٩٤٣ قبل الإحتفال بذكرى إنقلاب مشرب البيرة بيوم واحد. الاّ ان الصورة التي رسمها للموقف في بدء السنة الخامسة للحرب كانت سوداء كالحة لازيادة فيها لمستزيد "ان مايجثم اليوم على صدر الجبهة الداخلية، وما يحدثه هذا من رد فعل في خطوط الجبهة، انما هو غارات العدو الإرهابية التي يشنها من الجو على منازلنا أي على زوجاتنا واطفالنا. وقد اتخذت الحرب بهذا الإعتبار... (والسبب هو بريطانيا) أنماطاً لم تتخذها الحرب منذ أيام الحروب العنصرية والدينية ولم يكن متصوراً انها ستقع..."

"ان تأثير هذه الغارات الإرهابية من النواحي النفسية والمادية والمعنوية شديد الى الحد الذي بات يحتم علينا العمل على التخفيف منه ان لم يكن وقفه التام ممكناً..."

هذا المرجع الألماني الثقة تولى بالوصف نتائج هزائم ١٩٤٣ أدق وصف وابدعه، وكان بهذه المناسبة

= فقامت القاصفات البريطانية بالإغارة على "بينيموندة" وألحقت عطبا كبيراً بالمنشآت وأخرت البحوث والفحوص أشهراً عديدة وفي تشرين الثاني تمكن السلاحان الجويان الأنگلو أمريكي من تعيين (٦٣) موقع إطلاق (ڤ-١) عبر القنال. وفي خلال المدة بين كانون الأول وشباط إستطاعا تدمير (٧٣) موقع إطلاقٍ وكان ما بني منها آنذاك ٩٣ قاعدة إطلاق. [ان مصطلح (ڤ-١) و(ڤ-٢) هو من اللفظة الألمانية Vergeltungswaffen أو سلاح الإنتقام]. وكانت دعاية گوبلز تطبل لها وتزمر في العام ١٩٤٤ الأسود.

١٩- هالدر: هتلر سيد الحرب، ص٥٧.

بالذات يتكلم بلسان (الزعيم). استطرد يقول:

"إن شيطان الهدم والتخريب يسرح ويمرح في البلاد طولاً وعرضاً والجبناء كافةً يحاولون إيجاد وسيلة أو مخرج، أو ما اطلقوا عليه عبارة -الحل السياسي- فهم يرون وجوب التفاوض في الوقت الذي مايزال يوجد في يدنا شيء..."(٢٠)

لم يكن البحث عن مخرج ما، قاصراً على "الجبناء"، فهذا الدكتور گوبلز نفسه وهو اشد أتباع هتلر إخلاصاً وتحمساً وتعلقاً، يريد ان يجد مخرجاً قبل ان تشارف السنة ١٩٤٣ على النهاية. وقد كشفت يومياته عن إجهاد عقله لا في موضوع التفاوض أم عدم التفاوض لعقد السلم. بل أيّ جانب يختار للتفاوض، روسيا أم الغرب. وهو لم يتكلم حول ضرورة السلم من خلف ظهر هتلر، كما فعل آخرون فهو جريء صريح ولم يتورع من مفاتحة زعيمه رأساً. في ١٠ أيلول ١٩٤٣ كان قد أستدعي الى قصر القيادة في راشتنبرگ على اثر نبأ إستسلام إيطاليا، فراح يكلم هتلر في موضوع إمكان إجراء مفاوضات لأجل السلم. ودوّن ذلك في يومياته: "تعرض المشكلة نفسها مبدئياً. بالسؤال عن إختيار الجانب الذي سنفاتحه أولاً. (ألمسقوف) ام الأنگلو أمريكان... ينبغي لنا ان ندرك ولامندوحة، انه يصعب جداً خوض حربٍ ناجحة على الجبهتين".

ووجد هتلر "قلقاً بعض الشيء" لإحتمال غزو الحلفاء للغرب ولحراجة الموقف في الجبهة الروسية. مما يورث الحزن أننا لانملك اية معلومات عمّا تبقى لستالين من الإحتياطي. وأنا اشك والحالة هذه، بإمكان نقل عدد من فرقنا في جبهة المشرق الى ميادين حربٍ أوروبية أخرى".

بعد أن دوّن گوبلز طائفة من آرائه الجديدة الخاصة، التي كانت تبدو له قبل أشهرٍ آراء إندحارية تنطوي على الخيانة، دنا من هتلر مفاتحاً: "سألت الزعيم هل ينوي محاولةً ما مع ستالين عاجلاً كان ذلك أم آجلاً. فقال ليس الآن... ومهما يكن فهو يرى أن عقد صفقة مع الإنگليز أقرب منالاً مما هي مع السوڤييت... وهو يعتقد ان الإنگليز سيثوبون الى رشدهم في اللحظة المناسبة. أما أنا فأميل الى إعتبار ستالين أسهل واقرب منالاً، لأنه سياسي واقعي عملي أكثر من چرچل. إن چرچل أحد المغامرين الخياليين لايمكن لأحد ان يكلمه بالعقل والمنطق".

في تلك اللحظة السوداء المكفهرة من أفاعيلهم راح هتلر وأعوانه يتشبثون تشبث الغريق بقشةٍ

٢٠- لربما كانت محاضرة يودل وعنوانها "الموقف الستراتيجي في بداية السنة الخامسة من الحرب" أهم مرجعٍ مفصلٍ نملكه الآن، عن الموقف العصيب في آخر ١٩٤٣ كما يراه هتلر وجنرالاته. انها أكثر من محاضرة سرية ألقيت على قادة الحزب السياسيين فقد طرزتها عشرات من الوقائع والمقتبسات عن أكثر الوثائق سرية، من "مقر قيادة الزعيم" وكان يودل يرجع اليها مستشهداً بها في أقوالَه. ويأخذها بمجموعها فانها تكشف لنا عن أدق مراحل تاريخ الحرب كما يراها هتلر الذي يبدو أنه أشرف على إعداد تلك الخطبة. ومع نظرته السوداء الى الوضع الحاضر، فقد كان اشد قنوطاً حول المستقبل واصاب في تكهنه بأن الغزو الأنگلو أمريكي المقبلَ للغرب "سيقرر نتيجة الحرب وأن القوات التي نملكها لن تكون كافية" لصد الغزو. [لقد اقتبست كثيراً من محاضرة يودل هذه في كتابي يوميات برلين. الص ٢٧٠-٢٨٦: النص (بالإنگليزية) في مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٧، الص ٩٢٠-٩٧٥].

طافية. قشة الأمل الخائب وهي أن الحلفاء سيختلفون وينشقون على أنفسهم وسيدب في أمريكا وبريطانيا الخوف من إحتمال إجتياح الجيش الأحمر أوروبا، وهذا ما سيدفعهما الى توحيد الصف مع ألمانيا لحماية القارة العريقة من حجافل الشيوعية. أسهب هتلر قليلاً في بحث هذا الإحتمال أثناء إجتماعه بـ(دونتز) في آب. وهاهو الآن يعود لبحثه مع گوبلز في شهر أيلول.

"[استرسل گوبلز في يومياته] الإنگليز لايريدون أوروپا شيوعية بأي حالٍ من الأحوال... وحينما يدركون ذلك... يتحتم عليهم أن يختاروا أحد أمرين، الشيوعية؟ أو التقرب نوعاً ما من القومية الإشتراكية. ولاشك في انهم سيظهرون ميلاً الى التساوم معنا... چرچل نفسه عدو عريق للشيوعية وتعاونه مع موسكو اليوم هو من مقتضيات المصلحة."

الظاهر أن هتلر وگوبلز نسيا مَنْ تعاون مع موسكو بالدرجة الأولى! وختم گوبلز وقعة يوميته مجملاً مناقشته مع هتلر هو موضوع السلم، قال:

"سنواجه عاجلاً أم آجلاً مسألة التقرب من أحد العدوين... لن تكون ألمانيا موفقة قط في حربٍ على جبهتين. كما انها لن تتمكن من تحمل أعباء هذه الحرب في المدى الطويل أيضاً". لكن ألم يتأخر به الوقت للتأمل في هذا؟

عاد گوبلز الى مقر القيادة في ٢٣ أيلول. وتبيّن له في أثناء نزهة صباحية له مع هتلر، أنه أكثر تشاؤماً بكثير مما وجده فيه قبل أسبوعين، بخصوص أمل التفاوض في سبيل السلم مع جانب واحدٍ للإستمتاع بحرب على جبهة واحدة. "لايعتقد (الزعيم) إمكان تحقيق أيّ شيء عن طريق المفاوضات في الوقت الحاضر، فإنگلترا لم تصب باعياءٍ... وفي المشرق الأمور غير مواتية طبعاً في الوقت الحاضر... فستالين متفوق الآن". وفي ذلك المساء تناول هتلر وگوبلز طعام العشاء معاً منفردين. "سألت (الزعيم) أهو مستعد للمفاوضة مع چرچل؟... لايعتقد أن التفاوض مع چرچل قد يؤدي الى نتيجة لكونه شديد التمسك بآرائه المعادية. فضلاً عن أن الكره يحكم تصرفاته لا العقل. والزعيم يفضل التفاوض مع ستالين إلا أنه لايؤمن بجدواه... قلت للزعيم، مهما يكن الوضع فالواجب يحتم علينا الوصول الى إتفاق ما مع أحد الطرفين. إن الرايخ لم يربح حتى الآن حرباً على جبهتين وعلينا أن نجد وسيلة للخلاص من الحرب على جبهتين".

كان هذا عملاً أصعب جداً مما يتصوره أولئك الذين دفعوا ألمانيا بكل سهولةٍ الى حربٍ في جبهتين. لكن هتلر في مساء هذا اليوم من أيلول ١٩٤٣ أفصح أخيراً ولبضع لحظات على الأقل عن مخاوفه وتشاؤمه وراح يتلمض بحلاوة السلم في الخيال، حتى أنه بيّن كم "يحن للسلم".

"قال [الكلام لگوبلز] كم سيكون سعيداً إذ يعيد صِلاته بالأوساط الفنية، ويغشى المسرح ويزور نادي الفنانين[٢١]."

٢١- المقترحات الآنفة عن يوميات گوبلز الص ٤٢٨-٤٤٢ و٤٦٨ و٤٧٧-٤٧٨. حديث هتلر مع دونتز في آب ١٩٤٣. نقله الأميرال في "مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية" ١٩٤٣، الص ٨٥-٨٦.



هتلر بدون قناع (من رسم أحد السجناء النمساويين)

لم يكن هتلر وگوبلز الشخصين الوحيدَين في ألمانيا اللذين ساورتهما أفكار السلم، وقلّبا فرص الحصول عليه ووسائل بلوغه وقت أن دخلت الحرب سنتها الخامسة. فقد دبت الحركة في المؤتمرين أعداء النازية الخائبون أولئك زاد عددهم الآن إلا أنه مازال صغيراً جداً. فطفقوا يتدبرون أمرهم ويولونه جانباً من تفكيرهم، لاسيما وهم الآن متأكدون من خسران الحرب وإن كانت جيوش هتلر تقاتل في أراضٍ أجنبية. لقد توصل معظمهم لا كلهم، ببعض تردد وبعد تغلبهم على أشد تجارب الضمير وشكوكه. إلى الاستنتاج الأخير بأن الوصول الى السلم الذي قد يحفظ للوطن كياناً فيه بعض كرامةٍ، لن يكون إلا بالقضاء على هتلر بقتله وإزالة آثار القومية الإشتراكية من وجه ألمانيا.

واقبلت السنة ١٩٤٤ بالحقيقة التي لاجدال فيها عن قرب قيام الجيوش الأنگلو أمريكية بالإنزال في أوروبا الغربية قبل مضي جانب كبير من السنة، وباقتراب الجيوش الحمراء من حدود الرايخ وبالمدن الألمانية العتيقة العظيمة التي لن تلبث ان تصبح أنقاضاً ينعق فيها البوم بإشتداد وطأة القصف الجديد[٢٢]. وفي وسط يأس المؤتمرين عقدوا الخناصر للقيام بمحاولة واحدة أخيرة لقتل الدكتاتور النازي والإطاحة بنظامه قبل أن يجر معه ألمانيا إلى هاوية الدمار التام.

كانوا يعلمون أن الوقت قصير، وهم لايملكون منه الكثير.

٢٢- كتب گويردلر الى الفيلدمارشال فون كلوگه في تموز ١٩٤٣ بعد زيارته المناطق التي تناولها القصف الجوي في غرب ألمانيا "إن مجهود ألف سنة من العمل لم يعد إلاّ خرائب وأنقاضاً" وقد توسل في رسالته هذه للجنرال المذبذب للإنضمام الى المؤتمِرين والقضاء على هتلر "وجنونه".

الفصل الثالث

غزو الحلفاء غرب أوروبا
ومحاولة قتل "هتلر"

-١-

بلغت محاولات المؤتمرين لإغتيال هتلر زهاء الست في عام ١٩٤٣. أخفقت واحدة منها عندما لم تشأ أن تنفلق القنبلة الموقوتة التي وضعت في طائرة (الزعيم) وهي محلقة به خلف الجبهة الروسية.

طرأ تغير كبير على حركة المقاومة في تلك السنة. فقد يئس المؤتمرون من الفيلدمارشالات أخيراً عندما وجدوهم أجبن بل أغبى من أن يحاولوا إستغلال مراكزهم وسلطانهم العسكري للإطاحة بسيدهم الأعلى. لقد ظل (گويردلر) لولب حركة المقاومة وزناد شرارتها السياسية يتوسل شخصياً بالفيلدمارشال فون كلوگه قائد مجموعة جيوش الوسط في لقائه السري به خلال تشرين الثاني ١٩٤٢ في غابة على مبعدة من (سمولنسك) للمساهمة مساهمة فعالة في عملية التخلص من هتلر حتى أقنع الفيلدمارشال المتردد الذي لم يمر زمن طويل على قبوله هديةً ثمينة من الزعيم[1]. لكنه مالبث أن أحجم بعد بضعة أيام وكتب للجنرال (بيك) في برلين بعدوله.

وبعد مرور أسابيع قليلة عمل المؤتمرون على إستمالة الجنرال پاولوس المطوق مع جيشه السادس في ستالينگراد وقد ظنوا فيه حاقداً مغتاظاً من (الزعيم) بعد أن أوقعه في هذا الشرك. وتوسموا فيه الإقدام على إصدار نداء الى الجيش للإطاحة بالطاغية الذي حكم على ربع مليون جندي ألماني بهذه الميتة الشنعاء. فارسل اليه الجنرال (بيك) نداءً شخصياً، حمله الى المدينة المحاصرة سراً ضابط طيار عن طريق الجو، وكما مر بنا كان رد پاولوس سيلاً دفاقاً من برقيات الراديو مفعمة بالإخلاص والولاء لزعيمه، ولم يستيقظ من غفلته الاّ بعد دخوله موسكو... اسيراً.

بعد خيبتهم في (پاولوس) قضوا بضعة أيام يعلقون آمالهم على رحلة كلوگه ومانشتاين الى

١- في ٣٠ تشرين الأول تسلم (كلوگه) بمناسبة عيد ميلاده الستين صكاً من هتلر بمبلغ ربع مليون مارك (أي ١٠٠٠٠٠ دولار بسعر النقد الرسمي) مصحوباً بإجازة خاصة تسمح له بإنفاق نصف المبلغ على إدخال تحسينات في مزرعته فقبل الفيلدمارشال الهديتين دون أن يعتبرهما إهانةً لأمانته وشرفه بوصفه ضابطاً ألمانياً (شلابرندورف: كادوا يقتلون هتلر، ص٤٠) ويعدها عندما انقلب كلوگه على هتلر قال هذا لضباطه "لقد رقيته بنفسي مرتين وقلدته أرفع الأوسمة ومنحته مقاطعة واسعة... وإعانة كبيرة علاوة على مرتب الفيلدمارشال..." [گلبرت: هتلر يشرف على توجيه حربه، الص ١٠١-١٠٢، مدونة إختزالية لمؤتمر هتلر في المقر العام ٣١ آب ١٩٤٤].

راشتنبرگ بالطائرة بعيد نكبة ستالينگراد فقد ساد وهم أنهما راحا الى الزعيم ليطلبا منه النزول لهما عن قيادة الجبهة الروسية. قالوا: ان نجحت هذه (المشية) فلتكونن بدء حركة إنقلابية في برلين. ومرة أخرى وقع المؤتمرون ضحايا خيالاتهم الحافلة بالمُنى، وحقيقة الأمر ان الفيلدمارشالَين لم يقصدا مقر القيادة الاّ لتقديم فروض الولاء للقائد الأعلى.

وهتف بيك بمرارة: لقد تُركنا وحدنا.

وتأكد له ولأصدقائه من العبث ان يتوقعوا مساندة فعلية من قادة الجبهة الأقدمين. فإلتفتوا وهم في غمرةٍ من اليأس الى مصدر القوة العسكرية الباقي الوحيد. توجهوا بانظارهم الى الـ(إيرزاتسهير Ersatsaheer) الجيش الداخلي أو جيش الإحتياطي الذي يتعذر إطلاق صفة الجيش عليه. فهو في الواقع خليط من المجندين المستجدين تحت التدريب، ومن مختلف جنود الحاميات المتقدمين في السن الذين يقومون بواجبات الحراسة داخل ألمانيا على انهم مسلحون على الأقل. فبوجود وحدات الميدان القوية التابعة للحرس الأسود بعيداً في الجبهة يكفي هذا الجيش الخليط لإحتلال برلين وبعض المدن الهامة الأخرى حالما يقتل هتلر.

الا ان المعارضة لم تتفق تماماً على ضرورة عملية الإغتيال، أو على تحبيذه.

فحلقة (كرايسّاو) مثلاً ظلت تعارض بكل شدة هذا العمل العنيف. كانت هذه الحلقة الشاذة العجيبة المؤلفة من رهط من الشباب المثقف المثالي النزعة تلتف حول عميدي أسرتين من أعرق الأسر الألمانية الأرستوقراطية وأبعدها صيتاً. وهما (الكونت هلموت جمس فون مولتكه) وهو حفيد شقيق الفيلدمارشال فون مولتكه قائد الجيش البروسي في نصره على فرنسا في ١٨٧٠، والكونت بيتر يورك فون ڤارتنبرگ Count Peter Yorc von Wartenburg السليل المباشر والحفيد الأخير للجنرال يورك الشهير في عصر ناپوليون الذي وقع مع (كلاوسڤيتز Clausewitftz) ميثاق (تاوروگن Tauroggen) مع القيصر الإسكندر الأول وبمقتضاه إنضم الجيش البروسي الى الطرف الآخر فرجح الكفة وادى الى سقوط ناپوليون.

وجاء اسم الحلقة من اسم مقاطعة (مولتكه) في كرايسا وسليزيا ولم تكن حلقة تآمرٍ بل حلقة نقاش وتبادل آراء[٢] واعضاؤها يمثلون مقطعاً عرضياً مجسماً للمجتمع الألماني السابق لمجيء النازيين وهو المجتمع الذي يأملون إعادته بعد أن ينزاح الكابوس الهتلري.

وكانت جمعيتهم تضم قسَّين يسوعيين وكاهنين من الشيعة اللوثرية واشخاصاً من المحافظين والأحرار والاشتراكيين، واقطاعيين كباراً وزعماء نقابات سابقين واساتذة ودبلوماسيين. ومع إختلاف طيناتهم ومنازعهم وآرائهم فقد أفلحوا بكيفية ما في اللقاء على صعيد واسع الجوانب. مكنهم من إنجاب الآراء الفكرية والروحية والخلقية والفلسفية والسياسية الى حدٍ ما، لمناهضة الهتلرية. وان نحن

٢- كتب مولتكه لقرينته قبيل تنفيذ حكم الموت فيه "انهم يشنقوننا لكوننا فكرنا مجتمعين".

حكمنا على الآثار الكتابية التي خلفوها (ولم ينجُ أحد منهم من حبل المشنقة) وما رسموه من خطوط فيها لحكومة المستقبل، وما وضعوه للمجتمع الجديد من أسس إقتصادية وإجتماعية وروحية، تبين لنا أن هدفهم كان إقامة نوع من الإشتراكية المسيحية؛ يكون الناس فيها إخواناً سواسيةً. ويتم على يدها شفاء كل الادواء الوبيلة -ضلة النفس البشرية- التي تشكو منها الأزمنة الحديثة.

كانت آراؤهم شريفة سامية في الغيوم البيض؛ وعليها أضفوا مسحة من التصوف الألماني.

لكن هؤلاء الشباب ذوي الفكر الثاقب والمنازع الرفيعة كانوا يتحلون بصبر طويل عجيب. أبغضوا هتلر وإشمأزوا من العار الذي جلبه على أوروپا وألمانيا، لكنهم لم يهتموا قط بإزاحته. كانوا يؤمنون بأن هزيمة ألمانيا الآتية كفيلة بتحقيق هذا الغرض ولهذا انصرفوا انصرافاً كاد يكون تاماً الى التفكير فيما سيأتي به الزمن التالي. وكتب مولتكه في ذلك الحين "عندنا... أن مسألة أوروپا ما بعد الحرب هي مسألة كيفية إعادة تثبيت صورة الإنسان في قلوب إخواننا المواطنين".

كانت (دوروتي تومسن Dorothy Thompson) الصحافية الأمريكية الشهيرة على معرفة بحلقة (كرايساو) بحكم وجودها في ألمانيا عدة سنين. كما ربطتها بمولتكه صداقة قديمة متينة العرى. وفي إذاعة لها من نيويورك على الموجة القصيرة موجهة الى (هانس) خلال صيف ١٩٤٢ راحت تتوسل بصديقها لينزل من قمة الجبل الى الواقع وناشدته وأصدقاءه أن يقوموا بعمل ما ليتخلصوا من الدكتاتور الشيطان المريد. وقالت مُحاوِلة تذكيره بالواقع "نحن لانعيش في دنيا الأبرار القديسين، إننا بشر!". قالت: "في آخر مرة تم ياهانس لقاؤنا، وشربنا الشاي معاً في تلك الشرفة الجميلة على البحيرة. قلتُ لك: في يومٍ ما ستجد نفسك مضطراً الى أن تثبت بالأعمال والعنيف من الأعمال، أين ستكون وقفتك... وأذكر أني سألتك: ألديك ولدى أصدقائك ما يكفي من الشجاعة للعمل؟"[٣]

كان سؤالها في غاية العمق. والظاهر أن جواب مولتكه وأصدقائه اظهار المزيد من الشجاعة في الكلام لا في العمل، وبسبب ذلك أعدموا الحياة.

كان نقصهم في عقولهم لا قلوبهم (لأنهم واجهوا الموت الظالم بشجاعة عظيمة)، هو سبب الخلاف الجذري بين حلقتهم وحلقة بيك- گويردلر- هاسل المؤتمرة، وإن كان هؤلاء الأخيرون أنفسهم في خلافٍ حول طبيعة الحكومة وشكلها. بعد إزاحة الحكم النازي.

وكان ثم عدة إجتماعات تمهيدية بين المجموعتين تبعها مؤتمر عام في منزل (پيتر يورك) في كانون الثاني ١٩٤٣ برآسة الجنرال (بيك) الذي وصفه هاسل في يومياته "على شيء من الضعف والتحفظ"[٤] وفي هذا الإجتماع اشتبك "الصغار" مع "الكبار" (والتعبير لهاسل) في مناقشة حامية حول سياسة المستقبل الإقتصادية والإجتماعية. أدت الى اصطدام مولكته بگويردلر. ووجد (هاسل) في رئيس بلدية لايبزگ السابق "رجعية موغلة" وفي ميول مولتكه " أنگلوسكسونية إستسلامية

٣- دوروتي تومسن "إسمعني ياهانس" الص ١٣٧-١٣٨ و٢٨٣.
٤- هاسل: المرجع السالف، ص٢٨٣.

وكان الگشتاپو ممثلاً في الإجتماع أيضاً وسجل... الكثير، وعرض في المحاكمات التالية للمشاركين فيه تفاصيل مدهشة مسهبة للاحاديث التي جرت.

كان هملر قد أصبح وهو يقفو آثار المؤتمرين على مسافة هي أقرب اليهم من حبل الوريد. وتلك نكتة من نكات القدر فيها شذوذ وغرابة اتصلت بحكايتنا هذه في هذه المرحلة من ١٩٤٣، والنصر يوشك أن يفلت وبوادر الهزيمة تلوح في الأفق. هذا الرجل ذو الخلق الهادي، الشديد العطش للدم زعيم الحرس الأسود وسيد الشُرطة في الرايخ الثالث بدأ يهتم إهتماماً شخصياً لايُبطن فيه أي سوءٍ عموماً - بأمر المقاومة التي تربطه بعددٍ من اعضائها صلات صداقة؛ ومما يدل على عقليات طائفة من هؤلاء المؤتمرين أن بعضهم ولاسيّما (يوپيتز) رأى في هملر خلفاً لائقاً لهتلر؛ وزعيم الحرس الأسود الذي بدا ظاهر الحماسة في إخلاصه لزعيمه راح هو الآخر يرى تلك اللياقة في نفسه واستمر الى النهاية تقريباً يلعب لعبته المزدوجة متربصاً، ولم يتعفف أثناءها عن ازهاق ارواح عدد كبير من أشجع المؤتمرين.

الآن صارت المقاومة تعمل في ميادين ثلاثة: أولها حلقة (كرايساو) بإجتماعاتها الكلامية التي لاتنتهي، مستهدفة تحقيق العصر الالفي السعيد Millennium، وثانيها حلقة (بيك) وهي أقرب الى الواقع من الأولى تعمل جاهدة لإيجاد وسيلة يتم بها ازهاق روح هتلر وتسلم مقاليد الحكم. كما كانت تجري مع الغرب إتصالات لإبلاغ الحلفاء الديمقراطيين بما سيحدث ويستفسروا ايضاً عن شكل السلم الذي ستناله منهم الحكومة الجديدة المناهضة للنازية[٥]. وتمت هذا الصلات في سويسرا واستوكهولم.

كثيراً ما التقى گويردلر في العاصمة السويدية بالصيرفيَين الأخوين ماركوس وياكوب ڤاللنبرگ Marcus & Jakob Wallenberg اللذين تربطه بهما صداقة متينة بعيدة. وكان لهذين علاقات تجارية وصلات شخصية في لندن. وفي لقاء (لگويردلر) في نيسان ١٩٤٢ طلب من (ياكوب) الإتصال بچرچل. إذ اراد المؤتمرون تأكيدات من رئيس الوزراء البريطاني بقبول الحلفاء عقد صلح مع ألمانيا إن هم اعتقلوا هتلر وأطاحوا بنظامه النازي. فاجابه (ياكوب) ان ما يعلمه عن الحكومة البريطانية يجعله يستبعد الحصول منها على مثل هذا الوعد.

وبعد هذا بشهر واحدٍ اتصل رجلا دينٍ لوثريان بالبريطانيين في ستوكهولم وهما (هانس شوينفلد Hans Shoenfeld) عضو مكتب العلاقات الخارجية للكنيسة الانجيلية الألمانية، وراعي الابرشية (ديتريش بونهويفر Dietrich Bonhoeffer) وهو من رجال الدين المشهورين والمؤتمرين النشطين. إذ ما أن بلغه مقدم الدكتور المطران جورج بل Dr. George Bell أسقف (چستر) الى ستوكهولم حتى أسرع اليها

٥- جاء في بعض المذكرات التي دوّنها بعض الألمان أن النازيين كانوا في ١٩٤٢ و١٩٤٣ قد اتصلوا بالسوڤييت بأمل إنهاء الحرب بإجراء مفاوضات صلح. حتى آل الأمر الى ان عرض ستالين نفسه ان يبدأ المباحثات حول صلح منفرد وقد اطنب ريبنتروب في وصف مجهوداته الشخصية ودوره للإتصال بالروس في أثناء الإدلاء بأقواله أمام محكمة نورمبرگ (بيتر كلايست) الذي كان يشتغل لحساب ريبنتروب في ستوكهولم في كتابه Zwischen Htller und Stalin [إفادة ريبنتروب في: محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج١٠، ص٢٩٩]. ولست استبعد ان فصلاً هاماً في التاريخ قد يزاح عنه الستر في هذه القضية عندما يغربل كل الوثائق السرية الألمانية ويمحص.

للقائه متنكراً بهويةٍ مزيفة زوّده بها العقيد أوشتر من آلابويهر (دائرة الإستخبارات العسكرية).

وابلغ رجلا الدين المطرانَ بخطط المؤتمرين واستفسرا گويردلر عن مدى إستعداد الحلفاء الغربيين لعقد صلح شريف مع حكومة غير نازية بعد إزاحة هتلر. وطلبا الإجابة إما برسالة خاصة واما بتصريحٍ رسمي. ولكيما يزيدان إهتمام المطران ويثبتان له جدية المؤامرة زوده (بونهويفر) بقائمة تتضمن اسماء أقطاب المؤتمرين – وكان عملاً طائشا كلفه حياته، وساعد على الإطاحة برؤوس الكثيرين من زملائه.

كانت هذه المعلومات آخر ماوصل الحلفاء من المقاومة الألمانية وخططها وأدقها. ولم يضع المطران وقتاً في نقلها إلى (انطوني إيدن) وزير الخارجية البريطاني فور عودته الى لندن في حزيران. إلا أن الوزير إيدن الذي كان قد إستقال في ١٩٣٨ إحتجاجاً على ايغال چمبرلين في سياسة تهدئة هتلر. كان كثير الشك في جدوى المحاولة ونقلت معلومات مماثلة الى الحكومة البريطانية في ذلك الزمن عمن زعموا انهم مؤتمرون ألمان منذ أيام مونيخ ولم يظهر شيء من أعمالهم. ولهذا لم يصدر أي رد من الحكومة البريطانية[٦].

كانت صلة رجال المقاومة الألمان بالحلفاء في سويسرا تتم عن طريق (آلن دللس) غالباً، وهو رئيس الدائرة الستراتيجية للولايات المتحدة هناك منذ ١٩٤٢ حتى ختام الحرب. وكان أكثر المتصلين به (هانس كيزيفيوس) الكثير التنقل بين (برن) و(برلين) وهو من انشط المؤتمرين كما مَرّ بنا. كان (كيزيفيوس) يعمل لحساب الإستخبارات العسكرية الألمانية (آبفيهر). وبالفعل عين بوظيفة نائب قنصل في القنصلية الألمانية العامة في زوريخ وقصرت مهمته الاصيلة على تسليم رسائل (بيك وگويردلر) الى (دللس) وأن يحيط هذا علماً بآخر ما يستجد من معلومات حول الكيد لهتلر. ومن المتصلين الألمان الآخرين الدكتور شوينفلد Dr. Schoenfeld و(تروت زو صولز Trott Zo Solz) والأخير منهما عضو في حلقة (كرايساو) ومن المؤتمرين بهتلر. وقد أرسل مرة (كما ارسل قبلها مرات) لانذار (دللس) بأنّ المؤتمرين سيتوجهون الى الإتحاد السوڤيتي إن رفضت ديمقراطيات الغرب التفكير في عقد صلح مشرّف مع حكومة ألمانية معادية للنظام النازي. إلا أن (دللس) الذي كان يعطف عليهم شخصياً لم يستطع تقديم اية تأكيدات[٧].

إن المرء ليدركه العجب من أقطاب المؤامرة الألمان هؤلاء، في إستماتتهم وبذلهم المستحيل وإصرارهم على تسوية ٍسلمية مناسبة في صلحهم مع الغرب، في حين كانوا كثيري التردد في موضوع ازهاق روح هتلر حتى يحصلوا على التأكيد المنشود من الحلفاء. والمرء لايسعه غير التساؤل: إن كانوا يجدون النازية شراً داهماً كما يزعمون دائماً (وبصدقٍ منهم بلاشك) فالمنطق يقضي عليهم أن يركزوا كل مجهوداتهم في محاولة الإطاحة بهذا النظام وصاحبه، بغض النظر عما سيكون شكل معاملة

٦- جورج بل: "الكنيسة والإنسانية" الص ١٦٥-١٧٦، كذلك هويلر بينيت "نمسيس: الص ٥٥٣-٥٥٧.

٧- الن دللس: المرجع السالف الص ١٢٥-١٤٦، يثبت دللس نص المذكرة التي كتبها له ياكوب ڤاللنبرگ عن إجتماعه بگويردلر.

الغرب للنظام الذي سيقيمونه. والمرء يميل والحالة هذه الى الإعتقاد بأن كثيراً من هؤلاء "الألمان الطيبين" وقعوا بكل سهولة في شرك إلقاء اللوم على العالم الخارجي في فشلهم الخاص، كما فعل بعضهم -لسوء حظ ألمانيا- بعد الحرب الخاسرة الأولى، حتى مهدوا لمجيء هتلر.

-٢-

عملية "برق"

في شباط ١٩٤٣ قال (گويردلر) لياكوب ڤللنبرگ "هناك خطط لإنقلابٍ قد يحصل في آذار". وكان ذلك حقاً.

إن تفاصيل عملية (برق) كما سميت، تولى وضعها خلال شهري كانون الثاني وشباط كل من الجنرال (فردريك أولبريخت Friedrich Olbricht رئيس دائرة الجيش العامة Allgemeines Heeresamt والجنرال (فون ترسكوف) رئيس أركان مجموعة جيش الوسط بقيادة (كلوگه) في الجبهة الروسية.

كان (أولبريخت) رجلاً في غاية التقى والتدين، وأحد المنضمين الجدد الى المؤامرة لكن اصبح أوّل شخصية فيها بسبب منصبه الجديد فقد كان قادراً بحكم وظيفته كنائبٍ لقائد الجيش الداخلي الجنرال (فردريك فروم Friedrich Fromm) على تعبئة حاميات برلين والمدن الكبيرة الأخرى في الرايخ لمساندة المؤتمرين وأما (فروم) نفسه فكان مثل (كلوگه) في ذلك الوقت قد أدرك حقيقة زعيمه وزالت الغشاوة عن عينيه. لكن المؤتمرين لم يجدوه أهلاً للثقة التامة بحيث يمكن ضمه الى صفوفهم.

في نهاية شباط قال (أولبريخت) للشاب (فابيان فون شلابرندورف) وهو ضابط صغير بمعية الجنرال ترسكوف (نحن مستعدون، آن أوان البرق). وفي أوائل آذار تم إجتماع أخير للمؤتمرين في (سمولنسك) مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط. بمعرفة الأميرال (كاناريس) وتدبيره إلا انه لم يكن مساهماً فيه. فقد أرسل بطريق الجو كلاً من موظفيه (هانس فون دونايني) والجنرال (أرڤين لاهوسن Ervin Lahousen) في مهمة ظاهرية هي المشاركة في عقد مؤتمر لضباط إستخبارات (الڤيرماخت). والجنرال (لاهوسن) هذا، ضابط إستخبارات سابق في الجيش النمساوي وهو الوحيد من بين ضباط الإستخبارات (آبفيهر) الذي بقي حيّاً الى مابعد الحرب.

وكان القادمان يحملان عدداً من القنابل.

بعد أن قام (ترسكوف) و(شلابرندورف) بعدة تجارب، إتضح لهما أن القنابل الألمانية لاتفي بالغرض. وفسر الضابط الشاب الأمر فيما بعد قائلاً[٨] إن أزيزا خافتاً يصدر منها فيكشفها. كما وجدا أيضاً أن البريطانيين وفقوا الى صنع قنبلة أفضل يقول عنها (شلابرندورف) "انها لاتصدر صوتاً

٨- إن الجزء الخاص بهذه الحوادث من الفصل. معتمد في الغالب على تقرير شلابرندورف، المرجع السالف الص ٥١-٦١.

من أيّ نوع قبيل انفلاقها" كان سلاح الجو البريطاني قد ألقى فوق أوروبا بعدد من هذه القنابل ليستخدمها الأنصار في البلاد المحتلة لاغراض النسف والتخريب (واحدة منها استخدمت لقتل هيدريخ) وقد تمكنت (الآبيفهر) من جمع عدد لايستهان به واعطته المؤتمرين.

كانت الخطة التي استقر عليها رأي المجتمعين في (سمولنسك) تتلخص باغراء هتلر بزيارة مقر قيادة مجموعة الجيوش الوسطى وقتله هناك وسيكون هذا اشارة انطلاقة الإنقلاب في برلين.

لم يكن اقتياد سيد الحرب الى الشرك بالشيء البسيط فهو الآن شديد الريبة بمعظم جنرالاته إلا ان (ترسكوف) استعان عليه بصديق قديم هو الجنرال شموندت مرافق هتلر (بعد ترقيته)، ليحمله على الزيارة. وبعد شيء من التردد وإرجاء الموعد مرة بعد أخرى وافق على السفر الى سمولنسك في ١٣ آذار ١٩٤٣ بصورة جازمة. أما شموندت نفسه فلم يكن يعلم شيئاً عن المؤامرة.

في الوقت نفسه راح (ترسكوف) يجدد مجهوداته مع رئيسه (كلوگه) حاثاً إياه على تصدر حفلة الإطاحة بهتلر. واقترح عليه أن يقوم المقدم (فرايهر فون بويسلاگر Freiherr Von Boeselager) آمر كتيبة الخيالة في المقر العام[٩] باستخدام كتيبته لحصد رؤوس هتلر وحرسه الخاص فور وصولهم. وكان (بويسلاگر) أكثر من مستعدٍ، وكل ما يحتاجه هو أمر الفيلدمارشال إلا ان القائد المذبذب لم يستطع حمل نفسه على إعطاء الأمر ولذلك قرر (ترسكوف وشلابرندورف) أن يضطلعا بالأمر وحدهما.

قررا أن يضعا إحدى هذه القنابل الإنگليزية في طائرة هتلر عند عودته. وعلل (شلابرندورف) سبب إتخاذهما هذه الخطة قال "لن يشتبه في كونها حادثاً مدبراً، وسيجنبنا المضاعفات السياسية التي تنجم عن الإغتيال، لأن أتباع هتلر مازالوا كثراً في تلك الأيام. وقد تبدر منهم مقاومة عنيفة لثورتنا".

بعد وصول هتلر، خطر ببال الضابطين المؤتمرين. أن يغيرا خطتهما مرةً بعد ظهر ١٣ آذار ومرة في مسائه. وهمّا بفلق القنبلة أولاً في مكتب (كلوگه) الشخصي حيث عقد هتلر مؤتمراً لكبار قادة الجيوش، ثم عدلا الى فكرة تفجيرها في مطعم الضباط حيث سيتناول العشاء[١٠] الاّ أنهما نبذا الفكرة لأن ذلك سيؤدي الى هلاك بعض الجنرالات الذين يمكن الإعتماد عليهم كل الإعتماد في مساندة الثورة ودعمها في تسلم مقاليد الحكم حالما يتحللون من يمين الولاء الشخصي للزعيم.

بقيت مشكلة تهريب القنبلة الى طائرة الزعيم وكان مقرراً أن يستقلّها بعد العشاء مباشرة.

كان (شلابرندورف) قد ركب ما أطلق عليه "علبتي المتفجرات" وجعلهما رزمة واحدة شبيهة بزوج من قناني البراندي. وفي أثناء تناول العشاء طلب (ترسكوف) بكل براءة من العقيد (هاينز براندت Heinz Brandt) أحد ضباط أركان الجيش المرافقين لهتلر ان يتكرم عليه ويأخذ هدية تتألف من قنينتي

٩- قتله النازيون.

١٠- يقول شلابرندورف. ان فرصة اتيحت له في أول إجتماع - ليفحص قبعة هتلر الواسعة فادهشه ثقلها. وعندما زاد تقليباً لها تبين له انها مصفحة برقائق من الفولاذ من الداخل تبلغ زنتها حوالي ثلاثة پاوندات ونصف پاوند.

براندي لصديقه الحميم الجنرال هلموت شتيف Helmuth Stief[١١] رئيس قسم التنظيم في قيادة الجيش العليا فابدى (براندت) بسلامة نيته سروره للقيام بالخدمة.

وفي المطار امتدت اصبع (شلابرندورف) تتلمس بإنفعال ثقباً صغيراً في رزمته. فضغطه فبدأت ميكانية القنبلة الموقوته تعمل، ثم سلمها الى (براندت) وهو يصعد سلم الطائرة مع الزعيم. كانت هذه القنبلة مبنية بمهارة فقد خلت من الساعة المألوفة التي تنم بما تحدثه من تكات عن وجودها. لما ضغط (شلابرندورف) الزر انكسرت قنينة صغيرة سال منها مادة كيمائية آكلة فراحت تذيب سلكاً يمسك (زنبركاً) وبذوبان السلك يشط الزنبرك الى أمام فيطرق نابضاً، ويقوم النابض بدوره بالضغط على الكبسولة فتنفلق القنبلة.

يقول (شلابرندورف) كان انفجار القنبلة متوقعاً بعد مرور طائرة هتلر في سماء (منسك) أي بعد ثلاثين دقيقة من الطيران. وتملكته حمى الإنفعال عندما اتصل تلفونياً ببرلين وأبلغ المتآمرين بالجفرة. أن (البرق) بدأ ثم راح هو و(ترسكوف) ينتظران النبأ الأول عن راديو إحدى الطائرات المقاتلة المرافقة لطائرة الزعيم وباشرا يعدان الدقائق... عشر، عشرون، ثلاثون، ثم أربعون، وكملت ساعة... ولات ثم نبأ!. ثم وصل الخبر بعد أكثر من ساعتين على شكل برقية روتينية تنبيء بوصول هتلر الى (راشتنبرگ).

"[وكتب شلابرندورف فيما بعد] صُعقنا وعلتنا البغتة. ولم نستطع تعليلاً للفشل. واسرعت حالاً أتلفن الى برلين لإبلاغهم بالخيبة. وتشاورت مع (تروسكوف) فيما ينبغي عمله كخطوة تالية. كنا نهتز كريشة في مهب الريح ففشل المحاولة كان أمراً خطيراً بحد ذاته، إلا أن الأنكى والأدهى هو مسألة اكتشاف القنبلة الأمر الذي سيؤدي الى فضح المؤامرة وموت تلك الحلقة الواسعة من أقرب المساهمين".

لكن القنبلة لم تكتشف قط. ففي تلك الليلة اتصل (تروسكوف) تلفونياً بالعقيد (براندت) وسأله عرضاً وبلا إهتمام هل وجد وقتاً لحمل هديته الى الجنرال (شتيف) فأجابه بالنفي قائلاً أن الوقت لم يسمح له بإنجاز الخدمة فبادر ترسكوف يطلب منه إبقاءها لديه لأن خطأ ما قد حصل وأن الهدية الحقيقية موجودة وسيأتي شلابرندورف في اليوم التالي بإحدى المهام الرسمية ومعه البراندي الحقيقي الجيد الذي قصد إرساله.

وطار (شلابرندورف) بشجاعة يتعذر تصديقها الى مقر قيادة هتلر واستبدل القنبلة بقنينتي البراندي.

"مازلت أذكر الفزع الذي انتابني عندما ناولني (براندت) القنبلة مناولةً رافقتها خضة شديدة، مما جعلني اخشى إنفلاقاً متأخراً، تمالكت نفسي وتجلدت ولم أشعر بأني أتناول قنبلة واسرعت حالاً فركبت سيارة الى محطة مفرق (كورشين Korschin) المجاورة".

١١- قتله النازيون.

وفيها استقل قطار الليل الى برلين واقفل على نفسه عربة نومه وراح يفكك أجزاء القنبلة. ليكتشف حقيقة ما حصل فيها أو بالأحرى لماذا لم يحصل شيء.

"ميكانيكها اشتغل على ما يرام: فقد انكسرت القنينة الصغيرة والسائل الآكل برى السلك. والزنبرك نفر الى الأمام وضغط النابض إلاّ الكبسولة أن لم تقدح".

حزت مرارة الفشل في نفوس مؤتمري برلين الاّ أن عزائمهم لم تثبط وقرروا تدبير محاولة أخرى لنزع روحه وسرعان ما واتاهم الحظ بفرصة نادرة هي التي عرضت نفسها. كان قد تقرر أن يحضر هتلر برفقة گورنگ وهملر وكايتل إحتفالات (يوم ذكرى الابطال Heldengednktag) الموافق لـ٢١ آذار في زويكهاوس Zeughaus ببرلين. فهاهنا فرصة لا للتخلص من هتلر وحده بل من أقرب أعوانه، قال عنها (العقيد فرايهر فون گرسدورف Freiherr Von Gersdorff) رئيس قسم الإستخبارات في مقر كلوگه: "تلك فرصة قل ان يجود بها الزمان". وكان (ترسكوف) قد اختار هذا الضابط للقيام بمحاولة القنبلة، وكانت المهمة إنتحارية هذه المرة، حيث سيضع العقيد في جيبي معطفه قنبلتين يسحب منها مسمار الأمان ويقف على اقرب مايمكن من هتلر في أثناء الإحتفال، وبهذا يرسل هتلر وأعوانه ونفسه الى العالم الآخر. لقد تطوع (گرسدورف) لهذه المهمة بشجاعة منقطعة النظير وهو يعلم حق العلم أنه سيدفع لها حياته ثمناً فلم يتردد.

في مساء يوم ٢٠ آذار اجتمع (گرسدورف) بشلابرندورف في غرفته بفندق (إيدن) في برلين وتسلم منه قنبلتين بفتيلين مدتهما عشر دقائق. ألا انه كانا سيتأخران وقتاً يتراوح بين ١٥ و٢٠ دقيقة لإحداث الانفلاق بسبب درجة الحرارة القريبة من الانجماد في ساحة زويكهاوس المبلطة بالزجاج. وكان من المقرر أن يلبث هتلر -بعد إلقاء خطبته- مقدار نصف ساعة في هذه الباحة ليتفقد معروضات من غنائم الحرب الروسية نظمت عرضها دائرة (گرسدورف). وهذا هو الموضع الوحيد الذي يتمكن العقيد أن يقترب من فريسته مسافة كافية لإرساله الى حتفه.

ولنترك (گرسدورف) يقص ما حدث[١٢]: "في اليوم التالي وضعت قنبلة في كل جيب من جيبي معطفي. بفتيل ذي عشر دقائق. وكان مرادي أن أقف أقرب ما يمكن من هتلر حتى أضمن تمزيقه أشلاءً بمفرده على الأقل... بعد دخول هتلر قاعة المعرض... تقدم مني (شموندت) وقال لي ليس ثم متسع من الوقت لفحص المعروضات أكثر من ثماني أو عشر دقائق. وهكذا لم يعد بإمكاني تنفيذ الإغتيال مادام يقتضي للفتيل عشر دقائق على الأقل إن كانت درجة الحرارة اعتيادية. هذا التغيير في المواعيد عند آخر لحظة كان من جملة تدابير الأمن المشددة المتخذة لحمايته وهو مألوف عندنا - ولقد انقذ حياته مرة أخرى[١٣].

١٢- قصّه على رودولف پيشيل Rudolf Pechell الذي اثبت حديثه في كتابه: حركة المقاومة الألمانية Deutcher Wilderstand.

١٣- من المصاعب التي يحتاجها المرء في تنسيق أدوار المؤتمرين وتركيب اجزائها في رواية واحدة منسجمة الحلقات، هي ان مذكرات الذين سلموا بحياتهم -وهم قليلون- بعيدة عن الدقة فكادت رواياتهم تختلف في أحيان كثيرة وقد =

يقول (گرسدورف): كان الجنرال فون ترسكوف يتابع بإنفعال وارتقاب وقائع الإحتفال من إذاعة (سمولنسك) "وبيده ساعة توقيت رياضية" وعندما أعلن المذيع ترك هتلر القاعة بعد ثماني دقائق من دخوله، أدرك أن محاولة أخرى قد اجهضت.

ودُبرت ثلاث محاولات "معطفية" أخرى على أقل تقدير لقتله لكنها فشلت كلها كما سنرى لأسباب مماثلة.

في أوائل عام ١٩٤٣ وقعت إنتفاضة تلقائية ضد النازية في ألمانيا ومع انها كانت صغيرة بحد ذاتها إلا أنها احيت روح (المقاومة) وبعثت الحياة في النضال الواهن. بعد أن ظلت كل محاولة يقوم بها رجالها للقضاء على هتلر تمنى بالفشل كما أنها كانت نذيراً للقسوة التي يمكن ان تبلغها سلطات النازي في قمع أقل بادرة من بوادر المعارضة.

مرّ بنا قبلاً أن طلاب الجامعات كانوا من أكثر الفئات تعصباً للنازيين في أوائل الثلاثينات. الاّ أن عشر سنوات من حكم هتلر أزالت الغشاوة عن أعينهم ورأوا الحقيقة عارية وزاد في هذا حدةً فشل ألمانيا في الحرب وبخاصة بعد وقوع كارثة ستالينگراد ١٩٤٣.

وباتت جامعة ميونيخ مهد النازية وبيت رحمها بؤرة لاهبة لثورة الطلاب بقيادة طالب طب عمره ٢٥ سنة يدعى (هانس شول Hans Scholl واخته صوفي Sophie طالبة البايولوجي وعمرها ٢١ سنة وكان مثقفهما البروفسّر كرت هوبر Kurt Huber أستاذ الفلسفة في الجامعة. وكانا يوزعان نشراتهما المعادية للنازية على الكليات الأخرى بطريقه عرفت فيما بعد باسم "رسائل الوردة البيضاء" وكانا أيضاً على صلة بمؤتمري برلين. في أحد أيام شباط ١٩٤٣ أمر محافظ (گاولايتر) باڤاريا المدعو (بول گيزلر Paul Giesler) بإجتماع عام للتلاميذ، وكان الگشتاپو قد أحضر له ملفاً يحتوي على طائفة من تلك الرسائل. فأعلن لهم حاكم باڤاريا هذا بأن الذكور الذين يفتقرون الى اللياقة البدنية سيدفع بهم الى أعمالٍ أنفع للحرب. (كان ذوو اللياقة البدنية قد جندوا). وأما الطالبات فاقترح بغمزةٍ من عينه أنه يحسن بهن وضع مولود كل سنة لمصلحة الوطن واضاف يقول إن كان بعضهن عاطلاً عن الحسن ولا سحر فيهن يجتذب الرجال "فسوف أخصص لكل واحدة منهن مرافقاً من مرافقي... واني لأعدهن بطيب المتعة وهناء التجربة..."

اشتهر الباڤاريون بخشونة النكتة، لكن هذا الإبتذال والسوقية فاقا كل الحدود ولم يتحمله الطلاب فتعالت اصوات السخط والزعيق في وجه (الگاولايتر) حتى اضطر الى النزول عن المنصة وهجموا على الگشتاپو والحرس الأسود الذين يرافقونه فأخرجوهم دفعاً بالأيدي من القاعة. وبعد ظهر ذلك

= تتناقض. فمثلاً يذكر شلابرندورف في كتابه (وهذا هو الذي زوّد گرسدورف بالقنابل) انهما اضطرا الى صرف النظر عن محاولة (زويكهاوس) لأنهما لم يستطيعا العثور على فتيل قصير مناسب للوقت. ويظهر انه لم يعرف أو ربما نسي ان (گرسدورف) ذهب فعلاً لتنفيذ الخطة والعقيد يقول من جهة أخرى انه أكد لشلابرندورف قبل ليلة "عقده العزم" عليها بالفتيلين المتوفرين لديه.

اليوم قامت المظاهرات الطلابية المعادية للنازية في شوارع مونيخ لأول مرة في تاريخ الرايخ الثالث. الآن بدأ الطلاب بقيادة الشقيقين (شول) يوزعان الكراريس بشكل علني ويحرضان شباب الألمان على الإنتفاضة. وفي ١٩ شباط لاحظ مراقب الأبنية في الجامعة كلاً من (هانس وصوفي) يرميان نشرات من شرفة الجامعة. فقصد دائرة الگشتاپو وكشف امرهما.

وكانت نهايتهما سريعة بربرية. فقد سيقا أمام محكمة أمن الشعب المرعبة التي يترأسها (رولاند فرايزلر Roland Freisler) -أشد النازيين في الرايخ الثالث تعطشاً للدماء بعد هيدريخ - وسيظهر إسمه مرة أخرى في هذا الكتاب- ووجدهما مذنبين طبعاً وحكم عليهما بالموت. كانت (صوفي شول) قد عذبها الگشتاپو تعذيباً وحشياً أثناء التحقيق فظهرت في المحكمة مكسورة الساق. إلا أن معنوياتها ظلت كما هي ولم تُظهر أيّ تخاذل. وراحت ترد على صراخ وشتائم (فرايزلر) الهمجية بكل هدوء:

- انت تعلم كما نعلم نحن باننا خسرنا الحرب. فما الذي يجعلك بهذه الدرجة من الجبن حتى انك تأبى الإقرار بهذا؟

وصعدت درجات النطع وهي تتعثر متوكئة على عكازيها وماتت باسمى ما يمكن من الشجاعة مثلما فعل اخوها. وبعد أيام قليلة نفذ حكم الموت بالأستاذ (هوبر) وطائفة أخرى من الطلاب(١٤).

كان هذا ناقوس الخطر لمؤتمري برلين. جاءهم نذيراً في زمن بات طيش بعض زعمائهم وعدم تحفظهم مصدر قلق دائم للآخرين فگويردلر نفسه كثير الكلام مذياع، ومجهودات (پوپيتز) لجس نبض هملر وقادة الحرس الأسود الكبار لمعرفة مدى إستعدادهم للإنضمام الى المؤامرة تقض مضاجعهم لما إنطوت عليه من خطر داهم. أما (ڤايسيكر) الكثير التلون والدهاء الذي شاء بعد الحرب أن يصور نفسه مناهضاً من اصلب المناهضين للنازية فقد ركبه الخوف والفرق فقطع كل صلة بصديقه الحميم (فون هاسل) متهماً إياه وعقيلته السيدة فون هاسل "بعدم التحفظ الى درجة لاتصدق" وحذرهما بأن الگشتاپو يتعقب خطواتهما(١٥).

كان الگشتاپو يتعقب عدداً كبيراً آخر، وبخاصة (گويردلر) المعتد بنفسه التيّاه الفخور. إلا أن

١٤- هنالك عدد من المصادر، بعضها اولية - عن ثورة الطلاب منها أينكي شول Inge Scholl "رسائل الوردة البيضاء" ط: فرانكفورت سنة ١٩٥٢. كارل فوسلر Karl Vossler: مونيخ ١٩٤٧)-Gedenkerde Fuer die Opfer an der Universitaet Muenchen و"ريشاردو هوخ Richardo Huch: "إنتفاضة طلاب مونيخ ضد هتلر" نشرت في زوريخ - في Neue Shweizer Rundecshau- عدد أيلول وتشرين الأول ١٩٤٨ و-Der 18 Fel: Umriss einer deutchen Widerstandsbewegung و(٣٠ تشرين أول ١٩٤٠) Die Gegenwart وبيشنيل المرجع السالف الص ٩٦-١٠٤، هويلر بينيت المرجع السالف ٥٣٩-٥٤١، دللس المرجع السالف الص ١٢٠-١٢٢.

١٥- يصف (هاسل) المشهد الأليم في يومياته "طلب مني تجنيبه الإحراج في وجود شخصي. وعندما رحت اعتب عليه قاطعني بفظاظة [يوميات فون هاسل الص ٢٥٦-٢٥٧]. لم يحتث ڤايسيكر المؤتمرين على العمل إلا بعد ان استقر به المقام آمناً كسفير لألمانيا في الفاتيكان ويعقب هاسل على هذا "ما اسهل عليه ان يفعل ذلك وهو جالس في الفاتيكان". وعاش ڤايسيكر ليدون مذكرات فيها بعض الغثاثة. لقد طبعت يوميات هاسل بعد إعدامه.

الضربة جاءت كما شاءت سخرية الأقدار لا بنتيجة تعقيب الگشتاپو الپوليسي الدقيق بل بسبب المنافسة الحاقدة بين دائرة الإستخبارات العسكرية (آبيفيهر) ودائرة هملر للأمن المركزي R.S.H.A التي تشرف على أعمال شرطة الگشتاپو السرية وتتمنى بجدع الأنف إزاحة الأميرال (كاناريس) والإستيلاء على دائرة الإستخبارات العسكرية التي يرأسها. وصادف أن وقعت الضربة في شهر آذار الخائب ١٩٤٣ الذي شهد محاولتي إغتيال لهتلر فاشلتين.

في خريف ١٩٤٣ أوقف رجل أعمال من مونيخ بتهمة تهريبه عملة أجنبية عبر الحدود الى سويسرا. وكان في الحقيقة أحد وكلاء الإستخبارات العسكرية، إلا أن النقد الذي دأب على تهريبه منذ زمن بعيد كان يعود الى جماعة من اللاجئين اليهود في سويسرا وهذه أخطر جريمة يمكن أن يرتكبها ألماني في الرايخ الثالث ولايشفع له فيها واقع كونه وكيلاً للإستخبارات العسكرية. فلما خاب (كاناريس) في حمايته، بدأ الوكيل الموقوف يكشف للگشتاپو كل ما يعلمه عن أعمال (الآبيفيهر) واوقع في شراكه (هانس فون دوناييني) وكان هو والعقيد أوشتر، في حلقة المؤتمرين العليا. وابلغ رجال هملر أيضاً عن مهمة الدكتور (يوزف موللر) في الفاتيكان ١٩٤٠ عندما حقق المؤتمرون إتصالهم بالإنكليز عن طريق الپاپا، وكشف غرض زيارة القس (بنهويفر) مطران چستر في ستوكهلم بجواز سفرٍ مزيف زودته به دائرة الإستخبارات، ونوه بعض تنويه بمختلف مشاريع (أوشتر) للإطاحة بهتلر.

وبعد اشهرٍ من التحقيق، شرعت الگشتاپو بالعمل فإعتقلت في ٥ نيسان ١٩٤٣ كلا من (دوناييني) و(موللر) و(بنهويفر) أما (أوشتر) الذي أفلح في اتلاف معظم الأوراق والادلة التي قد تدينه خلال فترة التحقيق، فقد أرغم على الإستقالة في كانون الأول ووضع تحت الحجز المنزلي في مسقط رأسه لايبزگ(١٦).

كانت ضربة ترنح لها المؤتمرون. (فأوشتر) كما وصفه شلابرندورف "رجل أراد الله ان يكون كل الرجال مثله. راجح العقل يقظ لايرف له جفن أمام الكريهة والخطر" وهو من أهم شخصيات التآمر على نظام هتلر منذ ١٩٣٨. وأما (دوناييني) فهو قانوني في مهنته كثير العون كبير النفع صائب الحلول. وبنهويفر البروتستانتي وموللر الكاثوليكي كانا أكثر من القوة الروحية العظيمة التي دأبت على دفع المؤتمرين وتشجيعهم، ضربا بنفسيهما مثلاً من الشجاعة الفردية في كل المهام التي اوكلت اليهما خارج البلاد. وتوجا تلك الشجاعة برفضهما البات الكشف عن رفاقهما رغم صنوف التعذيب البربري التي مارسها بهما الگشتاپو بعد الإعتقال.

إلا ان اخطر ما في الأمر هو حل دائرة الإستخبارات (آبيفيهر) الذي أفقد المؤتمرين "غطاءهم" الذي طالما اشتملوا به وسبيلهم الأساسية للإتصال بعضهم ببعض وبالجنرالات المترددين وبأصدقائهم في

١٦- نفذ الحرس الأسود حكم الموت بكل من بنهويفر ودوناييني وأوشتر في التاسع من نيسان ١٩٤٥، قبل أقل من شهر لإستسلام ألمانيا. ويظهر أن قتلهم كانت عملاً من أعمال إنتقام (هملر) الشخصي. أما الأب موللر فقد نجا من حكم الموت ولم ينفذ به.

الغرب. ثم اكتشفت شرطة هملر مسائل أخرى، أدت الى إلغاء دائرة الإستخبارات إلغاءً تاماً. واقصاء رئيسها الأميرال كاناريس، حدث كل هذا في أشهر قلائل.

من هذه الأمور المكتشفة مابات يعرف بين الاوساط النازية "حفلة شاي السيدة (سولف Solf)" في ١٠ أيلول ١٩٤٣. والسيدة آنّا Anna سولف هي أرملة وزير مستعمرات سابق في عهد ڤلهلم الثاني وسفير ألماني لليابان في عهد جمهورية ڤايمر، وكانت تتصدر "صالونا" مناهضاً للنازية في برلين طالما أمَّه عدد من مشاهير الزائرين ومنهم الكونتيس هانا فون بريدوف Hanna Von Bredow حفيدة (بسمارك) والكونت آلبريخت فون برنشتورف Albrecht Von Bernstorff ابن اخ السفير الألماني للولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الأولى. والأب اليسوعي المشهور اريكسليبن Erxleben (وأوتو كيب Otto Kieb) وهو أحد كبار موظفي وزراة الخارجية طُرد مرة من وظيفة القنصل الألماني العام في نيويورك لحضوره وليمة غداء عامة اقيمت تكريماً للأستاذ العلامة آينشتاين. إلا أنه تمكن من العودة الى السلك الخارجي. واليزابيت فون تادن Elisabeth Von Tadden وهي إمرأة لامعة تقية تدير مدرسة بنات مشهورة في (ڤايبلنگن Weiblingen بالقرب من (هايدلبرگ).

في ١٠ أيلول قدمت الآنسة (فون تادن) الى حفلة شاي السيدة (سولف) بصحبة طبيب سويسري شاب يدعى (ريكسي Reckse) كان يزوال طبه في مستشفى خيري ببرلين تحت أمرة الأستاذ (ساوربرخ)، وككل السويسريين راح الدكتور (ريكسي) يعرب عن مشاعر معادية للنازية، فانضم اليه الآخرون الحاضرون، وشاركوه النقد ولاسيما (كيب) وقبل ختام حفلة الشاي أعلن الطبيب الطيب إستعداده لحمل أيّ رسالة تكلفه بها السيدة سولف وضيوفها الى الألمان أصدقائهم اللاجئين في سويسرا فراراً من النازية أو من رجال السلك الدبلوماسي البريطانيين والأمريكان، وكان أن أسرع أكثر من واحدٍ من الحضور الى قبول الخدمة. وشاء سوء حظهم ان يكون الدكتور (ريكسي) جاسوساً للگشتاپو فقد سلمهم الرسائل العديدة التي حملوها له والمثبتة لإدانتهم فضلاً عن تقريره الخاص حول وقائع حفلة الشاي. وعرف الكونت فون مولتكه بالفاجعة من صديق له في وزارة الطيران كان قد سجل عدداً من المكالمات التلفونية جرت بين الطبيب السويسري والگشتاپو فأسرع بانذار صديقه (كيب) الذي حمل النبأ الى بقية أعضاء الحلقة. إلا ان هملر كان يملك الدليل الدامغ على انه انتظر أربعة أشهر قبل أن يتحرك، وربما أجّل ذلك لأنه كان يأمل في توسيع الشبكة واقتناص عددٍ أكبر. وفي ١٢ كانون الثاني تم إعتقال كل من حضر دعوة شاي ١٠ أيلول وحوكموا وأعدموا بإستثناء السيدة سولف وإبنتها الكونتيسة باللشتريم Ballestrem[١٧] فقد زجتا في معسكر إعتقال رافنسبروك ونجتا من الموت بأعجوبة[١٨].

١٧- يظهر ان هملر تمكن من توسيع شبكته خلال هذه الفترة ويقول (رايتلنكر) أن حوالي (٧٤) شخصاً قد اعتقلوا نتيجة وشاية ريكسي [رايتلنكر: الحرس الأسود ص٣٠٤].

١٨- تدخل السفير الياباني لتأجيل محاكمتهما أول الأمر، ثم في ٣٠ شباط سقطت قنبلة نتيجة غارة جوية أمريكية =

وأدين الكونت فون مولتكه مع صديقه (كيب) في ذلك الزمن ايضاً والقي القبض عليهما. على أن ذلك لم يكن الأثر الوحيد لإعتقال (كيب) فقد امتد ذراع الگشتاپو حتى تركيا ومهد الطريق لتصفية (آلابفيهير) النهائية وايداع سلطاتها الى هملر.

من بين أصدقاء (كيب) الحميمين المناهضين للنازية (اريخ ڤيرمرين Ervich Vermhren) وزوجه وهي آية من آيات الجمال الكونتيس اليزابيت فون بلتنبرگ E. Von Bletlenberg السابقة وكانا كغيرهما من أعداء النازية قد إلتحقا بخدمة (الآبيفيهر) وعينا وكيلين لها في اسطنبول. فاستدعاهما الگشتاپو الى برلين للتحقيق معهما في قضية (كيب) ولمعرفتها الأكيدة بالمصير الذي ينتظرهما لم يمتثلا للدعوة وإتصلا بوكلاء الإستخبارات البريطانية في أوائل شباط ١٩٤٤، فنقلا بالطائرة الى القاهرة ثم الى إنكلترا.

وساد الإعتقاد في برلين (وإن ظهر زيفه بعد ذلك) أن الزوجين (ڤيرمرين) قد هربا بالجفرات السرية الخاصة بالإستخبارات وسلماها للإنكليز وكان هذا آخر ما يتحمله هتلر، وبخاصة بعد أن جاءت على أثر إعتقال (دونايني) والآخرين في الإستخبارات بالإضافة الى شكوكه المتزايدة في كاناريس. وفي ١٨ شباط ١٩٤٤ أصدر أمره بحل (الآبيفيهر) وايداع كل اختصاصاتها الى "دائرة الأمن المركزية" وبذلك أضيفت ريشة جديدة الى قبعة هملر. واحترابه مع هيئة الضباط الألمانية قديم يعود الى تزييفه التهم ضد الجنرال (فون فريتش) في ١٩٣٨ كما تقدّم. جردت القوات المسلحة من مصلحة إستخبارات خاصة بها وزادت سيطرة (هملر) وكانت ايضاً ضربة أخرى وقعت على المتآمرين الذين تركوا دون إستخبارات[١٩].

لم تصب محاولات قتل هتلر بالتوقف ودبرت منها زهاء الست بين أيلول ١٩٤٣ وكانون الثاني ١٩٤٤. وفي شهر آب قدم (ياكوب ڤاللنبرگ) الى برلين لرؤية (گويردلر) فأكد له هذا أن كل الإستعدادات قد تمت الآن للقيام بإنقلاب في أيلول وان شلابرندورف سيأتي الى ستوكهولم على أثر نجاح الإنقلاب لمقابلة ممثل شخصي لمستر چرچل للبحث في مفاوضات الصلح. وقال الصيرفي

= على محكمة أمن الشعب أثناء ماكان رئيسها رولاند فرايزلر يتصدر إحدى جلسات محاكماته الشنعاء بتهمة الخيانة – فقتلته على كرسيه، واتلف ملفّ (سولف) التي كانت في المحكمة. فعين لهما موعد جديد في ٢٧ نيسان. لكن الموعد لم يحن قط لأن السوڤييت كانوا إذذاك في برلين. في الواقع كانت الأم والبنت (سولف) قد سُرحتا من سجن بوابيت في ٢٣ نيسان ربما بغلطة [هويلر بينيت المرجع السالف ص٥٩٥ – حاشية، بتشيل: المرجع السالف الص ٨٨–٩١].

١٩– عين (كاناريس) رئيساً لدائرة الحرب التجارية والإقتصادية، وتحت هذا العنوان الأجوف تلاشى "الأميرال الصغير" من تاريخ ألمانيا. وكان شخصية غامضة جداً بحيث لم يتفق اثنان من الكتاب على وصف واحد له. ولم يعرف بالضبط ما هو وما هي عقيدته وآراؤه ان كان لديه شيء منها. وعرف عموماً بأنه شخص شاذ جافٍ، يُخشى شره. كره جمهورية ڤايمر وعمل ضدها سراً واتخذ الموقف نفسه ضد الرايخ الثالث وسنرى كيف اصبحت أيامه معدودة ككل الضباط البارزين في (الآبيفيهر) بإستثناء الجنرال (لاهوسن).

السويدي لـ(ألن دللس) فيما بعد "ثم بقيت انتظر شهر أيلول بطوله وكلي إنفعال وتوتر حتى مرَّ دون ان يحصل شيء"[٢٠].

وبعدها بشهرٍ جَرب الجنرال (شتيف) حظه هو الآخر وكان صديق (ترسكوف) الذي ارسل اليه قنينتي البراندي كما مرّ، عسكري محدودب سليط اللسان وصفه (هملر) فيما بعد "بذلك القزم الصغير المسموم". فهيأ قنبلة موقوتة ليخفيها في مكان إجتماع مؤتمر الظهر اليومي العسكري في مقر القيادة (براشتنبرگ) لكنه احجم في آخر لحظة. وبعد أيام قلائل انفجرت مجموعة قنابله الإنگليزية التي تسلمها من الإستخبارات في مخبأها تحت برج الماء القريب من سياج مقر القيادة. وكانت هذه الحادثة ستفضح كل المؤتمرين لولا أن كلف هتلر عقيد الإستخبارات (فيرنر شرادر Shrader Verner) بالتحقيق في القضية. وكان هذا من أعضاء المؤامرة فاغلقها. وفي تشرين الثاني دبرت محاولة (معطفية) أخرى، إختار لها المؤتمرون نقيب مشاة يدعى أكسيل فون ديم بوشه Von Dem Buss-Axel che ويبلغ عمره أربعاً وعشرين سنة ليقف (نموذجاً) في عرض زي يتألف من معطف عسكري وبذلة قتال كان هتلر قد أمر بتصميمها، ولذلك رغب في تفقدها شخصياً قبل مصادقته على إنتاجها. واجتناباً لعامل الإخفاق في محاولة (گرسدورف) قرر أن يضع في جيبي معطفه النموذجي قنبلتين ألمانيتين تنفلقان خلال ثوانٍ قليلة بعد رفع مسمار الأمان وكانت خطته أن يثب على هتلر أثناء فحصه المعطف ويضمه اليه ضماً شديداً حتى تتطاير اشلاؤهما. وقبل تنفيذ الخطة بيوم واحدٍ سقطت قنبلة حليفة على مخزن الالبسة واتلفت كل النماذج فعاد (بوشه) الى وحدته على الجبهة الروسية. ثم كرّ راجعاً الى مقر قيادة هتلر في كانون الأول لإجراء العملية مرة أخرى بالنماذج الجديدة فاذا به يجد (الزعيم) قد قرر فجأة الرحيل الى برختسگادن لقضاء أعياد الميلاد. وبعدها بقليل اصيب (بوشه) بجرح بليغ في الجبهة، فاختير ضابط آخر شاب من الجبهة ليقوم بدوره. فكان (هاينريخ فون كلاسيت) نجل الفيلدمارشال (إفالد فون كلايست) وهو أحد أقدم المؤتمرين بهتلر. وحُدّد يوم ١١ شباط ١٩٤٤ لعرض المعطف الجديد. إلا ان الزعيم لسببٍ ما لم يحضر العرض. ويقول (دللس) "ان السبب يعود الى غارة جوية"[٢١].

في حدود هذا الزمن توصل المؤتمرون الى استنتاجاتهم: وهو ان طريقة هتلر في تغييره المستمر الدائم لمواعيده يدعوهم الى إجراء تبديل عام في خططهم[٢٢] وأدركوا أيضا ان المواعيد الوحيدة التي يمكنهم

٢٠- دللس: المرجع السالف، الص ١٤٤-١٤٥.

٢١- القي القبض على كلايست الأب والابن. وأعدم الأب في ١٦ نيسان ١٩٤٥ وسلم الأبن.

٢٢- كثيراً مابحث هتلر هذا الاسلوب مع رفاق الحزب القدماء. وهناك محضر مدوّن بالإختزال يتضمن حديثاً منفرداً له جرى في مقر قيادته بتاريخ ٣ أيار ١٩٤٢ قال "اني لعلى إدراك تام سبب نجاح ٩٠٪ من محاولات الإغتيالات التاريخية. وان اسلوب الحيطة المجدي الوحيد الذي يجب اللجوء اليه هو السير في حياته على قاعدة غير منتظمة. أن يسير ويركب السيارة ويسافر في أوقات غير منتظمة وبصورة غير متوقعة... وعلى قدر إستطاعتي فكُلما امكنني وحيثما استطعت والى أيّ مكان ذهبت بالسيارة انطلقت بشكل غير متوقع ودون انذار للشرطة [احاديث هتلر =

الإطمئنان من عدم مخالفته لها، هي مؤتمراه اليوميان العسكريان مع جنرالية القيادة العليا وقيادة الجيش. وفي احد هذين المؤتمرين يجب أن يتم إغتياله. وفي ٢٦ كانون الأول ١٩٤٣ وصل مقر قيادة (راشتنبرگ) لحضور مؤتمر الظهر، ضابط شاب يدعى (شتاوفنبرگ) نيابة عن الجنرال (أولبريخت) ليقدم تقريراً حول إحتياطي الجيش. وكان يحمل حقيبة أوراق بداخلها قنبلة موقوتة. إلا ان الإجتماع ألغي وترك هتلر مقر القيادة الى أوبرسالزبرگ لقضاء عيد الميلاد.

تلك كانت أولى محاولات المقدم الشاب الوسيم. ولم تكن الأخيرة. لقد وجد المؤتمرون بالنازية رجلهم في شخص (كلاوس فيليب شينك كونت فون شتاوفنبرگ Klaus Philip Shenk Count Von Staufbenberg. فقد اضطلع بقتل هتلر (وهي الطريقة الوحيدة الممكنة) ونفح بجرأته وتفرغه، حياةً جديدة، واملاً باسماً ونشاطاً في المؤامرة، حتى أصبح زعيمها الفعلي وقطبها عملياً إن لم يكن إسمياً.

-٣-

مهمة الكونت فون شتاوفبنرغ

هذا رجل ذو مواهب مدهشة لمكوّنات ضابط جيشٍ محترفٍ. ولد في ١٩٠١ لأسرة عريقة شهيرة من أسر جنوب ألمانيا. وكان من جهة والدته الكونتيس فون أوكسكول-گيللنبراند Von Uxkull-Gyllenbrand ابن حفيدة (غنيزناو) أحد الابطال العسكريين في حرب التحرير من ربقة نابوليون وأحد مؤسسين إثنين (الثاني شانهورست) لهيئة الأركان البروسية، وعنها أيضاً سليل (يورك فون ڤارتنبرگ) وهو جنرال شهير آخر من العصر النابليوني. أما والد (كلاوس) فكان الوزير الخاص لآخر ملك من ملوك فورتمبرگ Vurttemberg. وكانت الأسرة متماسكة العرى، عالية الثقافة. شديدة التقى والحرص على كاثوليكيتها.

في هذا التراث والجو العائلي نشأ (كلاوس فون شتاوفنبرگ) وكان ممشوق القامة وسيماً الى درجة تلفت النظر كما شهد كل من عرفه، وشَب عقله راجحاً لماحاً ثاقباً. وأغرم بركوب الخيل والرياضة، وتعلق مثلها بالفنون والأدب فقرأ الكثير. ووقع وهو يافع تحت تأثير (شتيفان جورج Stefan George

= السرية ص٣٦٦]. كان هتلر يعرف دوماً انه هدف للقتل غيلة. وقد صرح بهذا في مؤتمر الحرب الذي عقده بتاريخ ٢٢ آب ١٩٣٩ عشية هجومه على پولندا. وبيّن لجنراليه أنه في الوقت الذي لايمكن للبلاد الاستغناء عنه، فمن السهولة بمكان ان يرديه مجرمٌ أو مجنون. وفي ٣ أيار ١٩٤٢ تصدى للموضوع عينه فقال "ليس هناك حيطة مطلقة مضمونة ضد المتعصبين والمثاليين... ان شاء احد المتعصبين قتلي أو إطلاق رصاصه علي فلست أكثر سلامة وأنا جالس، مني وانا واقف" على انه يعتقد "ان عدد المتعصبين الذين يريدون النيل من حياتي لأسباب مثالية هم في تناقص عظيم... إن العناصر الخطرة الوحيدة في الحقيقة هي إما أولئك المتعصبون الذين يحركهم للعمل القساوسة الأنذال، واما الفدائيون ذوو الأفكار الوطنية من إحدى البلاد التي استولينا عليها. ان تجاربي وهي حصيلة السنين الطوال تجعل الأمر صعباً حتى على هؤلاء [المرجَع السالف ص٢٦٧].

وصوفيته الرومانتية لشاعريته العبقرية. ومال فترة من الزمن الى احتراف الموسيقى ثم تحول عنها الى الهندسة المعمارية واخيراً دخل سلك الجيش مرشح ضابط في ١٩٢٠ وله من العمر ١٩ سنة في لواء خيالة بامبرگ Bamberg السابع عشر، وهو لواء الفرسان الشهير باسم بامبرگر رايتر Bamberger Reiter.

في ١٩٣٦ دخل الاكاديمية الحربية في برلين فاسترعى ذكاؤه في شتى الميادين إهتمام معلميه والقيادة العليا وبعد سنتين تخرج ضابط ركن صغير ومع أنه كان ملكي النزعة في قلبه مثل معظم طبقته، إلا أنه لم يخطر بباله أن يناهض القومية الإشتراكية الى ذلك الحين. ويبدو أن مذابح عام ١٩٣٨ كانت العامل الأول لبذر الشكوك في رأسه حول هتلر، وزادت في صيف عام ١٩٣٩ حين رآه يسوق ألمانيا سوقاً الى حرب طويلة الأمد بخسائر هائلة في ارواح البشر، لتنتهي بالهزيمة أخيراً.

على كل، جاءت الحرب فقذف في لجتها بذلك الطبع الناشط المستوفز فلمع إسمه كضابط ركنٍ للفرقة المدرعة السادسة تحت قيادة الجنرال (هوپنر) في معارك پولندا وفرنسا. واغلب الإحتمال أن الغشاوة زالت عن بصر (شتاوفنبرگ) تماماً، بخصوص الرايخ الثالث عندما رحل الى روسيا. فقد نقل في أوائل حزيران ١٩٤٠ الى القيادة العامة للجيش قبل الهجوم على دنكرك وقضى معظم الأشهر الثمانية عشر الأولى من الحرب الروسية في أراضٍ سوڤيتية، حيث كان من جملة أعماله تنظيم وحدات "المتطوعين الروس" من بين أسرى الحرب وأثر عنه أصدقاؤه قوله: في الوقت الذي ينهض الألمان نهضتهم من طغيان هتلر، يمكن إستخدام هؤلاء الروس للإطاحة بستالين! ربما كان تفكيره هذا متأثراً بآراء ستيفان جورج الصوفية.

إن الوحشية التي مارسها الحرس الأسود في روسيا، فضلاً عن أمر هتلر بذبح القوميساريين السياسيين الشيوعيين، فتح عيني (شتاوفنبرگ) على طينة السيد الذي يقوم على خدمته وشاءت الصدف ايضاً أن يلتقي في روسيا بقطبين من أقطاب المؤتمرين (فون ترسكوف وشلابرندورف) اللذين قررا إرسال ذلك "السيد" الى العالم الآخر. ويقول الأخير منهما أنه لم يتكلف من مجهود غير بضعة لقاءات ليقتنع أن (شتاوفنبرگ) هو رجلهم الأوحد وهكذا أصبح متآمراً فعالاً.

إلا أنه مازال ضابطاً ثانوياً، وسرعان ما وجد أن الفيلدمارشالات كانوا أشد تذبذباً إن لم نقل أعظم جبناً من ان يحركوا ساكناً لإزاحة هتلر أو لإيقاف المجاز الرهيبة التي نصبت لليهود والسوڤييت وأسرى الحرب الروس خلف خطوط الجبهة، كذلك فإن كارثة ستالينگراد التي لم يكن لها لزوم ملأته سخطاً وألماً وعلى أثر ختام تلك المعركة طلب في شباط ١٩٤٣ إرساله الى خطوط الجبهة فعيّن ضابط عمليات في فرقة الدروع العاشرة بتونس وإلتحق في أواخر أيام معركة ممر قصارين Kasserine التي إستطاعت فيها وحدته أن تقذف بالقوات الأمريكية خارج الثغرة.

وفي ٧ نيسان دخلت سيارته حقلاً مزروعاً بالألغام. وقيل انها باتت هدفاً لطائرة حليفة هاجمتها من إرتفاع قليل فأصيب (شتاوفنبرگ) بجراح بليغة وفقد عينه اليسرى ويده اليمنى وطار اصبعان من يده الأخرى واصيب بجراح في اذنه اليُسرى وركبته. وظل الأمل مفقوداً عدة أسابيع بعينه الأخرى

هذا ان تخطاه الموت. إلا ان عناية الأستاذ (ساوربروخ) الحاذقة في أحد مستشفيات مونيخ انقذته من براثن الموت. وسلمت عينه الباقية. أي شخص غيره كان سيتقاعد من الجيش بعد هذه الاصابة البليغة، وينفض يده من المؤامرة. لكن (شتاوفنبرگ) أمسك القلم بأصابعه الثلاثة الباقية من يده اليسرى المربوطة بالضمادات بعد تمرين شاق عسير، ليكتب في أواسط الصيف رسالة للجنرال (أولبريخت) يعرب فيها عن امله في العودة الى الخدمة الفعلية خلال ثلاثة أشهر. وفي غضون فترة نقاهته الطويلة، توفر لديه وقت كاف للتأمل ووصل به تفكيره الى ان في عنقه رسالة مقدسة يتحتم عليه تبليغها وإن كان ذا عاهة.

وقال لزوجه وأم اطفاله الأربعة الكونتس (نينا) يوماً ما أثناء ما كانت تزوره في المستشفى: "أشعر ان الواجب يحثني الى عمل شيء لإنقاذ ألمانيا. ومما لا مفر لنا نحن ضباط هيئة الأركان كافة أن نتحمل نصيباً من المسؤولية"[٢٣].

وفي نهاية أيلول ١٩٤٣ عاد الى برلين برتبة مقدم ومنصب ضابط ركن للجنرال (أولبريخت) في إدارة الجيش العامة وراح حالاً يتدرب بزوج من الملاقط على تفجير قنبلة إنگليزية الصنع من قنابل الإستخبارات (آبڤيهير) باصابعه الثلاثة الباقية من يده اليسرى. وعمل أكثر من هذا بكثير. كانت شخصيته الآسرة ووضوح تفكيره وكاثوليكية آرائه ومقدرته البارزة في التنظيم قد بثت في المؤتمرين روحاً جديدة وعزماً مكيناً، مثلما أثارت بعض الخلافات. فهو أصلاً لم يكن راضياً بالنظام الجامد المحافظ العديم اللون كما وضعه أقطاب المؤامرة الثلاثة (بيك وگويردلر وهاسل) ذوو الادمغة الصديئة، ليكون خلفاً للقومية الإشتراكية بعد إهالة التراب عليها. وكان في الواقع أكثر صلة بالحقائق من أصدقائه (أعضاء حلقة كرايساو) فلقد ارادها دولة ديمقراطية اشتراكية ناشطة وأصر أن تضم الحكومة المعادية للنازية، صديقه الجديد يوليوس ليبر Julius Leber، وهو اشتراكي لامع راسخ الفكرة وڤلهلم ليوشنر Vilhelm Lueshner الزعيم النقابي والكادر السابق وكلاهما عضو نشيط غارق في المؤامرة الى اذنيه. فأثار لهذا نقاشاً عنيفاً الاّ انه سرعان ما حقق كلمته واثبت سلطانه على القادة السياسيين في المؤامرة.

ولم يكن نجاحه مع العسكريين بأقل من هذا. كان قد أقر بزعامة الجنرال بيك الإسمية وهو يكن اعجاباً شديداً لرئيس هيئة الأركان العامة الاسبق هذا الاّ انه لم يجده كما كان – عند عودته الى برلين. فقد أصبح بعد إبلاله من عملية استئصال سرطان كبيرة، مجرد قشرة لنفسه، ولاحظ عليه الكلال وقلة الحماسة. ثم ان (بيك) يفتقر الى المفاهيم السياسية وهو في هذا الميدان أسير في يد گويردلر. قد يكون اسم (بيك) المشرق في الاوساط العسكرية نافعاً بل حتى ضرورياً في تنفيذ الإنقلاب لكن المعونة العملية، توفير الوحدات وقيادتها – ألزم واحوج. وهو يستوجب ضم ضباط

٢٣- اوردها قسطنطين فيتزگيبون: في "٢٠ تموز" ص٣٩.

ناشطين قي الخدمة الفعلية. ولم يطل به الأمر فقد حصل على أهم ما يحتاجه من الرجال.

فإلى جانب (البريخت) رئيسه المباشر. هناك الجنرال شتيف رئيس قسم التنظيم في قيادة الجيش العليا. والجنرال ادورد ڤاگنر Eduard Wagner القائد الأول للتسليح والعينة في الجيش. والجنرال اريخ فللگيبل Erich Fellgiebel قائد سلاح الاشارة في القيادة العليا والجنرال فريتز لندمان Fritz Lindemann مدير المدفعية والجنرال پاول فون هاسه Paul Von Hase آمر موقع برلين Kommandantur (وهو الذي سيمد المؤامرة بالجنود لإحتلال برلين) مع ضابط ركنه النقيب الكونت فون ماتوشكا Von Matuschka.

وكان ثم جنرال أو ثلاثة هم من الأهمية بمكان. رئيسهم (فروم) القائد العام الفعلي للجيش الإحتياطي الذي ظل مؤرجحاً مثل كلوگه وليس من الممكن الإعتماد عليه إعتماداً كلياً. كذلك لم يوجد بين المتآمرين لحد الآن فيلدمارشال واحد في الخدمة الفعلية. كان الفيلدمارشال (فتزليبن) أحد المتآمرين الأصلاء قد طُلي باللقب الضخم "القائد العام للقوات المسلحة" إلا أنه لم يكن في قائمة الخدمة الفعلية وليس بأمرته أيّ قطعة عسكرية. ولذلك فوتح الفيلدمارشال فون (روندشدت) وهو الآن قائد كل جيوش الغرب. إلا أنه أبى أن يحنث بيمين الولاء للزعيم – أو هذا ما تقدم به من عذرٍ على الأقل. وكذلك خاب مسعاهم الى الفيلدمارشال فون مانشتاين الالمعي... والانتهازي، للسبب نفسه.

في هذه المرحلة من الطريق (أوائل عام ١٩٤٤) تقرب من المؤتمرين فيلدمارشال جم النشاط طائر الصيت في غفلة من شتاوفنبرگ أولاً، ولم يكن غير رومل! وقد أورث إنضمامه دهشة وفاجأ المؤتمرين ولم يوافق معظم الرؤوس على انضوائه إذ كانوا يعتقدون ان "ثعلب الصحراء" نازي انتهازي يستمنح نعم الزعيم والتفاتاته بلجاجة منفرة. وهو الآن يتركه لأنه يدرك ان الهزيمة وشيكة.

في كانون الثاني ١٩٤٤ عُيّن (رومل) قائد مجموعة جيوش (ب) في الغرب وهي القوة الرئيسة التي خصصت لصد الهجوم الغازي الأنگلو أمريكي المتوقع عبر القنال، وراح في فرنسا يكثر لقاءاته بصديقين قديمين له هما الجنرال (الكساندر فون فالكنهاوزن) حاكم بلجيكا وشمال فرنسا العسكري. والجنرال (كارل هاينريخ فون شتولبناگل Karl Heinrich Von Stuelpnagl) حاكم فرنسا العسكري وكلاهما من المنضمين السابقين للمؤامرة على اسقاط الهتلرية. وراحا يفاتحان صديقهما بالموضوع على اسلوب الاستدراج وانضم اليهما في هذا صديق قديم مدني له هو (الدكتور كارل شترويلين Dr. Karl Stroelin) رئيس بلدية (شتوتگارت) الذي كان نازياً متحمساً ككثيرين من شخصيات هذا الكتاب، ثم بدل وجهة نظره عندما خيمت غيوم الإندحار على ألمانيا وباتت مدنها وبضمنها مدينته تسير بخطى حثيثة الى الخراب بالقصف الجوي الحليف. وقد أرشده الى هذا الطريق الدكتور گويردلر واقنعه في آب ١٩٤٣ بالإنضمام اليه لكتابة مذكرة لوزارة الداخلية التي يرأسها هملر طلبا فيها معاً وقف اضطهاد اليهود والمذاهب المسيحية وإعادة الحقوق المدنية للشعب وارجاع السلطات للقضاء وفصله عن (إس. إس) الگشتاپو وعن الحزب. وعرض (شترويلين) المذكرة على رومل عن طريق زوجه فخلفت فيه على

ما يبدو تاثيراً عظيماً.

وفي نهاية شباط ١٩٤٤ التقى الرجلان في منزل رومل بهرلنگن Herrlingen قرب مدينة (أولم) وجرى بينهما حديث صريح ومكاشفة قلبية:

"[ذكر رئيس البلدية بعدئذ] قلت له أن ضباطاً أقدمين من جيش الشرق قد إقترحوا إعتقال هتلر واجباره على إعلان تنازله من الراديو، فاستحسن رومل الفكرة".

واسترسلت أقول له أنه أعظم جنرالينا واقربهم الى القلوب، وأكثرهم إحتراماً في الخارج من أيّ جنرال آخر. وقلت انك الرجل الوحيد الذي يستطيع الحيلولة دون قيام حربٍ اهلية في ألمانيا، وعليك أن تمنح الحركة اسمك(٢٤).

فتردد رومل، ثم حزم أمره وقال لـ(شترويلين) "اعتقد أن واجبي يحتم علي التقدم لإنقاذ ألمانيا" وفي هذا الإجتماع والإجتماعات التي تلت بين رومل والمؤتمرين عارض في إغتيال هتلر لا لأسبابٍ أدبيةٍ بل لدواعي عملية مبيناً أن قتل الدكتاتور قد يجعل منه شهيراً وأصر أن يقوم الجيش بإعتقاله ويسوقه الى محكمة ألمانية ليحاكم عن الجرائم التي ارتكبها ضد شعبه وضد البلدان المحتلة(٢٥).

في هذا الوقت ارسل القدر لرومل مؤثراً آخر بشخص الجنرال هانس شپايدل Hans Speidel الذي عُيّن في ١٥ نيسان ١٩٤٤ رئيس هيئة أركان الفيلدمارشال. كان شپايدل مثل زميله المتآمر (شتاوفنبرگ) ضابطاً غير عادي (وإن كانا من طينتين مختلفتين) ففضلاً عن كونه عسكرياً، فهو فيلسوف حائز درجة Summa Cam Laude وهي شهادة الدكتورية في الفلسفة من جامعة طوبنگن Tuebingen في ١٩٢٥. لم يضع هذا العالم وقتاً لإقناع رئيسه وفي يوم ما من شهر أيار وهو الخامس عشر رتب إجتماعاً في بيت ريفي بالقرب من پاريس بين رومل وشتولبناگل ورئيسي أركانهما ويقول (شپايدل) ان غرض المؤتمر كان "ضرورة إتخاذ الوسائل لإنهاء الحرب في الغرب واسقاط النظام النازي"(٢٦).

هذا الهدف ضخم خطير. وأدرك شپايدل إن التمهيد له يقتضي توثيق الصلة بين حركة المقاومة في ارض الوطن وبينهم، وبخاصة أنشأ علاقة مع مجموعة (گويردلر-بيك). وكان گويردلر الشديد الحركة كالزئبق يحاول طوال أسابيع، عقد إجتماع سري بين رومل ونيوراث (دون الناس جميعاً!). فبعد أن انجز هذا الرجل سهمه في أعمال هتلر القذرة أولاً كوزير للخارجية ثم كحاكم رايخ عام لموراڤيا، بدأ يصحو صحوةً قاسية لما بات الوطن مهدداً بكارثة مهولة قريبة. ثم تبين أن هذه المقابلة تنطوي على أخطار جسيمة لرومل، فلذلك أرسل نيابة عنه الجنرال (شپايدل) وتم الإجتماع في ٢٧ أيار في دار

٢٤- ديزموند يونگ Desmond Young: رومل، الص ٢٢٣-٢٢٤. لقد اعطى شترويلين) ليونگ وقائع الإجتماع كما يذكرها شخصياً. انظر ايضاً شهادة (شترويلين) في نورمبرگ [محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج١، ص٦٥]، وانظر كتابه "شتوتگارت في آخر مرحلة الحرب Stuttgart in Endstandium des Krieges".

٢٥- اوضح شپايدل هذه النقطة في كتابه "غزو ١٩٤٤" الص ٦٨ و٧٣.

٢٦- المرجع السالف ص٦٥.

الأخير بفرودنشتادت Freudenstadt وحضره (نيوراث) و(شترويلين) وكان الرجال المجتمعون الثلاثة سوابيين* Suabiane مثل رومل وهذا التكاتف في اللقاء أضفى عليه روح التعاطف فضلاً عن انتهائه بإتفاق تامٍ عاجلٍ، وهو ضرورة الاطاحة بهتلر بأسرع مايمكن، وحمل رومل على الإستعداد لتولي رآسة الدولة أو القيادة العامة للقوات المسلحة (وهنا يجب القول أن رومل لم يرد لنفسه أياً من هذين المنصبين) ثم اتفق على قرارات تفصيلية منها الخطط للإتصال بحلفاء الغرب رأساً لعقد هدنة. وإتخاذ شفرة للإتصال السري بين المؤتمرين في ألمانيا وبين مقر قيادة رومل.

وكان الجنرال (شپايدل) صريحاً في إبلاغه المجتمعين أن رومل تكلم مع رئيسه المباشر (روندشدت) بصراحة حول الإطاحة بهتلر وان هذا الأخير (متفق معه إتفاقاً تاماً)! لاشك أن هناك خللاً ما في شخصية هذا القائد الكبير من قواد الجيش. وقد كتب (شپايدل) فيما بعد مؤكداً هذه النقطة قال: "في أثناء حديث هو تنظيم بعض الطلبات المشتركة من هتلر قال روندشدت لرومل: أنت شاب، تعرف الناس وتحبهم فاكتبها أنت[٢٧]".

وبعد مؤتمرات أخرى في أواخر ذلك الربيع وضعت الخطوط العريضة التالية للخطة التي لم يبق ليصفها من بين كل المتآمرين العسكريين في الغرب تقريباً - غير شپايدل:

"هدنة فورية مع حلفاء الغرب. لكن لا إستسلام بدون قيد أو شرط. إنسحاب ألماني في الغرب الى ألمانيا. إيقاف القصف الجوي الحليف لألمانيا حالاً. إعتقال هتلر وسوقه للمحاكمة أمام محكمة ألمانية. الإطاحة بالنظام النازي ودولته. قيام حكم مؤقت في ألمانيا تتمثل فيه جميع قوى المقاومة وطبقاتها برآسة ثلاثي: بيك- غورديلر- لويشنر Leuschner (الممثل النقابي). لا دكتاتورية عسكرية. التهيء لأجل "سلم بنّاء" في إطار ولايات متحدةٍ أوروبية. الإستمرار في الحرب في الشرق. تقصير خط الجبهة والصمود فيه. إعتباراً من مصب الدانوب وجبال الكاربات ونهر الفستولا حتى (ممل)[٢٨]".

يظهر من هذا ان الجنرالية لم يكن يساورهم ذرة من الشك في ان الجيوش البريطانية والاميريكية ستهرع حالاً للإنضمام الى صفوفهم لمحاربة السوڤييت ليمنعوا (حسب قولهم) بلشفة أوروپا. وفي برلين وافق الجنرال (بيك) على الأقل إلى حد مواصلة الحرب في الشرق. وفي أوائل أيار أرسل عن طريق (كزيڤيوس) مذكرة (لألن دللس) في سويسرا شارحاً فيها خطة خيالية عجيبة: يسحب الجنرالية الألمان في الغرب جيوشهم الى الحدود الألمانية بعد الغزو الأنگلو-أمريكي وفي أثناء ذلك يقوم حلفاء الغرب بثلاث عمليات تاكتيك وهي إنزال ثلاث فرق من الجو في منطقة برلين لمساعدة المؤتمرين على الإحتفاظ بالعاصمة. والقيام بإنزال من البحر واسع النطاق على الساحل الألماني قرب (هامبورگ وبريمن) وإنزال قوة كبيرة في فرنسا عبر القنال. وفي الوقت نفسه ستقوم قوات مضمونة معادية

* مقاطعة جنوب ألمانيا.
٢٧- المرجع السالف، ص٧١.
٢٨- المرجع السالف الص ٧٢-٧٤.

للنازية بالسيطرة على منطقة مونيخ وتطويق هتلر في مقره الجبلي (بأوبرسالزبرگ). أما الحرب ضد روسيا فستستمر.

يقول (دللس) انه لم يضع وقتاً في محاولة تنبيه المؤتمرين في برلين الى الحقيقة وجرهم الى عالم الواقع. وابلغوا أنه لايمكن ان يكون هناك صلح منفرد مع الغرب وحده[٢٩].

كان (شتاوفنبرگ) وأصدقاؤه في حلقة (كرايساو) وبعض أعضاء المؤتمرين أمثال (شولنبرگ) السفير الألماني السابق في موسكو قد توصلوا إلى هذا الواقع. والحق يقال أن معظمهم ومعهم (شتاوفنبرگ) كانوا (مشرقيين) أنصار السوڤييت - ولكنهم ضد الشيوعية. وقد ظلوا زمناً يؤمنون أنه لأسهل عليهم الحصول على سلم أفضل مع روسيا مما قد يكون مع الغرب. كما تجلت في الدعاية الاذاعية الروسية المستندة الى تصريحات ستالين نفسه وهي انهم لايحاربون الشعب الألماني بل "الهتلريين". بينما يضرب الغرب على النغمة الواحدة "الإستسلام بدون قيد"[٣٠].

إلا أنهم فقدوا الأمل الباسم في تشرين الأول ١٩٤٣ عندما أعلنت الحكومة السوڤيتية في مؤتمر وزراء خارجية الحلفاء في موسكو رسمياً عن تمسكها بتصريح مؤتمر (الدار البيضاء) حول الإستسلام بدون قيد والآن وفيم كان صيف ١٩٤٤ العصيب يدنو، باتوا يدركون بأن عليهم التخلص من هتلر والنظام النازي بأسرع ما يمكن إن وقع بيدهم أيّ شكل من اشكال الصلح يجنب ألمانيا الإجتياح العسكري والإبادة. تجسم لهم ذلك وهم يرون الجيوش الحمراء تدنو من الحدود الألمانية والجيوش الأنگلو-أمريكية تتحفز لغزو واسع النطاق عبر القنال ومقاومة الألمان لقوات (الكساندر) الحليفة في إيطاليا تتفتت وتتصدع.

وفي برلين احكم شتاوفنبرگ واصحابه خططهم أخيراً. وجمعوها تحت الإسم الرمزي (ڤالكايري Val-kyrie) - وهو اسم على مسمى لأن الڤالكايري هن آنسات الأساطير الألمانية-النوردية، فاتنات لكنهن مخيفات، أثرت عنهن الأساطير أنهن كن يحُمن فوق ميادين المعارك فيتخيرن من سيقتل من رجال الحرب. وفي هذه المناسبة سيكون أدولف هتلر الفريسة ومن غرائب الصدف أن الأميرال (كاناريس) قبل سقوطه قد باع منه هتلر فكرة (الڤالكايري) وجعل منها خطة للجيش الداخلي. للسيطرة على أمن برلين وغيرها من المدن الكبيرة في حالة قيام ثورة بين ملايين العمال الاجانب الذين يكدحون في هذه المراكز- ثورة مثل هذه بعيدة الإحتمال جداً بل هي مستحيلة في الواقع - مادام العمال الاجانب عزلاً، غير منظمين إلا أن الخطر كان يلوح (للزعيم) الكثير الشك في كل مكان.

٢٩- دللس: المرجع السالف، ص١٣٩.

٣٠- أصدر چرچل وروزفلت في ٢٤ كانون الثاني تصريحهما المعروف في إجتماعها بالدار البيضاء حول إستسلام ألمانيا بدون قيد أو شرط. وقد تولى گوبلز التصريح بالتعليق طبعاً وحاول به إذكاء نار المقاومة العامة الشاملة في نفوس الألمان. الاّ ان هذا الكاتب يرى أن النجاح الذي لقيه قد بالغ فيه عدد كبير من الكتاب الغربيين مبالغة خرجت عن المعقول.

ولاسيما في الوقت الراهن. وبوجود كل الجنود اللائقين بعيداً عن أرض الوطن إما في الجبهة أو لحفظ الإستقرار في البلاد المحتلة الواسعة الأرجاء، أسرع يحبذ الفكرة ويلزم الجيش الداخلي بإتخاذ خطة أمنٍ لحماية الإستقرار في الرايخ ضد جحافل العمال المسخرين الناقمين. وهكذا اصبحت (الڤالكايري) أبدع غطاء للعسكريين المؤتمرين وأحكمه، وساعدهم على وضع الخطط للجيش الداخلي علناً، للسيطرة على العاصمة والمدن الكبيرة الأخرى مثل ڤيينّا وميونيخ وكولن حال مقتل هتلر.

وصعوبتهم الكبرى في برلين أن جنودهم قليلون جداً فيها وأن عدد تشكيلات الحرس الأسود تفوقها كثيراً كذلك يوجد عدد كبير من وحدات سلاح الجو الألماني داخل المدينة وحواليها وستبقي هذه الجنود مخلصة لگورنگ إن لم يتم التحرك عليها بصورة مفاجئة. وسيقاتلون حتماً للمحافظة على النظام النازي بزعامة رئيسهم إن قتل هتلر. ومن المحتمل إستخدام مدافعهم المضادة للطائرات ضد وحدات الجيش. ومن الجهة الأخرى فقد كسب المؤتمرون قوة شرطة برلين عن طريق قائدها الكونت (فون هلدورف) الذي انضم الى المؤامرة.

ونظرا الى قوة الحرس الأسود ووحدات القوة الجوية فقد أهتم (شتاوفنبرگ) إهتماماً عظيماً بتوقيت العملية للسيطرة على العاصمة. ستكون الساعتان الأوليان أحرج الأوقات طُراً، ففي هذا الوقت القصير يتحتم على الوحدات العسكرية أن تحتل وتسيطر على مقر الإذاعة الوطنية ومحطتي راديو برلين ومركزي البرق والتلفون ومستشارية الرايخ والوزارات ومقرات الگشتاپو - الـ(إس. إس) ويجب أن يلقى القبض على القطب النازي (گوبلز) الذي لم يكن يترك برلين إلاّ في النادر، مع ضباط الحرس الأسود. وفي الوقت الذي تخرج روح هتلر يعزل مقر قيادته عزلاً تاماً عن ألمانيا حتى لايتسنى لگورنگ أو هملر أو القادة العسكريين النازيين أمثال كايتل ويودل القضاء على المحاولة بتعبئة الشرطة والوحدات العسكرية خلف النظام النازي القائم. واوكل للجنرال (فيللگيبل) قائد سلاح الإشارة الموجود في مقر قيادة الزعيم القيام بتنفيذ هذا الإجراء.

ويعد إنجاز ذلك خلال الساعتين الأوليين من بدء الإنقلاب توزع الرسائل المكتوبة مسبقاً والمحفوظة ملفاتها - بوساطة الراديو والبرق والتلفون على قادة مواقع الجيش الداخلي في المدن الأخرى. وترسل رسائل مماثلة إلى كبار قادة الجيش في الجبهة وفي المناطق المحتلة معلنة موت هتلر، وتشكيل حكومة معادية للنازية في برلين.

وتم التفاهم على أن تنتهي الثورة وتحقق أهدافها خلال أربع وعشرين ساعة وان تكون الحكومة الجديدة قابضة على زمام الأمور في غضون ذلك وإلا فقد تداخل الجنرالية المذبذبون أفكار أخرى، وربما امكن هملر وگورنگ اقناعهم بالإنضمام اليهم، وإذذاك ستندلع حرب اهلية تصدع الجبهات الحربية كافة وتحدث فيها فجواتٍ وسيحدث لامحالة إنهيار وتعم فوضى شاملة وهو الأمر الوحيد الذي كان المؤتمرون يريدون تحاشيه.

ويعتمد النجاح بصورة أصلية على مقدرة المؤتمرين على الوصول الى أهدافهم باقصى سرعة ونشاطٍ

ميسورين بمعونة ماتصل اليه ايديهم من الوحدات العسكرية داخل برلين وخارجها حالما يتم إغتيال هتلر، وهو الأمر الذي اخذه (شتاوفنبرگ) على عاتقه شخصياً. وهذه الفترة كانت عقدة العقد عند المؤتمرين.

لم يكن يقدر على إصدار الأوامر بتنفيذ خطة أمن (ڤالكايري) في الاحوال الاعتيادية غير الجنرال (فريتز فروم) القائد العام للجيش الداخلي. وقد ظل هذا الجنرال علامة استفهام الى الأخير. لم يترك المؤتمرون وسيلة لمعالجة أمره طوال ١٩٤٣ إلا إتبعوها وأخيراً توصلوا الى ان هذا الضابط الشديد الحذر يمكن الإعتماد عليه إعتماداً كلياً في حالة واحدة فقط، حالة نجاح الثورة. لكنهم لما كانوا على ثقة تامة بنجاحها فقد راحوا يكتبون سلسلةً من الأوامر مذيلة بتوقيع فروم في غفلةٍ منه. فإن أصابه التردد في اللحظة الحرجة أقصي حالاً وتولى القيادة عنه الجنرال (هوپنر) قائد الدبابات الشهير الذي طرده هتلر على اثر معركة موسكو في ١٩٤١ وحرم عليه ارتداء زيه العسكري.

وكانت مشكلة جنرال آخر ذي مركز هام في برلين تقض مضاجع المؤتمرين ايضاً وهذا هو الجنرال فون كورتزفلايش Kortzfleisch نازي مفروغ منه وقائد المنطقة العسكرية الثالثة التي تشمل (برلين وبراندنبرگ)، فتقرر أن يعتقل ويستبدل بالجنرال فرايهر فون توينگن Frieiherr Von Thuengen. اما الجنرال باول فون هاسه فهو من أعضاء المؤامرة وممن سيقوم بقيادة الحامية الداخلية بالسيطرة على المدينة وهي أهم الخطوات واخطرها.

والى جانب إكمال الخطط المفصلة للسيطرة على برلين، فقد قام شتاوفنبرگ وترسكوف بالتعاون مع گويردلر وبيك وڤيتزليبن والآخرين بتنظيم الأوامر التي توضح لقادة المناطق العسكرية كيفية تسلم زمام السلطات التنفيذية في مناطقهم، وسحق مقاومة الـ(إس. إس). وإعتقال كبار النازيين وإحتلال معسكرات الإعتقال وكذلك نظموا عدة بيانات صارمة لإصدارها في اللحظة المناسبة وهي موجهة الى القوات المسلحة والشعب الألماني والصحافة والراديو بعضها مذيل بتوقيع رئيس الدولة الجديد (بيك) وبعضها بتوقيع الفيلدمارشال فون فتزليبن بوصفه قائداً عاماً للڤيرماخت. وبعضها بتوقيع گويردلر المستشار الألماني الجديد. وطبعت عدة نسخ من هذه الأوامر والبيانات والنداءات بالآلة الكاتبة في (بندلرشتراسه). قامت بطبعها في ساعات متأخرة من الليل "السيدة إريكا فون ترسكوف" زوج الجنرال ترسكوف المتآمر العنيد. والآنسة "مارگريته فون أوفن Margarete Von Oven " وهي بنت جنرال متقاعدٍ والسكرتيرة الخاصة المخلصة السابقة لقائدين عامين في الجيش الجنرالين فون هامرشتاين، وفون فريتش: ثم أخفيت في خزانة الجنرال أولبريخت.

وبهذا كملت الخطط. في الواقع أنها أحكمت في نهاية ١٩٤٣ لكن لم توضع موضع تنفيذٍ طوال أشهرٍ. ان الحوادث لاتنتظر المؤتمرين على كل حال. ولهذا أدركوا بمجيء حزيران ١٩٤٤ ان الزمن يكاد يفلت من ايديهم. فمن جهة كانت شرطة الگشتاپو تضيّق الخناق عليهم، واخذت الإعتقالات تتزايد من أسبوع لأسبوع وتستوفي حصيلتها بين المساهمين في المؤامرة أنفسهم ومنهم الكونت فون مولتكه

وعدد من حلقة كرايساو، وراحت الرؤوس تهوي تحت نطع الجلاد. واشتدت شرطة الگشتاپو السرية في تعقيبها بيك - وگويردلر وهاسل وفتزليبن والآخرين من أعضاء الحلقة العليا حتى ازهقت انفاسهم وتعذر عليهم مقابلة بعضهم بعضاً. وكان هملر نفسه قد انذر (كاناريس) الذي أفل نجمه في الربيع، بانه على علم تام بطبخ مؤامرة يتولاها الجنرالية وأصدقاؤهم المدنيون، ونوه له بأنه يراقب كلاً من (بيك) و(گويردلر) مراقبة متواصلة، فقام كاناريس بإبلاغ الانذار لأولبريخت[٣١].

ولم يكن الموقف الحربي بأقل شؤماً على المؤتمرين. وقد ساد الإعتقاد أن الجيش الأحمر سيشن هجوما عاماً في المشرق على طول الجبهة وأن روما ستخلى للحلفاء (سقطت في ٤ حزيران) وفي الغرب يوشك الأنگلو أمريكان على الغزو. وستحل الهزيمة العسكرية بألمانيا قبل ان يزاح النظام النازي. والحق يقال أنه وجد بين المؤتمرين عدد أخذ يتزايد -ربما تأثروا بتفكير حلقة كرايساو- ممن بدأ يفضل صرف النظر عن الإنقلاب، وترك هتلر والنازيين يتحملون مسؤولية الكارثة. وإن الإطاحة بالإثنين الآن قد تجيء بأسطورة "طعنة الظهر" ثانيةً، تلك الأسطورة التي خدعت العدد الكبير من الألمان بعد الحرب العالمية الأولى.

-٤-

الغزو الأنگلو أمريكي
٦ حزيران ١٩٤٤

لم يكن شتاوفنبرگ يعتقد أن الحلفاء الغربيين سيحاولون الإنزال في فرنسا صيف هذه السنة. وظل مصراً على رأيه حتى بعد أن أخطره العقيد جورج هانسن وهو ضابط (آبيفيهر) منقول الى مكتب الإستخبارات العسكري التابع لهملر، بان الغزو قد يقع في أيّ يومٍ من أيام حزيران وكان ذلك في أوائل أيار.

اما الجيش الألماني فقد تناهبته الشكوك على الأقل بخصوص التاريخ والمكان اللذين اختيرا للإنزال. في أيار كان يوجد ثمانية عشر يوماً يصلح فيها الجو والبحر والمد للإنزال، ولاحظ الألمان أن آيزنهاور لم يهتبل فرصته فيها. وفي ٣٠ أيار ابلغ (روندشدت) قائد جيوش الغرب العامة هتلر أنه ليس هناك مايشير الى أن الغزو "قريب جداً" وفي ٤ حزيران أبلغ راصد القوة الجوية للانواء في پاريس أنه لاينتظر قيام الحلفاء بعمل خلال أسبوعين على اقل تقدير بسبب سوء الأحوال الجوية القاسية.

فلهذه الأسباب وللقليل من المعلومات التي بلغت رومل (مُنعت اللفتوافه من القيام

٣١- شلابرندورف، المرجع السالف ص٩٧.

بالاستطلاعات الجوية فوق موانى الساحل البريطاني الجنوبي حيث كانت قوات آيزنهاور تتجمع وتنصب كالسيل الجارف في سفنها وقد سحب الأسطول سفن إستطلاعه من القنال بسبب هياج البحر)- راح يكتب تقريره عن الموقف في صبيحة الخامس من حزيران مبلغاً (روندشدت) أن الغزو ليس وشيكاً وانطلق فوراً بالسيارة الى منزله في (هرلنگن) لقضاء الليلة مع أسرته ثم الذهاب صباحاً الى برختسگادن للإجتماع بهتلر.

وكان الخامس من حزيران "يوماً هادئاً" كما ذكر الجنرال (شپايدل) رئيس أركان رومل. ولم يكن ثم سبب يمنع رومل من القيام برحلته المتباطئة الى ألمانيا. هناك التقارير المعهودة من الجواسيس الألمان حول إحتمال إنزال حليف (هذه المرة بين ٦ حزيران و١٦) الاّ أنها كثيرة تعد بالمئات صارت تتوارد منذ نيسان ولم تؤخذ مأخذ جدٍ. في الواقع أصدر الجنرال فردريك دولمان Fridrich Dollmann قائد الجيش السابع في نورمندي التي كان الحلفاء سينزلون في سواحلها عما قريب أمراً براحةٍ مؤقتة من وضع الاستنفار من درجة (ج) وجمع ضباطه الأقدمين لتمرين خريطة في (رن Rennes) التي تبعد حوالى ١٢٥ ميلاً الى جنوب هذه السواحل، بتاريخ ٦ حزيران.

إن كان الألمان على جهل تامٍ بتاريخ الغزو فهم أيضاً يجهلون مكانه من باب أولى. كان روندشدت ورومل موقنين أنه سيتم في (پادي كاليه Pas-de-Calais) حيث القنال أضيق من أيّ موضع آخر وهناك ركّزا أقوى وحداتهما: الجيش الخامس عشر الذي زيدت قوته من عشر الى خمس عشرة فرقة مشاة ولكن في نهاية آذار راحت بصيرة هتلر التي لاتخطيء تحدثه بأن زخم Schwerpunkt الغزو يحتمل أن يكون في نورمندي وأمر خلال الأسابيع القلائل التالية بتعزيزات كبيرة الى المنطقة الواقعة بين (السين) و(اللوار) وظل ينذر جنرالية "راقبوا نورمندي!".

على أن القوات الألمانية العظمى مشاةً ودروعاً، مازالت باقية في شمال السين بين (الهاڤر) و(دنكرك). وكان (روندشدت) وجنراليه يراقبون (پادي كاليه) لا (نورمندي) وقد شجعهم على إعتقادهم هذا عدد من الغارات التجريبية المزيفة قامت بها القيادة العليا الأنگلو أمريكية خلال نيسان وأيار مما اوهمهم أن حسابهم صحيح.

إذن مر الخامس من حزيران بسلامٍ نسبي قدر ما يتعلق منه بالألمان واستمرت الهجمات الجوية الأنگلو-أمريكية العنيفة لتعطيل محطات الرادار وتخريب مستودعات الألمان وتدمير قواعد إطلاق صواريخ (ڤ-١) والمواصلات ووسائط النقل. إلا أن هذه الغارات ليست بالحدث الجديد فهي مستمرة ليلاً ونهاراً منذ أسابيع ولم تبد أعنف واقوى خلال هذا اليوم.

بعد حلول الظلام بقليل ابلغ مقر قيادة (روندشدت) أن هيئة الإذاعة البريطانية في لندن تذيع عدداً كبيراً غير إعتيادي من الرسائل الجفرية الى رجال المقاومة الفرنسيين. وأن محطات الرادار الألمانية بين شربورگ والهاڤر قد إزدحمت وتشوشت. وفي الساعة العاشرة مساءً التقط الجيش الخامس عشر

رسالة من الإذاعة البريطانية موجهة الى المقاومة الفرنسية يعتقد معناها ان الغزو سيبدأ. فاستنفر هذا الجيش الاّ أن روندشدت لم يجد ضرورة لاستنفار الجيش السابع الذي كان الحلفاء يقتربون من قطاعه الساحلي الى الغرب بين (كان وشربورگ) في تلك الساعة التي تشارف نصف الليل بألفٍ من السفن.

ولم يدرك الجيش السابع ماذا يحصل إلا في الساعة الواحدة والدقيقة الحادية عشر بعد نصف ليلة (٦ حزيران) (ولم يكن قائده بعد قد آب من تمرين الخريطة في (رِن))فقد بدئ بإلقاء فرقتين أمريكيتين وفرقة إنكليزية واحدة من جنود الجو في وسطه واعطي الإنذار العام في الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين بعد نصف الليل.

وبعد خمس وأربعين دقيقة إتصل الميجر جنرال (ماكس پمسيل Max Pemsel) رئيس أركان الجيش السابع بالجنرال شپايدل تلفونياً في مقر قيادة رومل واخبره أن الأمارات تدل على (عملية واسعة النطاق) ولم يصدق (شپايدل) الاّ أنه نقلها (لروندشدت) فوجده مرتاباً أيضاً.

واعتقد الجنرالان كلاهما أن إسقاط المظليين هو مجرد تعميةٍ تستهدف صرف النظر عن إنزالهم الرئيس حول (كاليه). وفي الساعة ٢,٤٠ صباحاً أجيب (پمسيل) أن (روندشدت) "لايعتبر هذا، عملية واسعة"[٣٢]، ولم تعتبر كذلك حتى عندما بدأت الأنباء ترده بعد انبلاج فجر (٦ حزيران) بقليل بأن أسطولاً حليفاً جباراً راح يُنزل في ساحل نورمندي بين نهري (ڤير Vire واورن Orne) قطعات جسيمة من الجنود تحت ستار ناري قتال من المدفعية الضخمة لعمارة من سفن الحرب. وإذذاك آمن قائد الغرب العام أن هذا هو الهجوم الأنگلو أمريكي الرئيس ولم يَغدُ الأمر واضحاً –على حد قول (شپايدل)– الاّ بعد ظهر يوم ٦ حزيران. وعند هذا الوقت كان الأمريكان قد أنشأوا لهم معبرين على السواحل ومسك البريطانيون معبراً ثالثاً وتوغلوا في البر بعمق يتراوح بين ميلين وستة أميال.

كان (شپايدل) قد تلفن لرومل في بيته الساعة ٦ صباحاً. فأسرع الفيلدمارشال عائداً بالسيارة دون ان يذهب لمقابلة هتلر. الاّ أنه لم يصل مقر قيادة مجموعة جيوش (ب) إلاّ في ساعة متأخرة من المساء[٣٣]. وفي الوقت نفسه كان روندشدت ورئيس أركانه الجنرال (بلومنتريت)، والجنرال شپايدل متصلين بالقيادة العليا التي كانت آنذاك في برختسگادن. بمقتضى أمر جنوني أصدره هتلر، لم يكن حتى قائد جيوش الغرب العام يستطيع إستخدام دروعه إلا بعد حصوله على أمرٍ صريحٍ بذلك من الزعيم. وعندما طلب القادة الثلاثة في صباح السادس من حزيران السماح بدفع فرقتين من الدروع الى نورمندي اجاب (يودل) أن هتلر سيريد أن يرى ما يستجد. وبعدها آب الى مخدعه ولم يعد

٣٢- سجل المكالمات التلفونية لمقر قيادة الجيش السابع. هذه الوثيقة الهامة تم الإستيلاء عليها بحالة سليمة جداً في آب ١٩٤٤ وتقدم وثائق ثمينة جداً ومصدراً قيماً لوجهة النظر الألمانية عما حصل لجيوش هتلر في يوم الغزو وفي أثناء معركة نورمندي التي تلته.

٣٣- منع الزعيم قادته الاقدمين من القيام برحلاتهم بطريق الجو، في الجبهة الغربية بسبب تفوق الحلفاء الجوي.

بالإمكان اقلاقه بنداءات إستغاثة جنراليته الغرب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. وعندما استيقظ وجدت أنباء السوء المتوالية طريقها اليه فدفعت سيد الحرب النازي الى العمل، واعطى الأمر بإستخدام فرقتي الدروع (لير Lehr) والـ(إس. إس) الثانية عشرة في نورمندي (عند فوات الأوان كما تبيّن بعدئذ). وكذلك أصدر أمراً يومياً مشهوراً احتفظ به للاجيال القادمة في سجل أحداث الجيش السابع الخاص:

٦ حزيران ١٩٤٤

الساعة ١٦٥٥

"ان رئيس هيئة أركان قيادة الغرب يعرب عن رغبة القيادة العليا في ان يباد العدو في رؤوس الجسور إبادة (تامة) حتى مساء يوم ٦ حزيران مادام يوجد خطر إنزال جوي وبحري آخر لمساندته... ويجب أن يتم تنظيف الساحل من العدو في موعدٍ اقصاه هذه الليلة"

في هواء الجبل المنعش بأوبرسالزبرگ من حيث يحاول هتلر الآن إدارة أخطر معركة رأتها الحرب حتى هذه الساعة (ظل أشهراً وهو يردد أن مصير ألمانيا سيتقرر في الغرب) يبدو أن هذا الأمر اليومي العجيب اتخذ بغاية الجد ووافق عليه يودل وكايتل، حتى رومل نفسه الذي بلغ به تلفونياً بعد الخامسة عصراً بقليل، يظهر أنه أخذه مأخذ الجد فقد أمر مقر الجيش السابع بشن هجوم بالفرقة المدرعة الحادية والعشرين وهي الوحدة المدرعة الألمانية الوحيدة في المنطقة "حالاً وبصرف النظر عن وصول نجدات أم لا".

قامت هذه الفرقة بذلك دون انتظار اشارة من (رومل) وكان رد الجنرال (پمسيل) القابض على الطرف الآخر من التلفون عندما اتصل (رومل) بالجيش السابع رداً حازماً قاطعاً على طلب هتلر "بتنظيف رأس الساحل من قوات الحلفاء في موعد اقصاه هذه الليلة" اذ هتف:

- إن هذا مستحيل!

في الواقع أصبح بيد الأمريكان ثلاثة رؤوس في الساحل. وهكذا وفي ساعات معدودات ثُغر الجدار الغربي الهتلري الذي أصعدت الدعاية مناعته الى عنان السماء. وطردت من الجو اللوفتوافّه التي تبجح بها أهلها في الماضي ولم يبق للأسطول في البحر من أثر والجيش قد بوغت بهجوم لاعهد له بمثله. لقد كانت المعركة في مراحلها الأولى لكن نتائجها لن تكون موضع شكٍ طويل. يقول شپايدل "من التاسع من حزيران فصاعداً باتت المبادأة بيد الحلفاء بلا منازع".

قرر (روندشدت ورومل) أن الوقت قد حان ليصارحا هتلر بذلك وجهاً لوجه وان يطلبا منه تحمل التبعات والنتائج. واقنعاه في إجتماع لهما معه في ١٧ حزيران في ماركيفال Margival بالقرب من سواسون Soissons، داخل مخبأ ممتنع عن القنابل فخم البناء، بني ليكون مقراً للزعيم أثناء غزو بريطانيا في صيف عام ١٩٤٠ لكنه لم يستخدم. والآن وبعد مرور فصول صيف أربعة ظهر سيد الحرب النازي فيه لأول مرة.

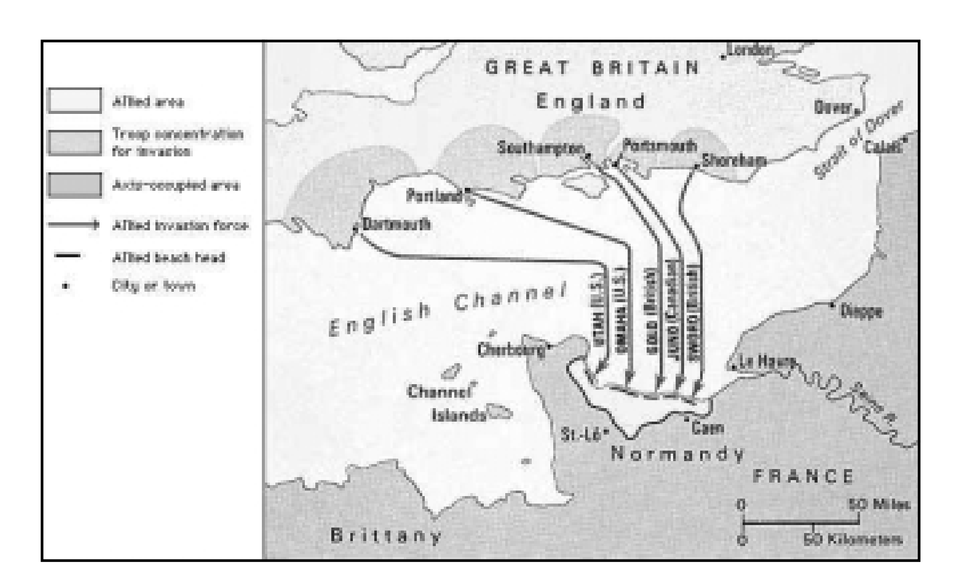
"[كتب شپايدل يقول] بدا شاحب الوجه مؤرقاً. يعبث عبثاً عصياً بعويناته وبعدد من الأقلام الملونة بين أصابعه. وجلس بظهر منحنٍ على معقد لاظهر له بينما بقي الفيلدمارشالات وقوفاً. وبدت قواه المغناطيسية متلاشيةً وكانت تحياته جافة باردة. ثم طفق يتكلم بصوت جهوري معرباً عن إستيائه لنجاح الحلفاء في إنزالهم، محاولاً إلقاء المسؤولية فيه على قادة الميدان"[٣٤]. إلا أن إحتمال هزيمة ساحقة أخرى كان قد نفح الجرأة في الجنرالات أو على الأقل في (رومل) الذي تركه (روندشدت) يتولى معظم الحديث عندما توقف تنديد هتلر المتدفق بهم بصورة مؤقتة. ويقول شپايدل الذي كان حاضراً "أشار رومل بصراحةٍ لا رحمة فيها... الى أن القتال كان لا فائدة منه إزاء تفوق (الحلفاء) في الجو والبحر والبر[٣٥]. لكن لن يكون الموقف ميئوساً منه الى هذا الحد إن تخلى هتلر عن إصراره السخيف بالتمسك بكل قدم مربعة من الأرض ثم دفع قوات الحلفاء الى البحر. واقترح رومل بموافقة روندشدت أن ينسحب الألمان خارج مدى مدفعية قطع أسطول العدو القتالة ويسحبوا وحدات دروعهم الى ماوراء خط القتال ويعيدوا تنظيمها لهجمة تالية عاتية قد تلحق الهزيمة بالحلفاء في معركة "ميدانها بعيد عن مدى مدفعية الأسطول".

إلا أن سيد الحرب الأعلى ماكان مستعداً للإنصات الى أيّ إقتراح بالإنسحاب. لأن الجنود الألمان يجب أن يقفوا صامدين ويقاتلوا وكان واضحاً أن الموضوع لم يعجبه فأسرع بالانتقال الى مواضيع أخرى وفي خطبة قصيرة وصفها (شپايدل) "بمزيج غريب من الهزل والجد" أكد لجنراليته أن سلاح (ق-١) الجديد الذي أطلق لأول مرة على لندن سيكون عاملاً حاسماً في دحر بريطانيا... وسيحمل البريطانيين على طلب الصلح" ونبّه الفيلدمارشالية هتلر الى إخفاق اللوفتوافّه التام في الغرب فأجاب "إن مجموعات وكتلاً من الطائرات النفاثة سوف تطرد الطائرات البريطانية والأمريكية من الجو (لم يكن لدى الحلفاء نفاثات في ذلك الحين إلا أن الألمان بدأوا بإنتاجها) ثم أضاف "... وعندئذ ستنهار بريطانيا"، وقطع عليهم الحديث إقتراب طائرات حليفة مغيرة، فأرغموا على نقل الإجتماع الى ملجأ الغارات الجوية الخاص بهتلر المبني بالسمنت المسلح. بعد ان استقر المقام بهم استأنفوا الحديث[٣٦].

٣٤- شپايدل المرجع السالف ص٩٣.

٣٥- كتب رومل ليودل في ٢٣ نيسان قبل أقل من شهرين: "لو نجحنا - رغم تفوق العدو الجوي في استعمال جزءٍ كبيرٍ من قوتنا الآلية في المعركة في أول ساعات الغزو ودفعها حالاً الى قطاعات الدفاع في الساحل المهدد، فأنا واثق أن هجوم العدو على الساحل سينهار تماماً في أول يوم. (أوراق رومل نشرها ليزل هارت، ص٤٦٨) إن أوامر هتلر القاطعة جعلت من المتعذر قذف فرق الدروع "في أول الساعات" لا بل في الأيام الأولى. وعندما وصلت أخيراً قُذفت الى الميدان جزءً جزءً ففشلت. [المرجع السالف الص ٩٣-٩٤ وقد اعتمدناه في كتابة هذا الموضوع اصلاً. ترك وصفاً له أيضاً الجنرال بلومنتريت رئيس أركان روندشدت. وهناك مواد أخرى في (أوراق رومل- ليدل هارت الص ٤٨٦-٤٨٧).

٣٦- استغرقت الاحاديث من التاسعة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر بضمنها فترة الغداء ويذكر شپايدل "أنه غداء من طبق واحد فيه عبأ هتلر صحنه من الأرز والخضروات. ولم يأكل إلا بعد أن ذاقها له الذواقة مسبقاً. وضعت أمامه زجاجات عديدة فيها حبوب وسوائل طبية وكان يتناولها على التوالي. وكان إثنان من الحرس الأسود يقفان وراءه لحراسته".



الهجوم البريطاني على نورمندي

وفي هذه المرحلة منه أصر رومل على طرق باب السياسة:

"[يقول شپايدل] تكهن رومل بتصدع سيصيب الجبهة الألمانية في (نورمندي) وان الإندفاع الذي سيقوم به الحلفاء الى داخل ألمانيا لايمكن وقفه قط... وابدى ارتيابه في صمود الجبهة الروسية أيضاً. واشار الى عزلة ألمانيا السياسية التامة... وختم كلامه... ملحاً بوجوب إنهاء الحرب.

وكان هتلر في أثناء كلامه يعترضه بين الفينة والفينة فلما وصل الى هذا الحد قاطعه بشكل باتٍ قائلاً "لاعليك بمستقبل سير الحرب وحريّ بك ان تهتم بجبهة الغزو الخاصة بك"، ولم يتوصل الفيلدمارشالان الى اية نتيجة سياسية أكانت أم عسكرية. وذكر (يودل) هذا الإجتماع في نورمبرگ وقال "لم يكترث هتلر لتحذيراتهما" أخيراً طلبا منه ان يزور على الأقل مقر قيادة رومل (مجموعة جيوش -ب-) ليستطلع آراء قادة الميدان حول الموقف الذي يجابهونه في (نورمندي). فوافق هتلر على ذلك بتردد وتقرر أن يكون ذلك بعد يومين (١٩ حزيران).

إلا أنه لم يحفظ الموعد. فبعيد مغادرة الفيلدمارشالين (ماركيڤال) عصر يوم ١٧ حزيران تحولت قذيفة مسيّرة من صاروخ (ڤ-١) عن طريقها الى لندن وانقلبت لتحط فوق مخبأ الزعيم ولم يقتل أو يجرح أحد إلا أن هتلر زاد إضطرابه مما حمله على الرحيل فوراً الى موضع أكثر أمناً ولم يقف به المطاف حتى بلغ به جبال (برختسگادن).

وهناك سرعان ما هطلت عليه أنباء أسوء. ففي ٢٠ حزيران بدأ الهجوم السوڤيتي المرتقب منذ أمدٍ طويلٍ في الجبهة الوسطى ثم انداح وبلغ أقصى حدته بسحق مجموعة الجيوش الوسطى الألمانية التي



الإنزال البريطاني على شواطيء نورمندي

عبأ فيها أقوى وحداته - سحقاً تاماً خلال أيام قلائل، وانشقت الجبهة عن ثغرة واسعة وبات السبيل مفتوحاً الى پولندا. وفي ١٤ تموز عبر الجيش الأحمر حدود العام ١٩٣٩ الشرقية الپولندية واندفعت حجافله الجرارة الى داخل پروسيا الشرقية. وراحت القيادة العليا الألمانية تجمع كل ما أمكن جمعه من الإحتياطي وتدفعه بغاية السرعة الى الجبهة، للدفاع -ولأول مرة في تاريخ الحرب العالمية الثانية- عن أرض الوطن بالذات. إن هذا الخرق العظيم ساعد على تقرير مصير الجيوش الألمانية في الجبهة الغربية. فمنذ الآن ماعادوا يستطيعون الإعتماد على وصول تعزيزات كبيرة.

وعاد (روندشدت وروميل) يناشدان هتلر في ٢٩ حزيران، بأن يواجه الحقائق في المشرق والمغرب ويحاول إنهاء الحرب في حين مازال يوجد مجموعات كبيرة من الجيش الألماني سالمة الهياكل. كان ذلك في إجتماع بأوبرسالزبرگ. وعاملهما ببرود وجفاء، ونبذ مناشدتهما باقتضاب ثم تحدّر سيل الكلام الدافق من فمه مصوراً كيفية ربحه الحرب "بالمعجز من الأسلحة الجديدة" ويقول (شپايدل) إن حديثه هذا "ضاع في إستطرادات ذات شذوذ عجيب".

وبعد مرور يومين على الإجتماع أصدر أمراً بتعيين الفيلدمارشال فون كلوگه في مَحل روندشدت[٣٧]. وفي ١٥ تموز كتب روميل لهتلر رسالة مطولة وارسلها بالبرق التلفوني الخاص بالجيش.

٣٧- ربما امكن أن يعزى جانب من أسباب إقصاء روندشدت الى العبارات الخشنة التي وجهها الى (كايتل) في الليلة السابقة. كان (كايتل) قد إتصل به تلفونياً ليستوضح منه الموقف. وكان (روندشدت) في حالة شديدة من الضيق والغم فقبل ساعات فشل هجوم عام قامت به أربع فرق مدرعة للـ(إس. إس) على الخطوط البريطانية تمزقت شرّ ممزّق. هتف كايتل: "ماذا سنفعل ليت شعري؟" =

جاء فيها: "ان الجنود يحاربون حرب الأبطال في كل مكان، الاّ أن الكفاح غير المتعادل يقترب من نهايته". ثم أضاف حاشية بخط يده:

"ينبغي لي ان ارجو فيك التوصل الى الاستنتاج الصحيح دون تأخير. وأشعر أن واجبي كقائد عام لمجموعة جيوش (ب) أن أبسط ذلك بكل صراحة"(٣٨).

ثم إلتفت رومل الى شپايدل قائلاً "لقد اعطيته فرصته الأخيرة فإن لم ينتهزها، فإلى العمل!"(٣٩)

وبعد يومين من هذا في عصر ٧ تموز بينما كان (رومل) عائداً من جبهة نورمندي الى مقره العام في سيارته العسكرية هاجمته مقاتلة حليفة على إرتفاع قليل وفتحت عليه نارها فأصيب بجراح بليغة بلغت خطورتها أن الأمل بحياته انقطع، وحكم عليه أنه لن يعيش أكثر من مغرب الشمس. فوقع النبأ وقع الصاعقة على المؤتمرين لأن (رومل) كان إذذاك قد قرر قراراً لارجعة فيه أن ينهض بقسطه في تحرير ألمانيا من نير هتلر (وان ظل مصراً على عدم إغتياله) في خلال الأيام القلائل التالية و(شپايدل) يقسم على ذلك(٤٠). ولقد تبين بعد ذلك أن جرأته وإقدامه هما ما كانا يفتقر اليهما الكثير من ضباط الجيش الذين لم يحنثوا بيمين ولائهم إلا بعد مضي هذا الوقت الطويل وعندما راحت الجيوش الألمانية تتمزق شر ممزق في المشرق والمغرب في شهر تموز ١٩٤٤، هناك فقط عقدوا الخناصر على إسقاط هتلر وقوميته الإشتراكية.

يقول (شپايدل) أن المؤتمرين "تملكهم شعور الأسى العميق لحرمانهم عماد قوتهم"(٤١).

= فبادره روندشدت ساخطاً "اعقدوا صلحاً ايها الحمقى! ماذا يسعكم أن تفعلوا غير هذا؟"
ويبدو أن كايتل "المصانع الواشي" كما يطلق عليه معظم قادة الميدان ذهب رأساً الى هتلر ونقل اليه العبارات، وكان الزعيم في تلك اللحظة يباحث (كلوگه) الذي كان يقضي اجازة مرضية في الأشهر القلائل الأخيرة بسبب جروح اصيب بها في حادث اصطدام سيارة. فعين فوراً خلفاً (لروندشدت). بهذه الطرق كانت القيادات العليا تغير وتستبدل من قبل سيد الحرب النازي. لقد روى الجنرال (بلومنتريت) قصة هذه المكالمة التلفونية لكل من ويلموت Wilmot (الكفاح لأجل أوروپا، ص٣٤٧) وليدل هارت (الجنرالات الألمان يتكلمون، ص٢٠٥).

٣٨- نص الرسالة أثبتها شپايدل [المرجع السالف الص ١١٥-١١٧] وهناك نص آخر يختلف قليلاً في [أوراق رومل الص ٤٨٦-٤٨٧].

٣٩- شپايدل: المرجع السالف، ص١١٧.

٤٠- المرجع السالف الص ١٠٤-١١٧.

٤١- يقتبس شپايدل من الكاتب ارنست يونگر Ernst Juenger الذي كانت كتبه كثيرة الإنتشار في ألمانيا النازية ثم انقلب أخيراً وانضم الى ذيل المؤامرة في پاريس "ان الضربة التي حلت برومل في طريق ليڤارو Livarot في ٧ تموز حرمت خطتنا من الرجل الوحيد الذي يوجد فيه من القوة مايمكنه ان يحمل ثقل الحرب والحرب الاهلية في وقت واحد"[شپايدل: غزو عام ١٩٤٤، ص١١٩].

-٥-

المؤامرة قبيل التنفيذ

إن النجاح الذي حالف الحلفاء في إنزال (نورمندي) اشاع في نفوس المؤتمرين في برلين فزعاً عظيماً فـ(شتاوفنبرگ) كما مر - كان يستبعد قيام الإنزال في ١٩٤٤، وإن شُرِع فيه فحظه في النجاح لن يزيد عن خمسين بالمائة. والظاهر أنه كان يتمنى للعملية الفشل لأن ذلك سيدفع حكومتي أمريكا وبريطانيا إلى الرغبة في إجراء مفاوضات صلح في الغرب، مع حكومته الجديدة المعادية للنازي. فبإندحار دموي باهظ الثمن يمكن الحصول على شروط أفضل.

ولما اتضح نجاح الغزو، ونزول هزيمة شنعاء أخرى بألمانيا وبإقترابها من هزيمة أخرى جديدة أدهى وأعظم في المشرق، تساءل شتاوفنبرگ وبيك وگويردلر عن جدوى إستمرارهم في خططهم. وفي حالة نجاحهم أليس هو اللوم وحده الذي سيصيبهم لجرهم على البلاد النكبة الأخيرة؟ واذا كانوا مدركين أن هذه النكبة واقعة لامحالة، فان جمهرة الشعب الألماني لايدركها بصورة عامة. وبعد تقليب وجوه النظر توصل (بيك) الى التعليل التالي: رغم أن الثورة المعادية للنازية لاتستطيع تجنيب ألمانيا إحتلال العدو لأراضيها. فإن نجاحها سينهي الحرب ويقصر امدها، ويوقف سفك المزيد من الدماء، ويضع حداً لخراب الوطن وإن سلماً في هذه المرحلة سيمنع الروس أيضاً من إجتياح ألمانيا وبلشفتها، كذلك سنثبت للعالم أن هناك ألمانيا أخرى وراء ألمانيا النازية. ثم من يدري؟ لعل الحلفاء سيكونون أقل صرامة مع ألمانيا المغلوبة رغم إصرارهم على الإستسلام غير المشروط. فوافقه (گويردلر) على رأيه وزاد بتركيزه آمالاً أعظم على الديمقراطيات الغربية، قائلاً أنه يعلم كم يخشى چرچل "خطر نصرٍ روسي حاسم".

أما المؤتمرون الأصغر سناً وفي طليعتهم (شتاوفنبرگ) فلم يكونوا متفقين تماماً وطلبوا الرأي والهداية من (ترسكوف) الذي كان الآن رئيس أركان الجيش الثاني في الجبهة الروسية المتصدعة. واعاد جوابه المؤتمرين الزائفين الى جادة الصواب ثانية اذ قال لهم:

"ان الإغتيال يجب ان يتم بأي ثمن، وإن فشل فيجب مواصلة محاولة تسلم زمام السلطة في العاصمة. علينا ان نثبت للعالم وللاجيال الآتية بان رجال حركة المقاومة الألمانية أقدموا بجرأة على الخطوة الحاسمة ووضعوا أنفسهم في لجة أخطارها. وليس ثم شيء عزيز عند هذا الهدف[٤٢].

وحسم هذا الرد الملهم الخلاف ونفخ نسمة الحياة في المعنويات وبدد شكوك (شتاوفنبرگ) وأصدقائه الشباب ودفع المؤتمرين الى العمل الفوري الخطرُ المحدقُ بالجبهات في روسيا وفرنسا وإيطاليا. وهناك حادث آخر كان له أثره في الاستعجال.

٤٢- شلابرندورف: المرجع السالف، ص١٠٣. لم يزل مرتبطاً بمكتب (ترسكوف).

منذ بدء التآمر ظلت حلقة بيك- گويردلر- هاسل تأبى أن يكون لها أي شأن مع حركة الشيوعيين السرية، وكانت النفرة متبادلة فالشيوعيون يرون أن المؤتمرين لايقلون رجعية عن النازيين وان نجاحهم قد يحول دون قيام الإشتراكية الشيوعية في ألمانيا على أنقاض القومية الإشتراكية. وكان (بيك) وأصدقاؤه على علمٍ تامٍ بوجهة نظر الشيوعيين هذه، وبخطط عملهم. كما عرفوا أيضاً ان حركة المقاومة الشيوعية متصلة بموسكو تتلقى منها التعليمات. وانها مصدر للروس في المعلومات[٤٣].

والأخطر من هذا انهم كانوا على علم بوجود كثير من وكلاء الگشتاپو مندسين في صفوف الشيوعيين للتجسس عليهم، هؤلاء كان يسميهم هاينريخ موللر Heinrich Mueller رئيس الگشتاپو (برجال – ڤي ٧) وهو نفسه تلميذ معجب بشرطة الأمن السوڤيتية N.K.V.D بيريا.

في حزيران قرر المؤتمرون الإتصال بالشيوعيين خلافاً لرغبة گويردلر والأعضاء الأكبر سناً، وجرى ذلك بناءً على إقتراح تقدم به الجناح الاشتراكي، وبخاصة أدولف رايشڤاين Adolf Reichwein الفيلسوف الاشتراكي الطائر الصيت الذي كان مديراً لمتحف الفنون الشعبية في برلين، كان (رايشڤاين) على إتصالٍ مبهم بالشيوعيين. ومع شك شتراوفنبرگ الشخصي بهم إلاّ أنّ صديقيه الإشتراكيين (رايشڤاين وليبر) أوضحا له ضرورة الإتصال بهم في هذه المرحلة الى مدىً معين للاطلاع على ما يختطونه هم وماذا سيعملون عند نجاح الإنقلاب. وإن امكن فتوثيق التعاون معهم في آخر

٤٣- لقد ظهر ذلك في قضية (روته كاپله Rote Kapelle) في ١٩٤٢ عندما اكتشف (الآبفيهر) عدداً كبيراً من الألمان في امكنة ستراتيجية ومعظمهم من أسرٍ عريقة معروفة يديرون شبكة تجسس واسعة النطاق لصالح السوڤييت الروس. وظلوا الى حين يبعثون بمعلوماتهم الى موسكو بأكثر من مائة جهاز لاسلكي سِري في ألمانيا والبلدان الغربية المحتلة. وكان يرأس هذه الـ(روتة كاپله = الجوقة الحمراء) هارولد شولزه–بويسن Harold Schulze-Boysen حفيد أمير البحر الأكبر (ڤون تريبتز) وهو رئيس عجيب حقاً يسترعي الإهتمام من ذلك "الجيل الضائع" نتاج الحرب العالمية الأولى، وشخصية بوهيمية معروفة في تلكم الأيام في برلين بصداره الأسود ولمة شعره الاشقر الكثيف. وغرامه الشديد بالشعر الثوري والسياسة يسترعي الإنتباه. في ذلك الحين كان صدوفاً عن النازية عزوفاً عن الشيوعية وان اعتبر نفسه يسارياً، وتمكن بسعي من والدته من الدخول في اللوفتوافّه برتبة ملازم في مبدأ الحرب وتسلل الى دائرة "ابحاث Forschungsamt" گورنگ التي اختصت كما رأينا في وقائع ضم النمسا، بالانصات الى المكالمات التلفونية الهامة وتسجيلها. وسرعان مابدأ ينظم شبكة واسعة للتجسس لحساب موسكو مع زملاء موثوق بهم في جميع الوزارات ودائرة الحرب في برلين ومن بين هؤلاء (آرڤيد هارناك Arvid Harnack) إبن أخ لاهوتي شهير وهو إقتصادي شاب لامع الذهن يعمل في وزارة الإقتصاد متزوج من الأمريكية (ميلدرد فيش Mildred Fish التي التقى بها في جامعة (وسكونسن)، و(فرانز شيليها Franz Scheliha) في وزارة الخارجية والكونتس (اريكا فون بروكدورف Erika Von Brochdorff) بوزارة العمل (وهورست هايلمان Horst Heilmann) في وزارة الدعاية.
وكان أن هبط ألمانيا بالمظلات وكيلان سوڤييتيان، وقبض عليهما بعد مدة وكشفا عن شبكة "الجوقة الحمراء"، وتلا ذلك اعتقالات واسعة. ثم حكم على (٥٠) من اصل (٧٤) متهماً بالخيانة بالموت ومنهم شولزه–بويسن وهارناك وحكم على ملدريد هارناك والكونتس فون بروكدورف بالحبس الاّ ان هتلر اصر على ان تقتلا أيضاً فتم له ذلك. ولكي يضرب بالجميع مثلاً وعبرة لكل من تسول له نفسه بالتجسس أمر بشنق المحكومين ولم يكن يوجد مشنقة في برلين لأن الاصول التقليدي المتبع هو قطع الرأس بالبلطة. ولهذا خنق الضحايا خنقاً بطيئاً بحبل ضغط على اعناقهم مشدود بخطاف من خطافات تعليق اللحم (استعيرت من أحد الجزارين) وعلقوا ببطء. ومنذ ذلك الحين استخدمت هذه الوسيلة كشكل خاص من اشكال الصرامة والقسوة لمن يجرأ على تحدي الزعيم.

لحظةٍ لتوسيع قاعدة المقاومة ضد النازية. فوافق متردداً أن يقوم (ليبر ورايشڤاين) بمقابلة زعماء حركة المقاومة السرية الشيوعية في ٢٢ حزيران وأوصاهما ألاّ يزوّدا الشيوعيين إلاّ بالأقلّ من المعلومات. وتم اللقاء في شرق برلين (ليبر ورايشڤاين) ممثلين عن الاشتراكيين. وشخصان هما (فرانز ياكوب Franz Jakob) و(انطون سايفكوف Anton Saefkow) قالا أنهما من زعماء الشيوعيين السريين (وربما كانا بهذه الأهمية)، وكان يرافقهما رفيق ثالث قدماه باسم (رامبوف Rambow)، واتضح أن معلومات الشيوعيين عن المؤامرة ضد هتلر أكثر مما توقعه الاشتراكيان وأراد ممثلاهم أن يعرفا المزيد وطلبا الإجتماع بزعماء المؤامرة العسكريين في ٤ تموز. إلا أن شتاوفنبرگ لم يوافق وخوّل رايشڤاين أن ينوب عنه في الإجتماع المنوي. وبوصوله هو والشيوعيان الى محل الإجتماع داهمهم الگشتاپو وقبض على الثلاثة وتبين فيما بعد أن (رامبوف) كان من جواسيس الگشتاپو المندسين في الحركة الشيوعية وفي اليوم التالي ألقي القبض على (ليبر) وهو الرجل الذي كان (شتاوفنبرگ) يعتمد عليه ويتوسم فيه القوة السياسية الكبيرة في الحكومة الجديدة[٤٤].

اضطرب (شتاوفنبرگ) ظهراً لبطن وتولاه الأسى العميق لإعتقال (ليبر)، وكانت قد نشأت بينهما علاقة صداقة خاصة متينة، فضلاً عن إدراكه قيمته التي لاتثمن في الحكومة الجديدة المرتقبة. الاّ أنه بجانب هذا رأى الخطر الماحق الذي يكتنف جوانب المؤامرة كلها. بعد أن بلغ رجال همل الى هذا القرب منها. إن لبير ورايشڤاين وياكوب وسايفكوف) رجال شجعان ما في ذلك من شك أهل للإعتماد في أن لايكشفوا شيئاً من أسرار المؤامرة حتى تحت أهوال التعذيب. أو قد لايكون كذلك... راح بعض المؤتمرين يشكون في قابليتهم على الصمود. فهناك حدود لايستطيع بعدها اشجع الشجعان ان يبقى مقفل الفم... عندما يشيع في كل جزءٍ من جسمه ألم مبرح يتعذر إحتماله. إن إعتقال (ليبر ورايشڤاين) كان حافزاً آخر للعمل الفوري.

-٦-

إنقلاب ٢٠ تموز ١٩٤٤

قبيل ختام حزيران أقبل الحظّ على المؤتمرين بشكل غير منتظر، فقد رقي (شتاوفنبرگ) الى رتبة عقيد وعين رئيس أركان للجنرال (فروم) القائد العام للجيش الداخلي. فمكنه هذا المنصب من إصدار الأوامر الى قطعات الجيش الداخلي باسم (فروم) فضلاً عن اتاحته الفرصة لمقابلات مباشرة كثيرة مع الزعيم. والواقع أن هتلر اخذ يستدعي قائد جيش الأحتياطي (الداخلي) أو نائبه الى المقر العام بمعدل مرتين أو ثلاث في الأسبوع ليطلب منه نجدات جديدة يسد بها النقص الهائل الذي تعانيه فرقه في روسيا. وقرر (شتاوفنبرگ) ان يزرع قنبلة في محل إجتماعٍ من هذه الإجتماعات.

٤٤- اعدم الحياة أربعتهم، رايشڤاين وليبر وسايفكوف وياكوب.

بات (شتاوفنبرگ) الآن رجل المؤامرة الأول. وعلى عاتقه استقرت فرصتها الوحيدة في النجاح. ولأنه الوحيد بين المؤتمرين الذي يمكنه النفوذ الى داخل مقر الزعيم المحروس حراسة شديدة، ولكونه رئيس أركان الجيش الداخلي فعليه يقع أيضاً واجب توجيه الجنود الى مواضع السيطرة على برلين بعد هلاك هتلر (لأن فروم لايركن اليه تمام الركون، لرفضه الانضمام الى المؤامرة مبدئياً) زد على هذا كله انه كان مضطراً الى تنفيذ العمليتين في يوم واحدٍ، وفي موضعين يبعد أحدهما عن الآخر مسافة ٢٠٠ او ٣٠٠ ميل من أيّ ناحية نظرت اليهما - وسواء كان المقر أوبرسالزبرگ أو (راشتنبرگ)، فتلك هي عين المسافة التي تقوم بينهما وبين برلين ولامندوحة في ان يكون بين العمليتين فاصل زمني يتراوح بين الساعتين أو الثلاث. وكل ما كان يستطيع عمله وهو جالس في الطائرة التي ستقله الى برلين عائداً من عمليته الأولى، هو ان يتعشم تطبيق خطته بسرعة وتفانٍ على يد زملائه في برلين. وسنرى ان هذه الفترة كانت عقبة تمخضت بمشكلة. وليست هي المشكلة الوحيدة فهناك كثيرات، واحدة منها عقّدت الأمور في حين لم تدعُ اليها ضرورة ماسة. فهؤلاء المؤتمرون الشديدو اللهفة الى العمل توصلوا الى ان قتل هتلر وحده ليس بكافٍ وانما يجب قتل گورنگ وهملر في آن واحد معه وبهذا يضمنون عدم إستخدام القوات العسكرية المرتبطة بإمرة هذين ضد إنقلابهم كما فكروا أيضاً أن القادة الكبار في الجبهة، ممن لم يكسبوهم سيكونون اسرع الى الإنضمام اليهم عند قتل مساعدي هتلر الرئيسين. ولما كان گورنگ وهملر يحضران عادةً في المؤتمر العسكري اليومي في مقر قيادة الزعيم فقد ظن بالإمكان قتل ثلاثتهم بقنبلة واحدة. هذا الظن السخيف ادى الى افلات فرصتين ذهبيتين من (شتاوفنبرگ).

استدعي في ١١ تموز لتقديم تقرير للزعيم في مقره (باوبرسالزبرگ) حول المدد الذي هو بأمس الحاجة اليه. فحمل الى برختسگادن واحدة من قنابل (الآبفيهر) الإنگليزية الصنع. وقبلها بليلة واحدة قرر المؤتمرون في برلين بأن هذه هي اللحظة المناسبة لقتل هتلر وگورنگ وهملر. الاّ ان هملر لم يكن موجوداً في إجتماع ذلك اليوم. فترك (شتاوفنبرگ) القاعة واتصل بالجنرال (أولبريخت) تلفونياً ليخبره بأنه يستطيع القضاء على هتلر وگورنگ معاً الاّ ان الجنرال اشار عليه بالانتظار يوماً آخر لينال الثلاثة. وفي تلك الليلة بالذات هرع (شتاوفنبرگ) للقاء (بيك وأولبريخت) عند عودته. وبيّن لهما انه سيحاول قتل هتلر في المرة القادمة سواء وجد گورنگ أو هملر أم لم يجدهما واتفقوا على ذلك.

و اقبلت الفرصة سريعة في المرة التالية. ففي ١٤ تموز، طلب من (شتاوفنبرگ) أن يحضر اليوم التالي مقر القيادة ليدلي بتقريره حول حالة النجدات. فقد فقدت مجموعة جيوش الوسط (٢٧) فرقة ولم يعد لها كيان كقوة عسكرية ضاربة. وكان يحتاج الى كل مجند لملء الثغرات الواسعة في الفرق والوحدات. ونقل هتلر في ١٤ تموز مقر قيادته الى راشتنبرگ ليشرف شخصياً على محاولة بناء الجبهة الوسطى حيث كانت جحافل الجيش الاحمر قد بلغت آنذاك نقطة لاتبعد غير ستين ميلاً عن حدود پروسيا الشرقية. فاستقل العقيد (شتاوفنبرگ) الطائرة صبيحة[٤٥] ١٥ تموز الى مقر الزعيم

٤٥- هناك خلاف بين المؤرخين "هل ان شتاوفنبرگ انطلق الى راشتنبرگ أو الى سالزبرگ؟ ان أوثق مصادري من =

والقنبلة في محفظة أوراقه. في هذه المرة كان المؤتمرون على ثقةٍ من النجاح. حتى انهم اتفقوا على أن تعطى الاشارة الأولى (ڤالكايري). أيّ لتتحرك القطعات زاحفة على برلين ولتبدأ دبابات مدرسة الدروع بالتقدم نحو العاصمة من كرامپنتز، قبل ساعتين من بدء مؤتمر هتلر المقرر عقده في الساعة الواحدة بعد الظهر. يجب ألاّ يكون أيّ تاخير في السيطرة.

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت ١٥ تموز، أصدر الجنرال (أولبريخت) الامر الأول (ڤالكايري) فتحركت الوحدات قبل الظهر الى قلب العاصمة مزودة بأوامر تقضي بإحتلال حي (ڤلهلمشتراسه). وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وصل (شتاوفنبرگ) مع حقيبته الى غرفة مؤتمر الزعيم وادلى بتقريره حول النجدات. ثم سرق نفسه مدة كافية ليتلفن لأولبريخت. ويقول له بجفرةٍ خاصة اتفقا عليها ان هتلر موجود وسيعود الى الإجتماع ليلحقه بأجداده. واعلمه أولبريخت ان الجنود في برلين قد انطلقوا من مقراتهم. أخيراً بدا النجاح في قبضة يدهم. لكن (شتاوفنبرگ) عاد ليجد هتلر قد خرج على ألاّ يعود اليها. فاسرع يائساً الى التلفون ليبلغ أولبريخت بالفشل، فصرع الجنرال وقد تملكه الفزع بإلغاء انذار (ڤالكايري) واعاد الجنود الى ثكناتها باسرع واقل ضجة ممكنة.

ضعضع المؤتمرين فشل آخر محاولةٍ. والتأم عقدهم عند عودة (شتاوفنبرگ) ليتدبروا خطوتهم التالية. واقترح (گويردلر) العودة الى محاولة ما أطلق عليه "الحل الغربي" واشار على (بيك) ان يطيرا معاً الى پاريس للإجتماع (بالفيلدمارشال فون كلوگه) لعلهما يقنعانه بعقد هدنةٍ في الغرب يوافق حلفاء الغرب بمقتضاها ألاّ يتعدوا الحدود الفرنسية الألمانية وبهذا تطلق الجيوش الألمانية حرة في الغرب لتتحول الى الجبهة الشرقية لإنقاذ ألمانيا من الروس وشيوعيتهم! على ان رأس (بيك) كان أكثر صفاءً من (گويردلر)، ان فكرة حصولهم الآن على صلح منفرد مع الغرب هو حلم من احلام الحشاشين. ومهما يكن من امرٍ فإن خطة قتل هتلر والإطاحة بالنازية يجب الإستمرار في تنفيذها مهما كلف الأمر، إن لم يكن فيها الاّ إنقاذ شرف ألمانيا فحسب. فوافقه (شتاوفنبرگ) واقسم انه لن يفشل في المحاولة التالية. أما الجنرال (أولبريخت) الذي اصابه من (كايتل) تأنيب لتحريكه قطعاته في برلين فقد صرح لهم انه لن يفعلها ثانية قبل التأكد. وإلا سيكشف النقاب عن المؤامرة بكاملها وانه لم يخلص نفسه من الورطة الاّ بشق الأنفس. وبعد أن عللها (لكايتل وفروم) بأنها تمرين لتطبيق الخطة. إن هذا الاحجام عن تحريك القطعات مرة ثانية قبل التثبت من موت هتلر، سيكون له تأثير

= الكتاب الألمان في هذا هما المؤرخان (ايبرهارد زيللر، والأستاذ گيرهارد ريتر) وروايتاهما متناقضتان فزيللر يعتقد ان هتلر كان في برختسگادن. إلا ان ريتر يؤكد خطأ ذلك اذ كان هتلر قد عاد الى راشتنبرگ. ومن سوء الحظ ان دفتر مواعيده اليومية الذي برهن على انه دليل للكاتب لايتطرق اليه الخطأ الى حَد هذا التاريخ، لم يعثر عليه كاملاً والموجود منه لايشمل هذه الفترة. الاّ ان خير دليل هو تقرير عن حركات شتاوفنبرگ نظم في مقر قيادة الزعيم في ٢٢ تموز، يشير بصورة جازمة ان هتلر كان في راشتنبرگ في (١٥ تموز) وان شتاوفنبرگ حاول قتله هناك ومع ان هذين المقرين اللذين كان هتلر يدير منهما الحرب هما على بعد متساوٍ تقريباً من العاصمة (نادراً مايكون في برلين لأنها واقعة تحت القصف المتواصل الشديد). فقد كانت برختسگادن ذات موقع متوسط قريبة من مونيخ حيث يعتقد ان حامية الجيش كانت موالية (لبيك) وهي تفضل على راشتنبرگ بالنسبة للمؤتمرين.

مدمر في يوم الخميس الحاسم القادم. في مساء ١٦ تموز، دعا (شتاوفنبرگ) الى منزله في (ڤانسي) عدداً صغيراً من اقرب أصدقائه وأهله وهم شقيقه (برتولد Berthold) وهو شاب منصرف الى العلم هادىء الطبع نافذ البصيرة، يعمل مشاوراً في القانون الدولي بمقر الأسطول. والمقدم كايزر فون هوفاكر Caesar von Hofaker من أبناء عمومته وهمزة الوصل بين المؤتمرين وبين جنرالات الغرب، والكونت (فريتز فون در شولنبرگ) وهو من قدماء النازيين ومازال نائب رئيس شرطة برلين. و(تروت زو صولز). كان (هوفاكر) قد عاد لتوه من الغرب حيث التقى بعدد من الجنرالية منهم (فالكنهاوزن وشتولبناگل وشپايدل وروميل وكلوگه). وذكر عن إنهيار يوشك ان يصيب الجبهة الغربية. والأهم منه أن روميل قرر دعم المؤامرة بصرف النظر على الجهة التي سينحاز اليها (كلوگه) على انه ظل يعارض في قتل هتلر. إلا أن هؤلاء الشبان المؤتمرين اتفقوا بعد نقاش طويل ان القضاء على حياة هتلر هو المخرج الوحيد في الوقت الحاضر وقد زال أيّ شك لديهم الآن في أن عملهم الذي دفعه اليأس، انما ينقذ ألمانيا من حتمية الإستسلام دون قيد أو شرط. بل اتفقوا أيضاً أن العمل سيكون للسوڤييت وللديمقراطية الغربية معاً. وقالوا إن الضروري للألمان -لا لقاهريهم الأجانب- هو تحرير ألمانيا من طغيان هتلر[٤٦].

جاء تفكيرهم متاخراً. لقد ظل عسف النازيين وجورهم يعصف بالبلاد عصفاً أحد عشر عاماً. وهاهم أولاء لم يعقدوا الخناصر للعمل على تقويضه الاّ بعد ان لاحت لهم بوادر الهزيمة النكراء في الحرب آتية لاريب فيها. تلك الحرب التي اثارتها ألمانيا فلم يعملوا الاّ القليل لوقفها وأحياناً لم يُعمل شيء على الإطلاق. والآن يؤكد لهم جنرالية الجبهة ان الإنهيار في الشرق والغرب ربما هو الآن مسألة أسابيع. ولهذا بدا للمؤتمرين ان مجال العمل اصبح منحصراً بأيام معدودات. فزحف القطاعات داخل برلين في ١٥ تموز الماضي أثار بلا شك ريب القيادة العليا. وفي ذلك اليوم وردت الأنباء بإقصاء الجنرال (فالكنهاوزن) حاكم بلجيكا وشمال فرنسا العسكري، وأحد أقطاب المؤامرة عن منصبه فجأة. وإنتابهم خوف من الوشاية. وفي ١٧ تموز علموا ان روميل أُصيب بجراحٍ خطيرة مماحملهم على إخراجه من حسابهم وخططهم الى أجل غير مسمى. وفي ١٨ تموز علم (گويردلر) من أصدقائه في مقر الشرطة العامة ان هملر قد أصدر أمراً بإلقاء القبض عليه، ولم يختف إلاّ بناءً على إلحاح شتاوفنبرگ وبعد إحتجاج منه. وفي اليوم نفسه علم (شتاوفنبرگ) من صديقه القبطان العقيد ألفريد كرانزفلدر Alfred Kranzfelder، وهو أحد ضباط البحرية القلائل في المؤامرة. إن مقر الزعيم سوف يُنسف خلال الأيام القلائل القادمة. يظهر إن احد المتآمرين اطلق لسانه وكان قليل الحذر. واشار كل الدلائل ان الگشتاپو يضيق خناقه على أعلى حلقات المؤامرة.

في عصر يوم ١٩ تموز استُدعي (شتاوفنبرگ) الى راشتنبرگ لتقديم تقرير عن التقدم الذي حصل في تنظيم فرق (الڤولكسگريناديير Volksgrenadier) وكان الجيش الداخلي يستعجل تدريبها لدفعها

٤٦- مصادر هذه الإجتماعات بين المؤتمرين في ١٦ تموز، هي المحاضر الإختزالية لوقائع محاكمة ڤيتزليبن وهوپنر ورفاقهما. تقرير كالتنبرونر عن إنقلاب ٢٠ تموز. ايبرهارد زيللر Geist der Freiheit الص ٢١٣- ٢١٤، (گيرهاردريتر): كارل گويردلر وإنتفاضته الألمانية الص ٤٠١- ٤٠٣.

الى الجبهة الشرقية المنهارة. وكان مقرراً أن يُدلي بتقديره في أول مؤتمر نهاري يُعقد في (٢٠) تموز الساعة الواحدة بعد الظهر[٤٧] في مقر قيادة الزعيم. وأبلغ (شتاوفنبرگ) كلاً من الفيلدمارشال (ڤيتزليبن) والجنرال (هوبنر)، الذين يقطنان على مبعدة خارج برلين، أن يكونا في المدينة عند الأجل المضروب. وقام الجنرال (بيك) بإكمال إستعدادات اللحظة الاخيرة لإدارة حركة الإنقلاب حتى عودة (شتاوفنبرگ) من فعلته القتالة. وأُبلغ الضباط الآمرون الهامون في الحاميات داخل برلين وخارجها بأن ٢٠ تموز سيكون اليوم الموعود! Der Tag.

إستمر (شتاوفنبرگ) يعمل في تقريره لهتلر، حتى الغسق في مكتبه ببندلرشتراسه، ثم غادره بعيد الثامنة مساءً الى منزله في (فانسي) وعرج في طريقه الى كاتدرائية كاثوليكية في دالم Dahlm، فولجها وصلّى[٤٨]. وقضى ليلته في منزله بهدوءٍ مع شقيقه (برتولد)، وآب الى سريره في ساعة مبكرة. وكل من رآه مساء ذلك اليوم وعصره، يجزم انه كان يبدو هادئاً بشوشاً، كأنما ليس هناك شيء غير عادي يوشك ان يقع له.

-٧-

اليوم العشرون من تموز ١٩٤٤

بعيد الساعة السادسة من صباح ٢٠ تموز ١٩٤٤ الدافيء المشمس ركب العقيد (شتاوفنبرگ) سيارة يرافقه الملازم فرنر فون هايفتن Werner von Haefte ماراً بالبنايات المقصوفة في برلين بطريقه الى مطار رانكسدورف Rangsdorf وهو يحمل حقيبة أوراق منتفخة إستقرت بين ملفاتها المتعلقة بالفرق الجديدة قنبلة موقوته ملفوفة بقميص تماثل تلك التي وضعها (ترسكوف وشلابرندورف) في طائرة الزعيم قبل عامٍ، فلم تنفجر بها. وهي كما مرّ بيانه إنگليزية الصنع تنطلق حركتها بكسر قنينة صغيرة، فيأكل الحامض سلكاً صغيراً ممسكاً بإبرة قدح تضغط على كبسولة. وغلظ السلك هو الذي يتحكم في الوقت المنشود للإنفلاق. وكان (شتاوفنبرگ) في صباح هذا اليوم قد إنتقى للقنبلة أرفع سلك ممكن لاتزيد فترة ذوبانه على عشر دقائق.

وفي المطار إلتقى (شتاوفنبرگ) الجنرال (شتيف)، الذي كان قد سلمه القنبلة ليلة أول امسٍ. ووجد

٤٧- يقول الجنرال أدولف هويزنگر رئيس العمليات في القيادة العليا للجيش، أن أنباءً سيئةً جداً وصلت من جبهة أوكرانيا في ١٩ تموز. فسأل من القيادة العليا هل يوجد لدى الجيش الداخلي جنود تحت التدريب في پولندا يمكن إرسالهم الى الجبهة الشرقية. فاقترح كايتل إستدعاء شتاومنبرگ في اليوم التالي للمشاورة [هويزنگر Befehl im Widerstreit ص٣٥٠]

٤٨- فيترگيبون (كتابة: العشرون من تموز ص١٥٠) "يُعتقد أنه قام بفريضة الإعتراف للكاهن قبل ذلك. إلا أنه لم ينل الحَلّة والغفران المسبق طبعاً". ويروي الكاتب أيضاً ان شتاوفبنرگ فاتح مطران برلين الكردينال الكونت پرايسنغ Cardinal Count Preysing بما ينوى عمله، وأن الكردينال أجابه أنه يبارك ويوافق على دوافع الشاب. ولايشعر بأي حق يبرر له منعه عن عمله من الناحية اللاهوتية [المرجع المذكور اعلاه ص١٥٢].

في إنتظاره طائرة الجنرال إدوارد ڤاكنر مدير العينة والتسليح الأول للجيش، وأحد أقطاب المؤامرة في إنتظاره لتقلع به. وكان هذا الجنرال قد رتب أن يضعها تحت تصرفه لهذه المهمة الخطيرة جداً، وحلقت به في الساعة السابعة وهبطت به بعد العاشرة صباحاً بقليل. وأبلغ (هايفتن) طيارها أن يكون مستعداً للعودة بعد الثانية عشرة ظهراً. وأقلتهما سيارة عائدة للأركان الى مقر (وجار الذئب)، وكان يقع في منطقة في پروسيا الشرقية كئيبة المنظر رطبة كثيفة الشجر، ولم يكن بالموضع الذي يسهل الدخول اليه والخروج منه، كما كان واضحاً (لشتاوفبنرگ) بدون شك. بناؤه يتألف من ثلاث حلقات دائرية واحدتها تحيط بالأخرى وتحميها حقول من الألغام، لكل حلقة وقليعة سياج من الأسلاك الشائكة المشحونة بتيار كهربائي صاعق. لاتغفل عنها دوريات الحرس الأسود، الذين أختيروا من أشدهم تعصباً. وللدخول الى الحلقة المركزية الكثيفة الحراسة حيث يسكن هتلر ويعمل يجب ان يكون المرء مزوداً بجواز مرور خاص لايُستعمل الاّ مرة واحدة، ولايستثنى من هذا الإجراء ارفع الجنرالية وأعلاهم رتبة. ويجب أن يخضع الداخل الى فحص شخصي يقوم به نائب زعيم الإس إس وقائد الحرس المدعو "راتنهوبر Rattenhuber". أو أحد نوابه. لكن لما كان هتلر نفسه هو الذي إستقدم (شتاوفبنرگ)، فلم يجد ومرافقه عناءً كبيراً في تخطي نقاط التفتيش الثلاث. على أنهما كانا يتوقفان في كل نقطة لفحص جوازي مرورهما. وبعد تناوله الفطور مع النقيب فون مويلندوف Von Moellendorff مساعد آمر المعسكر، خرج للقاء الجنرال (فريتز فيللبگيبل) قائد سلاح الإشارات في القيادة العليا. وكان هذا أحد رؤوس المؤامرة، وتأكد منه (شتاوفنبرگ) أنه مستعد لإبراق النبأ للمؤتمرين في برلين ليبدأوا حالاً. كما سيقوم أيضاً بعزل مقر الزعيم تماماً بقطع كل الصلات التلفونية والبرقية واللاسلكية والراديو. وهكذا كان مما لاغنى للمؤتمرين عنه لوجوده على رأس كل شبكات المخابرة في القيادة العليا. لقد أسعد المؤتمرين وجوده فيما بينهم وكان عاملاً حاسماً في نجاح الإنقلاب برمته.

وبعد لقائه بالجنرال (بوهله Buhle) ممثل الجيش في القيادة العليا لبحث شؤون الجيش الداخلي معه، خرج قاصداً جناح كايتل وعلّق قبعته ونطاقه في غرفة جانبية ودخل مكتب رئيس القيادة العليا، فعلم منه ما جعله يسرع في تنفيذ خطته. الوقت الآن قد تعدى الثانية عشرة بقليل وهذا (كايتل) يبلغه أن مؤتمر الزعيم النهاري الأول قد تقدم موعده نصف ساعة، وسيعقد في ١٢.٣٠ ظهراً بدلاً من ١ بعد الظهر بسبب موعد وصول موسوليني المقرر في ٢.٣٠ ب.ظ. وأوصاه: أن يختصر من تقريره قدر الإمكان، لأن هتلر يريد إنهاء المؤتمر في زمن متقدم.

أقبل أن تنفلق القنبلة؟ لاشك أن هذا السؤال ساور(شتاوفنبرگ). هل يريد القدر أن يسرق منه نجاحه مرة أخرى ويضيع فرصته الأخيرة؟ ويظهر أيضاً انه كان يأمل ان يتم عقد المؤتمر في مخبأ الزعيم تحت الارض، وحينئذ سيكون الأنفجار اقوى واشد أثراً مما لو تمّ في بناية فوق الأرض. الأ ان كايتل أعلمه بأن الأجتماع سينعقد في ثكنة المؤتمرات[٤٩]. وهو أقوى بكثير من ذلك الكوخ الخشبي

٤٩- ذكر عددٌ من الكتاب ان مؤتمرات هتلر العسكرية النهارية في راشتينبرگ تُعقد عادة في ملجأه الجوي تحت =

الخفيف الجدران، الذي قد وصف له قبلذاك. لأن هتلر أمر في الشتاء الماضي بدعم الهيكل الخشبي بجدران خارجية ثخنها ثمانية عشر إنجاً لحماية البناء من الحريق وشظايا القنابل الجوية التي قد تسقط بالقرب منه. فهذه الجدران ستزيد في قنبلته قوة وعليه الآن إطلاق حركة القنبلة. أجمل لكايتل ما إختار أن يُسمِع هتلر من تقريره، ولاحظ أن كبير القيادة العليا يتطلع بصبر نافذ الى ساعته. وقبل ان تشير الساعة الى ٣٠ . ١٢ ظهراً بدقائق قليلة، أعلن كايتل بأن الوقت قد حان للذهاب الى قاعة المؤتمر حالاً. وإلاّ سيكونان متأخرين فتركا المكتب. وبعد خطوات قليلة في الخارج أدرك (شتاوفنبرگ) انه نسى قبعته ونطاقه، فإنفلت عائداً دون ان يترك مجالاً لكايتل ليقترح قيام مرافقه بجلبها. وكان يسير الى جانبهما، وإسمه الملازم (ڤون يون Von john). وفي الغرفة الجانبية عجّل (شتاوفنبرگ) بفتح حقيبته وأمسك بالملقط بأصابعه الثلاثة الباقية في يده، وكسر القنينة... بعد عشر دقائق إذن ستنفلق القنبلة إلاّ إذا إنتابها عطب آلي.

كان كايتل متعجرفاً صلفاً إزاء من دونه رتبة خائفاً ذليلاً أمام رؤساه سواءً بسواء. وسخط على هذا التأخير وإستدار الى البناية ليصبح غاضباً "بانهما يتأخران". وإعتذر (شتاوفنبرگ) لذلك. ولاشك أن كايتل يدرك حاجة ذي العاهة كالعقيد الى وقت إضافي ليشبك نطاقه في خصره. وبدا (شتاوفنبرگ) وهما يسيراً نحو كوخ الإجتماع بأطيب مزاج، وزال إنزعاج كايتل الطفيف (لم يكن قد داخله شك بعد). كانا متأخرين كما توقع كايتل، فالمؤتمر معقود منذ زمن. وعندما دخلا البناية توقف شتاوفنبرگ قرب المدخل ليقول لعريف بدالة التلفون، انه ينتظر نداء مستعجلاً من مكتبه في برلين يتضمن معلومات يحتاجها لتقريره (هذه العبارة الاخيرة للتعمية على كايتل). وعليه أن ينبهه حال وصول النداء. (هذه أيضاً لم تثر شكوك كايتل مع أنها تبدو خارقةً العادة. فحتى الفيلدمارشال لايجرء على ترك مجلس سيد الحرب النازي، الاّ اذا اذن له بالإنصراف أو اذا إنتهى المؤتمر، شريطة ان يغادره القائد الاعلى أولاً). دخل الرجلان القاعة بعد أربع دقائق من بدء المؤتمر وقيام (شتاوفنبرگ) بإطلاق عمل قنبلته بملقطه. بقيت ست دقائق. كانت القاعة صغيرة نسبياً. طولها حوالى ٣٠ قدماً وعرضها ١٥، وفيها عشر نوافذ كلها مفتوحة على مصاريعها لدخول النسيم في ذلك اليوم الحار الخانق. ستقلل النوافذ من تأثير الأنفجار بلاشك. في وسط الغرفة يوجد طاولة مستطيلة عرضها خمس أقدام وطولها ثماني عشرة قدماً. مصنوعة من الواح خشب البلوط السميك، وغرابة تركيبها في أنها لاتقف على قوائم وانما على دعامتين ضخمتين ثقيلتين مركبتين قرب طرفي الطاولة تستغرقان عرض

= الأرض، وأنه لم يعقده في ٢٠ تموز فوق الأرض الاّ لأن ترميمات كانت تجرى فيه وبسبب رطوبة الجو وحرارته. ويقول بوللوك [هتلر: ص٦٨١] "ان التغيير الصدفي لمحل الإجتماع هو الذي أنقذ حياة هتلر" اما أنا فلا أجد صدفة في تغيير المحل، ولا اشك ان المؤتمرات كانت تُعقد عادة فوق الأرض فلفظة Lagerbarache بقدر معلوماتي في اللغة الألمانية، تدلّ على المحل الذي تعقد فيه المؤتمرات النهارية عادة (وهذا هو الإسم الذي أُطلق على البناية). ولاينتقل المؤتمرون الى الملجأ إلاّ عندما يكون هناك تهديد بغارات جوية، حيث يكون عادة أكثر برودة في مثل هذا اليوم القائظ [انظر زيللر: المرجع السالف ص٣٦٠ حاشية ٤].

الطاولة تقريباً. طريقة الصنع هذه كانت ذات تأثير كبيرٍ على تاريخ المستقبل كما سنرى.

عند دخول (شتاوفنبرگ) الغرفة وجد هتلر جالساً في وسط الضلع الطويل من المنضدة وظهره يواجه الباب والى يمينه مباشرة جلس الجنرال هويزنگر Heusinger رئيس العمليات ونائب رئيس أركان الجيش. والجنرال كورتن Korten رئيس هيئة أركان القوة الجوية والعقيد هاينزبراندت رئيس ضباط أركان (هويزنگر). وإتخذ كايتل مجلسه حالاً الى يسار (الزعيم) يليه الجنرال (يودل)، وكان ثمّ ثمانية عشر ضابطاً آخر من أصناف القوات المسلحة الثلاثة والـ(إس. إس)، كلهم وقوف يتحلقون الطاولة. ولم يكن گورنگ وهملر بين الحاضرين. وكان هتلر يعبث بعدسته المكبرة التي بات في حاجة اليها الآن لقراءة الأسماء الدقيقة على الخرائط المنشورة فوق الطاولة، وكان أيضاً كاتبا إختزال جالسين عن كثب. والجنرال (هويزنگر) ماضٍ في تقديم تقرير سيء حول آخر خرق للجبهة الروسية الوسطى. والوضع الخطير الناجم عنه للجيوش الألمانية لا في تلك الجبهة وحدها بل في الجبهتين الجنوبية والشمالية أيضاً. وقاطعه كايتل ليعلن حضور العقيد (شتاوفنبرگ) وسبب حضوره. وتطلع هتلر الى العقيد ذي اليد المقطوعة والعين المنطفئة التي تغطيها رقعة سوداء. وحياه بإقتضاب وقال انه سيسمع تقريره بعد فراغه من هويزنگر. وجلس (شتاوفنبرگ) في مكانه من الطاولة بين (كورتين) و(براندت) لايبعدإالاّ بضع اقدام عن يمين هتلر، ووضع حقيبته على الارض. ثم راح يدفعها زحفاً الى ما تحت الطاولة حتى أسندها على الجزء الداخلي من دعامة البلوط الضخمة وبهذا أصبحت على بعد ست أقدام من ساقي الزعيم.

الآن يشير الوقت الى الثانية عشرة والدقيقة السابعة والثلاثين ولم يبق لإنفلاق القنبلة غير خمس دقائق. وواصل (هويزنگر) الكلام مشيراً بإستمرار الى الخريطة الموقف المنشورة فوق الطاولة. وظل هتلر والضباط منحنين لقراءتها. ويظهر ان إنسلال (شتاوفنبرگ) لم يلاحظه أحد، ماخلا العقيد (براندت) على الأرجح. هذا الضابط كان مستغرقاً في تتبع أقوال جنراله حتى انه إتكأ بكوعه على الطاولة ليتسنى له رؤية الخريطة، فوجد حقيبة (شتاوفنبرگ) المنتفخة تعترض سبيله فنحاها جانباً بقدمه، ثم انحنى ورفعها ووضعها في الجانب الخارجي من دعامة الطاولة الثقيلة، التي أصبحت بين هتلر وبين القنبلة[٥٠].

هذه الحركة الإنعكاسية البسيطة في ظاهرها ربما هي التي انقذت حياة هتلر وكلّفت براندت حياته. لقد لعب القدر لعبة لايمكن أن تفسرها العقول مهما أطالت التفكير ولجأت الى التعليل. فكما يذكر المرء ان العقيد (براندت) كان هو نفسه ذلك الضابط البريء الذي حَمّله ترسكوف "قنينتي" البراندي أثناء إقلاعه بطائرة هتلر من (سمولنسك) الى (راشتنبرگ) في مساء ١٣ اذار ١٩٤٣. فأخذ رزمة

٥٠- جاء في الإفادة التي ادلى بها أمير البحر (كرت أسمان Kart Assemann) الذي كان حاضراً الحادثة - للمحققين الحلفاء. "ان شتاوفنبرگ همس في أذن براندت: ينبغي لي ان اذهب الى التلفون، فأرجوا الاّ تغيب حقيبتي عن نظرك لأن فيها أوراقاً سرية.

(القنبلة) ولم يشك قط في أنها قنينتان من البراندي. قنبلة من النوع الذي أبعده عن سيد الحرب تحت الطاولة دون أن يساوره الشك في أنها حقيبة أوراق!. في هذا الوقت إنتهى السائل الكيماوي الآكل من عمله في إذابة السلك الذي يمسك بجهاز الأطلاق.

اما كايتل الذي كان مسؤولاً عن إستدعاء شتاوفنبرگ الى المؤتمر. فقد تطلع الى الطاولة حيث كان موضع وقوف العقيد فلم يجده. وشارف (هويزنگر) على ختام تقريره الكئيب، وأراد رئيس القيادة العُليا الإشارة الى (شتاوفنبرگ) بالتهيؤ لتقديم تقريره على إثر إنتهاء الجنرال (هويزنگر) ربما إحتاج الى بعض المعونة لإخراج أوراقه من الحقيبة؟ لكنه لم يجده في مكانه فسخط سخطاً شديداً. ثم تذكر ما قاله لعامل التلفون قبل دخولهما، فخرج من القاعة ليعمل على إعادة هذا الضباط الذي يسلك سلوكاً غريباً، فلم يجده في البدالة وقال العريف إنه ترك البناية مسرعاً فرجع كايتل وهو في أشد الحيرة الى المؤتمر. وكان (هويزنگر) يختم تقرير اليوم السيء بقوله "يندفع الروس بقوات جرارة من غرب الدونا Duna ويتجهون شمالاً، وقد ركزوا رؤوس رماحهم الآن في الجنوب الغربي من (دونابرگ Dunaburg). فإن لم تنسحب جيوشنا من حول بحيرة پاپيُس Pelipus فإن كارثة س..."[٥١].

وبقيت الجملة ناقصة ولم تكمل قط. ففي الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثانية والأربعين ظهراً بالضبط إنفلقت القنبلة. وشاهد (شتاوفنبرگ) ما حدث بعدئذ. فقد كان واقفاً مع الجنرال (فلليگيبل) أمام مقره في الملجأ رقم (٨٨) على بعد مائتي يارد من قاعة المؤتمر، يتطلع الى الثواني تمر في الساعة معصمه آنا ويشخص بأبصاره الى قاعة المؤتمرآناً آخر. ثم رآها تنفجر بصوت داوٍ ويكتنفها الدخان وتلتهمها النيران. وقد وصف الإنفجار هو نفسه فيما بعد بقوله "كأنما أصيب إصابة مباشرة ً بقذيفة مدفع من عيار ١٥٥ ملمتراً. وراحت الأجسام تنقذف من الشبابيك، والأنقاض تتطاير في الهواء. ولم يكن هنالك شك في رأس (شتاوفنبرگ) المحموم أن كل شخص في قاعة المؤتمر هو الآن في عالم الأموات، أو في طريقة اليه. فأقرأ تحية وداعية سريعة (لفيللگيبل)، الذي راح يحاول الإتصال تلفونياً بالمتآمرين ليخبرهم بنجاح المؤامرة، ثم يقطع كل الإتصالات عن المقر، حتى يتسنى لهم السيطرة على العاصمة وإعلان الحكومة الجديدة دون عقبة[٥٢].

ووجب على (شتاوفنبرگ) المحموم أن يخرج من معسكر قيادة (راشتنبرگ) حياً وبأسرع مايمكن. وكان الحرس في نقاط التفتيش قد رأوا أو سمعوا الإنفجار في قاعة مؤتمر الزعيم. فأسرعوا حالاً

٥١- هويزنگر: (المرجع السالف ص٣٥٢). هو الذي اورد كلماته نفسها في ذلك اليوم.

٥٢- رأي كثير من المؤرخين ان الواجب كان يقضي على الجنرال (فيللگيبل) بنسف مركز الإتصال حالاً. وقد حُكم على الإنقلاب بالفشل عندما لم يفعل هذا. فيكتب هويلربنيت مثلاً [گيس ص٦٤٣] "فشل الجنرال فيللگيبل فشلاً ذريعاً في تنفيذ واجبه". لكن لما كانت مختلف المراكز موجودة في عدة ملاجيء مختلفة تحت الأرض ومحروسة حراسة شديدة من قبل الإس إس، فيكون من المستحيل تماماً ان تشمل خطط شتاوفنبرگ نسفها، لأنه عمل مستحيل. وما وافق الجنرال على عمله هو قطع الإتصال بالعالم الخارجي لمدة ساعتين أو ثلاث بعد إرسال الاشارة الى برلين بحصول الإنفجار وهذا مافعله بعد هنيهة أو إثنين.

بإقفال جميع المداخل. وكانت سيارة (شتاوفنبرگ) قد اُوقفت قرب الحاجز الأول لاتبعد عن ملجأ (فيللگيبل) غير بضع ياردات. فوثب الى نقطة الحرس وطلب السماح له بالتكلم مع الضابط الخفر. وبمحضر منه أمسك التلفون واتصل بشخص لم تُعرف هويته وتحدث قليلاً، ثم ترك الآلة وقال للضابط "أيها الملازم، لقد سمح لي بالمرور".

وكانت خدعة واضحة الاّ أنها إنطلت. ويظهر أن الملازم بعد أن سجّل في دفتر الخروج والدخول اليومي "الساعة ٤٤ . ١٢ - العقيد شتاوفنبرگ، خرج" أرسل أمر السماح الى نقطة التفتيش الثانية لكيلا يتعرض للسيارة. وكان الأمر أصعب في الحاجز الثالث والأخير. فالإنذار كان قد وصل وأُنزلت العارضة، فقطعت الشارع وضوعفت الحراسة في النقطة. ولم يعد يُسمح لأحد بالدخول أو الخروج. ووجد (شتاوفنبرگ) ومرافقه الملازم (هايفتن) أن عريفاً شديد العناد يقطع الطريق على سيارتهما. فعاد (شتاوفنبرگ) يطلب إستخدام التلفون، وإتصل بالنقيب فون (مويلندورف) مساعد آمر المعسكر، وشكا أن الحرس يمنعه من المرور "بسبب الإنفجار وأنا في عجلةٍ من أمري لأن الجنرال فروم ينتظرني في المطار". وتلك أيضاً كانت خدعة، لأن (فروم) في برلين كما لايخفى على شتاوفنبرگ. وبعد إعادة السماعة إلتفت الى العريف (كولبه kulbe) وقال له "أيها العريف أسمعت أني مأذون بالمرور؟"، لكن العريف أبى أن ينخدع وأراد التأكد بنفسه. فإتصل بالنقيب. فأمره بالسماح للعقيد بالخروج[٥٣].

واسرعت السيارة بهما الى المطار. وفي أثناء ذلك أنهمك الملازم (هايفتن) بتفكيك أجزاء قنبلة مماثلة أخرى كان قد جلبها معه وأخفاها في حقيبته وراح يقذف بقطعها على جانب الطريق، ليعثر عليها الگشتاپو فيما بعد. ولم يصل الإنذار الى آمر المطار عند وصولهما. وما هي الاّ دقيقة أو إثنتان (كان الطيار قد سخن محركي الطائرة) حتى كانت السفينة في الفضاء!

الساعة الآن تشير الى بضع دقائق بعد الواحدة ظهراً. ولاشك أن الساعات الثلاث التالية بدت أصعب كل الساعات التي مرت بحياة (شتاوفنبرگ). ولم يكن ثمّ مايستطيع عمله، وهو جالس في طائرة (الهينكل) البطيئة متجهاً الى الغرب فوق السهل الألماني الرملي المنبسط، الاّ الأمل بأن (فيللگيبل) أفلح في نقل الاشارة المهمة للغاية الى برلين. وأن اخوانه باشروا حالاً السيطرة على العاصمة وإرسال الأوامر المهيأة الى القادة العسكريين في أنحاء ألمانيا والغرب، وأن لاتُرغم طائرته على الهبوط بمقاتلات (اللوفتوافه) المستنفرة أو بطائرة روسية مغيرة مما كان يكثر الآن في سماء پروسيا الشرقية. ولم يكن في طائرته راديو بعيد المدى ليلتقط به محطة برلين ويسمع البيانات الأولى المفرحة، التي كان يتوقع ان يباشر المؤتمرون بإذاعتها قبل وصول طائرته. كما أن نقص الراديو حال دون إتصاله بزملائه في العاصمة وإعطائهم الإشارة بالحركة، خشية عدم تمكن الجنرال فيللگيبل من إيصالها.

وهدرت محركات طائرته في ظهيرة هذا اليوم الصيفي، ثم هبطت مطار (رانگسدورف) في الساعة

٥٣- زيلر المرجع السالف ص٢٢١.

١٢,٤٥ بعد الظهر. وأسرع (شتاوفنبرگ) وهو في أشد حالات الإنفعال الى اقرب تلفون في المطار، وإتصل بالجنرال (أولبريخت) ليعلم بالضبط ماذا تمّ في تلك الساعات الثلاث الحرجة التي يتوقف عليها كل شيء. فعلم لخيبته المرة وحنقه الأكثر مرارة أنه لم يشرع بأي شيء. لقد وصلت إشارة عن انفلاق القنبلة، إلاّ ان الخط كان سيئاً، فلم يفهم المؤتمرون بشكل واضح هل قُتل هتلر أم نجا؟ ولذلك لم يفعلوا شيئاً. حقاً ان أوامر (ڤالكايري) قد أُخرجت من خزانة (أولبريخت)، الاّ انها لم تُعمم. وكانوا كلهم واقفين عاطلين ينتظرون عودة شتاوفنبرگ. كان مفروضاً على الجنرال بيك رئيس دولة المستقبل والفيلدمارشال فون ڤيتزليبن قائد الڤيرماخت العام المقبل أن يكونا قد قطعا شوطاً في إصدار البيانات والأوامر التي سبق إعدادها. وأن يقصدا محطة الراديو حالاً لإعلان فجر يوم جديد لألمانيا، ألا أنهما لم يكونا موجودين.

*** *** ***

لم يمت هتلر، خلافاً ليقين (شتاوفنبرگ) الذي زفّ نبأه لأولبريخت تلفونياً من (رانگسدورف). إن عملية العقيد (براندت) الإنعكاسية تقريباً، بدفعه الحقيبة الى نهاية دعامة الطاولة القصوى، هي التي أنقذت حياته. إلاّ أنه كان يعاني صدمة عصبية شديدة.

ولم يُصب بجرح بليغ، أما شعره فقد تفحم واصيب ساقاه بحروق، وإنتاب ذراعه الأيمن شلل وقتي فضلاً عن الكدمات. وتمزقت طبلتا أذنيه ورُضّ ظهره رضاً شديداً بسقوط عارضة خشبية عليه. وبدا كما يذكر شاهد عيان – يكاد لايُعرف عند خروجه من الأنقاض والبناء المحترق، متوكئاً على ذراع (كايتل) وقد كُسي وجهه بالسخام وراح الدخان يتصاعد من شعره المحروق. آما سرواله فقد تناثرت خرقه عنه واصبح خيوطاً. والعجيب في الآمر أن كايتل لم ُيصب بعارض. إلاّ أن معظم من كان في طرف الطاولة، حيث انفلقت القنبلة إما باتوا في عداد الموتى أو هم يعالجون سكرات الموت أو هم مصابون بجراح بليغة[٥٤].

وفي خضم الهيجان والإنفعالات الأولى طُرحت عدة فروض وتخمينات حول مصدر الإنفجار وأسبابه. وفكر هتلر أنها غارة تسللية مفاجئة قامت بها القاذفات المقاتلة العدوة.

أما (يودل) الذي كان يعالج راساً مخضباً بالدم (من بين ما سقط عليه ثريا سقفية)، فهو مقتنع أن أحد عمال البناء كان قد دفن قنبلة موقوتة تحت أرضية الغرفة، وعزّز كلامه بالحفرة العميقة التي احدثتها قنبلة (شتاوفنبرگ) عند إنفلاقها في أرضية القاعة. ومر وقت لايُستهان به قبل أن يحوم الشك حول العقيد. أما (هملر) الذي أقبل مهرولاً الى الموضع عند سماعه دوي الأنفجار، فقد كان في

٥٤– قتل كاتب الإختزال الموظف (برگر) ومات في المستشفى العقيد براندت والجنرال شموندت مرافق هتلر والجنرال (كورتن). اما الآخرون، ومن بينهم (يودل) وبودنشاتز Bodenschats. رئيس أركان گورنگ وهويزنگر، فقد اصيبوا بجراح متفاوتة الخطورة.

حيرة مطلقة. وأول ما قام به هو الإتصال تلفونياً (بأرتور نيبه Artur Nebe) مدير التحقيقات الجنائية في برلين، والطلب منه إرسال جملة محققين (تم الإتصال قبل أن يقوم - فيللگيبل- بقطع الإتصالات بدقيقة أو إثنين). في هذا الإضطراب والبغتة لم يذكر احد أن (شتاوفنبرگ) قد تسلسل من المؤتمر قبل الأنفجار بقليل. وكانو واثقين من وجوده داخل القاعة في تلك اللحظة، وأنه أحد المصابين إصابة بالغة ممن نقلوا الى المستشفى رأساً. وطلب من هتلر الذي لم يشك في أمره بعد أن يتأكدوا من المستشفى.

بعد زهاء ساعتين من الإنفلاق اخذت الدلائل تتجمع. جاء العريف في بدالة التلفون المجاورة لقاعة المؤتمر ليقول أن "العقيد ذا العين الواحدة" الذي أبلغه بأنه يتوقع نداءً تلفونياً بعيداً من برلين، قد خرج من القاعة وترك البناية بعجلة عظيمة دون إنتظار ندائه. ثم تذكر بعض الحاضرين في المؤتمر ان (شتاوفنبرگ) ترك حقيبته تحت المنضدة. وكشف رجال الحرس المناوب في نقاط التفتيش عن مرور (شتاينبرگ) ومرافقه وخروجهم بعد حادث الإنفجار مباشرة.

وهنا ثارت شكوك هتلر - فإتصل بمطار راشتنبرگ وتوصل الى المعلومات الهامة، وهي أن شتاوفنبرگ قد اقلع منه في غاية الإستعجال بعد الواحدة ظهراً بقليل ووجهته برلين كما قال للمطار. فأسرع همـلر بإصدار أمره بتوقيفه عند هبوط مطار(لانگسدورف). الاّ ان أمره لم يبلغ برلين بسبب العمل الجريء الذي قام به (فيللگيبل) في قطعه الإتصالات. حتى هذه الدقيقة لم يكن أحد منهم يشك في أن أحداثاً ستقع في برلين. فكلّهم يكادون يكونون موقنين أن عمل (شتاوفنبرگ) هو فردي ولن يصعب القبض عليه، إلا إذا هبط خلف الخطوط الروسية كما مال بعضهم الى التفكير. أما هتلر الذي كان تصرفه بالنسبة الى الموقف - يتسم بالهدوء. فهو منشغل الفكر بأمرٍ آخر- عليه ان يخرج لإستقبال موسيليني، وكان ينتظر مقدمه في الساعة الرابعة عصراً بسبب تأخر وصول القطار.

أحاطت الغرابة والشذوذ بهذه المقابلة الأخيرة بين الدكتاتورين الفاشيين، التي جرت عصر يوم ٢٠ تموز ١٩٤٤، وبدأت تتخذ هذا الطابع وهما يتفقدان إنقاض قاعة المؤتمر ويحاولان مخادعة نفسيهما في التفكير بأن (المحور) الذي حبكاه وأحكما بناءه وقدّرا له ان يهيمن على قارة أوروپا، لم يصبح أنقاضاً متداعية كذلك. وهذا الرجل الذي كان يوماً ما، الدوتشي التياه الفخور المعجب بنفسه أمسى الآن فهو لا أكثر من حاكم (گاولاتير) منطقة (لومباردي) أنقذته من السجن عصابات نازية وأسنده هتلر والإس. إس. ومن دواعي الغرابة أن صداقة الزعيم وإجلاله للطاغية الإيطالي الساقط لم يعتره وهن. وقد حياه بأشد ما يمكن من الحرارة، التي سمحت بها حالته البدنية بعد الصدمة وراح يطوف به أنقاض قاعة المؤتمر. وكان الدخان يتصاعد من أثاثها وهيكلها المحترق حيث كادت روحه تخرج قبل سويعات وتنبأ له ان قضيتهما المشتركة سوف تحقق الظفر بسرعة رغم كل العقبات. وكان الدكتور شميدت الذي أحضر للترجمة قد تذكر المشهد(٥٥).

٥٥- شميدت المرجع السالف الص ٢٧٥- ٢٧٧.

فوصفه: "ظهرت علائم الفزع والتهول على الدوتشي مما رأى، ولم يفهم كيف أمكن ان يحصل هذا في مقر قيادة وراح هتلر يقول له مشيراً: كنتُ واقفاً هنا قرب هذه الطاولة، وإنفلقت القنبلة أمام قدمي تماماً..لاشك أنه لن يصبني مكروه بعد الآن، لاشك أن طالعي هو الذي يحتثني الى المواصلة طريقي لإكمال واجبي... ماحدث هذا اليوم هو غاية الخطب! وبعد خلاصي من الموت... أنا واثق أكثر من أيّ وقت مضى بأن القضية الكبرى التي أنهض بأعبائها ستخرج ظافرة من أخطارها الحالية. وسينتهي كل شيء الى خاتمته الطيبة".

يقول شميدت أن موسوليني الذي سحره كلام هتلر كما كان دأبه من قبل، بادر الى مصادقته وقال...

"ان موقفنا سيء، بل يمكن وصفه بالحراجة، لكن ما حدث اليوم هنا يبث في نفسي عزماً جديداً ويشيع في كياني شجاعة. فبعد [هذه] الأعجوبة لايمكن ان يشك أحد أن سوء الخط سينال من قضيتنا".

ثم إنصرف الدكتاتوران لتناول الشاي ترافقهما حاشيتهما. في حدود الساعة الخامسة عصراً جرى مشهد هزلي ومضحك هو صورة واضحة إن لم تكن مفاجأة لأقطاب النازي وهم في حالة إضطراب وضعضعةٍ وإنهيار، خلال اشدّ الأزمات التي مرّ بها الرايخ الثالث. ففي ذلك الحين اعيدت شبكة الإتصال بالعالم الخارجي بأمرٍ مباشرٍ أصدره هتلر وبدأت أوائل التقارير من برلين تتوارد مشيرة الى انفجار إنقلاب عسكري، وربما حصل إنقلاب اخر في الجبهه الغربية، وهنا راحت الحفائظ والأحقاد، التي طال كبتها في القلوب تتدفق من الأفواه بشكل مهاترات وشتائم ونعوت قبيحة يتبادلها أعوان الزعيم فيما بينهم. وراحت صراخاتهم تدوّي وتملأ القاعة، حتى لتكاد تخترق السقف. وظلّ (هتلر) في مجلسه صامتاً متفكراً كئيباً، بينما كان موسوليني محتقن الوجه خجلاً يتمنى ان تنشق الارض لتبتلعهُ.

كان أمير البحر (دونتز) قد أسرع بالطائرة الى (راشتنبرگ) حال علمه بمحاولة الإغتيال. فوصل أثناء تناول الشاي وراح يندد بغدر الجيش ويتناوله بالهجاء المقذع. فشاركه گورنگ وسانده نيابة عن القوة الجوية، وإنقلب دونتز على گورنگ وراح يؤنبه تأنيباً مُراً للهزائم الشنعاء التي حلّت بسلاحه الجوي. وبعد ان دافع مارشال الرايخ السمين عن نفسه إنثنى الى ريبنتروب بكل ما يحمله له من كُره، وأنشأ يهاجمه بلسان سليط للإفلاس الذي مُنيت به سياسة ألمانيا الخارجية. ورفع عصا المارشالية التي يحملها في وجه وزير الخارجية الصلف يهم بضربه وصاح به: قبحك الله أيها القذر بائع الشمپانيا الحقير. لأقفلنّ فمك اللعين هذا!

ولم يكن هذا بالذي يتحمله ريبنتروب. فأهاب به أن يظهر قليلاً من الإحترام الواجب حتى من مارشال الرايخ وصرخ فيه: انتبه! اني مازلت وزيراً للخارجية واسمي هو (ڤون) ريبنتروب![٥٦].

٥٦- كان ريبنتروب بائع خمر (الشمبانيا)، ثم تزوج من بنت أكبر منتج لهذا النوع من الخمر في ألمانيا. أما لقب =

و خطر ببال احدهم ان يطرح موضوع الثورة السابقة على النظام النازي، وهي مؤامرة روُهِم في ٣٠ حزيران ١٩٣٤، فوقعت الوقعة! ان ذكر هذه الثورة أثارت كوامن هتلر وفجّرت براكينه. وكان قبلها جالساً يمحّص بكآبة حبات دواء زاهية الالوان أعدّها له طبيبه الدجال الدكتور ثيودور موريل. يقول الشهود الذين عاينوه في تلك اللحظة أنه وثب من مجلسه وإنتصب كأن أفعي لدغته وعلا الزبد شدقيه وراح يزعق بأعلى صوته ويصرخ بجنون:

قائلاً إن مافعله (بروهم) واتباعه الخونه لن يكون شيئاً مذكوراً بالقياس الى ما سيفعله بخونة هذا اليوم، سيستأصلهم من الجذور ويسحقهم سحقاً..."وسأسوق زوجاتهم وأطفالهم الى معسكرات الإعتقال. لن اريهم أي رحمة!".

ولقد برّ بوعده في هذه المسألة كما كان أميناً على كلمته في قضايا أخرى مشابهة. ثم بتر كلامه المجنون فجأة بسبب الإعياء الذي أصابه. ولأن التلفون بدأ يحمل اليه من برلين تفاصيل أخرى عن الإنقلاب العسكري.الا أن عصبيته لم تهدأ. ثم أنه رافق موسوليني الى قطاره وودّعه وداعاً أخيراً لا لقاء بعده، وعاد الى مقره. وعندما أُبلغ في الساعة السادسة أن الإنقلاب لم يُسحق بعد،أمسك بسماعة التلفون وأنشأ يصدر منه الأوامر مهيباً بالإس. إس ان يطلقوا نارهم على من تحوم حوله أقل شبهة، ثم صاح متسائلاً "أين هو هملر ولماذا لا أجده هناك؟" ناسياً أن هملر كان معه جالساً في حفلة الشاي قبل ساعة فقط. وقد أمره بالطيران الى برلين وقمع الثورة بلا رحمة، وان سيد شرطته لايمكن ان يكون قد وصل برلين[٥٧].

وما إن نزل شتاوفنبرگ المطار حتى أدرك أن ثلاث ساعات ثمينة قد ضاعت من الثورة المعدة إعداداً دقيقاً، كان مقر هتلر خلالها مقطوعاً تماماً عن العالم الخارجي. وتملكته حيرة قاتلة، ولم يفهم قط لماذا حصل تلكؤ؟ كذلك حار المؤرخون وعجزوا عن ترتيب أحداث ذلك اليوم المأثور ترتيباً منطقياً. حقاً كان الجو حاراً يزهق الانفاس، ولعل لهذا تاثيراً ما. كان أقطاب المؤامرة يعلمون ان (شتاوفنبرگ) قد قصد (راشتنبرگ) في ذلك الصباح وهو "مثقل بالحمل". كما تم إبلاغ الجنرال (هويپنر) في الساعة الواحدة. ومع ذلك فإن قليلاً منهم (ومعظم هذا القليل ضباط صغار) بدؤا يتقاطرون بتباطؤ الى مقر الجيش الداخلي، الذي هو مقر قيادة الثورة أيضاً في(بندلرشتراسّه) حوالى الظهر. ويُذكر عن محاولة (شتاوفنبرگ) قبل الأخيرة (١٥ تموز) ان الجنرال (أولبريخت) كان قد أصدر أوامره لحامية برلين بالتحرك قبل موعد إنفلاق القنبلة بساعتين الاّ أنه لم يصدر أوامر مشابهة

=(ڤون) فقد جاءه بتبني إحدى عماته له. هي الآنسة گرترود فون ريبنتروب في ١٩٢٥ لما كان يبلغ الثانية والثلاثين من العمر!

٥٧- روى الواقعة عدد من الحاضرين إيطاليين وألماناً ومنهم أوجين دولمان Eugen Dollman ضابط إرتباط الحرس الأسود المرافق لموسوليني. كتب ادق رواية في كتابه (روما النازية Roma Nazista الص ٣٩٣- ٤٠٠). وفي إفادته التي اعطاها لمحققي الحلفاء. فإقتبس مجملاً اللن دللسن: المرجع السالف الص ٩- ١١ وزيللر المرجع السالف ص٣٦٧ وح: ٦٩٠ وهويلربنيت المرجع السالف الص ٦٤٤- ٦٤٦ الذي اجمل روايات دولمان.

في ٢٠ تموز، ولعله أصبح شديد الإحساس بالخطر الذي يتعرض له. وكان قواد الوحدات في برلين وفي مستودعات تدريب: دويبرتز Doeberitz ويوتربوك Yuterbog وكرامپنيتز Krampnitz وڤنسدورف Wuensdorf، قد أُبلغوا قبله بليلة، أن من المحتمل جداً تسلمهم أوامر (ڤالكايري) في العشرين منه، على أن (أولبريخت) آثر الإنتظار حتى تصل كلمة جازمة واضحة من (فيللگيبل) في (راشتنبرگ) قبل أن يصدر أمر الحركة الى جنوده.

وأقبل الجنرال (هوپنر) يحمل حقيبة فيها بزته العسكرية التي منعه هتلر من إرتدائها ودخل بندلرشتراسّه في الساعة ١٢.٣٠ ظهراً. في اللحظة التي كسر فيها (شتاوفنبرگ) قنينة الحامض في قنبلته. ثم خرج بصحبة (أولبريخت) ليتناولا الغداء، وقرعا كؤوس نجاح المشروع وإحتسيا نصف قنينة خمر. وما أن إستقرا في مجلسيهما في مكتب (أولبريخت) إلاّ ودخل الجنرال فرتز تيله Fritz Thiele. قائد سلاح الاشارات في الجيش وهو منفعل وإبتدرهما قائلاً أنه تسلم الآن نداء تليفونياً من (فيللگيبل) ومع ان الخط كان غير واضح والمتكلم حذراً جداً فيما يقول، الاّ أنه فهم بأن الإنفجار قد وقع لكن هتلر نجا. ورأى (تيله) ألاّ تصدر الأوامر والحالة هذه. فوافق (أولبريخت) على ذلك.

لذلك وجد (شتاوفنبرگ) حال هبوطه المطار أن شيئاً ما لم يحصل بين الواحدة والخامسة عشرة وبين الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين. علم من مكالمته التلفونية ان الوحدات لم تتحرك والأوامر لم تُرسل الى القيادات العسكرية في المدن الأخرى، وربما أيضاً لم يفكر أحد في السيطرة على مقر الإذاعة أو بدالات التلفون ومحطات البرق وهذا أغرب ما في الامر. أما أكبر قائدين عسكريين (بيك وڤيتزليبن) فلم يظهر لهما أثر.

مهما يكن، فأن وصول (شتاوفنبرگ) اطلق حركة المؤتمرين وهبوا للعمل. فقد ألحّ بالتلفون على الجنرال أولبريخت ان لاينتظر حتى مجيئه الى بندلرشتراسه وأن يشرع بالخطة فوراً (المسافة بين المطار ومقر الجيش لاتقل عن ٤٥ دقيقة). وبهذا حصل المؤتمرون أخيراً على الرجل الذي يصدر الأوامر. يبدو الضابط الألماني مضطرباً ضائعاً حتى في أحرج لحظة بدون وجود مثل هذا الرجل ولايشذّ عن القاعدة حتى الثوريين منهم.

أخرج العقيد (ميرتز فون كورينهايم Mertz von Quirnheim) رئيس ركن الجنرال أولبريخت وصديق شتاوفنبرگ، خطة أمن (ڤالكايري) وبدأ بنشر أوامرها بالمبرقة الكاتبة والتلفون. وكان الأمر الأول يقضي بإستنفار القطعات العسكرية داخل برلين وخارجها. والثاني الذي وقعه كل من (ڤيتزليبن) "قائداً عاماً للڤيرماخت" و(شتاوفنبرگ)، وقد أُعد قبل أشهر، يعلن وفاة (الزعيم) وينقل السلطات الإجرائية الى قادة المناطق العسكرية داخل ألمانيا، والقادة العامين لجيوش الميدان في الجبهة.

لم يصل (فتزليبن) بعد الى بندلرشتراسه (مقر وزارة الدفاع والجيش الداخلي). فقد بلغ زوسن التي تبعد الى جنوب برلين زهاء عشرين ميلاً وتوقف ليحادث مدير العينة والتسليح الأول في الجيش الجنرال (ڤاگنر)، فأرسل شتاوفنبرگ بطلبه هو والجنرال بيك. اقدم الجنرالين في المؤامرة يعملان ببطءٍ

شديدٍ لاينسجم ابداً مع الوضع العصيب!

وصدرت أوامر يحمل بعضها توقيع (فروم) دون معرفته. وذهب الجنرال أولبريخت اليه وأبلغه بإغتيال (هتلر)، وطلب منه الاشراف على تطبيق خطة أمن (ڤالكايري) وأكّد له ان كيان الدولة الداخلي لن يمس. لقد أدرك المؤتمرون ان أوامر (فروم) بوصفه قائد الجيش الداخلي إنما تطاع تلقائياً، ولذلك كان في هذه اللحظة رجلهم الأول وعليه يتوقف كل شيء. لكن فروم كان عبقرياً في المراوغة والزوغان مثل (كلوگه) لايقفز قبل ان يعرف اين سيستقر. فأراد من (أولبريخت) برهاناً قاطعاً على موت هتلر قبل ان يقرر خطوته. وهنا إرتكب (أولبريخت) خطأً جسيماً آخر من أسوأ ما إقترفه المؤتمرون في هذا اليوم. كان واثقاً من هلاك الزعيم بناء على تأكيد (شتاوفنبرگ) له بالتلفون من مطار لانگسدورف، كذلك يدري أن (فيللگيبل) نجح في قطع خطوط التلفون وعزل راشتنبرگ في تلك الفترة من اليوم. لذلك تقدم بجرأة وثقة الى آلة التلفون وطلب نداءً مستعجلاً مع كايتل. ولدهشته العظمى وجد كايتل يخاطبه (مر بنا كيف أعيدت الإتصالات في ذلك الحين الأ ان أولبريخت لم يكن يدري).

فروم: ماذا جرى في مقر القيادة العامة؟ هنا في برلين إشاعات غريبة منتشرة.

كايتل: عن أيّ شيء تتكلم؟ الحالة هنا إعتيادية.

فروم: بلغتني الآن أنباء عن إغتيال (الزعيم).

كايتل: هراء وكذب! صحيح ان محاولة جرت لإغتياله، الأ انها فشلت لحسن الحظ. (والزعيم) حي يرزق ولم يصب بأكثر من خدوش بسيطة. وبالمناسبة اين هو ضابط ركنك العقيد كونت فون شتاوفنبرگ[٥٨].

فروم: لم يصل شتاوفنبرگ بعد.

و بهذا فقدت المؤامرة (فروم) الى الأخير، وكان في هذا الكارثة القاضية كما سيتضح يعد قليل. صُعق أولبريخت لهول المفاجأة، وانسلّ الى الخارج دون ان ينطق بحرف واحدٍ. وفي تلك اللحظة وصل الجنرال بيك مرتدياً ثياباً مدنية قاتمة - ربما كان ذلك بادرة منه ترمي إلى اللعب على الطابع العسكري للثورة- ليتسلم زمام الأمور. إلا ان الرجل الذي كان يتولى زمامها في الحقيقة وحسبما أدرك الجميع، هو العقيد شتاوفنبرگ الذي إندفع مبهور الأنفاس حاسر الرأس ينهب درجات وزارة الحربية في الساعة ٤،٣٠ ب. ظ. وبشرهم بإقتضاب بحادث الإنفجار موضحاً انه شاهده بعينه على مسافة مائتي يارد. فإعترضه أولبريخت بقوله أن كايتل أكد تلفونياً قبل قليلٍ ان هتلر لم يصب إلاّ بخدوش. فأجاب شتاوفنبرگ إنه يكذب ويريد كسب الوقت ليس إلا، وختم جوابه: على اسوأ إحتمال قد يكون مصاباً بجروح بالغة. وعلى أيّ حال ليس ثم طريق آخر يسلكون الآن إلاّ ان تستخدم كل دقيقة باقية للإطاحة

٥٨- نسخة من هذه المكالمة التلفونية عُرضت أمام محكمة أمن الشعب كدليل في محاكمة المؤتمرين. شلابرندورف المرجع السالف. يثبتها بالنص في ص١١٣.

بالحكم النازي. ووافقه (بيك) قائلاً لا فرق كبيراً بين أن يكون (الظالم المستبد) حياً أو ميتاً وعليهم المضي الى الأمام قدماً لتدمير حكمه الفاسد. على أن المشكلة هي أنهم لايدرون كيف يمضون قدماً بعد هذا التأخير الفاجع. في هذه الفوضي والإضطراب. رغم تخطيطهم الطويل في الماضي أقبل الجنرال (تيله) ينبئهم بأن نجاة هتلر ستذاع من دار الإذاعة الحكومية في برلين بعد قليل. وهنا أدركوا أو هذا ما بدا – ان أول مايجب عمله هو السيطرة فوراً على الإذاعة المركزية ومنع النازيين من إذاعة بيانهم، والبدء بتحميل امواج الاثير أصداء بيانات وبلاغات حكومتهم الجديدة. وإن لم تكن القطاعات العسكرية موفورة، فبإمكان شرطة برلين أن تفعل ذلك، لأن الكونت (ڤون هلدروف) مديرها العام غارق في التآمر الى ذقنه معهم. وكان جالساً في مكتبه منذ نصف النهار يحرق الإرم نافذ الصبر ينتظر إشارة الإنطلاق بقواته الكبيرة،التي سبق له ووضعها في حالة الإنذار. ولما لم يصله نبأ ما حتى الرابعة عصراً إستقل سيارته وإنطلق الى (بندلرشتراسه) ليتطلع الامر. فأخبره (أولبريخت) ان شرطته ستكون بأمرة القطاعات العسكرية، لكن أين هي القطاعات العسكرية المستنفرة الثائرة؟ لا شيء غير عددٍ من الضباط الحائرين يتجولون هنا وهناك في أرجاء المقر بلا جنودٍ يقودونهم.

وبدلاً من ان يدبّر (شتاوفنبرگ) شيئاً ما بهذا الصدد إتصل بصورة مستعجلة بإبن عمه المقدم (كايزر فون هوفاكر) في مقر قيادة الجنرال (ڤون شتولبناگل) بپاريس ملحّاً على المؤتمرين فيها بالعمل الفوري. وكان هذا من ألزم اللزوميات إطلاقاً، بل اهم من كل إجراء في الواقع. لأن المؤامرة في فرنسا أكثر تنظيماً وأقوى ساعداً، يساندها ضباطٌ أكبر مركزاً وسلطاناً من أيّ مكان آخر عدا برلين. وفعلاً أظهر(شتولبناگل) هِمة وعزماً فاق به كل زملائه جنرالية المؤامرة في العاصمة. فأتم قبل حلول الظلام إعتقال وسجن كل ضباط الأمن والإس.إس. ووكلائهم في پاريس، وينوف عددهم على الفٍ ومائتين، وعلى رأسهم قائدهم الطاغية المخيف الميجر جنرال كارل اوبرگ Karl Oberg. ولو أظهر الثوار في برلين فعالية ونشاطاً مثل هؤلاء لسلك التأريخ سبيلاً اخر على أغلب الإحتمال.

بعد إستنفار پاريس وجه (شتاوفنبرگ) إهتمامه الى رئيسه (فروم) العنيد المتصلب، الذي بات رفضه التعاون يهدد كيان الثورة تهديداً خطيراً (وبخاصة بعد ان علم من كايتل بنجاة هتلر)، ولم يكن بيك راغباً في الإختصام مع (فروم) في مراحل اللعبة الأولى. وإعتذر عن ذهابه اليه مع (شتاوفنبرگ وأولبريخت) وقال هذا الأخير أن (شتاوفنبرگ) يستطيع ان يؤكد له مقتل هتلر. فصاح (فروم): "إن هذا مستحيل، فقد اكّد لي كايتل نجاته".

فتدخل شتاوفنبرگ ليقول: "كايتل يكذب كالعادة فأنا نفسي شاهدت جثة هتلر تُنقل".

هذه العبارة ضعضعت تفكيره وأسلمته الى تأمل طويل وظلّ برهة صامتاً لايتكلم، لكن عندما أراد (أولبريخت) الإفادة من تردده وذكر ان الإسم الرمزي (ڤالكايري) قد نُشر على أية حال، هبّ (فروم) من مجلسه وصاح: هذا تمرد على أوامر المافوق. من الذي أصدر الأوامر؟

ولمّا قيل له إنه (العقيد فون كويرنهايم) طلب حضوره وأبلغه أنه مُعتقل. وبذل (شتاوفنبرگ) جهداً أخيراً لكسب رئيسه فقال: "أيها الجنرال إني أنا الذي فجّر القنبلة في مؤتمر هتلر، وكان إنفجاراً شديداً كأنما أصيبت القاعة بقنبلة من عيار ١٥٥ ملمتراً، ولايمكن ان يبقى احد حياً من الموجودين".

إلاّ أن (فروم) كان أكثر ذكاءً وحيلة من أن تنطلي عليه الخدعة، فأجابه بقوله: "ايها الكونت شتاوفنبرگ! ان محاولتك أخفقت وعليك أن تطلق النار على نفسك في الحال".

فرفض (شتاوفنبرگ) الإقتراح ببرود. ومامرت دقيقة واحدة حتى كان الجنرال البدين ذو الوجه الأحمر قد أصدر أمراً بإعتقال زواره الثلاثة، (أولبريخت وشتاوفنبرگ وميرتز).

قال له أولبريخت: "انت تخادع نفسك فنحن الذين سنعتقلك الآن".

وحصلت بين الأخوة الضباط منازعة لامحل لها في هذا الظرف الحرج. وفي أثنائها رفع الجنرال يده – كما روى شاهد عيان– فلطم (شتاوفنبرگ) إلا أنهم تغلبوا عليه وإعتقلوه وحبسوه في غرفة مرافقه الرائد لودڤيگ فون ليونارد Ludvig Von Leonrad، ووضعوا حارساً عليه[٥٩]. وقطعوا خط التلفون في مكتبه إحتياطاً.

عاد شتاوفنبرگ الى غرفته ليجد نائب زعيم الإس. إس پيفرايدر – Piffraeder أحد السفلة الأوباش، الذي بنى لنفسه صيتاً قبيحاً بإشرافه على نبش (٢٢١٠٠٠) جثة من قبورها بعد أن قتلتها فصائل (الآينزاتسگروپه) في أقاليم البلطيق وأتلف بقاياها قبل وقوعها في يد الجيش الاحمر الزاحف. هذا الوغد جاء لإعتقاله، فقبض عليه وعلى الشخصين المدنيين الآخرين معه من مرتبات الشرطة السرية. وحُبسا في غرفة خالية مجاورة. ثم وصل الجنرال فون كورتزفلايش Kortz fleisch قائد المنطقة العسكرية الثالثة. الذي يهيمن على جميع القوات العسكرية في منطقة برلين– براندنبرگ. وطلب ان يعرف ماذا يجري وأصرّ هذا الجنرال الموغل في نازيته على رؤية (فروم)، إلا انه أُخذ الى (أولبريخت)، وهناك رفض ان يتحدث معه. فأُخذ الى (بيك). فظل مقيماً على عناده فأعتُقل أيضاً، وعيّن الجنرال فون ثوينكن في محله كما كان مقرراً.

إن ظهور (پيفرايدر) ذكّر (شتاوفنبرگ) ان المؤتمرين نسوا ان يضعوا حراساً حول البناية، ولهذا جيء بوحدةٍ من فوج حراسة كروسدويتشلاند Grossdeutschland، التي كان من المفروض ان تقوم بواجب الحراسة، ولكنها لم تفعل – ووضعت في المدخل. وبعد الخامسة بقليل، كان الثوار قد أتموا سيطرتهم على مقرهم على أقل تقدير. هذا كل ما يسيطرون عليه في برلين. ترى أين هي القطعات الى ستحتل العاصمة وتثبت أركان الحكومة الجديدة؟

٥٩– قبل هذا ببضعة أسابيع سأل ليونارد قساً في الجيش إسمه الأب هرمان ڤيرله Hermann Wehrle: هل إن المذهب الكاثوليكي يغفر لقاتل الطاغية المستبد. فأجابه جواباً يتضمن النفي. ولما ظهر ذلك أثناء محاكمة ليونارد أُلقي القبض على الكاهن ڤيرله، لأنه لم يبلغ السلطات بذلك وأُعدم مثل ليونارد!

بعيد الرابعة عصراًعندما دبت الحياة في نفوس المتآمرين على إثر عودة (شتاوفنبرگ)، إتصل الجنرال فون (هاسه) قائد موقع برلين بآمر فوج حرس كروسدويتشلاند الرماة Crach في دوينرتيز تلفونياً، وأمره بإستنفار وحدته والإتصال به شخصياً في (اونتردرليندن). كان آمر هذا الفوج المعين حديثاً المدعو الرائد (أوتو ريمر Otto Remer) أنجز دوراً فاصلاً في هذا اليوم وإن لم يعدّه المتآمرون واحداً من المعتمد عليهم. فحصوا أمره قبلذاك، لأن فوجه كان مخصصاً لواجب هام جداً وأراحوا أنفسهم بالوصول الى راي فيه، وهو أنه ضابط محترف ليس لديه أية ميول سياسية يطيع أوامر رؤسائه المباشرين دون تردد. لا شبهة في شجاعته، فقد جرح في الميدان ثماني مرات وتسلم أخيراً في يد هتلر نفسه "وسام صليب الفارس بأوراق البلوط، وهو نوط قلما يُمنح لعسكري".

إستنفر(ريمر) فوجه كما أضمر وحركه الى المدينة حالاً ليتسلم الأوامر التفصيلية من رئيسه (هاسه)، وهناك اخبره بإغتيال هتلر، ومحاولة إنقلاب سيقوم بها إلـ(إس. إس). وأمره بالسيطرة على الوزرات في ڤلهلمشتراسه، وعلى دائرة الأمن الرئيسية في حي محطة انهالت Anhalt المجاور. ولما بلغت الساعة ٣٠ . ٥ اتمّ (ريمر) تنفيذ الواجب وعاد الى(اونترديرليندن) للتبليغ وتسلّم أوامر جديدة.

الآن إنحشرت في هذه الدراما شخصية صغيرة جداً، وساعدت على أن يكون (ريمر) محطم المؤامرة. هذا الشخص هو الملازم الدكتور هانس هاكن Dr.Hans Hagen، وهو شاب عصبي المزاج سريع الإنفعال شديد الإكبار لشخصه، كان قد عُين ضابط إرشاد للقومية الإشتراكية في فوج حراسة ريمر، كذلك كان يشتغل في وزارة دعاية گوبلز. وقد أُرسل في تلك الأيام الى مدينة (بيروث) للعمل في كتاب إقترح تاليفه (مارتن بورمان) سكرتير هتلر حول "تاريخ الثقافة القومية الإشتراكية". وتشاء الصدفة ان يحضر برلين في هذا اليوم ليلقي خطبة تأبينية بحق كاتب مغمور قُتل في الجبهة. ثم أراد الإفادة من هذه المناسبة لإلقاء محاضرة عصر هذا اليوم في مراتب فوجه، رغم القيظ الشديد وثقل الجو بعنوان "مسائل في الإرشاد القومي الاشتراكي". هذا الشخص كان مغرماً بإلقاء المحاضرات العامة.

وفي طريقه الى مقر فوجه، خُيّل له بل كان متأكداً أنه لمح الفيلدمارشال فون براوختش راكباً سيارة عسكرية مرت به خطفاً، وهو بكامل بزتة العسكرية. فقفز الى ذهنة السريع الإنفعال فكرة مؤداها أن الجنرالية القدماء يدبرون أمراً خيانياً. في حين أن براوختش الذي طرده هتلر قبل زمن، لم يكن في برلين يومذاك. لابزته العسكرية ولا بغيرها، إلاّ أن (هاگن) أقسم أنه رآه. وأنهى بشكوكه الى (ريمر)، الذي كان في تلك اللحظة يتسلم الأمر بإحتلال (ڤلهلمشتراسه) فزاد ذلك في شبهته. واقنع (ريمر) ان يعطيه دراجة بخارية بمقعدٍ اضافي، فركبها واسرع الى وزارة الدعاية لتنبيه گوبلز.

كان گوبلز قد أنهى مكالمته التلفونية لأول مرة بعد المحاولة وفيها أخبره هتلر بسلامته طالباً منه الذهاب الى الإذاعة بأسرع ما يمكن لإعلان فشل المحاولة. ويظهر انه كان أول نبأ عما جرى في(راشتنبرگ) يسمعه گوبلز الشديد اليقظة عادة. أسرع هاكن بإطلاعه على آخر ما يجري في برلين. فشكّ گوبلز في بادىء الامر، وكان يرى هاكن شخصاً مزعجاً الى حدٍ ما وهمّ ان يقذف بضيفه

الثقيل الى الخارج، كما جاء في إحدى الروايات. وإذذاك إقترح عليه الملازم ان يقوم ويسير الى النافذة ليري بأم عينه، ففعل وكان ماوجد أكثر إقناعاً من أقوال الشاب العصبية. راي قوات الجيش قد إتخذت نقاط حراسة حول الوزارة.

كان گوبلز غبياً، لكنه يتصف بحضور البديهة، فطلب من (هاكن) إستدعاء (ريمر) اليه حالاً، وما قام الشاب بهذه المهمة حتى غاب عن مرسح التاريخ.

وهكذا، ففيم كان المؤتمرون في(بندلرشتراسه) يواصلون إتصالاتهم بالجنرالات في أنحاء أوروپا غير ملقين بالاً على ضابط صغير كـ(ريمر) في حين كان من أشد الضرورات في هذه المرحلة، راح گوبلز يعمل للإتصال بالرجل القابض على ناصية الحال رغم صغر رتبته.

وكانت المقابلة أمراً محتوماً. لأن الثوار أصدروا أمراً له بإلقاء القبض على گوبلز. وهكذا وجد الرائد بإحدى يديه أمراً بإعتقال وزير الدعاية وباليد الأخرى رسالة منه يطلب قدومه اليه. فدخل الوزارة مع فصيلة ومسدساتهم مشهرة بأيديهم لإلقاء القبض على أهم شخصية نازية مسؤولة في برلين.

من بين الكفاءات التي أهّلت گوبلز الى هذه الدرجة الرفيعة في الرايخ الثالث هي قدرته على الكلام السريع في المواقف العصيبة. وكان هذا أحرج المواقف طراً في حياته الصاخبة - فراح يذكر الضابط الشاب بيمين الولاء الذي أقسمه لقائده الاعلى. فأجاب (ريمر) بإقتضاب إن هتلر أصبح في عداد الموتى. فأجابه گوبلز لا بل هو حي وعلى خير ما يرام وقد كلمه تلفونياً قبل لحظات وسيثبت له ذلك. ثم رفع آلة التلفون وطلب نداءً عاجلاً للقيادة العامة في راشتنبرگ - وكان هذا خطأ شنيع آخر إرتكبه المؤتمرون بغفلتهم في السيطرة على بدالة التلفون المركزية. أو قطع خطوطها على الاقل. فساد في سوء وضعهم سوءً[٦٠].

وما مرت دقيقة أو اثنتان حتى كان هتلر في النهاية الأخرى. فدفع گوبلز بسماعة التلفون الى(ريمر) وسأله سيد الحرب هل يميز صوته؟ من ذا الذي لايميز ذلك الصوت الأجش من الألمان ولطالما سمعوه من الراديو مئات المرات؟ زد على هذا أن (ريمر) سمعه فماً لأذن قبل بضعة أسابيع، عندما قلّده الزعيم وسامه الرفيع. يُقال أن الرائد وقف وقفة الإستعداد حال رنين الصوت في أذنه. وأمره هتلر بسحق الفتنة وألاّ يطيع إلاّ الأوامر التي يصدرها اليه گوبلز وهملر. واخبره بأنه عيّن هذا الاخير قائداً عاماً للجيش الداخلي، وهو في طريقه الآن الى برلين، وان يطيع أيضاً الجنرال راينكيه Reinecke الذي إتفق وجوده في العاصمة. فأُمر ان يتسلم قيادة كل القطاعات في المدينة. وأنهى هتلر أقواله بترقية الرائد فوراً الى رتبة مقدم.

وكان في هذا أكثر من الكفاية (لريمر)، لقد تسلم أوامره من أعلى عليٍّ. وباشر بنشاط وحيوية

٦٠- قيل أن گوبلز هتف مستغرباً فيما بعد "إن المرء لايدري كيف غفل هؤلاء الثوريون عن قطع أسلاك التلفون ولم يكن لديهم حتى هذا الحَد من الذكاء، حتى ابنتي كانت ستفكر في هذا" [كارل ريس Carl Riess: جوزيف گوبلز: محامي الشيطان ص٢٨٠].

افتقدهما ثوار بندلرشترسه، بتطبيق الوصايا في الحال. فسحب فوجه من ڤلهلمشتراسه، وإحتل آمرية الموقع في (اونتردن ليندن). وأرسل دوريات لإيقاف أيّ قطعات أخرى قد تكون في طريقها الى المدينة. وإنطلق هو نفسه بحثاً عن مقر قيادة الثورة لإلقاء القبض على زعمائها.

لماذا اوكل الجنرالية الثائرون هذا الدور الهام الى (ريمر) بالدرجة الاولى. لماذا لم يستبدلوه في آخر لحظة بضابط موثوق به مخلص للثورة قلباً وقالباً؟ أو على الأقل لماذا لم يرسلوا ضابطاً يُعتمد عليه مع فوج الحراسة للتأكيد بأن (ريمر) أطاع الأوامر المعطاة له؟ لغز من الغازٍ كثيرةٍ إكتنفت حركة ٢٠ تموز. بل لماذا لم يُعتقل گوبلز على الفور - وهو اهم واخطر موظف نازي موجود في برلين؟ شرطيان فقط من قوة الكونت هلدورف كانا يتمكنان من ذلك في غضون دقيقتين. لأن وزير الدعاية لم يكن محروساً: بل لماذا لم يقم المؤتمرون بإحتلال مقر الگشتاپو العام في برنزالبرختشتراسه Prinz Al-berchtstrosse؟ فيحققون بذلك غرضاً مزدوجاً: سحق الشرطة السرية وإطلاق سراح عدد كبير من رفاقهم في المؤامرة الذين كانوا معتقلين هناك ومنهم (ليبر)؟ كان مقر الگشتاپو غير محروسٍ فعلاً. كذلك كان المكتب المركزي لدائرة الأمن السرية. وهو المركز العصبي لجميع شرطة الأمن والإس.إس. وتلك أولى الدوائر التي يوجب المنطق على الثوار السيطرة عليها؟

من المستحيل الإجابة عن هذه الأسئلة. لم يصل الى علم الثوار إنقلاب (ريمر) السريع عليهم الاّ بعد زمن. يظهر أنه لم يصلهم عما يحصل في برلين إلاّ القليل، حتى فات الأوان. ويصعب معرفة السبب الى يومنا هذا، لأن تقارير شهود العيان حافلة بالمتناقضات المتهاترة. أين هي الدبابات؟ اين هي وحدات المشاة من آمريات المواقع الخارجية؟

بعد الساعة ٦.٣٠ مساءًَ أُذيع من محطة دوچلاندسندر Deutchlandsender، وهي محطة ذات جهاز بث قوي جداً يُسمع في أنحاء أوروپا كافة - بيان مختصر أُعلن فيه عن قيام محاولة لإغتيال هتلر وإخفاقها. وكان هذا ضربة عنيفة ترنح لها الرجال الثائرون في بندلرشتراسه. إلاّ انها كانت دليلاً على أن الوحدة العسكرية التي افتُرض بها إحتلال محطة الإرسال قد فشلت في مهمتها. لقد إستطاع گوبلز ان يرسل بالتلفون نص البيان الى الإذاعة وهو في انتظار مجيء(ريمر). وفي الساعة السابعة إلاّ ربعاً أرسل شتاوفنبرگ رسالة بالمبرقة التلفونية الى قادة الجيوش ذكر فيها إن البيان كاذب وهتلر ميت. إلاّ ان الضرر الذي احدثه لقضية الثورة كان مما يتعذر إصلاحه. فالجنرالية القادة في پراغ وڤيينا، الذين راحوا يلقون القبض على الإس.إس. وقادة الحزب، بدأوا يتراجعون. ثم وفي الساعة ٨.٢٠ مساءً إستطاع الجنرال كايتل ان ينشر امرٍ بالمبرقة التلفونية الى جميع القيادات، من مقر قيادة هتلر معلناً فيه تعيين هملر قائداً عاماً للجيش الداخلي واضاف يقول: " ممنوع اطاعة أيّ أمر إن لم يكن صادراً منه ومني. وكل ما يصدره (فروم) أو (ڤيتزليبن) أو (هوپنر) من بيانات أو

توجيهات هو باطل لايُعتد به".

وكان لكل من الإعلان عن نجاة هتلر من الموت، مشفوعاً بالأمر الجازم المقتضب الصادر من كايتل، بوجوب تلقي الأوامر منه فقط وعدم الإعتداد بأوامر المؤتمرين، اثرهما الحاسم على الفيلدمارشال فون كلوگه، الذي كاد في تلك اللحظة يهم بربط مصيره بمصير الثوار[٦١].

والدبابات التي كان الضباط الثائرون يعتمدون على مجيئها أكثر الإعتماد. حتى هذه لم يظهر لها اثر. ربما ظن ان قائد الدروع اللامع الجنرال (هويپنر) هو الذي سيتدبر امرها؟ لكنه لم يبذل جهداً في هذا السبيل. كان الثوار قد أمروا العقيد ڤولفگانگ كلايسيمر Glaesemer Wolfgang آمر مدرسة الدروع في (كرافپتيز) بتحريك دباباته الى المدينة، وأن ياتي هو نفسه الى بندلرشتراسه ليتلقى أوامر أخرى. الاّ أنه ابى المساهمة في أيّ إنقلاب عسكري ضد النازيين. وبعد أن راح أولبريخت يناشده عبثاً إضطر الى إعتقاله في البناية أيضاً. على انه تمكن من أن يهمس في اذن مساعده الذي لم يُعتقل، بتعليمات تقتضي منه إبلاغ مقر قيادة مفتشية وحدات الدروع في برلين، ذات السلطة المخولة للإشراف على تشكيلات الدبابات، بحقيقة ماحصل وأن تُتخذ الإحتياطات لعدم تنفيذ أوامر أخرى غير أوامر المفتشية. وهكذا أفلس الثوار من الدبابات ولم تعد بمتناول ايديهم وان كان بعضها قد بلغ قلب المدينة عند قوس النصر في (تيبيرزكارتن). ثم أفلح العقيد (كلايسيمر) في الفرار بخدعة. إذ قال لحراسه أنه قرر اطاعة أوامر(أولبريخت) وسيتولى هو بنفسه قيادة الدبابات. ثمّ انسلَّ من البناية وأسرع بسحب عجلاته من المدينة.

لم يكن الوحيد الذي إستطاع الانسلال من معتقل السادة الشرفاء المستعجل المفروض على من رفض الإنضمام الى الثوار. وقد ادى هذا الى التعجيل في نهاية الثورة.

وصل الفيلدمارشال فون (ڤيتزليبن) أخيراً وهو بكامل زيه العسكري يهز عصا المارشالية. ليتسلم واجبات القائد العام للقوات المسلحة قبيل الثامنة مساءً، أدرك فوراً على ما يبدو ان الإنقلاب مُني

٦١- هناك حكايات متناقضة عن عدم سيطرة الثوار على راديو برلين. تقول إحدى الروايات أن وحدة من مدرسة المشاة في دويبرتز، كان قد أُنيط بها هذا الواجب على أن تقوم بتنفيذه بقيادة الجنرال هتسفلد Hitsfild وهو من المتآمرين. الاّ أنه لم يخطر بباله بأن يوم (٢٠) تموز هو يوم الثورة، وكان قد سافر في ذلك اليوم الى (بادن) لحضور جنازة قريبٍ له. والذي يليه في القيادة هو العقيد موللر وكان غائباً في مهمة عسكرية. فلما عاد (موللر) الى مقره حوالي الساعة الثامنة مساءً وجد أن افضل أفواجه كان قد ترك المدرسة للتدريب الليلي، ولما تمكن من جمع وحداته في متنصف الليل كان الأوان قد فات. وبحسب رواية أخرى أن الرائد (ياكوب) نجح في تطويق محطة الإرسال بجنود من مدرسة المشاة، إلا انه لم يتمكن من تسلم أوامر مفصلة واضحة من أولبريخت عَما يترتب عليه. فلما أملى گوبلز نص أول بيانٍ للإذاعة لم يتدخل (ياكوب) في مسألة اذاعته. قال الرائد لو ان أولبريخت زوده بالأوامر اللازمة، لما كان أسهل عليه من منع الإذاعة عن النازيين ووضعها في خدمة المؤتمرين. الراوية الأولى ذكرها زيللر [المرجع السالف الص ٢٦٧- ٢٦٨] اوثق المؤرخين الألمان عن إنقلاب ٢٠ تموز. اما الراوية الثانية فقد أوردها هويلربنيت [المرجع السالف الص ٦٥٤- ٦٥٥ حاشية] ورودولف ساملر Sammler[گوبلز الرجل الثاني بعد هتلر ص١٣٨]. كلاهما يقولان أن الرائد ياكوب أعطى الأفادة المذكورة.

بالفشل، فإنثنى يُنحي باللائمة على(بيك) و(شتاوفنبرگ) قائلاً انهما أفسدا كل شيء. (قال أثناء محاكمته انه كان مقتنعاً بفشل الثورة عندما علم بعدم سيطرة الثوار على مقر واحد، حتى دار الإذاعة)، إلاّ انه لم يفعل هو نفسه شيئاً، وقت كانت رتبته رفيعة قد تجمع كثيراً من قادة المشاة في برلين وخارج البلاد. وبعد أن انقضت(٤٥) دقيقة على دخوله البناية، خرج منها وخرج من الثورة. ووجه سيارته الى (زوسن) حيث كان قد أمضى سبع ساعات من ذلك اليوم الثمين. ووقف فيها ليخبر الجنرال (ڤاگنر) بفشل الثورة ثم ركب سيارته المرسيدس متوجهاً الى مزرعته الريفية التي تبعد (٣٠) ميلا. وفيها قام زميله الجنرال لينرتز Linnertz بإعتقاله في اليوم التالي.

الآن يرتفع الستار عن آخر فصل من المأساة.

بعد التاسعة مساءً بقليل صعق الثوار الفاشلون وإنعقلت ألسنتهم لما سمعوا محطة راديو برلين تعلن عن قرب قيام (الزعيم) بتوجيه كلمة الى الشعب الألماني. في ساعة متأخرة من تلك الليلة. وبعد دقائق قليلة وردهم نبأ إعتقال الجنرال فون هاسه قائد موقع برلين، الذي اطلق الرائد ريمر الى واجبه فأنزل بالثورة ضربة قاضية. وعلموا ان الجنرال النازي (راينيكه) مدعوماً بالإس.إس قد تسلم قيادة سائر القطعات العسكرية في برلين وهو يتهيأ لاقتحام وزارة الدفاع حيث هم.

اخيراً إنتظمت صفوف الحرس الأسود، وأكبر الفضل يعود الى (أوتو سكورزيني) قائد الـ(إس.إس) الصلب الذي أثبت بسالته وسعة حيلته في عملية إنقاذ موسوليني من الأسر. لم يكن (سكورزيني) يعلم شيئاً عما يجري في ذلك اليوم وركب قطار الليل السريع الى (ڤيينا) في الساعة السادسة مساءً. الاّ انه أُخرج من القطار حال وقوفه في ضاحية (ليختـرفلده) بدعوة عاجلة من جنرال الـ(إس.إس) شللنبرگ، الرجل الثاني في الأمن العام. فوجد (سكورزيني) حبل النظام مختلاً في مقر شرطة الأمن غير المحروس. والإضطراب قد بلغ أقصاه. إلاّ انه نجح بسرعة بطبعه البارد المأثور وبقابليته المدهشة في التنظيم، بتجميع عصاباته المسلحة. وإنطلق يعمل فوراً، وهو الذي أقنع تشكيلات مدرسة الدروع بأن تبقى مخلصة لهتلر. إن الافعال المضادة السريعة، التي خرجت من (راشتنبرگ) وسرعة بديهة گوبلز في إستمالة (ريمر) وإفادته من الراديو، بعث الحياة في الـ(إس.إس) ببرلين، يقابل ذلك الإضطراب العجيب والتماهل الذي اظهره الثوار بندلرشتراسه. سببت نكوص كثير من ضباط الجيش الذين هموا بربط مصيرهم بالثورة ومنهم الجنرال (أوتو هرفورث Otto Herfurth) رئيس أركان (كورتزفلايش) المعتقل. فقد تعاون في مبدأ الامر في محاولة تجميع القطاعات، ثم ما لبث ان إنحاز الى الجانب الآخر عندما رأى كيف تسير الأمور واتصل بمقر هتلر تلفونياً في الساعة ٩.٣٠ ليلاً ليقول انه يقوم الآن بقمع الإنقلاب العسكري[٦٢].

أما الجنرال (فروم)، الذي أبى الانضمام الى الثورة، فهزّ كيانها وصدعها من أول لحظة وأُعتقل بعد

٦٢- لم يحل غدره دون إعتقاله بتهمة مساهمته في الإنقلاب وشنقه.

ذلك، فقد تحرك هو الآخر. في حوالى الثامنة مساءً وبعد حبس طوله أربع ساعات، طلب أن يوافق آسريه على إعادته الى غرفته الخاصة في الطابق الادنى وأعطى كلمة شرف عسكري إنه لن يحاول الهروب أو يتصل بالخارج. فوافق الجنرال (هويپنر) وأتحفه فضلاً عن ذلك بسندويج وزجاجة خمر عندما شكا له العطش والجوع. قبل هذا بقليل وصل ثلاثة جنرالية هم تحت إمرة (فروم)، وكانوا قد رفضوا الإنضمام الى الثوار وطلبوا أن يؤخذوا الى رئيسهم. ومن الغرابة بمكان ان الثوار بعد وضعهم تحت الإعتقال، أجابوهم الى طلبهم. فما كاد يستقر المقام بثلاثتهم، حتى أخبرهم(فروم) بوجود مدخل خلفي قليل الإستعمال يمكنهم الفرار منه. وحنث بكلمة الشرف التي أعطاها (لهويپنر) وأمر الجنرالية بتنظيم حملة إنقاذ، وإقتحام البناية وتحريره وقمع الثورة. فأنسلّ ثلاثتهم دون أن يلحظهم أحد.

لكن وقبل أن يتسنى لهم تنظيم الحملة. كان يوجد في البناية مجموعة من الضباط الصغار المرتبطين بآمرية أولبريخت، ربما هم من المنضمين الى الثورة أو أنهم جاءوا بدافع حب الإستطلاع ليرقبوا مجراها، لاحظ هؤلاء أن الثورة تسير بخطى حثيثة الى النهاية، كما بدأوا يدركون أيضاً – كما قال أحدهم فيما بعد – أنهم سيُشنقون كلّهم بتهمة الخيانة، إن تمّ فشلها ولم ينقلبوا عليها في الوقت المناسب. وجلب واحد منهم وهو المقدم فرانز هيربير Franz Herber ضابط شرطة سابق ونازي مطبوع، بعض رشيشات وذخيرة من دار أسلحة (شپانداو) وأخفاها في الطابق الثاني. وفي الساعة ١٠.٣٠ دخل هؤلاء على (أولبريخت) وطلبوا منه أن يعلمهم بالضبط ماذا يريد هو ورفاقه وما هو غرضهم. فصارحهم الجنرال بالأمر فإنسحبوا دونما جدال.

وبعد عشرين دقيقة عاد ستة أو ثمانية منهم بقيادة (هيربير) والمقدم بودو فون دير هيدي bodo von der Heyde مصوبين سلاحهم طالبين إيضاحات أخرى من أولبريخت. وفي تلك الأثناء دخل شتاوفنبرگ مستطلعاً سبب الضجة. فأسرعوا بالإمساك به، ولمّا حاول الفرار بسد الباب والجري في الممر، أصابوه برصاصة في ذراعه الوحيد وراحوا يطلقون النار على غير هدى ولم يصيبوا أحداً عدا (شتاوفنبرگ) على ما يبدو. ثم أخذوا يتجولون في الجناح الذي إتخذه الثوار مقراً ويقبضون عليهم فرداً فرداً.

ووضع (بيك وهويپنر وأولبريخت وشتاوفنبرگ هايفتن وميرتز) في مكتب (فروم) الخالي.

وبعد قليل دخل (فروم) مشهراً مسدساً وقال:

– حسناً أيها السادة، سأعاملكم الآن كما عاملتموني.

إلا أنه لم يف بوعده. وصاح آمراً: ألقوا بأسلحتكم.

وأبلغ آسريه السابقين أنهم معتقلون. فقال له(بيك) بهدوء وهو يمد يده الى مسدسه:

– لا أخالك تطلب مني هذا، أنا آمرك السابق. وسأستنتج ما أستنتج من هذا الموقف المزري.

فقال فروم محذّراً: إذن فدعه مصوباً الى نفسك.

إن هذا الضعف الغريب في إرادة الضابط اللامع المثقف رئيس الأركان العامة السابق مما لايمكن

تفسيره، ولقد أدى به أخيراً الى سقوطه في أعلى امتحان له في حياته. اذ بقي ملازماً له حتى النهاية، وبدأ يقول: في هذه الساعة، لا أذكر إلاّ الأيام الخالية... إلا أن فروم قطع عليه القول منتهراً: لا اريد ان اسمع هذه الأشياء الآن، واريدك أن تصمت وتعمل شيئاً... وفعل(بيك). ضغط الزناد إلا أن الرصاصة أحدثت خدشاً في رأسه لا غير. وتهاوى على كرسيه وهو ينزف قليلاً. فأمر(فروم) إثنين من الضباط الشبان بقوله: عاونوا السيد الشيخ. لكن(بيك) عارضهما عندما حاولا أخذ المسدس منه، وطلب لنفسه فرصة ثانية. فأحنى (فروم) رأسه موافقاً. ثم إستدار نحو باقي المؤتمرين وقال لهم.

- وانتم أيها السادة إن كان لديكم أيّ رسائل تكتبونها فسأمهلكم دقائق أخرى.

فطلب كل من (أولبريخت وهويپنر) أوراقاً وجلسا يكتبان رسالتي وداع لزوجيهما. أما (شتاوفنبرگ وميرتز وهايفتن) والآخرون، فقد وقفوا كالخُشُب المسنّدة صامتين. وخرج (فروم) من الغرفة.

كان قد عزم على ان يُهلك هؤلاء الرجال بسرعة لتغطية الآثار والأدلة ضده، لأنه كان يعلم بالمؤامرة منذ أشهر ويحمي المغتالين. وكذلك لينال الحظوة عند هتلر بإعتباره الرجل الذي قمع الثورة، هذا التفكير يعتبر متأخراً في دنيا العصابات النازية، إلا أن (فروم) لم يدرك ذلك.

عاد بعد خمس دقائق ليعلن قائلاً: انه قد أمر بعقد جلسة "المحكمة عسكرية" (لم يكن ثمّ ما يشير الى حصول ذلك) وأنها "بإسم الزعيم" قد فرضت أحكام الموت على أربعة من الضباط، وهم العقيد الركن ميرتز والجنرال أولبريخت، وهذا العقيد الذي لم أعد اعرف اسمه [شتاوفنبرگ] وهذا الملازم [هايفتن]. كان الجنرالان (أولبريخت وهويپنر) ماضيين في كتابة رسالتيهما الى زوجيهما، والجنرال (بيك) متهالك على كرسيه ووجهه ملطخ بالدم من شدخ الرصاصة. اما الضباط الأربعة "المحكومون"، فقد ظلو واقفين كالقضبان لاينبسون بحرف. وقال (فروم) لأولبريخت وهويپنر: "أيها السيدان هل أنتما على إستعداد؟" أطلب منكما أن تستعجلا لكيلا تجعلا الأمر صعباً على الآخرين".

وأنهى (هويپنر) رسالته وألقاها على الطاولة وطلب أولبريخت ظرفاً ووضع فيه رسالته وأقفله، وأخذ (بيك) يثوب الى رشده وطلب مسدساً ثانياً وأقتيد (شتاوفنبرگ) وكم ذراعه الجريحة مبتلة بالدماء - هو ورفاقه الثلاثة خارجاً. وطلب (فروم) من (هويپنر) ان يتبعه. وفي الساحة المواجهة للطابق الأرضي وعلى ضوء مصباحي سيارة مستورين بسبب التعتيم إستعجل بقتل الضباط الأربعة بفصيلة رماةٍ. ويقول شهود العيان، انه كان ثمّ كثير من الصياح والضجيج الصادر من الحرس بسبب إحتمال حدوث غارة جوية. لأن الطائرات البريطانية ما كانت تترك برلين هادئة ليلة واحدة طوال فصل الصيف. ولفظ شتاوفنبرگ أنفاسه ألاخيرة وهو يهتف: "عاش وطننا المقدس ألمانيا الى الأبد"[٦٣].

٦٣- زيللر المرجع السالف ص٣٦٣ حاشية. يورد روايتي شاهدي عيان للرمي. سائق سيارة جيش كان ينظر من نافذة. وإمرأة هي سكرتيرة (فروم).

وفي الوقت نفسه وضع (فروم) الجنرال (هويپنر) أمام خيارين، كشفها هويپنر أمام محكمة أمن الشعب بعد ثلاثة أسابيع وشبح الموت يحوم فوق رأسه، قال: "[قال فروم] إن هذه المسألة يا (هويپنر)

تؤلمني حقاً فقد كنا من أخلص الأصدقاء كما تدري وقد ورطت نفسك في هذا الأمر وعليك أن تتحمل التبعات، هل تريد سلوك السبيل التي أختارها (بيك)؟ وإلأ فلا مفرّ لي من إعتقالك".

فأجاب (هويپنر) انه لايشعر "بأنه مذنب الى هذه الدرجة، وهو يعتقد بأنه يستطع تبرير عمله. فأجاب فروم وهو يهزّ رأسه "إني أفهم ذلك" وسيق هويپنر الى السجن العسكري في (موابيت). وفيم هو يساق الى السجن تناهى اليه صوت (بيك) المتعب من خلال الباب في الغرفة الثانية:

- إن لم ينطلق هذه المرة فأرجو أن تعاوني".

ودوى صوت إطلاقة مسدس، وفشلت محاولة (بيك) الثانية في قتل نفسه، فأخرج (فروم) رأسه من الباب مرة أخرى، وقال لأحد الضباط "هيا ساعدوا السيد الشيخ". إلاّ أن الضابط المجهول أبى ان يطلق طلقة الرحمة، تاركاً ذلك الى أحد العرفاء، الذي قام بسحب بيك خارج الغرفة وهو فاقد الوعي من اثر الجرح الثاني، ثم قضى عليه بطلقة في عنقه[٦٤].

الوقت الآن قد تجاوز منتصف الليل قليلاً. والثورة الكبيرة الجادة الوحيدة ضد هتلر خلال أحد عشر عاماً ونصف العام من عمر الرايخ الثالث، لفظت أنفاسها الاخيرة في أحدى عشرة ساعة ونصف الساعة فقط. ووصل سكورزيني الى بندلرشتراسه مع عصابة من الحرس الأسود الشاكي السلاح ومنع

٦٤- إن الأحداث التي دونت في هذا الفصل عما حصل تلك الليلة في بندلرشتراسّه مأخوذة اصلاً من إفادة الجنرال (هويپنر) الصريحة أمام محكمة أمن الشعب أثناء محاكمته، ومن إفادة (ڤيتزليبن) وستة ضباط آخرين في ٦ و٧ آب ١٩٤٤. إن ملف وقائع جلسات المحكمة قد تلف نتيجة القصف الجوي الأمريكي في ٣ شباط ١٩٤٥، لكن أحد كتاب الضبط بالإختزال - في تلك المحاكمة إختلس المحاضر المدونة بطريقة الإختزال مخاطراً بحياته على حَد قوله، قبل ان يجري القصف، وبنهاية الحرب قام بتسليمها الى محكمة نورمبرگ. فطبعت حرفياً بالألمانية في "محاكمات مجرمي الحرب ج ٣٣ الص ٢٩٩- ٥٣٠.

هناك مواد كثيرة عن إنقلاب (٢٠) تموز ومعظمه متناقض وبعضه يضلل كثيراً، وخير بناءٍ لهذه الروايات هو (لزيللر) المرجع السالف. الذي يثبت فيه قائمة طويلة لمصادره في الص: ٣٨١- ٣٨٨. وفي كتابٍ (گيرهاردريتر) عن "گويردلر" معلومات قيمة جداً وإن كان طبعاً يتفرغ الى موضوعه. وخير مصدر بالإنگليزية للموضوع هو (هويلر بنيت) [المرجع السالف]. ويستخدم كما فعل زيللر تقرير (أوتو جون) غير المطبوع، الذي اختصم بعد الحرب مع حكومة بون فسُجن. كان هذا حاضراً في بندلرشتراسه يوم (٢٠) تموز وسجّل مواد كثيرة مما رأى ومما قاله له شتاوفنبرگ. ويقدم (قسطنطين ڤيتز- گيبون) وصفاً حياً لها معتمداً في الغالب على المصادر الألمانية، ولاسيما (زيللر) ومن المصادر القيمة - وان وجب قراءتها بحذر: التقارير اليومية عن تحقيقات شرطة الأمن - الگشتاپو حول المؤامرة المؤرخة من ٢١ تموز حتى ١٥ كانون الأول ١٩٤٤، وهي مذيلة بتواقيع (كالتنبرونر) وقد ارسلت الى هتلر مطبوعة على آلة كاتبة ذات حروف كبيرة ليستطيع الزعيم قراءتها دون حاجة الى عوينات. وهي حصيلة مجهودات "لجنة التحقيق الخاصة" بخصوص ٢٠ تموز المؤلفة من (٤٠٠) عضو من شرطة أمن الگشتاپو مقسمين الى (١١) فرعاً تحقيقياً. وهي بين الوثائق المستولى عليها. ويوجد منها الآن نسخ (بالميكروفيلم) في سجل الوثائق الوطنية بواشنطن رقم ت ٨٤. رقم التسلسل ٣٩. بكرات ١٩- ٢١، انظر أيضاً رقم تسلسل ٤٠ بكرة ٢٢.

البطش بالآخرين، فهو كشرطي يعرف حكمة "لا تقتل أولئك الذين يمكن بالتعذيب ارغامهم على إعطاء معلومات هامة جداً" لمعرفة ابعاد المؤامرة ووضعت القيود في ايدي الباقين من المتآمرين ونُقلوا الى سجن الگشتاپو في (برنز البرختشتراسه)، وأقام محققين لجمع الأوراق والوثائق الدامغة التي لم يتوفر الوقت لإتلافها. أما (هملر)، الذي وصل برلين قبل قليل وإتخذ مقراً مؤقتاً في وزارة گوبلز، المحروس الآن بقسم من فوج حراسة (ريمر). فقد تلفن لهتلر وأبلغه أن الثورة تمت تصفيتها. وخرجت من (كوينكسبرگ) في پروسيا الشرقية سيارة ذات جهاز إذاعي وأسرعت تنهب الارض الى (راشتنبرگ) لنقل كلمة الزعيم بمناسبة فشل محاولة إغتياله، وهي التي ظلت إذاعة برلين تنبه اليها طويلاً وتعد بها المستمعين كل خمس دقائق منذ الساعة التاسعة مساءً.

وقبيل الواحدة بعد منتصف الليل لعلع صوت هتلر الأجش في هواء ليل الصيف:

أيها الرفاق الألمان!

"اني ان أتكلم اليكم، فأولاً لتسمعوا صوتي ولتتأكدوا بأني سليم وبخير، وثانياً لأفضي اليكم بأنباء جريمة غير مسبوقة في تاريخ ألمانيا.

إن عصبة صغيرة جداً من الضباط الطامعين الطائشين والمجانين الأغبياء في الوقت نفسه، قد دبروا مؤامرة للقضاء على حياتي ومعي أيضاً هيئة القيادة العليا للقوات المسلحة. إن القنبلة التي وضعها العقيد الكونت شتاوفنبرگ إنفجرت على بعد مترين عن يميني وأصابت عدداً من أعواني المخلصين الأمناء بجراح بليغة، وقد توفى أحدهم. أما أنا فلم أصب بضرر خلا بعض الكدمات والحروق والخدوش الطفيفة. وانا أعدّ نجاتي هذه دليلاً وتأكيداً للمهمة التي ألقتها عليّ العناية الإلهية...

إن دائرة هؤلاء الغاضبين صغيرة جداً لاتمت بأي صلة الى روح القوات المسلحة الألمانية، كما لاتمتُّ بصلة، وهذا أهم، الى الشعب الألماني. إنها عصابة تتألف من عناصر مجرمة سيتم القضاء عليها بلارحمة.

واني لهذا، أصدر أوامري الآن بمنع أي سلطة عسكرية... من إطاعة الأوامر التي تصدر من عصبة الطامعين هؤلاء. وكذلك أجعل من واجب كل مواطن القبض أو إطلاق الرصاص عند المشاهدة وفي حالة إبداء مقاومة- على كل شخص يصدر أو ينشر مثل هذه الأوامر... في هذه المرة سنصفي الحساب معهم بالشكل الذي تعودناه نحن القوميين الاشتراكيين".

-٨-

الإنتقام الدموي
في هذه المرة أيضاً برَّ هتلر بوعده

ان بربرية النازيين بلغت ذروتها القصوى إزاء أبناء جلدتهم حقاً، وسرت موجة هائلة من الإعتقالات تلاها تعذيب تقشعر من هوله الأبدان. ثم محاكمات صورية بدائية، خُتمت باحكام موت نُفّذت بالجملة على طريقة الخنق البطيء، في أحيان كثيرة يتمّ بأن يُعلق الضحايا باوتار بيانو من خطافات تستعمل لتعليق شقق اللحم استُعيرت من دكاكين القصّابين والمجازر. ولوحق أقرباء المهتمين وأصدقاؤهم وقبض عليهم بالجملة آلافاً إثر آلآف وأُرسلوا الى معسكرات الإعتقال، حيث مات عدد كبير منهم. أما القلائل الشجعان الذين آووا أولئك المطاردين فقد صُفيَّ حسابهم حالاً.

لقد قبضت على روح هتلر نوبة من السُعار الشيطاني الوحشي، وظمأ الى الإنتقام لايرتوي. وراح يسوق هملر (وكالتنبرونر) سوقاً حثيثاً لبذل أقصى الجهود في وضع أيديهما على آخر رجل من الثوار. تجرّأ على الإئتمار به ووضع هو نفسه طريقة إزهاق أنفاسهم.

صاح يقول في واحدٍ من أولى مؤتمراته بعيد حادث راشتنبرگ "هذه المرةً لن تطول المرحلة بالمجرمين، لن تكون ثمّ محاكم عسكرية... سنسوقهم الى محاكم أمن الشعب، ولن تُعطى لهم فرصة لإلقاء الخطب الطويلة. ستعمل المحكمة بسرعة البرق الخاطف، وبعد ساعتين من صدور الحكم سيُنفذ فيهم خنقاً بلا رحمة"[٦٥].

هذه التوجهات التي صدرت من أعلى عليّ، طبقها بالحرف الواحد (رولاند فرايزلر) رئيس محكمة أمن الشعب. شخص مجنون مجرم بعقله دنيء النفس قذر اللسان، كان اسيراً في الحرب العالمية الاولى وتسربل برداء الشيوعية وتعصب لها لغايةٍ ثم وجد في النازية مستقبلاً فأصبح نازياً شديد التعصب لها في ١٩٢٤. وظل معجباً بطرق (بيريا) وتلميذاً لأساليبه في اشاعة الإرهاب في روسيا. وكتب دراسة خاصة عن اسلوب اندراي ڤشينسكي Andrei Vishinsky أيام كان رئيساً للادعاء العام في محاكمات الثلاثينات بموسكو، التي اجراها ستالين "للشيوعيين المخضرمين" ومعظم جنرالية الجيش الأحمر الكبار، حيث ثبتت ادانتهم بتهم الخيانة واعدموا. وهتف هتلر في المؤتمر المذكور آنفاً: "فرايزلر إن هو إلاّ ڤشينسكي ألمانيا".

جرت أول محاكمة لمؤتمري ٢٠ تموز أمام محكمة أمن الشعب في برلين خلال يومي ٧ و٨ آب. والمتهمون فيها: الفيلدمارشال فون (فتزليبن). والجنرال(هويپنر) والجنرال (شتيف) والجنرال (ڤون

٦٥- زيللر المرجع السالف. معتمداً على رواية ضابط كان حاضراً [المرجع السالف ص٣٧٢ حاشية ١٠].

هاسه) والضباط الأدنى رتبة (هاكن وكلاوسنگ Klowsing وبرناردیس Bernardis والكونت پيتر يورك فون فارتنبرگ) ممن عملوا يداً بيد مع معبودهم (شتاوفنبرگ). كانت قد تحطمت مقاوتهم ونفسياتهم بسبب المعاملة الفظة في أقبية الگشتاپو. ولما كان گوبلز قد أمر ان يصور بالسينما كل وقائع المحكمة لتُعرض فلماً على الجنود والناس كأمثولةٍ وعبرة، فقد بذل كل ما أمكن بذله لإظهار المهتمين بمظهر زري غير لائقٍ. فأُلبسوا ثياباً فضفاضة لاتناسب مقامهم ولايمكن وصفها، ستراً خلقة وسراويل رثة متهدلة مدعوكة. وأُدخلوا قاعة المحكمة وذقونهم نابتة من دون ياقات أربطة عنق وبدون احزمة أو حمالات سراويل. وكان الفيلدمارشال المهيب الشخصية بصورة خاصة يبدو شيخاً أشمط ناءٍ تحت ثقل السنين أدرد الفم، لأن اسنانه الصناعية أُخذت منه. وكان هو في قفص الإتهام هدفاً لايُرحم لمضايقات رئيس المحكمة وتعليقاته المسمومة. ظل متشبثاً بحافات سرواليه لئلا ينخرط. فصاح به (فرايزلر) "مالك أيها العجوز القذر؟ لماذا تظل تعبث بسروالك؟" ومع هذا ومع إن المتهمين كانوا يعرفون ان مصيرهم قد تقرر مسبقاً، فلم يحيدوا عن حسن التصرف ولم يخرجوا عن الوقار ولم تزايلهم شجاعتهم رغم مجهود (فرايزلر) المتواصل لإخراجهم من هدؤهم بتحقيرهم والتهكم بهم. ولعل الشاب (پيتر يورك)... وهو من أقرباء (شتاوفنبرگ) كان أشجعهم طرّاً. فقد أجاب عن معظم الأسئلة المهينة بهدوء، ولم يحاول قط إخفاء إحتقاره للقومية الإشتراكية.

سأله (فريزلر): لِمَ لم تنضم الى صفوف الحزب؟

- فأجابه الكونت: لأني لست نازياً ولايمكن أن أكون نازياً.

وبعد أن صحا فرايزلر من لطمة هذا الجواب وظل يحوم حول النقطة، حاول يورك التفسير:

- ايها الرئيس، سبق لي وقلت في التحقيق الإبتدائي ان العقيدة النازية هي ممالا...

فقاطعه فرايزلر مردداً "يمكن ان نتفق..." انك لاتتفق مع فكرة مفهوم القومية الإشتراكية في العدالة. ولنقل في مسالة إستئصال شافة اليهود مثلاً؟"

فاجاب يورك: ان الشيء المهم، وما يجمع كل هذه الاسئلة في سؤال واحد هو إدعاء الحكم الفردي المحكم المطلق للدولة بسلطانه التام على الفرد، لإرغامه على نبذ اخلاقه وواجباته الدينية نحو الله...

فصاح فرايزلر: "ما هذا الهراء؟" وقطع القول على الشاب. إن أقوالاً كهذه (تسمم) شريط الدكتور گوبلز السينمائي وتغضب الزعيم، الذي قرر أن لايسمح لهم بخطب طويلة. اما محامو الدفاع الذين نصبتهم المحكمة، فقد كانو أكثر من مداحين ومرائين، والمرء حين يقرأ وقائع المحاكمة يكاد لايصدق أن المرء قد يصل الى هذه الدرجة من الجبن. فمحامي دفاع (ڤيتزليبن) الدعو الدكتور ڤايسمان Dr Weissemann سبق الإدعاء العام بمراحل، وكاد يساوي (فريزلر) في تجريح موكله ووصفه إياه بالقاتل، والمجرم الذي إستحق أشنع العقاب.

واوقعت هذه العقوبة الشنعاء فور إنتهاء المحاكمة في ٨ آب. كان هتلر قد أمر "ان يعلقوا كلهم

كما تعلق لحوم الابقار" وهكذا كان. ففي سجن بلوتيزنسي ploetyensee اقتيد ثمانيتهم الى غرفة صغيرة ثبت في سقفها ثمانية خطافات لحم وعلقوا الواحد بعد الآخر بعد تعريتهم حتى الوسط، بانشوطة من وتر البيانو وضعت في رقابهم. وكانت آلة تصوير سينمائية تدور ملتقطة صورهم وهم معلقون مخنوقون، وانزلقت في الأخير سراويلهم الخالية من الاحزمة في حين كانت جسومهم تتراقص وتتلوى، وبقوا عراة وهم في نزعهم الاخير(٦٦).

وأُرسل الفيلم بعد التحميض حسب الأمر الى هتلر ليشاهده مع شريط المحاكمة في مساء اليوم نفسه. ويقال ان گوبلز لم يستطع مغالبة الإغماء إلا بستر عينيه بكفيه!(٦٧).

وظلت محكمة الأمن المريعة طوال فصول الصيف والخريف والشتاء حتى أوائل عام ١٩٤٥ تواصل عقد جلساتها بسرعة تسابق الريح، لإنهاء محاكماتها القتالة وصب احكام الموت صباً على المتهمين، الى ان سقطت قنبلة أمريكية على دار المحكمة في صباح يوم ٣ شباط ١٩٤٥، بينما كان (شلابرندورف) يُقاد الى القفص - فقتلت (فرايزلر) في الحال وأتلفت ملفات معظم المتهمين الأحياء. وهكذا نجا (شلابرندورف) بما يشبه المعجزة. فكان احد القلائل جداً من الثوار الذين إبتسم لهم الحظ. وأخيراً حررته القوات الأمريكية من براثن الگشتاپو في (التيرول).

بقي علينا هنا ان نسجل مصائر الآخرين:

كان(گويردلر) الذي نصّبه الثوار مستشاراً للحكومة الجديدة، قد إختفى قبل ثلاثة أيام من المؤامرة بعد ان نُبّه بصدور أمر القبض عليه. فظل يهيم على وجهه بين برلين وپوتسدام وپروسيا الشرقية، لايقضي ليلتين متواليتين في مكان واحد. ولم يعدم ملجأً عند أصدقائه أو اقربائه، الذين كانون يخاطرون بأرواحهم لإيوائه. ذلك لأن هتلر وضع جائزة على راسه قدرها مليون مارك. وفي صبيحة يوم ١٢ آب دخل حانة صغيرة في قرية كونرادسڤالده- Konradsvolde بالقرب من مارينڤردر Morienvrder جائعاً منهوك القوى بعد عدة ليال وأيام قضاها في پروسيا الشرقية يسير على قدميه. وفيم هو ينتظر فطوراً طلبه، حانت منه التفاته الى امرأة في ثياب مجندات سلاح الجو، ترمقه وتديم النظر إليه بدقة. فأسرع يتسلل الى خارج القرية غير منتظر فطوره متجهاً نحو الغابة المجاورة. الاّ ان الفرصة لم تسعفه. فألمراة واسمها هيلينه شڤايرزل Helene Schvaerzel عرفته حالاً وكشفت سره الى رجلين من

٦٦- تفاصيل التنفيذ رواها مدير السجن ومعاونه والمصور. وقد دونها كلها هويلر بنيت في كتابه [المرجع السالف الص ٦٨٣- ٦٨٤]. وإسم مدير السجن هانس هوفمان Hans Hoffmaun.

٦٧- عثر الحلفاء على الفلم الخاص بالمحاكمة [شاهده المؤلف لأول مرة عندما عرض في محكمة نورمبرگ]، الاّ ان شريط تنفيذ الإعدام لم يُعثر عليه. والمعتقد ان هتلر أمر بإتلافه خشية وقوعه في يد العدو. ويقول (الن دللس) ان طوليهما يبلغ (٣٠) ميلاً بالأصل، إلا ان الحذف جعله ثمانية أميال. وقد أمر گوبلز بلصق الرقوق معاً وعُرض على بعض أفراد الجيش درساً وعبرة لكن الجنود ابوا رؤيته. وفي الكلية الحربية في لخترفلده خرج المشاهدون جميعاً عند عرضه وسُحب حالاً من دور العرض (دللس حركة المقاومة السرية الألمانية ص٨٣). انظر ولفرداڤان اوڤن: مع گوبلز الى الجزء ٢ ص١١٨.

القوة الجوية كانا يجالسانها. فقبض عليه في احشاء الغابة واصدرت محكمة أمن الشعب حكم الموت بحقه في ٨ أيلول،١٩٤٤ لكنه لم يُقتل حتى الثاني من شباط مع (پوپيتز)[٦٨].

والظاهر ان هملر أخّر إنفاذ الحكم لظنه ان إتصالاتهما وبخاصة صلات گويردلر بحلفاء الغرب عن طريق السويد وسويسرا قد تفيده عند سيطرته على (السفينة الغارقة)، وهو أمل بدأ ينمو في مخيلته انذاك[٦٩].

ونُفذ حكم الموت في العاشر من تشرين الثاني و٨ من أيلول على التوالي بكل من الكونت فون دير شولنبرگ سفير ألمانيا السابق في موسكو، وڤون هاسل سفير ألمانيا السابق في روما وكانا سيتسلمان زمام الشؤون الخارجية للنظام الجديد المعادي للنازية. وأُعدم خنقاً في ١٠ آب الكونت (فرتز فون درشولنبرگ)، والجنرال (فللگيبل) قائد سلاح الإشارات في القيادة العليا. وقد ذكرنا دوره في ثورة (٢٠) تموز. إن قائمة الموت طويلة وتجعلها أحد المراجع ثبتاً بـ(٤٩٨٠) إسماً[٧٠].

وتشير قوائم إعتقالات الگشتاپو لحركة (٢٠) تموز الى سبعة ألاف معتقل. ومن بين قائمة رجال المقاومة الذين وردت أسماؤهم في كتابنا وأُعدموا الحياة: الجنرال (فريتز ليندمان) والعقيد (فون بريسلاكر) والقس الأب (دتريش بونهويفر) والعقيد (جورج هانسن) من الإستخبارات، والكونت (ڤون هلدورف) والعقيد (ڤون هوفاكر) والدكتور(كارل لانكبين) و(يوليوس ليبر) الزعيم الإشتراكي. والرائد (ڤون ليونارد) و(وڤلهلم ليوشنر) و(ارتورنيبه) مدير التحقيقات الجنائية في برلين. والأستاذ أدولف رايشگاين، والكونت (برتولد فون شتاوفنبرگ) شقيق العقيد (شتاوفنبرگ) والجنرال (ڤون ثونكن) الذي خلف الجنرال (ڤون كورتزفلايش) في يوم المؤامرة.

هنالك مجموعة واحدة تتألف من عشرين محكوماً مد هملر في أعمارهم. معتقداً في الظاهر أنهم سيكونون ذوي فائدة له اذا ما تولىّ زمام السلطة وإضطر الى عقد الصلح، قتلوا رمياً بالرصاص إعتباطاً في ليلة ٢٣/٢٢ نيسان حين بدأ السوڤيت يشقّون طريقهم الى قلب العاصمة. فقد نُقل هؤلاء من سجن ليرترشتراسه Lehrterstrasse الى سجن الگشتاپو في برنز البرختشتراسه تحت الارض. (هرب عدد كبير من السجناء أثناء التعتيم في أمثال هذه المناسبات في أواخر أيام الرايخ الثالث). فإذا بهم يصادفون فصيلة من الإس.اس. فوضعتهم صفاً واحداً أمام جدار وحصدتهم برصاصها ولم ينج غير إثنين ليقصا قصتهما! من بين من هلكوا هنا الكونت (البرخت فون برنشتوف) و(كلاوس

٦٨- اعدم القس الشيوعي الفريد دلپ Delp العضو في (كرايساو) معهم. وشنق بعد أيام قلائل (فريتز) شقيق گويردلر. والكونت فون مولتكه زعيم الحلقة اعدم في ١٣ كانون الثاني ١٩٤٥ دون ان يسهم في الثورة. أما (تروت زو صولز منار الحلقة الفكري واحد المؤتمرين فقد خُنق في ٢٥ آب ١٩٤٤).

٦٩- ريتر: المرجع السالف الص ٤١٩- ٤٢٩. يعطي تفاصيل عن هذه الأضواء الجانبية من أطرف ما يمكن.

٧٠- ذُكر هذا الرقم في سجلات مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية (١٩٤٤) ص٤٦. وقبلها زيللر [المرجع السالف ص٢٨] بيشل [المرجع السالف] الذي وجد سجل الإعدام الرسمي. يقول (ص ٣٢٧) هناك (٣٤٢٧) حادثة إعدام مسجلة سنة ١٩٤٤. على ان قلة من هذا الرقم لا علاقة لها بثورة العشرين من تموز.

بونهويفر) شقيق القس، و(البريخت هاوسهرفر) وهو صديق حميم (لهسّ) وإبن العالم الجيوپوليتكي الشهير. وقد إنتحر الأب بعده.

ولم ينجُ (فروم) من الموت رغم سلوكه في يوم (٢٠) تموز، فإعتُقل في اليوم التالي بأمرٍ من هملر خَلَفَهُ في قيادة الجيش الداخلي، وسيق الى محكمة أمن الشعب في شباط عام ١٩٤٥ بتهة "الجبن" وحُكم عليه بالموت. ولم يُخنق وإنما قُتل رمياً بالرصاص في ١٩ آذار ١٩٤٥ ربما إعترافا من جلاديه بخدمته الكبرى في إنقاذ النظام النازي، وهكذا مات بالشكل الذي رسمه لمن إعتقلهم.

إن الغموض الذي أحاط بحياة أمير البحر (كاناريس) رئيس الإستخبارات العسكرية المطرود، الذي قدم الكثير من الخدمات للمؤتمرين (مع أنه لم يكن من المساهمين في المؤامرة) يحيط أيضاً بظروف موته. فمن المعروف أنه إعتُقل بعد محاولة إغتيال هتلر. لكن كايتل في لحظة من لحظات خيرٍ نادرة في حياته كرئيس للقيادة العليا رَتب أن يحول بينه وبين تسليمه الى محكمة أمن الشعب. وسخط (الزعيم) لهذا التأخير وأمر ان يُحاكم أمام محكمة الطواريء للحرس الأسود وأُجِّل أيضاً. الاّ انه حوكم هو وأربعة آخرون ومساعده السابق العقيد (أوشتر) أمام المحكمة الفورية في معسكر إعتقال فلوسنبرگ Flossenburg بتاريخ ٩ نيسان ١٩٤٥ قبل نهاية الحرب بشهر تقريباً، وحُكم بالموت. ولكن لم يثبت ثبوتاً قاطعاً أن (كاناريس) أُعدم. ومرت عشر سنين قبل ان يُحلَّ اللغز. ففي عام ١٩٥٥ قدم المدعي العام الذي كان يمثل الگشتاپو في المحكمة الفورية – متهماً. فشهد عدد كبير من شهود عيان أنهم رأوا كاناريس يُعدم شنقاً في ٩ نيسان ١٩٤٥ بعد محاكمته فوراً. وأفاد العقيد الدانيماركي (لوندينگ Lunding) انه شاهد كاناريس يُسحب من زنزانة عارياً الى المشنقة. وقد اُعدم أوشتر في اليوم نفسه.

ونجا بعض المعتقلين من المحاكمة، ثم حررتهم من قبضة الگشتاپو قوات الحلفاء الزاحفة، ومنهم الجنرال هالدر والدكتور شاخت، اللذان لم يسهما في حركة العشرين من تموز، وإن إدعى شاخت انه كان فيها "مبدئياً". ووضع (هالدر) في الحبس الإنفرادي في زنزانة حالكة الظلام أشهراً عديدة. وحررت القوات الأمريكية الرجلين مع مجموعة من مشاهير المعتقلين ألماناً وأجانب (من بينهم شوشنگ، وليون بلوم وشلابرندورف والجنرال فون ڤالكنهاوزن) في ٤ أيار ١٩٤٥، في الوقت الذي كان الگشتاپو الحراس يتهيأون لقتل الجميع في نيدردورف Niederdorf في جنوب التيرول. وحوكم ڤالكنهاوزن فيما بعد أمام محكمة بلجيكية كمجرم حرب في ٩ اذار ١٩٥١ بعد أربع سنين من توقيف. وحكم بالسجن لمدة اثني عشرة سنة بالأشغال الشاقة. على انه أُخلي سبيله بعد أسبوعين وعاد الى ألمانيا.

وإختار عدد كبير من ضباط الجيش، الذين اتهموا بالإنقلاب ان ينتحروا مفضّلين ذلك على المثول أمام رحمة محكمة امن الشعب. ففي صبيحة ٢١ تموز قام الجنرال (هننگ فون ترسكوف) روح المؤامرة وقلبها النابض من ضباط الجبهة الشرقية بتوديع صديقه ومساعده (شلابرندورف)، الذي ظل يتذكر

كلماته الاخيرة: "الآن سينقلب الجميع ضدنا وينهالون علينا بالسباب والتجريح – إلاّ ان عقيدتي ستبقى راسخةً – فلقد كان ما فعلناه صواباً وهتلر ليس عدو ألمانيا الأول فحسب بل عدو العالم أيضاً. وبعد دقائق معدودات سأقف أمام ربي. لأُقدم حساباً عن أعمالي وهفواتي. واظنني سأكون قادراً على تزكية كل ما فعلته في كفاحي ضد هتلر بضمير مرتاح..كل من إنضمّ الى المقاومة لبس قميص نسوس Nessus. وقيمة الرجل لاتكون إلا اذا أعدّ نفسه لتضحية وجوده وحياته في سبيل معتقداته"[٧١].

في ذلك الصباح استقل (ترسكوف) سيارته الى فرقة الرماة الحادية والعشرين. ومن مواقعها الأمامية زحف الى الأرض الحرام وسحب مسمار أمان قنبلة يدوية نسفت راسه نسفاً. وبعدها بأربعة أيام حذا حذوه الجنرال (إدوارد ڤاكنر) مدير مدرسة العينة والتسليح الأول في الجيش. ومن ضباط الجيش في الغرب إنتحر فليدمارشالان وجنرال واحد. وكما رأينا إن الثورة في پاريس بدأت بداية حسنة، عندما قام الجنرال (هاينريخ فون شتولبناگل) حاكم فرنسا العسكري بتوقيف كل قوات الحرس الأسود وشرطة الگشتاپو السرية. واصبح كل شيء يعتمد الآن على سلوك الفيلدمارشال فون كلوگه قائد جبهة الغرب العام الجديد، الذي حاول ترسكوف ان يجعله من بين المؤتمرين العاملين طوال سنين في الجبهة الروسية. ومع ان كلوگه ظل يتارجح ذات اليمين وذات الشمال، الاّ انه وافق أخيراً (او هذا ما فهم المؤتمرون) على مساندة الثورة حال موت هتلر. كان ثمّ مأدبة عشاء مشهودة في مساء (٢٠) تموز في لاروش گايون – larache - gauyon مقرّ قيادة مجموعة جيوش (ب)، التي تسلم كلوگه قيادتها أيضاً بعد ما جُرح (رومل). واراد كلوگه ان يبحث في الأنباء المتناقضة عن مصير هتلر مع رؤساء مستشاريه الجنرال (گونتر بلومنتريت) رئيس أركانه والجنرال شپايدل رئيس أركان مجموعة جيوش (ب) والجنرال (شتولبناگل) والعقيد فون (هوفاكير) الذي تلفن له شتاوفنبرگ بعد ظهر اليوم ينبئه بحادث القنبلة والإنقلاب في برلين. وعندما إجتمع الضباط للعشاء بدا لبعضهم على الأقل ان الفيلدمارشال الحذر يكاد يعقد العزم على ربط مصيره بالثورة. لقد اتصل به (بيك) تلفونياً قبيل العشاء ورجاه الإسناد حياً كان هتلر أم ميتاً، ثم وصل أمر قيادي بتوقيع الفيلدمارشال (ڤون ڤيتزليبن)، فزاد إهتمامه وشد من عزيمته، على انه رغب في مزيد من المعلومات حول الموقف. ولسوء حظ الثوار انها جاءته من الجنرال (شتيف)، الذي رحل الى (راشتنبرگ) مع شتاوفنبزگ صبيحة ذلك اليوم وتمنى له الخير وشاهد الإنفجار بعينه، وتحقق من نجاح هتلر. فراح في دجنة الليل يطمس الآثار ويتلف الأدلة، فقد إتصل به (بلومنتريت) تلفونياً فأخبره بحقيقة ماحدث. أو بالأحرى بحقيقة ما لم يحدث.

قال فون كلوگه لبلومنتريت "إذن فقد مُنيتْ بالفشل" وبدا مخلصاً في أسفه عليها، لأنه إسترسل

٧١- شلابرندورف المرجع السالف الص ١١٩- ١٢٠. لقد غيرت في النص الإنكليزي هنا ليكون أقرب الى النص الألماني الاصلي.

يقول، لو انها نجحت لسارع حالاً الى الإتصال بآيزنهاور لعقد هدنة.

وكان العشاء كئيباً محزناً، كما ذكر عنه (شپايدل) فيما بعد "كأننا جلوس في منزل زاره عزرائيل". واصغى كلوگه الى المناقشة الموضوعية الهادئة (لشتولبناگل وهوفاكر) حول وجوب مواصلة الثورة وإن نجا هتلر من الموت. ويذكر (بلومنتريت) ان كلوگه "بعد ان فرغا من حديثهما، عقب بأسىً واضح: طيب ايها السادة، فالمحاولة أخفقت وإنتهى كل شيء. فهتف شتولبناگل يقول ايها الفيلدمارشال ظننتك على علم بالخطة، يجب علينا ان نفعل شيئاً ما"[٧٢].

فأنكر (كلوگه) علمه بأي خطط. ثم أمر (شتولبانكل) بإطلاق سراح رجال الـ(إس. إس) والأمن السريين الموقوفين في پاريس، ونصحه قائلاً "اصغ إلي جيداً، خير ما يمكن ان تعمل الآن هو إستبدال ثيابك العسكرية بثيابٍ مدنية وإختفاؤك عن الانظار". إلا ان هذا ليس بالمخرج الذي يختاره جنرال ذو كرامة وعزة نفس من عيار (شتولبناگل).

فبعد إقامته حفلة شرب شمپانيا عجيبة دامت حتى الصباح في فندق (رافاييل)، تآخى فيها ضباط الحرس الأسود والأمن وفي طليعتهم (أوبرگ) مع ضباط الجيش الذين كانوا سيقتلونهم بالتأكيد لونجحت الثورة، ترك پاريس الى ألمانيا بسيارته (بعد صدور الأمر بإستقدامه). وتوقف في (ڤردون) حيث كان يقود فيها فوجاً في الحرب العالمية الأولى، ونزل ليلقي نظرةً على ميدان المعركة الشهيرة وكذلك لينفذ قراراً شخصياً. وسمع سائقه وأحد الحراس طلقة مسدس، فأنطلقا ليجداه طافياً على سطح مياه قناة. أخرجت الطلقة إحدى عينيه من محجرها وعطبت عينه الأخرى، عطباً بليغاً بحيث ازيلت أيضاً في مستشفى ڤردون العسكري.

ولم ينقذه هذا من نهايته الفظيعة، فقد جيء به الى برلين أعمى فاقد الحول، بأمر صادر من هتلر مباشرة. وحمل الى قاعة محكمة أمن الشعب وهو راقد في محفةٍ ليصير هدفاً لشتائم فرايزلر وإهاناته، ثم خنق في سجن (پلويزنتسي) في ٣٠ آب.

أما الفيلدمارشال فون كلوگه، فلم ينقذه قراره ذو الأثر الحاسم برفضه الإنضمام الى الثورة كما لم ينقذ (فروم) ذا السلوك المشابه. ولقد أصابت ملاحظة شپايدل كبد الحقيقة في وضعه هذا الجنرال المتردد "إن القدر لم يتخط هذا الرجل الذي لم تُساوَ معتقداته بقابليةٍ ومؤهلات تكفل تطبيقها". وهنالك دلائل تشير الى أن العقيد (ڤون هوفاكر) قد نوّه بعد تعذيب جد فظيع بمساهمة كلوگه وشپايدل وروميل (وقد تأخر إعدامه حتى ٢٠ كانون الأول). ويقول بلومنتريت أن (أوبرگ) أبلغه بأن هوفاكر قد " ذكر" كلوگه في التحقيق الأول. وعندما ذكر (أوبرگ) هذا لكلوگه "إزداد الفيلدمارشال قلقاً وكثرت هواجسه"[٧٣].

٧٢- اعطى الجنرال بلومنتريت هذه التفاصيل الى (ليدل هارت) [الجنرالية الألمان يتكلمون الص الص ٢١٧- ٢٢٣].

٧٣- المرجع السالف ص٢٢٢. هناك مراجع كثيرة حول نهاية المؤامرة في پاريس. الرواية التي قدمها شپايدل. وعدد كبير من المقالات في مختلف الصحف الألمانية والمجلات بأقلام شهود عيان وغيرها. خيرها على العموم ما كتبه (ڤلهلم =

ولم تكن الأنباء عن الجبهة مما يزيل قلقه ويفرّخ روعه، ففي ٢٦ تموز خرقت قوات الجنرال (برادلي) الأمريكية الجبهة الألمانية في سان لو St Lo. وبعدها بأربعة أيام إندفع الجيش الثالث المشكّل حديثاً بقيادة بقيادة الجنرال پاتون patton الى داخل الثغرة حتى بلغ اڤرانش Avranches. وبذلك فُتح الطريق الى (بريتاني) والى اللوار جنوباً. وكانت تلك نقطة التحول في غزو الحلفاء. وفي ٣٠ تموز أبلغ كلوگه مقر قيادة هتلر "إن الجبهة الغربية قد إخترقت بكاملها... وإنهارت الميسرة". وفي أواسط آب تم تطويق كل ما بقي من الجيوش الألمانية في نورماندي داخل جيب ضيق حول (ڤاليز falaise)، لأن هتلر كان قد منع أيّ تقهقر آخر. لقد شبع الزعيم من (كلوگه) وتجشأ، وكان يعزو اليه الإندحارات في الغرب ويشكّ في انه يقلّب الرأي في أمر تسليم قواته الى (آيزنهاور).

وفي ١٧ آب وصل الفيلدمارشال (فالترمودل) ليخلف كلوگه. فكان ظهوره المفاجيء أول إشارة بإقصائه عن القيادة العامة وأبلغه هتلر أيضاً أن يُعلم السلطات عن محل إقامته في ألمانيا. فكان إنذاراً له بأنه اصبح من المشتبه بهم في حادث إنقلاب العشرين تموز. وفي اليوم التالي كتب رسالة طويلة الى هتلر ثم إنطلق بسيارته الى أرض الوطن، وفي محل ما بالقرب من ميتز metz ابتلع سُماً وقضى على نفسه.

وقد وُجدت رسالة الوداع المكتوبة الى هتلر بين أضابير الوثائق العسكرية الألمانية المستولى عليه:

"عندما تتسلم هذه السطور سأكون في عداد الموتى... لم يعد للحياة معنى عندي...لقد تكهنّا أنا وروميل بالوضع الذي آلت اليه الأمور الآن ولم يصغ أحد إلينا... لا ادري هل سيستطيع الفيلدمارشال مودل الذي أثبت جدارة في كل الميادين ان يسيطر على زمام الموقف؟... إن لم يفلح في ذلك وإن لم تنجح اسلحتك السرية الجديدة، فعليك ايها الزعيم ان تحزم رأيك على إنهاء الحرب. لقد تحمل الشعب الألماني من الشقاء ما لايفيه وصف وآن الأوان لإنهاء هذه الفواجع والأهوال. لطالما أُعجبت بعظمتك... فإن كان القدر المحتوم أقوى من إرادتك وعبقريتك، فتلك هي المشيئة الإلهية...ألا فاظهر نفسك الآن أيضاً بالعظمة التي تجعلك قادراً على وضع حدٍ لقتال لا فائدة فيه، دعت اليه الضرورة..."

وجاء في شهادة (يودل) أمام (نورمبرگ) ان هتلر قرأ الرسالة صامتاً، ثم سلمها اليه (اي يودل) بلا تعليق. وبعد أيام قلائل صرح في مؤتمره العسكري بتاريخ ٣١ آب" هناك دلائل قوية تشير الى ان كلوگه لم يقتل نفسه... وعلى أية حال فقد كان سيُعتقل"[٧٤].

وجاء دور الفيلدمارشال (رومل) معبود الجماهير الألمان. ففي الوقت الذي كان الجنرال فون شتولنباكل مستلقياً على طاولة عمليات مستشفى (ڤردون) أعمىً غائباً عن الحس، بعد محاولته

= شرام Schramm. وهو موظف وثائقي ألماني معين للجيش في الغرب: بكتاب عنوانه "٢٠ تموز في باريس Der 20 Juli in Paris.

٧٤- فيلكس گِلبرت المرجع السالف ص١٠١.

غير الناجحة في قتل نفسه، اخذ يردد دون وعي إسم (رومل). وبعده حُطمت ارادة العقيد فون هوفاكر بالتعذيب الهائل البشع في أقبية سجن الگشتاپو في (برنزالبرختشتراسه) ببرلين. وتحدث عن دور رومل في المؤآمرة. وذكر عنه قوله له" أكد للجماعة في برلين ان في إمكانهم الإعتماد عَليّ". هذه العبارة مست وتراً حساساً في هتلر عندما سمعها، وادت الى إتخاذ قراره بموت أحب جنرالاته اليه، وهو الذي يعرف قدر تعلق الألمان به.

كان رومل قد اصيب بكسور خطيرة في صدغيه وعظام وجنتيه وبجرح بالغ في عينه اليسرى، وحفرت رأسه شظايا القنابل. ونُقل أولاً من مستشفى الميدان في (برناي Bernay) الى (سان جرمان)، لئلا يقع في أيدي قوات الحلفاء الزاحفة، ومنها الى منزله في (هولنگن) بتاريخ ٨ آب. وكان أول تنبيه له بما سيحل به هو إعتقال رئيس أركانه (شپايدل) في ٧ أيلول بعد أن زاره في (هرلنگن) بيومٍ واحد.

و قال رومل لشپايدل عندما دار الحديث الى هتلر: "هذا الكذاب المريض بداء الكذب قد جُنّ تماماً، وهو يصبّ ساديته على مؤتمري تموز ولن تكون هذه النهاية!"(٧٥).

وشعر رومل أن منزلهُ محاط برجال الأمن السريين. وعندما خرج في جولة في الغابات المجاورة مع إبنه البالغ من العمر خمس عشرة سنة (الذي مُنح إجازة مؤقتة من بطريته المضادة للجو ليُعنى بأبيه) حمل كل منهما مسدس. وفي مقرّ راشتنبرگ تسلّم هتلر نسخة من إعترافات (هوفاكر) تتهم رومل فأسرع بإصدار قرار الموت ولكن بطريقة مختلفة. فكما أوضح كايتل لأحد المحققين في نورمبرگ، بأنها "ستكون فضيحة هائلة في ألمانيا إن سيق هذا الفيلدمارشال المعروف الشهير، والمحبوب أكثر من أيّ جنرال آخر، الى محكمة أمن الشعب". ولذلك دبّر هتلر مع كايتل أن يُطلع (رومل) على الأدلة المجتمعة ضده ويترك له خيارين، ان ينهي حياته بيده أو يُساق الى المحاكمة بتهمة الخيانة أمام المحكمة الشعب. وإن اختار الأولى فسوف يُشيَّع جثمانه تشيعاً عسكرياً رسمياً، بكل مظاهر التكريم العسكري. وسوف تكون أسرته في أمان ولايُتعرض لها وهكذا كان. في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٤، أقبل جنرالان من مقر قيادة هتلر ونزلا أمام باب منزل رومل، الذي كانت تطوقه آنذاك جنود من الإس. إس تدعمها خمس سيارات مصفحة. والجنرالان هما ڤلهم بورگدورف Vilham Borgdorf، والآخر إرنست مايسيل Ernst Maisel رجل متورد الوجه سكير مدمن ينافس كايتل في عبوديته لهتلر. ومساعده في قلم الشخصية في الجيش لايختلف عنهُ خلقاً. وكانا أُرسلا رسالة يبلغانه فيها أنهما

٧٥- شپايدل المرجع السالف ص١٥٢. وهي معتمدة على إستجوابه للسيدة رومل وغيرها من الشهادات. وقد اعتمدتُ في (موت رومل) خلاف ذلك على المراجع الآتية: تقريرين كتبهما إبن الفيلدمارشال (مانفرد)، أولهما للإستخبارات البريطانية اقتبس منه شولمان (المرجع السالف الص ١٣٨- ١٣٩)، والثاني كتاب (أوراق رومل: نشرها ليدل هارت الص ٤٩٥- ٥٠٥) وإستجواب الفيلدمارشال كايتل بمعرفة المحقق العقيد (جون آيمين) في ٢٨ أيلول ١٩٤٥ في نورمبرگ [مؤامرة النازيين وعدوانهم - الملحق ب الص ١٢٥٦ - ١٢٧١]. ديزموند يونگ المرجع السالف: أعطى أيضاً رواية كاملة متحدة على محادثته مع اسرته وأصدقائه. ومحاكمة الجنرال مايسيل بخصوص نازيته بعد الحرب.

قادامان من لدن هتلر ليبحثا "منصب رومل الجديد".

شهد كايتل يقول "ارسلت بإيعاز من هتلر، الجنرال بورگدروف اليه مع نسخة من الإفادات التي وردت ضده. فإن كان صحيحة فليحتمل تبعاتها وإن لم تكن، فسوف تبرؤه المحكمة. وإسترسل كايتل بعد السؤال "وأشرت على (بورگدورف) أن يأخذ معه سُمّاً ليضعه تحت تصرف رومل إن تطلب الأمر ذلك؟".

وبوصول (بورگدورف ومايسيل) أصبح واضحاً انهما لم يجيئا ليبحثا منصب (رومل) الجديد. فقد طلبا ان يكلما الفيلدمارشال على إنفراد وإنسحب الثلاثة الى غرفة مطالعة رومل.

وذكر (مانفرد) إبن رومل فيما بعد: "بعد دقائق قليلة سمعت أقدام أبي تتوقل الطابق الأعلى وتدخل غرفة والدتي. ثم...

"ذهبنا الى غرفتي، وبدأ يكلمني ببطء: لقد أخبرت والدتك قبل قليل بأني سأكون في عداد الأموات خلال ربع ساعة... إن هتلر يتهمني بالخيانة العظمى. وبسبب خدماتي في أفريقيا، فقد مُنحت الفرصة في الموت بالسمّ. وقد جاء به الجنرالان معهما. وهو قتّال في ظرف ثلاث ثوانٍ. فإن قبلت بذلك، فلن تُتخذ أية خطوات ضد الأسرة... وسأُشيَّع تشييعاً رسمياً. لقد رُتِّب ذلك كله الى أدق التفاصيل. وفي خلال ربع ساعة سيأتيك نداء تلفوني من مستشفى (أولم) ينبئك بأني أُصبت برجة دماغية وانا في طريق الى المؤتمر".

وإليك ما حصل:

دخل رومل السيارة مع الجنرالين وقد لبس سترته الجلدية التي كان يرتديها أيام قيادته الفيلق الأفريقي قابضاً على عصا المارشالية. فسارت به السيارة زهاء ميل أو ميلين في الطريق العام الى جانب الغابة. وخرج السائق والجنرال (مايسيل) تاركين رومل وبورگدورف في المعقد الخلفي. وعندما عادا بعد دقيقة وجدا رومل منكفئاً على المقعد ميتاً وبورگدروف يروح ويغدو نافذ الصبر كأنما يخشى ان يتأخر عن غدائه وشراب الظهر. وبعد خمس عشرة دقيقة من توديع السيدة رومل زوجها تسلمت النداء التلفوني المنتظر من المستشفى. وذكر رئيس الأطباء أن جنرالين أقبلا ومعهما جثة الفيلدمارشال الذي توفى بجلطة دموية. في الواقع أن (بورگدورف) منع بغلظة إجراء تشريح وصاح "لاتلمسو الجثة، لقد سبق تدبير كل شيء في برلين". وهكذا كان.

أصدر الفيلدمارشال (مودل) أمراً يومياً طنّاناً يعلن فيه أن رومل قد وافاه الأجل "على إثر الجراح التي أصابته في ١٧ تموز". وينعي خسارة "احد أعظم القادة في أمتنا".

وأبرق هتلر الى السيدة رومل: "تقبلي مني أخلص العزاء للخسارة الكبرى التي حلّت بك لفقد قرينك. وسيبقى إسم الفيلدمارشال رومل الى الأبد مقرونا بالمعارك البطولية في شمال أفريقيا". وارسل گورنگ برقية إستهلها: "بأسىً صامت". "إن موت زوجك البطولي متأثراً بجراحه، بعد أن أمّلنا جميعاً بقاءه لأجل الشعب الألماني إنما اورثني حزناً عميقاً".

وأمر هتلر بتشييع رسمي. ألقى فيه أقدم ضابط في الجيش الألماني الفيلدمارشال فون (روندشدت) الخطبة التأبينية، قال (روندشدت) وهو واقف أمام نعش الفقيد الملفوف بعلم الصليب المعقوف الألماني "إن قلبه يعود للزعيم"(٧٦).

يقول (شپايدل) "بدأ العسكري الشيخ [روندشدت] للحاضرين محطماً ذاهلاً... هاهنا هيأ له القدر فرصة فريدة من نوعها ليمثّل دور مارك أنطوني. إلا أنه بقي في تبلده الفكري(٧٧).

إن التحقير الذي أصاب هيئة الضباط المتعالية في الجيش الألماني كانت عظيمة جداً. لقد رأت ثلاثة من مشاهير فيلدمارشاليتها (ڤيتزليبن وكلوگه ورومل) يُتهمون في تدبير إنقلاب للإطاحة بسيد الحرب الأعلى، فخُنق لأجل ذلك أولهم، وأرغم الآخران على قتل نفسيهما. ووقعت فاقدة الحول وهي ترى عشرات من ارفع جنراليتها رتبة، يُساقون كالانعام الصاغرة الى سجون الگشتاپو ويُقتلون قتلاً قضائياً عمدياً بعد محاكمة صورية هزلية أمام محكمة أمن الشعب.

لقد كانت بوصفها غير المسبوق ورغم تقاليدها الفخورة، عاجزة عن حماية صفوفها. في الواقع انها لجأت الى المحافظة على "شرفها" بما وصفه المراقب الأجنبي على الأقل بعبارة "ثلم شرفها وإكساء نفسها بالعار". وصار يتبصبص قادتها الفرِقون المرتعبون ويتصاغرون أمام سخط نائب العريف النمساوي السابق.

فلا عجب ان بدا الفيلدمارشال فون روندتشدت محطماً مضعضع الحواس وهو يلقى كلمة التأبين فوق جثمان رومل. لقد هوى الى أسفل درك كما كان شأن زملائه الضباط الذين أرغمهم هتلر الآن

٧٦- انصافاً لروندشدت نقول أنه لم يكن عالماً بظروف موت رومل. ويظهر انه لم يدر بها إلا بعد أن ادلى كايتل بشهادته في نورمبرگ. فقد كان قوله في منصة الشهادة"[القول لروندشدت] لم أسمع بهذه الاشاعات وإلا لرفضت أن اكون ممثلاً للزعيم في التشييع العسكري الرسمي لأن ذلك سيكون وضاعة وسفالة لاتفيها الكلمات حقها". [محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٢١ ص٤٧]. ومع هذا فإن أسرة رومل لاحظت ان الرجل الذي ينتمي الى سادة المدرسة القديمة أبى ان يحضر وقت حرق الجثمان بعد الجنازة. أو أن ياتي منزل رومل ليقوم بواجب التعزية لأرملة رومل، كما فعل معظم الجنرالية الآخرين.

٧٧- لم ينهار شپايدل ولم تتحطم معنوياته مع انه كان محبوساً في سراديب سجن الگشتاپو في برنزالبرختشتراسه في برلين، وظل تحت الإستجواب المتواصل المرهق صامداً فلم يهن. لقد كان فيلسوفاً، إضافة الى كونه عسكرياً وقد ساعده هذا على الإحتمال وتمكن من مراوغة معذبية ومخادعتهم – فلم يعترف لرجال الأمن بشيء ولم يذكر اسماً واحداً. وكانت اسوَ لحظة مرت عليه مواجهته بالعقيد فون هوفاكر. ويقول شپايدل أن رجال الأمن لم يكتفوا بتعذيبه تعذيباً بدنياً هائلاً، بل سقوة مخدراً لحمله على الكلام وحلّ عقده لسانه. إلا أن هوفاكر لم يعترف عليه، ونفى ما قاله عنه في السابق. ولم يقدم شپايدل الى المحاكمة وبقي في اقبية الگشتاپو (٧) أشهر. وبإقتراب الجنود الأمريكان من محل سجنه قرب بحيرة كونستانس في جنوب ألمانيا، فرّ من سجنه مع عشرين آخرين ولجأ الى قس كاثوليكي فآوى الجماعة حتى وصل الأمريكان.

لقد حذف شپايدل هذا الفصل من حياته في كتابه الذي جرى في تأليفه على طريقة الكلام عن نفسه بضمير الشخص الثالث، وكان فيه موضوعياً دقيقاً. وروى قصته هذه (لديزموند يونگ)، فأثبتها في كتابه (رومل ثعلب الصحراء: ص٢٦١- ٢٥٢) الطبعة العادية. وختم شپايدل حياته غير العادية بتسنمه منصباً قيادياً هاماً في حلف (الناتو) في أواخر عام ١٩٥٠. [شپايدل المرجع السالف الص ١٥٥ و١٧٢.

على شرب الكأس حتى الثمالة. قبل رونشدت على نفسه ان يترأس ما اطلق عليه "محكمة الشرف"،التي ابتدعها هتلر ليطرد من الجيش كُل الضباط الذين اشتبه في أن لهم ضلعاً في الثورة ضده، وليسلَموا بعدها وهم ملطخون بالعار الى محكمة أمن الشعب الفظيعة كمدنيين ولينكر عليهم حق المحاكمة أمام مجلس عسكري. ولم يُسمح (المحكمة الشرف) هذه ان تسمع دفاع الضابط عن نفسه. وإنما تصدر احكامها بما يتراءى لها من "البيانات" المقدمة اليها من قبل الگشتاپو. ولم يحتج (رونشدت) على هذا التقييد. لا هو ولا عضو آخر في المحكمة هو الجنرال گودريان الذي عين بعد حادث القنبلة بيوم واحد رئيساً لهيئة أركان الجيش مع انه اقرّ في مذكراته فيما بعد ان "المهمة التي كلف بها كانت مؤلمة" وأن جلسات المحكمة سادها "جو من الكآبة"، واثارت "أصعب قضايا الضمير والوجدان". لاشك انها كانت كذلك لأن (رونشدت وگودريان) وزملاءهم القضاة الآخرين، وكلهم جنرالية سلموا مئات من رفاقهم الى الموت المحقق بعد أن جلّلوهم بالعار بطردهم من الجيش.

فعل (گودريان) أكثر من هذا فقد أصدر بمقتضى منصبه كرئيس هيئة الأركان أمرين يوميين طنانين، مؤكداً بهما لسيد الحرب النازي الولاء الابدي لهيئة الضباط. أولهما نُشر في ٢٣ تموز منددا ًبالثوار وواصفاً إياهم "بحفنة من الضباط، بعضهم في الإستيداع، فقدوا كل شجاعة، وبدافع من ضعفهم وجبنهم فضلوا طريق العار على الطريقة الوحيدة المفتوحة للعسكري المخلص الصادق – طريق الواجب والشرف". ثم راح يقطع عهداً مكيناً للزعيم "بوحدة الجنرالية من هيئة الضباط ورجال الجيش". وفي الوقت نفسه اندفع الفيلدمارشال فون براوختش المعزول الى نشر تصريح في الصحف ليندد بالإنقلاب بشدة ويقطع عهداً جديداً بالولاء للزعيم ويرحب بتعيين هملر (الذي يحقّر الجنرالات ومنهم براوختش) قائداً عاماً للجيش الداخلي. وخشي قائد معزول آخر هو أمير البحر الأكبر(رايدر) ان يوصم بأقل شبهة عطف على المؤتمرين، فأسرع من محل إقامته الى(راشتنبرگ) ليؤكد لهتلر شخصياً ولاءه وإخلاصه. وفي ٢٤ تموز جُعلت التحية النازية إجبارية بدلاً من التحية العسكرية العتيقة. "إشارة ودليل على ولاء الجيش الذي لايتزعزع للزعيم وعلى الوحدة بين الجيش والحزب". وفي ٢٩ تموز اوصى گودريان جميع الضباط الأركان بأن عليهم من الآن فصاعداً ان يكونوا في طليعة النازيين الصالحين، مخلصين صادقين للزعيم.

"يجب ان يكون كل ضابط ركن، (زعيماً ضابطاً) للقومية الإشتراكية لا بسلوكه النموذجي إزاء المسائل السياسية فقط، بل التعاون بشكل ايجابي فعال على تنمية العقيدة السياسية في آلامرين الأصغرين لمسايرتها آراء الزعيم... وفي قيام المافوق بإختيار ضباط الأركان عليهم أن يضعوا الصفات الخلقية والروحية فوق الملكات العقلية. فالخبيث السافل قد يكون واسع الحيلة والذكاء، إلا انه في ساعة الحاجة سيخيب فيه الامل بلاشك، لأنه سافل وأنا أتوقع في كل ضابط في هيئة الأركان ان يعلن إعتناقه رأيي وتمسكه بوجهات نظري، وان يُنشر ذلك بوسائل الإعلان. وكل من لايتمكن من ذلك عليه ان يقدم طلباً بنقله من هيئة

الأركان"[٧٨]

وعلى قدر ما علم، لم يقدم احد منهم طلباً. بهذا "ختمت قصة هيئة الأركان العامة الألمانية بوصفها هيئة ذات إستقلال ذاتي" على حد تعليق أحد المعلقين العسكريين الألمان[٧٩].

هذه المجموعة المختارة والصفوة المنتقاة، التي اسسها شارنهورست وگينزناو وبنى صرحها (مولتكه) لتكون دعامة الوطن فحكمت ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وسيطرت على جمهورية ڤايمر وارغمت هتلر على تحطيم فرق العاصفة وقتل قائدها عندما وقفت عقبةً في طريقها مُسخت في صيف ١٩٤٤ الى هيئة طيعة متبصبصة وجلة. لن يكون هناك إعتراض على هتلر ولا إنتقاد له. وقدّر لهذا الجيش الجبّار- كأي مؤسسة في الرايخ الثالث ان تهوى معه. وقادته المسلوبو الإرادة تماماً الآن المفتقرون الى الشجاعة التي لم يظهرها إلاّ هؤلاء الحفنة من الثوار كانوا أضعف من ان يرفعوا اصواتهم دعك من قيامهم بأي عملٍ، لصد غائلة رجل واحدٍ أدركوا الآن تماماً انه يقودهم ويقود الشعب الألماني الى افظع كارثة في تاريخ وطنهم المحبوب بخطىً سريعة.

عجيب هو هذا الشلل العقلي والضعف الإرادي في رجال كبار السن نشأوا نشأة مسيحية، ويفترض انهم ربوا وترعرعوا على الفضائل العتيقة بتفاخرهم بقانون شرفهم، وشجاعتهم في مقابلة الموت في ساحات الوغى، عجيب أمرهم، وإن كان يمكن فهمه لو أعاد المرء الى ذهنه وقائع التأريخ الألماني كما اجملناه في الفصل السابق. ذلك الخلق الذي يجعل الطاعة العمياء للحكام الدنيويين أعلى فضيلة في الرجل الألماني وينظر الى العبودية نظرة الشيء النافع. في هذا الزمن بات الجنرالية يدركون شرور هذا الرجل الذين يجثون أمامه طائعين. ويذكر گودريان فيما بعد حالة هتلر بعد العشرين من تموز فيقول:

"إنّ ما كان فيه عزماً وصلابة اضحى قسوةً، والميل فيه الى الخداع أصبح كذباً واضحاً. وما أكثر ما ألقى بالأكذوبة دون تردد مفترضاً ان الآخرين يكذبون عليه، ولم يعد يثق بأي بشر كان. منذ زمن بعيد ومعاملته صعبة لاتُحتمل أما الآن، فقد اصبحت عذاباً يزداد سوءً شهراً بعد شهر، وكثيراً مافقد كل ضبط لنفسه وزادت لغته عنفاً وبذاءة ولم يعد في خلصائه من يستطع كبح جماحه[٨٠]. هذا الرجل نصف المجنون. الذي يقترب من التفسخ الجسمي والعقلي بسرعة كبيرة هو الذي شدّ صفوف الجيوش المقهورة المتقهقرة، كما فعل في الشتاء الثلجي للعام ١٩٤١ أمام موسكو. بإستعراض لقوة الإرادة لايُصدق يفتقر اليه كلّ الألمان الآخرين، من كان منهم في الجيش أو في الحكومة أو من الدهماء. إستطاع بمفرده تقريباً ان يمدّ سنة واحدة تقريباً في فترة احتضار الحرب."

فشلت ثورة ٢٠ تموز ١٩٤٤ لا بسبب عجز ورخاوة طائفة من اقدر رجال الجيش وأكفأ المدنيين، ذلك

٧٨- لم ينوّه گودريان في مذكراته بهذين الأمرين أو يذكرهما بشيء. الى جنب دوره في معارضته هتلر، وإنتقاده المرّ له.
٧٩- گويرلتز تاريخ هيئة الأركان العامة الألمانية ص٤٧٧.
٨٠- گودريان المرجع السالف ص٢٧٣.

سجين سابق يشرح لضابط أمريكي عمل أفران حرق الجثث

العجز الذي لايُصدق، وفشلت لابسبب ضعف خلق (فروم وكلوگه)، ولابسبب سوء الحظ الذي لاحق المؤتمرين منذ البدء، اخفقت لأن كل أولئك الذين ساهموا في بناء هذه البلاد العظيمة وسيّروها، ضباطاً ومدنيين ومن خلفهم جماهير الشعب الألماني مدنيين وجنوداً، كلّ هؤلاء لم يكونوا مستعدين للثورة. والواقع المرّ (رغم الشقاء وإحتمال ذل الهزيمة الفاجعة السوداء والإحتلال الأجنبي)، هو أن الشعب لم يُرِد الثورة. فالقومية الإشتراكية - بصرف النظر عن العار والشنار التي ألصقته بألمانيا وأوروپا، كانت محل رضىً منه بل مساندة. وبقي الشعب يرى في أدولف هتلر منقذ البلاد الأوحد.

"[كتب گودريان فيما بعد] في ذلك الزمن لم يكن أحد يجادل في أن الجزء الأعظم من الشعب الألماني مازال مؤمناً بأدولف هتلر. كما ظل مؤمناً أن نجاح القاتل كان يعني القضاء على الرجل الوحيد الذي قد يكون قادراً على إنهاء الحرب بشكل مرضٍ[٨١].

وهذا الجنرال بلومنتريت الذي لم ينضم الى الثورة وكان سيفعل ذلك لو أقدم رئيسه، وهو من معدنٍ أصلب من سالفه. تراه يقول بعد نهاية الحرب" لقد صُدم نصف السكان المدنيين على الأقل حين علموا بمساهمة الجنرالية الألمان في محاولة الإطاحة بهتلر وكان حنقهم عظيماً. وأظهر الجيش الشعور عينه[٨٢].

بمغناطسيه تتحدى أيّ منطق (عند غير الألماني على الأقل) بقى هتلر موضعاً لثقة شعبه وولائه، وكان مما لامفر منه أن يبقوا معصوبي الأعين كالأنعام البكماء ولكن بإيمان مؤثر، بل حتى بحماسة تجعلهم أرفع من قطيع السائمة - الى منحدر دمار الشعب وخرابه.

٨١- المرجع السالف ص٢٧٦.
٨٢- ليدل هارت: الجنرالية الألمان يتكلمون الص ٢٢٢- ٢٢٣.

الكتاب السادس

سقوط الرايخ الثالث

الفصل الأول

فتح ألمانيا

– ١ –

عادت الحرب الى مصدرها ألمانيا.

ماكاد هتلر يستفيق من صدمة (٢٠ تموز) حتى وجد نفسه يواجه خسارة فرنسا وبلجيكا ومقداراً كبيراً من فتوحاته في الشرق. كانت جحافل العدو الجرارة المتفوقة تطبق على الرايخ من كل مكان.

في أواسط آب ١٩٤٤. كان الجيش الأحمر الذي بدأ هجماته الصيفية في ١٠ تموز ويطرد الجحافل الألمانية من المدن ليدخلها الواحدة تلو الآخرى، قد بلغ حدود پروسيا الشرقية وبذلك سَدّ المنافذ على خمسين فرقة ألمانية في أقاليم البلطيق. ونفذ الى ڤايبورگ Vyborg في فنلندا وسحق مجموعة جيوش الوسط سحقاً تاماً، وحقق تقدماً في هذه الجبهة طوله أربعمائة ميل في غضون ستة أسابيع، فوصل الى (الڤيستولا) مقابل (وارشو). وفي الجنوب شن هجوماً جديداً في ٢٠ آب حقق به إجتياح رومانيا في نهاية الشهر والإستيلاء على حقول نفط (بلويستي)، وهو المصدر الأكبر الوحيد للنفط الطبيعي الذي يمون الجيوش الألمانية. وفي ٢٦ آب إنسحبت بلغاريا من الحرب رسمياً، وبدأ الألمان يجلون بسرعة عن هذه البلاد. وفي أيلول إستسلمت فنلندا وأخذت تقاتل الجنود الألمان الذين رفضوا الإنسحاب من أراضيها. أما في الغرب فقد حُررت فرنسا بسرعة. لقد وجد الحلفاء في الجنرال پاتون قائد الجيش الثالث المؤلف حديثاً جنرال دبابات يضاهي فطنة وجراءةً رومل في أفريقيا. فبعد إحتلاله (آڤرانش) في ٣٠ تموز ترك (بريتاني) خلفه غير مبالٍ بها وبدأ زحفاً عظيماً حول الجيوش الألمانية في نورماندي متحركاً نحو الجنوب الشرقي الى (اورليان) Orleans على اللوار، ثم إتجه شرقاً نحو السين من جنوب پاريس. وما جاء ٢٣ آب حتى كان قد وصل نهر السين من جنوب شرق العاصمة وشمالها الغربي. وبعد يومين حُررت هذه المدينة العظيمة فخر فرنسا ومجدها بعد أربعة اعوام من الإحتلال. إذ دخلها الجنرال جاك لكلير Jacques Lecler على رأس فرقة الدروع الفرنسية الثانية وفرقة الرماة الأمريكية الرابعة ليجد فرق الانصار الفرنسيين قد اتمّوا إحتلال أكثر المدنية. كذلك وجدوا جسور السين ومعظمها آثار فنية بحالة سليمة[1].

١– يذكر شپايدل ان هتلر أمر بتاريخ ٢٣ آب ان يُنسف كل جسور پاريس وغيرها من الأبنية الهامة "حتى وإن أدى الأمر الى تخريب الآثار الفنية التي تتضمنها". فرفض شپايدل تنفيذ هذا كما رفض ايضاً الجنرال فون شولتيتز Choltitz القائد الجديد لپاريس الكبرى، الذي إستسلم بعد إطلاقات قليلة إراحة لشعورالشرف فيه. وقد حوكم هذا الجنرال غيابياً بتهمة الخيانة في نيسان ١٩٤٥، إلاّ ان أصدقاءه الضباط اجّلوا الإجراءات حتى نهاية الحرب. وكشف =



باريس تستقبل الحلفاء

أضحت البقية الباقية من الجيوش الألمانية في فرنسا بحالة تراجع عام في هذا الوقت. أما مونتكمري قاهر رومل في شمال أفريقيا، الذي رُقّي الآن الى رتبة فيلدمارشال في أيلول، فقد ساق جيشه الأول الكندي وجيشه الثاني الإنكليزي محققاً تقدما بمسافة مائتي ميل خلال أربعة أيام من نهر السين الأسفل عبر ميادين معارك ١٩١٤- ١٩١٨ الخالدة ومعارك ١٩٤٠ الفاصلة. ودخل بلجيكا وسقطت (بروكسل) العاصمة في ٣ أيلول وتلتها (انتورب) في اليوم التالي، وقُدِّر لهذا الميناء بعد أن جرى تنظيف مداخله أن يصبح قاعدة التموين الأولى للجيوش الإنكلو- أمريكية.

والى أقصى الجنوب من مواضع الجيوش الإنكلو-كندية تقدم الجيش الأول الأمريكي بقيادة الجنرال (كورتني. هـ. هودجز Gourlney. H. Hodges) بسرعة مماثلة ألى جنوب بلجيكا، ووصل نهر (الموز) من النقطة التي بدأبها الألمان هجومهم الصاعق في (١٩٤٠)، فإحتل قلاع (النامور وليبج) غير متيح للألمان وقتاً لتنظيم دفاع عنها. والى الجنوب منه،إحتل الجنرال پاتون (ڤردون) وطوّق (متز) ووصل نهر (موزيل)، وإتصل في بلفورت كاپ Belfort Cap بالجيش الفرنسي الأمريكي السابع الذي وصل خاتمة مطافه بقيادة الجنرال (الكساندر باتش Alexander Patch) الى الريڤيرا في جنوب فرنسا يوم ١٥ آب وإندفع بسرعة نحو وادي الرون.

بنهاية آب كانت جيوش ألمانيا في الغرب قد فقدت نصف مليون رجل، نصفهم أُخذوا أسرى حرب. وكل دباباتها ومدفعيتها وعجلاتها تقريباً، ولم يعد لديها إلا القليل جداً للدفاع عن الوطن الأم.

وكان خط (سيگفريد) ذو الشهرة الداوية التي خلقتها له الدعاية الألمانية خالياً فعلاً من الجنود وبلا مدفعية. وإعتقد معظم جنرالية الألمان في الغرب أن النهاية قد حلّت. يقول (شپايدل) "لم يبق قواتٌ ارضية في الوجود، دعك من القوة الجوية"[٢]. وقال الفيلدمارشال ڤون روندشدت (الذي أُعيد في ٤ أيلول الى قيادة الغرب العامة) لمحققيه الحلفاء" "لقد إنتهت الحرب في أيلول".[٣]

إلا أنها لم تنته بالنسبة الى أدولف هتلر. ففي آخر يوم من آب ألقى محاضرة في بعض جنراليته

= شپايدل أيضاً ان هتلر أمر على إثر سقوط پاريس بتدميرها بالمدفعية الثقيلة وصواريخ (ڤ- ١) لكن رُفض تنفيذ الأمر [شپايدل الغزو- ١٩٤٤، الص ١٤٣- ١٤٥].

٢- شپايدل المرجع السالف ص١٤٧.

٣- استجواب وزارة الحرب البريطانية أورده شولمان المرجع السالف ص٢٠٦.

في مقر القيادة محاولاً ان يحقنهم بمصل حديدي جديد في عروقهم، وفي الوقت نفسه أن يبعث فيهم الأمل:

"إن إقتضت الضرورة فسنقاتل في الراين. فالأمر سواء بسواء. سنستمر في هذه المعركة مهما تكن الظروف حتى تُنهك قوى واحدٍ من أعدائنا الملاعين ويخرج من القتال"، على حَد قول فردريك الأكبر. سنحارب حتى نحصل على سِلم يضمن حياة الشعب الألماني للخمسين أو المائة سنة القادمة، ولايلحق بشرفنا فوق كل شيء وصمة عارٍ مرة أخرى كما حصل عام ١٩١٨... اني لا أعيش الاّ لاجل قيادة هذا القتال، لأني اعرف جيداً إن لم يكن خلفه إرادة حديدية فلايمكن ربح المعركة".

وبعد إنحائه باللائمة على الأركان العامة لإفتقارها الى الإرادة الحديدية كشف لقادته بعض أسباب آماله العنيدة:



الجنرال جورج س. پاتون

"سيأتي الزمن الذي يصبح التوتر بين الحلفاء شديداً الى الحَد الذي ينقطع مابينهم. وكل الأحلاف في التاريخ تتمزق عاجلاً أم آجلاً، وما على المرء الاّ إنتظار اللحظة المُثلى وليس مهماً كم هي صلبة قاسية [٤]."

وأُنيط بگوبلز الإشراف على "التعبئة الجماعية"، وراح هملر قائد الجيش الداخلي الآن يعمل على تشكيل خمس وعشرين فرقة من (رماة الشعب) للدفاع في الغرب. ورغم كل الخطط وكل الحديث في ألمانيا النازية حول "الحرب الجماعية"، فإن موارد البلاد كانت بعيدة غاية البعد عن التنظيم الجماعي. فبناء على إلحاح هتلر بقي إنتاج السلع المدنية محافظاً على رقم مرتفع الى درجة تدعو للإستغراب طوال فترة الحرب. وكان يقصد بهذا رفع المعنويات كما رفض تطبيق الخطط التي وضعت قبل الحرب لتعبئة النساء للعمل في المصانع، وقال في مونيخ في آذار ١٩٤٣، عندما اراد (شپير Speer) تجنيد النساء للمعامل. "إن تضحية أعز مُثلنا هو ثمن غال"[٥]. فلقد كان من تعاليم النازية أن مكان المرأة الألمانية هو البيت لا المصنع، فبقيت في البيت فعلاً. وضعت بريطانيا العظمى في السنوات الأولى من الحرب مليونين وربع مليون امرأة في الإنتاج الحربي الصناعي، في حين لم تضع ألمانيا في الفترة نفسها وللغرض ذاته أكثر من (١٨٢٠٠٠) امرأة، وبقي عدد خادمات البيوت في زمن السلم البالغ

٤- مؤتمر الزعيم (٣١ آب ١٩٤٤). فيلكس گلبرت المرجع السالف ص١٠٦.
٥- مؤتمر الزعيم (١٣ آذار ١٩٤٣).

مليوناً ونصف المليون على حاله أثناء الحرب[٦].

والآن والعدو في الباب، بدأ قادة النازي يتحركون ودُعي للخدمة العسكرية صبيان بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة، وكهول بين الخمسين والستين. ومُشطت المصانع والدوائر بحثاً عن المجندين، وخلت الجامعات والثانويات من طلابها. وفي شهري أيلول وتشرين الأول ١٩٤٤ وُجد للجيش نصف مليون جندي، ولكن لم يكن من يسدّ مسدهم في الشواغر التي تركوها من الجنس الثاني. وإحتج (البرت شپير) وزير التسليح والإنتاج الحربي لهتلر بأن تجنيد العمال الماهرين يؤثر تأثيراً خطِراً على منتوج الأسلحة.

لم يضطر الجندي الألماني منذ الحروب الناپولونية الى الدفاع عن تربة الوطن المقدسة. فپروسيا وألمانيا خاضتا كل حروبهما التالية في أراضي شعوب أخرى وخربتها. وبدأت تنصب على رأس الجندي المتعب المنهوك عبارات الحض والتشجيع:

يا جنود الجبهة الغربية! ... انا انتظر منكم أن تدافعوا عن تربة ألمانيا المقدسة... الى آخر نفس... عاش الزعيم! ڤون روندشدت (فيلدمارشال)

يا جنود جحفل الجيش! ... لن ينزل أحد منا عن شبر واحدٍ من تربة ألمانيا مادام فينا نفس يتردد... كل من يتقهقر دون أن يقاتل هو خائن لقوميته. ... أيها الجنود أن بلادنا، وحياة نسائنا وأطفالنا هي في خطر! وزعيما واعزاؤنا لديهم ثقة لاتتزعزع بجنودنا. فلتعش بلادنا ألمانيا وليعش زعيمنا المحبوب! مودل (فيلدمارشال)

ورغم هذا، وفيما السقف يتداعى وينشعب، تزايد عدد الفارين من صفوف الجيش ولجأ هملر الى إتخاذ تدابير حازمة لإيقاف هذه الظاهرة، ونشر في ١٠ أيلول أمراً:

"يبدو أن بعض العناصر المشتبه في إخلاصها تعتقد أن الحرب ستنتهى بالنسبة اليها وتستسلم للعدو... كل هارب من الجيش... سيلقى عقابه العادل. فضلاً عن أن سلوكه هذا الشائن سيلحق آثاراً عنيفة للغاية بأسرته... سوف يرمون بالرصاص حالاً".

وهناك عقيد يدعى هوفمان- شونفورن Hoffmann Schonforn من فرقة الرماة الثامنة عشرة. أصدر الى وحدته الأمر التالي:

"فرّ بعض الخونة من صفوفنا وسلّموا انفسهم الى العدو... هؤلاء اولاد الزنا قدموا للعدو أسراراً عسكرية هامة...... إن نغولة اليهود المخادعين يغرونكم بنشراتهم محاولين إستمالتكم لتصبحوا مثلهم اولاد زنِا! دعوهم ينفثون سمومهم!... وأما بخصوص الخونة الأنذال الذين نسوا شرفهم – فإن اهلهم وذويهم هم الذين سوف يكفرون عن خيانتهم[٧]".

وفي أيلول حدث ماسمّاه الجنرالية الألمان المتشائمون "معجزة" ويشبهها (شپايدل) "بمعجزة المارن"

٦- "إستعراض القصف الأمريكي الستراتيجي" تقرير إقتصادي الملحق: اللوحة ١٥.
٧- عن جيش الولايات المتحدة الأول (المجموعة الثانية) إقتبسها شولمان من المرجع السالف.

الفرنسية في حرب ١٩١٤، وهو ن الزحف الهائل السريع الذي قام به الحلفاء قد توقف.

لقد أصبح سبب التوقف هذا موضع حدس وتخمين بين قادة الحلفاء الى يومنا هذا إعتباراً من الجنرال آيزنهاور فنازلاً. كذلك لم يكن مفهوماً من الجنرالية الألمان. ففي الأسبوع الثاني من أيلول كانت الوحدات الأمريكية قد بلغت الحدود الألمانية أمام (آخن) وعلى نهر (الموزيل)، وأصبحت أبواب ألمانيا مفتوحة على مصراعيها أمام جيوش الحلفاء. وكان (مونتگمري) في أوائل أيلول قد ألحّ على الجنرال آيزنهاور لتحويل كل إمداداته واحتياطيه الى الجيشين الإنگليزي والكندي والجيشين الأمريكيين التاسع والأول لهجوم جريء في الشمال تحت قيادته، بحيث يندفع بسرعة الى داخل (الروهر) ويحرم الألمان من مستودع أسلحتهم الأكبر ويفتح الطريق الى برلين فتنتهي الحرب. فرفض آيزنهاور الإقتراح[٨]. وفضّل التقدم نحو الراين على "جبهة واسعة". ألا إن جيوشه إستنفذت كل عتادها وإمداداتها، اذ كان عليه أن ينقل كل طن من البترول والعتاد الى الجبهة من سواحل نورمندي أو عن طريق الميناء الوحيد (شربورگ) بالشاحنات مسافة ثلاثمائة أو أربعمائة ميل، وهكذا تباطأ زحف جيوش آيزنهاور لنقص الإمدادات، كذلك كانت تواجه مقاومة ألمانية غير منتظرة. لقد إستطاع الفيلدمارشال روندشدت بتركيز قواته المتيسرة في نقطتين خطيرتين في أواسط أيلول أن يوقف مؤقتاً على الأقل جيش (پاتن) الثالث عند نهر الموزيل. وجيش (هودجز) الأول أمام (آخن).

و عندها وافق آيزنهاور بعد الحاحٍ شديدٍ متواصل من (مونتگمري) على خطة جريئة لمسك رأس جسر عبر الراين الأسفل بالقرب من (آرنيم Arnhem) ليؤمن بذلك مواضع يمكن بواسطتها الإحاطة بخط سيگفريد من الشمال. كان الهدف أقصر وأضيق كثيراً من حُلم (مونتگمري) في الإندفاع الى قلب الروهر ومن ثم الى (برلين)، إلا أنه سيحقق على الأقل قاعدة ستراتيجية لمحاولة تالية. وبدأ الهجوم بإنزالٍ ضخم لفرقٍ أمريكية وإنگليزية ثلاث في ١٧ أيلول، من قواعد في بريطانيا. لكنها فشلت بسبب رداءة الأحوال الجوية ولإتفاق هبوطها في وسط فرقتين من دبابات الإس. إس. لم يدروا أنها كانت هناك، وبسبب إفتقارها الى إسناد قوات المشاة المندفعة من الجنوب. وبعد عشرة أيام من قتال وحشي إنسحب الإنگليز من (آرنيم). وفقدت الفرقة البريطانية المظلية الأولى التي أُنزلت قرب المدينة كل ملاكها البالغ (٩٠٠٠) ماعدا (٢١٦٣) رجلاً. وكان إندحار آيزنهاور هذا "نذيراً ودليلاً قوياً على أن قتالاً مريراً أشد ستأتي به الأيام المقبلة"[٩]. على أنه لم يكن يتوقع قط من الألمان ان يستفيقوا الى الحَد الذي يمكنهم من شنّ هجوم مباغت مذهل تفجرت حممه في الجبهة الغربية ذلك الشتاء بدنو أعياد الميلاد.

٨- كتب آيزنهاور في مذكراته (الحرب الصليبية في أوروپا ص٣٠٥) "انا واثق بأن الفيلدمارشال مونتگمري – على ضوء الأحداث التالية، سيتفق معي بأن وجهة النظر هذه كانت خاطئة". لكن هذا القول بعيد جداً عن واقع الحال. فالذين قرأوا مذكرات مونتگمري يعلمون جيداً أن العسكري الإنگليزي كان محقاً.
٩- آيزنهاور [الحرب الصليبية في أوروپا ص٣١٢].

- ٢ -

مغامرة هتلر اليائسة الأخيرة

في مساء يوم ١٢ كانون الأول ١٩٤٤ استُدعي الى مقر قيادة (روندشدت) جميع الجنرالية وقادة الميدان في الغرب. ونزعت مسدساتهم من أحزمتهم وأُخذت منهم حقائب أوراقهم وحُشروا في سيارة باص، راحت تدور بهم دورات مضللة في الريف المغطى بالثلج والمشتمل بدجنة الليل الحالكة، حوالي نصف ساعة لتضيع عليهم معالم الطريق. ثم وقفت بهم أمام مدخل مخبأ تحت الأرض. فنزلوا وولجوا ماتبيّن لهم أنه مقر قيادة هتلر في (زينگنبرغ Ziegenberg) قرب فرانكفورت. وهناك علموا بما لم يعلم به قبل أكثر من شهر، إلاّ حفنة من أعلى قادة الأركان وهو أن الزعيم سيشنّ هجوماً عنيفاً في الغرب خلال أربعة أيام.

كانت الفكرة تراود مخيلة هتلر منذ أواسط شهر أيلول عندما تدفقت جيوش آيزنهاور الى الحدود الألمانية غرب الراين. وقد حاولت الجيوش الأمريكية التاسع والأول والثالث، إستئناف الهجوم في تشرين الأول مستهدفة شق طريقها "عنوة" الى الراين كما عبّر آيزنهاور إلاّ ان الزحف كان شاقاً بطيئاً. وفي ٢٤ تشرين الأول سقطت (آخن) عاصمة إمبراطورية شارلمان الغابرة في أيدي الحلفاء بعد قتال مرير. إلاّ أن الأمريكان لم يفلحوا في خرق الجبهة الى الراين، على أنهم كانوا والإنگليز والكنديين في الشمال يشتبكون مع المدافعين الألمان المستضعفين في معارك إنهاك. وأدرك هتلر ان البقاء في خطة الدفاع لايؤدي الى شيء أكثر من تأخير ساعة الحساب المحتومة، ونبع في رأسه المحموم تصميم خطة خيالية جريئة لإعادة زمام المبادأة الى يده وتوجية ضربة تشق الجيشين الأمريكيين الأول والثالث، والوصول الى مدينة (أنتورب) وحرمان آيزنهاور من هذا الميناء الرئيس للتموين والإمدادات ودفع الجيشين الإنگليزي والكندي الى آخر الحدود البلجيكية الهولندية وتطويقها. وفكّر في أن هجوماً كهذا لن يكون قاصراً على تحقيق هزيمة ساحقة للجيوش الأنگلوأمريكية وتخليص الحدود الغربية الألمانية من التهديد. على انها ستُساعده أيضاً على التفرغ الى الروس الذين توقفوا على الڤستولا وفي پروسيا الشرقية منذ تشرين الأول رغم تقدمهم في البلقان.

سيبدأ الهجوم بضربة سريعة خلال (الأردين)، حيث كان قد بدأ أول اختراق عظيم في ١٩٤٠، وحيث كانت الإستخبارات الألمانية تعلم أن العدو لايحمي المنطقة بغير أربع فرق مشاة أمريكية خفيفة. لقد كانت خطة جريئة جداً وستأخذ الحلفاء على حين غرة وتتغلب عليهم قبل أن يستفيقوا من

الصدمة[10]. الا ان فيها نقطة ضعف واحدة. فالجيش الألماني أضعف مما كان في ١٩٤٠، ولاسيما في القوة الجوية فضلاً عن كونه يواجه عدواً أكثر موارد وأعظم تسليحاً بكثير. وسارع الجنرالية الألمان الى تبيان الحقيقة الزعيم.

وقال (روندشدت) فيمابعد "عندما وصلتني الخطة في أوائل تشرين الثاني، ذهُلت لأن هتلر لم يزعج نفسه حتى بالمشاورة معي... وكان واضحاً لدي أن الجنود الميسورين لهذه الخطة أقل بكثير لمشروع طموح جداً كهذا". ولما كان (روندشدت ومودل) يدركان من العبث أن يجادلا هتلر، إقترحا بديلاً قد يرضي إلحاح سيد الحرب في شنّ هجوم. إلا أنه سيكون محدوداً بتحطيم الإندفاع الأمريكي حول آخن[11].

وعلى أية حال كان أمل قائد جبهة الغرب العام، ضعيفاً في تغيير فكر هتلر. حتى أنه رفض حضور مؤتمر عسكري في برلين بتاريخ ٢ كانون الأول، وارسل رئيس أركانه (بلومنتريت). إلا أن كُلاً من الفيلدمارشال مودل وبلومنتريت والجنرال هاسو ڤون مانتنفل Hasso Von Mantenffel وجنرال الإس. إس سيب ديتريش و(الأخيران كانا سيقودان جيشين مدرعين عظيمين للإختراق الجبهوي) الذين حضروا الإجتماع، عجزوا عن زحزحة هتلر وحمله على العدول عن نهجه. فقد ظل طوال الخريف يبري دنَّ ألمانيا ويعتصر آخر قطرة منه لهذه المغامرة الأخيرة. وإستطاع في تشرين الثاني أن يجمع حوالي ألف وخمسمائة دبابة جديدة ومستصلحة، ومدافع هجومٍ آلية. وحشد حوالي ثمانية وعشرين فرقة بضمنها تسع فرق دروع لهجوم الأردين مع ست فرق أخرى خُصصت لهجوم على الالزاس كملحق للهجوم الرئيس. ووعده گورنگ بدفع ثلاثة آلاف مقاتلة في الجو.

كانت قوة ضخمة إلا أنها أضعف بكثيرٍ من جيش روندشدت المختلط في الجبهة نفسها (١٩٤٠)، إلا أن تجميعها كان يعني حرمان الجيوش الألمانية في الشرق من تعزيزات كان قادتها في اشدّ الحاجة اليها لصد الهجوم السوڤييتي المتوقع في كانون الثاني. وعندما ما أصبح الجنرال گودريان المسؤول عن الجبهة الشرقية ألقى عليه هتلر درساً صارماً.

"لا حاجة بك الى محاولة تعليمي. لقد قدت الجيش الألماني في ميدان الحرب خمس سنوات وقد نلت خلال هذه المدة من التجارب العملية ما يفوق تجارب أي رئيس أركان من السادة الأركان. لقد

١٠- كان يوجد لهذه الخطة ملحق طريف يطرز حواشيها أُطلق عليه (عملية گرايف Greif) ويبدو ولاشك من استنباطات عقل هتلر الطفولي. وقد اوكلت القيادة من الزعيم مباشرةً الى أوتو سكورزيني الذي طارت شهرته وذاع صيته بعد إنقاذ موسوليني وعمله الحازم في قمع ثورة العشرين، عندما الأوج في دائرة إختصاصه هذه بخطف (الأميرال هورتني) الوصي على العرش المجري من بودابست في تشرين الأول ١٩٤٤ لما حاول هذا تسليم المجر للقوات الروسية المتقدمة. وكانت مهمة سكورزيني الجديدة هي تنظيم ألفين من الجنود الألمان يتكلمون الإنگليزية ويلبسون زياً عسكرياً أمريكياً في سيارات جيب ودبابات أمريكية مغتمنة، فيتسربون بها الى الخطوط الأمريكية ووخلفها لقطع الإتصالات السلكية وقتل سواق العجلات العسكرية، وتضليل النقل وخلق فوضى شاملة. وأن تتسرب وحدات قليلة منها ايضاً الى جسور الموز محاولة الإحتفاظ بها حتى وصول فرق الدروع الألمانية الرئيسة.

١١- (روندشدت) من أقواله الى ليدل هارت "الجنرالية الألمان يتكلمون ص٢٢٩".

درست كلاوسڤيتز Clausuitz ومولتكه وقرأت كل أوراق (شليفن). اني واقف على الموضوع أكثر منك!".

و عندما إحتج گودريان بأن الروس يوشكون على الهجوم بقوات متفوقة جداً وراح يضع الأرقام أمامه عن الحشود الروسية صرخ هتلر: "إنها أعظم كذبة منذ جنكيزخان الذي كان مسؤولاً عن وجود هذه النفايات!"[١٢].

إن الجنرالية الذين إجتمعوا في مقر قيادة الزعيم في زيگنبرغ في مساء ١٢ كانون الأول دونَ مسدسات وحقائب وجدوا سيد الحرب النازي. كما تذكر (مانتنفل) فيما بعد "محني الظهر بوجه شاحب محتقن، محدوب الجلسة في كرسيه يداه ترتعشان وذراعه الأيسر يرتعش رعشات عنيفة حاول جهده إخفاءها. رجل عليل... عندما يسير كان يسحب ساقه خلفه"[١٣].

إلا أن طبعه كان ثائراً كشأنه أبداً، وكان الجنرالية يتوقعون أنه سيحمل لهم صورة عامة عسكرية للهجوم، إلا أن سيد الحرب أتحفهم بدل ذلك بخطبة سياسية تاريخية:

"ليس ثم في التاريخ تحالف كتحالف أعدائنا. أنه يتألف من عناصر متناقضة متنافرة بأهداف متباعدة جداً... الدول البالغة أعلى قمة في الرأسمالية من ناحية، والدول التي بلغت الذروة في ماركسيتها من جانب آخر. هنا إمبراطورية محتضرة بريطانيا وهنا مستعمرة تريد أن ترثها: الولايات المتحدة... كل شريك دخل هذا الحلف مؤملاً إدراك مطامعه السياسية... وأمريكا تحاول وراثة تركة بريطانيا، وروسيا تحاول الإستيلاء على البلقان... وإنگلترا تحاول الإبقاء على ممتلكاتها... في البحر المتوسط... إلا أن هذه الدول مختلفة فيما بينها. ومن هو جالس كالعنكبوت في وسط نسيجه يراقب التطورات لايملك الاّ أن يلحظ كيف تزداد هذه الخلافات عمقاً وشدة ساعة بعد ساعة. فلو أننا تمكنا الآن من توجيه ضربات قليلة أخرى. فإن هذه الجبهة المتحدة المتراصّة ستنهار فجأة بدوي هائلٍ... بشرط ألاّ يكون هناك ضعف من جانب ألمانيا.

من الضرورة بمكان حرمان العدو من أيمانه بالنصر المؤكد... إن الحروب تتقرر بالنهاية حين يدرك أحد الجانبين أن النصر لايمكن ان يتحقق. علينا أن لانترك لحظة واحدة تمر دون أن نظهر للعدو أنه يحاول عبثاً لو إعتمد على (إستسلامنا) مهما فعل. أبداً... ابداً![١٤]."

بهذا الكلام الحاد يرنّ صداه في آذان الجنرالية ختم هتلر أقواله. فتفرقوا وليس منهم واحدٌ مصدّق ما سمع (أو هكذا إدّعوا فيما بعد)، حول نجاح ضربة الاردين، إلاّ أنهم عازمون على تنفيذ أوامره بأقصى ما فيهم من قابلية.

١٢- گودريان المرجع السالف الص ٣٠٥- ٣٠٦ و٣١٠.
١٣- (مانتنفل) في مطبوع فرايدون وريشادرسن المرجع السالف ص٢٦٦.
١٤- مؤتمر الزعيم (١٢ كانون الأول ١٩٤٤).

وقد فعلوا. كان ليل ١٥ كانون الأول أسحم مثلوجاً. والضباب الكثيف يعلو التلال الوعرة المكسوة ثلجاً في غابة الاردين حين تحرك الألمان الى نقاط وثوبهم على جبهة طولها سبعون ميلاً بين مانشاو Manschaw جنوب (آخن) وإيشترناخ Echternach شمال غرب (ترير Trier). وقد تكهنت الأرصاد الجوية بعدة أيام من هذا الطقس، لاتتمكن فيه طائرات العدو من الهبوط الى مستوى واطيء. وبهذا تنجو أرتال التموين الألمانية من جهنم نورماندي. وواتى هتلر حظ في الطقس دام خمسة أيام. ونجح الألمان بعد مفاجأتهم التامة للقيادة العليا الحليفة بفتح عدة ثغرات في جبهة الحلفاء بعد هجومهم وتقدمهم الناجح في صبيحة يوم ١٦ كانون الأول.

ولما وصلت وحدة مدرعة ألمانية (ستاڤيلوت Stavelot) في مساء ١٧ كانون الأوال وباتت لاتبعد أكثر من ثمانية أميال عن مقر قيادة الجيش الأول الأمريكي في (شپا Spa)، أسرعت القيادة بإخلائه بعجلةٍ شديدة. وأهم من هذا أنها لم تكن تبعد غير ميل واحدٍ عن مستودع التموين الأمريكي الأكبر، الذي يحتوي على ثلاثة ملايين گالون من البترول. ولو استولي على هذا الكدس لكان بإستطاعة فرق الدروع الألمانية المضي أبعد وأسرع مما فعلت، لأن الألمان كانوا دائماً في حاجة ملحة الى هذه المادة. وكثيراً ما كان النقص فيه سبباً إلى وقوفها وتباطؤها. أما لواء (سكورزيني) المدرع المعروف بإسم (پانزر- ١٥٠) فقد تقدم أبعد من هذا برجاله الذين تنكروا بالبزات العسكرية الأمريكية وراحوا يسوقون دبابات ولوريات وسيارات جيب من غنائم الحرب أمريكية الصنع. لقد إنسلّ حوالي أربعين سيارة جيب محملةً برجاله من خلال الجبهة المثغورة ووصل عدد قليل منها حتى نهر الموز[١٥].

على ان المقاومة العنيدة الموضعية التي أبدتها الوحدات الأمريكية الضعيفة الأربع، أبطات الإندفاع الألماني. وبنتيجة الوقفة الصامدة عند ذراعي الإندفاع الشمالي في مانشاو وباستوني Bastogne على التوالي، ضاق التوغل الألماني وحصر إندفاعه في مسربٍ محدودٍ. وكان للدفاع الأمريكي في باستوني الأثر الحاسم في فوات الفرصة على الألمان.

مفرق الطرق هذا، هو مفتاح الدفاع في الاردين ونهر الموز خلفه. فإن وفّقوا الى الصمود فيه بعزم، فلن تكون النتيجة قاصرة على سَد الطرق الرئيسة التي يندفع من خلالها جيش (مانتنفل) الخامس

١٥- في اليوم السادس عشر من الشهر وقع في أسر الأمريكان ضابط ألماني يحمل عدة نسخ من (عملية گرايف)، وهكذا علم الأمريكان بحقيقة الأمر قبل وقوعه. لكن هذا كما يبدو لم يحل دون وقوع الإضطراب في المراحل الأولى من قيام رجال (سكورزيني) بخطتهم. فبعضهم إتخذوا صفة الشرطة العسكرية (إم. پ) ووقفوا في مفارق الطرق وراحوا يضللون النقل العسكري. ولم يمنع ذلك قسم الإستخبارات في الجيش الأول الأمريكي من تصديق أكاذيب بعض الأسرى الألمان منهم بأن عدداً لا بأس يه من شقاة سكورزيني هم في طريقهم الى پاريس لقتل آيزنهاور. فلجأت الشرطة العسكرية الأمريكية عدة أيام الى إيقاف الجنود الأمريكيين حتى مشارف پاريس ليطلبوا منهم اثبات جنسياتهم بإلقاء اسئلة عليهم مثل من ربح السلسلة العالمية World Series، وما هي عاصمة ولاياتهم - وكان كثير منهم لايعرف أو لايتذكر. وقد تم إلقاء القبض على كثيرٍ من هولاء الألمان وقُتلوا حالاً رمياً بالرصاص أو حوكموا عسكرياً وأُعدموا. وحوكم (سكورزيني) نفسه في محكمةٍ عسكرية أمريكية بداخاو سنة ١٩٤٧، الاّ أنه بُرّيء. وبعدها سافر الى إسپانيا تم الى أمريكا الجنوبية، حيث أسس له عملاً طيباً في إنتاج السمنت وكتب مذكراته.

المدرع الى الموز - قرب (دينان)، بل ستتعطل قوات ألمانية كبيرة كانت مُخصصة الى الإندفاع التالي وراءها. وبصبيحة ١٨ كانون الثاني باتت رؤوس جسور (مانتنفل) المدرعة على بعد خمسة عشر ميلاً فقط من المدينة، وليس فيها من يدافع عنها غير مرتبات قوات المقر العام الأمريكي، الذي بدأ يجلو عنها.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد تلقت الفرقة الـ (١٠١) المظلية التي كانت تعيد تنظيم نفسها في ريمس Reims أمراً في مساء ١٧ كانون الأول بالزحف الى (باستوني) بأسرع ما يمكن، وكانت تبعد مسافة مائة ميلٍ. فبلغتها خلال أربع وعشرين ساعة وكانت ناقلاتها تسرع ليلاً دون أن تطفيء أنوارها الأمامية القوية ودخلتها قبل وصول الألمان اليها بوقت وجيز. لقد كان سباقاً حاسماً خسره الألمان. ومع أنهم طوقوا (باستوني)، إلا أنهم ظلوا خارجها وصعب عليهم إحتلالها ليستطيعوا الإندفاع نحو الموز. فكانوا مضطرين الى ترك قوة كبيرة خلفهم لمحاولة الإستيلاء على مفرق الطرق المهم هذا.

وفي ٢٢ كانون الأول بعث الجنرال (هاينريخ ڤون لوتڤيتز Heinrich Von Luituitz قائد الفيلق المدرع السابع والأربعين رسالة خطية الى الجنرال أ. س. ماكوليف A. S. Mc Auliffe قائد الفرقة المظلية المحصورة يطلب فيها تسليم (باستوني)، فكان رد هذا كلمة واحدة فقط أصبحت مثلاً "Nauts!".

إن نقطة التحول الجازمة في مغامرة هتلر في الاردين جاءت في اليوم الذي سبق عيد الميلاد. وصل فوج استطلاعي من الفرقة الألمانية المدرعة الثانية الى مرتفعات شرقي الموز التى تبعد عنه بثلاثة أميال بالقرب من (دنيان) في ٢٣ كانون الأول. ووقفت تنتظر وقوداً لدباباتها مع بعض النجدات قبل أن تنحدر الى النهر. فلم يصلها البترول ولا النجدات. وفجأة ضربت الفرقة المدرعة الثانية الأمريكية من الشمال، اذ كانت عدة فرقٍ من جيش (پاتن) الثالث قد تحركت من الجنوب وهدفها الرئيس إنقاذ (باستوني). وكتب الجنرال (مانتنفل) فيما بعد عن هذا "في مساء الرابع والعشرين أصبح واضحاً أن أعلى منسوبٍ مائي في هجومنا قد تم بلوغه. وصرنا ندرك اننا لن نصل قط الى هدفنا". وبدأ الضغط على الجناحين الجنوبي والشمالي من الإندفاع الألماني العميق الضيق، ثم أصبح عظيماً جداً. وقبل عيد الميلاد بيومين بدأ الجو يصفو وراحت القوتان الجويتان الأنگلوأمريكية تسرحان وتمرحان في جو المعركة وتقومان بغارات في مجموعات كبيرة على خطوط تموين الألمان وعلى القوات والدبابات المتحركة في هذه الطرق الضيقة الوعرة. وقام الألمان بمحاولة يائسة أخرى لإحتلال باستوني وشنّوا طوال يوم العيد منذ الثالثة صباحاً سلسلة من الهجمات، إلا أن فرقة (ماكوليف) صمدت. وفي اليوم التالي هجمت قوة مدرعة من جيش (پاتن) الثالث من الجنوب وأنقذت المدينة. وبات الموضوع عند الألمان منحصراً في إخراج قواتهم من الممر الضيق قبل أن يُقطع عليها خط الرجعة وتُباد عن بكرة ابيها.

إلا أن هتلر لم يستجب الى أيّ رجاء بالإنسحاب. وفي مساء ٢١ كانون الأول عقد مجلساً حربياً واسعاً. وعوضاً عن الإصغاء الى النصح الذي تقدم به (روندشدت ومانتنفل) لسحب القطعات الألمانية من النتوء في الوقت المناسب، أمر بإستئناف الهجوم وأوجب إحتلال (باستوني) وإستئناف

الإندفاع نحو الموز. وأصر فضلاً عن هذا، على بدء هجوم جديدٍ حالاً الى جنوب الالزاس، حيث كان الخط الأمريكي قد رقَّ بإرسال عددٍ من فرق (باتن) شمالاً الى الاردين. وأصمّ أذنية عن سماع إحتجاج الجنرالية بقلّة مالديهم من قوات لاتكفي للإستمرار في هجوم الأردين أو لهجوم جديد في الالزاس.

"ايها السادة اني في هذه المهنة منذ أحد عشر عاماً... ولم أسمع أحداً خلالها يبلغني ان كل شيء على تمام الأهبة... لن تكونوا متأهبين تماماً. هذا واضح". ومضى يتكلم(١٦).

ولاشك أن الجنرالية كانوا قد أدركوا قبل أن ينتهي كلامه بوقت طويلٍ أن قائدهم الأعلى قد أصبح أعمى عن الحقائق تائهاً في الغيوم.

"المسألة هي... هل لدى ألمانيا الإدارة على البقاء أو أن الدمار سيحيق بها... إن خسران الحرب سيدمر الشعب الألماني".

و تبع ذلك استطراد طويل في تاريخ روما، وبروسيا في حرب السنين السبع. وأخيراً عاد الى المشاكل الآنية موضوع البحث. وإدعى أن هجوم الأردين رغم أنه:

"لم يحقق النجاح الحاسم الذي كان متوقعاً" فقد أحدث "تبدلاً في الموقف كله ماكان أحد يحلم به قبل أسبوعين". والآن بات على العدو أن يترك جانباً خططه الهجومية... فقد يضطر الى قذف وحدات مرهقة منهوكة. لقد حَلّ الإضطراب التام في خطط عملياته وهو يُنتقد كثيراً في بلاده. لقد كانت لحظة نفسية سيئة له. اذ وجب عليه الإقرار بإن فرصة تقرير نتيجة الحرب في آب لا مجال للتفكير فيها. بل ربُمَا لن تنتهي بختام السنة التالية".

هل كانت العبارة الأخيرة إعترافاً منه بالإندحار النهائي؟ أسرع هتلر لتصحيح أيّ انطباع كهذا.

"أني أسرع ايها السادة لأضيف، بأني لا أرى وحتى للزمن البعيد خسارتنا هذه الحرب... لم أتعلم معنى كلمة "الإستسلام"... الموقف اليوم إليّ ليس جديداً، لقد كنت في موقف اسوأ من هذا بكثير. ولم اذكر هذا الاّ لأحملكم على إدراك سبب تتبعي هدفي بمثل هذا التشبث، ولماذا لايوجد شيء يعجزني ويثنيني عن عزمي. فمهما عذبتني بدنياً فلن يُحدِث شيء ما تغييراً في عزمي على مواصلة القتال حتى ينقلب الميزان الى صالحنا."

ثم ناشد الجنرالية إسناد الهجمات الجديدة "بكل حميتكم... وعندئذ... سنسحق الأمريكان نهائياً... ثم سنرى ماذا يحصل... لا أعتقد ان العدو في الزمن الطويل سيكون قادراً على مقاومة خمس وأربعين فرقة ألمانية... ولن نعتم ان نصبح سادة مصيرنا!".

كان ذلك متأخراً جداً فألمانيا تفتقر إلى القوة العسكرية ليتحقق كلامه.

١٦- يظهر انه يتكلم ساعات كثيرة كما يفصح عنه محضر كتب بالإختزال عن وقائع المؤتمر وصل المحضر سالماً تماماً وهو في الجزء السابع والعشرين من مجموعة مؤتمرات الزعيم. ويورد (گِلبرت) النص الكامل له في كتابه "هتلر يدير حربه، الص ١٥٨- ١٧٤".

في يوم عيد رأس السنة الجديدة قذف هتلر بثماني فرق جديدة ألمانية إلى هجمة في السار وتبعها بعملية إندفاعٍ من رأس الجسر في الراين الأعلى بجيش يقوده (هاينرخ هملر)، وسط إزدراء وتهكم جنرالية الجيش! ولم يحقق الإندفاعان النتائج المتوخاة. كذلك فشل هجوم عام على باستوني بدأ في ٣ كانون الثاني بما لايقل عن فيلقين قوامهما (٩) فرق، مما أدى الى قتال عنيف الى أقصى حد بلغته معركة الأردين. وفي ٥ كانون الثاني فقد الألمان الأمل في أخذ هذه المدينة الهامة، وهم الآن يواجهون خطر قطع الرجعة عليهم بهجوم معاكس أنكلوأمريكي من الشمال كان قد بدأ في ٣ كانون الثاني. وفي ٩ كانون الثاني - تسلم مودل (الذي كان يواجه خطر وقوعه في الفخ وقطع خط الرجعة عليه) اذناً بالإنسحاب من مواضعه في (هوفالبز Huffalize) الى الجنوب الشرقي من (باستوني). وفي ١٦ كانون الثاني بعد شهر واحدٍ من بدء الهجوم الذي قامر فيه هتلر بكل مالديه من إحتياطي في الرجال والمدافع والذخيرة. عادت القوات الألمانية الى الخطوط التي كانت قد انطلقت منها. لقد خسروا مائة الف رجل بين قتيل وجريح ومفقود، وخسروا ستمائة دبابة ومدفع هجوم والفاً وستمائة طائرة وستة آلاف عربة نقل. وكانت خسائر الأمريكان فادحه هي الأخرى فقد قتل ثمانية الآف، وجرح ثمانية وأربعون الفاً وأُسر واحد وعشرون ألفاً أو هم في عداد المفقودين وسبعمائة وثلاثة دبابة ومدمرة دبابات(١٧).

إلاّ ان الأمريكان كانوا قادرين عى سَد النقص أما الآن فلا يمكنهم. وكان هذا آخر هجوم كبير للجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية. وفشله جعل الهزيمة في الغرب أمراً مفروغاً منه، كما قضت على مصائر الجيوش الألمانية في الشرق، حيث إتضح تأثير قذف هتلر بكل مالديه من إحتياطي في الاردين.

١٧- من بين القتلى الأمريكيين عدد كبير من الأسرى قتلهم غدراً العقيد يوشن پايپر Jochen Peiper بأمر أصدره الى جنود الميدان التابعين الى فرقة دروع الـ(إس. إس) الأولى المرابطة بالقرب من (مالميدي) في ١٧ تشرين الأول. والدلائل التي قدمت الى نورمبرگ تشير الى أن (١٢٧) جندياً وضابطاً أمريكياً قد أُعدموا. وقد عقدت محكمة أمريكية عسكرية جلسات في داخاو في ربيع سنة ١٩٤٦ واصدرت حكماً كانت مفاجآته طريفة عجيبة. حكمت على (٤٣) ضابطاً من الـ(إس. إس) وبضمنهم (پايپر) بالموت وعلى (٢٣) منهم بالسجن مدى الحياة و(٨) آخرين بأحكام سجن متفاوته. وحُكم على ديتريش قائد الجيش المدرع السادس للـ(إس. إس) بخمس وعشرين سنة (كان جيشه معسكراً في الجهه الشمالية من بولج)، وعلى وعلى كريمر Kraimer قائد الفيلق المدرع الإس. إس الأول بعشر سنين، وعلى (هرمان پريس) قائد فرقة الإس. إس المصفحة الأولى بثماني عشر سنة. ثم ثارت الضجة والصراخ في مجلس الشيوخ الأمريكي وبخاصة من (ماكارثي) بأن ضباط الإس. إس عوملوا بوحشية لإنتزاع الإعترافات منهم. وفي آذار ١٩٤٨ خُفف (٣١) حكما بالموت. وفي نيسان خفّض الجنرال (لوشيوس) أحكام موت خمسة آخرين. وفي كانون الثاني ١٩٥١ أصدر المندوب السامي الأمريكي- جون ماكلوي) بناءً على العفو العام الصادر قراراً بتخفيض أحكام المحكومين الباقين الى السجن المؤبد. وفي وقت كتابة هذه السطور أُطلق سراح كل هؤلاء. وقد تنوسيت في الضجة التي أُثيرت حول معاملة ضباط الإس. إس. القاسية المزعومة - مقتل (٧١) عسكريا اعزل من أسرى الحرب ثبت جرم قتلهم ثبوتاً قاطعاً في حقل ثلج قرب ماليدي في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٤ بأوامر أو رضى من ضباط الإس. إس.

بخطبته الطويلة في جنراليته في الغرب قبل عيد الميلاد بثلاثة أيام، كان كثير التفاؤل بخصوص الجبهة الشرقية، حيث بقيت الجيوش الألمانية رغم ضياع البلقان صامدة ثابتة على (الڤستولا) في پولندا وپروسيا الشرقية منذ تشرين الأول.

[قال هتلر] لسوء الحظ أُرغمنا على التراجع البطيء بسبب غدر حلفائنا الأعزاء... مع هذا فقد امكننا على العموم أن نحافظ على الجبهة الشرقية". لكن كم سيمتد الزمن به؟ في عشية عيد الميلاد بعد أن طوق الجيش الأحمر (بوداپست) عاد (گودريان) يناشد هتلر إعطاءه تعزيزات في صباح عيد رأس السنة، لمواجهة التهديد الروسي في المجر وللقيام بهجوم معاكسٍ للهجوم السوڤييتي في پولندا، الذي كان متوقعاً في أواسط كانون الثاني:

"[يقول گودريان] بيّنت أن الروهر قد أصابه الشلل التام بالقصف الجوي الحليف المتواصل... ومن جهة أخرى، المنطقة الصناعية في سيليزيا العليا يمكن أن تنتج وتعمل بأقصى مافي طاقتها، وقد انتقل مركز الصناعة الحربية الى الشرق. وفقدان سيليزيا العليا ستعقبه الهزيمة الشاملة بعد بضعة أسابيع حتماً. ولكني عبثاً حاولت فقد صُرفتُ، وقضيت عيد ميلاد كئيبٍ محزن في هذه المناظر البعيدة عن روح المسيحية بعداً شاسعاً".

ورغم هذا عاد گودريان الى مقر قيادة هتلر للمرة الثالثة في ٩ كانون الثاني. مصطحباً رئيس إستخباراته في الشرق الجنرال گيلن Gehlen الذي حاول بالخرائط والمخططات أن يشرح للزعيم موقف الألمان الخطير في عشية تجديد الروس هجومهم في الشمال.

"[يقول گودريان] فقد هتلر سيطرته على أعصابه تماماً... مصرحاً ان الخرائط والمخططات ماهي إلا عبث مجانين لا أكثر. وأمرني بأن أودع الشخص الذي رسمها في مستشفى المجاذيب. وعندئذ فقدت اعصابي أنا الآخر وقلت... "إن شئت أن ترسل الجنرال (گيلن) الى مستشفى المجاذيب فخير لك أن ترسلني معه".

وعندما رد عليه هتلر أن الجبهة الشرقية "لم تحصل على إحتياطي قوي كما حصلت عليه الآن". أجابه گودريان "ان الجبهة الشرقية تشبه بيتاً من ورق إن كُسرت واجهة منه في نقطة واحدة سينهار الباقي كله[١٨].

وهذا ما حصل فعلاً، في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٥ إندفع جيش المرشال كونيف Kinev السوڤييتي من رأس جسره في بارانوف Baranov في سيليزيا. والى الشمال منه عبرت جيوش المارشال (ژوكوف) نهر الڤستولا شمال وارشو وجنوبها، وسقطت العاصمة الپولندية في ١٧ كانون الثاني. وفي أقصى الشمال إجتاح جيشان روسيان نصف پروسيا الشرقية وإندفعا الى خليج الدانزگ.

كان هذا أعظم هجوم سوڤييتي في كل الحرب العالمية الثانية. لقد قذف ستالين في پولندا وپروسيا

١٨- گودريان المرجع السالف ص٣١٥.

الشرقية وحدهما بمائة وثمانين فرقة، العجيب في امرها أن عدداً كبيراً منها كان مدرعاً ولم يكن بوسع أحد إيقافها".

قال گودريان: "بحلول يوم ٢٧ كانون الثاني [بعد بدء الهجوم الروسي بخمسة عشر يوماً فقط] كانت موجة الإندفاع الروسي تسرع لتتخذ شكل كارثة تامة بالنسبة الينا"[١٩].

في ذلك التاريخ قُطعت پروسيا الشرقية والغربية عن الرايخ. وفي اليوم نفسه عبر (ژوكوف) نهر (الأودر) قرب (لوبين Loeben)، بعد ان حقق تقدماً قدرهُ (٢٢٠) ميلاً في ظرف أسبوعين، ووصل ارضاً ألمانية لاتبعد عن برلين أكثر من مائة ميلٍ. وكانت الكارثة العظمى أن الجيش الأحمر اتمّ إجتياح حوض سيليزيا الصناعي.

كتب (البرت شپير) المشرف على الإنتاج الحربي مذكرة الى هتلر في ٣٠ كانون الثاني – يوم الذكرى الثانية عشر لتولي النازيين الحكم. مشيراً فيها الى الأثار التي ستنجم عن ضياع سيليزيا وبدأها بقوله "لقد خسرنا الحرب"، واسترسل بأسلوبه البارد الموضوعي في شرح الأسباب. قال إن مناجم الفحم في سيليزيا كانت منذ القصف العنيف على الروهر – تزوّد بـ ٦٠٪ من فحم ألمانيا الضروري القطارات والمعامل والمصانع. والآن بعد أن فُقدت سيليزيا لايستطيع (شپير) أن يؤمن الاّ ربع الفحم وسدس الحديد الذي كانت ألمانيا تنتجه في عام ١٩٤٤[٢٠]. وكان هذا نذير الفاجعة للعام ١٩٤٥.

يذكر (گودريان) أن الزعيم تطلع الى تقرير (شپير) وقرأ أول عبارة وأمر أن يحفظ في خزانته. ورفض أن يقابل (شپير) على إنفراد. قائلاً لگودريان:

"... اني ارفض مقابلة أيّ شخصٍ على إنفراد بعد الآن [إنه] لايواجهني إلا لينقل لي خبر سوءٍ لا استطيع أن اتحمل هذا[٢١]."

وفي عصر ٢٧ كانون الثاني وهو يوم عبور جيوش (ژوكوڤ) نهر الأودر على بعد مائة ميل عن برلين، كان هناك رد فعل يسترعى الانتباه في مقر قيادة الزعيم الذي انتقل الآن إلى دار المستشارية في برلين، حيث سيبقى الى النهاية. وفي ٢٥ منه قابل (گودريان) ريبنتروب والح عليه بأن يحاول عقد هدنة فورية مع الغرب حتى يمكن نقل ما تبقى من الجيوش الألمانية هناك الى الشرق وتركيزها في الجبهة الشرقية. فأسرع ريبنتروب الى الزعيم الذي عجّل في مساء ذلك اليوم ووبّخ رئيس هيئة أركانه وإتهمه بالخيانة العظمى. لكن بعد ليلتين من ذلك – وتحت وطأة الكارثة في الشرق كان هتلر وگورنگ ويودل في حالةٍ عجيبة، بحيث لم يروا ثمّ ضرورة لطلب هدنة من الغرب. وكانوا متأكدين بأن الغرب سيهرول اليهم مستعجلاً خائفاً من الآثار التي ستنجم عن إنتصارات الشيوعيين. لقد حفظ

١٩- المرجع السالف ص٣٣٤.
٢٠- من البرت شپير الى هتلر ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٥ محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٤١.
٢١- گودريان المرجع السالف ص٣٣٦.

لنا جزءٌ من مؤتمر الزعيم في السابع والعشرين، صورةَ الحديث في هذا الموضوع:

هتلر: هل تظنون أن الإنگليز متحمسون لهذه التطورات في الجبهة الروسية؟

گورنگ: بالتأكيد انهم لم يحسبوا في خططهم أننا سنصمد بوجههم ونحول دون تقدمهم في حين يستولي الروس على ألمانيا... لم يعتمدوا على إيقافنا لهم... كالمجانين بينما يندفع الروس أكثر فأكثر الى ألمانيا. وبالفعل فقد جعلوا كل ألمانيا الآن...

يودل: لقد ظلوا دائماً ينظرون الى الروس نظرة شك.

گورنگ: إن استمرت الحال على هذا المنوال فستصلنا برقية [من الإنگليز] خلال أيام قليلة (٢٢).

بهذا الخيط الرفيع بدأ زعماء الرايخ الثالث يعقدون آمالهم وكان هؤلاء الألمان الذين هندسوا الميثاق النازي السوڤييتي ضد الغرب سيصلون الى نقطة يحارون عندها في تفسير السبب الذي لايدعو الإنگليز والأمريكان الى ضم قواتهما اليهم لصد الغزاة الروس!

- ٣ -

إنهيار الجيوش الألمانية

جاءت النهاية سريعة للرايخ الثالث في ربيع ١٩٤٥.

بدأت ساعة الاحتضار في آذار. ففي شباط أصبح معظم حوض الروهر خراباً يباباً وضاعت سيليزيا العليا ووصل إنتاج الفحم الى خُمس ما كان قبل سنة وتعذّر نقل معظمه الى مناطق الحاجة اليه للدمار الذي احدثه قصف الحلفاء الجوي في القطارات والسكك الحديد ووسائل النقل المائي. واصبح الحديث حول نقص الفحم يأخذ معظم وقت مؤتمرات الزعيم. وشكا (دونتز) أن معظم سفنه معطلة لإفتقارها الى الوقود. وشرح (شپير) بصبرٍ وأناة أن المعامل ومصانع الأسلحة تعاني حالة مماثلة للسبب عينه. ان ضياع حقول نفط رومانيا والمجر وقصف مصانع تكرير البترول الصناعي اجبرت الطائرات المقاتلة على ان تبقى جاثمة على الأرض لتتحطم بفعل القصف الحليف. وكانت الحاجة ماسة جداً اليها في ذلك الوقت. وعجز عدد كبير من فرق الدروع عن الحركة بسبب نفاد وقود خزاناتها. وفُقد الأمل في "معجزات الأسلحة" الموعود بها، والتي كانت تشدّ من عزيمة جماهير الشعب الألماني والجنود، بل حتى الجنرالية الصلبين أمثال (گودريان). لقد ضاع كل قواعد إطلاق القنبلة الموجهة (ف-١) والصاروخ (ف-٢) الموجهة الى بريطانيا عندما أعاد آيزنهاور إحتلال السواحل الفرنسية والبلجيكية. على أن قليلاً منها بقي في هولندا، وقذف حوالي ثمانية آلاف من هذين الصاروخين على (انتورب) وغيرها من الأهداف العسكرية الأنگلوأمريكية بعد أن بلغت جيوش الحلفاء الحدود

٢٢- مؤتمر الزعيم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٥. وقد اورده فلكس گِلبرت المرجع السالف ص١١١- ١٣٢ لقد غيرت بعض الشيء في ايراد النص.

الألمانية. إلا أن الأضرار التي احدثتها كانت طفيفة.

ووضع هتلر وگورنگ جل إعتماده على المقاتلات النفاثة الجديدة لدحر القوات الجوية الحليفة وطردها من الأجواء وكانت ستفعل الكثير في هذا المجال، لأن الألمان نجحوا في إنتاج ألف أو يزيد منها، لو لم يتحوط الطيارون الأنگلوأمريكان الذين لايملكون مثلها. بإتخاذ إجراء معاكس. إن الطائرة المقاتلة الحليفة الإعتيادية لا قِبل لها بالنفاثة في الجو، إلا أنه لم يحلق في الجو منها الاّ القليل. فمعامل التكرير التي تنتج الوقود الخاص لها قُصفت ودمرت، ومدارج الطيران التي بنيت لها خصيصاً كان من السهل الإنتباه اليها لطولها اصبحت دليلاً يهتدي به الطيارون اليها فيدمرونها وهي جاثمة.

ووعد أمير البحر الأكبر (دونتز) زعيمه أن الغواصات الالكترونية الجديدة ستحقق معجزة في البحر، وستعود للمرة الثانية لتصيب خطوط الأنگلوأمريكان الحيوية بضربات قاصمة في شمال الاطلسي. ولكن في أواسط شهر شباط ١٩٤٥ لم ينزل الى البحر الاّ غواصتين مما خُول ببنائه وقدره (١٢٦) غواصة.

اما عن مشروع القنبلة الذرية الألمانية، الذي اقلق لندن وواشنطن الى حَد بعيد، فلم يحصل فيه تقدم كبير نظراً الى فقدان إهتمام هتلر به. ومواصلة قيام هملر بإعتقال علماء الذرة للإشتباه في عدم ولائهم أو طردهم من العمل لفسح المجال لأحد "علمائه" المخرفين لإجراء تجاربه السخيفة في مشروع يراه أهم. وقبل نهاية ١٩٤٤ وصل الى علم الأمريكان والإنگليز، أن الألمان لن يحصلوا على القنبلة الذرية في هذه الحرب[٢٣]. فإرتاحوا كثيراً.

في ٨ شباط بدأت جيوش آيزنهاور وقوامها الآن (٨٥) فرقة بالإطباق على الراين، وكان الظن السائد أن الألمان سيحاربون حرب مشاغلة ويحتفظون بقواتهم وينسحبون خلف السد المائي الجبار للنهر الواسع السريع المجرى. وتشاور (روندشدت) في ذلك، إلا أن هتلر لم يسمع بنصحه، كما ظل يصمّ أذنيه طوال سني إنكساراته – عن أي فكرة بالإنسحاب. وقال (روندشدت) ان ذلك لايعني "إلا نقل الكارثة من مَحل الى آخر". ولهذا بقيت الجيوش الألمانية بناء على أوامر هتلر – صامدة في مكانها تقاتل– ولكن لم يطل بها الأمر. ففي نهاية الشهر كان الأمريكان والإنگليز قد وصلوا الراين في عدة مواضع شمال دسلدروف Duesseldrof، وبعدها بأسبوعين مكّنوا قبضتهم من ضفة (الموزيل) اليسرى الى الشمال. وفقد الألمان (٣٥٠٠٠٠) جندياً بين قتيل وجريح وأسير (كان عدد الأسرى ٢٩٣٠٠٠) مع معظم اسلحتهم ومعداتهم.

بلغ حنق هتلر أشده، وطرد روندشدت آخر طردة في ١٥ آذار، واستخلفه بالفيلدمارشال (ڤون كسلرينگ) الذي ظل صامداً بعنادٍ ولوقت طويلٍ في إيطاليا. وقبلها في شباط اعرب الزعيم في نوبة

٢٣– إن طريقة علمهم بهذا إنما هو حكاية شيقة بحد ذاتها، ولكنها اطول من أن يتسع المقام لسردها هنا. وقد جاء (الپروفيسور ساموئيل گودسميت) في روايتها بكتابه (ألسوس Alsos). وهو الأسم الرمزي للجنة العلمية الأمريكية التي رأسها والتي تبعت جيوش آيزنهاور في غرب أوروپا.

من نوبات غيظه عن رغبته في الخروج من إتفاقية جنيف، حتى يجعل "العدو يدرك اننا عازمون على القتال في سبيل بقائنا بكل الوسائل التي تتوفر لدينا" كما صرح في مؤتمره بتاريخ ١٩ شباط. لقد الحّ عليه گوبلز ان يتخذ هذه الخطوة، ذلك الشخص غير المحارب المتعطش للدم الذي كان قد اقترح قتل جميع الطيارين الأسرى حال القبض عليهم جزاءً وفاقاً للقصف الفظيع على المدن الألمانية. وعندما اعترض بعض الضباط على ذلك إعتراضاً قانونياً رد عليهم هتلر غاضباً:

"الى جهنم وبئس المصير!... أوضحت بما لايقبل الشك بأني لا اقيم وزناً لأي إعتبارات بخصوص أسرى الحرب. واني سأعامل أسرى الحرب بدون إعتبار لحقوقهم وبصرف النظر عن العقوبات. المضادة. فإن القليل جداً [من الألمان] سيفكرون في الهروب من الجيش"[٢٤].

و تلك هي أول اشارة الى أتباعه أدركوا منها أن هتلر بعد أن فشلت رسالته كفاتح للعالم، قرر أن يغوص في بحر الدماء مثل (فوطان) في (ڤلهالا)، لادماء اعدائه وحدهم بل دماء شعبه. وفي ختام المؤتمر طلب من الأميرال (دونتز) "أن يتأمل في غنم وغرم هذه الخطوة وأن يقدم له تقريراً بما توصل اليه في أسرع وقتٍ ممكن".

و حمل (دونتز) جوابه في اليوم التالي، وكان نموذجاً لطبع الرجل. "إن المضار تفوق المكاسب... ومن الأفضل في أيّ حالة، أن يحافظ على المظاهر الخارجية والسير في الإجراءات التي يُعتقد انها ضرورية دون الإعلان قبلاً"[٢٥]. و وافق هتلر على ذلك متردداً وكما رأينا[٢٦].

لم يكن ثمّ مجازر جماعية للطيارين أو غيرهم من أسرى الحرب (بإستثناء السوڤييت). فقد ازهقت ارواح عدد كبير منهم ودفع السكان المدنيون الى تعليق ملاحي الطائرات الحليفة الذين يهبطون الى لأرض. لقد قتل الجنرال الفرنسي (ميسني Mesny) بناء على امرٍ من هتلر. وهلك عدد كبير من أسرى حرب الحلفاء عندما أُرغموا على مسيرات طويلة دون طعام ولا ماء في طرق يقصفها الطيارون الأمريكان والروس والبريطانيون أثناء ما كان الألمان يسوقونهم الى داخل ألمانيا، لئلا تحررهم جيوش الحلفاء المتقدمة. و كان لتفكير هتلر وهمه بجعل الجنود الألمان "يطيلون النظر في رأيهم قبل الإقدام على الفرار" مايبرره. فقد تصاعد عدد الهاربين في الغرب، أو على الاقل أولئك الذين يستسلمون بأسرع مايمكنهم في أثناء الزحف الأنگلوأمريكي. وفي ١٢ شباط أصدر كايتل أمراً "بإسم الزعيم". جاء فيه: "كل جندي يحصل بطريق الخداع على أوراق اجازة أو يسافر بأوراق مزيفة، يعاقب بالموت". وفي ٥ آذار أصدر الجنرال (بلاسكوڤتيز Blaskowirz) قائد مجموعة جيش (هـ) في الغرب الأمر التالي: "كل الجنود الذين... ينفصلون عن قطعاتهم... ويزعمون أنهم تائهون يبحثون عن وحداتهم يجب

٢٤- مؤتمر للزعيم غير مثبت تاريخه لكن ربما جرى في ١٩ شباط ١٩٤٥. حيث ان ملاحظات الأميرال دونتز تشر الى المناقشة في هذا التاريخ، انظر مؤتمرات الزعيم البحرية ١٩٤٥ (گِلبرت المرجع السالف يورد مقتبسات هتلر ص١٧٩.

٢٥- مؤتمرات الزعيم البحرية ١٩٤٥ الص ٥٠- ٥١.

٢٦- في الفصل ٧ "النظام الجديد".

ان يحاكموا فوراً ويعدموا رمياً بالرصاص".

وفي ١٢ نيسان أضاف هملر حصته. فأصدر أمراً يقضي بعقوبة الموت على كل قائد أو آمر فشل في المحافظة على بلدة أو مركز مواصلات مهم. وقد نُفذ هذا الأمر قبله في حالة خيبة بعض الآمرين المساكين في واحد من جسور الراين.

في الساعات المتقدمة في مساء يوم ٧ آذار وصل رأس رمح من فرقة الدروع الأمريكية التاسعة المرتفعات المشرفة على بلدة (ريماگن Remagan) على الراين، التي تبعد جنوب گوبلنز Koblenz بمسافة خمسة وعشرين ميلاً. ولدهشة رجال الدبابات الأمريكان وجدوا جسر السكة الحديد (لودندورف) عبر النهر غير معطوب. وبدأ المهندسون يقطعون بأقصى سرعة كل ما وجدوه فيه من أسلاك التخريب، وعجلت حظيرة من المشاة تعبر الجسر. وفيما هي تدنو من الضفة الشرقية صدر دوى انفجار ثم آخر. فإهتز الجسر الاّ أنه ظل واقفاً. طردت قوة صغيرة ألمانية كانت على مبعدة من الضفة. وإطلقت الدبابات تعبره، وبحلول الغسق أنشأ الأمريكان رأس جسرٍ قوي على الضفة الشرقية من الراين. وبهذا عُبر آخر سد طبيعي عظيم في غربي ألمانيا[٢٧].

و بعد أيام قلائل (٢٢ آذار) إستطاع جيش (پاتن) الثالث، بعد إجتياح مثلث (سار - بالاتيناته) بعملية بارعة بالتعاون مع الجيش الفرنسي الأول والجيش الأمريكي السابع، تحقيق عبورٍ آخر للراين بالقرب من اوپنهايم Oppenheiem جنوب ماينز Mainz. وفي ٢٥ آذار بات الأنگلوأمريكان يسيطرون على كل الضفة الغربية منه، وقد عبروه في محلين وأسسوا فيهما رأسي جسرٍ قويين. وخسر هتلر في ستة أسابيع أكثر من ثلث قواته في الغرب. ومعظم أسلحة نصف مليون رجل.

في الساعة ٢,٣٠ بعد نصف ليل ٢٤ آذار جمع مؤتمراً عسكرياً في مقر قيادته ببرلين للنظر فيما ينبغي عمله:

هتلر: أرى أن رأس الجسر الثاني في اوپنهايم ينطوى على أعظم الخطر.

هيڤيل: Hevel [ممثل وزارة الخارجية] أن الراين ليس عريضاً هناك.

هتلر: حوالي مائتين وخمسين متراً. في السد المائي إن نام شخص واحد فقط، أحدث نومه كارثة.

و اراد أن يعلم سيد الحرب الجزء الاعلى هل لايوجد لواء أو شيء من هذا القبيل يمكن إرساله الى هناك. فأجاب أحد المساعدين العسكريين "في الوقت الحالي لايوجد وحدة ميسورة يمكن إرسالها الى اوپنهايم، هنالك خمس مدمرات للدبابات فقط في معسكر (سيني Senne) ستكون مستعدة اليوم أو غداً. وبإمكاننا دفعها الى المعركة خلال الأيام القلائل التالية..."[٢٨].

٢٧- أمر هتلر أن يعدم الضباط الألمان الثمانية الذين يقودون القوات الضعيفة القائمة على حراسة جسر ريماگن Re-magen. حاكموا أمام (المحكمة الفورية الخاصة - للجبهة الغربية) وكان يترأسها جنرال نازي متعصب يدعى هوبنر Huebner.

٢٨- مؤتمر هتلر ٢٣ آذار ١٩٤٥. وهو آخر محضر وصل الينا. اورده بالنص الكامل گلبرت (المرجع السالف الص ١٤١-١٧٤].

في الأيام القلائل التالية! في هذه اللحظة بالذات كان رأس جسر (باتن) قد إتسع فصار عرضه سبعة اميال وعمقه ستة، ودباباته تتجه شرقاً نحو فرانكفورت. إنها لمن سخرية القدر لذلك الجيش الألماني الجبار الذي كانت فيالق دباباته العاتية تصول وتجول في أوروبا في أوائل سني الحرب. أن يجد قائده الأعلى يشغل الفكر (يشحذ) ويستجدي خمس مدمرات دبابات معطلة "لايمكن أن تدفع الى المعركة إلا بعد أيام" ليوقف بها! زحف جيش لجبّ مدرع مندفع بقوة جبارة![٢٩].

ولما عبر الحلفاء نهر الراين في الأسبوع الثالث من آذار، وتهيأ جيش حليف جرار بقيادة (مونتگمري)، مؤلف من البريطانيين والكنديين والأمريكان، لعبور الراين الأدنى والتوغل في السهل الألماني الشمالي والروهر، (وقد فعلوا ذلك في أول ليل ٢٣ آذار). راح هتلر يصب جام إنتقامه على أبناء جلدته بدلاً من العدو. لقد آزروه ودعموه خلال الإنتصارات العظمى في التاريخ الألماني. والآن وفي شتاء الهزيمة لم يعد. يجدهم لائقين بعظمته. فقد قال في خطبة له ألقاها على حكام الأقاليم في آب ١٩٤٤. "إن هُزم الشعب الألماني في الكفاح، فلابُدَّ انه ضعيف جداً: لقد فشل في البرهنة على أصالة معدنه أمام التاريخ، فمصيره الفناء لامحالة"[٣٠].

وصار ينحدر بسرعة إلى السقم البدني وساعد ذلك في تسميم أفكاره. إن الجهد في إدارة الحرب وصدمات الهزائم والحياة غير الصحية التي مارسها في مقرات تحت الأرض الخالية من الهواء والعقاقير السامة التي يتناولها يومياً بإرشادٍ طبيبه الدجال الدكتور موريل هدّت صحته حتى قبل (٢٠) تموز ١٩٤٤. والانفجار مزق النسيج الغشائي لطبلة أذنيهُ مما تسبب عنه نوبات من الدوار. وقد نصحه اطباؤه بعد الانفجار بإجازة طويلة إلا انه رفض، وقال لكايتل " إن تركت پروسيا الشرقية فستسقط. إنها ستظل صامدة طالما أنا هنا".

وفي أيلول ١٩٤٤ سقط فريسة لإنهيار عصبي وحُمل الى الفراش، إلا انه عوفي في تشرين الأول عند دعوته الى برلين. لكنه لم يعد يستطيع السيطرة على حدة مزاجه الفظيع، وكان يستسلم أكثر فأكثر الى الهياج الهستيري بتفاقم أنباء السوء من الجبهات في ١٩٤٥. وكانت هذه النوبات مصحوبةً دائماً بإرتعاش في يديه وقدميه، يعجز عن السيطرة عليه. وقد دون گودريان عدة اوصافٍ له في هذه الفترات. وفي نهاية كانون الثاني عندما بلغ الروس مسافة لاتبعد عن برلين أكثر ميل

٢٩- ان محضر مؤتمر الزعيم المؤرخ ٢٣ آذار هو آخر ما وصلنا من مؤتمراته ويكاد يكون سليماً - من الحريق وهو يعرض صورة جيدة لعقل هتلر المتفزع الخائف وتمسكه بالتفاصيل التافهة في لحظة كانت جدران المستشارية تتصدع وتهوي. فقد ظل يحث ويناقش قرابة ساعة حول إقتراح گوبلز بإستخدام شارع تييركارنن العريض كمدرج لنزول الطائرات. وتكلم حول ثبات البناء الألماني ضد القصف الجوي وضعفه وخصص معظم المؤتمر لكيفية الحصول على المزيد من الجنود. وأثار احد الجنرالية مسألة الفرقة الهندية:
- هتلر: الفرقة الهندية نكتة. هؤلاء جنود لايستطيعون قتل قملة، ويفضلون ان يؤكلوا ولن يقتلوا إنگليزياً. ومن العبث والحماقة ان نضعهم في مواجهة الإنگليز... لو إستخدمنا الجنود لإدارة عجلات الصلاة فهم أجلد الجنود على وجه البسيطة". وهكذا استمرت المناقشة حتى ارفضّ المؤتمر في الساعة ٣,٤٣ صباحاً.

٣٠- إفادة (البرت شپير) في نورمبرگ (محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ١٦ ص٤٩٢).

وعندما بدأ رئيس هيئة الأركان يلح بإخلاء عدة فرق ألمانية قُطع عليها خط الرجعة في منطقة البلطيق – عن طريق البحر. التفت اليه هتلر: و"وقف يواجهني وهو يهز قبضيته بحيث أن أقدم ضباط ركني

الجنرال (تومالي Thomale) الطبيب النفس، شعر بشكل قهري ألاّ مفر له من إمساكي من سترتي وسحبي الى الوراء لئلا أكون ضحية لإعتداء بدني".

و بعدها بأيام قلائل (١٣ شباط) ١٩٤٥ اشتبك الرجلان في خصام عنيف حول الموقف في روسيا، دام كما يقول گودريان زهاء ساعتين.

"وقف الرجل وقبضتاه مرفرعتان ووجتناه محتقنتان غضباً وجسمه يرتعد وقف منتصباً أمامي وقد طار صوابه غيظاً وفقد السيطرة على اعصابه نهائياً. وكان يغدو ويروح فوق السجادة قرب الحافة بعد كل إنفجار. ثم يقف فجأة أمامي ويقذف بتهمته الأخرى في وجهي. كان يزعق في الواقع ولايتحدث وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما وعروقه نافرةُ في صدغيه[٣١]."

في هذه الحالة الفكرية والصحية، أصدر زعيم ألمانيا واحداً من آخر قراراته المشهورة في حياته. أصدر في ١٩ آذار أمراً عاماً بإتلاف كل المنشأت والموجودات العسكرية والصناعية والمواصلات والنقل، فضلاً عن جمبع المخازن في كُل ألمانيا، لئلا تقع في ايدي العدو سليمةً. وتقوم بهذه الإجراءات القوات العسكرية بمعاونة حكام المناطق و" قوميسارية الدفاع"، وكل الأوامر الأخرى التي تخالف هذا الأمر "هي باطلة"[٣٢]. "يجب أن يُجعل من ألمانيا بلقعاً يباباً ينعق في ارجائه البوم. ولن يُترك أي شيء يمكن للشعب الألماني به أن يديموا حياتهم عليه بعد الهزيمة".

كان (البرت شپير) وزير التسليح والإنتاج الحربي الجريء قد توقع صدور مثل هذا الأمر الوحشي إثر مقابلاته السالفة مع هتلر. وفي ٢٥ آذار كتب مذكرة يعارض بشدة مثل هذه الخطوة الاجرامية، ويعود ليذكّر بعبارة قالها وهي ان الحرب قد خُتمت بالهزيمة. وقدمها الى الزعيم شخصياً في ١٨ آذار:

"[كتب شپير] يجب أن يتوقع الجميع إنهيار الإقتصاد الألماني خلال أربعة أسابيع الى الثمانية على أكثر تقدير وينظر اليه كأمرٍ محتومٍ لا مفر منه... وبعد هذا الإنهيار لايمكن للحرب أن تستمر حتى عسكرياً... وعلينا أن نقوم ببذل كل جهدٍ فينا لنحافظ على أولى متطلبات الحياة للأمة الى الأخير وإن كان ذلك بأكثر الطرق بدائية... وليس من حقنا في هذه المرحلة من الحرب أن نجري تخريباً قد يؤثر على حياة الشعب. إن رغب اعداؤنا في سحق هذا الشعب وابادته بعد أن حارب بشجاعة معدومة النظير فليقع هذا العار التاريخي عليهم وليحملوا اوزاره وحدهم. ان واجبنا يقتضي منا ترك كل وسيلة لهذا الشعب لضمان إعادة بناء

٣١- گودريان المرجع السالف الص ٣٤١ و٣٤٣.
٣٢- نص أمر هتلر "موتمرات الزعيم للشؤون البحرية" ١٩٤٥ ص. ٩.

نفسه في المستقبل البعيد... "[٣٣].

لكن هتلر الذي حَلّ يومه وتحتّم، لم يكن مهتماً بإستمرار وجود الشعب الألماني الذي طالما لهج بمحبته له الفائقة كلٍ حدٍ. فقال لشپير:

"إن خسرنا الحرب فالأمة ستفنى أيضاً. وهذا المصير محتومٌ. لا ضرورة هناك تدعو الى الإهتمام بالحد الأدنى الذي يحتاجه الشعب للعيش عيشة في غاية البداوة. بالعكس سيكون من الخير أن ندمر هذه الأشياء بأيدينا، لأن هذه الأمة ستبرهن أنها الأضعف وسوف تكون ملكاً خالصاً للشعب الشرقي الأقوى منها [روسيا]. زد على ذلك أن أولئك الذين يبقون بعد المعركة هم الضعفاء، لأن الاقوياء قتلوا".

و عند ذلك أصدر سيد الحرب الأعلى أمره الدنيء "الأرض المحروقة" في اليوم التالي. وأتبعه في ٢٣ آذار بأمر بربري لايقل عنه شناعة بتوقيع (مارتن بورمان) سكرتير الزعيم. وهو رجل يشبه حيوان الخلد، يحوز الآن مركزاً في (البلاط) لايضاهيه أي من (طواشي) الحاشية النازية. ولقد وصفه (شپير) في إفادته أمام نورمبرگ.

"كان بيان (بورمان) يستهدف جمع السكان كلهم في وسط ألمانيا، من الشرق ومن الغرب. وأن يكون معهم أيضاً العمال الأجانب وأسرى الحرب. هؤلاء الملايين يتقاطرون الى المركز سعياً على الأقدام دون وجود تدابير لإطعامهم ولاستحالة تنفيذ ذلك الأمر نظراً للموقف آنذاك، ستنجم كارثة جوع لايمكن أن يتصورها أحدٌ".

هناك ملاحق عدة لهذين الأمرين اللذين أصدرهما هتلر وبورمان - لو أنها طُبقت لمات ملايين من الألمان الذين كتبت لهم الحياة حتى تلك اللحظة. وحاول (شپير) أن يجمل سياسة الأرض المحروقة في نورمبرگ، فقال "كل المصانع الكبرى، والمعامل، كل محطات توليد الكهرباء الهامة، ومضخات الماء، وتوليد الغاز، ومخازن القوت والألبسة. كل الطرق والجسور وكل السكك الحديد ومنشآت المواصلات وكل الطرق المائية والسفن وعربات النقل والقاطرات والباصات، كلها يتحتم تدميرها".

إن نجاة الشعب الألماني من هذه القارعة الكبرى، كان الفصل فيها (بغض النظر عن زحف جيوش الحلفاء السريع الذي جعل تنفيذ هذا التخريب الهائل مستحيلاً) يعود الى الجهود التي فاقت طاقة البشر، بذلها شپير وعدد من جنرالية الجيش الذين عصوا عصياناً صريحاً (في الأخير!) أوامر هتلر. وراحوا يجوبون البلاد ليتأكدوا أن خطوط المواصلات الحيوية والمصانع والمخازن لن ينسفها ضباط الجيش المتعصبين المطيعين، ورجال الحزب.

٣٣- (شپير): محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ١٦ الص ٤٩٧- ٤٩٨. هذا القسم المتضن مقتبسات عن شپير وهتلر ماخوذة من إفادة اولهما في نورمبرگ بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٤٦ وقص الإفادة في المرجع السالف ذكره والوثائق التي قدمها دفاعاً عن نفسه ذكرت في ج ٤١.

لقد اقتربت نهاية الجيش الألماني الآن.

فيم كانت جيوش المرشال مونتگمري الإنگلو- كندية بعد عبورها الراين الأدنى في آخر أسبوع من آذار، قد اندفعت الى الشمال الشرقي نحو(بريمن) وهامبورگ والبلطيق عند (لوبيك Luebeck)، كان الجيش التاسع الأمريكي بقيادة الجنرال (سمبسون) والجيش الأمريكي الأول بقيادة (هودجز) يزحفان ما وراء (الروهر)، أولهما في مجاله الشمالي وثانيهما الى الجنوب. وفي ١ نيسان إتصلا في ليبشتاد Lippstadt وسقطت مجموعة جيوش الفيلدمارشال (مودل) المؤلفة من (٢١) فرقة [الجيش الخامس عشر والجيش المدرع الخامس] في أشراك خرائب أعظم المناطق الألمانية الصناعية. وظلت صامدة ثمانية عشر يوماً، ثم استسلمت في ١٨ نيسان وتم أسر (٣٢٥٠٠٠) جندي ألماني بينهم ثلاثون جنرالاً. إلا ان مودل لم يكن بينهم فقد فضل أن ينهي حياته بيده على وقوعه في الأسر.

ان تطويق جيوش (مودل) في الروهر فرّق الجبهة الألمانية وفتحها على مصاريعها تاركاً ثغرة عرضها مئتا ميل، تسربت منها فرق الجيشين الأمريكيين التاسع والأول، التي لم تكن تدعو الضرورة إلى إثباتها في الروهر، نحو نهر (إلبه) في قلب ألمانيا. أو فتح الطريق الى برلين ولم يكن بينها وبين الجيشين غير فرق مبعثرة مشتتة. وفي مساء ١١ نيسان وصل رأس رمح الجيش التاسع نهر (إلبه) قرب (ماگدبورگ Magdeburg) بقطعها مسافة ستين ميلاً منذ فجر ذلك اليوم. وفي اليوم الثاني قذف برأس جسر الى ضفته الأخرى. وأصبح الأمريكان على بعد ستين ميلاً من برلين فقط.

و كان هدف آيزنهاور الآن قطع ألمانيا الى جزئين بالإتصال مع الجيش الأحمر بين(ماگدبورگ) و(درسدن) على (إلبه). ومع أنه بات هدفاً للنقد المرير من چرچل والقادة العسكريين البريطانيين لعدم سبقه الروس الى برلين وهو ما كان يستطيعه بكل سهولة. إلاّ ان آيزنهاور وأركانه في قيادة الحلفاء العامة [SHAEFF] كانوا قد حصروا جل إهتمامهم في هذه اللحظة بالزحف الى الجنوب الشرقي - بعد إتصالهم بالروس حتى يستولوا على ما أُطلق عليه (القلعة القومية الجبارة) حيث يعتقد أن هتلر كان يجمع قواته الباقية ليقف وقفته الأخيرة في جبال الألب المنيعة، التي لايمكن إقتحامها في جنوب باڤاريا وغرب النمسا.

كانت "القلعة القومية" طيفاً لا وجود له الاّ في دعاية گوبلز وفي أدمغة آيزنهاور وأركانه الكثيرة التوجس والحذر التي صدقت الأكذوبة وابتلعت الطعم. ففي ١١ أذار انذرت إستخبارات قيادة الحلفاء العامة (SHAEFF) آيزنهاور بأن النازيين يعتدّون قلعةً لاتُقتحم في الجبال. وأن هتلر نفسه سيقود الحصار من مقره في برختسگادن. وتقول تلك الإستخبارات أن السفوح الجليدية "لايمكن إقتحامها فعلاً". وتسترسل:

"هنا، حيث تتولى الطبيعة قسطاً من الدفاع تقوم بالقسط الآخر أسلحة فتاكة سرية لم يخترع مثلها قبلاً. ستبقى القوى التي ظلت حتى الآن تقود ألمانيا لتعيد بناءها مرة أخرى فهنا ستقوم المعامل بإنتاج الأسلحة، تخزن والأطعمة والمعدات. في اماكن لاتنقذ اليها القنابل. بكهوف تحت

الأرض وستُدرب وحدات خاصة من الشبان المختارين على حرب العصابات بحيث يمكن تنظيم جيش كامل تحت الأرض ليوجه الى تحرير ألمانيا من القوات المحتلة(٣٤).

و المرء لايسعه إلا أن يعتقد بأن رجال إستخبارات القائد الأعلى لقوات الحلفاء قد تأثروا بكتابات مؤلفي الروايات البوليسية الأمريكان والإنگليز. وعلى كل حال فقد أُخذت هذه الرواية العجيبة الخيالية مأخذ الجد في مقر القيادة العامة لقوات الحلفاء، حيث كان رئيس أركان آيزنهاور (الجنرال بيدل سميث) Bedell Smith منشغل البال بإحتمال "حرب طويلة الأمد في منطقة جبال الألب" قد تُسفك فيها دماء كثيرة أمريكية ويطيل من أمد الحرب الى أجل غير معلوم(٣٥).



الجنرال جيكوف فاتح برلين

تلك كانت آخر مرة تمكن بها الدكتور گوبلز الواسع الحيلة من التأثير على مجرى الحرب ستراتيجياً بكذبةٍ دعائية. اذ مع أن أدولف هتلر كان قد فكر في مبدأ الأمر أن ينسحب الى الجبال الباڤارية النمساوية، حيث ولد وترعرع وقضى معظم ساعات حياته الخصوصية، والتي يكنّ لها حباً كثيراً وفيها البيت الوحيد الذي يمكن ان يدعيه لنفسه. في أوبرسالبرگ في قمة (برختسگادن) سيقف وقفته الأخيرة. لكنه تردد في ذلك حتى فات الأوان.

في ١٦ نيسان وهو اليوم الذي وصلت قوات الأمريكان (نورمبرگ) مدينة مؤتمرات الحزب النازي العظيمة. انطلقت جيوش (ژوكوف) الحمراء من رؤوس جسورها على (الأودر). وفي عصر يوم ٢١ نيسان، وصلت ضواحي برلين. وكانت ڤيينا قد سقطت في ١٣ نيسان وفي الساعة ٤٠, ٤ من عصر يوم ٢٥، التقت دورية من الفرقة الأمريكية التاسعة والستين بطلائع فرقة الحرس السوڤييتية الثامنة والخمسين في تورگاو Torgaw على نهر الألبة على بعد خمسة وسبعين ميلاً جنوب برلين. وبهذا إنشقّ شمال ألمانيا عن جنوبها، وإنقطع (هتلر) في برلين.

لقد حانت أيام الرايخ الثالث الأخيرة.

٣٤- ملحض الإستخبارات SHAEF ١١ آذار ١٩٤٥. اوردها ويلموت (المرجع السالف ص٦٩٠.

٣٥- كتب الجنرال (عمر برادلي) فيمابعد: "لم تتضح الحقيقة لنا الاّ بعد إنهاء المعارك. حينذاك علمنا ان هذه القلعة المنيعة لم توجد الاّ في أخيلة النازين المتعصبين القليلين، تعاظمت الى أن اصبحت مشروعاً تحفُّ به أضخم المبالغات حتى عرتني الدهشة كيف صدّقناه بمثل هذه السذاجة فعلاً. لكن اسطورة القلعة هذه والأنباء تتواتر عنها - كانت تهديداً خطيراً لايمكن تجاهلة. وقد إحتلت جانباً من تفكيرنا التاكتيكي. أثناء الأسابيع الأخيرة من الحرب [برادلي: قصة جندي ص٥٣٦]. وعلّق الفيلدمارشال كسلرينگ بكل اقتضاب حول الموضوع قال "كتب الكثير حول قلعة الألب وأغلبه هراء"[سجل جندي ص٢٧٦].

الفصل الثاني

آخر أيام الرايخ الثالث
GOETTERDAEMMERUNG

-١-

كان هتلر قد قرر مغادرة برلين في ٢٠ نيسان يوم ميلاده السادس والخمسين الى اوبرسالزبرگ ليدير من هناك آخر معارك الرايخ الثالث الحربية في شعاب جبل (بربروسا) الأسطوري. وكان معظم الوزارات قد نقل دوائره الى الجنوب بشاحنات مملوءة بالأوراق الرسمية وبموظفيها الفزعين اللهفين للخروج من برلين التي دنا اجلها وحتم قضاؤها. وقد أرسل الزعيم نفسه معظم موظفي خاصته وخدمه الى برختسگادن قبل عشرة أيام لتهيئة مغناه الجبلي (برگهوف) إستعداداً لمجيئه.

و كان مقدّراً له الاّ يشاهد مرتعه المحبوب في جبال الألب مرة أخرى، ولاحت النهاية أقرب مما توقع. فالسوڤييت والأمريكان يندفعون بسرعة للقاء على نهر (إلبه). والبريطانيون يدقون أبواب هامبورگ وبريمن ويهددون بقطع ألمانيا عن الدانمرك المحتلة. وفي إيطاليا سقطت مدينة بولونا، والقوات الحليفة بأمرة (الكساندر) تتوغل في سهل (البو). والروس بعد أن احتلوا ڤيينا إندفعوا الى أعالي الدانوب، في حين كان الجيش الثالث الأمريكي ينحدر الى الجنوب منه ليلتقي بهم في لينز مسقط رأس هتلر بالنمسا. والجيش السابع الأمريكي يحاصر (نورمبرگ) حيث كان العمل مستمراً طوال مدة الحرب لبناء نصب تذكاري وستاديوم لتبريز المدينة العتيقة بوصفها عاصمة الحزب النازي. وإنحدر جزء من هذا الجيش إلى مونيخ، حيث كانت ولادة الحركة النازية وصار يُسمع في برلين رعود المدفعية الروسية وهزيمها.

جاء في يوميات الكونت (شڤيرين ڤون كروسيگيك) وزير المالية الخفيف العقل والباحث (الرودسي) السابق الذي هرب الى الشمال لدن سمع أول كلمةٍ عن إقتراب (البولشڤيك) بتاريخ ٢٣ نيسان : "ليس غير رُسُل يعقوب* طول هذا الأسبوع، يبدو أن شعبنا سيواجه أسوء مصير" [١].

* في التوراة. رسل يأتون الى يعقوب لإبلاغه بنبأ فقدان يوسف.

١- يوميات الكونت لوتز شڤيرين ڤون كروسيفك غير المطبوعة. لقد اوردت المقتبسات الهامة في كتابي "نهاية يوميات برلينية الص ١٩٠- ٢٠٥". وقد إقتبس منها ايضاً تريڤور وانيطت به مهمة التحقيق في ظروف مصرع هتلر. وكتابه كان ثمرة مجهوده. وهو كتاب لامع يدين بفضله كل من كتب عن الفصل الأخير من حياة الرايخ الثالث. على أني إعتمدت على مصادر أخرى غيره، وبخاصة الروايات المباشرة لشهود عيان أمثال شپير وكايتل ويودل والجنرال =

كان هتلر قد ترك مقره العام في راشتنبرگ لآخر مرة في ٢٠ تشرين الثاني أثناء ماكان الروس يتقدمون، وقد بقي في برلين الذي لم يزرها إلا نادراً منذ بداية الحرب في الشرق. ثم إستقر منذ كانون الأول في مقر قيادته الغربي في (ريگنزبرگ) بالقرب من (باد ناوهايم Bad Nauheim) ليشرف على مغامرته العظيمة في (الأردين). وعاد بعد فشلها الى برلين في ١٦ كانون الثاني، وظل فيها الى النهاية يقود جيوشه الممزقة من ملجأ تحت البناية المرمرية العظيمة التي تحولت الى انقاض وخرائب بسبب قصف الحلفاء.

كان الإنحلال البدني يسري فيه بسرعة. وقد رآه نقيب في الجيش لأول مرة في شباط وتذكر هيئته فيما بعد:

"... رأسه يهتز قليلاً، وذراعه اليسرى متدلية مرتخية ويده كثيرة الإرتعاش. وثم بريق يومض في عينيه لايمكن وصفه يخلّف تأثيراً مخيفاً غير طبيعي قط. ووجهه وما يحيط بعينيه ينمان عن الإرهاق التام. وكلّ حركاته كانت حركات شيخ طاعن في السن[٢]. ومنذ قنبلة العشرين من تموز التي إستهدفت القضاء عليه وهو يزداد شكاً في كل إنسان حَتى رفاق حزبه القدامى. وقد نفث ما في صدره لواحدة من السكرتيرات في آذار، قال "الكذب يحف بي من كل جانب. لاأستطيع الإعتماد على أحدٍ، وكلهم يخونونني والمسألة كلها تورثني آلاماً... إن حدث شيء لي فستبقى ألمانيا دون قائد، ليس هناك من يخلفني. فهسّ مجنون، وگورنگ فقد عطف الشعب. وهملر لن يقبل به الحزب - فضلاً عن هذا فهو [هملرٌ] صلبٌ ليس فيه مرونة... ألا فكري وقولي لي من سيكون أليق بخلافتي؟[٣].

و لعل المرء يظن أن هذه المسألة في تلك المرحلة من التاريخ انما هي مسألة ثانوية- إلا انها لم تكن كذلك في أرض (الواقواق) النازية. اذ لم يقتصر الزعيم على الإنشغال بها وانما تعداها إلى المرشحين المتقدمين، لإستخلافه كما سنرى بعد قليل.

مع الإنحلال البدني الذي سرى فيه الآن وبالفاجعة التي تتمثل أمامه والروس يتقدمون من برلين والحلفاء يجتاحون الرايخ، فقد ظل هو وقلّة من أتباعه المخلصين جداً وفي طليعتهم (گوبلز) يتشبثون بآمالهم بالنجاة في آخر لحظة بمعجزةٍ.

= كارل كوللر ودونتز وكروسيفك وهانا رايتش والنقيبان گيرهارد بولدت ويواكيم شولتز وإحدى سكرتيرات هتلر. وسائقه الخاص.

٢- النقيب (غرهارد بولدت) في كتابه "في الملجأ مع هتلر" الفصل الأول. كان النقيب بولدت مرافقاً عسكرياً للجنرال گودريان والجنرال كريبس آخر رئيس هيئة أركان حرب ألماني. وقد قضى الأيام الاخيرة في الملجأ.

٣- البرت زوللر Albert Zoller. حياة هتلر الخاصة Hitler Privat الص ٢٠٣- ٢٠٥- حسب طبعة فرنسية بعنوان إثنا عشر عاماً مع هتلر). كان زوللر نقيباً في الجيش الفرنسي. وربط بالجيش السابع الأمريكي كمحقق عسكري. وبحكم منصبه إستجوب واحدة من سكرتيرات أربع لهتلر. وفي ١٩٤٧ تعاون معها على تأليف هذا الكتاب وهو ذكريات عن الزعيم. ولعلها (كريستا شرويدر)، التي خدمت هتلر ككاتبة إختزال منذ ١٩٣٣ الى ماقبل أسبوع من النهاية.

وفي مساء يومٍ جميل من أوائل نيسان جلس گوبلز يقرأ لهتلر من كتاب "تاريخ فردريك الأكبر" تاليف كارلايل Carlyle وهو من أحب كتب هتلر. وكان يتلو الفصل المتعلق بأحلك أيام حرب السنوات السبع. حين وجد الملك العظيم نفسه في أحرج ظرفٍ من حياته وقال لوزرائه إن لم يطرأ على موقفه تحسن حتى ١٥ شباط فإنه سيتخلى عن قصده ويتناول سُماً. هذا الجزء من التاريخ كانت له مناسبته. ولاشك ان گوبلز قرأه باسلوب إلقائه المؤثر:

"[وقرأ گوبلز] أيها الملك المقدام؛ صبراً قليلاً وستنتهي أيام عذابك، فقد اهلّت شمس حظك وباتت تُشفّ من وراء السحب ولن تلبث أن تشرق عليك. وفي ١٢ شباط ماتت القيصرة وهكذا حصلت المعجزة لبيت براندنبرگ المالك."

قال (گوبلز) لكروسيفك الذي ندين ليومياته بهذا المشهد المؤثر، "أن عيني الزعيم إخضلّتا بالدموع"[٤].

وشجعهما هذا على إستحصال دائرتي بروج مما يستخدمه المنجمون لقراءة الطوالع (من مصدر إنگليزي!) إحتفظ بهما (هملر) في أضابيره الخاصة بما لايحصى من "دوائر" أبحاثه. اولها "طالع الزعيم" الذي استخرج له في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ وهو اليوم الذي تولى زمام السلطة والثاني طالع جمهورية ڤايمر، استخرجه منجم غير معروف في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨، وهو يوم ميلاد الجمهورية. وأبلغ (گوبلز) لكروسيفك نتائج إعادة فحص هاتين الوثيقتين العجيبتين.

"لقد وضحت حقيقة مذهلة: فكلا الطالعين يتنبأن بإندلاع الحرب في ١٩٣٩ وبإنتصارات متوالية حتى ١٩٤١ تتلوها سلسلة من الإندحارات. وستقع اهول الضربات في الأشهر الأولى من ١٩٤٥، وبخاصة في النصف الأول من شهر نيسان. وفي النصف الثاني منه سنجابه نجاحاً مؤقتاً ثم سيكون هناك ركود حتى آب وسِلمٌ في الشهر نفسه. وفي الأعوام الثلاثة التالية ستعاني ألمانيا وقتاً عصيباً ولكن ستنهض ثانيةً من كبوتها في ١٩٤٨ فصاعداً"[٥].

و بقوةٍ بثها فيه (كارلايل*) ونبوءة النجوم "العجيبة"، أصدر گوبلز في ٦ نيسان نداءً بليغاً للجيوش المتقهقرة:

"لقد صرح الزعيم أن تغييراً سيطرأ على الوضع في هذه السنة بالذات، وسيواتينا الحظ ثانية. إن ميسم العبقرية الحقيقي هو ضميرها ومعرفتها الأكيدة بالتغيير المقبل. والزعيم يعرف الساعة بالضبط. إن القدر قد ارسل لنا هذا الرجل الذي سيطلق معجزةً في هذا الوقت من وسط النكبة العظيمة الخارجية والباطنية"[٦].

٤- يوميات كروسيفك.

٥- المرجع السالف.

* توماس كارلايل ١٧٩٥-١٨٨١: مؤرخ سكوتلندي وفيلسوف. ربما كان يقرأ له في كتابه [عن الأبطال On Heroes] الذي ألّفه في ١٨٤١.

٦- اقتبسها ويلموت: المرجع السالف ص٦٩٩.

بعد أسبوع لا أكثر، في مساء ١٢ نيسان أقنع گوبلز نفسه بأن "الساعة المضبوطة" للمعجزة قد أزفت وكان يوماً حافلاً بأنباء السوء أيضاً، فقد واصل الأمريكان زحفهم على طريق السيارات العريض الأوتوبان (بين ديساو وبرلين). وسارعت القيادة العليا تصدر أمرها بنسف آخر مصنعي عتاد في الجوار. فلم يعد للجنود الألمان من عتاد إلا ما في أيديهم. وقضى گوبلز يومه هذا في مقر قيادة الجنرال (بوسه) على جبهة (الأودر) في كوشترين Kuestrin. حيث أكد له هذا القائد ان الروس لايقوون على خرق الجبهة وسيصمد في مواضعه حتى "يأتيه الإنگليز من خلفٍ فيرفسوه في عجزه". ولقد نقل گوبلز كلامه هذا الى (كروسفيك) في اليوم التالي.

"[ذكر گوبلز] في المساء انطلقنا الى مقر القيادة." بانياً تعاليله على منطق من التاريخ والعدالة، فاستنتج أن الأمور يجب ان تتصلح. كما اصلحتها معجزة في حرب السنوات السبع لبيت (برانديز) وهنا سأله أحد الضباط: "و أيّ قيصرة ستموت هذه المرة؟" فأجاب گوبلز انه لايدري لكن "الأيام حبالي يلدن كل الأعاجيب".

عندما آب وزير الدعاية الى برلين في ساعٍ متأخر من الليل وجد جوف برلين كتلة نار ملتهبة إثر غارة أخرى لسلاح الجو البريطاني. لقد شب الحريق في بقية دار المستشارية وفندق (آلدون) في نهاية ڤلهلمشتراسه. وإستقبل السكرتير وزير دعايته عند درج الوزارة بنبأ عاجل: "لقد توفي روزفلت!". فأشرق وجه الوزير بنور فاق النار المندلع من دار المستشارية في الجانب المقابل من (ڤلهلمسپلاتز) وهتف يقول: "هاتوا أحسن الشمپانيا وصلوني بتلفون الزعيم!".

كان هتلر في ملجأه العميق من الجانب الآخر للشارع، بعيداً عن تأثير القصف، فقبض السماعة وقال: "أهنئك يا زعيمي لقد قضى روزفلت نحبه! إنه مكتوب في النجوم أن يكون أواسط نيسان نقطة تحول في حظوظنا! وهذا يوم الجمعة الثالث عشر من نيسان [كانت الساعة تشير الى مابعد نصف الليل] تلك هي نقطة التحول!!"

لم يرد شيء عن الأثر الذي احدثه هذا النبأ في هتلر. ويمكننا مع هذا تقديره على أساس التشجيع الذي استمده من (كارلايل) وطوالع النجوم. على ان گوبلز كان على حَد قول وكيل وزارته "في أقصى درجات الغبطة!"(٧).

كذلك كان (الكونت شڤيرين ڤون كروسيگك) الساذج عندما خابره وكيل وزارة گوبلز وأنهى اليه وفاة روزفلت. فقد هتف يقول – في يومياته الأمينة! (على الأقل):

"ذلكم هو ملاك التاريخ! شعرنا بجنحيه يرفّان في اجواء الغرفة. أليست هذه دورة الحظ التي طال بنا إنتظارها بشوق؟".

٧- تريڤور روپر المرجع السالف ص١٠٠. الرواية رويتها السيدة اينكه هابرزتيل Inge Haberzettel إحدى سكرتيرات گوبلز.

وفي صباح اليوم التالي قدم (كروسيگك) "تهانئه" لگوبلز بهذه المناسبة، وأكدها في يومياته معتزاً. وكأن ذلك لم يكفه، فأتبعه برسالة أشاد فيها بأثر موت روزفلت قائلاً "انه القدر الالهي وعطية الرب!".

في هذا الجو الشبيه بما يسود دار المجاذيب، وبهذه الحالة التي سادت عقول وزراء دولة طال بهم الشوط في تصريفهم شؤون الحكم وثقّفتهم جامعات أوروپا العتيقة، أمثال (گوبلز وكروسيگك) يتشبثون بقراءة طوالع النجوم! ويغتبطون وسط لهيب العاصمة المحترقة - بموت الرئيس الأمريكي، ويعتبرون ذلك إشارة الى أن الإله القدير سيخف الى إنتشال الرايخ الثالث من الكارثة الوشيكة، بهذا كانت برلين منصة آخر مشهد تمثيلي من فصول المأساة حتى إسدال الستار.

وصلت (إيڤا براون) الى برلين في ١٥ نيسان لتنضم الى هتلر. وقليل جداً من الألمان من لحظ وجود هذه المرأة واقلّ من هؤلاء من علم بعلاقتها مع أدولف هتلر. ظلت محظية له أكثر من إثنتي عشرة سنة. وقد جاءت الآن في هذا الشهر "لإتمام مراسيم زفافها وجنازها" على حَد قول تريڤور روپر.

و أهميتها هنا لاتأتي من شخصيتها، بل للدور الذي أسند اليها في آخر فصل من هذه الملحمة. إنها لم تكن كالمركيزة دي پومپادور أو لولا مونتيز Lola Montez[٨].

فمع أن هتلر كان شديد الكلف بها يجد الراحة في عشرتها غير الفضولية، إلاّ أنه حرص على ابقائها خلف الستار. ورفض أن يسمح لها بالمجيء الى مقرات قياداته المختلفة، حيث كان يقضي كل أوقاته تقريباً في سني الحرب. وأبى أن يأذن لها بالقدوم الى برلين إلا نادراً. وبقيت مستورة في (برگهوف) بأوبرسالزبرگ تقضي يومها في السباحة والتزلج على الثلج ومطالعة القصص الرخيصة ورؤية الأفلام التافهة والرقص رغم إعتراض هتلر عليه. والتفرغ الى العناية الطويلة بجسدها وهندامها تتقطع حسرات لبعد حبيبها وقال عنها (إيريخ كمپكا Erich Kempka) سائق هتلر الخاص "كانت أتعس فتاةٍ في ألمانيا. قضت معظم حياتها تنتظر هتلر"[٩].

ووصف الفيلدمارشال كايتل شكلها عند إستجوابه في نورمبرگ:

> "نحيفة رشيقة فاتنة جميلة الساقين لايسع المرء أن يغفل ملاحظة ذلك. متحفظة منطوية على نفسها. ذات شخصية جذابة جداً جداً، شقراء غامقة تقف بعيدة جداً خلف الستار والمرء لايراها الاّ نادراً".[١٠]

كان أبواها من الطبقة الوسطى الدنيا في باڤاريا. وفي أول الأمر إعترضا إعتراضاً شديداً على

٨- قال شپير لتريڤور روپر "إن إيڤا براون ستكون مصدر خيبة عظيمة عند كتّاب التاريخ" وعقّب المؤرخ نفسه على العبارة مكمّلاً "... ولقراء التاريخ كذلك" [تريڤور روپر: آخر أيام هتلر ص٩٢].

٩- مايكل.أ. موسمانو Michael .A. Musmanno (عشرة أيام قبل الموت) ص٩٢. كان القاضي موسمانو أثناء الحرب ضابطاً بحرياً تابعاً للإستخبارات الأمريكية. وقد تولى بشخصه إستجواب الأحياء الذين كانوا برفقة هتلر في آخريات أيامه.

١٠- إستجواب الفيلدمارشال كايتل: [مؤامرة النازيين وعدوانهم الملحق ب- ص١٢٩٤.



إيڤا براون

علاقتها بهتلر غير الشرعية، ولم يؤثر فيهما كونه سيد البلاد وزعيمها الأوحد. وكانت هي موظفة في دكان تصوير (هاينبرگ هوفمان) مصور هتلر الخاص في مونيخ، وهو الذي عرّفها بهتلر. حدث ذلك بعد مرور سنة أو إثنتين على إنتحار (گيلي راوبال) بنت اخته التي كانت حبّه الجدي الوحيد في كل حياته. ويظهر أن ساعات يأس إنتابت (ايڤا براون) أيضاً كما إنتابت (گيلي) من قبلها وبسبب من عشيقها، وإن لم يكن للعلل نفسها... وضعت (إيڤا) في أحد اجنحة قصر هتلر في جبال الألب، فلم تتحمل مرارة الفرقة والبعد عنه وحاولت في أول علاقتهما ان تقتل نفسها مرتين. إلا أنها تطبعت وإستسلمت ثم رضخت لحكم هذا الدور الخائب المبهم الذي لايعترف بها حليلةً أو خليلة. وقنعت ان تبقى هي العِشرة النسائية الوحيدة لهذا الشخص العظيم معتصرة من افاويق الهناء ما يمكن إعتصاره في إجتماعاتهما القليلة القصيرة. ها هي الآن وقد حزمت أمرها على مشاركة حبيبها ومولاها مصيره الأخير، كما إنتهى اليه گوبلز وزوجه. إذ لم يكن لديها أيّ رغبةٍ في أن تعيش في ألمانيا خالية من أدولف هتلر. وأسرّت الى (هانّا رايتش Hanna Reitsch) الطيّارة الخبيرة الألمانية ذات الشهرة الطائرة. وكانت في الملجأ قبل النهاية بساعات(١١).

قالت لها: "العيش لا طعم له بعد الآن في فم الألماني الحقيقي". ومع ان عقلها كان صغيراً لايزيد عن عقل طير، ومع أنها لم تخلّف في هتلر أيّ أثرٍ فكري مهما قلّ (ربما كان هذا من أسباب استصفائه لها وايثاره رفقتها على رفقة المرأة الذكية) فالواضح أن أثره فيها كان كاملاً مثلما كان تأثيره على غيرها من الناس.

١١- (مؤامرة النازيين وعدوانهم) ج ٥ ص٥٦١ [الوثائق- ٣٧٣٤ P S]. وهي مجمل مسهب للإستجواب الذي قام به الجيش الأمريكي (لآنا رايتش) حول آخر أيام الملجأ. رجعت (رايتش) بعدئذ عن أقسام من إفادتها، الاّ أنها سلطات الجيش تأكدت من صحة أقوالها رغم نفيها إياها في إفادتها المؤرخة ٨ تشرين الثاني ١٩٤٥. ومع أنها عصبية جداً، فإن روايتها عن أيام هتلر الأخيرة قيّمة جداً بعد ان قورنت بشهادات الآخرين.

- ٢ -

آخر قرارات هتلر الكبيرة

مرت ذكرى ميلاد هتلر (٢٠ نيسان) بهدوء وكان يوماً حافلاً بالنوازل وأنباء السوء من جبهات القتال التي سارعت تتهاوى وتتمزق على ما دوّن الجنرال كارل كوللر Karl Koller رئيس هيئة أركان القوة الجوية في يومياته. وكان في الحفلة التي جرت بهذه المناسبة داخل الملجأ كل الحرس النازي القديم: أعني گورنگ وگوبلز وهملر وريبنتروب وبورمان ويودل وكريبس Krebs، وهو آخر من عُيّن لمنصب رئيس هيئة أركان الجيش الألماني. فقدموا لهتلر تهانئهم بعيد الميلاد.

ولم يكن في أدنى درجات الغم والكآبة رغم إسوداد الموقف، فهو كما قال لجنراليته قبل ثلاثة أيام ما زال واثقاً ان السوڤييت "سيمنون أمام برلين بأشنع إندحارٍ مُنوا به". إلا ان الجنرالية كانوا أعلم منه بالموقف وألحّوا عليه في المؤتمر الحربي الذي عقد بعد حفلة عيد ميلاده ان يترك برلين الى الجنوب. واوضحوا له ان الجيش الأحمر سيسدّ خلال يومٍ أو إثنين آخر منفذ للنجاة الى الجنوب. فتردد ولم يجب بنعم أو لا. ويبدو أنه لم يستطع مواجهة الواقع الذي هو بمرارة العلقم. واقع إستيلاء الحُمر على عاصمة الرايخ الثالث - بعد ان أعلن قبل أعوام أن جيوشهم أُبيدت أو هي في حكم المبادة. ووافق نزولاً على رأي الجنرالية على إستحداث قيادتين منفصلتين في حال قيام الروس والأمريكان بتحقيق إتصال جيوشهما على (إلبه) وعيّن (دونتز) قائداً عاماً للشمال، ورشح (كسلرينگ) لقيادة الجنوب - ولم يقطع برأي في هذا التعيين.

وفي تلك الليلة جرت هجرة عمومية من برلين. فقد خرج إثنان من اقدم أعوان هتلر واخلصهم. خرج هملر، وعلى إثره رحل گورنگ في قافلة من السيارات مُلئت لورياتها بالمنهوبات التي تجمعت له في قصره بضيعة (كارينهال)، هذان القطبان النازيان تركا برلين وكل منهما واثق بانه سيكون خلفاً لقائده المحبوب الذي يوشك ان يقضي نحبه ولم يقع نظرها عليه مرة أخرى. كذلك ريبنتروب الذي إنسل أيضاً الى مواضع أكثر أمنا في ساعٍ متأخر من الليل.

لكن اليأس لم يتطرق الى هتلر بعد. وفي اليوم الثاني أمر بهجوم عامٍ معاكس على الجيش الأحمر الذي وصل ضواحي العاصمة الجنوبية، وقاد الهجوم جنرال الإس. إس ڤيلكس شتاينر Felix Steiner. وقذف في المعركة بكل جندي تيسر جمعه في برلين وبضمنهم جنود من سلاح الجو الأرضيين.

وأهاب هتلر بالجنرال (كوللر) الذي مكث لتمثيل القوة الجوية في القيادة "كل آمر لايدفع رجاله الى الهجوم سيكون ميتاً خلال خمس ساعات. وستضمن انت هذا برأسك، وتتأكد بأن آخر جندي

سيقذف في الهجوم(١٢).

بقي طوال اليوم حتى ساعة متأخرة من اليوم التالي ينتظر بفروغ صبر أنباء هجوم (شتاينر) المعاكس. وكان مثلاً آخر على إنقطاع كل صلة له بالواقع. لم يكن ثمّ هجوم معاكس يقوده (شتاينر) ولم تبذل اية محاولة في سبيله لم يكن له وجود إلا في مخيلة الدكتاتور اليائس المحمومة. ولما أُرغم بالأخير على إدراك هذه الحقيقة ثار الإعصار به.

أقبل الثاني والعشرون من نيسان بآخر نقطة تحول في طريق هتلر الى الدمار. فقد ظل منذ الصباح الباكر حتى الثالثة عصراً منقطعاً الى جهاز التلفون كما كان قبله بيوم يحاول الإتصال بمختلف مراكز القيادات ليعلم ما آل هجوم اليه (شتاينر) المعاكس، ولم يدر أحد اين يقع ذلك الهجوم ولم تفلح طائرات الجنرال (كوللر) في إثباته ولا قادة البر أيضاً، وإن كان المفروض شنّه على بعد ميلين أو ثلاثة جنوب العاصمة. وضاع كل المحاولات في العثور على شتاينر نفسه (وإن كان موجوداً) فأين هو جيشه؟

وانفجر هتلر في المؤتمر العسكري اليومي الذي عقده في الساعة الثالثة ظهراً. طلب غاضباً أنباءً عن (شتاينر)، فلم يدر كايتل أو يودل أو سواهما بما يجيب، إلا أنهم كانوا مملوئي الوطاب بأنباء أخرى. قالوا إن سحب القوات من شمال برلين لمعاونة (شتاينر) قد اضعف الجبهة حتى تمكن الروس من اقتحامها ودباباتهم الآن تدخل المدينة.

فكان هذا أكثر مما يتحمله سيد الحرب. وشهد كل الحاضرين الأحياء أنه فقد السيطرة على نفسه نهائياً ودهته أشد نوبة هياج في حياته. تلك هي النهاية! صرخ باعلى صوته: لقد تركه الجميع وتخلوا عنه، وليس هناك غير الخيانة والأكاذيب والتحلل والفساد والجبن. لقد إنتهى كل شيء...، لا بأس، سيبقى في برلين وسيشرف شخصياً على الأمور لحماية عاصمة الرايخ الثالث، وللآخرين ان يتركوه إن شاؤوا. سيلقى نهايته في هذا المكان.

فاحتج الآخرون وقالوا: ما زال يوجد أمل، ولو إنسحب الى الجنوب حيث مجموعة جيوش الفيلدمارشال (فرديناد شوبنر) في چيكوسلوڤاكيا سليمة وتلفن كل من دونتز الذي رحل الى الشمال ليتولى القيادة، وهملر الذي إنسل بعيداً ليلعب لعبته الخاصة كما سنرى. وطلبا منه البقاء في برلين. حتى ريبنتروب فقد اتصل به ليقول أنه "سيضرب ضربة دبلوماسية موفقة" من شأنها ان تنقذ كل شيء. لكن هتلر فقد كل ثقة بهم ولم يستثنِ من هذا (بسماركه الثاني) وهو اللقب الذي خلعه على وزير خارجيته في ساعة من ساعات الدعابة. قال للجميع انه اتخذ قراره، ولكيما يثبت عزمه النهائي استدعى سكرتيرةً وأملى عليها بحضورهم بيانا ليذاع من الراديو فوراً جاء فيه "ان الزعيم قرر البقاء في برلين والدفاع عنها حتى النفس الأخير".

١٢- الجنرال كارل كوللر: آخر دقيقة Derletzte Monant ص٢٣. وهذه هي اليوميات التي تشمل فترة ١٤ نيسان - ٢٧ أيار ١٩٤٥ قيمة بخصوص أيام الرايخ الأخيرة.

ثم بعث يطلب گوبلز ودعاه هو وزوجه وأولاده الستة الصغار للإنتقال الى ملجأه من منزلهما الذي يقع في حديقة ڤلهملشتراسه بعد أن اصابه القصف بضررٍ كبير. كان يعلم أن تابعه الشديد التعلق به سيبقى هو وأسرته الى جانبه حتى النهاية. ثم إنصرف الى أوراقه الخاصة وعزل منها ما ينوى إحراقه وسلّمه الى (يوليوس شاوب Julius Schaub) أحد مرافقيه فأخذها الى الحديقة وأتلفها.

وفي مساء ذلك اليوم قابل كايتل ويودل وأمرهما بالرحيل الى الجنوب لتولي القيادة المباشرة لما تبقى من القوات المسلحة، وخلّف الجنرالان اللذان لم يتركا هتلر طول الحرب وصفاً دقيقاً لوداعهما الاخير مع القائد الأعلى(١٣).

عندما إحتج كايتل قائلاً أنه لن يترك الملجأ بدون الزعيم، أجابه هتلر "عليك ان تطيع أمري". فلم يقل كايتل شيئاً. وهو الذي لم يتمرد قط على أمرٍ من الزعيم طوال حياته تلك، التي كانت تأمره بإرتكاب أشنع جرائم الحرب. لكن يودل الأقل خنوعاً حاول أكثر منه. فمع تعصبه المخلص للزعيم وخدمته الممتازة له. مازال محافظاً على بعض التقاليد العسكرية وشاعراً بها. فرأى ان القائد الأعلى بهذا الأمر، انما يتخلى عن قيادة جيوشه ويتملص من المسؤولية ويدفعها اليهما وقت الكارثة، فقال له: "انك لاتستطيع ان تشرف على قيادة ما من هنا. وكيف يمكنك إدارة شيء إن لم يكن معك ضباط قيادتك؟".

فاجاب هتلر: "حسن اذن فليتسلم گورنگ القيادة من هناك".

و اشار أحدهم أن جندياً واحداً لن يحارب بإمرة مارشال الرايخ. فقاطعه هتلر "ماذا تعني؟ أقتال؟ لم يبق في القتال جدوى إلا اليسير!". حتى القائد المجنون أصبح يدري ان ميزان الحرب قد إختل تماماً وإن الالهة راحت تنير له سبيل عقله في هذه الأيام الأخيرة من حياته الشبيهة بالكابوس.

وترددت في ٢٢ نيسان أصداء انفجارات هتلر المنبعثة من قراره النهائي حول بقائه في برلين. ووصلت الى هملر أولى هذه الأنباء عن طريق ضابط إرتباطه في مقر هتلر (هرمان فيگيلاين Hermann Fegelein، فصاح يقول لأتباعه من حوله: "الكل مجانين في برلين فماذا عساي أفعل؟". كان هملر في هوهنليشن Hohenlychen الى الشمال الغربي من برلين.

فردّ مساعد هملر الأول جنرال الإس. إس. گوتلوب برگر Gottlor Berger رئيس دائرة الحرس الأسود "لا سبيل الاّ لذهابك إلى برلين حالاً". كان گوتلوب أحد الألمان السذّج الرقعاء الذين آمنوا بالقومية الإشتراكية إيماناً مخلصاً ولم يكن لديه أيّ فكرة حول قيام رئيسه المحترم هملر بناء على إلحاح جنرال الإس. إس ڤالتر شللنبرگ بتحقيق إتصالٍ شخصي بالكونت فولكه برنادوت Folke Bernadotte السويدي الجنسية حول إستسلام جيوش الألمان في الغرب. وقال گوتلوب لهملر "سأذهب أنا الى برلين

١٣- كايتل في إستجوابه بنورمبرگ "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ملحق ب الص ١٢٧٥- ١٢٧٩. أما رواية يودل فقد قصّها على الجنرال (كوللر) الذي قام بتدوينها في الليلة نفسها في يومياته (٢٢- ٢٣ نيسان) انظر كوللر: المرجع السالف الص ٣٠- ٣٢.

ومن واجبك أن تذهب انت أيضاً".

و رحل (برگر) الى برلين تلك الليلة وكانت زورته تستحق التسجيل هنا بسبب الوصف المهم المبدئي لأحوال هتلر عشية إتخاذ قراره الكبير. كانت القنابل الروسية تنفلق بالقرب من المستشارية عند وصوله، واصيب بصدمة نفسية عنيفة حين وجد زعيمهُ "شخصاً محطماً، منتهياً". وأعرب له عن تقديره لقرار بقائه في برلين "اذ لايمكن ترك الشعب بعد ثباته بإخلاص طوال هذه المدة". وأثّر تعليقه هذا في الزعيم. تأثيراً كبيراً. وروى يقول:

"لم يحر الزعيم ببنت شفة طول الوقت. ثم صاح فجأة: لقد خدعني الكل! لم يصارحني أحدٌ بالحقيقة. القوات المسلحة كذبت عليّ! ولاح لي أنه سيصاب بإنفجار دماغي في أيّ لحظة".

كان (برگر) يتولى الإشراف على إدارة أسرى الحرب، فلما هدأ هتلر راحا يبحثان في مصائر الأسرى البارزين من الفرنسيين والأمريكان والبريطانيين فضلاً عن المعتقلين الألمان أمثال هالدر وشاخت والمستشار النمساوي السابق شنوشنك، الذين نُقلوا الى الجنوب لإبقائهم بعيداً عن الأمريكان الزاحفين داخل ألمانيا. ورُسم ان يسافر گوتلوب الى باڤاريا بالطائرة في ذلك اليوم ليتولى أمرهم. وتكلم الرجلان ايضاً عن وقوع فتن في النمسا وباڤاريا مطالبة بالإنفصال. إن فكرة إحتمال قيام ثورة في وطنه النمسا ووطنه المتبنى الآخر باڤاريا مرة ثانية أثارت اعصابه:

"[قال برگر] كانت يده ترتعش ورجله تهتز ورأسه يميل مترنحاً ذات اليمين وذات الشمال وكل ما خرج من فمه هذه العبارة: اقتلهم كلهم، اقتلهم كلهم"(١٤).

ولم يكن الأمر واضحاً لبرگر هل الأمر قاصر على الإنفصاليين أم يشمل الأسرى البارزين. ويظهر لهذا الرجل الغبي انه قصد الجميع.

-٣-

"گورنگ وهملر" يحاولان الإستيلاء على السلطة

ظل الجنرال (كوللر) بعيداً عن مؤتمر الزعيم الحربي في ٢٢ نيسان، وكان لديه مهمة الإشراف على سلاح الجو. وفضلاً عن هذا أنه لم يكن "يتحمل ان تصب عليه الاهانات طول اليوم" كما ذكر في يومياته. اتصل به ضابط إرتباطه في الملجأ الجنرال ايكارد كريستيان Eckard Christian بالتلفون في الساعة ١٥, ٦ مساءً وقال له بصوت لاهث متقطع الأنفاس "احداث تاريخية. أخطر احداث الحرب تجري هنا!" وبعد ساعتين كان كريستيان في مقر قيادة سلاح الجو في فيلد پاركڤردر Wild Parkwerdwe بضواحي برلين، يقول (كوللر) "استسلم الزعيم لمصيره!". ولهث وبلع ريقه وكان نازياً متحمساً تزوج

١٤- أنظر كوللر المرجع السالف الص ١٢٤ و١٢٦- ١٢٧. ويثبت الكاتب (برگر) ويقول "انه اخذها ببعض نحفظ".

واحدة من سكرتيرات هتلر. وبعد ان قال أن الزعيم قرر مواجهة النهاية في برلين وهو يحرق أوراقه، إرتج عليه وراح يهذي بكلام غير مفهوم حتى إضطر جنرال الجو الى الخروج والإتصال بالجنرال (يودل) رغم شدة القصف البريطاني الذي بدأ قبل قليل. للتأكد من حقيقة ما حصل في الملجأ.

وفي (كرامبنتز) بين برلين وپوتسدام حيث أقامت هيئة القيادة العليا مقرها بلا زعيم - أخبر يودل صديقه العزيز بكل القصة الاليمة. وكشف له ايضاً عن شيء لم يذكره أحد لكوللر من قبل كان سيؤدي الى مشاحنة كبيرة خلال اليومين التاليين المرعبين: قال يودل لكوللر: ان هتلر أسرّ له ولكايتل بما يلي" عندما تؤول الاحوال الى المفاوضات [للهدنة] فبإمكان گورنگ أن يحقق في هذا الصدد ما لا احققه أنا. گورنگ يفضلني في هذه المسائل. هو مفاوض جيد مع الجانب الآخر"[١٥].

ووجد رئيس أركان السلاح الجوي أن واجبه يقضي بالطيران الى گورنگ وإن كان التحليق في الجو صعباً وخطيراً بسبب أرصاد العدو وأصعب منه محاولة تفسير التطورات له في رسالة بالراديو. إن كان گورنگ سيتولى أمر المفاوضات كما إقترح الزعيم (وهو الخلف الرسمي له منذ زمن طويل)، فليس ثمّ ما يمكن إضاعته من الوقت ووافق يودل على هذا. وفي الساعة ٣,٣٠ من صبيحة ٢٣ نيسان حلق (كوللر) بطائرة مقاتلة الى مونيخ. ووصل اوبرسالزبرگ ظهراً ونفض ما في جعبته لمرشال الرايخ. ووجد گورنگ الدائم التطلع الى إستخلاف هتلر (إن وصفناها بشكل خفيف) أكثر حذراً مما يُنتظر منه في هذا الموقف - والسبب يعود الى مكائد "عدوه اللدود" بورمان. وكان لهذا الحذر ما يبرره كما سيتضح فيما بعد. وراح گورنگ يحك رأسه ليجد سبيلاً الى الخروج من المأزق، وقال لمشاوريه: "إن بدأت العمل الآن فسأوصم بالخيانة. وإن بقيت عاطلاً سأُتهم بالعجز في ساعة الضيق".

وأرسل يستقدم (هانس لاميرس) سكرتير الدولة لشؤون المستشارية الذي كان في برختسگادن ملتمساً منه النصيحة الشرعية. واخرج من خزانته أيضاً نسخة من"مرسوم الزعيم المؤرخ في ٢٩ حزيران ١٩٤١ وكان المرسوم واضحاً وهو يقضي بأن ينصب گورنگ خلفاً لهتلر عند موته أو عندما يطرأ عليه ما يحول دون قيامه بمهام وظيفته" فيكون گورنگ اذذاك نائباً له يزاول كل صلاحياته. واتفق الجميع أن بقاءه في برلين واعتزامه الموت، معناه انقطاعه عن ممارسة كل القيادات العسكرية والوظائف المدنية وعجزه عن الحكم، فيكون واجب گورنگ بمقتضى المرسوم تسلم مقاليد الحكم.

مع هذا كله ارسل مارشال الرايخ برقية لهتلر اختار الفاظها بكل دقة، وقصد منها أن يتاكد من تفويضه السلطة:

ايها الزعيم!

"بالنظر الى قرارك البقاء في قلعة برلين، فهل توافق على ان أتسلم حالاً زمام الزعامة التامة في الرايخ وحرية العمل الكاملة داخل الوطن وخارجه كنائب لك بموجب المرسوم الذي شرعته

١٥- يتذكر كايتل الملاحظة في إستجوابه المرجع السالف ص١٢٧٧. أما رواية يودل فهي من يوميات كوللر: المرجع السالف ص٣١.

في ٢٩ حزيران ١٩٤١؟ إن لم اتسلم جواباً منك حتى الساعة العاشرة من ليلتنا هذه، فسأكون واثقاً انك فقدت حرية العمل وسأعد الشروط الواردة في المرسوم متحققة، وعندئذ سأعمل ماهو افضل لمصالح بلادنا وشعبنا وانت تعلم مشاعري إزاءك في أخطر ساعة من ساعات حياتي. إن الكلمات لإتساعفني للإعراب عما يكنه فؤادي، ألا فليحفظك الله وليعجل بإعادتك الينا هنا رغم كل شيء.   المخلص لك هرمان گورنگ

في هذا المساء وعلى بعد مئات الأميال كان (هملر) مجتمعاً بالكونت برنادوت في قنصلية السويد بمدينة (لوبيك) على البلطيق. "هملر المخلص الأمين" كما يلقبه هتلر، لم يكن يطلب لنفسه صلاحيات زعيمه، لكنه يمارسها الآن فعلاً. قال للكونت السويدي: إن حياة الزعيم العظيمة تكاد تصل الى نهايتها، وبعد يوم أو إثنين سيكون في عداد الموتى". لذلك طلب من برنادت ان يبلغ الجنرال آيزنهاور حالاً برغبة ألمانيا في الإستسلام للغرب. واضاف يقول "أما في الشرق فالحرب ستستمر حتى يصل الحلفاء الى جبهتنا أمام روسيا ويتولوها بأنفسهم – تلك هي سذاجة رئيس الإس. إس، أو غباوته أو كلاهما معاً. وهو الآن يدّعي لنفسه بدكتاتورية الرايخ الثالث!!

و طلب منه (برنادوت) ان يكتب طلب الإستسلام بيده، فأسرع يخطه على ضوء شمعة (لأن القصف البريطاني في تلك الليلة عطل القوة الكهربائية في لوبيك) في سرداب ارضي، ثم وقعه[١٦].

كان گورنگ وهملر مستعجلين. وتبيّن لهما ذلك حالاً. فمع إن هتلر كان منقطعاً عن كل قياداته خلا صلة الراديو الضعيفة الأثر (أتم السوفييت تطويقهم للعاصمة تقريباً في مساء ٢٣ نيسان) إلاّ انه أراد ان يثبت انه مازال يحكم ألمانيا بشخصيته وسمعته فقط وإنه قادر على قمع "الخيانة" وإن صدرت من أكبر أشياعه وأشهرهم بكلمة واحدة من جهازه اللاسلكي المقلقل المعلق ببالون فوق الملجأ.

وصف أثر برقية گورنگ في هتلر كل من (ألبرت شپير) وسيدة معروفة شاهدة عيان سنأتي الى وصف مجيئها الخيالي الى برلين في آخر فصول مأساة هتلر. كان (شپير) قد جاء بالطائرة الى العاصمة المطوقة في ليلة ٢٣ نيسان فهبط بطائرته الإستكشافية الصغيرة في النهاية الشرقية لشارع (المحور الشرقي- الغربي) العريض المؤدي الى (تيركارتن) في باب (براندنبرگ) لايفصله عن المستشارية غير مجموعة بنايات واحدة. علم (شپير) ان هتلر قرر البقاء في برلين الى النهاية الوشيكة. فجاء لتوديع الزعيم الوداع الأخير وليعترف له إن "صراعه بين الولاء الشخصي له والواجب الوطني" ارغمه على عدم تنفيذ "حرق الرزع والضرع". وكان متأكداً بأنه سيعتقل بتهمة الخيانة وربما قتل رمياً بالرصاص.

لاشك وإن هتلر كان سيفعل ذلك بلا تردد لو علم بمجهودات شبير قبل شهرين في محاولة إغتياله هو وكل من نجا من قنبلة (شتاوفنبرگ). فلقد أدرك المهندس اللامع (أخيراً جداً) مثل بعض الألمان

١٦- برناردوت "الستار ينسدل ص١١٤"، شللنبرگ المرجع السالف الص ٣٩٩- ٤٠٠. وكلاهما يتفق في النقاط الرئيسة حول روايتهما للإجتماع.

الآخرين ان زعيمه المحبوب صمم عن طريق مراسيم "حرق الزرع والضرع" على إبادة الشعب الألماني فقرر قتله. وكانت خطته أن يقذف غازاً ساماً في فتحة تهوية ملجأ هتلر في برلين أثناء إنعقاد مؤتمر عسكري كامل. حيث سيكون مع الجنرالية كل من هملر وگورنگ وگوبلز. وكان (شپير) يأمل أن يمحو كل الزعامة النازية للرايخ الثالث والقيادة العليا معهم. فحصل على غازه السام وقام بفحص جهاز التهوية، ويقول أنه اكتشف ان أنبوب سحب الهواء الى الداخل في الحديقة محمي بمدخنة طولها اثنتا عشرة قدماً بنيت في وقت متأخر بأمر من هتلر ليحول دون تخريب أو إغتيال. فإستحال عليه قذف غازه لأن حرس الـ(إس. إس) في الحديقة كان سيقبض عليه بالجرم المشهود، فتخلى عن مشروعه ونجا هتلر من محاولة إغتيال ثانية.

في مساء ٢٣ نيسان إعترف (شپير) اعترافاً كاملاً بتمرده على تنفيذ الأمر الشنيع القاضي بتدمير ما تبقى من المنشآت العامة في ألمانيا. ودهش حين وجد هتلر غير غاضب عليه ولا متأثر. ربما أثرت فيه صراحة صديقه الشاب وشجاعته. [كان في حدود الأربعين] وكان يخصه بعطف منذ امدٍ طويلٍ ويسميه (زميل الفن). وبدا هتلر تلك الليلة لكايتل صامتاً هادئاً على غير عادته. كأنما عزمه على الموت في هذا الموضع بعد أيام قليلة قد أشاع في نفسه سلاماً جسدياً وروحياً، على انه كان الهدؤ الذي يسبق العاصفة لا الذي يأتي على إثرها ونعني بها عاصفة الأمس.

في تلك الأثناء وصلت رسالة گورنگ الى المستشارية وبعد أن أخفاها بورمان فترةً عرضها على الزعيم بوصفها "إنذاراً" ومحاولة خيانية لإغتصاب سلطات الزعيم. وكان هذا من شأن إمام الحاذقين في حبك المكائد ودس الوقيعة. يقول شپير "عصف الغضب بهتلر وإنطلق يهجو گورنگ بأقذع الشتائم والنعوت قال: انه يدرك منذ زمنٍ ان گورنگ رجل فاشل، فاسدٌ مدمن مخدرات". وكان هذا تصريحاً هز كيان المهندس المعماري الشاب لأنه صار يتساءل: إن كانت تلك حقيقة گورنگ فلماذا عينهُ في ارفع المناصب طوال هذه المدة؟ وإستبدت الحيرة به عندما أفرخ روع هتلر وإسترسل يقول: "لا بأس فليفاوض گورنگ في شروط الإستسلام على أية حال. ليس مهما بعد الآن من يقوم بذلك"(١٧) على أن حالته هذه لم تطل غير دقائق معدودات.

فقبل إنتهاء الحديث أغرى بورمان زعيمه على أن يملي برقية لگورنگ يقول فيها انه إرتكب جريمة الخيانة العظمى التي وجب ان يكون عقابها الموت. لكن بسبب خدمته الطويلة للحزب والدولة فقد حفظت له حياته شريطة أن يستقيل من كل وظائفه. وأمره ان يجيب بكلمة واحدة، نعم أو لا. الاّ ان هذا لم يرض بورمان الصلّ فارسل من تلقاء نفسه رسالة لاسلكية الى رئيس الـ(إس. إس) في برختسگادن بأمره بإعتقال گورنگ حالاً مع أعوانه (مع هانس لاميرس) بتهمة الخيانة العظمى. وقبل إنبلاج فجر يوم ٢٢، كان الرجل الثاني في الرايخ الثالث – أكثر أمراء النازي عجرفة وثراء، مارشال

١٧- شبير في منصة الشهادة في محكمة نورمبرگ. [محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ١٦ الص ٥٥٤- ٥٥٥].

الرايخ الوحيد في تاريخ ألمانيا والقائد العام للقوة الجوية، أسيراً في يد الإس. إس. وبعدها بثلاثة أيام (مساء يوم ٢٦ نيسان) عبّر هتلر عما ينوي عمله في موضوع گورنگ بشكل أبعد أثراً مما عبّر عنه أمام (شپير).

-٤-

آخر زائرَين للملجأ

في تلك الأثناء حضر زائران آخران من ذوي الشأن الى دار مجاذيب هتلر، هما (هانا رايتش) وهي طيارة بارعة شهيرة من فضائلها الأخرى كره عميق تحتفظ به لگورنگ وللجنرال ريتر فون گرايم Ritter Von Greim، الذي استُدعى شخصياً للمثول أمام رب الحرب الأعلى. ففعل واستقل هو (هانا رايتش) طائرة في آخر ساعة من مساء (٢٥) نيسان. وقد تعرضت لنار المدفعية الأرضية السوڤييتية أثناء تحليقها فوق (پتيركارتن) فأصيبت قدم ڤون گرايم.

وأقبل هتلر الى غرفة العمليات، حيث كان الطبيب يضمد ساق الجنرال وجرى بينهما الحديث التالي:

- هتلر: اتعلم سبب استدعائك؟
- گرايم: كلا ايها الزعيم.
- هتلر: دعوتك لأن هرمان گورنگ قد تخلى عني وخانني وخان امته وتخلى عنها. عمله هذا دليل على الجبن. لقد رحل الى برختسگادن خلافاً لرغبتي لينجو بجلده ومنها أرسل اليّ برقية وقحة إنها... (عند هذه العبارة بدأ وجه الزعيم يرتجف وراحت انفاسهُ تتلاحق بشهقات- الوصف لـ(هانا رايتش) التي كانت موجودة]. هتلر: إنذار! قطعي! باتّ، الآن ضاع كل شيء لم يحفظ لي حرمة أو ولاء أو كرامة. لم تبق خيانة أو خيبة أمل ولم اتجرع غصصها، وهذه ثالثة الأثافي! لم يبق أيّ شيء، لقد ارتكبت بحقي كل اساءة متصورة! أمرت بإعتقال گورنگ في الحال، بوصفه خائناً للرايخ ونزعت عنه كل مناصبه وأقصيته عن كل المنظمات. ولأجل هذا إستقدمتك[١٨].

و بادر فوراً بتعيين الجنرال المذهول الجريح الراقد، قائداً عاماً لسلاح الجو الألماني، وهي ترقية كان قادراً على إرسالها بالراديو وتجنيب (گرايم) إصابة قدمه وتركه مقر قيادته، وهو المكان الوحيد الذي يتمكن منه توجيه ماتبقى من طائراته. وبعد ثلاثة أيام أمر هتلر (گرايم) بالعودة ليتصدى الى قضية غدرٍ أخرى. بينما كان هو (وهانا رايتش) يتوقعان بل ويرغبان في الموت الى جانب الزعيم. فقد رأيا أن الخيانة لم تكن قاصرة على گورنگ من الزعماء، فخلال هذه الأيام الثلاثة أُتيحت للطيارة

١٨- هانا رايتش: افادتها: المرجع السالف الص ٥٥٤- ٥٥٥.

(رايتش) فرصة نادرة لمراقبة حياة مجانين دار المجاذيب في باطن الأرض. في الواقع انها ساهمت بقسط فيه. فهي أيضاً (كزعيمها) غير مستقرة عاطفياً. لذلك فإن الرواية التي دونتها كانت (ميلو دراميه) مؤثرة تستدر العواطف. مع هذا كان معظمها صحيحاً بل دقيقاً الى حَد كبيرٍ لأنها قورنت بتقارير شهود عيان كثيرين. ولذلك كانت مهمة لإختتام الفصل الأخير من هذا التاريخ.

في ساعة متأخرة من ليلة وصولها (٢٦ نيسان) بدأت القذائف الروسية تتساقط على المستشارية وكان الارتجاج الناجم عن انفلاقها في الخارج وتداعي الجدران ثم سقوطها يميد الأرض بهم من تحت ويزيد من توتر الأعصاب في الملجأ. وانتحى هتلر بالطيارة جانباً فقالت له:

- لماذا تبقى هنا يا زعيمي؟ لماذا تحرم ألمانيا من حياتك؟ ان الزعيم يجب ان يعيش حتى تعيش ألمانيا. وهذا هو مطلب الشعب.

تقول ان هتلر اجابها: كلا يا هانا. ان موتي سيكون في سبيل شرف بلادنا. ولأني جندي فعليّ اطاعة لأوامر التي أصدرها انا. وامري هو الدفاع عن برلين الى النهاية. ثم إستطرد قائلاً: "فتاتي العزيزة، إني لم اكن انوي هذا. لقد كان إعتقادي الجازم أن إنقاذ برلين ممكن في الصمود على نهر (الأودر). فلما خاب فألي، صدمت صدمة عنيفة لا مثيل لها... ثم عندما بدأ تطويق المدينة خيّل لي ان الجنود سيتقاطرون من كل حدبٍ وصوب لفك الحصار عنها وسيحذون حذوي حالما يدركون إني باق فيها... لكني أيتها العزيزة (هانا) مازلت مؤملاً. فهناك جيش الجنرال (فينك Wenek) يتحرك الينا من الجنوب، وسيدفع الروس عن برلين حتماً. الى مسافة بعيدة وينقذ شعبنا، فنعود لنقف ونقاتل ثانية[١٩].

كانت هذه إحدى حالات هتلر النفسية في ذلك اليوم، انه ما زال يأمل في قيام الجنرال (فينيك) بإنقاذ برلين، لكن بعد دقائق قليلة وبإزدياد شدة القصف الروسي، اورثه اليأس مرة أخرى وسَلم (الرايتش) حُقين من السُم لنفسها ول(گرايم) وقال:

- ستكونين يا هانا بين من سيموت معي... ولست أرغب أن يسقط احد منا في يد الروس حياً، كما لايريد أن يعثروا على جثثنا... انا و(ايڤا) سنأمر بإحراق بقايانا. وعليك أن تجدي لك طريقة.

سلمت (هانا) حُق السم لگرايم وقررا كلاهما أن يبتلعاه إن "أوشكت النهاية". وللتأكد من زوالهما أن يشد كل منهما على جسده قنبلة كبيرة وينزعا مسمار أمانها. و بعد يوم ونصف يوم (٢٨ نيسان) إرتفعت آمال هتلر أو بالأحرى أوهامه. فأرسل الى كايتل رسالة بالراديو:

"انتظر فك الحصار عن برلين. ماذا يفعل جيش (فينيك)؟ اين هو (فينيك) ماذا حَل بالجيش

١٩- المرجع السالف ص٥٥٦ كل المقتبسات التالية والحوادث التي وصفتها (هانا) مقتبسة من هذا الإستجواب وهو مثبت في (مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٥٥١- ٥٧١ [وثائق نورمبرگ PS ٣٧٣٤] ولذلك لن نشير اليها بعد الآن.

التاسع. حتى يتصل الجيش التاسع بجيش فينيك؟" [٢٠].

وتصف (رايتش) رب الحرب الأعلى في ذلك اليوم وهو يتجول... "في أنحاء الملجأ ملوحاً بخريطة سفرٍ كانت تتحلل بسرعة في يديه بسبب العرق الذي ينضح منهما وهو يبحث عن موقع معركة (فينيك) مع كل من يتفق ان يكون قريباً معه".

الا أن "معركة" (فينيك) مثل "هجوم" شتاينر لم يكن لهما وجود إلا في خيال الزعيم. لقد صُفي جيش (فينيك) منذ زمن، وإنتهى أمر الجيش التاسع. أما جيش (هاينرتشي) شمال برلين، فكان يتراجع بأسرع ما امكنه نحو الغرب ليستسلم لحلفاء الغرب خوف وقوعه في قبضة الجيش الأحمر.

و انتظر رجال الملجأ القانطون سائر (٢٨) نيسان أنباء عن الهجمات المضادة لهذه الجيوش الثلاثة. وبخاصة جيش (فينيك) وغدت طلائع القوات السوفييتية على مبعده صفوف قليلة من الابنية في تقدمها نحو المستشارية سالكة عدة شوارع من الشرق والشمال ومن شارع (تيبركارتن) غرباً. ولما لم يرد أيّ نبأ عن القوات المنقذة. بدأ هتلر باغراء من بورمان يتوقع غدراً جديداً. وفي الساعة التاسعة بعث (بورمان) برقية بالراديو الى (دونتز):

"بدلاً من الطلب الى القوات ان تندفع الى الأمام لإنقاذنا سكت المسؤولون. يبدو أن الخيانة حلّت مكان الإخلاص. نحن باقون هنا والمستشارية غدت خراباً".

وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة ارسل بورمان رسالة أخرى الى دونتز:

"يجب على (شويرنر وفينيك) والآخرين ان يثبتوا إخلاصهم للزعيم بأن يخفّوا الى معونته بأسرع مايمكن" [٢١].

الآن صار (بورمان) يتكلم عن نفسه. لقد صح عزم هتلر على إنهاء حياته خلال يومٍ أو إثنين. لكن بورمان متشبث بالحياة. ربما لن يكون خلفاً للزعيم. لكنه مازال يستطيب جذب الخيوط من وراء الستار لأي شخصٍ يرتضيه.

أخيراً بعث أمير البحر ڤوس Voss من الملجأ رسالة لدونتز يقول فيها ان كل إتصالات الراديو مع الجيش قد انقطعت وطلب من البحرية بإلحاح ان ترسل اليهم على موجة قصيرة بعض الأنباء عما يحدث خارج البلاد. وبعد وقت وجيز وردت أنباء من مركز إنصات وزارة الدعاية لا من البحرية.

٢٠- كايتل: إستجوابه [المرجع السالف الص ١٢٨١- ١٢٨٢]. ذكر الرسالة من ذاكرته. وسجلات البحرية الألمانية تثبت نصاً مشابهاً لهذا بالكلمات موجها في رسالة من هتلر الى يودل في الساعة ٧,٥٢ من مساء ٢٩ نيسان [مؤتمرات الزعيم للشؤون البحرية ١٩٤٥ ص١٢٠] وشولتز [يوميات القيادة العليا للقوات المسلحة ص٥١]. تعطي النص نفسه مسجلة بأنه مرسل الى يودل في الساعة ١١ من مساء ٢٩ نيسان. وربما كان هذا خطأ. اذ ان هتلر في ذلك الوقت لم يكن مهتماً بمواقع الجيوش آنذاك إستنتاجاً من أعماله.

٢١- تريڤور روپر المرجع السالف ص١٦٣. يورد الرسالة الأولى اما الثانية فقد عثرت عليها في سجلات البحرية (مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية ١٩٤٥] ص١٢٠، اما الرسالة الثالثة وهي من ضابط الإرتباط البحري أمير البحر ڤوسّ فقد وجدت في [مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية ص١٢٠].

فاخرجت هتلر عن وعيه...

من تعلق بأسباب الحياة خلافاً (لمارتن بورمان) موظف نازي آخر اسمه (فيگيلاين Fegelein) وهو ممثل هملر في بلاط الزعيم، مثال نموذجي لذلك الصنف الألماني الذي راح يرتقي مدارج السلطان بسرعة خاطفة أيام حكم هتلر مأبونٌ سابق يتاجر بعرضه، ثم راكب خيول سباق (جوكي)، وشخص أمي لايفقه شيئاً، كان خليلاً للسيء الصيت (كريستيان ويبر) أحد اقدم رفاق هتلر في الماضي هاوي الخيل الذي إستطاع بالنصب والإحتيال أن يجمع ثروة طائلة ويحرز إسطبلاً لأشهر خيول السباق بعد ١٩٣٣. راح (فيگيلاين) بمساعدة (ويبر) يرتقي سلم المناصب في الرايخ الثالث حتى اصبح جنرالاً في فرق الـ(إس. إس) - المحاربة العام ١٩٤٤ بعد ان عيّنه هملر ضابط إرتباط في مقر قيادة هتلر بقليل وعزز مركزه في البلاط بزواجه من شقيقة عشيقة هتلر وإتفق كل رؤساء الـ(إس. إس) الباقين في الحياة أنه لم يضع وقتاً في خيانة رئيسة المباشر همل - بتحالفه مع بورمان. الاّ أنه مع سوء سمعته واميته وجهله مازال متمسكاً بتلك النطفة النقية غريزة حُب البقاء، وبإمكانه تمييز السفينة الغارقة إن شاهد واحدة. وفي ٢٦ نيسان ترك الملجأ بهدوء وفي عصر اليوم الثاني إفتقده هتلر ولحظ غيابه فعادت الشكوك تنخر فيه وليس أسهل من إثارتها في ذلك الحين. فأرسل دورية من الـ(إس. إس) تفتش عنه ووجد في منزله مرتدياً ثياباً منزلية في منطقة (شارلوتبنرغ) التي كان الجيش الأحمر يطبق عليها. فجيء به الى الملجأ ونزعت عنه رتبته. ووضع رهن الإعتقال. إن محاولة (فيگيلاين) الفرار جعلت هتلر يشك بهملر رأساً. ماذا ينوي زعيم الإس. إس. في الوقت الحاضر بعد أن تعمّد الغياب عن برلين؟ وتذكر الآن انه لم تأت أنباء منه منذ ان ترك ضابط إرتباطه (فيگيلاين) الواجب.

وجدنا الثامن والعشرين من نيسان يوماً عصيباً على الملجأ، فالسوڤييت يقتربون ولم يأت أيّ نبأ عن الهجمات المضادة المنتظرة من (فينيك) أو أيّ هجوم غيره. وسأل المحصورون وسط يأسهم عن التطورات التي تحدث خارج المدينة المطوقة من راديو البحرية. إلتقط مركز الإنصات في وزارة الدعاية خبراً من الإذاعة البريطانية عما يحدث خارج برلين. وكانت رسالة (لرويتر) من ستوكهلم مثيرة للغاية يتعذر تصديقها الى حَد دفعت أحد موظفي گوبلز المدعو هاينز لورنز Heinz Lorenz الى التسلل بها بين خرائب الميدان الذي دمرته القنابل والوصول الى الملجأ بنسخةٍ منها لوزيره وزعيمه.

تقول (رايتش) لقد "هوى الخبر على رؤوس المجتمعين كالصاعقة وصار الرجال والنساء يصرخون غضباً وخوفاً ويأساً إجتمعت في أحساسٍ واحدٍ" وأما حالة هتلر فكانت اسوأ الجميع، قالت الطيارة "لقد كان يصرخ كالمجنون".

إن هاينريخ همل (الصادق!) ترك سفينة الدولة الغارقة أيضاً وأنباء رويتر تتحدث عن مفاوضاته السرية مع الكونت (برنادوت) وعن تقدمه الى آيزنهاور بطلب إستسلام الجيوش الألمانية في الغرب. تلك كانت أقوى الضربات جميعاً على هتلر، الذي لم يشك لحظة في أخلاص همل المطلق. وتقول (رايتش) "إنقلب لونه الى أحمر ناري وتغيّرت ملامحه بأخرى جديدة لاصلة لها بوجهه... وبعد ثورات

طويلة تهالك على معقده وكأنه في غيبوبة وظل الملجأ كله صامتاً لبرهة من الزمن". كان گورنگ قد طلب من الزعيم على الأقل – الأذن بتسلم السلطات. إلا ان زعيم الـ(إس. إس) (الصادق جداً) لم يكلف نفسه عناء ذلك، وإتصل بالعدو إتصالاً خيانياً دون أن يخبر بكلمة واحدة. وكان عمله هذا اشنع غدرٍ عرفه هتلر حتى الآن كما وصفه لأتباعه بعد افاقته نوعاً ما.

هذه الضربة، مع الأنباء التي وردته بعد دقائق قليلة حول إقتراب الروس من (بوتسدامر بلاتز) التي لاتبعد عن المستشارية إلا صفاً واحداً من الابنية، مع إحتمال إندفاعهم صباح الغد الى اقتحام المستشارية (تم ذلك بعد ثلاثين ساعة من تلك اللحظة)، كانتا دليلاً قاطعاً على النهاية. فأرغمت هتلر على إتخاذ آخر قرار في حياته حالاً.

فعقد زواجه على (إيڤا براون) فجراً وكتب وصيته الشخصية والسياسية. وأرسل (هانا رايتش) وڤون گرايم لتجميع كل سلاح الجو الألماني وشن هجوم آخير على القطعات السوڤييتية المقتربة من المستشارية، وأمرهم أيضاً بالقبض على هملر بتهمة الخيانة. وذكرت (هانا) انه قال لها "يجب الآ يخلفني خائن وعليك ان تخرجي لتضمني عدم وقوع ذلك".

لم يصبر (هتلر) على الإنتقام من (هملر) وهذا ضابط إرتباطه فيگيلاين أسيره. أمر بالجوكي السابق وجنرال الإس. إس الحالي، فجيء به من غرفة الحرس واستجوب بدقة حول "خيانة" هملر. اتهم بأنه شريك له واخذ بأمر من هتلر الى حديقة المستشارية وقتل رمياً بالرصاص. أما حقيقة كون (فيگيلاين) زوج اخت (ايڤا براون)، فلم تنفعه ولم تبذل (ايڤا) جهداً لتتشفع له. بل كانت تئن شاكية: "يا لأدولف من بائس، بائس لقد خانه الجميع. خير لألمانيا أن يموت عشرة الآف آخرون من أن تخسره".

ألمانيا فقدته إلا أن ايڤا براون كسبته في الساعات الأخيرة. ففي فترةٍ بين الواحدة والثالثة بعد نصف الليل (٢٩ نيسان) حقق هتلر امنية عشيقته وتزوجها رسمياً، قدم لها هذه الهدية متوجاً بها إخلاصها الى النفس الأخير. كان في الماضي لايفتأ يردد إن الزواج سيقف عقبة بينه وبين تفرغه التام لقيادة حزبه الى الحكم اولاً ثم رفع وطنه الى مدارج القوة ثانياً. والآن وبعد أن لم يبق في حياته ما يفعله وقد بلغت نهايتها، فبإمكانه ولوج باب الزواج بكل إطمئنان ولن يمكث به غير غير بضع ساعات.

وجاء گوبلز بمسجل عقود بلدي يدعى (ڤالتر ڤاگنر) كان يحارب مع أحد الوحدات في فرق الحرس الداخلي Volkssturm لايبعد إلا بضعة صفوف من الابنية، وقام هذا الموظف المشدوه بإتمام عقد الزواج في غرفة إجتماع صغيرة في الملجأ. وظلت وثيقة الزواج الى ما بعد الحرب، لتلقي ضوءً على ما وصفته إحدى سكرتيرات الزعيم "بزاوج الموت". قال هتلر: "نظراً الى تطورات الحرب يجب صرف النظر عن نشر إعلان مواقع الزواج وان يتم الإقرار شفوياً وتنحصر كل الإجراءات الشكلية المطولة". واقسم العريس والعروس انهما خاليان من الامراض الوراثية المانعة للزيجة". وأصر الزعيم وهو على

شفا الموت ان يظل محافظاً على الشكليات. إلا انه ترك فراغاً في الحقل الذي وجب عليه اثبات إسم أبيه (شيكلكروبر) وأمه وتاريخ زيجتهما. وبدأت (ايڤا) تكتب إسمها الاّ أنها توقفت وشطبت حرف (الباء) وكتبت (ايڤا هتلر) مولودة (ايڤا براون). ووقع گوبلز وبورمان على العقد شاهدين. وبعد المراسيم القصيرة، دعي الحاضرون الى مأدبة إفطار بمناسبة القران، خيم فوقها ملك الموت. في جناح الزعيم الخاص. وجيء بالشمپانيا، ودعيت طاهية هتلر الخاصة الآنسة مانزيالي Manzialy التي تعد له وجباته النباتية. ودعي ايضاً جنرالا هتلر الباقيان (كريبس وبوگدورف) فضلاً عن بورمان وگوبلز وقرينته. وظل الحديث الى فترة قاصراً على الأيام الطيبة الخالية ورفاق الحزب القدامى في الماضي الرائع. وتكلم هتلر بإعتزاز عن مناسبة صيرورته قريباً للعريس گوبلز. وظل كعادته مستأثراً بحبل الحديث، مستعرضاً إنتصاراته في حياته الروائية، وقال إنها انتهت الآن كما إنتهت القومية الإشتراكية. وسيرتاح في الموت ما دام غدر به أقرب أصدقائه وخلصائه. ثم ران على المائدة جو من الكآبة وانسل بعض المدعويين. وقد خنقتهم العبرة. أخيراً ترك هتلر المائدة وإختلى في غرفته وارسل يستقدم گروترود يونكه Grutrud Junge إحدى سكرتيراته وراح يملي عليها آخر وصيتين له.

-٥-

أخر وصيتين سياسية وشخصية لهتلر

بقيت هاتان الوثيقتان للتاريخ، لأن هتلر أراد ذلك. وكغيرها من أوراقه هما مهمتان في تاريخنا هذا. فقد اثبتنا ان الرجل الذي حكم ألمانيا بيد من حديد أكثر من إثنى عشر عاماً، وحكم أوروپا أربعة اعوام لم يتعلم من تجاربه شيئاً، ولم يلقن درساً من مصائبه وفشله الذريع الأخير. في الواقع انه عاد في آخر ساعات حياته يتقمص ذلك الشاب الذي كانه أيام تشرده في ڤيينا وفي أيام صخب مشرب البيرة في مونيخ. فراح يسب اليهود ويعزو اليهم كل شرور العالم ويطوي وينشر نظرياته الغثة حول الكون والعالم، ويشكو من الأقدار التي حرمت ألمانيا إنتصاراتها وفتوحاتها. في هذه الرسالة الوداعية للشعب الألماني والعالم والتي كان يريدها ايضاً نداءً للتاريخ أخيرٍ، بدأ أدولف هتلر يجتر كل الأفكار الجوفاء التي نشرها في (كفاحي) مُضفياً عليها أخر أكاذيبه وتشويهاته الحقائق. انها في الحقيقة كتابة على شاهد ضريح تليق بطاغية أسكره السلطان وأفسده حكمه المطلق حتى دمره تدميراً.

ان "الوصية السياسية" كما أسماها تنقسم الى فصلين: الأول هو نداء للأجيال القادمة. والثاني حول الإتجاهات في المستقبل.

"مضى أكثر من ثلاثين سنة على مساهمتي المتواضعة في الحرب العالمية الأولى، التي أُرغم الرايخ على خوضها - كمتطوع في الجيش الألماني.

في هذه العقود الثلاثة كان الحب والإخلاص اللذان اكنهما لشعبي هما وحدهما رائداي في كل أفكاري وأعمالي وحياتي. وامدّاني بالقوة لإتخاذ أصعب القرارات التي قد تواجه بشراً.
ليس صحيحاً القول بأني اردت حرب عام ١٩٣٩ أو ارادها أي شخص ألماني آخر. إن الذين ارادوها وأثاروها أولئك الساسة الامميون الذين اما كانوا متحدرين من اصل يهودي أو من المشتغلين لمصالح اليهودية.
لقد بذلتُ عروضاً عديدة لنزع السلاح ومراقبة التسلح، ولن يغيب ذلك عن بال الأجيال القادمة عندما تريد إلقاء المسوولية في شن هذه الحرب، زد على هذا اني لم ارغب قط في ان تكون هناك حربٌ عالمية ثانية بعد تلك الحرب الأولى الشنعاء ضد إنكلترا وأمريكا. وستمر القرون متعاقبة لكن سيترعرع من خرائب مدننا وانصابنا الكره المجدد لأولئك الذين يتحملون كامل المسؤولية. أولئك الذين يجب علينا أن نعزو اليهم كل هذا: واعني اليهودية العالمية ومساندوها."

وردد هتلر كذبة إقتراحه على الحكومة البريطانية قبل هجومه على پولندا حَلا معقولاً للمشكلة الپولندية الألمانية.

"لم ترفض عروضي إلا لأن الطبقة الحاكمة في إنكلترا ارادت الحرب لأسباب بعضها تجارية وبعضها دعائية اثارتها اليهودية العالمية".

و عاد ليضع "المسؤولية الكاملة" لا لملايين النفوس التي ازهقت في المعارك والمدن المقصوفة بل مسؤولية مجازره لليهود، على اليهود أنفسهم! ثم تصدى الى قراره البقاء في برلين الى النهاية:

"بعد ست سنوات من الحرب سيسجلها التاريخ رغم كل الإندحارات بوصفها أعظم مظهر كفاح بطولي مجيد في سبيل بقاء الأمة... لا أستطيع مغادرة المدينة التي كانت عاصمة هذه الدولة... اريد بمصيري هذا أن اشاطر مصير الملايين الذين قرروا البقاء فيها. كما اني لا اريد أن اقع في ايدي العدو الذي يشتاق الى مشهدٍ مثيرٍ جديد يقدمه لليهود لتلهو به جماهيرهم المستهترة!
و لهذا اعتزمت البقاء في برلين وإختيار الموت طوعاً في اللحظة التي تبين لي انه يتعذر الإبقاء على منصب الزعيم والمستشار. واني لأموت قرير العين لعلمي بالمآثر اللامحدودة والإنجازات الهائلة التي قام بها عمالنا وفلاحونا، وللمساهمة الفريدة في التاريخ لشبابنا الذي يحمل إسمي."

وإحتث الألمان بعد هذا على "ألا يتركوا الكفاح" لكنه أرغم نفسه أخيراً على الأقرار بإنتهاء القومية الإشتراكية في الوقت الحاضر. الاّ إنه اكّد لمواطنيه الألمان أن من تضحية نفسه وتضحية الجنود...

"ستنمو البذرة التي زرعت يوماً ما... وستنبعث حركة القومية الإشتراكية لأمة متحدةٍ إتحاداً

حقيقياً".

ولم يستطع هتلر أن يموت قبل ان يقذف بشتيمة، وبخاصة لهيئة الضباط. فيلقي عليهم المسؤولية الكبرى في الكارثة. ومع إعترافه بموت النازية - مؤقتاً على الأقل- الاّ انه ناشد قادة القوات المسلحة الثلاثة:

"ان يقووا بكل الوسائل الممكنة روح المقاومة في جنودنا على أسس من العقيدة القومية الإشتراكية مع الإيضاح بشكل خاصٍ بأني أنا نفسي مؤسس الحركة وبانيها، فضّلت الموت على الإستقالة أو الإستسلام بجبن."

ثم ان طبقة الضباط العسكريين...

"يجب أن يتمسكوا في المستقبل بنقطة شرف ملازمة كما لازمت قواتنا البحرية وهي عدم التفكير في تسليم منطقة أو مدينة. وعلى القادة والآمرين بنوعٍ خاص ان يضربوا مثلاً لامعاً للإخلاص العظيم للواجب "حتى الموت".

كان إصرار هتلر على عدم "تسليم منطقة أو مدينة حتى الموت" كما حصل في ستالينگراد سبب كارثته العسكرية ،لكنه لم يفهم درساً من هذا كما لم يفهم درساً من أمور أخرى.

أما الجانب الآخر من الوصية السياسية، فقد تصدت الى مسألة الخَلَف. فمع أن الرايخ الثالث يحترق الآن ليغدو هشيماً، لم يستطع هتلر ان يموت دون تسمية خليفته واملاء اسماء أعضاء الحكومة الجديدة، الذين يجب ان يعيهنم ذلك الخليفة. وبدأ بإستبعاد أسماء أقرب المرشحين المعروفين.

"قبل وفاتي أطرد من الحزب مارشال الرايخ السابق هرمان گورنگ وأنزع منه كل الحقوق التي منحت له وفق مرسوم ٢٩ حزيران ١٩٤١. وأعيّن في محلة الأميرال (دونتز) رئيساً للرايخ وقائداً اعلى للقوات المسلحة. واطرد كذلك زعيم الرايخ السابق للإس. إس ووزير الداخلية هاينريخ هملر، من الحزب ومن كل وظائف الدولة التي يتقلدها".

ان قادة الجيش وسلاح الجو قد خانوه وحرموه النصر في الحرب. لذلك كان الإختيار الممكن الوحيد سيقع على قائد الأسطول. والأسطول كان صغيراً الى درجة لم يسهم في الحرب بدور كبير. وكانت هذه آخر أهانة يوجهها للجيش الذي قام بأوفى قسط من القتال وقدم معظم الضحايا من الرجال في حروبه وفتوحاته. كذلك لم ينس تشييع الرجلين اللذين كانا مع گوبلز أقرب مثلث اليه منذ أيام الحزب الأولى. بشيء من الهجاء واللعان:

"و بصرف النظر عن خيانة گورنگ وهملر لي، فإنهما جلبا عاراً لايمحى على كل الشعب الألماني لمفاوضتهما السرية مع العدو دون معرفتي وضد رغبتي، كذلك بمحاولتهما تسلم زمام الدولة بطريقة غير مشروعة".

بعد ان طرد الخونة وعين خليفته بدأ يشير على (دونتز) من يصلح أن يضم الى حكومته المقبلة: "انهم أناس شرفاء. سينجزون مهمة مواصلة الحرب بكل الوسائل" سيكون گوبلز مستشاراً، وبورمان

وزيراً للحزب وتلك وظيفة جديدة. وسيعين إنكوارت (كويزلنگ النمسا) والى وقت قريب جداً حاكم هولندا وسفاحها (وزيراً للخارجية)، ونحى اسم (شپير وريبنتروب) من القائمة، إلا أنه ادخل الكونت (شڤيرين) الذي كان وزيراً للمال منذ عهد پاپن وظل كذلك. كان هذا الرجل رقيعاً إلا انه عبقري في البقاء ولا غرو.

ولم يكتف هتلر بتسمية أعضاء حكومة خلفه، بل وجهه بأمر أخير:

"اطلب قبل كل شيء من الحكومة ومن الشعب ان يتمسكا بالقوانين العنصرية الى آخر درجة وان يقاوما بدون رحمة اليهودية العالمية سمّ كل الشعوب القتّال"(٢٢).

بهذا إنتهى رب الحرب الأعلى. وكان الوقت يشير الى الرابعة عصراً (٢٩ نيسان) واستدعى گوبلز وبورمان والجنرالين كريبس وبورغدروف ليكونوا شهوداً على الوصية وتذييلها بتواقيعهم. ثم أسرع حالاً يملي وصيته الشخصية. وفي هذه رجع (رجل القدر) الى أصله الطبقي - الى الطبقة الوسطى النمساوية فشرح سبب زواجه ولماذا سينتحران. ووزع ممتلكاته التي تعشم ان تكون كافية لإعالة اقربائه الباقين، وإعانتهم على عيشٍ متواضع. لم يستخدم هتلر سلطانه للامحدود لجمع ثروة طائلة كما فعل گورنگ.

"لم اكن خلال سني النضال استطيع تحمل أعباء الزواج، اما الآن وأنا اواجه نهاية حياتي، فقد قررت إتخاذ زوجة لي هي المرأة التي جاءت هذه المدينة المحاصرة بمحض إختيارها حتى تشاطرني مصيري بعد سنوات من الصداقة والعشرة. ستذهب الى حتفها معي برغبتها كحليلةٍ وسيعوض هذا لكلينا كلّ ما فقدناه خلال عملي في خدمة شعبي.

و ممتلكاتي الخاصة إن كانت تسوى شيئاً فهي للحزب. فإن لم يكن للحزب وجود فهي للدولة وإن ألغيت الدولة فليس ثم وصايا خاصة بها من جهتي. إن اللوحات الفنية التي اشتريتها خلال السنين الطوال لم اجمعها لغرض شخصي وإنما لاجل إقامة معرض لوحات في (لينز) مسقط رأسي".

وطلب من (بورمان) بوصفة منفذاً للوصية أن:

"يسلم الى اقاربي كل شيء ذي قيمة كهدايا شخصية أو وسائل عيش لمستوى عيشه البرجوازي الصغير Kleinen Gueryerlichin"(٢٣). لقد اخترنا أنا وزوجي الموت للتخلص من عار الهزيمة أو الإستسلام. ورغبتنا هي ان تُحرق جثتانا حالاً في الموضع الذي مارست به معظم

٢٢- إن نصي وصيتي هتلر السياسية والشرعية مثبتان في [وثائق نورمبرگ ٣٥٦٩- P S] وقدمت نسخة ايضاً من وثيقة زواجه الى نورمبرگ وقد اثبت النصوص الثلاثة في كتابي "نهاية يوميات برلينية الص ١٧٧- ١٨٣ هنالك ترجمة مستعجلة للوصيتين بالإنگليزية في (مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٢٥٩- ٢٦٣. اما النص الألماني فهو في [محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٤١ في فصل: وثائق شپير.

٢٣- لم يذكر هتلر اسم أيّ قريب له. لكن يستفاد مما قاله لسكرتيريته انه يقصد بهما اخته (پاولا) وحماته.

أعمالي اليومية خلال اثني عشر عاماً من خدمة شعبي".

و أدركه التعب من إملاء خطابيه الوداعيين، فآب الى مخدعه والفجر يكاد ينبلج على برلين في آخر سبت له من حياته. وكانت غيمة كثيفة قاتمة تجلل فضاء المدينة وبناياتها تتقوض وتهوي طعمة للنيران والروس يطلقون مدافعهم من مدى جد قريب. وهم غير بعيدين كثيراً عن ڤلهلمشتراسه والمستشارية.

في أثناء ما كان هتلر نائماً اسرع گوبلز وبورمان الى العمل. لقد أوصى هتلر في وصيته السياسية أن يتركا العاصمة ويلتحقا بالحكومة الجديدة. وكان بورمان أكثر من راغبٍ في ذلك، لأنه لم يشأ مشاطرته المصير مع إخلاصه له. فكل ما يريده في حياته هو القوة والسلطان من خلف الستار ولعل (دونتز) لن يأبى عليه هذا، اعني اذا علم گورنگ بموت هتلر فلن يحاول اغتصاب السلطة.

وللتاكد من هذا ارسل رسالة بالراديو الى مقر الإس. إس في برختسگادن يقول فيها:

"إن سقطت برلين ورحنا معها. فيجب إن يُباد خونة ٢٣ نيسان. ايها الرجال قوموا بواجبكم فحياتكم وشرفكم يتوقفان على ذلك[٢٤]. كان هذا امراً صريحاً بقتل گورنگ وأركان حرب سلاحه الجوي الذين وضعهم بورمان في يد الأس. إس."

ولم يكن گوبلز راغباً في الحياة كرغبة بورمان، فرأيه مثل رأي ايڤا براون، انه يكره العيش في ألمانيا رحل عنها الزعيم الذي يجلّه ويكبره. لقد ربط نجمه بنجم هتلر الذي يدين له وحده بالإرتفاع المذهل في سلم الشهرة والرقي. كان گوبلز رئيس الأنباء في الحركة النازية وكبير دعاتها، وهو الذي خلق أسطورتها بعد هتلر. فلأجل تخليد تلك الأسطورة يجب الاّ يكتفى بموت الزعيم، بل بموت أخلص اتباعه معه، الوحيد من الحرس القديم الذي لم يخنه. أن يموت ميتة التضحية فيضرب مثلاً تردد الحقب صداه ويساعد يوماً ما على إشعال نيران القومية الإشتراكية. فصّل گوبلز مسرى أفكاره تفصيلاً عندما إنقلب الى غرفته الصغيرة ليكتب نبوءته الأخيرة للجيلين الحاضر والمقبل وعنوانها "ملحق لوصية الزعيم السياسية:"

"أمرني الزعيم بمغادرة برلين والمساهمة كعضوٍ قائدٍ في الحكومة التي اقامها... وللمرة الأولى في حياتي أراني مضطراً الى عصيان أمره عصياناً صريحاً. وقد انضمت الى قراري هذا زوجي وأولادي - فبغض النظر عن أن المشاعر الإنسانية والإخلاص الشخصي تمنعنا من ترك الزعيم في ساعة الضيق الأعظم. فإن إختياري طريقاً خلاف ذلك يجللني بالعار طوال أيام حياتي ويجردني من الشرف ويجعلني وغداً ساقطاً، كما سأخسر إحترامي لنفسي فضلاً عن إحترام أبناء جلدتي.

في كابوس الخيانة الذي احاط بالزعيم في هذه الأيام العصيبة للغاية من أيام الحرب يجب ان

٢٤- الجنرال كوللر: المرجع السالف ص٧٩. يورد نص برقية بورمان المرسلة بالراديو.

يمكث بجانبه شخصٌ واحدٌ على الأقل دون قيد أو شرط حتى الموت... وفي إعتقادي اني بهذا أقدم خدمة جليلة لمستقبل الشعب الألماني وستكون الأمثال المضروبة في الأيام الصعبة القادمة أهم من الرجال الاحياء. وأنا اعرب عن عزمي الذي لاينقض – للسبب الذي ذكرتهُ ونيابة عن زوجي واولادي وهم أصغر سنا من أن يعبروا عما يشعرون، ولو كانوا في سن مناسبة لوافقوا دون ترددٍ على القرار – بألا أترك عاصمة الرايخ وإن سقطت، مفضلاً ان انهي حياةً لم يعد لها أيّ قيمة لي شخصياً إن لم اقضها في خدمة الزعيم وبالقرب منه[٢٥]."

أنهى گوبلز (خطابه) هذا في الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين من فجر يوم ٢٩ نيسان. وانتشر الضوء في برلين الاّ ان الشمس كانت محجوبة بمثار نقع المعركة. وكان الكثير مما يجب عملهُ في ضوء مصابيح كهرباء الملجأ. وفي مقدمتها اخراج وصية الزعيم والتسلل بها عبر خطوط الروس القريبة لإيصالها الى دونتز وخلافه حتى تُحفظ للأجيال القادمة.

وأختير سعاة ثلاثة للتسلل بنسخ الوثيقة الثمينة الثلاث. اولهما الرائد ڤيلي يوهنماير Willi Yohmmneier مرافق هتلر العسكري وڤلهلم زاندر Wilhelm Zander ضابط الـ(إس. إس) ومشاور بورمان. وهاينز لورينز الموظف في وزارة الدعاية الذي جاء بأنباء خيانة هملر قبل ليلة. وكان على (يوهنماير) وهو ضابط مقدام نال كثيراً من الأوسمة. أن يقتاد الآخرين من خلال خطوط الجيش الأحمر. وقد رُسم أن يقوم (الرائد) بالإتجاه الى الفيلدمارشال (فرديناند فون شويزر) الذي ما زالت مجموعة جيشهُ صامدة سليمة في جبال بوهيميا. وقد عينه هتلر قائد الجيش العام الجديد. وأرفق (بورگدورف) رسالة الى (شويزر) يعلمه فيها بأن هتلر كتب وصية "في هذا اليوم متأثراً بالأنباء المؤلمة عن خيانة هملر وهو قراره الجازم. ورسم أن يحمل الآخران نسختيهما الى (دونتز) وسلم بورمان خطاباً شخصياً (لزاندر) ليسلمه الى دونتز:

"عزيزي أمير البحر الأكبر:

لما فشل كل الفرق في الوصول ولما أصبح موقفنا يائساً فقد أملى الزعيم في الليلة السالفة الوصية المرفقة طيا. هايل هتلر!"

و انطلق الرسل الثلاثة في مهمتهم الخطرة ظهراً. وراحوا يتلمسون سبيلهم خلسةً من الجهة الغربية سالكين شارع (تييركارتن) ثم (شارلوتنبرغ) الى (بيخلسدورف)، على رأس بحيرة (هاڤل) حيث كان فوج من شبيبة هتلر يمسك جسراً على أمل وصول جيش (فينيك) الخيالي!

نجحوا في قطع هذه المسافة الطويلة مخترقين ثلاث حلقات تطويق روسية ووصلوا عمود النصر وسط تييركارتن قرب محطة حديقة الحيوان الى الخلف قرب (بيخلسدورف)، وكان عليهم أن يجتازوا

٢٥- نص ملحق گوبلز، عُرض في محاكمات نورمبرگ وقد اثبتُ نصه في كتابي "نهاية يوميات برلينية ص١٨٣- حاشية".

خطوطاً أخرى عديدة وكان في انتظارهم مفاجآت ومغامرات كثيرة[٢٦].

خرجوا منهما سالمين، إلا أن الاوان كان قد فات ولم يعد لرسائلهم فائدة لدونتز وشويزر فلم يوصلوها اليهما.

لم يكن هؤلاء الثلاثة الوحيدين الذين تركوا الملجأ في ذلك اليوم. فقد عقد ظهر اليوم مجلس حرب هتلر المعتاد بعد ان وجد فترة هدؤ لنفسه تسمح له ببحث الموقف العسكري، كما كان يفعل يومياً في مثل هذه الساعة قرابة ست سنوات وكانه لم يبلغ بعد نهاية الطريق. وقال الجنرال كريبس ان الروس نقدموا مسافة أخرى نحو المستشارية أثناء الليل وفي ساعات الصبح الأولى وإن احتياطي العتاد للمدافعين عن المدينة كاد ينفد. وليس ثم أيّ نبأ عن جيش إنقاذ (فينيك). وطلب ثلاثة من المرافقين العسكريين الذين لم يرغبوا على مايبدو مشاطرة الزعيم ميتته ولم يكن لديهم واجب معين، أن يسمح لهم بترك الملجأ فسمح لهم هتلر بذلك وطلب منهم أن يلحّوا على الجنرال ليتحرك بسرعة. وترك ثلاثتهم الملجأ في ساعات الأصيل.

ثم لحقهم رابع وهو العقيد نيقولاوس ڤون بيلوڤ Nicolaus Von Below مرافق هتلر الجوي وهو أصغر أعضاء حلقة هتلر الخاصة منذ بداية الحرب، ولم يكن يؤمن بقتل النفس وليس هناك واجب في المستشارية يبقيه، لذلك طلب من هتلر ترك الملجأ فأذن له. كان هتلر في هذا اليوم معقولاً جداً، وخطر بباله الإفادة من عقيد الجو، فزوده برسالة الى الفيلدمارشال كايتل الذي كان (بورمان) قد شك في خيانته وكان في الرسالة آخر إهانة من الزعيم للجيش الذي إعتقد أنه تخلى عنه. لاشك أن أنباء الموقف في الساعة العاشرة ليلاً زادت من حنقه على الجيش. وكان قد تعاظم كثيراً قبلها. لقد تمت تضحية فرق الڤولكستروم الباسلة المقدامة الرثة التي كانت تتألف من رجال تعدوا سن الخدمة وصبية صغار من شبيبة هتلر بقيت قسمات الحداثة على وجوههم ولم يصلوا سن الخدمة. بقيادة الجنرال ڤايلدنغ Weilding كل ذلك في سبيل اطالة اجل هتلر بضعة أيامٍ. وابلغ هذا الجنرال أن الجيش الأحمر قد زحف الى الأفل وتوغل في شارع (ارض السار) وڤلهلمشتراسه وكاد يبلغ مقر وزارة الطيران التي لاتبعد عن المستشارية أكثر من رمية حجر. وقال ان العدو سيبلغ دار المستشارية يوم ١ أيار أيّ خلال يومٍ أو إثنين.

تلك هي النهاية. وقد اتضحت ايضاً لهتلر الذي كان لحَد الآن يسوق جيوشاً لا وجود لها مفترضاً انها ستتدافع لإنقاذ العاصمة. ولهذا أملى رسالته الأخيرة وطلب من (بيلوف) إيصالها الى (كايتل)

٢٦- اورد (تريڤور روپر) في [آخر أيام هتلر] رواية مفصلة دقيقة لمغامرتهم ولولا قلة حذر هاينز لورينز لما ظهرت رسائل هتلر الوداعية الى عالم الوجود لا هي ولا ملحق گوبلز. لقد أخفى الرائد يوهنمايَر نسخته من الوثائق في حديقة داره (ايزربوهن) بوستڤاليا. وأخفى (زاندر) نسخته في صندوق كبير تركه في القرية الباڤارية (يتكرنيسي) وبدل إسمه وتنكّر وحاول ان يبدأ حياة جديدة بإسم (ڤلهلم پاوشتن)، لكن لورينز الصحفي بالمهنةً كان قليل الصبر على سرٍه. وبزلة لسان منه. أدى الأمر إلى اكتشاف نسخته. ومن ثم اكتشاف النسختين الثانية والثالثة.

وأعلمه فيها أن دفاع برلين أوشك على الختام وانه سيقتل نفسه مفضلاً ذلك على الإستسلام، وإن گورنگ وهملر خاناه وقد عيّن الأميرال (دونتز) خلفاً له.

و قال كلمته الأخيرة عن القوات المسلحة التي عزا اليها هزيمة ألمانيا رغم قيادته لها. وقال أن البحرية انجزت أعمالاً باهرة وسلاح الجو حارب ببسالة وگورنگ وحده المسؤول عن فقدانها التفوق والمبادأة في الحرب. اما عن الجيش فذكر أن الجنود العاديين حاربوا جيداً، بل ببسالة إلا ان الجنرالية خيبوا ظنهم وظنه:

"إن الشعب والقوات المسلحة بذلوا كل مافي مقدورهم خلال هذا الكفاح الطويل الشاق وكانت التضحية هائلة، إلا ان ثقتي بكثير من الناس أسيء استعمالها والغدر والخيانة قوضا أسس المقاومة طوال الحرب. لذلك لم يُقدر لي قيادة الشعب الى النصر. إن هيئة أركان حرب الجيش لايمكن مقارنتها بهيئة أركان الحرب العالمية الأولى وانجازها كان اقل بكثير مما تتطلبه مهام القتال".

بقي رب الحرب النازي أميناً على طبيعته الى النهاية. الإنتصارات العظمى يعزوها اليه والهزائم والإندحارات يعزوها الى عجز الآخرين وغدرهم وخياناتهم. وتأتي العبارة التوديعية. وهي آخر كلمات سجلها العبقري المجنون في نهاية حياته:

"ان مجهودات وتضحيات الشعب الألماني في هذه الحرب كانت كبيرة جداً ولا أعتقد انها ستضيع هباءً والهدف يجب ان يبقى دائماً، وهو كسب أرض للشعب الألماني".[٢٧]

كانت العبارة الأخيرة الموجهة منتزعة رأساً من كفاحي. بدأ هتلر حياته السياسية بفكرة (مجال حيوي في الشرق يجب أن يحرزه الشعب الألماني المختار) وها هوذا ينهى حياته بها. ولم تقنعه ملايين البيوت الألمانية التي دمرتها القنابل، وفناء الأمة الألمانية نفسها، بأن سرقة أراضي الشعب الروسي في الشرق انما هو حلم تيوتوني خلاب، هذا اذا تركنا الأخلاق جانباً.

-٦-

موت هتلر وعروسه

في عصر يوم ٢٩ نيسان وردت الملجأ قصاصة أخرى من أنباء العالم الخارجي: موسوليني زميل هتلر وشريكهُ في العدوان الدكتاتور الفاشي، يلقى حتفه مع عشيقته (كلارا بيتاتشي).

كانت وحدات الأنصار الإيطالية قد القت القبض عليهما في ٢٧ نيسان أثناء محاولتها الفرار من (كومو) الى سويسرا. وبعد يومين أعدما الحياة وفي مساء السبت المصادف ٢٨ نيسان نقلت الجثتان

٢٧- اتلف العقيد بيلوف الرسالة عندما علم بموت هتلر، في أثناء ما كان يشق طريقه الى جيوش الحلفاء في الغرب. واعاد كتابتها من الذاكرة. انظر تريڤور روپر المرجع السالف الص ١٩٤-١٩٥.

الى (ميلان) في شاحنة وقذف بهما في ساحة المدينة وفي اليوم التالي علقا من ارجلهما منكوسين بعمود مصباح كهربائي، ثم أُنزلا وبقيا على قارعة الطريق يشمت بهما الرائح والغادي وينفث المواطنون ما في صدورهم من حقدٍ عليه. وفي اول أيار دفن (بينتو موسوليني) مع عشيقته في مقبرة الفقراء في ميلان. وهكذا دخل الدوتشي والفاشية التاريخ بمنتهى العار والشنار.

لايعلم كم من التفاصيل وردت الزعيم حول نهاية الدوتشي الشنعاء وإن وصله المزيد فلايكون تأثيرها الاّ تقوية عزمه على ألا يترك نفسه وزوجه (منظراً مسلياً يقدمه اليهود لجماهيرهم المستهترة) كما كتب قبل قليل في وصية، لن يسلم حياتيهما ولا جثمانيهما.

بعدما وصلته أنباء موسوليني بدأ يقوم بإستعداده الأخير للموت. فأمر بتسميم كلبه المحبوب الالزاسي (بلوندي) وأمر بقتل كلبين آخرين من كلاب الدار بالرصاص، ثم استدعى سكرتيرتيه وأعطى كلاً منهما حُق سُم لإستخدامهما اذا ما رغبتا. وعلى إثر إقتحام "البرابرة الروس" الملجأ. وقال لهما انه يأسف لأنه لايملك اعطاءهما هدية وداع أخرى واعرب عن شكره لخدمتهما الطويلة المخلصة.

الآن حَلّ المساء آخر مساء في حياة هتلر. أمر السيدة (يونكه) إحدى سكرتيراته بإتلاف الأوراق الباقية في ملفاته وابلغ كل من في الملجأ بألا يذهب أحد الى النوم إلا بعد أن يتلقى أوامر أخرى. الوقت قد ازف للقيام بواجب الوداع، الاّ ان ذلك لم يتم إلا بعد نصف الليل بوقت طويل. ففي حوالي الساعة ٢,٣٠ من فجر ٣٠ نيسان إستناداً الى عدة شهود، خرج هتلر من جناحه وظهر في ممشى غرفة الطعام حيث إجتمع حوالي عشرين شخصاً معظمهم من النساء القائمات على شؤون داره. فمرّ بهم يصافحهم ويتمتم بعبارات غير مفهومة وكان يوجد غشاء كثيف من الدمع على عينيه، كما ذكرت السيدة (يونكه) "و بدتا وكأنهما تنظران الى بعيد خلف جدران الملجأ".

و بإنسحابه الى جناحه حصل شيء عجيب: ان التوتر الذي كان يتجمع ويشتد الى حَد صعب إحتماله، ارتخى فجأه ودلف عدة أشخاص الى المقصف يرقصون ويصخبون حتى إرتفعت الضجة وجاءهم رجاء من الزعيم أن يقللوا بعض الشيء من ضجيجهم.

سيقتحم الروس الملجأ عليهم خلال سويعات ويفتكون بهم. على أن بعضهم كان اهدأ تفكيراً وصار يفكر في وسيلة لمغادرة الملجأ بعد أن انزاح عن حياتهم الى الأبد ذلك الكابوس الجاثم من رقابة الزعيم الشديدة. هاهم اولاء ينشدون اللهو اينما وجدوه وكيفما وجدوه. ان شعور هؤلاء بالإنفراج والراحة لاشك كان عظيماً فقد ظلوا يرقصون حتى مطلع الفجر.

ولم يشاركهم (بورمان) الغامض أفراحهم. فمازال ثمّ عمل يجب ان يقوم به. كانت إحتمالات نجاته تتضاءل وقد لاتتاح له فترة كافية بين موت الزعيم ووصول الجيش الأحمر يمكنه إستخدامها للفرار الى (دونتز). وإن عجز عن ذلك مادام الزعيم حياً، فبإمكانه أن يسربل أوامره بصلاحياته طول وجوده في قيد الحياة. فيوقع إنتقاماً آخر بالخونة. ولذلك بعث الى دونتز في الهزيع الأخير من الليل رسالة

أخرى.

"الى دونتز: إن انطباعنا يتقوى يومياً بأن الفرق في ميدان قتال برلين ما زالت مجمدة لعدة أيام وكل التقارير التي تردنا لاتصل إلا بعد ان يعمل فيها كايتل حذفاً وتشويها وإختزالاً... ان الزعيم يأمرك بالتقدم حالاً للقضاء على الخونة بلا رحمة".

ثم- ورغم علمه أن هتلر لم يعد له في الحياة غير ساعات، أضاف الحاشية التالية "الزعيم حي، وهو يقود حركات الدفاع عن برلين". إلا أن برلين لم يعد يمكن الدفاع عنها. لقد إحتل الجيش الأحمر كل احيائها تقريباً وبقيت المستشارية وحدها ومصيرها أيضاً منته كما تبين (بورمان وهتلر) من الموقف الحربي ظهر الثلاثين من نيسان. وكان هذا آخر المطاف. لقد وصلت طلائع الروس (تيبركارتن) من الشرق وإندفعوا الى (بوتسدامر بلاتز) ولم يبق بينهم وبين المستشارية غير مجموعة أبنية واحدة. لقد ازفّ وقت تنفيذ هتلر عزمه.

يظهر ان عروسه لم تشته الغداء ذلك اليوم. وتناول هتلر طعامه مع سكرتيرتيه وطاهيته التي ما كانت تدري انها آخر وجبة طعام هيأتها له. وفي أثناء تناول الطعام في حدود الساعة ٢,٣٠ ب. ظ تسلم (اريخ كمپكا) سائق الزعيم الخاص والمشرف على المرآب أمراً بإرسال ٢٠٠ ليتر من البترول حالاً الى حديقة المستشارية، وصعب على (كمپكا) نوعاً ما أن يهيئ هذا المقدار، إلا أنه جمع زهاء (١٨٠) ليتراً وحمل صفائحها مع ثلاثة أنفار الى مخرج الطوارىء في الملجأ[٢٨].

وفي أثناء جمع زيت جنازة (الڤايكنغ*) أنهى هتلر وجبة طعامه وذهب لوداع (ايڤا براون) لآخر مرة. ولأعوانه گوبلز والجنرالين كريبس وبورگدورف وسكرتيرتيه والآنسة مانزيالي الطاهية ولم تخرج السيدة گوبلز تلك المرأة الفاتنة الرائعة القوام التي سهل عليها مشاطرة زوجها العزم على الموت مثل (ايڤا براون)، لكن اعصابها انهارت تماماً عند تفكيرها بقتل أولادها الستة الصغار الذين كانوا يلعبون في الملجأ تحت الأرض طوال هذه الأيام الأخيرة وليس ببالهم شيء عما ينتظرهم.

كانت قد شكت امرها الى الآنسة (رايتش) قبل يومين أو ثلاثة:

- ايتها العزيزة هانا، ان دنت النهاية فعليك مساعدتي بخصوص الأطفال إذا خارت قواي... انهم ملك للرايخ الثالث وللزعيم، وإن إنتهى هذان فلا معنى لوجودهم في هذه الحياة. وأعظم ما اخشاه هو أن تهن قواي في اللحظة الأخيرة.

هاهي ذي الآن وحيدة في غرفتها تحاول التغلب على خوفها الأعظم[٢٩].

٢٨- رواية كمپكا عن موت هتلر وزوجته وردت في افادتين له موثقين باليمين نشرتا في (مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٥٧١- ٥٨٦ [وثائق نورمبرگ P S ٣٧٣٥].

* فرسان الڤايكنغ القدماء وهم ملاحو سواحل النرويج، كان جثمانهم يوضع في قارب وتشعل فيه النيران ويدفع الى البحر.

٢٩- الاولاد واعمارهم: هيلا Hela (١٢ السنة)، هيلدا Hilda (١١ سنة) هولدا Holdda (٧ سنين) هيدا Hedda (٥ سنين) هايدي Heidi (٣ سنوات) هلموت Helmot (٩ سنوات).

ولم يجابه هتلر و(ايڤا) بهذه المشكلة اذ ليس لديهما غير حياتيهما، أكملا التوديع وإنسحبا الى جناحهما. وفي الممشى وقف گوبلز وبورمان وآخرون قلة. وبعد دقائق سمعوا إطلاقة نارية واحدة، وانتظرت الثانية فلم يكن غير السكون وبعد فترة مناسبة دخلوا حجرة هتلر بهدوء، فوجدوا جثته ملقاة على صُفة تنزف دماً من جرحٍ في فمه. والى جانبه جثة (ايڤا براون). كان ثم مسدسان على الأرض لكن العروس لم تطلق مسدسها وابتعلت السم.

تم ذلك في الساعة ٣,٣٠ عصر نهار الإثنين الموافق ٣٠ نيسان ١٩٤٥ بعد عشرة أيام من ذكرى ميلاد هتلر السادسة والخمسين، وبعد اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر بالضبط من نصبه مستشاراً لألمانيا، وانشائه الرايخ الثالث الذي لم يطل عمره بعده غير أسبوعٍ واحدٍ.

و تلا هذا، جنازة (الڤايكنغ). لم يجر كلام. ولم يكن ثمّ غير هزيم المدفعية الروسية تقذف حمها المتفجرة في حديقة المستشارية والجدران المنشعبة المتصدعة فيها. وقام وصيف هتلر ملازم الإس. إس هاينز لنگه Heinz Linge ونفرٌ بحمل جثة الزعيم ملفوفة في بطانية عسكرية رمادية اللون أخفت الرأس المشوه عن الانظار. وقد شخصه (كمپكا) من السروال الأسود – الذي ظل يرتديه مع سترته العسكرية الرمادية. وكان موت (ايڤا براون) خالياً من النزف الدموي، وحمل بورمان جثتها كما هي الى الممشى ثم سلمها الى (كمپكا).

"[روى السائق كمپكا] كانت السيدة هتلر ترتدي ثوباً قاتماً ولم استطع أن اجد جرحاً في جسمها". حُملت الجثتان الى الحديقة وفي خلال فترة انقطاع القصف وضعا في نقرة قنبلة وصب عليهما البترول. أما المشيعون وعلى رأسهم گوبلز وبورمان فقد انسحبوا الى الملجأ مخرج الطواريء ووقفوا وقفة إستعداد واذرعتهم اليمنى مرفوعة الى الأعلى بالتحية النازية أثناء ما كانت النار تلتهم الجثتين. وكانت المراسيم قصيرة لأن قنابل الجيش الأحمر بدأت تصب وابلاً على الحديقة ثانيةً. وانسحب المشيعون الى موضع أمين في الملجأ تاركين النار التي زادها البترول وقيداً تنهي عملية إفناء آخر البقايا المادية لأدولف هتلر[٣٠] و زوجه. وراح بورمان وگوبلز يعمل كل في نطاق هدفه للرايخ الثالث الذي فقد الآن دكتاتوره ومؤسسه.

لم يسمح الوقت للرسل بالوصول الى دونتز بوصية الزعيم التي عينه فيها خلفاً. وبدا من الواجب أن يبلغ أمير البحر الأكبر بذلك عن طريق الراديو، إلا ان بورمان بعد أن خلت يده من السلطان تردد من الصعب على من مارس السلطة أن يسلمها فجأة. وأخيراً أرسل هذه البرقية:

٣٠- لم يعثر على عظام وهذا ما جعل الشائعات تنتشر بعد الحرب تنفي موت هتلر. الاّ ان الإستجوابات المنفصلة لعدد كبير من شهود العيان بمعرفة المخابرات الأمريكية والبريطانية لم تبق شكاً حول الموضوع. وقدم كمپكا تعليلاً معقولاً عن عدم العثور على العظام المتفحمة، قال للمحققين "لقد محيت كل الآثار نتيجة القصف المتواصل لمدفعية الجيش الأحمر.

"امير البحر الأكبر دونتز"

يعينك الزعيم خلفاً له محل مارشال الرايخ السابق گورنگ. والتعيين الخطي هو في طريقه اليك. عليك حالاً ان تتخذ التدابير اللازمة التي يتطلبها الموقف".

ولم يكن هناك أيّ كلمة حول موت هتلر.

صعق أمير البحر الأكبر لهذه الأنباء وكان يقود كل الجيوش الألمانية في الشمال من مقر قيادته الجديد في (شلزڤيك). ولم يكن لديه اية رغبة في استخلاف هتلر بعكس قادة الحزب. ولم تدخل الفكرة رأسه رأس البحّار. فقبل يومين وبإعتقاده ان (هملر) هو الخلف المنطقي لهتلر قصده وعرض عليه الدعم والمساندة. لكن لما لم يخطر بباله عصيان أمرٍ صادر من الزعيم، فقد بعث بالجواب التالي متوهما ان هتلر ما زال حياً.

ايها الزعيم: "سيكون ولائي لك غير محدود أو مشروط وسأعمل ما بوسعي لفك الحصار عنك في برلين. فإن حكم القدر أن اتولى السلطة في الرايخ خلفاً لك معيناً من لدنك فسوف اواصل هذه الحرب الى نهاية لائقة جديرة بالكفاح البطولي للشعب الألماني.

أمير البحر الأكبر (دونتز)

وفي تلك الليلة طرأت فكرة جديدة لكل من بورمان وگوبلز، فقررا محاولة التفاوض مع الروس. وكان الجنرال (كريبس) رئيس هيئة الأركان العامة، مساعد ملحق عسكري في موسكو في الماضي وهو يجيد الروسية، وكان ستالين في إحدى المناسبات قد عانقه في محطة قطار موسكو. فربما إستطاع ان يكسب شيئاً من البولشفيك؟ أو بعبارة أخرى ما يريده گوبلز وبورمان وهو وثيقة مرور تساعدهما على اللحاق (بدونتز) وحكومته الجديدة. وهما مستعدان لتسليم برلين مقابل هذا.

فانطلق الجنرال كريبس في الساعة ١,٣٠ بعد نصف الليل (١ أيار) لمقابلة الجنرال شويكوف Chuikov [٣١]. قائد القطعات السوڤييتية في ميدان برلين وقد سجل أحد الضباط الألمان المرافقين حديثهما:

كريبس: اليوم هو أول أيار، عيد كبير لأُمتينا[٣٢].

شويكوف: اليوم عندنا عيد عظيم. كيف تسير اموركم هناك؟ يصعب على المرء ان يفكر في ذلك[٣٣].

و طلب الجنرال السوڤييتي الإستسلام بدون قيد أو شرط لكل المتواجدين في ملجأ الزعيم فضلاً لما تبقى من الجنود الألمان في برلين.

وقضى (كريبس) وقتاً طويلاً في مهمته، ولما لم يعد في الساعة الحادية عشرة من صباح ١ أيار

٣١- وليس الفيلدمارشال (ژوكوف) كما تثبتها اغلب الروايات.

٣٢- أول أيار هو يوم العمال التقليدي في كل أوروپا.

٣٣- (بواكيم توالد Jaachim Thowold: [النهاية في البة ص٢٢٤].

آرسل بورمان النافذ الصبر رسالة راديو أخرى الى دونتز:
"إن الوصية الآن نافذة المفعول. سألحق بك بأسرع ما يمكن والى أن أصل أوصي بأن لاتُنشر الوصية".

هناك شيء مقلق ايضاً. لم يكن بورمان قادراً على التصريح بموت الزعيم، ولم يستطع ترويض نفسه على ذلك. انه يريد أن ينجو بجلده ليكون أول من يخبر (دونتز) بالنبأ العظيم، وبهذا يضمن لنفسه الحظوة عند القائد العام الجديد. إلا ان گوبلز الذي كان يهم بالقضاء على حياته وحياة زوجه واولاده لم ير سبباً يمنع من إبلاغ أمير البحر بهذه الحقيقة البسيطة. وفي ٣,١٥ عصراً بعث برسالته الخاصة الى دونتز. وهي آخر رسالة لاسلكية تخرج من ملجأ برلين المحاصر الى أمير البحر الأكبر.

سري للغاية

مات الزعيم يوم أمس في الساعة ١٥,٣٠ [٣,٣٠]. الوصية المؤرخة ٢٩ نيسان تقضي بتعيينك رئيساً للرايخ و[تلا ذلك اسماء الوزراء الرئيسيين] بأمر من الزعيم ارسلت الوصية خارج برلين اليك... بورمان ينوي القدوم اليك اليوم ليخبرك بالموقف. متروك لك وحدك تعيين زمن وشكل إعلان النبأ على الشعب الألماني والجنود، أيدوا الوصول.

التوقيع: گوبلز

ولم يجد گوبلز ضرورة لإعلام الزعيم الجديد بما إعتزمه شخصياً. ففي ساعات العصر الأولى من (١ أيار) قام بتسميم الأولاد فاوقف لعبهم واعطيت لهم حقن قاتلة من يد الطبيب الذي قتل كلاب الزعيم قبل يوم. ثم استدعى گوبلز مرافقه نقيب الـ(إس. إس) (گونتر شفايكرمان Guenther Schwaegermann) وطلب منه كمية من البترول وقال له: "تلك يا شفايكرمان افظع عمليات غدرٍ. لقد خان الجنرالية الزعيم وضاع كل شيء. وسأموت الآن مع زوجي واولادي". [ولم يذكر لمرافقه انه أمر قبل قليل بقتلهم]. وإنك ستحرق اجسادنا فهل أعتمد عليك؟".

اكد له شفايكرمان بأنه سيفعل وأرسل بعض الجنود للحصول على بترول. وبعد دقائق قليلة (٨,٣٠مساءً) وقبل ان يسدل الليل ستاره في الخارج طاف الدكتور وزوجه في أنحاء الملجأ وودعا من كان موجوداً في الممشى، وإرتقيا الدرج الى الحديقة. وبعد رجاء من أحد رجال الـ(إس. إس) اطلق عليهما طلقتين في مؤخر رأسيهما وصب عليهما أربع صفائح من البترول وأُوقدت فيهما النيران. الاّ أن الاحتراق لم يكن تاماً[٣٤]. لأن سكان الملجأ كانوا في عجلة من امرهم للخروج من الملجأ ولم يجدوا وقتاً تصح إضاعته في إكمال حرق جثتين فقدتا الحياة. وقد عثر الجيش الأحمر عليهما متفحمتين في اليوم التالي وتم تشخيصيهما في الحال.

وفي الساعة التاسعة مساء الأول من أيار إشتعلت النار في الملجأ وراح من فيه وعددهم يتراوح بين خمسمائة وستمائة من حاشية الزعيم يجوسون خلاله مثل فراخ الدجاج برؤوس مشرئبة، كما ذكر

٣٤- روى حادثة موت اسرة گوبلز (تريڤور روپر: المرجع السالف الص ٢١٢- ٢١٤) وهي مستندة بصورة جوهرية على روايات (كمپكا وشفايكر واكسمان).

أحدهم (وهو خائط ثياب هتلر) متهيئين الى الإنطلاقة الكبرى. كانت الخطط تقضي بالسير مشياً على القدم في دهليز قطار تحت الأرض من المحطة الواقعة في ڤلهلمسپلاتز مقابل المستشارية حتى محطة قطار شارع فردريك، ثم يعبرون نهر (شپري Spree) ويتسربون من خطوط الروس الى شمال النهر مباشرة ونجا أكثرهم بهذه الخطة. إلا أن بعضهم لم يفلح، ومن هؤلاء مارتن بورمان. عندما آب الجنرال (كريبس) الى الملجأ أخيراً بطلب الجنرال (شويكوڤ) التسليم دون قيد، قرر سكرتير الحزب أن فرصته الوحيدة في النجاة هي اللحاق بركب الجلاء عن الملجأ. وحاولت الجماعة التي إنضم اليها أن تسير خلف دبابة ألمانية لكن الدبابة اصيبت اصابة مباشرة بقذيفة روسية حسبما روى (كمپكا)، فقُتل بورمان بكل تأكيد تقريباً. وشهد ارتور اكسمان Artuer Axmann قائد شبيبة هتلر الذي فرّ من فوج صبيان المعسكر على جسر بيخلسدورف، وكان موجوداً أيضاً، بأنه رأى جثة بورمان ملقاة تحت الجسر حيث يتقاطع (شارع المرضى) بالسكة الحديد، وكان ضوء القمر ينعكس على وجهه بكل وضوح. ولم يجد (اكسمان) جرحاً ظاهراً منه ويعلل هذا أن (بورمان) ازدرد سُما عندما اغلقت بوجهه أبواب النجاة من خطوط الروس. ولم يلتحق الجنرالان (كريبس وبورگدورف) بالخارجين من الملجأ، والمعتقد انهما اطلقا النار على نفسيهما في سرداب المستشارية الجديدة.

-٧-

نهاية الرايخ الثالث

ظل الرايخ الثالث يعالج سكرات الموت سبعة أيام بعد هلاك مؤسسه. في الساعة العاشرة من مساء أول أيار، وفيم كانت النيران تأتي على جثتي الدكتور گوبلز وزوجه في حديقة المستشارية وسكان الملجأ يتقاطرون الى نفق قطار تحت الأرض في برلين، قطع راديو هامبورگ السمفونية السابعة الكئيبة (لبروكنر) واشفعها بقرعات طبول عسكرية، ثم أعلن المذيع:

"إن زعيمنا أدولف هتلر، خر صريعاً وهو يحارب حتى النفس الأخير من حياته ضد البلشفية لأجل ألمانيا عصر هذا اليوم في مقر قيادة عملياته الحربية في مستشارية الرايخ. وفي ٣٠ نيسان عُيّن الزعيم أمير البحر الأكبر دونتز خلفاً له. واليكم الآن أمير البحر الأكبر خليفة الزعيم يذيع كلمة الى الشعب الألماني".

كانت انفاس الرايخ الثالث الأخيرة تخرج مع اكذوبة دنيئة مثلما بدأت حياته باكذوبة حقيرة. فبصرف النظر عن ان هتلر لم يلق حتفه عصر ذلك اليوم بل اليوم الذي سبقه وهذا ليس مهماً، تراه بقول أنه سقط صريعاً في ساحة الوغى يقاتل "حتى النفس الأخير!" على أن إذاعة هذه الاكذوبة كان ضرورياً، مادام اراد ورثة البرُدة، تخليد أسطورة منه ومادامو يريدون السيطرة على الجنود الذين

مازالوا يقاتلون وسوف ينتبهون الى الغدر إن عرفوا الحقيقة بدون شَك.

وردد (دونتز) الأكذوبة عينها عندما اذاع كلمته في الساعة ٢٠ , ١٠ مساء. فتكلم عن "موت الزعيم البطولي" وهو في الواقع لايدري كيف لقي مصرعه اذ لم يعلمه گوبلز بالحقيقة، وانما ذكر له أن الزعيم "قضى نحبه" في عصر يوم أمس. إلا ان هذا الإبهام لم يردع أمير البحر الأكبر سواء في هذه النقطة أو غيرها عن العمل ما وسعه على تضليل أفكار الشعب الألماني المضطربة في ساعة الكارثة الوطنية وإحتلال البلاد. قال دونتز:

"ان واجبي الأول هو إنقاذ ألمانيا من الدمار بسبب تقدم العدو البلشفي. ولهذا السبب وحده سنواصل القتال وطالما عرقل الإنگليز والأمريكان غايتنا هذه فنحن مرغمون على قتالنا الدفاعي ضدهم، وفي ظروف كهذه فإن مواصلة الإنگليز والأمريكان حربهم سيكون من اجل انتشار الشيوعية في أوروپا وليس من أجل شعوبها".

بعد هذا التشوية السخيف من أمير البحر الذي لم يؤثر عنه أنه احتج على قرار هتلر حين عقد حلفاً بين الشعوب السوڤييتية والشعب الألماني في ١٩٣٩ ليتمكن من شن حربه على إنگلترا ثم على أمريكا، اكد للشعب الألماني في ختام كلمته "بأن الله لن يتخلى عنا بعد هذه التضحيات والأهوال".

عبارات جوفاء! فدونتز نفسه يعلم ان المقاومة الألمانية شارفت الختام. ففي ٢٩ نيسان وهو اليوم الذي خرجت روح هتلر، تم إستسلام كل الجيوش الألمانية في إيطاليا دون قيد أو شرط، ولم يسمع هتلر هذا النبأ بسبب انقطاع الإتصالات، ولعل ذلك جعل ساعاته الأخيرة أقل عذاباً. وفي ٤ أيار سلمت القيادة العليا الألمانية للمرشال مونتگمري كل القوات العسكرية في شمال غرب ألمانيا والدانمرك وهولندا. وفي اليوم التالي استسلمت مجموعة جيوش (ج) بقيادة المرشال كسلرينگ وقوامها الجيشان الألمانيان الأول والتاسع في شمال الألب.

وفي ذلك اليوم نفسه وصل أمير البحر هانس فون فرايدبورغ Hans Von Freideburg القائد العام الجديد للأسطول الألماني الى مقر قيادة الجنرال آيزنهاور في (ريمس) لمفاوضات الإستسلام وكان غرض الألمان كما كشفت عنه أوراق القيادة العليا الألمانية الأخيرة[٣٥]، هو كسب بضعة أيام لتحريك ما يسعها تحريكه من القطعات العسكرية واللاجئين عن مواضع زحف الجيش الأحمر لكي تستسلم الى حلفاء الغرب. ووصل الجنرال يودل في اليوم التالي لمساعدة زميله القائد البحري في مدّ أجل المفاوضات لهذه الغاية. لكن آيزنهاور فطن الى اللعبة وأحبط المحاولة.

"[كتب فيما بعد يقول] قلت للجنرال سميث أن يبلغ (يودل) بأني سأقفل جبهة الحلفاء بأسرها إن لم يتركوا جانباً التلكوء والإدعاءات وسأمنع بالقوة أيّ لاجيء ألماني من دخول خطوطنا، واني لن

٣٥- (يواكيم) شولتز) آخر يوم الثلاثين Die letzten 30 tage الص ٨١- ٨٥ . هذه الملحوظات تستند على يوميات القيادة العليا للقوات المسلحة. لآخر شهر من الحرب. لقد استخدمتها لدعم صفحات كثيرة من هذا الفصل. والكتاب وهو احد الكتب العديدة التي طبعت بإرشاد من (ثورفالد) تحت العنوان العام Dokumente Zur Zeitgeschichte.



قادة قوات الحلفاء. من اليسار: مونتگمري، آيزنهاور، چوكووف، ديلاتر دي تاسييه

أسمح بأي تأخير"[٣٦].

في الساعة ١.٣٠ بعد نصف الليل (٧ أيار) أُبلغ دونتز بمطاليب آيزنهاور. فأبرق الى (يودل) من مقر قيادته في (فلنزبرگ) على الحدود الدانمركية بالتخويل المطلق للتوقيع على وثيقة الإستسلام بدون قيد أو شرط. وإنتهت اللعبة.

وفي غرفة حمراء من غرف صفوف مدرسة في (ريمس) إتخذها آيزنهاور مقراً. إستسلم الألمان بدون قيد أو شرط في الساعة ٢.٤١ من صباح يوم ٧ أيار ١٩٤٥. ووقع الوثيقة عن الحلفاء الجنرال (والتر بيدل سميث) مع الجنرال (سوسلوپاروف Susloparov)، الذي ذيّل الوثيقة بالنيابة عن الإتحاد السوڤييتي والجنرال (فرنسوا ساڤيه Francois Savey) عن فرنسا، ووقع الأميرال فرايدبورغ والجنرال يودل عن ألمانيا.

وطلب يودل أن يُسمح بإلقاء كلمة، فأُذن له:

"بهذا التوقيع يصبح الشعب الألماني والقوات المسلحة الألمانية في أيدي المنتصرين الحلفاء في السرّاء وفي الضرّاء... وفي هذه الساعة لايمكنني إلاّ أن أعرب عن رجائي ان يعاملهم المنتصر بسماحة".

ولم يصدر أيّ جواب من جانب الحلفاء، ولعل يودل يذكر مشهداً آخر كانت فيه الأدوار معكوسة. فقبل خمس سنين قام جنرال فرنسي على اثر توقيع إتفاقية إستسلام فرنسا دون قيد أو شرط في

٣٦- آيزنهاور المرجع السالف ص٤٢٦.



الفيلدمارشال كايتل
يوقع وثيقة
إستسلام ألمانيا

كومپين، فتقدم بطلب مماثل لم يُسعف كما تبين بعد ذلك.

وتوقف هزيم المدافع وقصف القنابل في أوروپا كلها – في متنصف ليلة ٩/٨ أيار ١٩٤٥ وخيم هدوء غريب لطيف – فوق القارة لأول مرة منذ ١ أيلول ١٩٣٩. خلال هذه الأعوام الخمسة والأشهر الثمانية وأيامها السبعة قتل ملايين البشر في ساحات القتال وفي الآف المدن المقصوفة. كما ازهقت ارواح الملايين في غرف الغاز النازية وفي حُفر الموت برصاص الآنيزاتسگروپه في روسيا وپولندا نتيجة شهوة هتلر الى الفتح الألماني. ودُمر القسم الأعظم من أكثرية المدن الأوروپية العريقة. وفاحت من أنقاضها المكدسة عندما شاع الدفء في الجو رائحة الجوّ ما لايحص من الموتى، الذين طمروا تحت الانقاض ولم يُقبروا.

ولم يُعد يسمع في شوارع ألمانيا وقع أقدام فرق الصاعقة ذوي الجزم والكعوب الفولاذية. ولا صرخات راعدة لكتل ذوي القمصان الرمادية وهم يتبخترون في "مشية الأوزة" ولا زعيق الزعيم تردده مكبرات الصوت بعد اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام، وهو حقبة مظلمة للجميع ما خلا جمهرة الألمان. إنتهت بليل داجن عليهم أيضاً. ختمت حياة الرايخ الألفي بعد أن رفع كما رأينا هذا الشعب العظيم بالموارد وبنفسه المطواع السهل الإنقياد الى أعلى ذرى السلطان والفتوح شاهدها في تاريخه، فإذا به يتلاشى بشكل سريعٍ ويختفي إختفاء تاماً عز نظيره في أمثال التاريخ وعبره.

في العام ١٩١٨ بعد الإندحار الأخير هرب القيصر وتقوض صرح النظام الملكي، الاّ ان المؤسسات والأجهزة التقليدية الأخرى التي كانت تدعم بنيان الدولة بقيت كما هي. وبدأت حكومة تخيّرها الشعب تمارس أعمالها كما فعل ايضاً نواة الجيش الألماني وهيئة أركان حربه، لكن الرايخ الثالث مسح عن وجه الأرض مسحاً في ربيع ١٩٤٥، ولم يعد في ألمانيا أيّ سلطة على أيّ مستوىً. وأصبح ملايين الجنود والطيارين والبحارة أسرى حرب في بلادهم وعقر دارهم وحكم مدنيوهم الى أصغر قرية



من اليمين: چرچل، روزفلت، ستالين

من قراهم بجنود العدو الفاتح، واصبحوا يعتمدون عليه في تطبيق القانون والنظام. فضلاً عن الطعام والوقود ليبقوا أحياءً طوال فصلي الصيف والشتاء القاسيين للسنة ١٩٤٥. هذا ما اوصلتهم اليه اخطاء أدولف هتلر وحماقاته، بل حماقاتهم هم أنفسهم، اذ ساروا خلفه بأعين معصوبة وبحماسة كبيرة. على إني لم اجد في أنفسهم مرارة وحقداً كثيراً عليه عندما رجعت الى ألمانيا في ذلك الخريف.

الشعب الألماني هناك والأرض الألمانية هناك أيضاً: الأول مذهول مصعوق ينزف، جائع يقضقض برداً في الشتاء وهو في أسماله البالية، يعيش في حفر وزوايا خلفها القصف من منازلهم. والثانية أرض بلقع يباب تغطيها أكداس الأنقاض. والشعب الألماني لم يُفن أو يُباد كما شاء هتلر له ولغيره من الشعوب الأخرى – في النهاية حتى عندما خسر الحرب.

الا ان الرايخ الثالث أصبح أسطورة من أساطير التاريخ.

جانب من محاكمات نورمبرگ

خاتمة موجزة

في فصل الخريف عدت الى تلك الأرض الفخورة المعجبة بنفسها، حيث قضيت معظم عمر الرايخ الثالث، وصعب عَليّ أن أعرفها واتوضح معالمها. لقد وضعت عودتي إليها في كتاب آخر[1]. وبقي عليّ هنا أن اتعقب مصائر الأشخاص الذين برزت أسماؤهم في الصحائف السالفة وأسهموا بدورٍ في هذا التاريخ.

حُلّت حكومة (دونتز) المتهافتة التي أقامها في فلنزبرگ على الحدود الدانمركية بقرار من سلطات الحلفاء العسكرية في ٢٣ أيار ١٩٤٥، وأُلقي القبض على اعضائها جميعاً. وطُرد (هاينز هملر) من الحكومة في ٦ أيار قبيل إستسلام (ريمس) وهي بادرة من دونتز أراد بها أن تنال حظوة عند الحلفاء. هذا الزعيم الـ(إس. إس) السابق الذي كان يملك سلطان الحياة والموت طويلاً على ملايين البشرٍ من سكان أوروبا، وكثيراً ما مارس هذا السلطان فعلاً. يجد نفسه هائماً على وجهه في ضواحي (فلنزبرگ) حتى ٢١ أيار، عندما قرر هو وأحد عشر ضابطاً من الإس. إس أن ينطلقوا الى وطنه باڤاريا عبر الخطوط الإنكليزية الأميريكية. فأزال شاربه (و ربما اورثه ذلك ألماً) وشد على عينه اليُسرى خرقة سوداء وسار جمعهم ليستوقف في أول نقطة رقابة بريطانية بين هامبورگ (وبريمر هاڤن). وبعد الإستجواب كشف هملر عن هويته الى نقيب بريطاني. فأخذه حالاً الى مقر قيادة الجيش الثاني في لونبرغ Lueneburg. فنزعت عنه كل ثيابه وفُتش تفتيشاً دقيقاً وأُعطى ثياباً عسكرية بريطانية زيادة في الحيطة. لكن التفتيش لم يكن كاملاً، فقد أخفى (هملر) حُقاً من سم سيانايد الپوتاسيوم في تجويف اللثة. ولما وصل ضابط إستخبارات بريطاني ثانٍ من مقر قيادة مونتگمري في ٢٣ أيار وطلب من ضابط طبيب أن يفحص فم الأسير، كسر هملر الحُق في فمه ومات في ظرف إثنتي عشرة دقيقة رغم المجهودات العظيمة التي بذلت لإبقائه حياً بغسل معدته وإعطائه جرعات مضادة.

وعاش المتعاونون المقربون الى هتلر زمناً أطول مما عاش. وإنحدرتُ الى نورمبرگ لألقي عليهم نظرة أنا الذي رايتهم كثيراً في أيام مجدهم وسؤددهم يتبخترون في مؤتمرات الحزب السنوية في هذه المدينة بالذات. وبدوا في قفص الاتهام أمام المحكمة العسكرية الدولية أناساً لا عهد لي بهم. فقد طرأ تحول كبير عليهم، كانت ثيابهم تميل الى الرثاثة والقدم، وهم متهالكون في مقاعدهم يعبثون بأياديهم عبثاً عصبياً، ليس فيهم ما يشبه القادة الغطارفة السابقين، وبدا من الصعب أن يكون هؤلاء الناس قد جمعوا فيما مضى بأيديهم هذا القدر الهائل من السلطان مكّنهم من إخضاع شعب عظيم والإستيلاء

١- نهاية يوميات برلينية.



هملر يموت منتحراً

على أوروبا. كـان ثم واحـدٌ وعـشـرون منهم[٢] في قفص الإتهام. گورنگ ناقصاً أربعين كـيلو من وزنه، يرتدي بزة طيـران رثة دون شـارات ويظهـر انه مسـرور لاحتلاله مقعد المتهم الأول في القفص، وهذا نوع من الإعتراف المتأخر بمقامه حسب التسلسل الحزبي بعد أن قضى هتلر نحبه، ويليه (رودولف هسّ) الرجل الثالث قبل طيرانه الى إنگلترا، بوجه عليل سقيم ونظرات تائهة شاردة في الفراغ من عينيه الغائرتين عميقاً في وجنتيه، كان يفتعل فقدان الذاكرة إلا أنه رجل محطم بدون شك. وأخيراً هذا ريبنتروب مجرداً من كبريائه وغروره، بدا شاحب الوجه محني الظهر منكسر الخاطر، وكايتل الذي فقد خيلاءه، وفيلسوف الحزب المعتوه روزنبرگ، الذي يبدو وكأن الأحداث التي جاءت به الى هذا المكان قد جعلته يصحو على الحقيقة أخيراً.

كان هناك (يوليوس شترايخر) عدو السامية الألدّ في مدينة نورمبرگ، هذا الرجل السادي الخليع تاجر الصور الداعرة الذي شاهدته يوماً يسير في شوارع المدينة ملوحاً بسوطهُ، بدا الآن شارد اللبّ شيخاً طاعناً في السن يتفحص أوجه القضاة ليقنع نفسه بأنهم يهود جميعاً (هذا ما بيّنه لي الحراس) والى جانبه (فريتز ساوكل) رئيس عمل السخرة في الرايخ الثالث بعينيه الضيقتين المنحرفتين اللتين جعلته اشبه بحيوان (النيص)، يليه (بالدرڤون شيراخ) أول قائد لشبيبة هتلر والحاكم العام لڤيينا بنسبة دمه الأمريكي التي تغلب على نسبته الألمانية، بدا وكأنه صبي كلية نادم طُرد من معهده لحماقة إرتكبها. وثمّ ايضاً (ڤالتر فونك) ذو العينين الماكرتين ذلك النكرة الذي خلف شاخت في منصبهُ، وهناك شاخت بعينه الذي قضى آخر أشهر الرايخ الثالث سجين زعيمه الذي إحترمه يوماً ما – يخشى الموت في كل لحظة في أحد معسكرات الإعتقال، وهو الآن ساخط مستنكر لقيام الحلفاء بمحاكمته كمجرم حربٍ. وثم أيضاً (فرانز ڤون پاپن) أكثر من أيّ فردٍ في ألمانيا مسؤولية في مجيء هتلر الى الحكم. قُبض عليه وجيء به متهماً وبدا وكأن السنون اناخت عليه بكلكلٍ، الاّ أن ملامح الثعلب العجوز الذي نجح في إنقاذ نفسه من أحرج المآزق، ما زالت منطبعة على وجهه الذكي الأريب.

وثم أيضاً (نيوراث) أول وزير خارجيةٍ لهتلر. ألماني من المدرسة القديمة، بقليل من المبادئ وقليل من النزاهة بدا محطماً تماماً. إلاّ شپير! فقد خلف شخصه خير انطباعٍ في المحكمة. وبقي طوال

٢– الدكتور روبرت لاي رأس جبهة العمل الذي كان احد المتهمين. شنق نفسه في زنزانته قبل بدء المحاكمة. عمل له حبلاً من منشفة عقدها في أنبوب دورة المياة.

المرافعات لايحيد عن قول الحقيقة ويتحرى النزاهة والصدق، ولايحاول التهرب من مسؤوليته أو الإعتذار لذنبه. وهناك (سيبس إنكوارت) كويزلنگ النمسا، ويودل، والأميرالان (رايدر ودونتز)، وهذا الأخير كان يبدو في بذلته الجاهزة أشبه بموظف في مخزن بيع احذية من دون الناس جميعاً. و(كالتنبرونر) خَلَف "الجلاد هيدريخ" الدموي، الذي اقر ببعض جرائمه وتابَ وإكتشف ربّه (كما قال) وراح يرجو غفرانه، (وفريك) رجل لا لون له وهو على حافة الموت، مثلما كان في حياته. واخيراً هناك من يدعى (هانس فريتشه Hanz Fritzche) الذي إشتهر كمعلّق اذاعي لأن صوته شبيه بصوت گوبلز. فعينه موظفاً في وزارة الدعاية. ولم يدر أحد في قاعة المحكمة حتى ولا فريتشه نفسه لماذا جيء به متهماً هنا. فقد كان ضئيل الشخصية جداً اذا قورن بزملائه المتهمين. إلا اذا اريد به ان يكون شبحاً لسيده گوبلز.

بُرّيء (فريتشه) كذلك بُرّئ كل من شاخت وپاپن ونال ثلاثتهم فيما بعد أحكاماً قاسية من محاكم إزالة النازية، ولكنهم لم يقضوا منها الاّ مدداً قصيرة جداً.

و حكم على سبعة من المتهمين في نورمبرگ بالسجن وهم هِسّ ورايدر وفونك (مدى الحياة)، وشپير وشيراخ (عشرون سنة) ونيوراث (خمس عشرة سنة) ودونتز (عشر سنوات). اما الباقون فقد حُكموا بالموت.

وفي الساعة الواحدة والدقيقة الحادية عشرة من ١٦ تشرين الأول ١٩٤٦ صعد ريبنتروب المشنقة في غرفة تنفيذ سجن نورمبرگ، وتبعه بفترات قصيرة كل من كايتل وكالتنبرونر وروزنبرگ وفرانك وفريك وشترايخر وسيبس انكورات وساوكل ويودل.

ولم يأت دور گورنگ فقد خدع الجلاد قبل ساعتين. اذ ابتلع سُما تمكن من تهريبه الى زنزانته ونجح كزعيمه هتلر ومنافسه في الكرسي هملر في أن يتخيّر في آخر لحظة الطريقة التي يريدها لمفارقة العالم. العالم الذي زرع فيه صنوف القتل والخراب مثل زميليه الآخرين.

١٩٦٦/٩/٤

شكر واعتراف بالجميل

مع اني قمت بابحاث هذا السفر وتصميم هيكله بنفسي كما هو شأني في كل ما ألّفتُ من كتب. فأنا مدين بالكثير لطائفة من الاشخاص والمؤسسات لما بذلوه لي من عونٍ كريم خلال السنوات الخمس التي قضيتها في تأليفه.

لقد دفعني الى البدء به وشجعني المرحوم (جاك گودمان Jack Goodman) من دار نشر (سيمون وشوستر Simon and Shuster) (و جوزف بارنز Joseph Barnes) وهو ناشري في دار النشر هذه. وكان مساعدة زميلي (بارنز) وصديقي منذ أيامنا في أوروپا كمراسلين – قيّمة جداً في مجال تأليفي بالحث والتشجيع في مختلف الظروف. واذكر الدكتور فريتز ت. ايشتاين Dr Fritz T. Epstein من موظفي مكتبة الكونگرس، وهو باحث جليل ومرجع في الوثائق الألمانية المستولى عليها. فقد كان دليلي ونبراسي الذي يهديني سبيلي في اكداس وجبالٍ من الوثائق الألمانية. وفي هذا المجال خف الى مساعدتي عدد كبير منهم (تلفورد تايلر) رئيس الادعاء العام في محاكمات مجرمي الحرب في نورمبرگ الذي سبق له أن نشر مجلدين عن تاريخ الرايخ الثالث العسكري. فقد أعارني وثائق وكتباً من مجموعته الخاصة وبذل لي اطيب النصح والهداية. اما الأستاذ اورون جَيْ. هيل Prof. Oron J. Hale من جامعة ڤرجينيا ورئيس اللجنة الأمريكية لدراسة وثائق الحرب المنبثقة عن الجمعية الأمريكية التاريخية، فقد ارشدني الى مواد كثيرة منها نتائج بعض ابحاثه الخاصة وطوق عنقي بجميل لاينسى حين امسكني من يدي في يوم صيف قائظ من العام ١٩٥٦ وأخرجني قسراً من قاعة الوثائق في مكتبة الكونگرس وعزرني تعزيراً شديداً، بسبب إنصرافي التام الى مثل هذه الكتابة وإلاّ قضيت بقية حياتي أنقب في الأوراق الألمانية. ما اسهل على المرء أن يستغرق في تلك الوثائق وينسى ما جاء في طلبه! واذكر ايضاً الدكتور برنارد نوبل Dr. Bernard Noble رئيس قسم التاريخ في وزارة الخارجية، وپول ر. سويت Paul R. Sweet من كبار موظفي الخارجية الذي كان واحداً من ناشري "وثائق سياسة ألمانيا الخارجية" وكلاهما عاونني في استهدائي الى السبيل القويم بين تيه من أوراق النازيين. وكان كل من السيدة هلدگارد ر. بويننگر Hildigard. R. Boeninger من مكتبة هوڤر في جامعة ستانفورد Stanford والسيدة آگنس ف. پيترسن Agnes. F. Peterson كريتمين في مساعدتهما: الأولى عن طريق المراسلة والثانية بشخصها. وفي وزارة الحرب هداني العقيد (و. هوڤر) وكيل رئيس رئيس قسم التاريخ العسكري وديتمار فينكه Detmar Finke من موظفي دائرته الى سجلات الألمان العسكرية التي تملك هذه الدائرة منها مجموعة فريدة في بابها.

وقد اهتم هاملتن فيش ارمسترونگ Hamilton Fish Armstrong رئيس تحرير "الشؤون الخارجية"

إهتماماً خاصاً في تعقيب أمر الكتاب بالنصح والإرشاد كما فعل (والتر هـ. مالوري Walter. H. Mal-lory) المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الخارجية. واني لأشعر بالفضل الكبير للمنحة السخية التي ساعدتني على تخصيص كل وقتي لهذا الكتاب خلال السنة الأخيرة لاعداده وعليّ أيضاً ان اتقدم بالشكر لموظفي مكتبة المجلس الممتازة. فقد ازعجتهم بطلباتي الكثيرة الثقيلة وعانى موظفو جمعية مكتبة نيويورك مثل هذا وبرهنوا على طول صبرهم إزاء طلباتي وعلى تفهم تامٍ لي.

كذلك اتقدم بالشكر لكل من لويس گالانتيير Leuis Galentiere وهربرت كريدمان Herbert Kriedman لتفضلهما علي بقراءة معظم مسودات الكتاب وابدائهما النقد المفيد جداً. واما العقيد (ترومان سميث) الذي كان ملحق سفارة الولايات المتحدة العسكري في برلين عندما بدأ هتلر نشاطه السياسي في أوائل العشرينات وظل فترة بعد توليه الحكم فقد وضع تحت تصرفي بعض مذكراته وتقاريره التي القت ضوءً على مبدأ حركة القوميين الاشتراكيين وبعض مظاهرها التالية. وبفضل (سام هاريس Sam Harris) أحد أعضاء الادعاء العام الأمريكيين في نورمبرگ تسنى لي الوصول الى مجلدات "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" مع مواد أخرى لم تنشر. وكان الجنرال فرانز فون هالدر رئيس هيئة أركان الحرب العامة للجيش الألماني خلال سنوات الحرب الثلاث الأوائل، عظيم الجود والكرم في الاجابة على استفساراتي وارشادي الى المصادر الألمانية. ولقد ذكرت في محل ما من مؤلفي قيمة يومياته غير المطبوعة. لقد ابقيت نسخة منها تحت يدي أثناء كتابة قسم كبير من هذا الكتاب. وذكرني (جورج كينان) من موظفي السفارة الأمريكية في مبدأ الحرب بنقاط معينة ذات قيمة تاريخية. وثم عدد كبير من أصدقاء أوروپا أمثال (جون گونتر) و(م. و. فودور M. W. Fodor) و(كي بويل Kay Boyle) و(سيگفريد شولتزر) و(دوروتي تومسن) و(ويت بورنيت) و(نويل روجرز) ناقشوني مختلف احداث هذا الكتاب وبحثوها بحثاً مفيداً. واذكر ايضاً (پول ر. رينولدز Paul R. Re-ynolds) وكيل أعمالي الكتابية أدين له بالتشجيع عندما كنت احوج الى التشجيع.

وأخيراً اقر بديني لزوجي التي كان المامها باللغات الأجنبية واصلها الأوروپي وتجاربها في ألمانيا والنمسا، عونا كبيراً لي في ابحاثي وكتاباتي ومراجعاتي. وقد اسعفتنا بنتانا انگه Inge وليندا Linda بامور ضرورية كثيرة خلال عطلتهما من الكلية.

لهؤلاء جميعاً ولآخرين غيرهم ساعدوني بمختلف الاشكال، اقدم جزيل شكري وامتناني. ولاشك في ان مسؤولية الأخطاء والهفوات في هذا الكتاب تقع كلها على عاتقي.

المراجع

بني هذا الكتاب بالاصل على الوثائق الألمانية المستولى عليها وعلى محاضر الاستنطاق والافادات المأخوذة من الضباط العسكريين والموظفين المدنيين. ثم على اختباراتي ومشاهداتي الشخصية في الرايخ الثالث.

طبعت ملايين الكلمات من الأضابير الألمانية في سلاسل ومجلدات بمختلف المواضيع. وجمعت ملايين أكثر منها أو صورت (بالميكروفلم) واودعت قماطر مكتبات هذه البلاد. واخص منها بالذكر مكتبة الكونگرس ومكتبة هوڤر في جامعة ستانفورد. وخزانة المخطوطات الوطنية في واشنطن. زد على هذا فإنّ دائرة رئيس قسم التاريخ العسكري في وزارة الجيش بواشنطن تحتفظ بمجموعة كبيرة جداً من الوثائق العسكرية الألمانية.

بين مجموعات الوثائق المطبوعة، غنمت أجزل الفائدة من ثلاث: الأولى [وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية Documents on German Foreign Policy] و(المُسلسل D) الذي يحوى كثيراً من منتخبات مترجمة الى الإنگليزية – من أوراق وزارة الخارجية الألمانية للسنوات ١٩٣٧–١٩٤٠. وتكرمت على وزارة الخارجية الأمريكية فسمحت لي بالاطلاع على ما لم ينشر أو يترجم من وثائق وزارة الخارجية الألمانية المتعلقة اصلاً – بإعلان ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن اثمن المراجع التي تذهب بالمرء الى ما جرى وراء الستار في الرايخ الثالث مجموعتان وثائقيتان تتعلقان بمحاكمات نورمبرگ الكبرى. الأولى هي مجموعة [محاكمات مجرمي الحرب الكبار] وتقع في (٤٢) مجلداً وأول ثلاثة وعشرين جزءاً منها تحوي نصوص الافادات والشهادات المستمعة في المرافعة. اما الباقي فيتضمن نصوص الوثائق التي عُرضت للمحكمة كمبرزات وادلة جرمية بلغاتها الأصلية، ومعظمها ألماني. وهناك وثائق أخرى وافادات وشهادات جمعت للمحاكمة وطبعت بعشرة مجلدات بعنوان [مؤامرة النازيين وعدوانهم Nazi Conspiracy and Aggression] ولقد حذفت من هذه السلسلة لسوء الحظ معظم الشهادات الهامة جداً التي أدلي بها أمام المحكمة العسكرية الدولية. ولم تعد ميسورة إلا بشكل (ميموگرافي) مودع في مكتبات شهيرة تعد على الأصابع.

جرت اثنتا عشرة محاكمة تالية في نورمبرگ، فَصَلَت بها محاكم عسكرية تابعة للولايات المتحدة، الاّ ان المجلدات الضخمة الخمسة عشر من الشهادات والأدلة الجرمية التي طبعت فيها بعنوان [محاكمات مجرمي الحرب أمام محاكم نورمبرگ العسكرية Trials of War Criminals Before The Nuremberg Military Tribunals] لاتحوي إلا عِشر المواد الاصلية. ومهما يكن من أمرٍ فان الباقي

ميسور إذ طبع (بالفوتوستات والميموگراف) واودع بعض المكتبات. وهناك ملخصات لبعض المحاكمات التي قد تلقي ضوءً باهراً على الرايخ الثالث في [تقارير قانونية عن محاكمات مجرمي الحرب Law Reports of Trials of War Criminals] طبعته المطبعة الرسمية لحكومة بريطانيا في لندن بتاريخ ١٩٤٧-١٩٤٩.

ومن الوثائق الألمانية غير المطبوعة خلاف المجموعات الثمينة المحفوظة في مكتبات: هوڤر والكونگرس وخزانة المخطوطات الوطنية، ملفات (هملر) وعددٌ من أوراق هتلر الشخصية. ومن اثمن اللُقى في هذا الصدد تلك الوثائق التي اطلق عليها فيما بعد، اسم [أوراق الاسكندرية] ولقد صور جزء كبير منها الآن (بالميكروفلم) وحفظ في خزانة المخطوطات الوطنية. ويجد القاريء في حواشي الكتاب اشارات الى عدد من الأوراق المستولى عليها.

من بين المآثر الألمانية غير المطبوعة -والشيء بالشيء يذكر- يوميات الجنرال هالدر وتقوم في سبعة مجلدات بالآلة الكاتبة مع تعليقات ذيلها المؤلف بعد الحرب لايضاح بعض ما غمض من وَقَعاتها. ولقد وجدتها وايم الحق من اثمن المراجع عن الرايخ الثالث.

أثبت أدناه، عناوين بعض الكتب التي افدت منها، وهي على ثلاثة اصناف: الصنف الأول مذكرات ويوميات بعض الشخصيات الهامة في هذا السفر، والصنف الثاني الكتب التي اعتمد مؤلفوها مراجع وثائقية ومنها آثار [جون و. هويلر-بينيت، وآلان بللوك، وَ هـ. ر. تريڤور روپر، وجيرالد رايتلنگر] من إنگلترا. وكتاب [تلفورد تايلر] من أمريكا. وآثار [ابرهارد زيللر، وگيرهارد ريتر، ورودولف پشيل، وڤالتر گويرلتز] من ألمانيا. والصنف الثالث تلك الكتب التي افادتني بمثابة مصادر عامة اصولية.

لقد طبع في (مونيخ) قائمة مراجع مستفيضة عن الرايخ الثالث وصدر عدد خاص لـ: [Vierteljahrshefte Fuer Zeitgeschichte] باشراف [معهد التاريخ Institut Fuer Zeitgeschichte]. كما وان قوائم مكتبة [ڤينر] في لندن تتضمن أثباتاً من المراجع ممتازة.

ا: المراجع الوثائقية المطبوعة

١- محاكمة هتلر: ط مونيخ ١٩٢٤. دار نشر الشعب الألمانية [وهي محاضر مرافعات محاكمة هتلر في مونيخ: Der Hitler Prozess].

٢- الوثائق والمواد المتعلقة بالفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٧- ١٩٣٩) مجلدان، ط موسكو ١٩٤٨ دار طباعة اللغات الأجنبية Documents and Materials Relating to The Eve of the Second World War, 1937 - 1939

٣- الوثائق الخاصة بالعلاقات الألمانية البولندية، مطبعة الحكومة ١٩٣٩ وهو [الكتاب الازرق البريطاني] Documents Concerning German - Polish Relations and the Outbreak of Hostilitied Between Great Britain and Germany

٤- وثائق عن سياسة بريطانيا الخارجية ١٩١٩-١٩٣٩ ط لندن. مطبعة الحكومة ابتداء من عام ١٩٤٧ [Documents on British Foreign Policy 1919 - 1939]

٥- وثائق عن سياسة ألمانيا الخارجية ١٩١٨-١٩٤٥ [المُسلسل D ١٩٣٧-١٩٤٥] عشرة مجلدات (كما في ١٩٥٧) ط واشنطن. باشراف وزارة الخارجية الأمريكية Documents on German Foreign Policy, 1918 - 1945. Series D.

٦- الوثائق السياسية الألمانية ١٩٣٣-١٩٤٠ ط برلين في ١٩٣٥-١٩٤٣ Dokumente der deutchen Politik, 1933- 1940.

٧- مؤتمرات هتلر للشؤون البحرية [بالميموگراف] لندن. امارة البحرية البريطانية ١٩٤٧ Fuehrer Conferances on Naval Affaire

٨- هتلر وموسوليني- رسائل ووثائق ط ميلان. ريزولي ١٩٤٦ Hitler & Mussolini - Lettere & documenti, Milan: Rizzoli.

٩- الوثائق الدبلوماسية الإيطالية: سلسلة اوتاڤو، ١٩٣٥-١٩٣٩ ط روما: مكتبة الدولة ١٩٥٢-١٩٥٣ I Documenti diplomatica Italiani. Ottavo. Libreria della Stato

١٠- الكتاب الأصفر الفرنسي. وثائق دبلوماسية ١٩٣٨-١٩٣٩ ط باريس باشراف وزارة الخارجية الفرنسية. ١٩٣٨-١٩٣٩ Le livre Jaune Fraancais, Documents Diplomatiques 1938-1939

١١- مؤامرة النازيين وعدوانهم. عشرة مجلدات ط واشنطن. مطبعة الحكومة ١٩٤٦ Nazi Conspiracy and Aggresion

١٢- العلاقات النازية السوڤييتية: ١٩٣٩-١٩٤١. وهي وثائق مستخلصة من ملفات وزارة

الخارجية الألمانية ط واشنطن بعناية وزارة الخارجية الأمريكية ســـــنة ١٩٤٨ Nazi - Soviet Relation

١٣- الوثائق الرسمية المتعلقة بالعلاقات البولندية الألمانية، والعلاقات البولندية- السوفييتية ١٩٣٣-١٩٣٩ ط لندن ١٩٣٩. [وهو الكتاب الابيض البولندي] Official Documdnts Concerming Polish- German and Polish - Soviet Relations 1933 - 1939

١٤- هجوم بيرل هاربر. الافادات المعطاة أمام اللجنة المختلطة في التحقيق عن هجوم بيرل هاربر، ٣٩ مجلداً ط واشنطن. مطبعة الحكومة الأمريكيـــة ١٩٤٦ Pearl Harbor Attack, Hearings before the Joint Committee on the Investigation of the Pearl Harbor Attack.

١٥- الوثائق السوفييتية في السياسة الخارجية. ثلاثة مجلدات. ط لندن بعناية المعهد الملكي للشؤون الدولية، في ١٩٥١-١٩٥٣ Soviet Documdnts on Foreign Policy: Royal Institute of International Affairs

١٦- الحكومة الاسبانية والمحور. (طبعته في واشنطن وزارةُ الخارجية الأمريكية في ١٩٤٦، مستخلصاً من الوثائق الألمانية الخاصة بوزارة الخارجية Spanish Government and the Axis

١٧- محاكمات مجرمي الحرب أمام المحكمة العسكرية الدولية. ٤٢ مجلداً. طبع في نورمبرگ Trials of the Major War Criminals before the Nuremberg Military Tribunals.

١٨- محاكمات مجرمي الحرب أمام محاكم نورمبرگ العسكرية. ١٥ مجلداً. مطبعة الحكومة الأمريكيــة - في واشـــنطن ١٩٥١-١٩٥٢ Trials of War Criminals before the Nuremberg Military Tribunals.

٢- خطب هتلر

١- خطب أدولف هتلر [Adolf Hitler Reden] مونيخ ١٩٣٤.

٢- خطب أدولف هتلر من نيسـان ١٩٢٢ حتى آب ١٩٣٩ نشرها "باينس هـ. نورمان" بمجلدين في نيـويورك سنة ١٩٤٢: [The Speeches of Adolf Hitler April 1922 - August 1939] Norman .H. Baynes:

٣- كلمات هتلر [Hitlers Words] ط واشنطن ١٩٤٤. نشرها گوردن و. پرانج Gordon .W. Prange

٤- نظامي الجديد [My New Ordor] ط نيـويورك ١٩٤١. نشـره الكونت راوول دي روسي دي سـال Count Raoul De Roussy De Sales (وهي خطب هتلر فيما بين ٩٢٢- ١٩٤١)

٣- مراجع عامة

١- كاناريس: بقلم ك. هـ. آبشاگن، ط شتوتكارت ١٩٤٩ [Canaris: K. H. Abshagen]

٢- سلم الخيانة بقلم هوارد واطسن امبروستر، ط نيويورك ١٩٤٧ Ttreasons Peace: Howard Watson Ambruster

٣- هزيمة هتلر في روسيا بقلم ڤلاديسلاڤ آندرز. ط شيكاگو ١٩٥٣ Hitlers Defeat in Russia: Wladyslaw Anders

٤- ڤايمار في فوضى - يوميات سياسية لجنرال في جيش الرايخ: لكاتب مجهول ط پاريس ١٩٣٤ De Weimer au Chaos Journal politique dun General dela Reichwehr

٥- رايخ هتلر: بقلم هاملتين فيش ارمسترونك ط نيويورك ١٩٣٣ Hitlers Reich: Hamilton Fish Armistrong

٦- السنوات المصيرية الألمانية، بقلم كرت آسمان ڤيسبادن ١٩٥٠ [Deutsche Schicksaljahre: Kurt Assmann].

٧- إيطاليا في الحرب العالمية الثانية بقلم الفيلدمارشال پيترو بادوليو. ط لندن ١٩٤٨ [Italy in the Second World War: Marshal Pietro Badoglio]

٨- أسس ألمانيا الحديثة: بقلم س. بارا كلو. اكسفورد ١٩٤٦ [The Origins of Modern Germany: S. Barraclough]

٩- عندما إحترقت السماء، بقلم كارل بارتز، ط هانوڤر ١٩٥٥ [Als der Himmel Brannte: Karl Bartz]

١٠- الرايخ الثالث: تأليف فريد بومونت وڤرميل. ط نيويورك ١٩٥٥ [The Third Reich: Fried Baumont and Vermeil]

١١- الصليب المعقوف أو شعار الحيّتيْن الطبي، بقلم فرانسوا بايل. ط فرايبورگ ١٩٥٠ [Croix Gammee ou Caducee: Francois Bayla] (وهو كتاب وثائقي عن التجارب الطبية النازية).

١٢- بلجيكا: الرواية الرسمية لما جرى من احداث في ١٩٣٩-١٩٤٠ ط نيويورك سنة ١٩٤١. نشرته وزارة الخارجية البلجيكية. [Belgium: The Official Account of What Happened].

١٣- مذكرات الدكتور ادوارد پينش (بقلمه) من مونيخ الى حرب جديدة ونصر جديد. ط لندن ١٩٥٤ [Memoirs of Dr. Edward Penes, From Munich to New War and New Victory]

١٤- تاريخ الجيش الألماني قبل الهدنة: بقلم جاك بنوا ميشان. ط پاريس ١٩٣٦-١٩٣٨ [Histoire de l`Armee allemande depuis l`Armistice: Jacques Benoist - Mechin].

١٥- الستار يُسدل: بقلم الكونت فولك برنادوت. ط نيويورك ١٩٤٥ [The Curtain Falls: Folke Bernadotte].

١٦- حادثة ڤنلو: بقلم النقيب س. پاين بست. ط لندن ١٩٥٠ [The Venlo Incident: Captain S. Payne Best].

١٧- البداية، الدولة والقومية في التنظيم: برلين ١٩٣٤ [Bewegung, Staat und Volk ini hren Orginsationen]

١٨- فون روندشدت: بقلم الجنرال گونتر بلومنتريت. ط لندن ١٩٥٢ [Von Rundstedt: Gen. Guenther Blumentritt]

١٩- في الملجأ مع هتلر: بقلم گيرهارد بولت. ط لندن ١٩٤٨ [In the Shelter with Hitler: Gerhard Boldt]

٢٠- انا أقاتل لأعيش: بقلم روبرت پوثبي. ط لندن ١٩٤٧ [I Fight to Live: Robert Booth by]

٢١- نهاية لأوروپا: بقلم جورج بونيه. ط جنيڤ ١٩٤٨ [Fin Diune Europe: Georges Bonnet]

٢٢- رسائل بورمان: المراسلات الشخصية بين مارتن بورمان وزوجه من كانون الثاني ١٩٤٣ حتى نيسان ١٩٤٥. ط لندن ١٩٤٥ [The Bormann Letters].

٢٣- قصة جندي بقلم الجنرال عُمر ن. برادلي. ط نيويورك ١٩٥١ [A Soldiers Story: Gen. Omar N. Braadly]

٢٤- روح وبناء الفاشية الألمانية بقلم روبرت ك. برادلي. ط لندن ١٩٣٧ The Spirit and Structure of German Fascism: Robert .K. Brady]

٢٥- النصر الأعمى: بقلم جيْ. لونسديل برايانس. ط لندن ١٩٣٧ [Blind Victory: J. Lonsdole Bryans]

٢٦- تحول المد - تاريخ سنوات الحرب موضوعاً على يوميات الفيلدمارشال اللورد الآبنروك. رئيس هيئة أركان الحرب الإمبراطورية ط نيويورك ١٩٥٧ [The Turn of the Tide- A History of the War Years Based on The Diaries of Field Marshal Lord Alanbrooke, Chief of the Imperial General Staff]

٢٧- هتلر: دراسة في الطغيان: آلان بوللوك. ط نيويورك ١٩٥٢ [Hitler - A Study in Tyranny: Alan Bullock]

٢٨- سنواتي الثلاث مع آيزنهاور بقلم. هاري س. بُتچر. ط نيويورك ١٩٤٦ [My Three Years with Eisenhower: Harry C. Butcher]

٢٩- العلاقات الألمانية السوڤييتية بين الحربين العالميتين ١٩١٩-١٩٣٩ بقلم: ادوارد هاليت كار. ط بلتيمور ١٩٥١ [German - Soviet Relations between the Two World Wars, 1919 - 1939 : Edward Hallett Carr].

٣٠- الاصطدام السوڤييتي مع العالم الغربي (المؤلف السالف) ط نيويورك ١٩٤٧ [The Soviet Impact on the Western World].

٣١- الحرب العالمية الثانية (٦ مجلدات) بقلم ونستن چرچل. ط نيويورك ١٩٤٨-١٩٥٣ [The Second World War: W. Churchill]

٣٢- أوراق تشيانو الدبلوماسية للكونت غاليازو تشيانو نشرها مالكولم مكرديج. ط لندن ١٩٤٨

[Cianos Diplomatic Papers: ed. by Malcolm Muggeridge]

٣٣- يوميات تشيانو المخبأة، ١٩٣٧- ١٩٣٨ ط نيويورك ١٩٥٣ [Cianos Hidden Diary, 1937 - 1938]

٣٤- يوميات تشيانو: ١٩٣٩-١٩٤٣ نشرها (هيو ويلسن) ط نيويورك ١٩٤٦ [The Ciano Diaries 1939 - 1943]

٣٥- في الحرب: بقلم كارل فون كلاوسڤيتز. ط نيويورك ١٩٤٣ On War: Karl von Clauswitz

٣٦- هكذا تتكلم ألمانيا، بقلم (و. و. كول)، و(م. ف. پوتر) ط نيويورك ١٩٤١: [Thus Speaks Germany: W. W. Coole and M. F. Potter].

٣٧- سياسة الجيش البروسي، ١٩٤٠-١٩٤٥ ط نيويورك ١٩٥٥ بقلم گوردن كريگ [The Politics of The Prussian Army: Gordon Craig]

٣٨- ألمانيا وأوروپا: بقلم: بندتو كروتشي ط نيويورك ١٩٤٤ [Germany and Europe: Benedetto Croce]

٣٩- چيكوسلوڤاكيا تقاتل: واشنطن نشرة المجلس الأمريكي للشؤون الخارجية ١٩٤٣:

[Gzechoslovakia Fights Back: American council on Public Affairs]

٤٠- المحاولة الأخيرة: بقلم بيركر داليروس.ط لندن ١٩٤٧ [The Last Attempt: Dahlerus (Birger)]

٤١- الحكم الألماني في روسيا (١٩٤١- ١٩٤٤): بقلم الكساندر دالين. ط نيويورك ١٩٥٧:

[German Rule in Russia 1941 - 1944: Alexander Dallin]

٤٢- الرايخ الثالث: بقلم جان دالوس. ط پاريس ١٩٥٠ [Le Troisieme Reich: Jean Dalues]

٤٣- بعثة دبلوماسية الى موسكو: بقلم جوزيف ي. ديفيز. ط نيويورك ١٩٤١

A Mission to Moscow: Joseph. E. Davies

٤٤- الحرب في النرويج: بقلم ت.ك. ديري. ط لندن ١٩٢٥ [The Campaign in Norway: T. K. Derry]

٤٥- الشعوب تحت حكم هتلر: بقلم والاس ديويل. ط نيويورك ١٩٤٣

[People Under Hitler: Wallace Deuel]

٤٦- الفلسفة الألمانية وسياستها. بقلم جون ديوي. ط نيويورك ١٩٥٢

[German Philosophy and Politics: John Dewey]

٤٧- "لوسيفر ضد بورتاس": بقلم رودولف ديلس: ط شتوتكارت ١٩٥٠

[Lucifer ante Portas: Rudolf Diels]

٤٨- مع هتلر في الوصول الى السلطة، بقلم أوتو ديتريش. ط مونيخ في ١٩٣٤

[Mit Hitler in die Macht: Otto Dietrich]

٤٩- روما النازية: بقلم يوجين دولمان. ط ميلان ١٩٥١ [Roma Nazista: Eugen Dollman]

٥٠- حرب الأسابيع الستة: ثيودور دراپر. ط نيويورك ١٩٤٤

[The Six Weeks War: Theodore Draper]

٥١- كيمائيو الشيطان: بقلم يوشيا ئي. دوپوا الأصغر.ط بوسطن ١٩٥٢

[The Devils Chemists: Josiah E. Dubois]

٥٢- الحركة السرية الألمانية: بقلم آلن دللس. ط نيويورك ١٩٤٧

Germanys Underground: Allen Dulles

٥٣- الدولة النازية: بقلم ويليام ايبنشتاين. ط نيويورك ١٩٤٣ [The Nazi State: William Ebenstein]

٥٤- الحرب الصليبية في أوروپا. بقلم دوايت د. آيزنهاور. ط نيويورك ١٩٤٨

[Crusade in Europe: Dwight D. Eisenhower]

٥٥- الحرب في فرنسا والفلاندرز ١٩٣٩-١٩٥٠. بقلم الرائد: ل. ف. ايليس. ط لندن ١٩٥٣

The War in France and Flanders, 1939-1950: Major L. F. Ellis

٥٦- بسمارك والإمبراطورية الألمانية بقلم ي. آيك. ط لندن ١٩٥٠

[Bismark and the German Empire: E. Eyck].

٥٧- حياة نفيل چمبرلين: بقلم فايلنگ. ط لندن ١٩٤٦

The Life of Neville Chamberlain: Keith Feiling

٥٨- تاريخ الحروب الجوية: بقلم جورج ڤ.و. فيوختر.ط بون ١٩٥٤

[Geschichte des Luftkriegs: Georg .W. Feuchter]

٥٩- تاريخ أوروپا: بقلم هـ. أ. ل فيشر ط لندن ١٩٣٦ [A History of Europe: H. A. L. Fisher]

٦٠- رجال شبانداو السبعة: بقلم جاك فيشمان.ط نيويورك ١٩٥٤

[The Seven Men of Spandau: Jack Fishman].

٦١- العشرون من تموز: بقلم قسطنطين فيتز گيبون ط نيويورك سنة ١٩٥٦

[20 July: Constantine Fitz Gibbon].

٦٢- عملية أسد البحر: بقلم پيتر فلمنگ.ط نيويورك ١٩٥٧ .[Operation Sea Lion: Peter Fleming]

٦٣- تاريخ ألمانيا الحديث: بقلم رالف فلينلي.ط نيويورك ١٩٥٣

[Modern German History: Ralph Flenley].

٦٤- الجنرال الذي كافح ضد الحرب: بقلم ڤولفگانگ فورشتر. ط مونيخ ١٩٤٩: [أوراق الجنرال بيك] [Ein General Kaempft gegen den Krieg: Wolfgang Foerster]

٦٥- السنوات الحُسوم: بقلم اندريه فرانسوا پونسيه ط نيويورك ١٩٤٩
[The Fateful Years: Andre Fraincois - Poncet].

٦٦- القرارات الحاسمة: بقلم سميور فرايدن ووبليام ريچاردسن.ط نيويورك ١٩٥٦.
[The Fateful Decisions: Seymour Freidin and Willian Richardson]

٦٧- كان هذا أوشوتِز: بقلم فيليب فريدمان.ط لندن ١٩٤٦. [This Was Oswiecin (Auschwetz): Filip Friedmen]

٦٨- نهوض وسقوط هرمان گورنگ: بقلم ويلي فريشاور.ط بوسطن ١٩٥٦. [The Rise and Fall of Herman Goering: Wilby Frischauer]

٦٩- الحرب العالمية الثانية: بقلم أمير اللواء. جي. ف. سي. فوللر.ط نيويورك ١٩٤٩. [The Second World War: Gen. J. F. C. Fuller]

٧٠- الأول والآخر. قيام وسقوط قوة مقاتلات اللوفتوافه ١٩٣٨- ١٩٤٥.ط نيويورك ١٩٥٤. بقلم أدولف گالاند [The First and Last, The Rise and Fall of the Luftuaffe Fighter Forces, 1938 - 1945: Adolef Galland].

٧١- الخدمة: ثلاثة مجلدات وهي مذكرات الجنرال موريس گوستاڤ گاملان. ط پاريس ١٩٤٩
[Servir: Gen. Maurice Gustave Gamlin].

٧٢- أسرار جان گاي الدفنية بقلم جان گاي.ط پاريس ١٩٤٠
[Carnets Secrets de Jean Gay: Jean Gay]

٧٣- ألمانيا: صورة من رسمها: هارلاند. ر. كريپن.ط نيويورك ١٩٤٤. [Germany: A Self Portrait: Harland .R. Crippen]

٧٤- هتلر يدير حربه: بقلم فيلكس گِلبرت.ط نيويورك، ١٩٥٠. [Hitler Directs His War: Felix Gil-bert] (وهو نص جزئي من مؤتمرات هتلر الحربية اليومية).

٧٥- يوميات نورمبرگ: بقلم ج. م. گِلبرت ط نيويورك ١٩٤٧. [Nuremberg Diary: G. M. Gilbert]

٧٦- الى النهاية المريرة: بقلم برند گزيڤيوس.ط بوسطن ١٩٤٧. [To the Bitter End: Brend Gisevius]

٧٧- أزمة العقيدة في الرايخ الثالث، شتوتكارت ١٩٥٣. [Glaubenskrise im Dritten Reich]

٧٨- من كايزرهوف الى مستشارية الرايخ: بقلم جوزف گوبلز.ط مونيخ ١٩٣٦. [Von Kaiserhof Zur Reichskanzlei: J. Goebbels].

٧٩- يوميات گوبلز ١٩٤٢-١٩٤٣. نشرها لويس.پ. لوخز. نيويورك ١٩٤٨. [The Goebbels Diaries]

٨٠- تاريخ هيئة الأركان العامة الألمانية ١٦٥٧-١٩٤٥. بقلم ڤالتر گويرلتز. ط نيويورك ١٩٥٣.

History of The German General Staff 1657 - 1945: Walter Goerlitz

٨١- الحرب العالمية الثانية (مجلدان) ١٩٣٩-١٩٤٥. بقلم گويرلتز.ط شتوتگارت ١٩٥١.

[Der Zweite Weltkrieg 1939-1945: Goerlitz]

٨٢- الجيش الأحمر في الحرب والسلم بقلم قسطنطين گوديما.ط پاريس ١٩٤٧. [L`Armeé Rouge dans la Paixe la Guerre: Constantine Goudima]

٨٣- القيادة العليا للقوات المسلحة، هلموت گراينر، ڤيسبادن ١٩٥١:

[Die Oberste Wehrmachtfuehrung Helmuth Greiner]

٨٤- نهاية اسطورة هتلر. بقلم جوزف گراينر.ط ڤيينا ١٩٤٧. [Des Ende des Hitler - Mythos: Josef Greiner].

٨٥- قائد الپانزر: بقلم الجنرال هاينز گودريان .ط نيويورك ١٩٥٢.

[Panzer Leader: Gen. Heinz Guderian]

٨٦- الحرب الألمانية السوڤييتية ١٩٤١: بقلم الجنرال.أ. گولايوّم.ط پاريس ١٩٤٩.

[La Gierre Germano - Sovietique, 1941: Gen. A. Guillaume]

٨٧- الغزو الألماني للدانمرك والنرويج سنة ١٩٤٠: (الطبقة الثانية گوتنگن ١٩٥٢). بقلم ڤالتر هاباش [Die deutsche Besetzung Von Daenemark and Norwegen, 1940: Walter Habatsch]

٨٨- هتلر قائداً ميدانياً: بقلم الجنرال فرانز هالدر.ط مونيخ ١٩٤٩ [Hitler als Feldherr: Gen. Franz Halder]

٨٩- إمتلاء الأيام: بقلم لورد هاليفاكس.ط نيويورك ١٩٥٧. [Fullness of Days: Lord Halifax]

٩٠- هتلر، وجيش الرايخ والصناعة. بقلم جورج. و. ف. هالگارتن.ط فرانكفورت ١٩٤٧. [Hitler, Reichsweher, und Industrie: Georg. W. F. Hallgarten]

٩١- الشاهد غير المسموع: بقلم إرنست هانفشتانگل.ط نيويورك ١٩٥٧. [Unheard Witness: Ernst Hanfstangl]

٩٢- الطغيان يحاكم - الأدلة في نورمبرگ: بقلم هوتيني. ر. هاريس ط دالاس Dallas [وهي مختارات من الوثائق الألمانية أخذت عن مجلدات (محاكمات مجرمي الحرب الكبار ومؤامرة النازيين وعدوانهم) [Tyranny on Trial - The Evidence at Naremberg: Whitney .R. Harris]

٩٣- يوميات ڤون هاسل ١٩٣٨-١٩٤٤: بقلمــــه.ط نيويورك ١٩٤٧. [The Von Hassell Diaries: Ulrich von Hassell]

٩٤- محاضرات في فلسفة التاريخ: بقلم هيگل.ط لندن ١٩٠٢.

[Lectures on the [philosophy of History: Hegel]

٩٥- تاريخ القومية الإشتراكية: بقلم كونراد هايدن ط نيويورك ١٩٣٦.

[A History of National Socialism: Konrad Heiden]

٩٦- هتلر: سيرة حياة: بقلم كونراد هايدن. ط نيويورك ١٩٣٦. [Hitler - A Biography: K. Heiden]

٩٧- الزعيم: بقلم كونراد هايدن .ط بوسطن [Der Fuehrer: K. Heiden]

٩٨- إخفاق بعثة: بقلم نڤيل هندرسن.ط نيويورك ١٩٤٠. [The Failuer of a Mission: Nevile Henderson

٩٩- انها أرواحك التي نريدها: بقلم ستيورات. و. هرمان الأصغر.ط نيويورك ١٩٤٣.

It`s Your Souls We Want: Stewart and W. Herman Junier]

١٠٠- الأوامر المتناقضة والساعات المصيرية للجيش الألماني ١٩٢٣-١٩٢٥: بقلم الجنرال أدولف هويزنگر.ط شتوتكارت ١٩٥٠.

[Befehl im Widerstriet - Schicksalsstunden der deutschen Armee 1923 - 1925: Gen Adolf Heusinger]

١٠١- من حياتي: بقلم الفيلدمارشال پول ڤون بينكيندورف وڤون هندنبرگ.ط لايبزك ١٩٣٤:

[Aus meinen Leben: F. Marshal Paul von Beneckendorf und von Hindenburg]

١٠٢- كفاحي: بقلم أدولف هتلر (ط بوسطن ١٩٤٣- وهذه النسخة غير منقحة وهي ترجمة إنكليزية نشرها هاوتون مفلين Houghton Mifflin عن الأصل الألماني بطبعتي مونيخ في ١٩٢٥ و١٩٢٧. طبع المجلد الأول الموسوم "تصفية حساب Ein Albrechnung" طبع عام ١٩٢٥ والثاني "الحركة القومية الإشتراكية Die Nationalzialistiche Bewergung سنة ١٩٢٧ وبعدها صار الجزءان يطبعان في مجلدٍ واحد).

١٠٣- أحاديث هتلر السرية: ١٩٤١-١٩٤٤: ط نيويورك ١٩٥٣.

١٠٤- الرسائل السرية المتبادلة بين هتلر وموسوليني.ط پاريس ١٩٤٦. [Lés Lettres Sécréte Èchangées par Hitler et Mussolini]

١٠٥- الجبهة السرية: قصة التجسس السياسي النازي: بقلم ڤلهلم هويتل (ڤالتر هاگن).ط نيويورك ١٩٥٤. [The Secret Front: The Story of Nazi Political Espionage: Wilhelm Hoettl (Walter Hagen)].

١٠٦- الحرب المبتسرة، ١٩٣٩ بقلم ڤالتر هوفر. ط لندن . ١٩٥٥: [War Premeditated 1939: Walther Hofer وهي ترجمة إنكليزية لكتاب [Die Entfesselung der zweiton wettkrigs]

١٠٧- ما بين القوات المسلحة وهتلر بقلم الجنرال فريدريك هوسباخ. هانوڤر ١٩٤٩: [Zwichen Wehr-macht und Hitler Gen Fridrich Hossbach]

١٠٨- مذكرات كوردل هل: بقلمه مجلدان.ط نيويورك ١٩٤٨[The Memoris of Cordell Hull]

١٠٩- وثائق ما قبل الحرب في الجبهة الغربية ١٩٣٩-١٩٤٠. ط گوتنگن. ١٩٥٦. بقلم هانس أدولف جاكوبسين. [Dokumente Zur Vorgeschichte des Westfeldzuges, 1939 - 1940: Hans - Adolf Jacobsen]

١١٠- قضية ذنب ألمانيا: بقلم كارل جاسپر.ط نيويورك ١٩٤٧.[The Question of German Guilt: karl

Jaeper]

١١١- قيام وسقوط ألمانيا النازية: بقلم ت. ل. يارمان.ط لندن ١٩٥٥. [The Rise and Fall of Nazi
Germany: T. L. Jarman]

١١٢- اثنتان وعشرون زنزانة في نورمبرگ بقلم دوگلاس. م. كيلي. ط نيويورك ١٩٤٧.
[22 Cells in Nuremberg: Douglas .M. Kelly]

١١٣- سجل جندي. بقلم الفيلدمارشال البرت كسلرينگ ط نيويورك ١٩٥٤. [A Soldere´s Record:
Albert Kesselring]

١١٤- محاكمة فرتيش: بقلم گراف كليمانسگ. ط هامبورگ ١٩٤٩.
[Der Fritsch Prozess: Graf Kielmannsegg]

١١٥- عملية أسد البحر؟ بقلم النقيب كارل كلي.ط گوتنگن ١٩٤٩.[Das Unternehmen Seeloewe:
Captain Karl Klee]

١١٦- إستعداد ألمانيا الإقتصادي للحرب: بقلم كلاين برتن.ط كمبردج ١٩٥٩.
[Germany´s Economic Preparation for War: Burton Klein]

١١٧- بين هتلر وستالين: بقلم بيتر كلايست.ط بون ١٩٥٠. [Zwischen Hitler und Stalin: Peter
Kleist]

١١٨- فلسفة التربية في القومية الإشتراكية: بقلم جورج فردريك كنللر.ط نيوهانن ١٩٤١.
[The Esueational Philosophy of National Socilism: George Frederick Kmeller].

١١٩- جهنم في النظرية والتطبيق. بقلم يوجين كوجن.ط نيويورك ١٩٥١.
[The Theory and Practic of Hell: Eugen Kogen] النص الألماني بعنوان: Zer SS Staat und das System der
duetschen Konzentratioslager Munich 1946 وترجمته: (دولة الإس. إس ونظام معسكرات الإعتقال الألمانية).

١٢٠- التاريخ الألماني، بعض الآراء الجديدة بقلم هانزكون. ط بوسطن ١٩٥٤.
[German History, Some New German Views: Hans Kohn]

١٢١- الشهر الأخير: بقلم الجنرال كارل كوللر.ط مانهايم ١٩٤٩ [وهي يوميات آخر رئيس هيئة أركان لسلاح الجو الألماني] [Der Letzte Monat: Gen. Karl Koller]

١٢٢- ليس من الوثائق (الڤلهلمشتراسه في الحرب والسلم ١٩٢٨-١٩٤٥: بقلم اريخ كوردت.ط شتوتكارت ١٩٥٠.
[Nicht ausden Akten [Die Wilhllmstrasse in Friden and Krieg, 1928 - 1945: Erich Kotdet]

١٢٣- الجنون والحقيقة بقلم اريخ كوردت.ط شتوتكارت ١٩٤٧. [Wahn und Wirklichkeit:Erich Kotdet]

١٢٤- دعاية الراديو الألمانية: بقلم إرنست كرايس وهانس شپايير. ط نيويورك ١٩٤٦.

[German Radio Propaganda: Ernst Kries and Hans Speier]

١٢٥- إيگوشو في ألمانيا بقلم الكونت لوتز شفرين ڤون كروسيك توبنگن ١٩٥١.

[Egeschoh in duetchland: Lutz Schwerin Von Krosick]

١٢٦- الفتى هتلر الذي عرفته: بقلم اوگست كوبتشيك. ط بوسطن ١٩٥٥. [The Young Hitler 1 Knew: August Kubizek]

١٢٧- مغامرتنا الڤيشية: بقلم ويليام.ل. لانجية. ط نيويورك ١٩٤٧.

[Our Vichy Gamble: William .L. Langer]

١٢٨- الحرب غير المعلنة ١٩٤٠-١٩٤١: بقلم لانجيه وكليسون. ط نيويورك ١٩٥٣.

[The Undeclared War, 1940 - 1941: Langer and Gleason]

١٢٩- يوميات پيير لاڤال: (بقلمه). ط نيويورك ١٩٤٨. [The Diary of Pierre Laval]

١٣٠- الفيزياء الألمانية (الطبعة الثانية) بقلم فليب لينارد. ط. مونيخ- برلين ١٩٣٨.

[Deutsche Physick: Philipp Lenard]

١٣١- ألمانيا الحديثة: بقلم هنري ليختزبركر. ط. پاريس ١٩٣٦. [L' Allemagne Nouvells: Hener Lightenberger]

١٣٢- الجنرالات الألمان يتكلمون: هارت. ب. هـ. ليدل. ط نيويورك ١٩٤٨ [The German Generals Talk: Hart Liddell]

١٣٣- أوراق رومل: نشرها هارت ليدل.ط نيويورك ١٩٥٥.[The Rommel Papers: H. Liddell]

١٣٤- إفساد العلم: فشل الجامعة الألمانية: بقلم فردريك ليجه.ط نيويورك ١٩٤٨. [The Abuse of Learning: The Failuer of the German Vmiversity: Fredric Lilge]

١٣٥- ملحوظات لمذكرات: بقلم ماكسيم ليتڤينوف.ط نيويورك ١٩٥٥. [Notes for a Journal: Maxim Litvinov]

١٣٦- ما يريده هتلر: بقلم (ي. او. لوريمر). ط لندن ١٩٣٩. [What Hitler Wants: E. O. Lorimer]

١٣٧- في قيادة أركان القوات المسلحة الألمانية بقلم الجنرال برنهارد ڤون لوسبرگ.ط همبورغ ١٩٥٠. [Im Wehrmacht Fuerungsstab: Gen. Bernhard Von Lossberg].

١٣٨- عرفت هتلر: بقلم كرت لوديكه. ط لندن ١٩٣٨. [I Knew Hitler: Kurt]

١٣٩- على طريق القيادة الميدانية في القاعة بقلم الجنرال إريك لودندورف.ط مونيخ ١٩٣٧.

[Auf dem Weg zur Feldherrnhalle: Gen. Eric Ludendorff]

١٤٠- .... بقلم مرگريته لودندورف.ط مونيخ ١٩٢٩. [Als ich Ludendorffs Frau war: Margaritte Ludendorff]

١٤١- آخر يوم للرايخ الثالث بقلم ڤالتر لوده - يفوراث. ط گوتنگن ١٩٥١. [Die Letzten Tage des Dritten Reiches: Walter Luedde - Neuroth]

١٤٢- الإنتصارات الضائعة بقلم المارشال اريك فون مانشتاين ط بؤن ١٩٥٥ (الترجمة الإنگليزية. ط شيكاغو ١٩٥٨: [Lost Victories [Verlorene Siege: Field Matsholl Eric Von Manstan]

١٤٣- هتلر وأمراء بحره: بقلم انتوني.ك. مارتنيشن.ط نيويورك ١٩٤٩. [Hitler and his Admirals: Anthony .K. Martiensen]

١٤٤- الكارثة الألمانية: بقلم فردريك ماينكه. ط. كمبردج ١٩٥٠.

[The German Catasreophe: Friedrich Meinecke]

١٤٥- سكرتير دولة في عهد ايبرت وهندنبرگ وهتلر: بقلم أوتو مايسنر.ط هامبورگ ١٩٥٠.

[Statssekretaer unter Ebert - Hindenburg - Hitler: Otto Meissner]

١٤٦- قناة البرت وايبن آمايل: بقلم ڤالتر ملزر. ط هايدلبرگ ١٩٥٧. [Albert Kanal and Eben - Emael: Walter Melzer]

١٤٧- أطباء ملطخون بالعار: بقلم الدكتور الكساندر ميشلريخ وفرد ملكة: ط نيويورك ١٩٤٩.

[Doctors of Infamy: Alexander Mitscherlich and Fred Mielke]

١٤٨- سي بيڤان بقلم أناتول دي مونزي.ط پاريس ١٩٤٢. [Ci - Pevant: Anatole de Monzie]

١٤٩- تاريخ العمليات البحرية لأسطول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية. المجلد الأول: معركة الاطلسي، أيلول ١٩٣٩- أيار ١٩٤٣.ط بوسطن ١٩٤٨: بقلم صاموبل إليوت موريسون Samuel Eliot Morison) [History of the U. S Naval Operation in the World War II. Vol I, The Batlle of the Atlantic. September 1939 - May 1943]

١٥٠- المؤامرات على هتلر بقلم ماكسيم موران.ط پاريس ١٩٤٨.

[Lés Complots Conter Hitler: Maxime Mourin]

١٥١- عشرة أيام قبل الموت: بقلم ميخايل موسمانو.ط نيويورك ١٩٥٠. [Ten Days to Die: Michael Masmanno]

١٥٢- مذكرات بنيتو موسوليني ١٩٤٢-١٩٤٣.ط لندن ١٩٤٩. [Memoirs 1942 - 1943: Benito Mussolini]

١٥٣- في عصر النازية: بقلم السر لويس ب. ناميير. ط لندن ١٩٥٢. [In the Nazi Era: Sir Lewis .B. Namier]

١٥٤- تمهيد دبلوماسي ١٩٣٨-١٩٣٩: (للمولف السالف). ط لندن ١٩٤٨. [Diplomentic Prelude 1938 - 1939]

١٥٥- نظام الإقتصاد النازي: تعبئة ألمانيا للحرب: بقلم أوتوناثان. ط. دورهام نيويورك ١٩٤٤.

[The Nazi Economic System: Germany´s Mobilization for War: Otto Nathan]

١٥٦- البهموت: بقلم فراتزل. نيومان. ط. نيويورك ١٩٤٢. [Behemoth: Franz. Neumann]

١٥٧- الدفاع المدني: بقلم ت. هـ. اوبراين ط لندن ١٩٥٥. (وهو كتاب في تاريخ بريطانيا الرسمي عن الحرب العالمية الثانية نشره جي. ر. م بتلر [Civil Defence: T. H. O´Brien] R. M. Butler

١٥٨- هتلر البيذق: بقلم رودلف أولدن. ط. لندن ١٩٣٦. [Hitler, The Pawn: Rudolf Olden]

١٥٩- الدانمرك أثناء الإحتلال. بقلم اوتزه (بورگ). ط كوبنهاگن ١٩٤٦.

[Denmark during the Occupation: Borge Outze]

١٦٠- مع گوبلز الى الأخير: بقلم ولفريد فون اوڤن. ط بوينس آيرس ١٩٤٩. [Mit Goebbels bis zum Ende: Wilfred von Oven]

١٦١- من البرت الأول الى ليوپولد الثالث. بقلم الجنرال ڤان اوڤرشترانين. بروكسل ١٩٤٦:

[Albert 1 - Leopold III: Gen. Von: Overstraeten]

١٦٢- مذكرات فرانز ڤون پاپن.ط نيويورك ١٩٥٣. [Memoris: Franz Popen]

١٦٣- المقاومة الألمانية بقلم رودولف بشيل.ط زوريخ ١٩٤٧ [Deutscher Widerstand: Rudolf Pechel]

١٦٤- حفارو قبر فرنسا. بقلم پرتيناكس.ط لندن ١٩٣٦. [The Grave Diggers of France: Pertinax]

١٦٥- تاريخ ألمانيا: بقلم هرمان پنوف ط لندن ١٩٣٦ [History of Germany: Hermann Pinnow]

١٦٦- الرايخ الثالث واليهود بقلم ليون پولياكوف وجوزف ڤُلف. ط برلين ١٩٥٥.

[Des Dritte Reich und die Juden: Leon Poliakov and Josef Walf]

١٦٧- تاريخ الدبلوماسية. بقلم ڤ. ڤ. پوتمكين. ط. پاريس ١٩٤٦- ١٩٤٧- طبعة فرنسية للكاتب السوڤييتي) .[History de la Diplomatie V. V. Potemkin]

١٦٨- سيكت وحياته العملية بقلم الفريق فردريك ڤون رابيناو.ط ليبزك ١٩٤٠. [Seeckt, aus seinem Leben: Lt. Gen. F. von Rabenaw]

١٦٩- زمن الهذيان. بقلم هرمان راوشننگ.ط نيويورك ١٩٤٦. [The Time of Deliriume: Herman Rauschming]

١٧٠- ثورة الفوضوية: للكاتب السالف. ط نيويورك ١٩٣٩. [The Revolution of Nihilism]

١٧١- ثورة المحافظين (الكاتب السالف).ط نيويورك- ١٩٤١. [the Conservative Revolution]

١٧٢- صوت الدمار (الكاتب نفسه). ط نيويورك ١٩٤٠. [The Voice of Destrution]

١٧٣- حرق الرايشتاگ: بقلم دوگلاس ريد. ط. نيويورك ١٩٣٤. [The Barning of The Reichtag: Douglas Reed]

١٧٤- الحل النهائي- محاولة إبادة اليهود في أوروپا ١٩٣٩-١٩٤٥: بقلم جيرالد رايتلنگر. ط نيويورك ١٩٥٣. [The Final Solution - The Attempt to Exterminaten of The Jews of Europe,

1939 - 1945. Gerald Reitlinger].

١٧٥- الـ(إس. إس) عماد أمة (المؤلف السالف). ط نيويورك ١٩٥٧. [The SS - Alibi of a Nation].

١٧٦- في زخم القتال: بقلم پول زينو.ط نيويورك ١٩٥٥. [In The Thick of the Fight: Paul Reynaud]

١٧٧- ما بين لندن وموسكو، المذكرات والمباحثات الأخيرة بقلم ليون وشتانبرگر سي

[Zwischen London and Moskau. Erinnerungen und letzte Aufzeichnungen. Leone am Starnberger see, 1953]

١٧٨- جوزيف گوبلز محامي الشيطان: بقلم كرت ريس. ط. نيويورك ١٩٤٨. [Joseph Goebbels: the Devil´s Advocate: Curt Riess]

١٧٩- كارل گويردلر ومؤآمرته في ألمانيا: بقلم گيرهارد ريتر.ط شتوتكارت ١٩٥٥. [Carl Goerdeler and die deutsche Widerstandsbewegung: Gerhard Ritter]

١٨٠- حَل المشكلة الألمانيــة بقلم ڤلهلم روبيكه ط نيــويورك ١٩٤٦. [The Solution of the German Problem: Wilhelm Roepke]

١٨١- الجيش الألماني: بقلم روزنسكي.ط واشنطن ١٩٤٤.[The German Army: Herbert Rosinski]

١٨٢- المقاومة الألمانية لهتلر: بقلم هانس روتفلز هنسدريل (اليينوي) ١٩٤٨. [The German Opposi-tion to Hitler: Hans Rothfels]

١٨٣- المملكة الأخرى: بقلم داڤيد روزيت.ط نيويورك ١٩٤٧. [The Other Kingdom: David Rousset]

١٨٤- تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل.ط نيويورك ١٩٤٥. [A History of Western Philosophy: Bertrand Russell]

١٨٥- گوبلز الرجل الذي يلي هتلر: بقلم سامِلر دوردولف.ط لندن ١٩٤٧. [Goebbels: The Man Next to Hitler: Rudolf Sammler]

١٨٦- اي. جي. فاربن: بقلم ريشارد ساسولي.ط نيويورك ١٩٤٧. [I. G. Farben: Richard Sasuly]

١٨٧- تصفية الحساب: بقلم هيلمار شاخت ط لندن ١٩٤٩. [Account Settled: Hjalmar Schacht]

١٨٨- ما بين التاج والزنزانة بقلم الأمير فردريك كريستيان زو شلومبرگ ليپّه. ط. فيسبادن ١٩٥٢

[Zwischen Krone und Kerker: Prinz Friedrich Christian Schaumberg - Lippe

١٨٩- التيه: بقلم ڤالتر شللنبرگ.ط نيويورك ١٩٥١. [The Labyrinth: Walter Schellenberg]

١٩٠- ترجمان هتلر: بقلم پول شميدت.ط نيويورك ١٩٥١ -Statist auf diplo - matischer Buehne, 1923-1945 [هذه الترجمة الإنكليزية تغفل حوالي نصف الأصل وهو بعنوان وبضمنها عهد هتلر، ط بون ١٩٤٩]

١٩١- كادوا يقضون على هتلر: بقلم فابيان ڤون شلابرندورف.ط نيويورك ١٩٤٧. [They Almost Killed Hitler: Fabian von Schlabrendorff]

١٩٢- الوردة البيضاء بقلم إينكه شول. ط فرنكفورت ١٩٥٢. [Die weisse Rose: Inge Scholl]

١٩٣- يوم ٢٠ تموز في پاريس: بقلم ڤلهلم ڤون شرام.ط بادڤويرسهورن ١٩٥٣. [Der 20 Juli in Paris: Wilhilm von Schranm]

١٩٤- ستالينگراد: بقلم هاينز شرويتر. ط نيويورك ١٩٥٨. [Stalingrad: Heinz Schroeter]

١٩٥- الأقلام تحت الصليب المعقوف: دراسة في الآثار الكتابية الألمانية.ط لندن ١٩٤٦. بقلم وليام ڤولڤگانگ شوتز. [Wiliam Wolfgong Schuetz [Pens under the Swoistika, a study in Recent German Writing]

١٩٦- الأيام الثلاثون الأخيرة من سجل مذكرات الحرب - للقيادة العليا للقوات المسلحة: بقلم يواكيم شولتز.ط شتوتگارت ١٩٥١. [Die letzten 30 Tage - ausdem Kriegstagebuch des O. K. W: Joackim Schultz]

١٩٧- ألمانيا ستحاولها مرة أخرى: بقلم سيغريد شولتز.ط نيويورك ١٩٤٤.[Germany will Try it again: Sigrid Schultz]

١٩٨- الدكتاتورية النازية: بقلم فردريك شومان. ط نيويورك ١٩٣٩ [The Nazi Dictatorship: Frederrick L. Schuman]

١٩٩- المؤلف نفسه: أوروپا على الحافة. ط. نيويورك ١٩٣٩ [Europe on the eve]

٢٠٠- المؤلف نفسه: الليل يخيم فوق أوروپا ١٩٤١ [Night over Europe]

٢٠١- صلاة جناز النمسا: كرت فون شوشنك نيويورك ١٩٤٦ Kurt von Schuschnigg (وهي ترجمة إنگليزية للأصل الألماني. [Austrian Requiem] الصادر بعنوان صلاة الجناز على الأحمر- ابيض- احمر [Requin in Rot ----]

٢٠٢- للمؤلف نفسه: وداعا يا نمسا.ط لندن ١٩٣٨ [Farewell, Austria]

٢٠٣- بناء الإقتصاد الألماني بقلم ماكسين س. سكولزي. ط كمبردج ١٩٤١. [The Structure of the Nazi Germany: Maxine .S. Scolezy]

٢٠٤- الڤلهملشتراسه: دراسة عن الدبلوماسيين الألمان في عهد الحكم النازي. بقلم پول. سيبوري.ط باركلي ١٩٥٤: [The Wilhelmstrasse: A Study of German Diplomats underts Nazi Regime: Paul Seabury]

٢٠٥- روزفلت وهوپكنز: بقلم روبرت ي. شيروود.ط نيويورك ١٩٤٨. [Roosvelt and Hopkins: Robert .E. Sherwood]

٢٠٧- للمؤلف نفسه: نهاية يوميات برلين، ط نيويورك ١٩٤٧ End of a Berlin Diary

٢٠٨- للمؤلف نفسه: تحدي سكنديناڤيا. ط بوسطن ١٩٥٥ [The Challenge of Scandinavia]

٢٠٩- الإندحار في الغرب.ط نيويورك ١٩٤٨. بقلم ملتون شولمان. [Defeat in the West: Milton Shulman]

٢١٠- مذكرات سكورزيني السرية: بقلم أوتو سكورزيني.ط نيويورك ١٩٥٠.[Skorzeny´s Secret Memories: Otto Skorzeny]

٢١١- مأساة شعب: بقلم لويس. ل. شنايدر.ط هاريسبرگ ١٩٥٢.[The Tragedy of aPeople: Louis.L. Snyder]

٢١٢- غزو عام ١٩٤٤: بقلم الجنرال هانس شپايدل.ط شيكاگو ١٩٥٠.[Invasion 1944: Gen. Hans Speidel]

٢١٣- السنوات الحاسمة بقلم أوزڤالد شپنگلر. ط مونيخ ١٩٣٥. [Jahre der Entscheidung: Oswald Spengler]

٢١٤- عهد آل هابسبرگ: بقلم هنري ديكهام ستيد.ط لندن ١٩١٩

[The Hapsburg Monarchy: Henri Wickham Steed]

٢١٥- كنت في جهنم مع نيمولِر: ليوبشتاين.ط نيويورك ١٩٤٢.

[I Was in Hell with Niemœller: Leo Stein]

٢١٦- يوميات الشيطان: بقلم جون. ل. ستيب. ط يلوسپرنگ- أوهايو. وهي مختارات من وثائق ألمانية مأخوذة عن مجلدات "مؤامرات النازيين وعدوانهم" [Devil´s Diary: John.L. Stipp]

٢١٧- شتوتگارت في المرحلة الأخيرة من الحرب: بقلم كارل شترويلن. طشتوتگارت ١٩٥٠.

[Stutgart in Endstadium deskrieges: Karl Stroelin]

٢١٨- إحتضار السلم: بقلم جورج سواريز وگي لابورد. ط پاريس. [Agonie de la PaixM George Tanssil and Guy Lqborde]

٢١٩- باب الحرب الخلفي: بقلم چارلس. سي. تانسيل. ط نيويورك ١٩٥٢.

[Back Door to War: Charles. c. Tansill]

٢٢٠- مجرى التاريخ الألماني: بقلم أي. جي. پ. تايلر. ط نيويورك ١٩٤٦.

[The Course of German History: A.J.P. Taylor]

٢٢١- السيف والصليب المعقوف: بقلم تلفورد تايلر. ط نيويوك ١٩٥٢.

[Sword and Swastika: Telford Taylor]

٢٢٢- المؤلف نفسه: مسيرة الفتح. ط نيويورك ١٩٥٨.[The March of Conquest]

٢٢٣- حقائق أساسية لتاريخ الحرب الألمانية وإقتصاد التسلح (مستنسخة بالميموگراف): بقلم الجنرال جورج توماس. ط نورمبرگ ١٩٤٥.

[Basic Facts for a Hiseory of German War and Armament Economy: Gen. George Thomas]

٢٢٤- نهاية الدفاع في الألبه: بقلم يورگن ثورڤالد. طشتوتگارت ١٩٥٠.

[Das Ende der Elbe: Jurgen Thorwald]

٢٢٥- المؤلف نفسه: الهزيمة في الشتاء: روسيا من كانون الثاني الى أيار سنة ١٩٤٥. ط نيويورك ١٩٥١. [Flight hn Winter: Russia, January to May 1954]
٢٢٦- "إسمعني يا هانس": بقلم دوروثي تومسن. ط بوسطن ١٩٤٢.
[Listen, Hans: Dorothy Thompson]
٢٢٧- دفعتُ لهتلر: بقلم فريتز تيسيَّن. ط نيويورك ١٩٤١. [I Paid Hitler: Fritz Thyssen]
٢٢٨- أرادوا الحرب: بقلم أوتو. د. توليشوس. ط نيويورك ١٩٤٠ [They Wanted War: Otto. D. Tolischos]
٢٢٩- "أوروپا هتلر": بقلم آرنولد توينبي. ط لندن ١٩٥٤. [Hitler´s Europe: Arnold Toynbee]
٢٣٠- "على شفا الحرب": بقلم أ. توينبي وڤيرونيكا. م. - ط لندن ١٩٥٨.
[The Eve of The War: A Toynbee and Veronica. M.]
٢٣١- "ألمانيا والحياد الأمريكي: بقلم ١٩٣٩-١٩٤١": بقلم هـ.ل. تريفوسي. ط نيويورك ١٩٥١.
[Germany and American Neutrality: H. L. Trefousse]
٢٣٢- "ألمانيا المعاصرة إجتماعياً وسياسياً وثقافياً ١٨٩٠-١٩٥٠": بقلم إدموند ڤرماي. ط پاريس بمجلدين ١٩٥٢-١٩٥٣ [L‘Allemagne Contemporaine, Sociale, Politique ét Culturale 1890-1950]
٢٣٣- كلمة تأبين لضحايا جامعة ميونيخ بقلم فوسلر (كارل). ط مونيخ ١٩٤٧.
[Guedenkrede fuer die Opfer der Universitaet Muenchen]
٢٣٤- "الڤيرماخت في الحرب": بقلم كرت ڤوينه كل. أحد عشر مجلداً. ط هايدلبرگ ١٩٥٤.
[Die Wehrmacht im karnpf: Kurt Vowinckel]
٢٣٥- ميراث النار: بقلم فريدلنگر ڤاگنر. ط. نيويورك. ١٩٤٥ [Heritage of Fire: Friedlend Wagner]
٢٣٦- الإنتفاضة الصامتة بقلم گونتر ڤايسنبورن. ط هامبورگ ١٩٥٣.
[Der lautlose Aufstand: Gunther Weisenborn]
٢٣٧- مذكرات إرنست ڤون ڤايسپايكر. ط لندن. ١٩٥١ [The Memories of Ernst Von Weispaeker]
٢٣٨- "أوان القرار": بقلم سمنر ويلز. طنيويورك ١٩٤٤. [The Time For Decission]
٢٣٩- "الجيش الألماني في الغرب": بقلم الجنرال سيگفريد وستڤال. ط لندن ١٩٥١.
[The German Army hn the West: Gen. Sigphried westphal]
٢٤٠- إستدعاء للخدمة بقلم الجنرال ماكسيم ڤيگان. ط پاريس ١٩٤٧.
[Rappele au Service: Gen. Maxim Weygand]
٢٤١- عملية أسد البحر: بقلم رونالد ويتلي. ط. لندن ١٩٥٨Operation Sea Lion: Ronald Whitly
٢٤٢- الطيطان الخشبي هندنبرگ: بقلم جون. و. هويلربينيت. ط نيويورك ١٩٣٦.
[Wooden Titan: Hindenburg: John. W. Wheeler- Bennett]
٢٤٣- المؤلف نفسه "جبروت القوة: الجيش الألماني في خضم السياسة ١٩٨١-١٩٤٥" ط نيويورك

[The Nemesis of Power: Germany´s Army in Politics: 1918-1954] .١٩٥٣

٢٤٤- أيام مأساوية في رايخ هتلر": بقلم إرڤين ڤيجرت . ط. شتوتگارت ١٩٥٢.

[Dramatisch Tage in Hitler´s Reich: Ervin Wichert]

٢٤٥- "الكفاح لأجل أوروپا": بقلم چيستر ويلموت. ط نيويورك ١٩٥٢.

[The Struggle for Europe: Chester Wilmot]

٢٤٦- "جيوفري داوسن وزماننا": بقلم جون إيڤلين رينچ. ط لندن ١٩٥٥.

[Geoffray Dawson and Our Times: J. E. Wrench]

٢٤٧- رومل ثعلب الصحراء: بقلم ديزموند يونگ. ط نيويورك ١٩٥٠.

[Ronmel- The Dseert Fox: Desmond Young]

٢٤٨- التعليم للموت بقلم إيرهارد گريگور زيمر. ط نيويورك ١٩٤١.

[Education For Death: Gregor Ziemer]

٢٤٩- "خصوصيات هتلر": بقلم زوللر. ط دسلدورف ١٩٤٩. [طبعة مترجمة الى الفرنسية بعنوان إثنتا عشرة سنة بعد هتلر Douze Ans Apré d'Hitler باريس ١٩٤٩] [Hitler Privot: A. Zoller]

٢٥٠- "دنيا الأمس": بقلم إستيڤان زڤايگ. ط نيويورك ١٩٤٣.

[The World of Yesterday: Stephan Zweig]

النشرات الدورية والمجلات

١- مقال للأستاذ أورون جمس هيل Prpff. Oron Hale عنوانه "أدولف هتلر: دافع الضرائب: Adolph Hitler: Tax Payer نُشر في المجلة التاريخية الأمريكية السنة الستون العدد (٤) تموز ١٩٥٥.

٢- "إنتفاضة تلاميذ مونيخ ضد هتلر". مقال لـ"هيوريكاردا Hugh Ricarda في مجلة Neue Schweizer Rundschaw- زوريخ- أيلول- تشرين الأول ١٩٤٨.

٣- "١٨ من شباط: التصدع في المقاومة الألمانية" للكاتب السالف:[Der 18 Februar: Umriss liner deutchland Wederstandsbewgung" Die Gegenwart تشرين أول ١٩٤٦)].

٤- بحث دوري لدراسات جامعة الولاية في واشنطن بتاريخ ١٩٤٥: بقلم روبرت م. كيمپنر. Robert . M. Kempner عنوانه "مخطط لحركة المقاومة النازية " صدر في حزيران.

٥- "أفكار وأحداث" بحث نشره الجنرال جورج توماس في مجلة Schweizerische Monatshefte في كانون الأول ١٩٤٥ بعنوان Gedanken und Ereignisse".

٦- "العلوم العسكرية: إحتلال آميل" مقال لرودولف فيتزيك Rudolph Witzig بعنوان: Die Einnahme von- Amael في Wéhrkunde في أيار ١٩٤٥.

الفهرست

الجزء الأول

الكتاب الأول

ظهور "أدولف هتلر"

الكتاب الثاني

النصر وإستثمار الفوز

الكتاب الثالث

الطريق الى الحرب

(١٢) الفصل الرابع - الطريق الى مونيخ

(١٣) الفصل الخامس - چيكوسلوڤاكيا تقضي نحبها

(١٤) الفصل السادس - الدائرة تدور على پولندا

الجزء الثاني

الكتاب الرابع

الحرب: الإنتصارات الأولى ونقطة التحول

(١٨) الفصل الأول: سقوط پولندا

(١٩) الفصل الثاني: حرب القِعدة في الغرب "Sitzkrieg"

(٢٠) الفصل الثالث: فتح الدانمرك والنرويج

الكتاب السادس

سقوط الرايخ الثالث